

نَجَاحُ الْقِتَارِيِّ لِصَحِيحِ الْبُخَارِيِّ

أكبر مؤسوعة شارحة لصحيح البخاري حديثاً وفقهياً ولغوياً وتفسيراً

للإمام المحدث المفسر

أبي محمد عبد الله بن محمد بن يوسف الرُّومِي الحَقْفِي المعروف بـ "يوسف أفتي زاده"

الترقي سنة 1167 هجرية

اعتنى به مجموعة من الصقبين والراصعين بإشراف

عبد الحفيظ محمد علي بيضون

ورأسات إسلامية / كلية الشريعة - جامعة بيروت الإسلامية

اعتمدنا لترقيم الكتب والأبواب والأحاديث ترقيم

محمد فؤاد عبد الباقي

المجزء السكابع عشر

المحموعة :

فرض الخمس - الجزية والمرادعة - بدو الخاتمة



دار الكتب العلمية

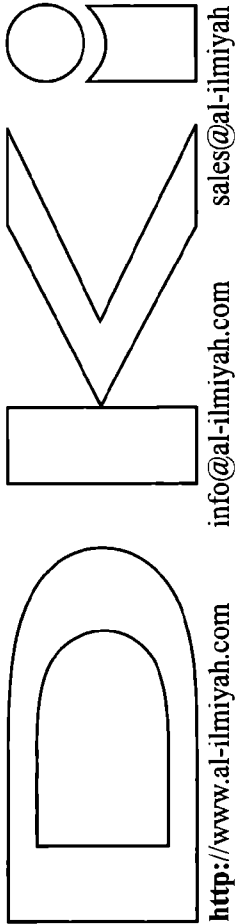
Dar Al-Kutub Al-Ilmiyah

DKI

أسستها محمد فؤاد بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان

Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon

Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban



الكتاب: نجاح القاري لصحيح البخاري

Title: NAJĀH AL-QĀRĪ LIṢAḤĪH AL-BUḤĀRĪ

التصنيف: شروح - حديث

Classification: Explanations - Prophetic Hadith

المؤلف: الإمام يوسف أفندي زاده (ت ١١٦٧ هـ)

Author: Al-Imam Yousuf Afandi Zada (D. 1167 H.)

المحقق: عبد الحفيظ محمد علي بيضون

Editor: Abdulhafiz Mohammed Ali Baydoun

الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت

Publisher: Dar Al-Kotob Al-ilmiyah - Beirut

عدد الصفحات (٣١ جزءاً / ٣١ مجلداً) 23280 Pages (31 Parts / 31 Vols.)

قياس الصفحات 17 x 24 cm Size

سنة الطباعة 2021 A.D. - 1443 H. Year

بلد الطباعة لبنان Printed in Lebanon

الطبعة الأولى (لونان) Edition 1st (2 Colors)

Exclusive rights by © Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Beirut - Lebanon No Part of this publication may be translated, reproduced, distributed in any form or by any means, or stored in a data base or retrieval system, or to post it on Internet in any form without the prior written permission of the publisher.

Tous droits exclusivement réservés à © Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Beyrouth-Liban Toute représentation, édition, traduction ou reproduction même partielle, par tous procédés, en tous pays, ou téléchargement sur Internet de quelque manière que se soit faite sans autorisation préalable signée par l'éditeur est illicite et exposerait le contrevenant à des poursuites judiciaires.

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة لدار الكتب العلمية بيروت - لبنان ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنخيد الكتاب كاملاً أو مجزأً أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر أو برمجته على أسطوانات ضوئية أو تحميله على صفحات الإنترنت بأي شكل من الأشكال إلا بموافقة الناشر خطياً.

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

Est. by Mohamad Ali Baydoun
1871 Beirut - Lebanon

Aramoun, al-Quebbah,
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel +961 5 804 810/11/12
Fax: +961 5 804813
P.O.Box: 11-9424 Beirut-Lebanon,
Riyad al-Soloh Beirut 1107 2290

عرمون، القبة، مبنى دار الكتب العلمية
هاتف: +٩٦١ ٥ ٨٠٤٨١٠/١١/١٢
فاكس: +٩٦١ ٥ ٨٠٤٨١٣
بيروت-لبنان ١١-٩٤٢٤
رياض الصلح-بيروت ١١٠٧٢٢٩٠



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

57 - كِتَابُ فَرَضِ الْخُمْسِ

1 - بَابُ فَرَضِ الْخُمْسِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

57 - كِتَابُ فَرَضِ الْخُمْسِ

1 - بَابُ فَرَضِ الْخُمْسِ

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) هكذا ثبتت البسملة في أكثر الأصول، وفي بعضها: لم تثبت البسملة.

(باب فَرَضِ الْخُمْسِ) كذا في رواية الأكثر وفي بعضها كتاب فرض الخمس، وفي بعضها: فرض الخمس بحذف الكتاب والباب والخمس بضم الخاء المعجمة والجمهور على أن ابتداء فرض الخمس كان بقوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ، وَلِلرَّسُولِ﴾ [الأنفال: 41].

وكانت الغنائم تقسم على خمسة أقسام، فيعزل خمس منها يصرف فيمن ذكر في الآية وسيأتي البحث فيه بعد أبواب إن شاء الله تعالى، وكان خمس هذا الخمس لرسول الله ﷺ واختلف فيمن يستحقه بعده فمذهب الشافعي أنه يصرف في المصالح وعنه أنه يرد على الأصناف المذكورين في الآية وهو قول الحنفية مع اختلافهم فيهم وذلك أن الحنفية قالوا: الخمس لليتامى والمساكين وابن السبيل، ويقدم الفقراء من ذوي القربى على الطوائف الثلاث والمراد من ذوي القربى: قرب النصرة لأقرب القرابة وهم بنو هاشم وبنو المطلب.

وقال الشافعي: لذوي القربى خمس الخمس يستوي فيه فقيرهم وغنيهم

3091 - حَدَّثَنَا عَبْدَانُ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ، أَخْبَرَنَا يُونُسُ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ، أَنَّ حُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ أَخْبَرَهُ أَنَّ عَلِيًّا قَالَ: كَانَتْ لِي شَارِفٌ مِنْ نَصِيبِي مِنَ الْمَغْنَمِ يَوْمَ بَدْرٍ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَعْطَانِي شَارِفًا مِنَ الْخُمْسِ،

ويقتسم بينهم للذكر مثل حظ الأنثيين .

وقالت الحنفية : سقط ذلك بموته ﷺ لعدم العلة وهي النصره فيستحقونه بالفقر عند الكرخي ، لأنه في معنى الصدقة ، وفي قوله تعالى : ﴿ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ﴾ [الحشر : 7] إشارة إليه .

وقال الطحاوي : سقط نصيب الفقراء أيضًا والأول أظهر وقيل : يختص به الخليفة ويقسم أربعة أخماس الغنيمة على الغانمين إلا السلب فإنه للقاتل على الراجح كما سيأتي أيضًا .

(حَدَّثَنَا عَبْدَانُ) هو لقب عبد الله بن عثمان كما مرّ غير مرة قَالَ : (أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ) هو ابن المبارك قَالَ : (أَخْبَرَنَا يُونُسُ) هو ابن يزيد الأيلي ، (عَنِ الزُّهْرِيِّ) هو ابن شهاب أنه (قَالَ : أَخْبَرَنِي) بالافراد ، (عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ) أي : ابن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، (أَنَّ حُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ) هو أخو الحسن ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم (أَخْبَرَهُ أَنَّ عَلِيًّا قَالَ : كَانَتْ لِي شَارِفٌ مِنْ نَصِيبِي مِنَ الْمَغْنَمِ يَوْمَ بَدْرٍ) الشارف بالشين المعجمة المستة من النوق ولا يقال للذكور عند الأكثر وحكى إبراهيم الحربي عن الأصمعي : جوازه وجمعه شُرْف بضمّتين ، قال القاضي عياض : جمع فاعل على فُعل قليل .

(وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَعْطَانِي شَارِفًا مِنَ الْخُمْسِ) يعني يوم بدر .

قَالَ ابن بطال : ظاهره أن الخمس شرع يوم بدر ولم يختلف أهل السير أن الخمس لم يكن يوم بدر وقد ذكر إِسْمَاعِيلُ الْقَاضِي فِي غزوة بني قريظة قَالَ قيل إنه أوّل يوم فرض فيه الخمس قَالَ وقيل : نزل بعد ذلك قَالَ ولم يأت ما فيه بيان شافٍ وإنما جاء صريحًا في غنائم حنين قَالَ ابن بطال : وإذا كان كذلك يحتاج قول علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى تَأْوِيلٍ لَا يعارض قول أهل السير قَالَ ويمكن أن يقال إِنَّ معنى قول علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَعْطَانِي شَارِفًا مِنَ الْخُمْسِ أَنَّهُ أَعْطَانِي ذَلِكَ مِنْ سرية عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَحْشٍ الَّتِي كَانَتْ قَبْلَ بَدْرِ الْأُولَى بِشهرين فِي

رجب من السنة الثانية وكان النَّبِيُّ ﷺ بعث عَبْدَ اللَّهِ بن جحش ومعه ثمانية من رهط المهاجرين إلى نخلة بين مَكَّة والطائف فوجد بها عير قريش فقتلوهم وأخذوا العير فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ لِأَصْحَابِهِ إِنَّ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِمَّا غَنِمْنَا الْخُمْسَ وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يَفْرُضَ اللَّهُ تَعَالَى الْخُمْسَ مِنَ الْغَنَائِمِ فَعَزَلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقَسَمَ الْبَاقِي بَيْنَ أَصْحَابِهِ فَوَقَعَ رَضِيَ اللَّهُ بِذَلِكَ فَيَحْمِلُ قَوْلَ عَلِيٍّ رَضِيَ عَنْهُ وَكَانَ قَدْ أَعْطَانِي شَارِفًا مِنَ الْخُمْسِ أَي: مَنْ الَّذِي حَصَلَ مِنْ سَرِيَةِ عَبْدَ اللَّهِ بن جحش قَالَ وَقَدْ رَوَى أَبُو دَاوُدَ وَمَا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ قَالَ كَانَ لِي شَارِفٌ مِنْ نَصِيبِي مِنَ الْمَغْنَمِ يَوْمَ بَدْرٍ وَأَعْطَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَارِفًا مِنَ الْخُمْسِ يَوْمَئِذٍ يَدْرِي وَأَرَادَ بِهِ مِنَ الْخُمْسِ الَّذِي عَزَلَهُ عَبْدُ اللَّهِ بن جحش لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْعِيرِ الَّتِي أَخَذَهَا كَمَا ذَكَرَ هَذَا.

وَقَالَ الْحَافِظُ الْعَسْقَلَانِيُّ وَيَعْكُرُ عَلَيْهِ: أَنَّ فِي الرِّوَايَةِ الْآتِيَةِ فِي الْمَغَازِي وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَعْطَانِي مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ مِنَ الْخُمْسِ يَوْمَئِذٍ وَالْعَجَبُ أَنَّ ابْنَ بَطَالٍ عَزَا هَذِهِ الرِّوَايَةَ لِأَبِي دَاوُدَ وَجَعَلَهَا شَاهِدًا لِمَا تَأَوَّلَهُ وَغَفَلَ عَنْ كَوْنِهَا فِي الْبُخَارِيِّ الَّذِي شَرَحَهُ وَعَنْ كَوْنِ ظَاهِرِهَا شَاهِدًا عَلَيْهِ لَا لَهُ وَلَمْ أَقِفْ مَا نَقَلَهُ عَنْ أَهْلِ السَّيْرِ صَرِيحًا فِي أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي غَنَائِمِ بَدْرٍ خُمْسٍ وَالْعَجَبُ أَنَّهُ يَثْبُتُ فِي الْغَنِيمَةِ السَّرِيَةِ الَّتِي قَبْلَ بَدْرٍ الْخُمْسَ وَيَقُولُ إِنَّ اللَّهَ رَضِيَ بِذَلِكَ وَيَنْفِيهِ فِي يَوْمِ بَدْرٍ مَعَ أَنَّ الْأَنْفَالَ الَّتِي فِيهَا التَّصْرِيحُ بِفَرَضِ الْخُمْسِ نَزَلَ غَالِبُهَا فِي قِصَّةِ بَدْرٍ وَقَدْ جَزَمَ الدَّادُودِيُّ بِأَنَّ آيَةَ الْخُمْسِ نَزَلَتْ يَوْمَ بَدْرٍ وَقَالَ السَّبْكِ نَزَلَتْ فِي بَدْرٍ وَغَنَائِمُهَا وَالَّذِي يَظْهَرُ أَنَّ آيَةَ قِسْمَةِ الْغَنِيمَةِ نَزَلَتْ بَعْدَ تَفَرُّقِ الْغَنَائِمِ لِأَنَّ أَهْلَ السَّيْرِ نَقَلُوا أَنَّهُ ﷺ قَسَمَهَا عَلَى السَّوَاءِ وَأَعْطَاهَا لِمَنْ شَهِدَ الْوَقْعَةَ أَوْ غَابَ لِعَذْرِ تَكْرُمًا مِنْهُ لِأَنَّ الْغَنِيمَةَ كَانَتْ أَوَّلًا بِنَصِّ أَوَّلِ سُورَةِ الْأَنْفَالِ لِلنَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «وَلَكِنْ يَعْكُرُ عَلَى مَا قَالَ أَهْلُ السَّيْرِ» حَدِيثٌ عَلَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَعْنِي حَدِيثَ الْبَابِ حَيْثُ قَالَ وَأَعْطَانِي شَارِفًا مِنَ الْخُمْسِ يَوْمَئِذٍ فَإِنَّهُ ظَاهِرٌ فِي أَنَّهُ كَانَ فِيهَا خُمْسٌ إِلَّا أَنَّهُ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ قِسْمَةُ غَنَائِمِ بَدْرٍ وَقَعَتْ عَلَى السَّوَاءِ بَعْدَ أَنْ أَخْرَجَ الْخُمْسَ لِلنَّبِيِّ ﷺ عَلَى مَا تَقَدَّمَ مِنْ قِصَّةِ سَرِيَةِ عَبْدَ اللَّهِ بن جحش وَأَفَادَتْ آيَةُ الْأَنْفَالِ وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ﴾ إِلَى آخِرِهَا بَيَانُ مَصْرَفِ الْخُمْسِ لَا مَشْرُوعِيَةِ أَصْلِ الْخُمْسِ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

وَأَمَّا مَا نَقَلَهُ عَنْ أَهْلِ السَّيْرِ فَأَخْرَجَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ يَحْتَجُّ بِمَثَلِهِ عَنْ

فَلَمَّا أَرَدْتُ أَنْ أُبْتَنِّي بِفَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَاعَدْتُ رَجُلًا صَوَّاعًا مِنْ بَنِي قَيْنُقَاعَ أَنْ يَرْتَجِلَ مَعِيَ، فَتَأْتِي بِإِذْخِرٍ

عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ فَلَمَّا اخْتَلَفْنَا فِي الْغَنِيمَةِ وَسَاءَتْ أَخْلَاقُنَا انْتَزَعَهَا اللَّهُ مِنَّا فَجَعَلَهَا لِرَسُولِهِ فَقَسَمَهَا عَلَى النَّاسِ عَنْ بَوَاءِ أَيٍّ : عَلَى سِوَاءِ سَاقِهِ مَطْوَلًا وَأَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَالْحَاكِمُ مِنْ طَرِيقِهِ وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ مِنْ وَجْهِ آخِرٍ لَيْسَ فِيهِ ابْنُ إِسْحَاقَ.

(فَلَمَّا أَرَدْتُ أَنْ أُبْتَنِّي) مِنَ الْإِبْتِنَاءِ وَهُوَ الدَّخُولُ بِالزَّوْجَةِ وَكَذَلِكَ الْبِنَاءُ وَأَصْلُهُ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا أَرَادَ رَجُلٌ مِنْهُمْ أَنْ يَزُوجَ امْرَأَةً بَنَى لَهَا قَبَةَ لِيَدْخُلَ فَيَخْلُو بِهَا فِيهَا يُقَالُ بَنَى الرَّجُلُ عَلَى أَهْلِهِ وَبِأَهْلِهِ.

(بِفَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ) وَاخْتَلَفَ فِي وَقْتِ دُخُولِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِفَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَهَذَا الْحَدِيثُ يَشْعُرُ بِأَنَّهُ كَانَ عَقِبَ وَقْعَةِ بَدْرٍ وَلَعَلَّهُ كَانَ فِي شَوَالِ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ فَإِنَّ وَقْعَةَ بَدْرٍ كَانَتْ فِي رَمَضَانَ مِنْهَا .

وقيل : تزوجها في السنة الأولى ولعلَّ قائل ذلك أراد العقد ونقل ابن الجوزي أنه كان في صفر سنة اثنتين .

وقيل : في رجب وقيل في ذي الحجة وهذا الأخير يشبه أن يحمل على شهر الدخول بها قيل تأخر دخوله بها إلى سنة ثلاث فدخل بها بعد وقعة أحد حكاه ابن عبد البر وفيه بعد.

(وَاعَدْتُ) مِنَ الْمَوَاعِدَةِ (رَجُلًا صَوَّاعًا) بَفَتْحِ الصَّادِ الْمَهْمَلَةِ وَتَشْدِيدِ الْوَاوِ قَالَ الْحَافِظُ الْعَسْقَلَانِيُّ وَلَمْ أَقِفْ عَلَى اسْمِهِ وَوَقَعَ فِي رِوَايَةِ ابْنِ جَرِيرٍ فِي الشَّرْبِ طَابِعٌ بِمَهْمَلَتَيْنِ وَمَوْحِدَةٍ وَطَالِعٌ بِلَامٍ بَدَلَ الْمَوْحِدَةِ أَيٍّ : مِنْ يَدْلُهُ وَيَسَاعِدُهُ وَقَدْ يُقَالُ إِنَّهُ اسْمُ الصَّائِغِ الْمَذْكُورِ فِيهِ بَعْدَ .

(مِنْ بَنِي قَيْنُقَاعَ) بَفَتْحِ الْقَافَيْنِ وَضَمِّ النُّونِ وَفَتْحِهَا وَكُسْرُهَا مَنْصَرَفًا وَغَيْرِ مَنْصَرَفٍ قَالَ الْكِرْمَانِيُّ : هُمْ قَبِيلَةٌ مِنَ الْيَهُودِ .

وَقَالَ الصَّنْعَانِيُّ : هُمْ حَيٍّ مِنَ الْيَهُودِ .

وَقَالَ الْعَيْنِيُّ : هُوَ مَرْكَبٌ مِنْ قَيْنَ وَهُوَ الْحَدَادُ وَقَاعُ اسْمِ أَطَمٍ مِنْ أَطَامِ الْمَدِينَةِ .

(أَنْ يَرْتَجِلَ مَعِيَ، فَتَأْتِي بِإِذْخِرٍ) بِكُسْرِ الْهَمْزَةِ حَشِيْشَةُ طَيِّبَةِ الرَّائِحَةِ يَسْقَفُ بِهَا

أَرَدْتُ أَنْ أبيعَهُ الصَّوَاغِينَ، وَأَسْتَعِينَ بِهِ فِي وَلِيمَةِ عُرْسِي، فَبَيَّنَّا أَنَا أَجْمَعُ لِشَارِفِي مَتَاعًا مِنَ الْأَقْتَابِ، وَالْعَرَائِرِ، وَالْحِبَالِ، وَشَارِفَايَ مُنَاخَانَ إِلَى جَنْبِ حُجْرَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، رَجَعْتُ حِينَ جَمَعْتُ مَا جَمَعْتُ،

البيوت فوق الخشب وهمزته زائدة وقد مرّ في كتاب الحج.

(أَرَدْتُ أَنْ أبيعَهُ الصَّوَاغِينَ، وَأَسْتَعِينَ بِهِ فِي وَلِيمَةِ عُرْسِي) الوليمة: طعام الزفاف، وقيل: اسم لكل طعام والعرس بالكسر: امرأة الرجل وبالضم: طعام الوليمة وينبغي أن يكون بالكسر وألا يكون المعنى وليمة وليمتي.

وفي المغرب: العرس بالضم اسم ومنه إذا دعي أحدكم إلى وليمة عرس فليجب أي: إلى طعام أعراس وطعام الوليمة يسمى عرسًا باسم سبيه.

(فَبَيَّنَّا أَنَا أَجْمَعُ لِشَارِفِي) بتشديد الياء على صيغة التثنية (مَتَاعًا مِنَ الْأَقْتَابِ) جمع قتب وهو معروف، (وَالْعَرَائِرِ) بالعين المعجمة جمع غرارة بالراء المكررة ظرف التبن ونحوه قَالَ الجوهرية: وأظنه معربًا، (وَالْحِبَالِ، وَشَارِفَايَ مُنَاخَانَ) كذا في رواية الأكثر والتأنيث باعتبار المعنى لأنهما ناقتان وفي رواية: مناخان بالتذكير وهو باعتبار لفظ الشارف.

(إِلَى جَنْبِ حُجْرَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ) قَالَ الْحَافِظُ الْعَسْقَلَانِيُّ: لم أقف على اسمه (رَجَعْتُ حِينَ جَمَعْتُ مَا جَمَعْتُ) زاد في رواية ابن جريج عن ابن شهاب في الشرب وحمزة بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يشرب في ذلك البيت أي: الذي أنيخ الشارفان بجانبه ومعه قينة بفتح القاف وسكون المثناة التحتية بعدها نون هي الجارية المغنية فقالت:

أَلا يَا حَمَزَ لِلشَّرْفِ النِّوَاءِ

الشرف: جمع شارف كما تقدم والنواء بكسر النون والمد مخفّفًا جمع ناوية وهي: الناقة السمينية وحكى الخطابي: أَنَّ ابن جرير الطَّبْرِيَّ رواه ذا الشَّرْفِ بفتح الشين وفسره بالرفعة وجعله صفة لحمزة وفتح نون النواء وفسره بالبعد أي: الشرف البعيد أي: مناله بعيد.

قَالَ الخطابي: وهو خطأ وتصحيف وحكى الإسماعيلي أَنَّ أبا يعلى حدّثه به من طريق ابن جريج فَقَالَ الثَّوَاءِ بِالثاء المثناة قَالَ فلم يضبطه.

فَإِذَا شَارِفَايَ قَدْ اجْتَبَّ أَسْنِمَتُهُمَا ، وَبُقِرَتْ خَوَاصِرُهُمَا وَأُخِذَ مِنْ أَكْبَادِهِمَا ،

وحكى المرزباني في معجم الشعراء : أنَّ هذا الشعر لعبد الله بن السائب المخزومي جدَّ أبي السائب المخزومي المدني وبقيته :

وهنَّ معقَّلات بالفناء
 ضع السكين في اللَّبَّات منها وضرجهنَّ حمزة بالدماء
 وعجل من أطايبها لشرب قديدًا من طبيخ أو شواء
 الشرب بفتح المعجمة وسكون الراء بعدها موخدة جمع شارب كتاجر وتجر
 والفناء بكسر الفاء والمدّ الجانب أي : جانب الدار التي كانوا فيها والقديد
 اللحم المطبوخ والتضريح بمعجمة وجيم التلطيح فإن كان ثابتًا فقد عرف بعض
 المبهم في قوله في شرب من الأنصار لكن المخزومي ليس من الأنصار فكأن
 قائل ذلك أطلقه عليهم بالمعنى الأعم.

قَالَ الْحَافِظُ الْعَسْقَلَانِيُّ : والذي أراه أنَّ الذي نظم هذا الشعر نظمه وأمر
 القينة أن تغني به لأن يبعث همّة حمزة لما عرف من كرمه على نحر الناقتين
 ليأكلوا من لحمهما فكأنه قَالَ انهض إلى الشُّرف فانحرها وقد تبين ذلك من بقية
 الشعر وفي قوله للشرف بصيغة الجمع مع أنه لم يكن هناك إلا ثنتان دلالة على
 جواز إطلاق صيغة الجمع على الاثنين وقوله يا حمزة ترخيم وهو بفتح الزاي
 ويجوز ضمها.

(فَإِذَا شَارِفَايَ قَدْ اجْتَبَّ) بضم الهمزة وكسر الجيم وتشديد الموحدة وكذا
 في رواية عنبة في المغازي وفي رواية الكشميهني هنا : قد جُبَّت بضم الجيم من
 غير همزة أي : قطعت. قَالَ الْحَافِظُ الْعَسْقَلَانِيُّ : وهو الصواب وعند مسلم من
 طريق ابن وهب عن يونس اجتَبَّت من الافتعال وهو صواب أيضًا والجبّ بفتح
 الجيم وتشديد الموحدة الاستفعال في القطع.

(أَسْنِمَتُهُمَا) جمع سنام وهو ما على ظهر البعير.

(وَبُقِرَتْ) على البناء للمفعول من البقر بالموحدة والقاف وهو الشق.

(خَوَاصِرُهُمَا وَأُخِذَ مِنْ أَكْبَادِهِمَا) زاد ابن جريج قلت لابن شهاب ومن
 السنام قَالَ قد جبَّ أسنمتها.

فَلَمْ أَمْلِكْ عَيْنِي حِينَ رَأَيْتُ ذَلِكَ الْمَنْظَرَ مِنْهُمَا، فَقُلْتُ: مَنْ فَعَلَ هَذَا؟ فَقَالُوا: فَعَلَ حَمْرَةُ ابْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَهُوَ فِي هَذَا الْبَيْتِ فِي شَرْبٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَأَنْطَلَقْتُ حَتَّى أَدْخُلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَعِنْدَهُ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، فَعَرَفَ النَّبِيُّ ﷺ فِي وَجْهِ الَّذِي لَقِيتُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا لَكَ؟»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ قَطُّ، عَدَا حَمْرَةُ عَلَى نَاقَتِي، فَأَجَبَ أَسْنِمَتُهُمَا، وَبَقَرَ خَوَاصِرَهُمَا، وَهَا هُوَ دَا فِي بَيْتٍ مَعَهُ شَرْبٌ، فَدَعَا النَّبِيُّ ﷺ بِرِدَائِهِ، فَارْتَدَى، ثُمَّ انْطَلَقَ يَمْشِي وَاتَّبَعْتُهُ أَنَا وَزَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ حَتَّى جَاءَ الْبَيْتَ الَّذِي فِيهِ حَمْرَةُ، فَاسْتَأْذَنَ، فَأَذْنُوا لَهُمْ، فَإِذَا هُمْ شَرْبٌ، «فَطَفِقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَلُومُ حَمْرَةَ فِيمَا فَعَلَ»،

(فَلَمْ أَمْلِكْ عَيْنِي حِينَ رَأَيْتُ ذَلِكَ الْمَنْظَرَ مِنْهُمَا) وفي رواية الكشميهني: حيث رأيت أي: لم أملك عيني من البكاء حين رأيت ذلك يعني أنه بكى من شدة القهر الذي حصل له، وفي رواية ابن جريج: رأيت منظراً أفظعني بفاء وظاء مشالة معجمة أي: نزل بي أمر مفظع أي: مخيف مهول وذلك لتوهم تقصيره في حق فاطمة رضي الله عنها أو في تأخير الابتاء بها بسبب فوات ما يستعان به عليه لا لمجرد فوات الناقتين لأن متاع الدنيا قليل لا سيّما عند أمثاله رضي الله عنهم. (فَقُلْتُ: مَنْ فَعَلَ هَذَا؟ فَقَالُوا: فَعَلَ حَمْرَةُ ابْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَهُوَ فِي هَذَا الْبَيْتِ فِي شَرْبٍ) بفتح الشين المعجمة وسكون الراء جمع شارب.

(مِنَ الْأَنْصَارِ، فَأَنْطَلَقْتُ حَتَّى أَدْخُلَ) كذا بصيغة المضارعة مبالغة في استحضار صورة الحال ويجوز فيه الرفع والنصب ولا يخفى وجههما (عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَعِنْدَهُ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، فَعَرَفَ النَّبِيُّ ﷺ فِي وَجْهِ الَّذِي لَقِيتُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا لَكَ؟»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ قَطُّ) أي: ما رأيت يوماً أفظع كالיום.

(عَدَا حَمْرَةُ عَلَى نَاقَتِي) بتشديد الباء (فَأَجَبَ أَسْنِمَتُهُمَا، وَبَقَرَ خَوَاصِرَهُمَا، وَهَا هُوَ دَا فِي بَيْتٍ مَعَهُ شَرْبٌ، فَدَعَا النَّبِيُّ ﷺ بِرِدَائِهِ، فَارْتَدَى، ثُمَّ انْطَلَقَ يَمْشِي وَاتَّبَعْتُهُ أَنَا وَزَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ حَتَّى جَاءَ الْبَيْتَ الَّذِي فِيهِ حَمْرَةُ، فَاسْتَأْذَنَ، فَأَذْنُوا لَهُ) أي: النَّبِيُّ ﷺ ويروى لهم أي: له ولمن معه.

(فَإِذَا هُمْ شَرْبٌ، فَطَفِقَ) أي: جعل (رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَلُومُ حَمْرَةَ فِيمَا فَعَلَ) وفي رواية ابن جريج فدخل على حمزة فتغيظ عليه.

فَإِذَا حَمْزَةُ قَدْ ثَمِلَ، مُحَمَّرَةً عَيْنَاهُ، فَنَظَرَ حَمْزَةً إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ صَعَدَ النَّظَرَ، فَنَظَرَ إِلَى رُكْبَتِهِ، ثُمَّ صَعَدَ النَّظَرَ، فَنَظَرَ إِلَى سُرَّتِهِ، ثُمَّ صَعَدَ النَّظَرَ، فَنَظَرَ إِلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ قَالَ حَمْزَةُ: هَلْ أَنْتُمْ إِلَّا عَبِيدٌ لِأَبِي؟ فَعَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَدْ ثَمِلَ، فَكَصَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى عَقْبِيهِ الْقَهْقَرَى، وَخَرَجْنَا مَعَهُ.

(فَإِذَا حَمْزَةُ قَدْ ثَمِلَ) بفتح المثلثة وكسر الميم أي: سكر، (مُحَمَّرَةً عَيْنَاهُ، فَنَظَرَ حَمْزَةً إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ صَعَدَ) بفتح الصاء المهملة وتشديد العين المهملة المفتوحة أي: جرَّ (النَّظَرَ، فَنَظَرَ إِلَى رُكْبَتِهِ، ثُمَّ صَعَدَ النَّظَرَ، فَنَظَرَ إِلَى سُرَّتِهِ، ثُمَّ صَعَدَ النَّظَرَ، فَنَظَرَ إِلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ قَالَ حَمْزَةُ: هَلْ أَنْتُمْ إِلَّا عَبِيدٌ لِأَبِي؟) أي: كعبيد وفي رواية ابن جريج لأبائي وغرضه أن عبد الله وأبا طالب كانا كأنهما عبدان لعبد المطلب في الخضوع لحرمة وأنه أقرب إليه منهما .
وقيل: أراد أن أباه عبد المطلب جد للنبي ﷺ ولعلي رضي الله عنه أيضًا والجد يُدعى سيدًا .

وحاصل القولين: أن حمزة أراد الافتخار عليهم بأنه أقرب إلى عبد المطلب منهم والله تعالى أعلم.

(فَعَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَدْ ثَمِلَ، فَكَصَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى عَقْبِيهِ الْقَهْقَرَى) قَالَ الْأَخْفَشُ: يعني رجع وراءه والنكص الرجوع إلى وراء يقال نكص ينكص فهو ناكص .

وَقَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ: القهقري مصدر ومنه قولهم: رجع القهقري أي: رجع الرجوع الذي يعرف بهذا الاسم فيكون القهقري منصوبًا على المصدرية من غير لفظه كما في قعدت جلوسًا .

وَقَالَ الْأَزْهَرِيُّ: القهقري الارتداد عما كان عليه وقد قهقر وتقهقر وقيل إنه مشتق من القهر وكأنه فعل ذلك خشية أن يزداد عبث حمزة في حال سكره فينتقل من القول إلى الفعل فأراد أن يكون ما يقع من حمزة بمرأى منه ليدفعه إن وقع شيء منه كذا قَالَ الْحَافِظُ الْعَسْقَلَانِيُّ.

(وَخَرَجْنَا مَعَهُ) زاد ابن جريج وذلك قبل تحريم الخمر أي: ولذلك لم يؤاخذ النبي ﷺ حمزة بقوله وفي هذه الزيادة ردّ على من احتج بهذه القصة على

أن طلاق السكران لا يقع فإنه إذا عرف أن ذلك كان قبل تحريم الخمر كان ترك المؤاخذه لكونه لم يدخل على نفسه الضرر والذي يقول يقع طلاق السكران يحتج بأنه أدخل على نفسه السكر وهو محرّم عليه فعوقب بإمضاء الطلاق عليه فليس في هذا الحديث حجة لإثبات ذلك ولا نفيه .

وَقَالَ الطَّبْرِيُّ: وفي حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ وَيَسْمَعُونَ الْغَنَاءَ فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ حَتَّى نَهَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَاللَّيْسُ﴾ [المائدة: 90] وحرمت الخمر بعد غزوة أحد وَقَالَ الخطابي احتج بعضهم بهذا الحديث في إبطال أحكام السكران وقالوا لو لزم السكران ما يكون منه في حال سكره كما يلزمه في حال صحوه لكان المخاطب لرسول الله ﷺ بما استقبله حمزة كافرًا مباح الدم قَالَ: وقد ذهب على ذلك البعض أن ذلك منه إنما كان قبل تحريم الخمر فإن قيل: إلّا مآل أمر الناقتين؟

فالجواب: كان ضمانهما لازماً لحمزة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لو طالبه علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ويمكن أن النَّبِيُّ ﷺ عوضهما إذ العلماء لا يختلفون أن جنایات الأموال لا تسقط عن المجانين وغير المكلفين ويلزمهم ضمانها في كل حال كالعقلاء ومن شرب لبناً أو أكل طعاماً أو تداوى بمباح فسكر فهو كالمجنون والمغمى عليه والصبي يسقط عنهم حد القذف وسائر الحدود غير إتلاف الأموال لرفع القلم عنهم ومن سكر من حلال فحكمه حكم هؤلاء وعن أبي عَبْدِ اللَّهِ ابن النحال أن من سكر من ذلك لا طلاق عليه، وحكى الطحاوي أنه إجماع عن العلماء رحمهم الله.

تتمة:

قَالَ أَبُو دَاوُدَ: سمعت أحمد بن صالح يقول في هذا الحديث أربع وعشرون سنة وَقَالَ الْحَافِظُ الْعَسْقَلَانِي: وفيه: أن الغانم يعطي من الغنيمة من جهتين من الأربعة أخماس بحق الغنيمة ومن الخمس إذا كان ممن لديه حق وأنّ لمالك الناقة الانتفاع بها في الحمل عليها .

وفيه: الإناخة على باب الغير إذا عرف رضاه بذلك وعدم تضرره به وأن البكاء الذي يجلبه الحزن غير مذموم وأن المرء قد لا يملك دمه إذا غلب عليه الغيظ .

وفيه : ما ركب في الإنسان من الأسف على فوت ما فيه نفعه وما يحتاج إليه وأن استعداد المظلوم على من ظلمه وإخباره بما ظلم به خارج عن التهمة والغيبة .
وفيه قبول خبر الواحد وجواز الاجتماع في الشرب المباح وجواز تناول ما يوضع بين يدي القوم وجواز الغناء بالمباح من القول وإنشاد الشعر والاستماع من الأمة والتخير فيما يأكله وأكل الكبد وإن كانت دمًا .

وفيه : أن السكر كان مباحًا في صدر الإسلام .

وفيه : رد على من زعم أن السكر لم يبح قط .

وفيه : مشروعية وليمة العرس وسيأتي بيانها في النكاح إن شاء الله تعالى .
ومشروعية الصناعة والتكسب بها ، وقد تقدم في أوائل البيوع وجواز جمع الإذخر وغيره من المباحات والتكسب بذلك وقد تقدم في أواخر الشرب .
وفيه : الاستعانة في كل صناعة بالعارف بها .

قَالَ المهلب : وفيه : أن العادة جرت بأن جنابة ذوي الرحم مغفرة لكن روى ابن أبي شيبة عن أبي بكر بن عياش أن النَّبِيَّ ﷺ أغرم حمزة ثمن الناقتين .
وفيه : أن للإمام أن يمضي إلى بيت من بلغه أنهم كانوا على منكر ليغيره .
وَقَالَ غيره : وفيه : حلّ تذكية⁽¹⁾ الغاصب لأن الظاهر أنه ما بقر خواصرهما وجبَّ أسنمتهما إلا بعد التذكية المعتبرة .

وفيه : سنة الاستئذان في الدخول وأن الإذن للرئيس يشمل أتباعه لأن زيد ابن حارثة وعليًّا رضي الله عنهما دخلا مع النَّبِيِّ ﷺ وهو الذي كان استأذن فأذنوا له وأن السكران يلام إذا كان يعقل اللوم وأن للكبير في بيته أن يلقي رداءه تخفيفًا وأنه إذا أراد لقاء أتباعه يكون على أكمل هيئته لكونه ﷺ لما أراد أن يخرج إلى حمزة أخذ رداءه وأن الصاحي لا ينبغي له أن يخاطب السكران وأن الذاهب من بين يدي زائل العقل لا يوليه ظهره كما تقدم .

وفيه : إشارة إلى عظم قدر عبد المطلب وجواز المبالغة في المدح لقول حمزة هل أنتم إلا عبيد لأبي ومراده كالعبيد ونكتة التشبيه أنهم كانوا عنده في

3092 - حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ صَالِحٍ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، أَنَّ عَائِشَةَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَخْبَرَتْهُ، أَنَّ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ ابْنَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، سَأَلَتْ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَنْ يَقْسِمَ لَهَا مِيرَاثَهَا، مَا تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِ.

الخضوع له وجواز تصرفه في مالهم في حكم العبيد كما تقدم.
وفيه: أن الكلام يختلف باختلاف القائلين هذا ولا يخفى أن في كثير من هذه الانتزاعات نظراً، والله تعالى أعلم.
ومطابقة الحديث للترجمة في قوله: أعطاني شارفاً من الخمس.
والحديث قد مرّ في كتاب الشرب في باب بيع الحطب والكلأ وبين المتنين بعض تفاوت بزيادة ونقصان.

(حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ) ابْنُ يَحْيَى الْقُرَشِيُّ الْعَامِرِيُّ الْأَوْسِيُّ الْمَدِينِيُّ وهو من أفرادهِ قَالَ: (حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ) ابْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ أَبُو إِسْحَاقَ الْقُرَشِيُّ الزُّهْرِيُّ الْمَدِينِيُّ، (عَنْ صَالِحٍ) هُوَ ابْنُ كَيْسَانَ أَبُو مُحَمَّدٍ مُؤَدَّبٌ وَلَدَ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، (عَنْ ابْنِ شِهَابٍ) مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ بْنُ شِهَابِ الزُّهْرِيِّ أَنَّهُ (قَالَ: أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، أَنَّ عَائِشَةَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَخْبَرَتْهُ، أَنَّ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ ابْنَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، سَأَلَتْ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ⁽¹⁾ (بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَنْ يَقْسِمَ لَهَا مِيرَاثَهَا، مَا تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ) هُوَ بَدَلَ مِنْ قَوْلِهِ مِيرَاثَهَا أَوْ عَطَفَ بَيَانُ لَهُ وَفِي رَوَايَةٍ: مِمَّا تَرَكَ. (مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِ) مِنَ الْفِيءِ وَهُوَ مَا حَصَلَ لَهُ ﷺ مِنْ أَمْوَالِ الْكُفَّارِ مِنْ غَيْرِ حَرْبٍ وَلَا جِهَادٍ.

قَالَ الْقَاضِي عِيَّاضُ: تَأَوَّلَ قَوْمٌ طَلَبَ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مِيرَاثَهَا عَلَى أَنَّهَا تَأَوَّلَتِ الْحَدِيثَ أَنَّ كَانَ بَلَّغَهَا بِأَنَّ قَوْلَهُ ﷺ: «إِنَّا لَا نَوْرُثُ» أَي: الْأَمْوَالُ الَّتِي لَهَا بِالْأَمْرِ الَّتِي لَا تَوْرُثُ لَا مَا يَتْرَكَ مِنْ طَعَامٍ وَأَثَاثٍ وَسِلَاحٍ قَالَ: وَهَذَا التَّأْوِيلُ يَرُدُّهُ قَوْلُهُ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَقَوْلُهُ مِمَّا تَرَكَ مِنْ خَيْبَرٍ وَفَدَكٍ وَصَدَقَتِهِ بِالْمَدِينَةِ.

(1) زاد معمر عن الزهري أن فاطمة والعباس رضي الله عنهما أتيا أبا بكر رضي الله عنه.

3093 - فَقَالَ لَهَا أَبُو بَكْرٍ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا نُورُثُ، مَا تَرَكْنَا صَدَقَةً»،

وقيل: إن طلبها لذلك كان قبل أن يسمع الحديث الذي دل على خصوصية سيدنا رسول الله ﷺ بذلك وكانت متمسكة بآية الوصية ﴿وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ﴾ [النساء: 11].

وَقَالَ ابْنُ التَّيْنِ: حَكَى أَنَّ طَائِفَةً مِنَ الشَّيْعَةِ تَزْعُمُ أَنَّهُ لَا يُوْرَثُ قَالُوا: وَلَمْ تَطَالِبِ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بِالْمِيرَاثِ وَإِنَّمَا طَالَبْتَ بِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَحَلَهَا مَا عَلِمَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَنْكَرَ هَذَا.

قَالَ الْعُلَمَاءُ: مَا ثَبَتَ أَنَّهُ ﷺ نَحَلَهَا شَيْئًا وَلَا أَنَّهَا طَالَبَتْ بِهِ فَإِنْ قِيلَ رَوَوْا أَنَّ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا طَلَبَتْ فَذَكَرْتَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَقْطَعَهَا إِيَّاهَا وَشَهِدَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِذَلِكَ فَلَمْ يَقْبَلِ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شَهَادَتَهُ لِأَنَّهُ زَوْجُهَا.

فَالْجَوَابُ: أَنَّ هَذَا لَا أَصْلَ لَهُ وَلَا ثَبَتَ أَنَّهَا ادَّعَتْ ذَلِكَ وَإِنَّمَا هُوَ أَمْرٌ مُفْتَعَلٌ لَا يَثْبِتُ أَنْتَهَى.

(فَقَالَ لَهَا أَبُو بَكْرٍ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ) وَفِي رِوَايَةِ مَعْمَرٍ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَرُدُّ تَأْوِيلَ الدَّادُودِيِّ الشَّارِحِ فِي قَوْلِهِ: إِنَّ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حَمَلَتْ كَلَامَ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ ذَلِكَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ وَإِنَّمَا سَمِعَهُ مِنْ غَيْرِهِ وَلِذَلِكَ غَضِبَتْ.

(قَالَ: لَا نُورُثُ) قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: جَمِيعُ الرِّوَاةِ لِهَذِهِ اللَّفْظَةِ يَقُولُونَ: لَا نُورُثُ بِالنُّونِ يَعْنِي جَمَاعَةَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ كَمَا فِي الرِّوَايَةِ الْأُخْرَى: نَحْنُ مُعَاشِرُ الْأَنْبِيَاءِ لَا نُورُثُ.

(مَا تَرَكْنَا) فِي مَحَلِّ الرِّفْعِ عَلَى الْإِبْتِدَاءِ وَقَوْلُهُ: (صَدَقَةً) بِالرِّفْعِ خَبَرُهُ.

وَقَدْ صَحَّفَ بَعْضُ الشَّيْعَةِ هَذَا وَقَالَ: لَا يُوْرَثُ بِالْمِثْنَةِ التَّحْتِيَّةِ وَمَا تَرَكْنَا صَدَقَةً بِالنَّصْبِ عَلَى أَنْ يَجْعَلَ مَا مَفْعُولٌ لِمَا لَمْ يَسْمُ فَاعِلُهُ وَصَدَقَةٌ حَالًا وَيَكُونُ مَعْنَى الْكَلَامِ أَنَّ مَا يَتْرَكَ صَدَقَةً لَا يُوْرَثُ وَهَذَا مُخَالَفٌ لِمَا وَقَعَ فِي سَائِرِ الرِّوَايَاتِ وَإِنَّمَا فَعَلَ الشَّيْعَةُ هَذَا وَاقْتَحَمُوهُ لِمَا يُلْزِمُهُمْ عَلَى رِوَايَةِ الْجُمْهُورِ مِنْ فِسَادِ مَذْهَبِهِمْ لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ يُوْرَثُ كَمَا يُوْرَثُ غَيْرُهُ مَتَمَسِّكِينَ بِعُمُومِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ. وَقَالَ الْكِرْمَانِيُّ: لَا نُورُثُ بِفَتْحِ الرَّاءِ وَالْمَعْنَى عَلَى الْكُسْرِ أَيْضًا صَحِيحٌ

فَعُضِبَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَهَجَرَتْ أَبَا بَكْرٍ، فَلَمْ تَزَلْ مُهَاجِرَتُهُ حَتَّى تُوفِّيَتْ، وَعَاشَتْ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سِتَّةَ أَشْهُرٍ،

ولعل الحكمة في عدم إرث الأنبياء عليهم السلام أن لا يظنّ بهم أنهم جمعوا المال لورثتهم .

وقيل : لأنه لا يؤمن أن يكون في الورثة من يتمنى موته فيقع في محذور عظيم .

وقيل : لأنهم كالآباء لأمتهم فمالهم لكل أولادهم وهو معنى الصدقة.

(فَعُضِبَتْ فَاطِمَةُ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَي : غضباً على مقتضى البشرية وسكن بعد ذلك أو الحديث كان متأولاً عندها بما فضل عن معاش الورثة وضروراتهم ونحوها وأما قوله : (فَهَجَرَتْ أَبَا بَكْرٍ) فَقَالَ المهلب : إنما كان هجرها انقباضاً عن لقائه وترك مواصلته وليس هذا من الهجران المحرّم من أن يلتقيا فلا يسلم أحدهما على صاحبه ولم يرو أحد أنهما التقيا وامتنعا من التسليم ولو فعلا ذلك لم يكونا متهاجرين إلّا أن تكون النفوس مظهرة للعداوة والهجران وإنما لازمت بيتها فعبّر الراوي عن ذلك بالهجران.

(فَلَمْ تَزَلْ مُهَاجِرَتُهُ حَتَّى تُوفِّيَتْ، وَعَاشَتْ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سِتَّةَ أَشْهُرٍ) وفي رواية مَعْمَرٍ فَهَجَرَتْهُ فَاطِمَةُ فَلَمْ تَكَلِّمْهُ حَتَّى مَاتَتْ وَوَقَعَ عِنْدَ عُمَرَ بْنِ شُبَيْهِ مِنْ وَجْهِ آخِرٍ عَنْ مَعْمَرٍ فَلَمْ تَكَلِّمْهُ فِي ذَلِكَ الْمَالِ وَكَذَا نَقَلَ التِّرْمِذِيُّ عَنْ بَعْضِ مُشَايخِهِ أَنَّ مَعْنَى قَوْلِ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : لَا أَكَلِّمُكُمَا أَي : فِي هَذَا الْمِيرَاثِ .

وتعقبه البيهقي : بأن قوله غضبت يدلّ على أنها امتنعت من الكلام جملة وكذا صريح الهجر وقد ذكر في كتاب الخمس تأليف أبي حفص بن شاهين عن الشَّعْبِيِّ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ لِفَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : يَا بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ مَا خَيْرَ عَيْشٍ حَيَاةً أَعِيشُهَا وَأَنْتَ عَلَيَّ سَاخِطَةٌ فَإِنْ كَانَ عِنْدَكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي ذَلِكَ عَهْدٌ فَأَنْتِ الصَّادِقَةُ الْمَصْدَقَةُ الْمَأْمُونَةُ عَلَى مَا قُلْتَ قَالَ فَمَا قَامَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَتَّى رَضِيَتْ وَرَضِي .

وروى البيهقي عن الشَّعْبِيِّ قَالَ : لَمَّا مَرَضَتْ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَتَاهَا

أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهَا فَقَالَ عَلَيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَا فَاطِمَةُ هَذَا أَبُو بَكْرٍ يَسْتَأْذِنُ عَلَيْكَ فَقَالَتْ: أَتَحِبُّ أَنْ أَذْنَ لَهُ؟ قَالَ: نَعَمْ فَأَذَنْتُ لَهُ فَدَخَلَ عَلَيْهَا يَتَرْضَاهَا فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا تَرَكْتُ الدَّارَ وَالْمَالَ وَالْأَهْلَ وَالْعَشِيرَةَ إِلَّا ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَمَرْضَاةِ رَسُولِهِ وَمَرْضَاتِكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ ثُمَّ تَرْضَاهَا حَتَّى رَضِيتَ وَهُوَ وَإِنْ كَانَ مَرْسَلًا فإِسْنَادُهُ إِلَى الشَّعْبِيِّ صَحِيحٌ وَالظَّاهِرُ أَنَّ الشَّعْبِيَّ سَمِعَهُ مِنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَوْ مِمَّنْ سَمِعَهُ مِنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَبِهِ يَزُولُ الْإِشْكَالُ فِي تَمَادِي فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَلَى هَجْرِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَأَمَّا مَا أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ عَنْ أَبِي الطَّفِيلِ قَالَ: لَمَّا قَبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أُرْسِلَتْ فَاطِمَةُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنْتَ وَرَثْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَمْ أَهْلُهُ؟ فَقَالَ: لَا بَلْ أَهْلُهُ قَالَتْ: فَأَيْنَ سَهْمَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَطْعَمَ نَبِيًّا طَعْمَةً ثُمَّ قَبِضَهُ جَعَلَهَا لِلَّذِي يَقُومُ مِنْ بَعْدِهِ» فَرَأَيْتُ أَنْ أَرَدَهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ قَالَتْ: فَأَنْتَ وَمَا سَمِعْتُ فَلَا يِعَارِضُ مَا فِي الصَّحِيحِ مِنْ صَرِيحِ الْهَجْرَانِ فَلَا يَدُلُّ عَلَى رِضَاهَا بِذَلِكَ ثُمَّ مَعَ ذَلِكَ فِيهِ نَظَرٌ إِذْ فِي لَفْظِهِ غَرَابَةٌ وَنَكَارَةٌ وَهِيَ فِي قَوْلِهِ بَلْ أَهْلُهُ فَإِنَّهُ مَعَارِضُ لِلْحَدِيثِ الصَّحِيحِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَا نُورُثُ».

وَفِي إِسْنَادِهِ مِنْ يَتَشَبَّعُ نَعَمْ قَوْلُهَا فَأَنْتَ مَا سَمِعْتُ هُوَ الْمَظْنُونُ بِهَا وَاللَّائِقُ بِأَمْرِهَا وَسَيَادَتِهَا وَعِلْمِهَا وَدِينِهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ بَعْضُ الْأُئِمَّةِ إِنَّمَا كَانَتْ هَجَرَتْهَا انْقِبَاضًا عَنْ لِقَائِهِ وَالْاجْتِمَاعِ بِهِ وَلَيْسَ ذَلِكَ مِنَ الْهَجْرَانِ الْمَحْرَمِ لِأَنَّهُ شَرْطُهُ أَنْ يَلْتَقِيَ فَيَعْرِضُ هَذَا وَهَذَا كَمَا سَبَقَ وَكَانَتْ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لَمَّا خَرَجَتْ غَضَبِي مِنْ عِنْدِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تَمَادَتْ فِي اشْتِغَالِهَا بِحُزْنِهَا ثُمَّ بِمَرْضَاهَا.

وَأَمَّا سَبَبُ غَضَبِهَا مَعَ احْتِجَاجِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِالْحَدِيثِ الْمَذْكُورِ فَاعْتِقَادُهَا تَأْوِيلَ الْحَدِيثِ عَلَى خِلَافِ مَا تَمَسَّكَ بِهِ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَكَأَنَّهَا اعْتَقَدَتْ تَخْصِصَ الْعُمُومِ فِي قَوْلِهِ: «لَا نُورُثُ» وَرَأَتْ أَنَّ مَنَافِعَ مَا خَلْفَهُ مِنْ أَرْضٍ وَعَقَارٍ لَا يَمْتَنِعُ أَنْ يُورَثَ عَنْهُ وَتَمَسَّكَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِالْعُمُومِ

قَالَتْ: وَكَانَتْ فَاطِمَةُ تَسْأَلُ أَبَا بَكْرٍ نَصِيبَهَا مِمَّا تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ خَيْبَرَ، وَفَدَكٍ، وَصَدَقَتِهِ بِالْمَدِينَةِ،

واختلفا في أمر محتمل للتأويل فلما صمَّم على ذلك انقطعت عن الاجتماع به لذلك وقد وقع في حديث أبي سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن أبي هريرة رضي الله عنه عند التَّرمِذِيِّ جاءت فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إلى أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقالت: من يرثك قَالَ: أهلي وولدي قالت: فما لي لا أرث أبي قَالَ أَبُو بَكْرٍ: سمعت رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقول: «لا نورث» ولكني أعول من كان رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يعوله.

(قَالَتْ) أَي: عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا⁽¹⁾: (وَكَانَتْ فَاطِمَةُ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (تَسْأَلُ أَبَا بَكْرٍ نَصِيبَهَا مِمَّا تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ خَيْبَرَ، وَفَدَكٍ) بالفاء والبدال المهملة المفتوحتين منصرفاً وغير منصرف بينهما وبين مدينة الرسول ﷺ مرحلتان وقيل: ثلاث.

(وَصَدَقَتِهِ بِالْمَدِينَةِ) أَي: أملاكه التي بالمدينة التي صارت بعده ﷺ صدقة وهذا يؤيد ما تقدم من أنها لم تطلب من جميع ما خلف وإنما طلبت شيئاً مخصوصاً فأما خيبر ففي رواية مَعْمَرٍ وسهمه من خيبر.

وقد روى أَبُو داود بإسناد صحيح إلى سهل بن أبي خيثمة قَالَ: قسم رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خيبر نصفين: نصفها لنوائبه وحاجته، ونصفها بين المسلمين قسمها بينهم على ثمانية عشر سهماً، وأما فذك فكان من شأنها ما ذكر أصحاب المغازي قاطبة أَنَّ أهل فذك كانوا من يهود خيبر فلما فتحت خيبر أرسل أهل فذك يطلبون من النَّبِيِّ ﷺ الأمان على أن يتركوا البلد ويرحلوا.

وروى أَبُو داود من طريق ابن إسحاق عن الزُّهْرِيِّ وغيره قالوا: بقيت بقية من خيبر تحصنوا فسألوا النَّبِيَّ ﷺ أن يحقن دماءهم ويسيرهم ففعل فسمع بذلك أهل فذك فنزلوا على مثل ذلك فكانت لرسول الله ﷺ خاصة ولأبي داود أيضاً من طريق مَعْمَرٍ عن ابن شهاب صالح النَّبِيِّ ﷺ أهل فذك وقرى سمّاها وهو محاصر قوماً آخرين يعني بقية أهل خيبر وأما صدقته بالمدينة فروى أَبُو داود من طريق مَعْمَرٍ عن الزُّهْرِيِّ عن عبد الرحمن بن مالك عن رجلٍ من أصحاب

(1) وفي نسخة قال أي: عروة وحيث لا يكون مرسلًا لأنه لم يلقَ فاطمة رضي الله عنها.

النَّبِيِّ ﷺ فذكر قصة بني النضير وَقَالَ في آخره: وكانت نخل بني النضير لرسول الله ﷺ خاصة أعطاها الله إياه ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحشر: 6] قَالَ: فأعطى أكثرها للمهاجرين وبقي منها صدقة رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بالمدينة.

قَالَ ابن الجوزي: وهي مما أفاء الله على رسوله ﷺ مما لم يوجف عليه المسلمون بخيل ولا ركاب.

وقيل: هي أموال المخيريق بضم الميم وفتح المعجمة وسكون التحتايتين وكسر الراء وبالقف اليهودي وكان من بقايا قينقاع نازلاً ببني النضير فأسلم فشهد أحد فقتل فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مخيريق سابق يهود» وقد أوصى بأمواله للنبي ﷺ.

وروى الواقدي بسنده عن عَبْدِ اللَّهِ بن كعب قَالَ: قَالَ مخيريق: إن أُصِبت فأموالي لمحمد ﷺ يضعها حيث أراه الله تعالى فهي عامة صدقة رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «وكانت أموال مخيريق في بني النضير».

وَقَالَ القاضي عياض: الصدقات التي صارت إليه ﷺ:

أحدها: من وصية مخيريق يوم أحد وكانت سبعة حوائط في بني النضير، وقيل: أوصى بها له ﷺ عند إسلامه.

الثاني: ما أعطاه الأنصار من أرضهم وكان هذا ملكاً له ﷺ.

ومنها: حقه من الفيء من أموال بني النضير كانت له خاصة حين أجلاهم يخرجها في نوائب المسلمين وكذا نصف أرض فذك صالح أهلها بعد خبير على نصف أرضها فكانت خالصة له، وكذلك ثلث أرض وادي القرى أخذه حين صالحه أهلها من اليهود وكذلك حصنان من حصون خيبر الوطيح والسالام أخذهما صلحاً.

ومنها: سهمه من خمس خبير وما افتتح منها عنوة فكانت هذه كلها ملكاً لرسول الله ﷺ خاصة لا حق لأحد فيها فكان يأخذ منها نفقته ونفقة أهله ويصرف الباقي في مصالح المسلمين وَقَالَ ﷺ: «ما تركت بعد نفقة نسائي

فَأَبَى أَبُو بَكْرٍ عَلَيْهَا ذَلِكَ، وَقَالَ: لَسْتُ تَارِكًا شَيْئًا، كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْمَلُ بِهِ إِلَّا عَمِلْتُ بِهِ، فَإِنِّي أَخْشَى أَنْ تَرَكْتُ شَيْئًا مِنْ أَمْرِهِ أَنْ أَزِيعَ، فَأَمَّا صَدَقَتُهُ بِالْمَدِينَةِ فَدَفَعَهَا عُمَرُ إِلَى عَلِيٍّ،

ومؤونة عاملي فهو صدقة» وكان ابن عيينة يقول أزواج النبي ﷺ في معنى المعتدات لأنهن لا يجوز لهن النكاح أبدًا فجرت عليهن النفقة وتركت حجرهن لهن يسكنن وأراد بمؤونة العامل من يلي بعده.

(فَأَبَى أَبُو بَكْرٍ عَلَيْهَا ذَلِكَ، وَقَالَ: لَسْتُ تَارِكًا شَيْئًا، كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْمَلُ بِهِ إِلَّا عَمِلْتُ بِهِ) يعني أنه كان مع ما كان يعمل يخبر أنه لا يورث عنه قاله الداودي.

(فَإِنِّي أَخْشَى أَنْ تَرَكْتُ شَيْئًا مِنْ أَمْرِهِ أَنْ أَزِيعَ) من الزيع بالزاي والغين المعجمة وهو: الميل، يعني أن أميل عن الحق.

وفي رواية شعيب عن الزُّهْرِيِّ الآتية في المناقب: وإني والله لا أُغَيِّرُ شَيْئًا مِنْ صَدَقَاتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَنْ حَالِهَا الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبِهَذَا تَمَسَّكَ مَنْ قَالَ: إِنَّ سَهْمَ النَّبِيِّ ﷺ يَصْرَفُهُ الْخَلِيفَةُ بَعْدَهُ لِمَنْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَصْرَفُهُ لَهُ وَمَا بَقِيَ مِنْهُ يَصْرَفُهُ فِي الْمَصَالِحِ.

وعن الشَّافِعِيِّ: يَصْرَفُ فِي الْمَصَالِحِ وَهُوَ لَا يَنَافِي الَّذِي قَبْلَهُ وَفِي وَجْهِهُ هُوَ لِلْإِمَامِ.

وَقَالَ مَالِكٌ وَالثَّوْرِيُّ: يَجْتَهِدُ فِيهِ الْإِمَامُ.

وَقَالَ أَحْمَدُ: يَصْرَفُهُ فِي الْخَيْلِ وَالسَّلَاحِ.

وَقَالَ ابْنُ جُرَيْرٍ: يَرُدُّ إِلَى الْأَرْبَعَةِ.

قَالَ ابْنُ الْمُنْذَرِ: كَانَ أَحَقُّ النَّاسِ بِهَذَا الْقَوْلِ مَنْ يُوْجِبُ قِسْمَ الزَّكَاةِ بَيْنَ جَمِيعِ الْأَصْنَافِ فَإِنْ فَقَدَ صِنْفٌ رُدَّ عَلَى الْبَاقِينَ يَعْنِي الشَّافِعِيُّ.

وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: يَرُدُّ مَعَ سَهْمِ ذَوِي الْقَرْبَى إِلَى الثَّلَاثَةِ.

وقيل: يَرُدُّ خُمْسَ الْخُمْسِ مِنَ الْغَنِيمَةِ إِلَى الْغَانِمِينَ وَمِنَ الْفِيءِ إِلَى الْمَصَالِحِ.

(فَأَمَّا صَدَقَتُهُ بِالْمَدِينَةِ) أي: صدقة النبي ﷺ وهذا إلى آخره من كلام عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، (فَدَفَعَهَا عُمَرُ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (إِلَى عَلِيٍّ) أي: ابن أبي طالب

وَعَبَّاسٍ، فَأَمَّا خَيْرٌ، وَفَدَكٌ، فَأَمْسَكَهَا عُمَرُ، وَقَالَ: هُمَا صَدَقَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، كَانَتَا لِحَقُوقِهِ الَّتِي تَعْرُوهُ وَنَوَائِبِهِ، وَأَمْرُهُمَا إِلَى مَنْ وَلِيَ الْأَمْرَ، قَالَ: فَهُمَا عَلَى ذَلِكَ إِلَى الْيَوْمِ⁽¹⁾.

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (وَعَبَّاسٍ) عم النَّبِيِّ ﷺ ورضي الله عنه ليتصرفا فيهما وينتفعا منها بقدر حقهما كما تصرف رسول الله ﷺ لا على جهة تملك لهما.

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: لما ولي علي رضي الله عنه لم يغير هذه الصدقة عما كانت في أيام الشيخين ثم كانت بعده بيد الحسن ثم بيد الحسين رضي الله عنهما ثم بيد علي بن الحسين ثم وليها بنو العباس على ما ذكره البرقاني في صحيحه ولم يرد عن أحد من هؤلاء أنه تملكها ولا ورثها ولا ورثت عنه فلو كان ما يقوله الشيعة حقاً لأخذها علي رضي الله عنه أو أحد من أهل بيته لما ولوها.

(فَأَمَّا خَيْرٌ) أي: الذي يخص النَّبِيِّ ﷺ منها، (وَفَدَكٌ، فَأَمْسَكَهَا عُمَرُ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أي: لم يدفعها لغيره وبين سبب ذلك، (وَقَالَ: هُمَا صَدَقَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، كَانَتَا لِحَقُوقِهِ الَّتِي تَعْرُوهُ) أي: تنزله وتنتابه وتغشاه، (وَنَوَائِبِهِ) جمع نائبة وهي الحادثة التي تصيب الرجل.

(وَأَمْرُهُمَا إِلَى مَنْ وَلِيَ الْأَمْرَ، قَالَ: فَهُمَا عَلَى ذَلِكَ إِلَى الْيَوْمِ) قَالَ الْحَافِظُ

(1) قال الحافظ: قوله «فلم تزل مهاجرة» وفي رواية معمر: «فهجرت فاطمة فلم تكلمه حتى ماتت» ووقع عند عمر بن شبة من وجه آخر عن معمر: «فلم تكلمه في ذلك المال» وكذا نقل الترمذي عن بعض مشايخه أن معنى قول فاطمة لأبي بكر وعمر «لا أكلمكما» أي: في هذا الميراث، وتعقبه الشاشي بأن قرينة قوله: «غضبت» يدل على أنها امتنعت من الكلام جملة، وهذا صريح الهجر، وأما ما أخرجه أحمد وأبو داود من طريق أبي الطفيل قال: «أرسلت فاطمة إلى أبي بكر: أنت ورثت رسول الله ﷺ أم أهله؟ قال: لا بل أهله، قالت فأين سهم رسول الله ﷺ؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله إذا أطعم نبياً طعمة ثم قبضه جعلها للذي يقوم من بعده فرأيت أن أردّه على المسلمين»، قالت: فأنت وما سمعته فلا يعارض ما في الصحيح من صريح الهجران، ولا يدل على الرضا بذلك، ثم مع ذلك ففيه لفظة منكورة وهي قول أبي بكر بل أهله فإنه معارض للحديث الصحيح، «إن النبي لا يورث» نعم روى البيهقي من طريق الشعبي أن أبا بكر عاد فاطمة فقال لها عليّ هذا أبو بكر يستأذن عليك، قالت: أحب أن أذن له؟ قال نعم، فأذنت له فدخل عليها فترضاها حتى رضيت وهو وإن كان مرسلأ فإسناده إلى الشعبي صحيح وبه يزول الإشكال في تمادي فاطمة عليها السلام على هجر أبي بكر، وقد قال بعض الأئمة إنما =

الْعَسْقَلَانِي: هو كلام الزُّهْرِيِّ أَي: حَدَّثَ بِذَلِكَ وَقَدْ ظَهَرَ بِذَلِكَ أَنَّ صَدَقَةَ

كانت هجرتها انقباضاً عن لقائه والاجتماع به، وليس ذلك من الهجران المحرم لأن شرطه أن يلتقيا فيعرض هذا وهذا وكان فاطمة عليها السلام لما خرجت غضبي من عند أبي بكر تبادت في اشتغالها بحزنها ثم بمرضها وأما سبب غضبها مع احتجاج أبي بكر بالحديث فلا عقادها تأويل الحديث على خلاف ما تمسك به أبو بكر وكأنها اعتقدت تخصيص العموم في قوله: «لا نورث» وتمسك أبو بكر رضي الله عنه بالعموم واختلفا في أمر محتمل للتأويل فلما صمم على ذلك انقطعت عن الاجتماع به لذلك، فإن ثبت حديث الشعبي أزال الإشكال وأخلق بالأمر أن يكون كذلك لما علم من وفور عقلها ودينها، انتهى مختصراً. وقال العيني: قال المهلب إنما كان هجرها انقباضاً عن لقائه وليس هذا من الهجران المحرم، وأما المحرم من ذلك أن يلتقيا فلا يسلم أحدهما على صاحبه ولم يرو أحد أنهما التقيا وامتنعا من التسليم، وإنما لازمت بيتها فعبّر الراوي عن ذلك بالهجران، وفي كتاب الخمس لأبي حفص بن شاهين عن الشعبي أن أبا بكر قال لفاطمة: يا بنت رسول الله ﷺ ما خير عيش حياة أعيشها وأنت عليّ ساخطة، فإن كان عندك من رسول الله ﷺ في ذلك عهد فأنت الصادقة المصدقة المأمونة على ما قلت، قال: فما قام أبو بكر حتى رضيت ورضي، وروى البيهقي عن الشعبي قال: لما مرضت فاطمة فذكر كما تقدم في كلام الحافظ، وفي آخره: فأذنت له فدخل عليها يترضاها فقال: واللّه ما تركت الدار والمال والإبل والعشيرة إلا ابتغاء مرضاة الله ومرضاة رسوله ومرضاتكم أهل البيت ثم ترضاها حتى رضيت وهذا قوي جيد، والظاهر أن الشعبي سمعه من عليّ أو ممن سمعه من عليّ، انتهى مختصراً. وقال السندي: قوله: «لا نورث إلخ» روى هذا الحديث جماعة منهم عائشة وأبو هريرة وأبو الدرداء، وعلى تقدير أنه ما رواه إلا أبو بكر لا يرد أنه من أحاديث الآحاد فكيف يُعمل به في مقابلة الكتاب؟ لأن الحديث بالنظر إلى من أخذ من في ﷺ كالكتاب وإنما الفرق بين حديث الآحاد وغيره بالنظر إلى من بلغه بالواسطة، على أن كثيراً من العلماء جوزوا تخصيص علم الكتاب بخبر الآحاد بالنظر إلى من بلغه أيضاً، فالحاصل أن العمل بهذا الحديث لأبي بكر كان واجباً فلا عار عليه في ذلك، بل لو ترك العمل به لكان عاصياً، فإن قلت: فما وجه عدم رضا فاطمة حينئذ بما فعل أبو بكر؟ قلت: لعل عدم رضاها ما كان يمنع الإرث بعد سماع الحديث بل كان بعدم إعطاء أبي بكر شيئاً إياها تक्रماً إذ مقتضى ما كان بينهم أنه إذا جاء أحدهم إلى الآخر لطلب شيء بسبب فإن لم يكن هناك ذاك السبب فليعطه بسبب آخر، فإن قلت: فما بال الصديق ما أعطاها تक्रماً مع أنه كان هو اللائق بما كان بينهم، قلت: قد ذكر أبو بكر أن مقصوده أن يفعل في المال ما فعل فيه رسول الله ﷺ وأن يضعه في المواضع التي وضعه ﷺ فيها ورأى أن ذلك أهم، بل خاف الضلال على تركه، ومعلوم أن المال ما كان لأبي بكر حتى يفعل فيه ما يريد، فهل يلام الرجل على فعل فعله اقتداء برسول الله ﷺ؟ فإن قلت: كيف يصح لأبي بكر منع الإعطاء بعد أن ظهر تأذيها بالمنع وقد قال ﷺ: من آذى فاطمة فقد آذاني؟ قلت: معلوم أنه لا يمكن القول بتأذيها بمنع الإعطاء على وجه الإرث بعد ما سمعت حديث «لا نورث» وإنما كان تأذيها لو سلم بمنع الإعطاء تक्रماً، وقد علمت أن الصديق =

النَّبِيِّ ﷺ تختص بما كان من بني النضير .

رضي الله عنه ترك الإعطاء بذلك الوجه لمصلحة أهم عنده، على أنه يمكن أن الإعطاء بذلك الوجه لم يخطر ببال الصديق بناء على أن ما سبق منها الطلب بذلك الوجه وإنما سبق الطلب بوجه الإرث فلم يصدر من الصديق تأذيتها قصداً، وإنما حصل ذلك بلا مدخل للاختيار، ومثل ذلك لا يعد من الإيذاء، ولو فرض شمول الإيذاء بمثله لغة لكان في حكم المستثنى في الحديث معنى وقد صدر مثله عن عليٍّ مع فاطمة كما هو مشهور في واقعة حديث «قم أبا تراب» وقد قال ﷺ: «من سلم المسلمون من لسانه ويده» مع أن الأمر بالمعروف وإقامة الحدود على المسلمين واجب، ولا يعد ما يحصل بسببه إيذاء أصلاً، انتهى مختصراً. قلت: ما ذكره أن سخطها كان لعدم إعطائه إياها تكرماً بعيد جداً، وكذلك ما يتوهم أن سخطها كان لعدم حصول مال الإرث بعيد من شأنها ومما هو المعروف من حالها من زهداها ومعالجة الفقر مدة عمرها وإيثارها الفقراء والمساكين على حاجتها وغير ذلك من أحوالها المعروفة رضي الله عنها وأرضاها، بل كان ذلك كله عند هذا العبد الضعيف من التصلب في الدين وطلب الحق الواجب شرعاً، ومعلوم من أحوال الصحابة رضي الله عنهم أنهم كانوا في أمر الدين أشداء على الناس لا يخافون في ذلك لومة لائم ولا مخالفة الأمراء حتى تهيؤوا لذلك إلى القتال فيما بينهم، ومن ذلك القبيل محاربات الصحابة رضي الله عنهم أجمعين وأرضاهم، وكانت بضعة رسول الله ﷺ فاطمة رضي الله تعالى عنها ظنت أن حديث الإرث ليس بعام وذلك حق لها شرعي بخلاف ما فهمه الصديق رضي الله تعالى عنه كما تقدم في كلام الحافظ وبسطه الشيخ قدس سره في الكوكب إذ قال: في «باب ما جاء في تركة النبي ﷺ» أن اختلاف هؤلاء الصحابة فيما بينهم بعد اتفاقهم على الرواية إنما كان مبنياً على الاختلاف في معنى الحديث فأخذه على وفاطمة وغيرهما من طالبي الميراث على كون ما فيه خاصاً بالمتنولات لا على عمومها، وفهم غيرهم ممن منعه على أصلها على العموم إلى آخر ما بسطه الشيخ قدس سره في الكوكب، وعلى هذا فكان سخطها رضي الله تعالى عنها لأمر شرعي لا لحب المال تعالى شأنها عن ذلك، وعلى هذا فلا يحتاج حديث البخاري إلى التوجيه ولا ضير في هجرها وتركها الكلام مع أبي بكر رضي الله عنه وقد نهى النبي ﷺ المسلمين عن كلام كعب وصاحبيه خمسين ليلة، وقد أخرج أبو داود في «باب ترك السلام على أهل الأهواء» عن عمار بن ياسر قال: تشققت يداي فحلقتني بزعفران فغدوت على النبي ﷺ فسلمت عليه فلم يرد عليّ، وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: اعتل بعير لصفية وعند زينب فضل ظهر، فقال ﷺ: «اعطيها بعيراً»، فقالت: أنا أعطي تلك اليهودية فغضب رسول الله ﷺ فهجرها ذا الحجة والمحرم وبعض صفر، وفي المشكاة برواية أحمد عن مجاهد عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً: «لا يمنع رجل أهله أن يأتوا المساجد» فقال ابن له فإننا نمنعهم، فقال عبد الله: أحدثك عن رسول الله ﷺ وتقول هذا؟ قال فما كلمه عبد الله حتى مات. وغير ذلك من الروايات الكثيرة الدالة على جواز الهجران لأمر شرعي ولذلك هجرت فاطمة رضي الله عنها فتأمل، وبسط الكلام على حديث «لا نورث» في الأوجز بما لا مزيد عليه.

وأما سهمه من خيبر وفدك فكان حكمه إلى من يقوم بالأمر بعده وكان أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقدر نفقة نساء النَّبِيِّ ﷺ وغيرها مما كان يصرفه فيصرفه من مال خيبر وفدك وما فضل من ذلك جعله في المصالح وعمل عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعده بذلك فلما كان عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تصرّف في ذلك بما رآه فروى أبو داود من طريق مغيرة بن مقسم قَالَ: جمع عمر بن عبد العزيز بني مروان فَقَالَ: إن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كان ينفق من فدك على بني هاشم ويزوّج أَيْمَهُمْ وَإِنَّ فَاطِمَةَ سَأَلَتْهُ أَنْ يَجْعَلَ لَهَا فَأَبَى فَكَانَ كَذَلِكَ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَبَى بِكَرٍ وَعَمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ثُمَّ أَقْطَعَهَا مَرْوَانُ أَي: فِي أَيَّامِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قَالَ الْخَطَّابِيُّ: إِنَّمَا أَقْطَعَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَدَكَ لِمَرْوَانَ لِأَنَّهُ تَأَوَّلَ أَنْ الَّذِي يَخْتَصُ بِالنَّبِيِّ ﷺ يَكُونُ لِلْخَلِيفَةِ بَعْدَهُ فَاسْتَغْنَى عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْهَا بِأَمْوَالِهِ فَوَصَلَ بِهَا بَعْضُ أَقَارِبِهِ وَيَشْهَدُ لَصْنِيعِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْآتِي بَعْدَ بَابِ بَلْفُظَ مَا تَرَكْتَ بَعْدَ نَفَقَةِ نِسَائِي وَمُؤُونَةَ عَامِلِي فَهُوَ صَدَقَةٌ فَقَدْ عَمِلَ أَبُو بَكْرٍ وَعَمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بِتَفْصِيلِ ذَلِكَ بِالْدَّلِيلِ الَّذِي قَامَ لَهُمَا وَسَيَأْتِي تَمَامُ الْبَحْثِ فِي قَوْلِهِ: «لَا نُورُثُ» فِي كِتَابِ الْفَرَائِضِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ هُوَ الْبُخَارِيُّ نَفْسُهُ: اغْتَرَاكَ افْتَعَلْتَ كَذَا وَقَعَ وَلَعَلَّهُ كَانَ افْتَعَلَكَ كَذَا قَالَ الْحَافِظُ الْعَسْقَلَانِيُّ: وَكَذَا وَقَعَ فِي الْمَجَازِ لِأَبِي عُبَيْدَةَ وَأَرَادَ بِذَلِكَ أَنَّهُ مِنْ بَابِ الْافْتِعَالِ وَأَصْلُهُ.

مِنْ عَرَوْتُهُ، فَأَصْبَتْهُ يَعْنِي أَنْ أَصْلَهُ مِنْ عَرَوْتِهِ بِمَعْنَى أَصْبَتْهُ قَالَ الْجَوْهَرِيُّ: عَرَانِي هَذَا الْأَمْرُ وَاعْتَرَانِي إِذَا غَشِيكَ وَعَرَوْتَ الرَّجُلَ أَعْرَوْهُ عَرَوًّا إِذَا لَمَمْتَ بِهِ وَأَتَيْتَهُ طَالِبًا فَهُوَ مَعْرُوفٌ وَفُلَانٌ يَعْرُوهُ الْأَضْيَافُ وَتَعْتَرِيهِ أَي: تَغْشَاهُ، وَمِنْهُ يَعْرُوهُ وَاعْتَرَانِي وَأَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى شَرْحِ قَوْلِهِ: «إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ» [هُود: 54] وَهَذِهِ عَادَةُ الْبُخَارِيِّ يَفْسِرُ اللَّفْظَةَ الْغَرِيبَةَ مِنَ الْحَدِيثِ بِتَفْسِيرِ اللَّفْظَةِ الْغَرِيبَةِ مِنَ الْقُرْآنِ وَمُطَابَقَةِ الْحَدِيثِ لِلتَّرْجُمَةِ مِنْ حَيْثُ إِنَّ مِنْ جُمْلَةٍ مَا سَأَلَتْ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مِيرَاثَهَا مِنْ خَيْبَرَ وَقَدْ ذَكَرَ الزُّهْرِيُّ أَنَّ بَعْضَ خَيْبَرَ صَلَحَ

3094 - حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْفَرَوِيُّ، حَدَّثَنَا مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ، عَنْ ابْنِ

شِهَابٍ، عَنْ مَالِكِ بْنِ أَوْسٍ بْنِ الْحَدَّثَانِ،

وبعضها عنوة فجرى فيها الخمس وقد جاء في بعض طرق الحديث في كتاب المغازي قالت عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إِنَّ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا جَاءَتْ تَسْأَلُ نَصِيبَهَا مِمَّا تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِالْمَدِينَةِ وَفَدَكَ وَمَا بَقِيَ مِنْ خَمْسٍ خَبِيرٍ وَإِلَى هَذَا أَشَارَ الْبُخَارِيُّ وَاسْتَغْنَى بِشَهْرَةِ الْأَمْرِ عَنْ إِيرَادِهِ مَكْشُوفًا بِلَفْظِ الْخَمْسِ فِي هَذَا الْبَابِ كَمَا هُوَ دَائِبُهُ فَانْدَفَعَ مَا قِيلَ لَا مِطَابَقَةَ بَيْنَ الْحَدِيثِ وَالتَّرْجُمَةِ لِأَنَّهُ لَيْسَ فِيهِ ذِكْرُ الْخَمْسِ.

قصة فذك وكأنه ترجمة لحديث من أحاديث الباب وقد تبين أمر فذك أنفًا.
(حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْفَرَوِيُّ) بفتح الفاء وسكون الراء وبالواو وهو شيخ الْبُخَارِيُّ الذي تقدم قريبًا في باب قتال اليهود وقد حدث عنه بواسطة كما تقدم في الصلح وفي رواية ابن شُبويه عن الفريري مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ الْفَرَوِي وهو مقلوب.

قَالَ الْغَسَّانِي: وفي بعض النسخ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ وهو خطأ وحكى القاضي عياض عن رواية الْقَابِسي مثله قَالَ: وهو وهم قَالَ:

(حَدَّثَنَا مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ) الْإِمَامُ، (عَنِ ابْنِ شِهَابٍ) الزُّهْرِيِّ، (عَنْ مَالِكِ بْنِ أَوْسٍ) بفتح الهمزة وسكون الواو وبالسین المهملة (ابْنِ الْحَدَّثَانِ) بالمهملتين المفتوحتين وبالمثلثة هو ابن عوف بن ربيعة النصري من بني نصر بن معاوية يكنى أبا سعيد زعم أحمد بن صالح المصري وكان من أجلة أهل هذا الشأن أن له صحبة.

وَقَالَ سَلَمَةُ بْنُ وَرْدَانَ: رأيت جماعة من أصحاب رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فذكرهم وذكر فيهم مالك بن أوس بن الحدثنان النصري.

وَقَالَ أَبُو عَمْرٍ: لا أحفظ له صحبة أكثر مما ذكرت ولا أعلم له رواية عن النَّبِيِّ ﷺ.

وقال ابو حاتم وغيره: لا يصح له صحبة.

وقيل: ولم يدخل المدينة إلا بعد موت النبي ﷺ، وأما أبوه فصحابي،

وَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ جُبَيْرٍ، - ذَكَرَ لِي ذِكْرًا مِنْ حَدِيثِهِ ذَلِكَ، فَأَنْطَلَقْتُ حَتَّى أَدْخُلَ عَلَى مَالِكِ بْنِ أَوْسٍ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ الْحَدِيثِ، فَقَالَ مَالِكٌ - بَيْنَا

وهذا كما وقع لقيس بن أبي حازم دخل أبوه وصحب، وتأخر هو مع إمكان ذلك وقد تشاركاً أيضاً في أنه قيل في كل منهما أنه أخذ عن العشرة وأما روايته عن عمر رضي الله عنه فأكثر من أن يذكر وروى عن العشرة المهاجرين وروى عن ابن العباس بن عبد المطلب روى عنه مُحَمَّدُ بْنُ جُبَيْرٍ بن مطعم والزهري ومحمد بن المنكدر وآخرون مات بالمدينة سنة اثنتين وتسعين وهو ابن أربع وتسعين وليس له في البخاري سوى هذا الحديث وآخر في البيوع.

قَالَ الْحَافِظُ الْعَسْقَلَانِيُّ: وهذا الحديث مما رواه مالك خارج الموطأ وفي هذا الإسناد لطيفة من علوم الحديث مما لم يذكره ابن الصلاح وهي تشابه الطرفين مثاله ما وقع هنا ابن شهاب عن مالك وعنه مالك الأعلى ابن أوس والأدنى ابن أنس.

(وَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ جُبَيْرٍ) بضم الجيم وفتح الموحدة ابن مطعم بن عدي بن نوفل بن عدي بن عبد مناف القرشي مات بالمدينة زمن عمر بن عبد العزيز وقد مرَّ في الصلاة وهذا من كلام الزُّهْرِيِّ.

(ذَكَرَ لِي ذِكْرًا مِنْ حَدِيثِهِ ذَلِكَ) أي: الآتي ذكره.

(فَأَنْطَلَقْتُ حَتَّى أَدْخُلَ) يجوز فيه ضم اللام وفتحها فوجه الضم هو أن لا يكون حتى عاطفة والمعنى: انطلقت فدخلت أتى بصيغة المضارعة في موضع الماضي مبالغة لإرادة استحضر صورة الحال ووجه الفتح هو أن يكون حتى بمعنى كي ومثله قوله تعالى: ﴿وَذُلُّوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ﴾ [البقرة: 214].

(عَلَى مَالِكِ بْنِ أَوْسٍ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ الْحَدِيثِ⁽¹⁾) فَقَالَ مَالِكٌ بَيْنَا) قد مرَّ غير مرة أن أصله بين فأشبع فتحة النون بالالف وربما تزداد الميم فيقال بينما كما وقع هنا في أكثر الأصول وهما ظرفا زمان ويضافان إلى جملة اسمية وفعلية ويحتاجان إلى جواب يتم به المعنى والأصح أن يكون في جوابهما إذ أو إذا.

(1) وفي صنيع ابن شهاب ذلك أصل في طلب علو الإسناد لأنه لم يقنع بالحديث عنه حتى دخل عليه ليشافهه، وفيه حرص ابن شهاب على طلب الحديث وتفصيله.

أَنَا جَالِسٌ فِي أَهْلِي حِينَ مَتَعَ النَّهَارُ، إِذَا رَسُولُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ يَأْتِينِي، فَقَالَ: أَجِبْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَأَنْطَلَقْتُ مَعَهُ حَتَّى أَدْخُلَ عَلَى عُمَرَ، فَإِذَا هُوَ جَالِسٌ عَلَى رِمَالِ سَرِيرٍ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ فِرَاشٌ،

(أَنَا جَالِسٌ فِي أَهْلِي حِينَ مَتَعَ النَّهَارُ) بفتح الميم والمثناة الفوقية الخفيفة بعدها مهملة أي: علا وطل وارتفع وامتد ارتفاعه.

قَالَ صَاحِبُ الْعَيْنِ: مَتَعَ النَّهَارَ مَتَوَعًا وَذَلِكَ قَبْلَ الزَّوَالِ وَأَمَتَعَ الشَّيْءَ طَالَتْ مَدَّتُهُ وَمَنَّهُ فِي الدَّعَاءِ أَمَتَعَنِي اللَّهُ بِكَ. وقيل: معناه نفعتني الله بك.

وَقَالَ الدَّائِدِيُّ: مَتَعَ النَّهَارَ صَارَ قَرِبَ نِصْفِ النَّهَارِ. وفي رواية أبي داود: أُرْسِلَ إِلَيَّ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِينَ تَعَالَى النَّهَارُ. وفي رواية مسلم: أُرْسِلَ إِلَيَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَجِئْتُهُ حِينَ تَعَالَى النَّهَارُ.

وفي رواية يونس عن ابن شهاب عند عمر بن شبة: بعد ما ارتفع النهار. (إِذَا رَسُولُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ يَأْتِينِي) أي: أتاني وهو جواب بينما قال الحافظ العسقلاني: لم أقف على اسمه، ويحتمل أن يكون هو يرفا الحاجب الآتي ذكره.

(فَقَالَ أَجِبْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَأَنْطَلَقْتُ مَعَهُ حَتَّى أَدْخُلَ) هو كالسابق. (عَلَى عُمَرَ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (فَإِذَا هُوَ جَالِسٌ عَلَى رِمَالِ سَرِيرٍ) بكسر الراء وقد يضم وهو ما ينسج من سعف النخل ليضطجع عليه ويقال رمل سريريه وأرمله إذا رمل شريطاً أو غيره فجعله ظهراً وقيل رمال السرير ما يمد على وجهه من خيوط وشريط ونحوهما وفي رواية أبي داود فجئته فوجدته جالساً على سرير مفضياً إلى رماله وفي رواية مسلم فوجدته في بيته جالساً على سريريه مفضياً إلى رماله متكئاً على وسادة من آدم وقوله مفضياً إلى رماله يعني ليس بينه وبين رماله شيء من الفراش وإنما قَالَ هذا لأن العادة أن يكون فوق الرمال فراش أو نحوه وهو معنى قوله: (لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ فِرَاشٌ) وأغرب الداوودي حيث قَالَ: رمال السرير هو السرير الذي يعمل من الجريد.

مُتَكِيٌّ عَلَى وِسَادَةٍ مِنْ أَدَمَ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ثُمَّ جَلَسْتُ، فَقَالَ: يَا مَالِ، إِنَّهُ قَدِمَ عَلَيْنَا مِنْ قَوْمِكَ أَهْلُ أَبْيَاتٍ، وَقَدْ أَمَرْتُ فِيهِمْ بِرِضْخٍ، فَأَقْبِضْهُ فَأَقْسِمْهُ بَيْنَهُمْ، فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَوْ أَمَرْتَ بِهِ غَيْرِي، قَالَ: أَقْبِضْهُ أَيُّهَا الْمَرْءُ، فَبَيْنَمَا أَنَا جَالِسٌ عِنْدَهُ أَنَاهُ حَاجِبُهُ يَرْفَا،

(مُتَكِيٌّ عَلَى وِسَادَةٍ مِنْ أَدَمَ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ثُمَّ جَلَسْتُ، فَقَالَ: يَا مَالِ) كذا هو بالترخيم أي: يا مالك ويجوز في اللام الكسر على الأصل والضم على أنه صار اسماً مستقلاً فيعرب إعراب المنادى المفرد.

(إِنَّهُ قَدِمَ عَلَيْنَا مِنْ قَوْمِكَ) أي: من بني نصر بن معاوية بن بكر بني هوازن. وفي رواية جويرية عند مسلم دفأ أهل أبيات وكذا في رواية داود أي: ورد جماعة بأهلهم شيئاً بعد شيء يسرون قليلاً قليلاً.

والدفيق: السير اللين وكأنهم قد أصابهم جذب في بلادهم فانتجعوا المدينة. (أَهْلُ أَبْيَاتٍ، وَقَدْ أَمَرْتُ فِيهِمْ بِرِضْخٍ) بفتح الراء وسكون المعجمة وآخره خاء معجمة أي: عطية غير كثيرة ولا مقدرة.

(فَأَقْبِضْهُ فَأَقْسِمْهُ بَيْنَهُمْ، فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَوْ أَمَرْتَ بِهِ غَيْرِي) قاله تحرّجاً من قبول الأمانة أي: لو أمرت بدفع الرضخ إليهم غيري. وفي رواية أبي داود: وقد أمرت فيهم بشيء فأقسم فيهم قلت لو أمرت غيري بذلك فَقَالَ: خذه.

وفي رواية مسلم: لو أمرت بهذا غيري قَالَ خذه يا مال. (قَالَ: أَقْبِضْهُ أَيُّهَا الْمَرْءُ) هو عزم عليه في قبضه، (فَبَيْنَمَا أَنَا جَالِسٌ عِنْدَهُ أَنَاهُ حَاجِبُهُ يَرْفَا) بفتح الياء وسكون الراء وفتح الفاء مهموزاً وغير مهموز وهو الأشهر.

وَقَالَ الْعَسْقَلَانِيُّ: وهي أي الهمز روايتنا من طريق أبي ذر ويرفأ هذا كان من موالي عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو حاجبه أدرك الجاهلية ولا يعرف له صحبة وقد حج مع عمر في خلافة أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وله ذكر في حديث ابن عَمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ عمر لمولى عمر له يرفا إذا جاء طعام يزيد ابن أبي سفيان فأعلمني فذكر قصة.

فَقَالَ: هَلْ لَكَ فِي عُثْمَانَ، وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، وَالزُّبَيْرِ، وَسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ يَسْتَأْذِنُونَ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَأَذِنَ لَهُمْ، فَدَخَلُوا، فَسَلَّمُوا وَجَلَسُوا، ثُمَّ جَلَسَ يَرْفَأُ يَسِيرًا، ثُمَّ قَالَ: هَلْ لَكَ فِي عَلِيٍّ، وَعَبَّاسٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَأَذِنَ لَهُمَا، فَدَخَلَا، فَسَلَّمَا فَجَلَسَا، فَقَالَ عَبَّاسٌ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَقْضِ بَيْنِي وَبَيْنَ هَذَا،

وروى سعيد بن منصور عن الأحوص عن أبي إسحاق عن يرفا قَالَ: قَالَ لِي عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنِّي أَنْزَلْتُ نَفْسِي مِنْ مَالِ الْمُسْلِمِينَ بِمَنْزِلَةِ مَالِ الْيَتِيمِ وَهَذَا يَشْعُرُ أَنَّهُ عَاشَ إِلَى خِلَافَةِ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(فَقَالَ: هَلْ لَكَ فِي عُثْمَانَ) أَي: ابْنِ عَفَانَ، (وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، وَالزُّبَيْرِ، وَسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ) أَي: هَلْ لَكَ إِذْنٌ فِيهِمْ.

وَقَالَ الْكِرْمَانِيُّ: هَلْ لَكَ رَغْبَةٌ فِي دُخُولِهِمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ (يَسْتَأْذِنُونَ) جُمْلَةً حَالِيَةً قَالَ الْحَافِظُ الْعَسْقَلَانِيُّ: وَلَمْ أَرَ فِي شَيْءٍ مِنْ طَرَقِهِ زِيَادَةً عَلَى الْأَرْبَعَةِ الْمَذْكُورِينَ إِلَّا فِي رِوَايَةِ النَّسَائِيِّ وَعُمَرُ بْنُ شُبَّهٍ مِنْ طَرِيقِ عُمَرَ بْنِ دِينَارٍ عَنْ ابْنِ شَهَابٍ زَادَ فِيهَا وَطَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدٍ اللَّهُ وَكَذَا فِي رِوَايَةِ الْأَيْمَامِيِّ عَنْ ابْنِ شَهَابٍ عِنْدَ عُمَرَ بْنِ شُبَّهٍ أَيْضًا وَكَذَا أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ مِنْ طَرِيقِ أَبِي الْبَخْتَرِيِّ عَنْ رَجُلٍ لَمْ يَسْمَهُ قَالَ: دَخَلَ الْعَبَّاسُ وَعَلِيٌّ فَذَكَرَ الْقِصَّةَ بِطَوْلِهَا وَفِيهَا ذَكَرَ طَلْحَةَ لَكِنْ لَمْ يَذْكُرْ عُثْمَانَ.

(قَالَ: نَعَمْ، فَأَذِنَ لَهُمْ، فَدَخَلُوا) فِي رِوَايَةِ شُعَيْبٍ فِي الْمَغَازِي: فَأَدْخَلَهُمْ، (فَسَلَّمُوا وَجَلَسُوا، ثُمَّ جَلَسَ يَرْفَأُ يَسِيرًا، ثُمَّ قَالَ: هَلْ لَكَ فِي عَلِيٍّ، وَعَبَّاسٍ؟) زَادَ شُعَيْبٌ يَسْتَأْذِنَانِ (قَالَ: نَعَمْ، فَأَذِنَ لَهُمَا، فَدَخَلَا، فَسَلَّمَا فَجَلَسَا، فَقَالَ عَبَّاسٌ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَقْضِ بَيْنِي وَبَيْنَ هَذَا) يَعْنِي عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ زَادَ شُعَيْبٌ وَيُونُسُ فَاسْتَبَّ عَلِيٌّ وَعَبَّاسٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وَفِي رِوَايَةِ عَقِيلٍ عَنْ ابْنِ شَهَابٍ فِي الْفَرَائِضِ: أَقْضِي بَيْنِي وَبَيْنَ هَذَا الظَّالِمِ اسْتَبَّ.

وَفِي رِوَايَةِ جَوِيرِيَّةٍ عِنْدَ مُسْلِمٍ: أَقْضِي بَيْنِي وَبَيْنَ هَذَا الْكَاذِبِ الْآثِمِ الْغَادِرِ الْخَائِنِ يَعْنِي: إِنْ لَمْ يَنْصَفْ فَحُذَفِ الشَّرْطُ.

قَالَ الْحَافِظُ الْعَسْقَلَانِيُّ: وَلَمْ أَرَ فِي شَيْءٍ مِنَ الطَّرِيقِ أَنَّهُ صَدَرَ مِنْ عَلِيٍّ

وَهُمَا يَخْتَصِمَانِ فِيمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ مِنْ مَالِ بَنِي النَّضِيرِ، فَقَالَ الرَّهْطُ، عُثْمَانُ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي حَقِّ الْعَبَّاسِ بِخِلَافِ مَا يَفْهَمُ مِنْ قَوْلِهِ فِي رِوَايَةِ عَقِيلِ اسْتَبَّأَ .

وَقَالَ الْمَازَرِيُّ : إِنَّ هَذِهِ اللَّفْظَةَ نَزَّهَ الْقَائِلُ وَالْمَقُولُ فِيهِ عَنْهَا وَنَسَبَهَا إِلَى أَنَّ بَعْضَ الرِّوَاةِ وَهَمُّ فِيهَا وَقَدْ أزالها بَعْضُ النَّاسِ مِنْ كِتَابِهِ تَوَرَّعًا وَهُوَ الصَّوَابُ وَإِنْ لَمْ يَكُنِ الْحَمْلُ فِيهَا عَلَى الرِّوَاةِ فَأَجُودُ مَا يَحْمِلُ عَلَيْهِ أَنَّ الْعَبَّاسَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَهَا أَوَّلًا لَا عَلَى عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِأَنَّهُ كَانَ عِنْدَهُ بِمَنْزِلَةِ الْوَلَدِ فَأَرَادَ رَدُّهُ عَمَّا يَعْتَقِدُ أَنَّهُ مَخْطُئٌ فِيهِ وَأَنَّ هَذِهِ الْأَوْصَافَ يَتَصَفَّ بِهَا لَوْ كَانَ يَفْعَلُ مَا يَفْعَلُهُ عَنْ عَمْدٍ وَلَا بَدٍّ مِنْ هَذَا التَّأْوِيلِ لِأَنَّ هَذِهِ الْقَضِيَّةَ جَرَتْ بِمَحْضَرِ عَمْرِو الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَلَمْ يَنْكَرْ أَحَدٌ مِنْهُمْ هَذَا الْكَلَامَ مَعَ تَشَدُّدِهِمْ فِي إِنْكَارِ الْمُنْكَرِ وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِأَنَّهُمْ فَهَمُوا بِقَرِينَةِ الْحَالِ أَنَّهُ تَكَلَّمَ بِمَا لَا يَعْتَقِدُهُ، انْتَهَى .

وَقَالَ الْعَيْنِيُّ : كُلُّ ذَاكَ لَا يَفِيدُ شَيْئًا بَلْ يَجِبُ إِزَالَةُ هَذِهِ اللَّفْظَةِ عَنِ الْكِتَابِ وَحَاشَا مِنَ الْعَبَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ يَتَلَفَّظَ بِهَا وَلَا سِيَّما بِحَضْرَةِ عَمْرِو بْنِ الْخَطَّابِ وَجَمَاعَةِ مِنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَلَمْ يَكُنْ عَمْرٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِمَّنْ يَسْكُتُ عَنْ مِثْلِ هَذَا لِصَلَابَتِهِ فِي أُمُورِ الدِّينِ وَعَدَمُ مَبَالَاتِهِ مِنْ أَحَدٍ وَفِي مَا قَالَهُ نِسْبَةُ عَمْرِو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى تَرْكِ الْمُنْكَرِ وَعَجْزُهُ عَنْ إِقَامَةِ الْحَقِّ فَالْتِمَاقُ لِحَالِ الْكُلِّ إِزَالَةُ هَذِهِ مِنَ الْوَسْطِ فَلَا يَحْتَاجُ إِلَى تَأْوِيلٍ غَيْرِ طَائِلٍ، فَافْهَمُ .

(وَهُمَا يَخْتَصِمَانِ فِيمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ مِنْ مَالِ بَنِي النَّضِيرِ) أَي :

الْعَبَّاسُ وَعَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَتَجَادَلَانِ وَيَتَنَازَعَانِ فِيمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ مَالِ بَنِي النَّضِيرِ وَهُوَ الْمَالُ الَّذِي بِالْمَدِينَةِ وَفَدَكَ وَمَا بَقِيَ مِنْ خُمْسِ خَيْبَرَ .

وَفِي رِوَايَةِ عَنِ الزُّهْرِيِّ : قَرَى غَرِيبَةً، وَفَدَكَ .

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي قَوْلِهِ : ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ﴾ [الحشر : 6] هُوَ مِنْ أَمْوَالِ الْكُفَّارِ أَهْلُ الْقُرَى وَهُمْ : قَرِيطَةُ وَالنَّضِيرُ وَهُمَا بِالْمَدِينَةِ وَفَدَكَ وَخَيْبَرَ وَقَرَى غَرِيبَةً وَيَنْبَغُ كَذَا فِي تَفْسِيرِ النَّسْفِيِّ .

(فَقَالَ الرَّهْطُ) وَفِي رِوَايَةِ مُسْلِمٍ : فَقَالَ الْقَوْمُ وَزَادَ قَالَ : مَالِكُ بْنُ أَوْسٍ يَخْبِلُ إِلَيَّ أَنَّهُمْ قَدَّمُوهُمْ لَذَلِكَ وَالْمُرَادُ بِهِمُ الْمَذْكُورُونَ فِيمَا مَضَى وَهُمْ (عُثْمَانُ

وَأَصْحَابُهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اقْضِ بَيْنَهُمَا، وَأَرِخْ أَحَدَهُمَا مِنَ الْآخِرِ، قَالَ عُمَرُ: تَبْدَكُمُ أَنْشُدْكُمْ بِاللَّهِ الَّذِي بِإِذْنِهِ تَقُومُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ، هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «لَا نُورُثُ مَا تَرَكْنَا صَدَقَةً» يُرِيدُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نَفْسَهُ؟

وَأَصْحَابُهُ) فقلوه: عثمان وأصحابه خبر مبتدأ محذوف أي: هم عثمان وأصحابه المذكورون ويجوز أن يكون بدلاً أو بياناً.

(يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اقْضِ بَيْنَهُمَا، وَأَرِخْ) أمر من الإراحة بالراء والمهملة وفي رواية مسلم فاقض بينهم وأرحهم (أَحَدَهُمَا مِنَ الْآخِرِ) وفي رواية أبي داود فَقَالَ العباس: يا أمير المؤمنين اقض بيني وبين هذا يعني علياً فَقَالَ بعضهم: أجل يا أمير المؤمنين فاقض بينهما وأرحهما.

(قَالَ عُمَرُ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (تَبْدَكُمُ) كذا في رواية الأصيلي بفتح المثناة الفوقية وكسرها وسكون المثناة التحتيّة وفتح الدال المهملة وهو اسم فعل كرويد أي: اصبروا وأمهلوا على رسلكم، وقيل: إن مصدر تاد يتيد كما يقال: سيروا سيركم وردّ بأنه لم يسمع في اللغة.

وَقَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ: هو من التؤدة كأنه قَالَ: الزموا تؤدتكم يقال: تند تأدًا كأنه أراد أن يقال: تأدكم فأبدل من الهمزة ياء هكذا ذكره أَبُو مُوسَى.

وفي رواية أبي ذر: تندكم بفتح المثناة وكسر الهمزة وفتح الدال.

قَالَ ابْنُ التَّيْنِ: أصلها تندكم بمعنى التؤدة أي: الرفق ويؤيده ما وقع في رواية عقيل وشعيب اتلدوا أي: تمهلوا وتأنوا واصبروا وكذا عند مسلم وأبي داود والإسماعيلي من طريق بشر بن عمر اتلد بلفظ الأمر للمفرد.

(أَنْشُدْكُمْ بِاللَّهِ) بضم الشين أي: أسألكم بالله تعالى رافعاً نشيدي أي: صوتي⁽¹⁾، (الَّذِي بِإِذْنِهِ تَقُومُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ، هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: لَا نُورُثُ مَا تَرَكْنَا صَدَقَةً يُرِيدُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نَفْسَهُ) الرواية بالنون قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: يعني جماعة الأنبياء عليهم السلام كما في رواية أخرى: نحن معاشر الأنبياء لا نورث وروى أَبُو عَمْرٍ فِي التمهيد من حديث ابن شهاب عن

(1) قال الجوهري نشدت فلاناً أنشده نشداً إذا قلت له نشدتك الله، أي: سألتك بالله ذكرته إياه فنشده أي: نذكر والنشيد الشعر المتناشد بين القوم اهـ. ومنه إنشاد الشعر.

قَالَ الرَّهْطُ: قَدْ قَالَ ذَلِكَ، فَأَقْبَلَ عُمَرُ عَلَى عَلِيٍّ، وَعَبَّاسٍ، فَقَالَ: أَنْشِدُكُمْ اللَّهَ،
أَتَعْلَمَانِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ قَالَ ذَلِكَ؟ قَالَا: قَدْ قَالَ ذَلِكَ، قَالَ عُمَرُ: فَإِنِّي أُحَدِّثُكُمْ
عَنْ هَذَا الْأَمْرِ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ خَصَّ رَسُولَهُ ﷺ فِي هَذَا الْفِيءِ بِشَيْءٍ لَمْ يُعْطِهِ أَحَدًا غَيْرُهُ، ثُمَّ
قَرَأَ: ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ﴾ - إِلَى قَوْلِهِ - ﴿فَدِيرٌ﴾ [الحشر: 6]،

مالك بن أوس عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّا مَعَشَرَ الْأَنْبِيَاءِ لَا نُورِثُ مَا تَرَكَنَاهُ
صَدَقَةٌ وَهَذَا حِجَّةٌ عَلَى الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ فِي ذَهَابِهِ إِلَى أَنَّ هَذَا خَاصٌّ بِنَبِيِّنَا ﷺ
دُونَ غَيْرِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فَاسْتَدَلَّ بِقَوْلِهِ تَعَالَى فِي قِصَّةِ زَكَرِيَّا عَلَيْهِ
السَّلَامُ: ﴿رَبِّنِي وَبِرِّثْ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ [مريم: 6] وَبِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ
دَاوُدَ﴾ [النمل: 16] وَحَمَلَ جَمْهُورُ الْعُلَمَاءِ الْآيَتَيْنِ عَلَى مِيرَاثِ الْعِلْمِ وَالنُّبُوَّةِ
وَالْحِكْمَةِ وَمَنْطِقِ الطَّيْرِ فِي حَقِّ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(قَالَ الرَّهْطُ: قَدْ قَالَ ذَلِكَ) يَعْنِي قَوْلَهُ ﷺ: «لَا نُورِثُ مَا تَرَكَنَا صَدَقَةٌ».

(فَأَقْبَلَ عُمَرُ عَلَى عَلِيٍّ، وَعَبَّاسٍ، فَقَالَ: أَنْشِدُكُمْ اللَّهَ، أَتَعْلَمَانِ أَنَّ
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ قَالَ ذَلِكَ؟ قَالَا: قَدْ قَالَ ذَلِكَ، قَالَ عُمَرُ: فَإِنِّي أُحَدِّثُكُمْ عَنْ
هَذَا الْأَمْرِ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ خَصَّ رَسُولَهُ ﷺ فِي هَذَا الْفِيءِ بِشَيْءٍ لَمْ يُعْطِهِ أَحَدًا غَيْرُهُ)
أَي: لَمْ يُعْطِ الْفِيءَ أَحَدًا غَيْرَ النَّبِيِّ ﷺ لِأَنَّهُ خَصَّ الْفِيءَ كُلَّهُ كَمَا هُوَ مَذْهَبُ
الْجَمْهُورِ أَوْ جَلَّهُ كَمَا هُوَ مَذْهَبُ الشَّافِعِيَّةِ وَقِيلَ: أَي: حَيْثُ حُلِّلَ الْغَنِيمَةُ لَهُ وَلَمْ
تَحُلَّ لِسَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَقَالَ الْقَاضِي: تَخْصِيصُهُ بِالْفِيءِ إِمَّا بِكُلِّهِ أَوْ
بَعْضِهِ وَهَلْ فِي الْفِيءِ خُمْسٌ أَمْ لَا؟ قَالَ ابْنُ الْمُنْذَرِ: لَا نَعْلَمُ أَحَدًا قَبْلَ الشَّافِعِيَّةِ
قَالَ بِالْخُمْسِ.

(ثُمَّ قَرَأَ) أَي: عَمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ﴾ فَمَا
أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَتَمَامُهَا: وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ أَي: وَمَا أَعَادَهُ عَلَيْهِ بِمَعْنَى
صَبْرِهِ لَهُ أَوْرَدَهُ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ كَانَ حَقِيقًا بِأَنْ يَكُونَ لَهُ لِأَنَّهُ تَعَالَى خَلَقَ النَّاسَ لِعِبَادَتِهِ
وَخَلَقَ مَا خَلَقَ لَهُمْ لِيَتَوَسَّلُوا بِهِ إِلَى طَاعَتِهِ فَهُوَ جَدِيرٌ بِأَنْ يَكُونَ لِلْمُطِيعِينَ مِنْهُمْ مِنْ
بَنِي النَّضِيرِ أَوْ مِنَ الْكُفَرَةِ ﴿فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ﴾ أَي: فَمَا أُجْرِيْتُمْ عَلَى تَحْصِيلِهِ مِنَ
الْوَجِيفِ وَهُوَ سُرْعَةُ السَّيْرِ ﴿مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ مَا يَرْكَبُ مِنَ الْإِبِلِ غَلَبَ فِيهِ كَمَا

فَكَانَتْ هَذِهِ خَالِصَةً لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ،

غلب الراكب على راحته وذلك إن كان المراد في بني النضير فلأن قراهم كانت على ميلين من المدينة فمشوا إليها رجالاً غير رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فإنه ركب جملاً أو حماراً ولم يجز مزيد قتال ولذلك لم يعط الأنصار منه شيئاً إلا ثلاثة كانت بهم حاجة وهم أَبُو دجانة سمالك بن خرسنة وسهل بن حنيف والحارث بن الصمة.

وروى الإمام عمر النسفي عن الواحدي: أنه ﷺ لم يعط الأنصار من أموال بني النضير إلا رجلين سهلاً وأبا دجانة ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَسْلُطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ بقذف الرعب في قلوبهم ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحشر: 6] فيفعل ما يريد تارة بالوسائط وتارة بغيرها والحاصل أن ما جعل الله لرسوله من أموال بني النضير شيء لم تحصلوه بالقتال والغلبة ولكن سلط الله رسوله عليهم وعلى أموالهم كما كان يسلم رسوله على أعدائهم فالأمر فيه مفوض إليه يضعه حيث يشاء وهذا معنى قوله: (فَكَانَتْ هَذِهِ خَالِصَةً لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ) ولا حق لأحد فيها فكان يأخذ منها نفقته ونفقة أهله ويصرف الباقي في مصالح المسلمين.

ففي رواية عمرو بن دينار عن ابن شهاب في التفسير: كانت أموال بني النضير مما أفاء الله على رسوله فكانت له خالصة فكان ينفق على أهله منها نفقة سنة ثم يجعل ما بقي في السلاح والكراع عُدّة في سبيل الله.

وفي رواية سُفْيَانُ عَنْ مَعْمَرٍ عَنِ الزُّهْرِيِّ الْآتِيَةِ فِي النِّفَقَاتِ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَبِيعُ نَخْلَ بَنِي النُّضَيْرِ وَيُحْبِسُ لِأَهْلِهِ قُوتَ سَنَتِهِمْ أَي: ثَمَرَ النَّخْلِ.

وفي رواية أَبِي دَاوُدَ مِنْ طَرِيقِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ: كَانَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثُ صَفَايَا بَنُو النُّضَيْرِ وَخَيْبَرُ وَفَدَكُ فَأَمَّا بَنُو النُّضَيْرِ فَكَانَتْ حِسْبًا لِنَوَائِبِهِ وَأَمَّا فَدَكُ فَكَانَتْ حِسْبًا لِأَبْنَاءِ السَّبِيلِ وَأَمَّا خَيْبَرُ فَجَزَأُهَا بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ ثُمَّ قَسَمَ جُزْءَ النِّفْقَةِ عَلَى أَهْلِهِ وَمَا فَضَلَ مِنْهُ جَعَلَهُ فِي فَقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ وَلَا تَعَارَضَ بَيْنَهُمَا لِاحْتِمَالِ أَنْ يَقْسَمَ فِي فَقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ وَفِي مُشْتَرَى السِّلَاحِ وَالْكَرَاعِ وَذَلِكَ مَفْسَرٌ لِرَوَايَةِ مَعْمَرٍ عِنْدَ مُسْلِمٍ وَيُجْعَلُ مَا بَقِيَ مِنْهُ مَجْعَلُ مَالِ اللَّهِ وَزَادَ أَبُو دَاوُدَ فِي رَوَايَةِ أَبِي الْبَخْتَرِيِّ وَكَانَ يَنْفِقُ عَلَى أَهْلِهِ وَيَتَصَدَّقُ بِفَضْلِهِ وَهَذَا لَا يَعَارِضُ حَدِيثَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهُ ﷺ تَوَقَّى وَدَرَعَهُ مَرْهُونَةً عَلَى شَعِيرٍ لِأَنَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَهُمَا بِأَنَّهُ

وَاللَّهُ مَا اخْتَارَهَا دُونَكُمْ، وَلَا اسْتَأْثَرَ بِهَا عَلَيْكُمْ،

كان يذخر لأهله قوت سنتهم ثم في طول السنة يحتاج لمن يطرقه إلى إخراج شيء منه فيخرجه فيحتاج إلى تعوض من يأخذ منها عوضه فلذلك استدان وفي رواية مسلم قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِنَّ اللَّهَ خَصَّ رَسُولَهُ بِخَاصَّةٍ لَمْ يَخْصَصْ بِهَا أَحَدًا غَيْرَهُ قَالَ: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ [الحشر: 7] ما أدري هل قرأ الآية التي قبلها أم لا قَالَ: فَقَسَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَكُمْ أَمْوَالَ بَنِي النُّضَيْرِ فَوَاللَّهِ مَا اسْتَأْثَرَ عَلَيْكُمْ وَلَا أَخَذَهَا دُونَكُمْ حَتَّى بَقِيَ هَذَا الْمَالُ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَأْخُذُ نَفَقَتَهُ مِنْهُ سَنَةً ثُمَّ يَجْعَلُ مَا بَقِيَ أَسْوَدَ الْمَالِ، انْتَهَى .

وهذا تفسير لرواية البُخَارِيِّ في نفس الأمر ثم قوله تعالى: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَأَيْنَ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا إِلَانَكُمْ الرَّسُولُ فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ بيان للأول ولذلك لم يعطف عليه ﴿فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَأَيْنَ السَّبِيلِ﴾ اختلف في قسم الفيء فقيل: يسدس لظاهر الآية ويصرف سهم الله في عمارة الكعبة وسائر المساجد .

وقيل: يخمس لأن ذكر الله تعالى للتعظيم ويصرف الآن سهم الرسول إلى الإمام على قول وإلى العساكر والثغور على قول وإلى مصالح المسلمين على قول .

وقيل: يخمس خمسه كالغنيمة فإنه ﷺ كان يخمس الخمس كذلك ويصرف الأخماس الأربعة كما يشاء والآن على الخلاف المذكور من صرفه إلى الإمام والعساكر والثغور أو مصالح المسلمين ﴿كَيْ لَا يَكُونَ﴾ أي: الفيء الذي حقه أن يكون للفقراء ﴿دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾ الدولة ما يتداوله الأغنياء ويدور بينهم كما كان في الجاهلية ﴿وَمَا إِلَانَكُمْ الرَّسُولُ﴾ أي: وما أعطاكم من الفيء أو من الأمر ﴿فخذوه﴾ لأنه حلال لكم أو فتمسكوا به لأنه واجب الطاعة ﴿وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ﴾ أي: عن أخذه منه أو عن إتيانه ﴿فَانْتَهُوا وَأَتَقُوا اللَّهَ﴾ في مخالفة رسوله ﴿أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: 7] لمن خالف .

(وَاللَّهُ مَا اخْتَارَهَا) كذا الأكثر بحاء مهملة وزاي معجمة أي: ما جمعها وفي رواية الكشميهني بخاء معجمة وراء مهملة .

(دُونَكُمْ، وَلَا اسْتَأْثَرَ بِهَا عَلَيْكُمْ) أي: ولا استبد بها وتخصص بها عليكم .

قَدْ أَعْطَاكُمْوهَا وَبَثَّهَا فِيكُمْ، حَتَّى بَقِيَ مِنْهَا هَذَا الْمَالُ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُنْفِقُ عَلَى أَهْلِهِ نَفَقَةً سَنَتِهِمْ مِنْ هَذَا الْمَالِ، ثُمَّ يَأْخُذُ مَا بَقِيَ، فَيَجْعَلُهُ مَجْعَلَ مَالِ اللَّهِ، فَعَمِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِذَلِكَ حَيَاتَهُ، أَنْشُدْكُمْ بِاللَّهِ، هَلْ تَعْلَمُونَ ذَلِكَ؟ قَالُوا: نَعَمْ، ثُمَّ قَالَ لِعَلِيِّ، وَعَبَّاسٍ، أَنْشُدْكُمْ بِاللَّهِ، هَلْ تَعْلَمَانِ ذَلِكَ؟ قَالَ عُمَرُ: ثُمَّ تَوَفَّى اللَّهُ نَبِيَّهُ ﷺ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا وَلِيُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَبَضَهَا أَبُو بَكْرٍ، فَعَمِلَ فِيهَا بِمَا عَمِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ: إِنَّهُ فِيهَا لَصَادِقٌ بَارٌّ رَاشِدٌ تَابِعٌ لِلْحَقِّ،

(قَدْ أَعْطَاكُمْوهَا وَبَثَّهَا) أي: فرّقها (فِيكُمْ، حَتَّى بَقِيَ مِنْهَا هَذَا الْمَالُ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُنْفِقُ عَلَى أَهْلِهِ نَفَقَةً سَنَتِهِمْ مِنْ هَذَا الْمَالِ⁽¹⁾)، ثُمَّ يَأْخُذُ مَا بَقِيَ، فَيَجْعَلُهُ مَجْعَلَ مَالِ اللَّهِ) بفتح الميم وهو موضع الجعل بأن يجعل في السلاح والكراع ومصالح المسلمين، (فَعَمِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِذَلِكَ حَيَاتَهُ، أَنْشُدْكُمْ بِاللَّهِ، هَلْ تَعْلَمُونَ ذَلِكَ؟ قَالُوا: نَعَمْ، ثُمَّ قَالَ لِعَلِيِّ، وَعَبَّاسٍ، أَنْشُدْكُمْ بِاللَّهِ، هَلْ تَعْلَمَانِ ذَلِكَ؟) زاد في رواية عقيل: قالوا نعم وهذا ظاهر في أن ذلك كان مختصاً بالنبي ﷺ إلا أنه واسبى به أقرباءه وغيرهم بحسب حاجتهم.

(قَالَ عُمَرُ: ثُمَّ تَوَفَّى اللَّهُ نَبِيَّهُ ﷺ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا وَلِيُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَبَضَهَا أَبُو بَكْرٍ، فَعَمِلَ فِيهَا بِمَا عَمِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ: إِنَّهُ فِيهَا لَصَادِقٌ بَارٌّ رَاشِدٌ تَابِعٌ لِلْحَقِّ) زاد في رواية عقيل: وأنتما حينئذ وأقبل على عليّ وعباس رضي الله عنهما تزعمان أن أبا بكر رضي الله عنه كذا وكذا وفي رواية شعيب كما تقولان.

وفي رواية مسلم من الزيادة: فجئتما تطلب ميراثك من ابن أخيك ويطلب هذا ميراث امرأته من أبيها فقال أبو بكر رضي الله عنه قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لا نورث ما تركنا صدقة» فرأيتماه كاذباً أثماً غادرًا خائناً وكان الزُّهْرِيُّ يحدث به تارة فيصرّح وتارة فيكنى وكذلك مالك وقد حذف ذلك في رواية بشر بن عمرو عنه عند الإسماعيلي وغيره وهو الأنسب وهو نظير ما سبق من قول العباس لعليّ رضي الله عنهما.

(1) وقد مرّ الجواب عن الاستشكال بما ثبت أن درعه ﷺ حين وفاته كانت مرهونة على الشعير استدانته.

ثُمَّ تَوَفَّى اللَّهُ أَبَا بَكْرٍ، فَكُنْتُ أَنَا وَلِيُّ أَبِي بَكْرٍ، فَقَبَضْتُهَا سَنَتَيْنِ مِنْ إِمَارَتِي، أَعْمَلُ فِيهَا بِمَا عَمِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَمَا عَمِلَ فِيهَا أَبُو بَكْرٍ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ: إِنِّي فِيهَا لَصَادِقُ بَارٍّ رَاشِدٌ تَابِعٌ لِلْحَقِّ، ثُمَّ جِئْتُمَانِي تَكْلِمَانِي، وَكَلِمَتُكُمَا وَاحِدَةٌ، وَأَمْرُكُمَا وَاحِدٌ، جِئْتَنِي يَا عَبَّاسُ، تَسْأَلْنِي نَصِيْبَكَ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ، وَجَاءَنِي هَذَا - يُرِيدُ عَلَيَّ - يُرِيدُ نَصِيْبَ امْرَأَتِهِ مِنْ أَبِيهَا، فَقُلْتُ لَكُمَا: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا نُورَثُ، مَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ»، فَلَمَّا بَدَأَ لِي أَنْ أَدْفَعَهُ إِلَيْكُمَا، قُلْتُ: إِنْ شِئْتُمَا دَفَعْتُهَا إِلَيْكُمَا، عَلَى أَنْ عَلَيْكُمَا عَهْدُ اللَّهِ وَمِيثَاقُهُ: لَتَعْمَلَانِ فِيهَا بِمَا عَمِلَ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَبِمَا عَمِلَ فِيهَا أَبُو بَكْرٍ، وَبِمَا عَمِلْتُ فِيهَا مِنْذُ وَلَيْتُهَا، فَقُلْتُمَا: ادْفَعْنَا إِلَيْنَا، فَبِذَلِكَ دَفَعْتُهَا إِلَيْكُمَا، فَأَنْشُدُكُم بِاللَّهِ، هَلْ دَفَعْتُهَا إِلَيْهِمَا بِذَلِكَ؟ قَالَ الرَّهْطُ: نَعَمْ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى عَلِيٍّ، وَعَبَّاسٍ، فَقَالَ: أَنْشُدُكُم بِاللَّهِ، هَلْ دَفَعْتُهَا إِلَيْكُمَا بِذَلِكَ؟ قَالَا: نَعَمْ، قَالَ: فَتَلْتَمِسَانِ مِنِّي قَضَاءَ غَيْرِ ذَلِكَ، فَوَاللَّهِ الَّذِي بِإِذْنِهِ تَقُومُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ، لَا أَقْضِي فِيهَا قَضَاءَ غَيْرِ ذَلِكَ، فَإِنْ عَجَزْتُمَا عَنْهَا فَادْفَعَاهَا إِلَيَّ، فَإِنِّي أَكْفِيكُمَاهَا.

(ثُمَّ تَوَفَّى اللَّهُ أَبَا بَكْرٍ، فَكُنْتُ أَنَا وَلِيُّ أَبِي بَكْرٍ، فَقَبَضْتُهَا سَنَتَيْنِ مِنْ إِمَارَتِي، أَعْمَلُ فِيهَا بِمَا عَمِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَمَا عَمِلَ فِيهَا أَبُو بَكْرٍ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ: إِنِّي فِيهَا لَصَادِقُ بَارٍّ رَاشِدٌ تَابِعٌ لِلْحَقِّ، ثُمَّ جِئْتُمَانِي تَكْلِمَانِي، وَكَلِمَتُكُمَا وَاحِدَةٌ، وَأَمْرُكُمَا وَاحِدٌ، جِئْتَنِي يَا عَبَّاسُ، تَسْأَلْنِي نَصِيْبَكَ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ، وَجَاءَنِي هَذَا - يُرِيدُ عَلَيَّ - يُرِيدُ نَصِيْبَ امْرَأَتِهِ مِنْ أَبِيهَا، فَقُلْتُ لَكُمَا: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا نُورَثُ، مَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ»، فَلَمَّا بَدَأَ لِي) أَي: سَنَحَ لِي وَظَهَرَ لِي (أَنْ أَدْفَعَهُ إِلَيْكُمَا، قُلْتُ: إِنْ شِئْتُمَا دَفَعْتُهَا إِلَيْكُمَا، عَلَى أَنْ عَلَيْكُمَا عَهْدُ اللَّهِ وَمِيثَاقُهُ: لَتَعْمَلَانِ فِيهَا بِمَا عَمِلَ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَبِمَا عَمِلْتُ فِيهَا مِنْذُ وَلَيْتُهَا، فَقُلْتُمَا: ادْفَعْنَا إِلَيْنَا، فَبِذَلِكَ دَفَعْتُهَا إِلَيْكُمَا، فَأَنْشُدُكُم بِاللَّهِ، هَلْ دَفَعْتُهَا إِلَيْهِمَا بِذَلِكَ؟ قَالَ الرَّهْطُ: نَعَمْ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى عَلِيٍّ، وَعَبَّاسٍ، فَقَالَ: أَنْشُدُكُم بِاللَّهِ، هَلْ دَفَعْتُهَا إِلَيْكُمَا بِذَلِكَ؟ قَالَا: نَعَمْ، قَالَ: فَتَلْتَمِسَانِ مِنِّي قَضَاءَ غَيْرِ ذَلِكَ، فَوَاللَّهِ الَّذِي بِإِذْنِهِ تَقُومُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ، لَا أَقْضِي فِيهَا قَضَاءَ غَيْرِ ذَلِكَ، فَإِنْ عَجَزْتُمَا عَنْهَا فَادْفَعَاهَا إِلَيَّ، فَإِنِّي أَكْفِيكُمَاهَا) قَالَ الْكُرْمَانِيُّ: فَإِنْ قُلْتُ: إِنْ كَانَ الدَّفْعُ إِلَيْهِمَا صَوَابًا فَلِمَ لَمْ يَدْفَعُهُ فِي أَوَّلِ الْحَالِ وَإِلَّا فَلَمْ يَدْفَعُهُ فِي الْآخِرِ.

قلت : منع أوْلاً : على الوجه الذي كانا يطلبانه من التملك .

وثانياً : أعطاهما على وجه التصرف فيها كما تصرف رسول الله ﷺ وصاحباه رضي الله عنهما .

وقال الخطابي : هذه القصة مشكلة جداً وذلك أنهما إذا كان قد أخذوا هذه الصدقة من عمر رضي الله عنه على الشريطة التي شرط عليها وقد اعترفا بأنه ﷺ قال : « ما تركنا صدقة وقد شهد المهاجرون بذلك فما الذي بدا لهما بعد حتى تخاصما » والمعنى في ذلك أنه كان يشق عليهما الشركة فطلبا أن يقسما بينهما ليستبد كل منهما بالتدبير والتصرف فيما يصير إليه فمنعهما عمر رضي الله عنه القسم لئلا يجري عليها اسم الملك لأن القسمة إنما تقع في الأملاك ويتناول الزمان فيظن به الملكية .

قال أبو داود : ولهذا لما صارت الخلافة إلى علي رضي الله عنه لم يغيرها عن كونها صدقة .

وقال الحافظ العسقلاني : وفي ذلك إشكال شديد وهو أن أصل القصة صريح في أن العباس وعلياً رضي الله عنهما قد علما بأنه ﷺ قال : « لا نورث » فإن كانا سمعاه من النبي ﷺ فكيف يطلبانه من أبي بكر رضي الله عنه وإن كانا إنما سمعاه من أبي بكر رضي الله عنه أو في زمنه بحيث أفاد عندهما العلم بذلك فكيف يطلبانه بعد ذلك من عمر رضي الله عنه والذي يظهر والله تعالى أعلم حمل الأمر في ذلك على ما تقدم في الحديث الذي قبله في حق فاطمة رضي الله عنها وأن كلا من علي وفاطمة وعباس رضي الله عنهم اعتقد أن عموم قوله لا نورث مخصوص ببعض ما يخلفه دون بعض ولذلك نسب عمر رضي الله عنه إلى علي وعباس رضي الله عنهما أنهما كانا يعتقدان ظلم من خالفهما في ذلك وأما مخاصمة علي وعباس رضي الله عنهما بعد ذلك ثانياً عند عمر رضي الله عنه فقال إسماعيل القاضي فيما رواه الدارقطني من طريقه لم تكن في الميراث إنما تنازعا في ولاية الصدقة وفي صرفها كذا قال لكن في رواية النسائي وعمر بن شبة من طريق أبي البختري ما يدل على أنهما أرادا أن يقسم بينهما على

سبيل الميراث ولفظه في آخره ثم جئتماني الآن تختصمان يقول هذا أريد نصيبي من ابن أخي ويقول هذا أريد نصيبي من امرأتي والله لا أقضي بينكما إلا بذلك أي: بما تقدم من تسليمهما على سبيل الولاية وكذا وقع عند النسائي من طريق عكرمة ابن خالد عن مالك بن أوس نحوه وفي السنن لأبي داود أراد أن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقسمها بينهما لينفرد كل منهما بنظر ما يتولاه فامتنع عمر رضي الله عنه من ذلك وأراد أن لا يقع عليها اسم قسم ولذلك أقسم على ذلك .

هذا وقد جزم ابن الجوزي ثم الشيخ محيي الدين النووي: بأن علياً وعباساً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لم يطلبوا من عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلا ذلك مع أن السياق صريح في أنهما جاءا مرتين في طلب شيء واحد لكن العذر لابن الجوزي ومحيي الدين أنهما شرحا اللفظ الوارد في رواية مسلم دون اللفظ الوارد في رواية البُخَارِيِّ، والله تعالى أعلم.

وأما قول عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: جئتنِي يا عباس تسألني نصيبك من ابن أخيك فإنما عبر بذلك لبيان قسمة الميراث كيف يقسم أن لو كان هناك ميراث لا أنه أراد أن له نصيباً من الميراث وأن هناك ميراثاً وزاد الأياضي عن ابن شهاب عند عمر ابن شبة في آخره فأصلحها أمركما وإلا لم ترجع والله إليكما فقاما وتركوا الخصومة وأمضيت صدقة وزاد شعيب في آخره .

قَالَ ابن شهاب: حدثت به عُرْوَةُ فَقَالَ صدق مالك بن أوس أنا سمعت عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تقول فذكر حديثاً قَالَ: وكانت هذه الصدقة بيد علي منعها عباساً فغلبه عليها ثم كانت بيد الحسن ثم بيد الحسين ثم بيد علي بن الحسين والحسن بن الحسين ثم بيد زيد بن الحسن وهي صدقة رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَقًّا.

وروى عبد الرزاق عن مَعْمَرٍ عن الزُّهْرِيِّ مثله وزاد في آخره قَالَ مَعْمَرٌ: ثم كانت بيد عَبْدِ اللَّهِ بن حسن حتى ولي هؤلاء يعني بني العباس فقبضوها، وزاد إِسْمَاعِيلُ الْقَاضِي: أن إعراض العباس عنها كان في خلافة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ عمر بن شبة سمعت أبا غسان هو مُحَمَّدُ بن يحيى المدني يقول إِنَّ الصدقة المذكورة اليوم بيد الخليفة تكتب في عهده ويولي عليها من يقبضها ويفرقها في

أهل الحاجة من أهل المدينة .

قال الحافظ العسقلاني : وكان ذلك على رأس المائتين ثم تغيرت الأمور والله المستعان .

وفي الحديث : أن عليًا وعباسًا رضي الله عنهما اختصما فيما أفاء الله على رسوله من مال بني النضير ولم يتنازعا في الخمس وإنما تنازعا فيما كان خاصًا للنبي ﷺ وهو الفياء فتركه صدقة بعد وفاته .

وفيه : أنه يجب أن يولى أمر قبيلة كبيرهم لأنه أعرف باستحقاق كل رجل منهم لعلمه بهم وفيه أن للإمام أن يناذي الرجل الشريف الكبير باسمه وبالترخيم حيث لم يرد بذلك تنقيصه ولا عار على المنادي بذلك .

وفيه : استعفاء المرء من الولاية وسؤاله الإمام ذلك بالرفق لقول مالك لعمر رضي الله عنه حين أمره بقسمة المال بين قومه لو أمرت به غيري .

وفيه : اتخاذ الحاجب للإمام وألا يصل إليه شريف ولا غيره إلا بإذنه .

وفيه : الجلوس بين يدي السلطان بغير إذنه .

وفيه : الشفاعة عنده في إنفاذ الحكم إذا تفاقت الأمور وخشي الفساد بين المتخاصمين لقول عثمان رضي الله عنه اقض بينهما وأرح أحدهما من الآخر وقد ذكر البخاري في المغازي أن عليًا والعباس رضي الله عنهما استبأ يومئذ .

وفيه : حلم الإمام وفيه إقامة الإمام من ينظر على الوقف نيابة عنه فالتشريك بين ذلك ومنه يؤخذ جواز أكثر منها بحسب المصلحة .

وفيه : تقرير الإمام لمن يشهد له على قضائه وحكمه .

وفيه : أنه لا بأس أن يمدح الرجل نفسه ويطريها إذا قال الحق .

وفيه : جواز ادخار الرجل لنفسه وأهله قوت سنة خلافًا لقول من أنكره من متشدد المتزهدين وجهلة الصوفية المنكرين للادخار الزاعمين أن من ادخر لغد فقد أساء الظن بربه ولم يتوكل عليه حق توكله والحال أن ذلك لا ينافي التوكل .

وفيه : جواز اتخاذ العقار واستغلال منفعته ويؤخذ منه جواز غير ذلك من الأموال التي يحصل بها النماء والمعاش من زراعة وتجارة وغير ذلك .

وفيه : أن الإمام إذا قام عنده دليل شرعي قضى بمقتضاه ولم يحتج إلى أخذه عن غيره إذ الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قضى على العباس وفاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بحديث لا نورث ولم يحاكمهما في ذلك إلى أحد غيره ويؤخذ منه جواز حكم الحاكم بعلمه .

وفيه : أن الأتباع إذا رأوا من الكبير انقباضاً لم يفاتحوه حتى يفاتحهم بالكلام .

وفيه : قبول خبر الواحد فإن أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يستشهد بأحد كما استشهد عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بل أخبر بذلك عنه ﷺ فقبل ذلك منه .

وفيه : أنه لا ينكر أنه لا يخفى على الفقيه والعالم بعض الأمور مما علمه غيره كما خفي على فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا التخصيص في ذلك وكذلك يقال وإنه خفي على علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ذلك وكذلك على العباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حتى طلب الميراث وقد يقال لم يخف ذلك عليهما وإنما كانا ذلك ونسيا حتى ذكرهما أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فرجعا إليه بدليل أن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نشدهما بالله هل تعلمان ذلك فقالا نعم .

وفيه : أن في طلب فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ميراثها من أبيها وطلب العباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دليلاً على أن الأصل في الأحكام العموم وعدم التخصيص حتى يدل ما يدل على التخصيص وعلى أن المتكلم داخل في عموم كلامه حيث قال ﷺ : «من ترك ما لأفلاّله» وهذا قول أكثر أهل الأصول خلافاً للحنابلة وعند كثير من القائلين بالعموم إن هذا الخطاب وسائر العمومات لا يدخل فيها سيدنا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لأن الشرع ورد بالترقية بينه وبين أمته .

واستدل بهذا الحديث أيضاً أن النَّبِيَّ ﷺ كان لا يملك من الفيء شيئاً ولا خمس الغنيمة إلا قدر حاجته وحياته من يموه وما زاد على ذلك كان له التصرف بالقسم والعطية وَقَالَ آخرون لم يجعل الله تعالى لنبيه ﷺ ملك رقبة ما غنمه وإنما ملكه منافع وجعل له منه قدر حاجته وكذلك القائم بالأمر بعده .

وَقَالَ ابن الباقلاني في الرد على من زعم أن النَّبِيَّ ﷺ يورث : احتجوا

2 - باب: آدَاءُ الْخُمْسِ مِنَ الدِّينِ

3095 - حَدَّثَنَا أَبُو الثُّعْمَانِ، حَدَّثَنَا حَمَّادٌ، عَنْ أَبِي جَمْرَةَ الضُّبَيْعِيِّ،

بعموم قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ [النساء: 11] فَقَالَ: أَمَّا مَنْ أَنْكَرَ العموم فلا استغراق عنده لكل من مات أنه يورث وأَمَّا مَنْ أثبتته فلا يسلّم دخول النَّبِيِّ ﷺ في ذلك ولو سلّم دخوله لوجب تخصيصه لصحة الخبر وخبر الآحاد تخصص وإن كانت لا تنسخ فكيف بالخبر إذا جاء مثل مجيء هذا الخبر وهو لا نورث، والله تعالى أعلم.

ومطابقة الحديث للترجمة تؤخذ من قوله: إِنَّ اللَّهَ قد خص رسوله إلى قوله: فكانت هذه خالصة لرسول الله ﷺ فَإِنْ مِنْ جُمْلَةٍ مَا سَأَلَتْ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ما بقي من خمس خبير وكان علي وعباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يختصمان في الفيء الذي خصّ الله تعالى نبيه بذلك وهو ما أفاء الله على رسوله من أموال بني النضير حين أجلاهم وكذا نصف أرض فذك صالح أهلها بعد فتح خبير على نصف أرضها وكذا ثلث أرض وادي القرى أخذه في الصلح حين صالح اليهود وكذا حصنان من حصون خيبر الوطيح والسالام أخذهما صلحاً ومنها سهم من خمس خبير وما افتتح منها عنوة فكان ذلك كله خالصاً له ﷺ لاحق لأحد فيها كما تقدم.

وقد أخرج الحديث الْبُخَارِيُّ فِي النِّفَقَاتِ وَالْإِعْتِصَامِ وَالْفَرَائِضِ أَيْضًا وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي الْمَغَازِي وَأَبُو دَاوُدَ فِي الْخَرَاجِ وَالتِّرْمِذِيُّ فِي السَّيْرِ وَالنِّسَائِيُّ فِي الْفَرَائِضِ وَالتَّفْسِيرِ.

2 - باب: آدَاءُ الْخُمْسِ مِنَ الدِّينِ

(باب) بالتنونين (آدَاءُ الْخُمْسِ مِنَ الدِّينِ) أَي: شُعْبَةٌ مِنْ شَعْبِهَا وَقَدْ ذَكَرَ فِي كِتَابِ الْإِيمَانِ بَابَ آدَاءِ الْخُمْسِ مِنَ الْإِيمَانِ، وَالْجَمْعُ بَيْنَ التَّرْجُمَتَيْنِ أَنَّ الْإِيمَانَ إِنْ قَدَّرَ أَنَّهُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ دَخَلَ آدَاءُ الْخُمْسِ فِي الْإِيمَانِ وَإِنْ قَدَّرَ أَنَّهُ تَصَدِيقٌ دَخَلَ فِي الدِّينِ، وَالْخُمْسُ بَضْمُ الْخَاءِ، مَنْ خَمَسْتُ الْقَوْمَ أَخْمَسُهُمْ بِالضَّمِّ، إِذَا أَخَذْتَ مِنْهُمْ خُمْسَ أَمْوَالِهِمْ.

(حَدَّثَنَا أَبُو الثُّعْمَانِ) مُحَمَّدُ بْنُ الْفَضْلِ السَّدُوسِيُّ قَالَ: (حَدَّثَنَا حَمَّادٌ) هُوَ ابْنُ زَيْدٍ، (عَنْ أَبِي جَمْرَةَ) بِالْجِيمِ وَالرَّاءِ نَصْرُ بْنُ عِمْرَانَ (الضُّبَيْعِيِّ) بَضْمُ الضَّادِ

قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، يَقُولُ: قَدِمَ وَقَدْ عَبْدَ الْقَيْسَ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا هَذَا الْحَيَّ مِنْ رِبْعَةٍ، بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ كُفَّارٌ مُضَرٌّ، فَلَسْنَا نَصِلُ إِلَيْكَ إِلَّا فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ، فَمُرْنَا بِأَمْرٍ نَأْخُذُ بِهِ وَنَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ وَرَاءِنَا، قَالَ: «أَمْرُكُمْ بِأَرْبَعٍ، وَأَنْهَاكُمْ عَنْ أَرْبَعٍ، الْإِيمَانُ بِاللَّهِ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، - وَعَقْدَ بِيَدِهِ - وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصِيَامُ رَمَضَانَ، وَأَنْ تُؤَدُّوا لِلَّهِ خُمْسَ مَا غَنِمْتُمْ، وَأَنْهَاكُمْ عَنِ الدُّبَاءِ، وَالتَّقِيرِ، وَالْحَنْتَمِ، وَالْمُرْقَتِ».

المعجمة وفتح الموحدة من بني ضبيعة مصغراً وهو بطن من عبد القيس وقد مر مع الحديث في كتاب الإيمان في باب أداء الخمس من الإيمان.

(قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، يَقُولُ: قَدِمَ وَقَدْ عَبْدَ الْقَيْسَ) الوفد قوم مجتمعون فيردون إلى البلاد للقي الملوك وغيرهم وعبد القيس أبو قبيلة، (فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا هَذَا الْحَيَّ مِنْ رِبْعَةٍ) هو ابن معد بن عدنان.

(بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ كُفَّارٌ مُضَرٌّ) هو ابن نزار بن معد بن عدنان.

(فَلَسْنَا نَصِلُ إِلَيْكَ إِلَّا فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ، فَمُرْنَا بِأَمْرٍ نَأْخُذُ بِهِ وَنَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ وَرَاءِنَا، قَالَ: أَمْرُكُمْ بِأَرْبَعٍ، وَأَنْهَاكُمْ عَنْ أَرْبَعٍ، الْإِيمَانُ بِاللَّهِ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، - وَعَقْدَ بِيَدِهِ -) أي: ثنى خنصره قَالَ الدَّوْدِيُّ قَالَ الْعَيْنِيُّ فإذا ثنى خنصره وعدَّ الإيمان فهي خمس بلا شك.

(وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصِيَامُ رَمَضَانَ، وَأَنْ تُؤَدُّوا لِلَّهِ خُمْسَ مَا غَنِمْتُمْ، وَأَنْهَاكُمْ عَنِ الدُّبَاءِ) بضم الدال المهملة وتشديد الموحدة وبالمد القرع الواحدة دبابة.

(وَالْتَّقِيرِ) بفتح النون وكسر القاف: أصل النخلة ينقر جوفها وينبذ فيها.

(وَالْحَنْتَمِ) بفتح الحاء المهملة وسكون النون وفتح المثناة الفوقية قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: هِيَ الْجَرَارُ الْخَضِرُ وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: هِيَ الْجَرَارُ كُلُّهَا وَقَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: جَرَارٌ يُؤْتَى بِهَا مِنْ مِصْرَ مَقِيرَاتِ الْأَجَوافِ.

(وَالْمُرْقَتِ) بتشديد الفاء أي: المطلي بالزفت وقد مر الكلام في هذا

الحديث في كتاب الإيمان.

ومطابقة الحديث للترجمة ظاهرة.

3 - باب نَفَقَةِ نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ بَعْدَ وَفَاتِهِ

3096 - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ، أَخْبَرَنَا مَالِكٌ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنْ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «لَا يَفْتَسِمُ وَرَثَتِي دِينَارًا، مَا تَرَكَتُ بَعْدَ نَفَقَةِ نِسَائِي وَمَوْوَنَةِ عَامِلِي، فَهُوَ صَدَقَةٌ».

3 - باب نَفَقَةِ نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ بَعْدَ وَفَاتِهِ

(باب) بيان (نَفَقَةِ نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ بَعْدَ وَفَاتِهِ).

(حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ) قَالَ: (أَخْبَرَنَا مَالِكٌ) الإمام، (عَنْ أَبِي الزِّنَادِ) عَبْدُ اللَّهِ بْنُ ذَكْوَانَ، (عَنِ الْأَعْرَجِ) هو عبد الرحمن بن هرمز، (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: لَا يَفْتَسِمُ) من الاقتسام من باب الافتعال ويروى: لَا يَقْسِمُ من القسم.

(وَرَثَتِي دِينَارًا) والتقييد به من باب التنبيه بالأدنى على الأعلى كقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأَمَّنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ﴾ [آل عمران: 75].

(مَا تَرَكَتُ بَعْدَ نَفَقَةِ نِسَائِي وَمَوْوَنَةِ عَامِلِي، فَهُوَ صَدَقَةٌ) قالوا ليس المراد بهذا اللفظ النهي لأنه إنما ينهى عما يمكن وقوعه وإرثه ﷺ غير ممكن وإنما هو بمعنى الإخبار ومعناه لَا يَفْتَسِمُونَ شَيْئًا لَأَتِي لَا أَوْثَرُ أَوْ لَا أَخْلَفَ مَالًا وليس معنى نفقة نسائه إرثهن منه بل لكونهن محبوسات عليه لَا يَزُوجُنَّ بِسَبَبِهِ أَوْ لِعَظَمِ حَقُوقِهِنَّ فِي بَيْتِ الْمَالِ لِفَضْلِهِنَّ وَقَدْ هَجَرْتَهُنَّ وَكُونَهُنَّ أَمْهَاتُ الْمُؤْمِنِينَ وَلِذَلِكَ اخْتَصَصْنَ بِمَسَاكِنِهِنَّ وَلَمْ يَرِثْ وَرَثَتُهُنَّ وَاخْتَلَفَ فِي الْمَرَادِ بِالْعَامِلِ فَقِيلَ هُوَ الْخَلِيفَةُ بَعْدَهُ لِأَنَّهُ عَامِلٌ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَنَائِبٌ عَنْهُ فِي أَمْتِهِ.

قَالَ الْحَافِظُ الْعَسْقَلَانِيُّ: وَهَذَا هُوَ الْمَعْتَمَدُ وَهُوَ الَّذِي يُوَافِقُ مَا تَقَدَّمَ فِي حَدِيثِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقيل: المراد هو العامل فيما خصه الله به من الفيء من فذك وبني النضير وسهمه بخبير مما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب فكان له من ذلك نفقته ونفقة أهله ويجعل سائرته في نفع المسلمين وجرت النفقة بعد ذلك على أزواجه وعلى عمال الحوائط إلى أيام عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فخير عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أزواجه أن

3097 - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، حَدَّثَنَا هِشَامٌ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: «تُوْفِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَا فِي بَيْتِي مِنْ شَيْءٍ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ، إِلَّا شَطْرُ شَعِيرٍ فِي رَفٍّ لِي، فَأَكَلْتُ مِنْهُ حَتَّى طَالَ عَلَيَّ، فَكَلْتُهُ فَقَنِي».

يتمادين على ذلك ويقطع لهن قطاع فاختارت عَائِشَةُ وحفصة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا الثاني فقطع لهما بالغابة وأخرجهما عن حصتهما من ثمرة تلك الحيطان فملكنا ما أقطعهما عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى أَنْ مَاتَا وَوَرِثَ عَنْهُمَا وَبِهِ جَزْمُ الطَّبْرِيِّ وَابْنُ بَطَالٍ.

وقيل: المراد بالعامل حافر قبره ﷺ ومتولي دفنه وهو بعيد والله تعالى أعلم.

ومطابقة الحديث للترجمة ظاهرة وقد أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي الْوَصَايَا وَالْفَرَائِضِ أَيْضًا وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي الْمَغَازِي وَالْخَرَاجِ وَالتِّرْمِذِيُّ فِي الشَّمَائِلِ.

(حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ) قَالَ: (حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ) حماد بن أسامة قَالَ: (حَدَّثَنَا هِشَامٌ) هو ابن عُرْوَةَ، (عَنْ أَبِيهِ) عُرْوَةَ بن الزبير، (عَنْ عَائِشَةَ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا (قَالَتْ: «تُوْفِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَا فِي بَيْتِي مِنْ شَيْءٍ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ» أَي: حيوان (إِلَّا شَطْرُ شَعِيرٍ) قَالَ التِّرْمِذِيُّ الشُّطْرُ الشَّيْءُ.

وَقَالَ الْقَاضِي عِيَّاضُ: نصف وسق.

وَقَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: أَي جزء من شعير قَالَ: ويشبه أن يكون نصف شيء كالصاع ونحوه.

(فِي رَفٍّ لِي) الرف بفتح الراء وتشديد الفاء شبه الطاق.

وَقَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ: الرف خشب يرفع عن الأرض إلى جانب الجدار يوضع عليه الشيء وجمعه رفوف ورفاف.

(فَأَكَلْتُ مِنْهُ حَتَّى طَالَ عَلَيَّ، فَكَلْتُهُ فَقَنِي) يعني فرغ قَالَ ابن بطال كان الشعير الذي عند عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا غير مكمل فكانت البركة فيه من أجل جهلها بكيله وكانت تظن في كل يوم أنه سيفنى لقلته كانت تتوهمها فيه فلذلك طال عليها فلما كالتة علمت مدة بقائه فقني عند تمام ذلك الأمد فإن قيل: هو مشعر بأن الكيل

3098 - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا يَحْيَى، عَنْ سُفْيَانَ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو إِسْحَاقَ، قَالَ: سَمِعْتُ عَمْرُو بْنَ الْحَارِثِ، قَالَ: «مَا تَرَكَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَّا سِلَاحَهُ وَبَغْلَتَهُ الْبَيْضَاءَ، وَأَرْضًا تَرَكَهَا صَدَقَةً».

سبب للفناء وموجب للنقصان وقد مرّ في كتاب البيع في باب يستحبّ من الكيل عن المقدام بن معدي كرب كيلوا طعامكم يبارك لكم فيه .
فالجواب: أن الكيل في الإنفاق مكروه وفي المبايعه مستحب فاختلف الموردان .

ويقال أيضًا: أن المراد بالكيل هو الكيل أول تملكه إياه أو عند إخراج النفقة منه بشرط أن يبقى الباقي مجهولاً وإنما يكيل ما يخرج له لئلا يخرج أكثر من الحاجة أو أقل .

وفي الحديث: أن البركة أكثر ما يكون في المجهولات والمبهمات.
ومطابقة الحديث للترجمة من حيث إنها لو لم تكن لها النفقة مستحقة لكان الشعر الموجد لبيت المال ولما أخذت منه .
وَأَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي الرِّقَاقِ أَيْضًا، وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي آخِرِ الْكِتَابِ وَابْنُ مَاجَةَ فِي الْأَطْعِمَةِ.

(حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ) هو ابن مسرهد قَالَ: (حَدَّثَنَا يَحْيَى) هو القطان، (عَنْ سُفْيَانَ) هو الثوري أنه (قَالَ: حَدَّثَنِي) بالافراد (أَبُو إِسْحَاقَ) عمرو بن عبد الله السبيعي، (قَالَ: سَمِعْتُ عَمْرُو بْنَ الْحَارِثِ، قَالَ: مَا تَرَكَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَّا سِلَاحَهُ وَبَغْلَتَهُ الْبَيْضَاءَ، وَأَرْضًا تَرَكَهَا صَدَقَةً) وقد مر الحديث في أول كتاب الوصايا بآتم منه ومضى الكلام فيه هناك.

ومطابقته للترجمة تؤخذ من قوله وأرضا تركها صدقة وذلك لأن نفقة نسائه ﷺ بعد موته كانت ممّا خصه الله تعالى به من الفياء كما تقدم، هذا .

وَقَالَ الْجِيَانِي: وَقَعَ عِنْدَ الْقَابِسِيِّ حَدَّثَنَا يَحْيَى عَنْ سُفْيَانَ وَهُوَ وَهُمْ وَالصَّوَابُ حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ حَدَّثَنَا يَحْيَى عَنْ سُفْيَانَ ح.

4 - بَاب مَا جَاءَ فِي بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، وَمَا نُسِبَ مِنَ الْبُيُوتِ إِلَيْهِنَّ⁽¹⁾

4 - بَاب مَا جَاءَ فِي بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، وَمَا نُسِبَ مِنَ الْبُيُوتِ إِلَيْهِنَّ (بَاب مَا جَاءَ فِي بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، وَمَا نُسِبَ مِنَ الْبُيُوتِ إِلَيْهِنَّ) قَالَ ابْنُ

(1) قال الحافظ: قال ابن المنير: غرضه بهذه الترجمة أن يبين أن هذه النسبة تحقق دوام استحقاقهن للبيوت ما بقين لأن نفقتهن وسكنانهن من خصائص النبي ﷺ والمر فيه حبسهن عليه، قال الطبري: قيل: كان النبي ﷺ مَلِكًا كُلًّا من أزواجه البيت الذي هي فيه، فسكن بعده فيها بذلك التملك، وقيل: إنما لم ينازعهن في مساكنهن لأن ذلك من جملة مؤنثتهن التي كان النبي ﷺ استثنائها مما كان بيده أيام حياته حيث قال: «ما تركت بعد نفقة نسائي» قال: وهذا أرجح، ويؤيده أن ورثتهن لمن يرثن عنهن منازلهن ولو كانت البيوت ملكًا لهن لانتقلت إلى ورثتهن، ولهذا زیدت بیوتهن في المسجد النبوي بعد موتهن لعموم نفعه للمسلمين كما فعل فيما كان يصرف لهن من النفقات، وادعى المهلب أن النبي ﷺ كان حبس عليهن بيوتهن، ثم استدل به على من حبس دارًا جاز له أن يسكن منها في موضع، وتعقبه ابن المنير بمنع أصل الدعوى ثم على التنزل لا يوافق ذلك مذهبه إلا أن صرح بالاستثناء ومن أين له ذلك؟ انتهى مختصرًا.

قلت: ويشكل على من قالوا إن ورثتهن لم يرثن عنهن ما قال الحافظ في «باب من تبرز على لبنتين» في قول ابن عمر رضي الله عنهما: لقد ارتقيت على ظهر بيت لنا، وفي رواية على ظهر بيتنا، وفي أخرى إلى ظهر بيت حفصة، وطريق الجميع أن يقال إضافة البيت إليه على سبيل المجاز أو حيث أضافه إلى حفصة كان باعتبار أنه البيت الذي أسكنها النبي ﷺ واستمر في يدها إلى أن ماتت فورث عنها، وسيأتي انتزاع المصنف ذلك من هذا الحديث في كتاب الخمس يعني هذا الباب، وحيث أضافه إلى نفسه كان باعتبار ما آل إليه الحال لأنه ورث حفصة دون إخوته لكونها كانت شقيقته ولم تترك من يحجبه «عن الاستيعاب» اهـ.

قلت: ذكر الإمام البخاري في الترجمة آيتين، في إحداهما نسبة البيوت إلى الأزواج وفي الأخرى إلى النبي ﷺ، لعله أشار بذلك إلى الاختلاف في ذلك وقول البخاري في الترجمة: وما نسب إليهن لعله إشارة إلى ترجيح ملكهن وعليه بنى الشيخ قدس سره تقريره والمسألة خلافية شهيرة، قال صاحب الجمل في قوله تعالى: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ [الأحزاب: 53] فيه دليل على أن البيت للرجل ويحكم له به فإن الله تعالى أضافه إليه، فإن قيل: فقد قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرَنَّ مَا يَتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: 34] الآية، قلنا إضافة البيوت إلى النبي ﷺ إضافة ملك وإضافتها إلى الأزواج إضافة محل، بدليل أنه جعل فيها الإذن إلى النبي ﷺ إضافة ملك وإضافتها إلى الأزواج إضافة محل، بدليل أنه جعل فيها الإذن إلى =

وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: 33]

المنير: غرضه بهذه الترجمة أن يبين أن بهذه النسبة تحقق دوام استحقاقهن للبيوت ما بقين لأن نفقتهن وسكناهن من خصائص النَّبِيِّ ﷺ والسرّ فيه حبسهن عليه.

(وَقَوْلِ اللَّهِ) عز وجل بالجبر عطف على قوله في بيوت أزواج النَّبِيِّ ﷺ: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: 33] وتمامها ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ من وقر يقر وقارًا أو من قر يقرّ حذف الأولى من رأي أقرن ونقلت كسرتها إلى القاف فاستغني عن همزة الوصل ويؤيده قراءة نافع وعاصم بالفتح من قررت أقرّ وهو لغة فيه ويحتمل أن يكون من قار يقار إذا اجتمع ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ﴾ أي: ولا تتبخثرن في مشيكن ﴿تَبَرَّجَ الْجَاهِلِيَّةُ الْأُولَى﴾ تبرّجًا مثل تبرّج النساء في أيام الجاهلية القديمة قيل: هي ما بين آدم ونوح عليهما السلام.

وقيل: الزمان الذي ولد فيه إبراهيم عليه السلام كانت المرأة تلبس درعًا من اللؤلؤ فتمشي وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال.

وقيل: ما بين إدريس ونوح عليهما السلام.

وقيل: زمن داود وسليمان عليهما السلام والجاهلية الأخرى ما بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ويجوز أن تكون الجاهلية الأولى جاهلية الكفر قبل الإسلام والجاهلية الأخرى جاهلية الفسوق والفجور في الإسلام فكان المعنى ولا تحدثن بالتبرّج جاهلية في الإسلام تشبّهن بها بأهل جاهلية الكفر ويعضده قوله ﷺ لأبي الدرداء: «إن فيك جاهلية» قال جاهلية كفر أو إسلام قال: «جاهلية الكفر».

النبى ﷺ والإذن إنما يكون من المالك، واختلف العلماء في بيوت النبى ﷺ على قولين: فقالت طائفة كانت ملكًا لهن بدليل أنهن سكن فيها بعد موت النبى ﷺ إلى وفاتهن وذلك أن النبى ﷺ وهب لهن ذلك في حياته، والثاني: أن ذلك كان إسكانًا ولم يكن هبة وامتدت سكناهن إلى الموت وهذا هو الصحيح وهو الذي ارتضاه ابن عبد البر وابن العربي وغيرهما، فإن ذلك من مؤونتهن التي كان رسول الله ﷺ استثناهن كما استثنى نفقاتهن حين قال: «ما تركت بعد نفقة أهلي ومونة عاملي فهو صدقة»، هكذا قال أهل العلم، قالوا: ويدل على ذلك أن مساكنهن لم ترثها ورثتهن، ففيه دليل على أنها لم تكن لهن ملكًا وإنما كانت لهن سكنى حياتهن فلما توفين جعل ذلك زيادة في المسجد، انتهى مختصرًا.

﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ [الأحزاب: 53].

﴿وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [الأحزاب: 33] في سائر ما أُمِرْنَ به ونهاكْنَ عنه أمرهنَّ أمرًا خاصًّا بالصلاة والزكاة ثم جاء به عامًا في جميع الطاعات لأن هاتين الطاعتين البدنية والمالية هما أصل سائر الطاعات من اعتنى بهما حقَّ اعتناء جرَّاه إلى ما وراءهما ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ⁽¹⁾﴾ [الأحزاب: 33] الذنب المدنس لعرضكم وهو تعليل لأمرهنَّ ونهيهنَّ على الاستئذان يعني إنما نهاهنَّ وأمرهنَّ ووعظهنَّ لئلا يقارف أهل بيت رسول الله ﷺ المآثم وليتصوَّنوا عنها بالتقوى ﴿وَيُطَهِّرْكُمْ تَطْهِيرًا﴾ عن المعاصي بالتصوَّن عنها استعار للذنوب الرجس وللتقوى الطهر لأنَّ عرض المقرِّف للمقبحات يتلوَّث بها ويتدنس كما يتلوَّث بدنه بالأرجاس.

وأما المحسنات فالعرض معها نقي مصون كالثوب الطاهر وفي هذه الاستعارة ما ينفرُّ أولي الألباب عما كرهه الله تعالى لعباده ونهاهم عنه ويرغبهم فيما رضىه لهم وأمرهم به ثم المراد بأهل البيت أزواج النبي ﷺ ورضي عنهنَّ لأنهنَّ في بيته وهو قول الكلبي ومقاتل وعكرمة وسعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضي الله عنهما وحجتهم في ذلك ما تقدم وما تأخر من خطابهنَّ وإنما ذكر الخطاب في قوله عنكم: ﴿وَيُطَهِّرْكُمْ﴾ لأن رسول الله ﷺ كان فيهنَّ فغلب المذكر وقال آخرون: هذا خاص في النبي ﷺ وعليّ وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم وهو قول أبي سعيد الخدري رضي الله عنه وإليه ذهب الشيعة.

﴿وَلَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ وهذا أيضًا بعض آية في سورة الأحزاب وتامها ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ في معنى الطرف أي: إلا وقت أن يؤذن لكم أو حال أي: إلا ما دوننا لكم ﴿إِنْ طَعَامٌ﴾ متعلق بيؤذن لأنه متضمن معنى يدعى للإشعار بأنه لا يحسن الدخول على الطعام من غير دعوة وإن أذن كما أشعر به قوله: ﴿غَيْرَ نَظِيرِينَ إِنَّهُ﴾ أي: غير منتظرين وقته أو إدراكه حال من فاعل ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ﴾ إلا وقت الإذن ولا تدخلوها إلا غير ناظرين وهؤلاء قوم كانوا يتحيتون طعام رسول الله ﷺ فيدخلون

(1) أهل البيت نصب على النداء أو المدح.

ويقعدون منتظرين لإدراكه ومعناه لا تدخلوا يا أيها المتحيتون للطعام إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إياه ولا فلو لم يكن لهؤلاء خصوصًا لما جاز لأحد أن يدخل بيوت النبي إلا أن يؤذن له إذنًا خاصًا وهو الإذن إلى طعام فحسب ويحتمل أن يكون قوله: ﴿غَيْرَ نَظِيرِينَ﴾ حالًا من المجرور في ﴿لَكُمْ﴾ وعن ابن أبي عُبَلَةَ أنه قرأ ﴿غَيْرَ نَظِيرِينَ﴾ بالجر صفة طعام فيكون جاريًا على غير من هوله بلا إبراز الضمير وهو غير جائز عند البصريين وإنما يجوز لو أبرز الضمير وقيل: ﴿غَيْرَ نَظِيرِينَ إِنَّهُ﴾ أنتم كقولك هند زيد ضاربته هي وقد أمال حمزة والكسائي إناه لأنه مصدر أني الطعام إذا أدرك كقولك قلاه قلى ومنه قوله تعالى: ﴿وَبَيْنَ حَمِيرٍ ءَانٍ﴾ [الرحمن: 44] بالغ إناه ويقال إناه وقته أي: غير ناظرين وقت الطعام وساعة أكله كما أشير إليهما آنفًا ﴿وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَأَدْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا﴾ [الأحزاب: 53] تفرقوا ولا تمكثوا.

روي أن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أولم على زينب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بتمر وسويق وشاة وأمر أنسًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يدعو بالناس فترادفوا أفواجًا يأكل فوج فيخرج ثم يدخل فوج إلى أن قال يا رَسُولَ اللَّهِ دعوت حتى ما أجد أحدًا أدعوه فَقَالَ ارفعوا طعامكم وتفرق الناس وبقي ثلاثة نفر يتحدثون فأطالوا فقام رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ليخرجوا فانطلق إلى حجرة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقَالَ السلام عليكم يا أهل البيت فقالوا وعليك السلام يا رَسُولَ اللَّهِ كيف وجدت أهلَك وطاف بالحجرات فسلم عليهن ودعون له ورجع فإذا الثلاثة جلوس يتحدثون وكان رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شديد الحياء فتولَّى فلما رآوه متوليًا خرجوا فرجع ونزلت: ﴿وَلَا مُسْتَنْسِينَ لِحَدِيثٍ﴾ نهوا عن أن يطيلوا الجلوس يستأنس بعضهم ببعض لأجل حديث يحدثه أو عن أن يستأنسوا أهل البيت واستئناسه تسمعه وتوجسه وهو مجرور عطف على ناظرين وقيل هو منصوب بفعل مقدَّر أي: ولا تدخلوا أو ولا تمكثوا مستأنسين ﴿إِنَّ ذَلِكَمُ﴾ اللبث ﴿كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ﴾ لتضييق المنزل عليه وعلى أهله واشتغاله فيما لا يعنيه ﴿فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ﴾ فيه تقدير المضاف أي: من إخراجكم بدليل قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾ يعني أن إخراجكم حق ما ينبغي أن يستحيي منه فلذلك أمركم الله بالخروج ولما كان الحياء مما يمنع الحيي من

بعض الأفعال قيل لا يستحي من الحق بمعنى لا يمتنع منه ولا يتركه ترك الحَيِّ منكم وهذا أدب أدب الله به الثقلاء وعن عائشة رضي الله عنها حسبك في الثقلاء أن الله تعالى لم يحتملهم وقال: ﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا﴾، ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا﴾ حاجة وشيئا ينتفع به والضمير في سألتموهن لنساء النبي ﷺ ولم يذكرن لأن الحال ناطقة بذكرهن فسألوهن المتاع ﴿مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾.

قيل: إن عمر رضي الله عنه كان يحب ضرب الحجاب عليهن محبة شديدة وكان يذكره كثيرا ويود أن ينزل فيه وكان يقول لو أطاع فيكن ما رأتن عین وقال: يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فنزلت.

وروي أنه مرّ عليهنّ وهنّ مع النساء في المسجد فقال: لئن احتجبتنّ فإنّ لكنّ على النساء فضلا كما أنّ لزوجكنّ على الرجال الفضل فقالت زينب يا ابن الخطاب إنك لتغار علينا والوحي ينزل في بيوتنا فلم يلبثوا إلا يسيرا حتى نزلت.

وقيل: إن رسول الله ﷺ كان يطعم ومعه بعض أصحابه فأصابت يد رجل منهم يد عائشة رضي الله عنها فكره النبي ﷺ ذلك فنزلت: ﴿ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ من الخواطر الشيطانية.

وذكر أنّ بعضهم قال أنّهي أن نكلم بنات عمنا إلا من وراء حجاب لئن مات مُحَمَّدٌ لَأَتَزَوَّجَنَّ فلانة فأعلم الله أن ذلك محرّم فقال: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُزَوُّوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا﴾ أي: وما صح لكم إيذاء رسول الله ﷺ وفعل ما يكرهه ولا نكاح أزواجه من بعد وفاته وفراقه وخص النبي لم يدخل بها لما روي أن أشعث بن قيس تزوّج المستعيذة في أيام عمر رضي الله عنه فهم برجمها فأخبر بأنه ﷺ فارقها قبل أن يمسّها فترك من غير نكير ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ يعني إيذائه ونكاح نسائه ﴿كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾ ذنباً عظيماً وفيه تعظيم من الله لرسوله وإيجاب حرمة حيّاً وميتاً وإعلامه بذلك ممّا طيب به نفسه وسر قلبه واستغزر شكره فإن نحو هذا مما يحدث به الرجل به نفسه ولا يخلو منه فكره ومن

3099 - حَدَّثَنَا جَبَّانُ بْنُ مُوسَى، وَمُحَمَّدٌ، قَالَا: أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، وَيُونُسُ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ، أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَتْ: «لَمَّا ثَقُلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، اسْتَأْذَنَ أَزْوَاجَهُ أَنْ يُمْرَضَ فِي بَيْتِي، فَأَذِنَ لَهُ».

الناس من يفرط غيرته على حرمة حتى يتمنى لها الموت لئلا تنكح من بعده وعن بعض الفتيان أنه كانت له جارية لا يرى الدنيا بها شغفا واستهتارا فنظر إليها ذات يوم فتنفس الصعداء وانتحب فعلا نحيبه مما ذهب به فكره هذا المذهب فلم يزل به ذلك حتى قتلها تصورا لما عسى يتفق من بقائها بعده وحصولها تحت يد غيره.

وعن بعض الفقهاء: أن الزوج الثاني في هدم الثلث يجري مجرى العقوبة فصين رسول الله ﷺ عما يلاحظ ذلك ﴿إِنْ تَبَدُّوا شَيْئًا﴾ من نكاحهن على ألسنتكم ﴿أَوْ تُخَفُّوهُ﴾ في صدوركم ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَاتِبٌ كُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: 54] فيعلم ذلك فيعاقبكم به وفي التعميم مع البرهان على المقصود مزيد تهويل ومبالغة في الوعيد لأنه على هذه الطريقة أهول وأجزل.

(حَدَّثَنَا جَبَّانُ) بكسر المهملة وتشديد الموحدة وبالنون (ابنُ موسى) أبو مُحَمَّد السلمي مات سنة ثلاث وثلاثين ومائتين (وَمُحَمَّدٌ) هو محمد بن مقاتل المروزي مات آخر سنة ست وعشرين ومائتين قاله البخاري وكلاهما من أفراد.

(قَالَا: أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ) هو ابن المبارك المروزي قَالَ: (أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ) هو ابن راشد، (وَيُونُسُ) هو ابن يزيد الأيلي، (عَنِ الزُّهْرِيِّ) هو ابن شهاب أنه (قَالَ: أَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ، أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَتْ: «لَمَّا ثَقُلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، اسْتَأْذَنَ أَزْوَاجَهُ أَنْ يُمْرَضَ» على البناء للمفعول من التفعيل (في بَيْتِي، فَأَذِنَ) بتشديد النون (لَهُ) والحديث قد مضى مطولا في كتاب الصلاة في باب حد المريض أن يشهد الجماعة.

ومطابقة للترجمة في قولها في بيتي حيث أسندت البيت إلى نفسها وذلك أن سكنى أزواج النبي ﷺ في بيوته ﷺ من الخصائص فكما استحققن النفقة لحبسهن استحققن السكنى ما بقين فنبه البخاري بسوق أحاديث هذا الباب وهي سبعة على أن هذه النسبة تحقق دوام استحقاق سكناهن للبيوت ما بقين.

3100 - حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي مَرْيَمَ، حَدَّثَنَا نَافِعٌ، سَمِعْتُ ابْنَ أَبِي مُلَيْكَةَ، قَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «تُوفِّيَ النَّبِيُّ ﷺ فِي بَيْتِي، وَفِي نَوْبَتِي، وَبَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي، وَجَمَعَ اللَّهُ بَيْنَ رِيقِي وَرَيْقِهِ»، قَالَتْ: دَخَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بِسِوَاكِ، «فَضَعُفَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْهُ، فَأَخَذَتْهُ، فَمَضَعَتْهُ، ثُمَّ سَنَنْتُهُ بِهِ».

3101 - حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عُفَيْرٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي اللَّيْثُ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُ خَالِدٍ، عَنْ ابْنِ شَهَابٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ، أَنَّ صَفِيَّةَ - زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ - أَخْبَرَتْهُ: أَنَّهَا جَاءَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ

(حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي مَرْيَمَ) هو سعيد بن الحكم بن أبي مريم الجمحي أبو مُحَمَّد المصري قَالَ: (حَدَّثَنَا نَافِعٌ) هو ابن يزيد المصري، (سَمِعْتُ ابْنَ أَبِي مُلَيْكَةَ) هو عَبْدُ اللَّهِ بن عُبَيْدِ اللَّهِ بن أَبِي مُلَيْكَةَ وقد مر غير مرة (قَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: تُوفِّيَ النَّبِيُّ ﷺ فِي بَيْتِي، وَفِي نَوْبَتِي) أي: في يوم نوبتي على حساب الدور الذي كان قبل المرض، (وَبَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي) السحر بفتح السين المهملة وسكون الحاء المهملة هو الرية وقيل ما لصق بالحلقوم والنحر بالنون الصدر، (وَجَمَعَ اللَّهُ بَيْنَ رِيقِي وَرَيْقِهِ، قَالَتْ: دَخَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بِسِوَاكِ، «فَضَعُفَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْهُ» أي: عن استعماله، (فَأَخَذَتْهُ، فَمَضَعَتْهُ، ثُمَّ سَنَنْتُهُ بِهِ) أي: ثم سوكت النَّبِيُّ ﷺ بسواك عبد الرحمن، وقيل: أي: جعلته شيئاً يتسوك به بسبب المضغ.

وقصته: أن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما دخل ومعه سواك فنظر إليه رسول الله ﷺ فقلت له أعطني هذا السواك فأعطانيه فقضمته ثم مضغته فأعطيته رسول الله ﷺ فاستنّ به.

وَقَالَ ابْنُ الْأَثِير: الاستئناس استعمال السواك وهو افتعال من الاسنان أي: إمراره عليها وأصل الحديث في كتاب الجمعة في باب من تسوك بسواك غيره ومطابقته للترجمة ظهرت مما مضى.

(حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عُفَيْرٍ) بضم المهملة وفتح الفاء وسكون التحتية، (قَالَ: حَدَّثَنِي) بالإفراد (اللَّيْثُ) أي: ابن سعد، (قَالَ: حَدَّثَنِي) بالإفراد أَيْضًا (عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ خَالِدٍ، عَنْ ابْنِ شَهَابٍ) الزُّهْرِيُّ، (عَنْ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (أَنَّ صَفِيَّةَ - زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ - أَخْبَرَتْهُ: أَنَّهَا جَاءَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ

تَزَوْرُهُ، وَهُوَ مُعْتَكِفٌ فِي الْمَسْجِدِ، فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ، ثُمَّ قَامَتْ تَنْقَلِبُ، فَقَامَ مَعَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ قَرِيبًا مِنْ بَابِ الْمَسْجِدِ، عِنْدَ بَابِ أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، مَرَّ بِهِمَا رَجُلَانِ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَسَلَّمَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ نَفَذَا، فَقَالَ لَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَلَى رِسْلِكُمَا»، قَالَا: سُبْحَانَ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَبَّرَ عَلَيْهِمَا ذَلِكَ، فَقَالَ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَبْلُغُ مِنَ الْإِنْسَانِ مَبْلَغَ الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَيْئًا».

3102 - حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُنْذِرِ، حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ عِيَاضٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى بْنِ حَبَّانَ، عَنْ وَاسِعِ بْنِ حَبَّانَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «ارْتَقَيْتُ فَوْقَ بَيْتِ حَفْصَةَ فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقْضِي حَاجَتَهُ مُسْتَدْبِرَ الْقِبْلَةِ، مُسْتَقْبِلَ الشَّامِ».

تَزَوْرُهُ، وَهُوَ مُعْتَكِفٌ فِي الْمَسْجِدِ، فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ، ثُمَّ قَامَتْ تَنْقَلِبُ، فَقَامَ مَعَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ قَرِيبًا مِنْ بَابِ الْمَسْجِدِ، عِنْدَ بَابِ أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، مَرَّ بِهِمَا رَجُلَانِ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَسَلَّمَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ نَفَذَا أَي: مُضِيَا وَتَجَاوَزَا، (فَقَالَ لَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَلَى رِسْلِكُمَا» (بكسر الراء يقال افعل كذا على رسلك أي: بالتأني يعني تأنيا ولا تتجاوزا حتى تعرفا أنها صفية بنت حيي زوج النبي ﷺ) (قَالَا: سُبْحَانَ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَبَّرَ عَلَيْهِمَا ذَلِكَ، فَقَالَ) رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((إِنَّ الشَّيْطَانَ يَبْلُغُ مِنَ الْإِنْسَانِ مَبْلَغَ الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَيْئًا))، وقد مر الحديث في الاعتكاف في باب هل يخرج المعتكف لحوائجه إلى باب المسجد.

ومطابقته للترجمة تؤخذ من قوله عند باب أم سلمة وذكر الباب يستلزم ذكر البيت.

(حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُنْذِرِ) قَالَ: (حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ عِيَاضٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ) (هو ابن عمر العمري، (عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى بْنِ حَبَّانَ) بفتح الحاء المهملة وتشديد الموحدة هو مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ حَبَّانَ، (عَنْ وَاسِعِ بْنِ حَبَّانَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) أنه قَالَ: «ارْتَقَيْتُ فَوْقَ بَيْتِ حَفْصَةَ فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقْضِي حَاجَتَهُ مُسْتَدْبِرَ الْقِبْلَةِ، مُسْتَقْبِلَ الشَّامِ» والحديث قد مضى في كتاب

3103 - حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُنْذِرِ، حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ عِيَاضٍ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي الْعَصْرَ، وَالشَّمْسُ لَمْ تَخْرُجْ مِنْ حُجْرَتِهَا».

3104 - حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا جُوَيْرِيَّةُ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَامَ النَّبِيُّ ﷺ حَاطِبًا، فَأَشَارَ نَحْوَ مَسْكَنِ عَائِشَةَ، فَقَالَ: «هَاهُنَا الْفِتْنَةُ - ثَلَاثًا - مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ».

الوضوء في باب التبرز في البيوت وفيه لفظة زائدة وهي قوله لبعض حاجتي وقوله فوق ظهر بيت حفصة والباقي نحو حديث الباب متناً وإسناداً .

ومطابقته للترجمة في قوله : بيت حفصة .

(حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُنْذِرِ) قَالَ : (حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ عِيَاضٍ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ) عُرْوَةُ بْنُ الزَّيْبِرِ بْنِ الْعَوَامِ، (أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي الْعَصْرَ، وَالشَّمْسُ لَمْ تَخْرُجْ مِنْ حُجْرَتِهَا») والحديث قد مضى بعين هذا المتن والإسناد في كتاب الصلاة في باب وقت العصر .

ومطابقته للترجمة في قوله : من حجرتها .

(حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ) التبوذكي قَالَ : (حَدَّثَنَا جُوَيْرِيَّةُ) هو ابن أسماء الضبيعي البصري، (عَنْ نَافِعٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ) هو ابن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) أَنَّهُ (قَالَ : قَامَ النَّبِيُّ ﷺ حَاطِبًا، فَأَشَارَ نَحْوَ مَسْكَنِ عَائِشَةَ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (فَقَالَ : هَاهُنَا الْفِتْنَةُ) أَي : جانب المشرق وهو العراق وهو مثار الفتنة (ثَلَاثًا) أَي : قالها ثلاث مرات (مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ) والمراد بقرن الشيطان : طرف رأسه أَي : يدني رأسه إلى الشمس في هذا الوقت فيكون الساجدون للشمس من الكفار كالساجدين له .

وقيل : قرنه أمته وشيعته ، ويروى قرن الشمس .

ومطابقته للترجمة في قوله نحو مسكن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فإن مسكنها بيتها قيل لا مطابقة هنا ولا دلالة على الملك الذي أراده فإنه يستوي فيه المالك والمستعير وغيرهما .

3105 - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ، أَخْبَرَنَا مَالِكٌ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، عَنْ عَمْرَةَ ابْنَةِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّ عَائِشَةَ - رَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ - أَخْبَرَتْهَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ عِنْدَهَا، وَأَنَّهَا سَمِعَتْ صَوْتَ إِنْسَانٍ يَسْتَأْذِنُ فِي بَيْتِ حَفْصَةَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، هَذَا رَجُلٌ يَسْتَأْذِنُ فِي بَيْتِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَرَاهُ فَلَانًا - لِعَمِّ حَفْصَةَ مِنَ الرِّضَاعَةِ - الرِّضَاعَةُ تُحَرِّمُ مَا تُحَرِّمُ الْوِلَادَةُ».

وفيه: أنه ﷺ إنما جعل لكل امرأة منهن المسكن الذي كانت ساكنة في حياته وملكت ذلك في حياته فتوفي حين توفي وذلك لما يدل عليه أن المساكن لو لم تكن ملكهن كانت في الميراث ولم يكن إلا على وجه الميراث عنه وكان لكل واحدة منها ما يخصها مشاعاً في جميعها وأقوى من ذلك أن العباس وفاطمة رضي الله عنهما لم ينازعا معهن فيها وهذا دليل واضح على أن الأمر في ذلك كان كما ذكرنا.

وقال آخرون: إنما تركز في المساكن التي كن يسكنها في حياته ﷺ لأنها مستثناة لهن مما كان بيده ﷺ أيام حياته كما استثنى نفقاتهن ويدل على ذلك أنها ما ورثت بعدهن ولا طلبت ورثتهن فلما مضين بسيلهن جعلت زيادة في المسجد النبوي لعموم نفعه للمسلمين كما فعل فيما كان يُصرف لهن من النفقات، والله أعلم.

(حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ) قَالَ: (أَخْبَرَنَا مَالِكٌ) الإمام، (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، عَنْ عَمْرَةَ ابْنَةِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّ عَائِشَةَ - رَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ - أَخْبَرَتْهَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ عِنْدَهَا، وَأَنَّهَا سَمِعَتْ صَوْتَ إِنْسَانٍ يَسْتَأْذِنُ فِي بَيْتِ حَفْصَةَ) رضي الله عنها، (فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، هَذَا رَجُلٌ يَسْتَأْذِنُ فِي بَيْتِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَرَاهُ) بضم الهمزة أي: أظنه (فَلَانًا - لِعَمِّ حَفْصَةَ مِنَ الرِّضَاعَةِ - الرِّضَاعَةُ تُحَرِّمُ) من التحريم (مَا تُحَرِّمُ الْوِلَادَةُ) من التحريم أيضاً ويروى: (ما يحرم من الولادة) فيكون يحرم من الحرمة.

والحديث قد مضى في كتاب الشهادات في باب: الشهادة على الأنساب والرضاع.

ومطابقته للترجمة في قوله: في بيت حفصة.

5 - بَاب مَا ذُكِرَ مِنْ دِرْعِ النَّبِيِّ ﷺ، وَعَصَاهُ، وَسَيْفِهِ وَقَدَحِهِ، وَخَاتَمِهِ، وَمَا اسْتَعْمَلَ الْخُلَفَاءُ بَعْدَهُ مِنْ ذَلِكَ مِمَّا لَمْ يُذَكَّرْ قِسْمَتُهُ، وَمِنْ شَعْرِهِ، وَنَعْلِهِ، وَأَنْبِيتِهِ مِمَّا يَتَبَرَّكُ أَصْحَابُهُ وَغَيْرُهُمْ بَعْدَ وَفَاتِهِ⁽¹⁾

5 - بَاب مَا ذُكِرَ مِنْ دِرْعِ النَّبِيِّ ﷺ، وَعَصَاهُ، وَسَيْفِهِ وَقَدَحِهِ، وَخَاتَمِهِ، وَمَا اسْتَعْمَلَ الْخُلَفَاءُ بَعْدَهُ مِنْ ذَلِكَ مِمَّا لَمْ يُذَكَّرْ قِسْمَتُهُ، وَمِنْ شَعْرِهِ، وَنَعْلِهِ، وَأَنْبِيتِهِ مِمَّا يَتَبَرَّكُ أَصْحَابُهُ وَغَيْرُهُمْ بَعْدَ وَفَاتِهِ

(باب مَا ذُكِرَ مِنْ دِرْعِ النَّبِيِّ ﷺ، وَعَصَاهُ، وَسَيْفِهِ وَقَدَحِهِ، وَخَاتَمِهِ، وَمَا اسْتَعْمَلَ الْخُلَفَاءُ بَعْدَهُ مِنْ ذَلِكَ) أي: من المذكور الذي ذكر (مِمَّا لَمْ يُذَكَّرْ قِسْمَتُهُ) يعني لا على طريقة قسمة الصدقات إذ لا خفاء.

أنَّ المراد منها هو قسمة التركات والغرض من هذه الترجمة إثبات أنه ﷺ لم يورث ولم يبع موجوده بل ترك بيد من صار إليه للتبرك به ولو كان ميراثاً لقسم ولهذا قَالَ بعد ذلك مما لم يذكر قسمته (وَمِنْ شَعْرِهِ) أي: وما ذكر من شعر النَّبِيِّ ﷺ (وَنَعْلِهِ، وَأَنْبِيتِهِ) من عطف العام على الخاص بعد ذكر القدح (مِمَّا يَتَبَرَّكُ أَصْحَابُهُ وَغَيْرُهُمْ بَعْدَ وَفَاتِهِ) أي: به وحذفه للعلم به كذا للأصيلي من التبرك من

(1) قال الحافظ: الغرض من هذه الترجمة تثبيت أنه ﷺ لم يورث ولا يبع موجوده بل ترك بيد من صار إليه للتبرك، ولو كانت ميراثاً لبيعت وقسمت، ولهذا قال بعد ذلك «مما لم تذكر قسمته» وقوله: «مما تبرك أصحابه» أي: به وحذفه للعلم به كذا للأصيلي ولأبي ذر عن شيخه، شرك بالشين من الشركة وهو ظاهر، وفي رواية الكشميهني مما يتبرك به أصحابه وهو يقوي رواية الأصيلي، وأما قول المهلب إنه إنما ترجم بذلك ليتأسى به ولاية الأمور في اتخاذ هذه الآلات ففيه نظر، وما تقدم أولى وهو الأليق لدخوله في أبواب الخمس، اهـ.

قال العيني: الترجمة مشتملة على تسعة أجزاء: وفي الباب ستة أحاديث:

الأول: في ذكر الخاتم.

والثاني: في النعل.

والثالث: في الكساء الملبد.

والرابع: في القدح.

والخامس: في السيف.

والسادس: في الصدقة التي كان ذكرها في الصحيفة، ولم يذكر به ما يطابق درعه وعصاه

وشعره وأنبته، اه مختصراً.

البركة وفي رواية أبي ذر بالشين المعجمة من الشركة وهو ظاهر وفي رواية الكشميهني مما يتبرك به أصحابه وهو يؤيد رواية الأصيلي.

وَقَالَ المهلب: إنه إنما ترجم بذلك ليتأسى به ولالة الأمور في اتخاذ هذه الآلات وفيه نظر وما تقدم هو الأولى والأليق لدخوله في أبواب الخمس واعلم أن هذه الترجمة مشتملة على تسعة أجزاء وفي الباب ستة أحاديث:

الأول: فيه ذكر الخاتم.

الثاني: فيه ذكر النعل.

الثالث: فيه ذكر الكساء⁽¹⁾.

الرابع: فيه ذكر القدح.

الخامس: فيه ذكر السيف.

السادس: فيه ذكر الصدقة التي كان ذكرها في النفقة ولم يذكر ما يطابق درعه ولا ما يطابق عصاه ولا ما يطابق شعره ولا ما يطابق آتيته أما الدرع فلعله أراد أن يكتب حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنه ﷺ توفي ودرعه مرهونة فلم يتفق

⁼ ثم ذكر العيني الروايات الدالة على ذلك، وقال الحافظ: ذكر في الباب أحاديث ليس فيه مما ترجم به إلا الخاتم والنعل والسيف، وذكره فيه الكساء والإزار ولم يصرح بهما في الترجمة، فما ذكره في الترجمة ولم يخرج حديثه في الباب الدرع، ولعله أراد أن يكتب فيها حديث عائشة أنه ﷺ توفي ودرعه مرهونة فلم يتفق ذلك وقد سبق في البيوع، ومن ذلك العصا لم يقع لها ذكر في أحاديث الباب، ولعله أراد أن يكتب حديث ابن عباس أنه ﷺ كان يستلم الركن بمحجن وقد مضى في الحج، سيأتي في حديث علي في تفسير سورة «والليل» ذكر المخصصة أنه ﷺ جعل ينكت بها الأرض، وكان فضيبه ﷺ من شوحط وكانت عند الخلفاء بعده حتى كسرهما جهجاه الغفاري في زمن عثمان، ومن ذلك الشعر ولعله أراد أن يكتب حديث أنس الماضي في الطهارة في قول ابن سيرين: عندنا شعر من شعر النبي ﷺ صار إلينا من قبل أنس، وأما قوله: «وآتيته» بعد ذكر القدح فمن عطف العام على الخاص، ولم يذكر في الباب من الأنبة سوى القدح وفيه كفاية لأنه يدل على ما عدها، وأما الأحاديث التي أوردها في الباب فالأول منها حديث أنس في الخاتم والغرض منه قوله إن أبا بكر ختم الكتاب بخاتم النبي ﷺ فإنه مطابق لقوله في الترجمة وما استعمل الخلفاء من ذلك، وسيأتي في اللباس فيه من الزيادة أنه كان في يد أبي بكر وفي يد عمر من بعده وأنه سقط من يد عثمان، اهـ.

(1) والإزار ولم يصرح بهما في الترجمة.

3106 - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ ثُمَامَةَ، عَنْ أَنَسٍ: «أَنَّ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا اسْتُخْلِفَ بَعَثَهُ إِلَى الْبَحْرَيْنِ.....

له ذلك وقد سبق في البيوع والرهن وقد ذكر في كتاب الجهاد أيضًا في باب ما قيل في درع النَّبِيِّ ﷺ وأما العصا فلعله أراد أن يكتب حديث ابن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كان يستلم الركن بمحجن .

وقد مضى في الحج وقد ذكروا أنه كانت له مخصرة تسمى العرجون وهي كالقضيبي يستعملها الأشراف للتشاغل بها في أيديهم ويحكون بها ما بعد من البدن وكان له قضيبي من شوحط يسمّى الممشوق وكان له عسيب من جريد النخل وأما الشعر فلعله أراد أن يكتب فيه حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الماضي في الطهارة في قول ابن سيرين عندنا شعر من شعر النَّبِيِّ ﷺ صار إليه من قبل أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وفي صحيح مسلم أَنَّ الْحَلَّاقَ لما حلق النَّبِيَّ ﷺ بمنى كان يعطيه الناس .

وفي رواية أحمد عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَالْحَلَّاقَ يحلقه وقد أطاف به أصحابه ما يريدون أن يقع شعرة إلّا في يد رجل وأما أَنَيْتُهُ ﷺ فكثيرة ذكرها أصحاب السير منها قدر من حجارة تدعى المخضب يتوضأ فيه ومخضب آخر من شتّة يكون فيه الحناء والكتم يضع على رأسه إذا وجد فيه حرًا وكان له مغسل من صفر وكانت له ركوة تسمّى الصادرة وكان له طشت من نحاس وقدر من زجاج وكانت له جفنة عظيمة يطعم فيها الناس يحملها أربعة تسمّى العراء ولم يذكر في الباب من الآنية سوى القدح وفيه كفاية لأنه يدل على ما عداه.

(حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيُّ) هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُثَنَّى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَنَسٍ بْنِ مَالِكٍ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيُّ الْبَصْرِيُّ، (قَالَ: حَدَّثَنِي) بِالْإِفْرَادِ (أَبِي) هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُثَنَّى، (عَنْ ثُمَامَةَ) بضم المثناة وبالميمين بينهما ألف هو ابن عبد الله بن أنس قاضي البصرة سمع جده أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (عَنْ أَنَسٍ) أَي: ابن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (أَنَّ أَبَا بَكْرٍ) الصديق (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا اسْتُخْلِفَ) على البناء للمفعول (بَعَثَهُ إِلَى الْبَحْرَيْنِ) على تشية البحر بلد مشهور بين البصرة وعمان صالح أهله رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وأمر

وَكَتَبَ لَهُ هَذَا الْكِتَابَ وَخَتَمَهُ، وَكَانَ نَقَشُ الْخَاتَمِ ثَلَاثَةَ أَسْطُرٍ مُحَمَّدٌ سَطْرٌ، وَرَسُولٌ سَطْرٌ، وَاللَّهُ سَطْرٌ.

3107 - حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَسَدِيُّ، حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ طَهْمَانَ، قَالَ: أَخْرَجَ إِلَيْنَا أَنَسُ «نَعْلَيْنِ جَرْدَاوَيْنِ لَهُمَا قَبَالَانِ»،

عليهم العلاء بن الحضرمي وفي قوله بعثه التفات والأصل بعثني.

(وَكَتَبَ لَهُ هَذَا الْكِتَابَ وَخَتَمَهُ) بِخَاتَمِ النَّبِيِّ ﷺ والمراد بالكتاب كتاب فريضة الصدقة وصورة المکتوب تقدمت في كتاب الزكاة في باب زكاة الغنم ولشهرته فيما بينهم أطلق وأشار إليه بهذا الكتاب.

(وَكَانَ نَقَشُ الْخَاتَمِ ثَلَاثَةَ أَسْطُرٍ مُحَمَّدٌ سَطْرٌ، وَرَسُولٌ سَطْرٌ، وَاللَّهُ سَطْرٌ) ومطابقته للترجمة في قوله وختمه بخاتم النبي ﷺ فإنه مطابق لقوله في الترجمة وما استعمل الخلفاء بعده من ذلك وسيأتي في اللباس فيه من الزيادة أنه كان في يد أبي بكر وفي يد عمر بعده وأنه سقط من يد عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

وَأَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ عَنْ مُحَمَّدَ بْنِ بَشَارٍ وَمُحَمَّدَ بْنِ يَحْيَى نَحْوَ رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ غَيْرَ أَنَّ فِي رِوَايَةِ مُحَمَّدَ بْنِ يَحْيَى لَمْ يَقُلْ ثَلَاثَةَ أَسْطُرٍ وَرَوَى ابْنُ عَدِي فِي الْكَامِلِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَرَادَ أَنْ يَكْتُبَ إِلَى الْعَجَمِ كِتَابًا فَذَكَرَ الْحَدِيثَ.

وفيه: فأمر بخاتم آخر يصاغ له من ورق فجعله في أصبعه فأقره جبريل عليه السَّلام وأمر النبي ﷺ أن ينقش عليه مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ.

(حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ) قَالَ: (حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَسَدِيُّ) أَبُو أَحْمَدَ الزَّيْبَرِيُّ قَالَ: (حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ طَهْمَانَ، قَالَ: أَخْرَجَ إِلَيْنَا أَنَسُ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (نَعْلَيْنِ جَرْدَاوَيْنِ) بالجيم تشية جرداء مؤنث الأجرد أي: الخَلْقُ بحيث صار مجردا عن الشعر ويقال: معناه لا شعر عليهما لأنهما خلقان وهو بالواو ولا غير نحو الحمراوين ويروى: جرداوتين وهو مشكل إلا أن يقال التاء زائدة للمبالغة.

(لَهُمَا قَبَالَانِ) بكسر القاف تشية قبال وهو ما يشد به الشسع.

وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ: هُوَ الزَّمَامُ الَّذِي يَكُونُ بَيْنَ الْأَصْبَعِ الْوَسْطَى وَالتِّي تَلِيهَا.

فَحَدَّثَنِي ثَابِتُ الْبُنَانِيُّ بَعْدَ عَنْ أَنَسٍ أَنَّهُمَا «نَعَلَا النَّبِيَّ ﷺ».

3108 - حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ، حَدَّثَنَا أَيُّوبُ، عَنْ حُمَيْدِ ابْنِ هِلَالٍ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، قَالَ: «أَخْرَجَتْ إِلَيْنَا عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كِسَاءً مُلَبَّدًا، وَقَالَتْ: فِي هَذَا نَزْعُ رُوحِ النَّبِيِّ ﷺ»، وَزَادَ سُلَيْمَانُ، عَنْ حُمَيْدٍ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، قَالَ: أَخْرَجَتْ إِلَيْنَا عَائِشَةُ:

(فَحَدَّثَنِي ثَابِتُ الْبُنَانِيُّ بَعْدَ) بِالضَّم أَي: بَعْدَ أَنْ كَانَ أَنَسٌ أَخْرَجَ إِلَيْنَا نَعْلَيْنِ.
(عَنْ أَنَسٍ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (أَنَّهُمَا «نَعَلَا النَّبِيَّ ﷺ»)) وَالْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ
الْبُخَارِيُّ فِي اللِّبَاسِ أَيْضًا وَأَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي الشَّمَائِلِ.
ومطابقته للترجمة باعتبار جزئها وهو قوله: ونعله.

(حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ) قَالَ: (حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ) هُوَ ابْنُ الْمُجِيدِ الثَّقَفِيِّ
قَالَ: (حَدَّثَنَا أَيُّوبُ) هُوَ السَّخْتِيَانِيُّ، (عَنْ حُمَيْدِ بْنِ هِلَالٍ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ) هُوَ ابْنُ
أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَاسْمُهُ الْحَارِثُ.
ويقال عامر ويقال: اسمه كنيته.

(قَالَ: أَخْرَجَتْ إِلَيْنَا عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كِسَاءً مُلَبَّدًا) الْكِسَاءُ مَعْرُوفٌ لَكِنْ
الظَّاهِرُ أَنَّهُ لَا يُطْلَقُ إِلَّا عَلَى مَا كَانَ مِنَ الصُّوفِ وَالْمَلَبَّدُ اسْمُ مَفْعُولِ الْمَرْقَعِ يُقَالُ:
لَبَّدْتَ الْقَمِيصَ اللَّبْدَ وَيُقَالُ: لِلخُرْقَةِ الَّتِي يَرْقَعُ بِهَا صَدْرُ الْقَمِيصِ اللَّبْدَةُ وَالَّتِي
يَرْقَعُ بِهَا قُبَّةُ الْقَبِيلَةِ لَبْدَةٌ أَيْضًا قَالَه ابْنُ الْأَثِيرِ قَالَ: وَيُقَالُ الْمَلَبَّدُ الَّذِي تُخَنُّ وَصَفَقَ
حَتَّى صَارَ يَشْبَهُ اللَّبْدَ وَيُقَالُ: الْمَلَبَّدُ الْكِسَاءُ الْغَلِيظُ يَرْكَبُ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ.

وَأَمَّا لِبْسُهُ ﷺ الْمَلَبَّدُ فَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ لِلتَّوَاضُعِ وَتَرْكِ التَّنَعُّمِ وَيَحْتَمِلُ أَنْ
يَكُونَ لِعَدَمِ وَجُودِ مَا هُوَ أَرْفَعُ مِنْهُ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ اتِّفَاقًا لَا عَنْ قَصْدٍ مِنْهُ
بَلْ كَانَ يَلْبَسُ مَا وَجَدَ وَالْوَجْهَ الْأَوَّلَ أَقْرَبَ وَرَوَى أَنَّهُ كَانَ عَلَى مُوسَى عَلَيْهِ
الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَوْمَ كَلَّمَهُ رَبُّهُ جَبَّةً وَسِرَاطِيلَ وَكِسَاءً وَقَلَنْسُوءَ.

(وَقَالَتْ: فِي هَذَا نَزْعُ رُوحِ النَّبِيِّ ﷺ)، وَزَادَ سُلَيْمَانُ) هُوَ ابْنُ الْمَغِيرَةِ أَبُو
سَعِيدٍ الْقَيْسِيُّ الْبَصْرِيُّ أَي: زَادَ سُلَيْمَانُ عَلَى رِوَايَةِ أَيُّوبِ.

(عَنْ حُمَيْدٍ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، قَالَ: أَخْرَجَتْ إِلَيْنَا عَائِشَةُ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

إِزَارًا غَلِيظًا مِمَّا يُصْنَعُ بِالْيَمَنِ، وَكِسَاءٌ مِنْ هَذِهِ النَّبِيِّ يَدْعُونَهَا الْمُلَبَّدَةُ.

3109 - حَدَّثَنَا عَبْدَانُ، عَنْ أَبِي حَمْزَةَ، عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ ابْنِ سِيرِينَ، عَنْ أَنَسٍ

ابْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

(إِزَارًا غَلِيظًا مِمَّا يُصْنَعُ بِالْيَمَنِ، وَكِسَاءٌ مِنْ هَذِهِ النَّبِيِّ يَدْعُونَهَا الْمُلَبَّدَةُ) وأسنده مسلم قَالَ: حَدَّثَنَا شَيْبَانُ بْنُ فَرُّوخَ ثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ الْمُغِيرَةِ حَدَّثَنَا حَمِيدٌ عَنْ أَبِي بُرْدَةَ قَالَ دَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَأَخْرَجَتْ إِلَيْنَا إِزَارًا غَلِيظًا مِمَّا يُصْنَعُ بِالْيَمَنِ وَكِسَاءٌ مِنَ الَّتِي تَسْمُونَهَا الْمَلْبَدَةُ قَالَ فَاقْسَمْتُ بِاللَّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَبِضَ فِي هَذَيْنِ الثَّوْبَيْنِ.

ومطابقة الحديث للترجمة لا يبعد أن تكون لقوله في الترجمة وما استعمل الخلفاء بعده وَأَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي اللِّبَاسِ أَيْضًا وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي اللِّبَاسِ وَكَذَا أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ.

(حَدَّثَنَا عَبْدَانُ) هو لقب عبد الله بن عثمان وقد مرّ غير مرة، (عَنْ أَبِي حَمْزَةَ) بالحاء المهملة والزاي مُحَمَّدُ بْنُ مَيْمُونٍ السَّكْرِيُّ وقد مرّ في باب نفص اليدين في الغسل.

(عَنْ عَاصِمٍ) هو ابن سليمان الأحول، (عَنْ ابْنِ سِيرِينَ) هو مُحَمَّدُ بْنُ سِيرِينَ، (عَنْ أَنَسٍ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) كذا للأكثر.

وفي رواية أبي زيد المروزي بإسقاط ابن سيرين وهو خطأ وقد أَخْرَجَهُ الْبَزَارُ فِي مُسْنَدِهِ عَنِ الْبُخَارِيِّ بِهَذَا الْإِسْنَادِ وَقَالَ: لَا نَعْلَمُ رَوَاهُ عَنْ عَاصِمٍ هَكَذَا إِلَّا أَبَا حَمْزَةَ.

وَقَالَ الدَّارِقُطْنِيُّ: خَالَفَهُ شَرِيكَ فَقَالَ عَنْ عَاصِمٍ عَنْ أَنَسٍ لَمْ يَذْكُرْ ابْنَ سِيرِينَ وَالصَّحِيحُ قَوْلُ أَبِي حَمْزَةَ وَقَدْ رَوَاهُ أَبُو عَوَانَةَ فَفَصَّلَ بَعْضُهُ عَنْ أَنَسٍ وَبَعْضُهُ عَنْ ابْنِ سِيرِينَ عَنْ أَنَسٍ قَالَ الْجَيَانِيُّ وَفِي آخِرِهِ.

وَقَالَ عَاصِمٌ قَالَ ابْنُ سِيرِينَ إِنَّهُ كَانَتْ فِيهِ حَلَقَةٌ مِنْ فِضَّةٍ فَقَالَ لَهُ أَبُو طَلْحَةَ لَا تُغَيِّرَنَّ فِيهِ شَيْئًا صَنَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَتَرَكَهُ قَالَ الْجَيَانِيُّ كَذَا رَوَاهُ أَبُو عَوَانَةَ وَجَوَّدَهُ ذَكَرَ أَوَّلُهُ عَنْ عَاصِمٍ عَنْ أَنَسٍ وَآخِرُهُ عَنْ عَاصِمٍ عَنْ مُحَمَّدٍ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

«أَنَّ قَدَحَ النَّبِيِّ ﷺ انْكَسَرَ، فَاتَّخَذَ مَكَانَ الشَّعْبِ سِلْسِلَةً مِنْ فِضَّةٍ» قَالَ عَاصِمٌ: رَأَيْتُ الْقَدَحَ وَشَرِبْتُ فِيهِ.

3110 - حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْجَرْمِيُّ، حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا أَبِي، أَنَّ الْوَلِيدَ بْنَ كَثِيرٍ، حَدَّثَهُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ حَلْحَلَةَ الدَّوْلِيِّ، حَدَّثَهُ أَنَّ ابْنَ

(أَنَّ قَدَحَ النَّبِيِّ ﷺ انْكَسَرَ، فَاتَّخَذَ⁽¹⁾ مَكَانَ الشَّعْبِ) بفتح المعجمة الصدع والشق وإصلاحه أَيْضًا الشعب (سِلْسِلَةً مِنْ فِضَّةٍ قَالَ عَاصِمٌ) هو الأحوال الراوي: (رَأَيْتُ الْقَدَحَ وَشَرِبْتُ فِيهِ) قَالَ الْبَيْهَقِيُّ: وهو قدح عريض من نضار يقال قدح نضار يتخذ من أثل يكون بالغور وَرْسِي اللون يضاف ولا يضاف كذا قَالَ الْجَوْهَرِيُّ.

وروى أحمد من حديث حجاج بن حسان قَالَ كُنَّا عِنْدَ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَدَعَا بِنَاءً فِيهِ ثَلَاثُ ضَبَابٍ حَدِيدٍ وَحَلَقْتَهُ مِنْ حَدِيدٍ فَأَخْرَجَ مِنْ غُلَافٍ أَسْوَدَ وَهُوَ دُونَ الرِّبْعِ وَفَوْقَ نِصْفِ الرِّبْعِ وَأَمَرَ أَنَسٌ فَجَعَلَ لَنَا فِيهِ مَاءً فَأَتَانَا بِهِ فَشَرَبْنَا وَصَبَبْنَا عَلَى رُؤُوسِنَا وَوُجُوهِنَا وَصَلَبْنَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ. ومطابقته للترجمة من جهة ذكر القدح.

والحديث أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي الْأَشْرَبَةِ أَيْضًا.

(حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْجَرْمِيُّ) بفتح الجيم وإسكان الراء الكوفي قَالَ: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ) أي: ابن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف القرشي الزُّهْرِيُّ يَكْنَى أبا يُوْسُفَ أَصْلُهُ مَدَنِي كَانَ بِالْعِرَاقِ يَرْوِي عَنْ أَبِيهِ إِبْرَاهِيمَ ابْنِ سَعْدٍ حَيْثُ قَالَ: (حَدَّثَنَا أَبِي، أَنَّ الْوَلِيدَ) بفتح الواو (ابْنَ كَثِيرٍ) ضد قليل المخزومي من أهل المدينة (حَدَّثَهُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ حَلْحَلَةَ) بفتح الحاءين المهملتين بينهما لام ساكنة (الدَّوْلِيِّ) بضم الدال وفتح الهمزة وروى بكسر الدال وسكون المثناة التحتية وقد مرَّ في باب سنة الجلوس في التشهد (حَدَّثَهُ أَنَّ ابْنَ

(1) في رواية أبي ذر بضم المثناة على البناء للمفعول وفي رواية غيره بفتحها على البناء للفاعل والضمير للنبي ﷺ أو لأنس وجزم بعض الشراح بالثاني واحتج برواية فجعلت مكان الشعب سلسلة، ولا حجة فيه لاحتمال أن يكون فجعلت بضم الجيم على البناء للمفعول فرجع إلى الاحتمال لإبهام الجاعل.

شِهَابٍ، حَدَّثَهُ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ حُسَيْنٍ، حَدَّثَهُ: أَنَّهُمْ حِينَ قَدِمُوا الْمَدِينَةَ مِنْ عِنْدَ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ مَقْتَلِ حُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، لَقِيَهُ الْمُسَوِّرُ بْنُ مَخْرَمَةَ، فَقَالَ لَهُ: هَلْ لَكَ إِلَيَّ مِنْ حَاجَةٍ تَأْمُرُنِي بِهَا؟ فَقُلْتُ لَهُ: لَا، فَقَالَ لَهُ: فَهَلْ أَنْتَ مُعْطِي سَيْفِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَغْلِبَكَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ، وَإِنَّمَا اللَّهُ لَكُنْ أَعْظِيَّتِيهِ، لَا يُخْلَصُ إِلَيْهِمْ أَبَدًا حَتَّى تُبْلَغَ نَفْسِي، إِنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ خَطَبَ ابْنَةَ أَبِي جَهْلٍ عَلَى فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ، فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَخْطُبُ النَّاسَ

شِهَابٍ) أَنَّهُ (حَدَّثَهُ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ حُسَيْنٍ) أَي: ابْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ زَيْنِ الْعَابِدِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، (حَدَّثَهُ: أَنَّهُمْ حِينَ قَدِمُوا الْمَدِينَةَ) أَي: الْمَدِينَةَ النَّبَوِيَّةَ (مِنْ عِنْدِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ مَقْتَلِ حُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ) وَيُرْوَى مَقْتَلِ حُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بِدُونِ اللَّامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَكَانَ ذَلِكَ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَسِتِينَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ.

(لَقِيَهُ الْمُسَوِّرُ بْنُ مَخْرَمَةَ) بِكَسْرِ الْمِيمِ فِي الْمَسُورِ وَفَتْحِهَا فِي مَخْرَمَةٍ وَلَهُمَا صَحْبَةٌ (فَقَالَ لَهُ: هَلْ لَكَ إِلَيَّ مِنْ حَاجَةٍ تَأْمُرُنِي بِهَا؟ فَقُلْتُ لَهُ: لَا، فَقَالَ لَهُ: فَهَلْ أَنْتَ مُعْطِي) بِضَمِّ الْمِيمِ وَإِسْكَانِ الْعَيْنِ وَكَسْرِ الطَّاءِ وَتَشْدِيدِ الْيَاءِ (سَيْفِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ) أَي: هَلْ أَنْتَ مُعْطِي سَيْفِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِيَّايَ وَكَوْنِ السَّيْفِ عِنْدَ آلِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ أَعْطَاهُ لِعَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي حَيَاتِهِ ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى آلِهِ وَالظَّاهِرُ أَنَّ هَذَا السَّيْفَ هُوَ ذُو الْفَقَارِ لِأَنَّ سَبْطَ ابْنِ الْجَوْزِيِّ ذَكَرَ فِي تَارِيخِهِ وَلَمْ يَزَلْ ذُو الْفَقَارِ عِنْدَهُ ﷺ حَتَّى وَهَبَهُ لِعَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَبْلَ مَوْتِهِ ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى آلِهِ وَكَانَتْ لَهُ عَشْرَةُ أَسْيَافٍ مِنْهَا ذُو الْفَقَارِ تَنْقُلُهُ يَوْمَ بَدْرٍ. (فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَغْلِبَكَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ) أَي: يَأْخُذُونَهُ مِنْكَ بِالْقُوَّةِ وَالِاسْتِيْلَاءِ وَامْرَادِ الْمَسُورِ بْنِ مَخْرَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا صِيَانَةَ سَيْفِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَثَلَا يَأْخُذَهُ مِنْ لَا يَعْرِفُ قَدْرَهُ.

(وَإِنَّمَا اللَّهُ لَكُنْ أَعْظِيَّتِيهِ، لَا يُخْلَصُ) عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ (إِلَيْهِمْ أَبَدًا) أَي: لَا يَصِلُ إِلَيْهِ أَحَدٌ أَبَدًا (حَتَّى تُبْلَغَ) بِصِيغَةِ الْمَجْهُولِ (نَفْسِي) أَي: حَتَّى تَقْبُضَ رَوْحِي. (إِنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هَذَا اسْتِنَافٌ كَلَامٍ فَإِنَّ بِالْكَسْرِ.

(خَطَبَ ابْنَةَ أَبِي جَهْلٍ) وَاسْمُهَا جَوْبَرِيَّةٌ تَصْغِيرُ جَارِيَةٍ بِالْجِيمِ وَقِيلَ: جَمِيلَةٌ بَفَتْحِ الْجِيمِ (عَلَى فَاطِمَةَ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَخْطُبُ النَّاسَ

فِي ذَلِكَ عَلَى مِنْبَرِهِ هَذَا وَأَنَا يَوْمَئِذٍ مُحْتَلِمٌ، فَقَالَ: «إِنَّ فَاطِمَةَ مِنِّي، وَأَنَا أَتَخَوَّفُ أَنْ تُفْتَنَ فِي دِينِهَا»، ثُمَّ ذَكَرَ صَهْرًا لَهُ مِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ، فَأَثْنَى عَلَيْهِ فِي مُصَاهَرَتِهِ إِيَّاهُ، قَالَ: «حَدَّثَنِي، فَصَدَّقَنِي وَوَعَدَنِي فَوَفَّى لِي، وَإِنِّي لَسْتُ أَحْرَمُ حَلَالًا، وَلَا أَحِلُّ حَرَامًا، وَلَكِنْ وَاللَّهِ لَا تَجْتَمِعُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَبِنْتُ عَدُوِّ اللَّهِ أَبَدًا».

فِي ذَلِكَ عَلَى مِنْبَرِهِ هَذَا وَأَنَا يَوْمَئِذٍ مُحْتَلِمٌ، فَقَالَ: «إِنَّ فَاطِمَةَ مِنِّي» أَي: بَضْعَةٌ مِنِّي، (وَأَنَا أَتَخَوَّفُ أَنْ تُفْتَنَ) عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ (فِي دِينِهَا) يَرِيدُ أَنَّهَا لَا تَصْبِرُ بِسَبَبِ الْغِيَرَةِ، (ثُمَّ ذَكَرَ صَهْرًا لَهُ) الصَّهْرُ يَطْلُقُ عَلَى الزَّوْجِ وَعَلَى أَقَارِبِ الْمَرْأَةِ (مِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ، فَوَفَّى عَلَيْهِ فِي مُصَاهَرَتِهِ إِيَّاهُ، قَالَ: حَدَّثَنِي، فَصَدَّقَنِي وَوَعَدَنِي) فَوَقَّانِي وَفِي نَسَخَةٍ: (فَوَفَّى لِي) وَأَرَادَ بِهِ أَبَا الْعَاصِ بْنِ الرَّبِيعِ بْنِ عَبْدِ الْعَزَى بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ كَانَ زَوْجَ زَيْنَبَ بِنْتِ النَّبِيِّ ﷺ وَكَانَ مُنَاصِفًا لَهُ وَمُصَافِيًا وَقَدْ مَرَّتْ قِصَّتُهُ فِي كِتَابِ الشُّرُوطِ.

(وَإِنِّي لَسْتُ أَحْرَمُ حَلَالًا، وَلَا أَحِلُّ حَرَامًا، وَلَكِنْ وَاللَّهِ لَا تَجْتَمِعُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَبِنْتُ عَدُوِّ اللَّهِ أَبَدًا) قَدْ أَعْلَمَ ﷺ بِذَلِكَ بِإِبَاحَةِ نِكَاحِ بِنْتِ أَبِي جَهْلٍ لِعَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَلَكِنْ نَهَى عَنِ الْجَمْعِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ابْنَتَهُ ﷺ لِعَلَّتَيْنِ مَنْصُوصَتَيْنِ:

إِحْدَاهُمَا: أَنْ ذَلِكَ يُؤْذِيهِ فَإِنَّ إِذَاءَ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إِذَاؤُهُ.

وَالْأُخْرَى: خَوْفُ الْفِتْنَةِ عَلَيْهَا بِسَبَبِ الْغِيَرَةِ فَقَالُوا فِي هَذَا الْحَدِيثِ تَحْرِيمَ إِذَاءِ النَّبِيِّ ﷺ بِكُلِّ حَالٍ وَعَلَى كُلِّ وَجْهِ لَأَنَّ تَوْلَدَ ذَلِكَ الْإِذَاءَ مِمَّا كَانَ أَصْلُهُ مَبَاحًا وَهُوَ فِي هَذَا بِخِلَافٍ غَيْرِهِ.

وَقَالَ النَّوَوِيُّ: وَيَحْتَمِلُ أَنْ الْمُرَادَ تَحْرِيمَ جَمْعِهِمَا وَيَكُونُ مَعْنَى لَا أَحْرَمُ حَلَالًا أَي: لَا أَقُولُ شَيْئًا يَخَالِفُ حُكْمَ اللَّهِ فَإِذَا أَحْلَلْتُ شَيْئًا لَمْ أَحْرَمْهُ وَإِذَا حَرَّمْتَهُ لَمْ أَحْلَهُ وَلَمْ أَسْكُتْ عَنْ تَحْرِيمِهِ لِأَنَّ سَكُوتِي تَحْلِيلٌ لَهُ وَيَكُونُ مِنْ جُمْلَةِ مُحَرَّمَاتِ النِّكَاحِ الْجَمْعُ بَيْنَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبَيْنَ بِنْتِ عَدُوِّ اللَّهِ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

وَقَالَ الْكِرْمَانِيُّ: مَنَاسِبَةُ ذِكْرِ الْمَسُورِ لِقِصَّةِ خُطْبَةِ بِنْتِ أَبِي جَهْلٍ عِنْدَ طَلَبِ السِّيفِ مِنْ جِهَةِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَحْتَرِزُ عَمَّا يَوْجِبُ وَقُوعَ التَّكْدِيرِ بَيْنَ الْأَقْرَبَاءِ فَلِذَلِكَ يَنْبَغِي أَنْ تَعْطِيَنِي السِّيفَ حَتَّى لَا يَصِلَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ أَقْرَبَائِكَ كَدَوْرَةِ

3111 - حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سُوْقَةَ، عَنْ مُنْذِرٍ، عَنْ ابْنِ الْحَنْفِيَّةِ، قَالَ: لَوْ كَانَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ذَاكِرًا عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ذَكَرَهُ يَوْمَ جَاءَهُ نَاسٌ فَشَكُّوا سَعَاءَ عُثْمَانَ،

بسببه أو كما أن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كان يراعي جانب بني عمِّه الهاشميين فأنت أيضًا راع جانب بني عمك النوفليين لأن المسور نوفلي كذا قَالَ.

وَقَالَ الْحَافِظُ الْعَسْقَلَانِيُّ: والمسور زهري لا نوفلي أو كما أن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كان يحب رفاهية خاطر فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فأنا أيضًا أحب رفاهية خاطر لكونك ابن ابنها فأعطني السيف حتى أحفظه لك.

وَقَالَ الْحَافِظُ الْعَسْقَلَانِيُّ: وهذا الأخير هو المعتمد وما قبله ظاهر التكلف. ومطابقته للترجمة في قوله سيف رَسُولَ اللَّهِ ﷺ والحديث أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ في الفضائل أيضًا.

(حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ) قَالَ: (حَدَّثَنَا سُفْيَانُ) هو ابن عيينة، (عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سُوْقَةَ) بضم السين المهملة وسكون الواو وفتح القاف أَبُو بكر الغنوي الكوفي ثقة عابد مشهور وقد مرَّ في العيد.

(عَنْ مُنْذِرٍ) بلفظ الفاعل من الإنذار هو ابن يعلى أَبُو يعلى الثوري الكوفي من صغار التابعين.

(عَنْ ابْنِ الْحَنْفِيَّةِ) هو مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا والحنفية أمه واسمها خولة بنت جعفر بن قيس بن مسلمة بن ثعلبة بن يربوع بن ثعلبة بن الدول بن الحنفية وكانت من سبي اليمامة وقد مرَّ في آخر كتاب العلم أنه (قَالَ: لَوْ كَانَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ذَاكِرًا عُثْمَانَ) أي: بما لا يليق ولا يحسن زاد الإسماعيلي عن الحسن بن سُفْيَانَ عَنْ قُتَيْبَةَ ذَاكِرًا عُثْمَانَ بسوء وروى ابن أبي شيبه من وجه آخر عن مُحَمَّدِ بْنِ سُوْقَةَ حَدَّثَنِي مَنْذَرٌ قَالَ كُنَّا عِنْدَ ابْنِ الْحَنْفِيَّةِ فَنَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ مِنْ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ مَنْ فَقَلْنَا لَهُ أَكَانَ أَبُوكَ يَسُبُّ عُثْمَانَ فَقَالَ لَوْ كَانَ ذَاكِرًا.

(ذَكَرَهُ يَوْمَ جَاءَهُ نَاسٌ فَشَكُّوا سَعَاءَ عُثْمَانَ) السعاة جمع ساع وهو العامل في الزكاة يسعى في استخراجها ممَّن تجب عليه، ويحملها إلى الإمام قال الحافظ العسقلاني: لم أقف على تعيين الشاكي ولا المشكو.

فَقَالَ لِي عَلِيٌّ: «اذْهَبْ إِلَى عُثْمَانَ فَأَخْبِرْهُ: أَنَّهَا صَدَقَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»، فَمَرُّ سَعَاتِكَ يَعْمَلُونَ فِيهَا، فَأَتَيْتُهُ بِهَا، فَقَالَ: أَغْنَيْهَا عَنَّا، فَأَتَيْتُ بِهَا عَلِيًّا، فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: «ضَعَهَا حَيْثُ أَخَذْتَهَا»⁽¹⁾.

(فَقَالَ لِي عَلِيٌّ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (اذْهَبْ إِلَى عُثْمَانَ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (فَأَخْبِرْهُ) بصيغة الأمر: (أَنَّهَا صَدَقَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ) يعني أن عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أرسل إلى عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صحيفة فيها بيان أحكام الصدقات وَقَالَ أَخْبِرْهُ أَنَّهَا صَدَقَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وقد بين ذلك في الرواية الآتية حيث قَالَ فِيهَا: خذ هذا الكتاب فاذهب به إلى عثمان فَإِنَّ فِيهِ أَمْرَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الصَّدَقَةِ.

(فَمَرُّ سَعَاتِكَ يَعْمَلُونَ بِهَا) أي: بهذه الصحيفة ويروى يعملون فيها أي: بما فيها، (فَأَتَيْتُهُ بِهَا، فَقَالَ: أَغْنَيْهَا) بفتح الهمزة وسكون الغين المعجمة وكسر النون أي: اصرفها (عَنَّا) تقول أغن وجهك عني أي: اصرفه ومثله قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عَبَسَ: 37] أي: يصده ويصرفه عن غيره وقيل: كَفَّهَا عَنْهَا، وقال الخطابي: هو كلمة معناها الترك والإعراض.

وَقَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ: ومنه قوله تعالى: ﴿وَتَوَلَّوْا وَاسْتَعْنَى اللَّهُ﴾ [التغابن: 6] المعنى تركهم لأن كل من استغنى عن شيء تركه وهو من الثلاثي من قولهم غنى فلان عن كذا فهو غان مثل علم فهو عالم.

وَقَالَ الدَّوْدِيُّ: يحتمل أن يكون عنده علم من ذلك وأنه أمر به يعني أنه كان علم ذلك عند عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فاستغنى عن النظر في الصحيفة وَقَالَ الْحُمَيْدِيُّ فِي الْجَمْعِ قَالَ بَعْضُ الرُّوَاةِ عَنْ ابْنِ عِيْنَةَ: لم يجد بدءًا حين كان عنده علم منه أن ينهائه ويرى أَنَّ عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إنما رَدَّهُ لَأَن عَنْده علمًا من ذلك فاستغنى عنه.

وَقَالَ ابْنُ بَطَالٍ: كان عنده نظير منها ولم يجهلها لا أَنَّهُ رَدَّهَا ولا يبعد ذلك لأنه لا يجوز على عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ غير هذا.

(فَأَتَيْتُ بِهَا عَلِيًّا) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: «ضَعَهَا حَيْثُ أَخَذْتَهَا»)

وأما فعل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في صدقة النَّبِيِّ ﷺ فرواه الطبراني عن ابن حميد ثنا

(1) قال الحافظ قوله: «أغنها» بهمزة مفتوحة ومعجمة ساكنة وكسر النون أي: اصرفها، تقول: =

3112 - قَالَ الْحَمِيدِيُّ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سُوْقَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ

مُنْذِرًا الثَّوْرِيَّ، عَنِ ابْنِ الْحَنْفِيَّةِ، قَالَ: أَرْسَلَنِي أَبِي:

جرير عن مغيرة قَالَ لما ولي عمر بن عبد العزيز جمع بني أمية فَقَالَ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كانت له فذلك فكان يأكل منها وينفق ويعود على فقراء بني هاشم ويزوج منهما أيهم وأنَّ فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا سألته أن يجعلها لها فأبى فكانت كذلك في حياة رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حتى مضى لسبيله ثم ولي عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فعمل فيها مثل ذلك ثم ولي عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فأقطعها مروان فجعل مروان ثلثها لعبد الملك وثلثها لعبد العزيز فجعل عبد الملك ثلثه ثلثا للوليد وثلثه لسليمان وجعل عبد العزيز ثلثه لي ثم ولي مروان فجعل ثلثه لي فلم يكن لي مال أعود ولا أشد لحاجتي منها ثم وليت أنا فرأيت أَنَّ أَمْرًا منعه رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فاطمة ابنته أنه ليس لي بحق وأنا أشهدكم أَنِّي قد رددتها على ما كانت عليه في عهد رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

هذا ويستفاد من الحديث بذل النصيحة للأمرء وكشف أحوال من يقع منه الفساد من أتباعهم وللإمام التنقيب عن ذلك ويحتمل أن يكون عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يثبت عنده ما طعن به على سعاته أو ثبت عنده وكان التدبير يقتضي تأخير الإنكار ولذلك عذره علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ولم يذكره بسوء.

ومطابقة الحديث للترجمة تؤخذ من قوله فأخبره أنها صدقة رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وقد أراد بها الصحيفة التي كانت فيها أحكام الصدقات ويكون هذا مطابقاً لقوله في الترجمة وما استعمل الخلفاء بعده.

(قَالَ الْحَمِيدِيُّ) هو عَبْدُ اللَّهِ بن الزبير بن عيسى ونسبته إلى أحد أجداده حميد وهو من مشايخ البخاري، (حَدَّثَنَا سُفْيَانُ) هو ابن عيينة قَالَ: (حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ ابْنُ سُوْقَةَ قَالَ: سَمِعْتُ مُنْذِرًا الثَّوْرِيَّ، عَنِ ابْنِ الْحَنْفِيَّةِ) أنه قَالَ: أَرْسَلَنِي أَبِي:

«أغن وجهك عني» أي: اصرفه، ومثله قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ آتٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَأْنٌ يَتَّبِعُهُ﴾ [عبس: 37] أي: يصرفه عن غيره، ويقال «اغنها عنا» بألف وصل من الثلاثي وهي كلمة معناها الترك والإعراض، ومنه «واستغنى لله» أي: تركهم لله لأن كل من استغنى عن شيء تركه، وفي رواية ابن أبي شيبة لا حاجة لنا فيه، وقيل: كان علم ذلك عند عثمان فاستغنى عن النظر في الصحيفة، وقال الحميدي في الجمع: قال بعض الرواة عن ابن عيينة: لم يجد علي بدا حين كان عنده علم منه أن ينbeh إليه، ونرى أن عثمان إنما رده لأن عنده علماً من ذلك فاستغنى عنه، اهـ.

خُذْ هَذَا الْكِتَابَ، فَادْهَبْ بِهِ إِلَى عُثْمَانَ، فَإِنَّ فِيهِ أَمْرَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الصَّدَقَةِ.

6 - بَاب الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ الْخُمْسَ لِنَوَائِبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالْمَسَاكِينِ وَإِثَارِ النَّبِيِّ ﷺ أَهْلَ الصُّفَّةِ وَالْأَرَامِلَ، حِينَ سَأَلَتْهُ فَاطِمَةُ، وَشَكَتْ إِلَيْهِ الطَّحْنَ وَالرَّحَى: أَنَّ يُخْدِمَهَا مِنَ السَّبْيِ، فَوَكَّلَهَا إِلَى اللَّهِ⁽¹⁾

خُذْ هَذَا الْكِتَابَ) أَي: قَائِلًا لِي ذَلِكَ.

(فَادْهَبْ بِهِ إِلَى عُثْمَانَ، فَإِنَّ فِيهِ أَمْرَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الصَّدَقَةِ) وَيُرْوَى: بِالصَّدَقَةِ.

6 - بَاب الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ الْخُمْسَ لِنَوَائِبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالْمَسَاكِينِ وَإِثَارِ النَّبِيِّ ﷺ أَهْلَ الصُّفَّةِ وَالْأَرَامِلَ، حِينَ سَأَلَتْهُ فَاطِمَةُ، وَشَكَتْ إِلَيْهِ الطَّحْنَ وَالرَّحَى: أَنَّ يُخْدِمَهَا مِنَ السَّبْيِ، فَوَكَّلَهَا إِلَى اللَّهِ

(بَاب الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ الْخُمْسَ) مِنَ الْمَغْنَمِ (لِنَوَائِبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ) جَمْع نَائِبَةٍ وَهِيَ مَا كَانَ تَنْوِبُهُ أَي: تَنْزِلُ بِهِ مِنَ الْمَهْمَاتِ وَالْحَوَادِثِ (وَالْمَسَاكِينِ) أَي: وَلِأَجْلِ الْمَسَاكِينِ (وَإِثَارِ النَّبِيِّ ﷺ) أَي: وَلِأَجْلِ اخْتِيَارِهِ ﷺ (أَهْلَ الصُّفَّةِ) بِالنَّصَبِ عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولُ الْمَصْدَرِ الْمُضَافِ إِلَى فَاعِلِهِ وَهُمْ الْفُقَرَاءُ وَالْمَسَاكِينُ الَّذِينَ كَانُوا يَسْكُنُونَ صِفَةَ مَسْجِدِ النَّبِيِّ ﷺ، (وَالْأَرَامِلَ) بِالنَّصَبِ عَطْفًا عَلَى أَهْلِ الصُّفَّةِ وَهُوَ جَمْعُ الْأَرْمَلِ وَالْأَرْمَلُ الرَّجُلُ الَّذِي لَا امْرَأَةَ لَهُ وَالْأَرْمَلَةُ الَّتِي لَا زَوْجَ لَهَا وَالْأَرَامِلُ الْمَسَاكِينُ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ.

(حِينَ) ظَرَفَ لِلإِثَارِ (سَأَلَتْهُ فَاطِمَةُ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (وَشَكَتْ إِلَيْهِ الطَّحْنَ) أَي: مَا كَانَتْ تَقَاسِيهِ مِنْ طَحْنِ الشَّعِيرِ وَفِي رِوَايَةِ الْكَشْمِيهَنِيِّ: وَالطَّحِينَ (وَالرَّحَى) أَي: وَمِنْ مَزَاوِلَةِ الرَّحَى (أَنَّ يُخْدِمَهَا) بَفَتْحِ هَمْزَةٍ أَنَّ لِأَنَّهُ مَفْعُولُ ثَانٍ لِقَوْلِهِ سَأَلَتْهُ وَيُخْدِمُهَا بِضَمِّ الْيَاءِ مِنَ الْإِخْدَامِ أَي: يُعْطِي لَهَا خَادِمًا (مِنَ السَّبْيِ) الَّذِي حَضَرَ عِنْدَهُ عَلَى مَا سَيَجِيءُ بَيَانُهُ فِي حَدِيثِ الْبَابِ. (فَوَكَّلَهَا) أَي: فَوَّضَ أَمْرَهَا (إِلَى اللَّهِ) تَعَالَى.

(1) قَالَ الْعَيْنِيُّ: أَي هَذَا بَابُ فِي بَيَانِ الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ الْخُمْسَ لِنَوَائِبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْخ، وَقَوْلُهُ:

«وَإِثَارِ النَّبِيِّ ﷺ» أَي: وَلِأَجْلِ إِثَارِهِ، وَقَوْلُهُ: «حِينَ سَأَلَتْهُ» ظَرَفَ لِلإِثَارِ، اهـ.

وقال السندي: الظاهر أن الدليل مبتدأ، خبره قوله «حين سأله» بتقدير ما فعله حين سأله فإنه حين ذلك ما أعطاها بل وكلها إلى الله، فهذا دليل على أن الخمس له أن يصرفه في أي مصرف من مصارف الخمس ولا يلزم إعطاء المصارف الخمس كلها بل له أن يعطي بعضها، انتهى مختصراً.

قال صاحب الفيض: «باب الدليل على أن الخمس إلخ» اعلم أن أربعة أخماس الغنيمة للغانمين بالاتفاق، بقي الخمس فقد تكفل الله ببيان مستحقه وذكرهم في ستة، فخرجها الحنفية على أن ذكر الله لمجرد التبرك، بقي رسوله فسقط سهمه بعد وفاته، وأما ذو قرابته فإنما يعطون من أجل الفقر، وكونهم من أقربائه ﷺ بمعتبر في باب الإعطاء فيقدمون فقراء ذوي القرابة على غيرهم، وإذن لم يبق من الستة إلا ثلاثة وذهب مالك إلى أنهم ليسوا بمستحقين ولكنهم مصارف فيصرف الإمام من ولايته كيف شاء وكما شاء، ولعل المصنف رجح مذهب مالك واختار أن قسمة الخمس إلى الإمام يقسمه كيف شاء، وترجم لذلك أربع تراجم: الأولى هذه وأخرج تحتها حديث شكاية فاطمة، واستدل منه على أن ذوي القرابة لو كانوا مستحقين لكان أعطاها النبي ﷺ، والثانية في هذه الصفحة «باب قول الله: ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ حُمُسَهُ، وَلِلرَّسُولِ﴾ [الأنفال: 41] ثم فسره بقوله يعني للرسول قسم ذلك، فجعل القسمة إليه يقسمه كيف يشاء، والثالثة ما ترجم به على صفحة 442 [من طبع الهند] «باب من قال ومن الدليل على أن الخمس لنواب المسلمين إلخ» حيث جعله في النوايب ولم يخصه بصنف دون صنف، واستدل عليه بأن النبي ﷺ أعطى الأنصاري وجابراً من تمر خير مع أنهما لم يكونا من ذوي القرابة، والرابعة ما ترجم به على صفحة 443 [من طبع الهند] «باب ومن الدليل على أن الخمس للإمام إلخ» فهذه التراجم كلها كما ترى قريبة المعاني ومرماها واحد وهو الموافقة لمذهب مالك، انتهى مختصراً.

قال صاحب الجمل في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ حُمُسَهُ﴾ الآية، أضيف الخمس لهؤلاء الستة وظاهرها أنه يقسم ستة أقسام وبه قال أبو العالية فقال: إن الذي لله يصرف إلى الكعبة لما روي أنه ﷺ كان يأخذ منه قبضة فيجعلها للكعبة ثم يقسم ما بقي على خمسة أقسام، وقيل سهم الله لبيت المال، وقيل مضموم إلى سهم الرسول، والجمهور على أن ذكر الله للتعظيم وأن المراد قسم الخمس على الخمسة المعطوفين، فكانه قيل: «فإن خمسة لله» بمعنى أنه أمر بقسمته على هؤلاء الخمسة المعطوفين، انتهى ملخصاً من البيضاوي. وفيه أيضاً: وبعد وفاة النبي ﷺ يصرف خمس الخمس الذي كان له إلى مصالح المسلمين وهذا مذهب الشافعي، وقال مالك: الرأي فيه إلى الإمام، وقال أبو حنيفة: سقط سهمه وسهم ذوي القربى بوفاته ﷺ وصار الكل مصروفاً إلى الثلاثة الباقية، اهـ.

وقال الموفق: الغنيمة مخموسة ولا اختلاف في هذا بين أهل العلم وقد نطق به القرآن، والخمس يقسم على خمسة أسهم وبهذا قال جماعة منهم النخعي والشافعي وغيرهما، وقيل يقسم على ستة سهم لله وهو مردود على عباد الله أهل الحاجة، وقال أبو العالية للكعبة: «ثم =

3113 - حَدَّثَنَا بَدَلُ بْنُ الْمُحَبَّرِ، أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ، قَالَ: أَخْبَرَنِي الْحَكَمُ، قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ أَبِي لَيْلَى، حَدَّثَنَا عَلِيُّ، أَنَّ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ اشْتَكَتْ مَا تَلْقَى مِنَ الرَّحَى مِمَّا تَطْحَنُ، فَبَلَغَهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أُتِيَ بِسَبِيٍّ،

(حَدَّثَنَا بَدَلٌ) بفتح الموحدة والدال المهملة وباللام (ابْنُ الْمُحَبَّرِ) بضم الميم وفتح الحاء المهملة وتشديد الموحدة المفتوحة وقد مرَّ في الصلاة قَالَ: (أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ) أي: ابن الحجاج، (قَالَ: أَخْبَرَنِي) بالإفراد (الْحَكَمُ) بفتح الحاء هو ابن عتيبة مصغر العتبة، (قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ أَبِي لَيْلَى) هو عبد الرحمن بن أبي ليلى وَقَالَ ابن الأثير في الجامع إذا أطلق المحدثون ابن أبي ليلى يعنون عبد الرحمن ابن أبي ليلى وإذا أطلقه الفقهاء يريدون ابنه مُحَمَّد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى. قَالَ: (حَدَّثَنَا عَلِيُّ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (أَنَّ فَاطِمَةَ) ابنة رَسُولِ اللَّهِ ﷺ (اشْتَكَتْ مَا تَلْقَى مِنَ الرَّحَى مِمَّا تَطْحَنُ) وفي رواية مسلم: ما تلقى من الرحى في يدها. (فَبَلَغَهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أُتِيَ) على البناء للمفعول (بِسَبِيٍّ) السبي النهب

يقسم البقية على خمسة أسهم»، وروي عن الحسن وقتادة في سهم ذوي القربى: كانت طعمة لرسول الله ﷺ في حياته فلما توفي حمل عليه أبو بكر وعمر في سبيل الله، وروى ابن عباس أن أبا بكر وعمر قسما الخمس على ثلاثة أسهم ونحوه، حكى عن الحسن بن محمد بن الحنفية وهو قول أصحاب الرأي، قالوا: يقسم الخمس على ثلاثة: اليتامى والمساكين وابن السبيل، وأسقطوا سهم رسول الله ﷺ بموته وسهم قرابته أيضاً، وقال مالك: الفيء والخمس واحد يجعلان في بيت المال، وقال ابن القاسم: وبلغني عن أنث أن مالكا قال: يعطي الإمام أقرباء رسول الله ﷺ على ما يرى، وقال الثوري والحسن يضعه الإمام حيث أراه الله عز وجل، انتهى مختصراً.

وقال الرازي في تفسيره المشهور: إن ذلك الخمس يخمس، فسهم لرسول الله ﷺ، وسهم لذوي قرباه من بني هاشم وبني المطلب دون بني عبد شمس وبني نوفل لحديث عثمان وجبير ابن مطعم، وقوله ﷺ فيه: «إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد» وثلاثة أسهم لليتامى والمساكين وابن السبيل، وأما بعد وفاته ﷺ فعند الشافعي رحمه الله أنه يقسم على خمسة أسهم: سهم للرسول يصرف إلى ما كان يصرفه إليه من مصالح المسلمين كعدة الغزاة، وسهم لذوي القربى من أغنيائهم وفقرائهم يقسم بينهم ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ لِلْأُنثَى﴾ [النساء: 11]، وقال أبو حنيفة رحمه الله: «إن سهمه ﷺ سقط بموته وكذلك سهم ذوي القربى وإنما يعطون لفقرهم فهم أسوة للفقراء، ولا يعطى أغنيائهم فيقسم على ثلاثة أسهم» وقال مالك: القسمة في الخمس على رأي الإمام إن رأى قسمته على هؤلاء فعل، وإن رأى إعطاء بعضهم دون بعض فله ذلك، انتهى مختصراً.

فَأَتَتْهُ تَسْأَلُهُ خَادِمًا، فَلَمْ تُوَافِقْهُ، فَذَكَرَتْ لِعَائِشَةَ، فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ، فَذَكَرَتْ ذَلِكَ عَائِشَةُ لَهُ، فَأَتَانَا، وَقَدْ دَخَلْنَا مَضَاجِعَنَا، فَذَهَبْنَا لِنَقُومَ، فَقَالَ: «عَلَى مَكَانِكُمَا» حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ قَدَمَيْهِ عَلَى صَدْرِي،

وأخذ الناس عبيدًا أو إماء، (فَأَتَتْهُ تَسْأَلُهُ خَادِمًا) هو يطلق على العبد والجارية، (فَلَمْ تُوَافِقْهُ) أي: لم تصادفه ولم تجتمع به وفي رواية مسلم: فلم تجده (فَذَكَرَتْ لِعَائِشَةَ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وفي رواية مسلم: ولقيت عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فأخبرتها.

(فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ، فَذَكَرَتْ ذَلِكَ عَائِشَةُ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (لَهُ) ﷺ وفي رواية مسلم فلما جاء النَّبِيُّ ﷺ أخبرته عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بمجيء فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إليها.

(فَأَتَانَا) أي: النَّبِيُّ ﷺ، (وَقَدْ دَخَلْنَا مَضَاجِعَنَا، فَذَهَبْنَا لِنَقُومَ) أي: لأن نقوم.

وفي رواية مسلم: فذهبنا نقوم، (فَقَالَ) ﷺ: «عَلَى مَكَانِكُمَا» أي: لا تفارقا مكانكما والزماه.

وفي رواية مسلم على مكانكم فقعد بيننا (حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ قَدَمَيْهِ عَلَى صَدْرِي) كلمة حتى غاية لمقدّر تقديره فدخل هو في مضجعنا ولظهوره ترك. وفي لفظ: وكانت ليلة باردة وقد دخلت هي وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في اللحف فأراد أن يلبس الثياب وكان ذلك ليلاً.

وفي لفظ: جاء من عند رأسها وأنها أدخلت رأسها في اللحف يعني اللحف حياء من أبيها قَالَ علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ قَدَمِهِ عَلَى صَدْرِي فسَخَّتها.

وروى مسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنْتَ النَّبِيِّ ﷺ تَسْأَلُهُ خَادِمًا وَشَكَتَ الْعَمَلُ فَقَالَ مَا أَلْفَيْتَهُ عِنْدَنَا قَالَ: أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى خَيْرِ الْحَدِيثِ.

وفي علل الدارقطني: أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا هِيَ الَّتِي قَالَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: إِنْ ابْنَتِي فَاطِمَةُ جَاءَتْكَ تَلْتَمِسُكَ الْحَدِيثِ.

هذا وقد تقدم في الهبة من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ أمر فاطمة رضي الله عنها أن ترسل الستر إلى أهل بيت بهم حاجة.

قَالَ إِسْمَاعِيلُ الْقَاضِي: هَذَا الْحَدِيثُ يَعْنِي حَدِيثَ الْبَابِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ لِلْإِمَامِ أَنْ يَقْسِمَ الْخُمْسَ حَيْثُ يَرَى لِأَنَّ الْأَرْبَعَةَ أَخْمَاسَ لِلْغَنَامِ وَالَّذِي يَخْصُّ بِالْإِمَامِ هُوَ الْخُمْسُ وَقَدْ مَنَعَ النَّبِيُّ ﷺ ابْنَتَهُ وَأَعَزَّ النَّاسَ عَلَيْهِ مِنْ أَقَارِبِهِ وَصَرَفَهُ إِلَى غَيْرِهِمْ.

وَقَالَ الطَّبْرِيُّ: لَوْ كَانَ سَهْمُ ذَوِي الْقُرْبَى قِسْمًا مَفْرُوضًا لِأَخْدَمِ ابْنَتِهِ وَلَمْ يَكُنْ لِيَدَعَ شَيْئًا اخْتَارَهُ اللَّهُ تَعَالَى لَهَا وَامْتَنَّ بِهِ عَلَى ذَوِي الْقُرْبَى.

وَكَذَا قَالَ الطَّحَاوِيُّ وَزَادَ وَأَنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَخَذَا بِذَلِكَ وَقَسَمَا جَمِيعَ الْخُمْسِ وَلَمْ يَجْعَلَا لَذَوِي الْقُرْبَى مِنْهُ حَقًّا مَخْصُوصًا بَلْ بِحَسَبِ مَا يَرَى الْإِمَامُ وَكَذَلِكَ فَعَلَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَقَالَ الْحَافِظُ الْعَسْقَلَانِيُّ: فِي الْأَسْتِدْلَالِ بِحَدِيثِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هَذَا نَظَرٌ لِأَنَّهُ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ مِنَ الْفِيءِ.

وَأَمَّا خُمْسُ الْخُمْسِ مِنَ الْغَنِيمَةِ فَقَدْ رَوَى أَبُو دَاوُدَ مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِ أَبِي لَيْلَى عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ رَأَيْتُ أَنْ تُؤْتِيَنِي حَقًّا مِنْ هَذَا الْخُمْسِ، الْحَدِيثُ.

وَلَهُ مِنْ وَجْهِ آخَرَ وَلَآنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خُمْسُ الْخُمْسِ فَوَضَعْتُهُ مُوَاضِعَهُ حَيَاتِهِ الْحَدِيثُ فَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ قِصَّةُ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَقَعَتْ قَبْلَ فَرَضِ الْخُمْسِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَقَالَ الْمَهْلَبُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ: أَنَّ لِلْإِمَامِ أَنْ يُوَثِّرَ بَعْضُ مُسْتَحْقِي الْخُمْسِ عَلَى بَعْضٍ وَيُعْطِي الْأُولَى.

وَيَسْتَفَادُ مِنَ الْحَدِيثِ حَمْلُ الْإِنْسَانِ أَهْلَهُ عَلَى مَا يَحْمِلُ عَلَيْهِ نَفْسَهُ مِنَ التَّقَلُّلِ وَالزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا وَالْقَنُوعِ بِمَا أَعَدَّ اللَّهُ لِأَوْلِيَائِهِ الصَّابِرِينَ فِي الْآخِرَةِ.

وَالْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي الْفَضَائِلِ وَالنَّفَقَاتِ وَالِدَعَوَاتِ أَيْضًا وَأَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي الْأَدَبِ.

7 - بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ خُمْسَهُ﴾ [الأنفال: 41]⁽¹⁾

7 - بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ خُمْسَهُ﴾ [الأنفال: 41]

والآية في سورة الأنفال وهي قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ﴾ ما موصولة وقوله: ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ بيان لها أي: الذي أخذتموه من الكفار قهرا مما يقع عليه اسم الشيء حتى الخيط والمخيطة ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ خُمْسَهُ﴾ مبتدأ خبره محذوف تقديره فحق أو فواجب أن لله خمسه وروى الجعفي عن أبي عمرو فإن لله بالكسر وتقوية قراءة النخعي فله خمسه والمشهور أكد وأثبت للإيجاب كأنه قيل فلا بد من ثبات الخمس فيه ولا سبيل إلى الإخلال به والتفريط فيه من حيث إنه إذا حذف الخبر واحتمل غير واحد من المقدرات كقولك ثابت أو واجب أو حق أو لازم وما أشبه ذلك كان أقوى لإيجابه من النص على واحد وقرئ خمسه بالسكون ﴿وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ والغنيمة هي المال المأخوذ من الكفار بإيجاف الخيل والركاب والفيء ما أخذ منهم بغير ذلك كالأموال التي يصلحون عليها أو يتوقون عنها ولا وارث لهم، والجزية والخراج ونحو لك والجمهور

(1) قال الكاندهلوي: اعلم أن ههنا مسألتين:

إحدهما: أن خمس رسول الله ﷺ هل هو ملك له ﷺ أو مفوض إليه ﷺ قسمته.
والثانية: ماذا يفعل بهذا الخمس الذي لرسول الله ﷺ بعد وفاته، وتقدم الكلام على هذه المسألة الثانية في الباب السابق مبسوطا، وأما المسألة الأولى فهو مقصود البخاري من هذا الباب، قال الحافظ: قوله «وللرسول قسم ذلك» هذا اختيار منه لأحد الأقوال في تفسير هذه الآية، والأكثر على أن اللام في قوله «للرسول» للملك، وأن للرسول خمس الخمس من الغنيمة سواء حضر القتال أو لم يحضر وهل كان يملكه أو لا؟ وجهان للشافعية، ومال البخاري إلى الثاني واستدل له، قال إسماعيل القاضي: لا حجة لمن ادعى أن الخمس يملكه النبي ﷺ بقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ خُمْسَهُ، وَلِلرَّسُولِ﴾ لأنه تعالى قال: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [الأنفال: 1] وانفقوا على أنه قبل فرض الخمس كان يعطي الغنيمة للغانمين بحسب ما يؤدي إليه اجتهاده، فلما فرض الخمس تبين للغانمين أربعة أخماس الغنيمة لا يشاركهم فيها أحد، وإنما خص النبي ﷺ بنسبة الخمس إليه إشارة إلى أنه ليس للغانمين فيه حق بل هو مفوض إلى رأيه وكذا إلى الإمام بعده، وقد تقدم نقل الخلاف فيه في الباب الأول، انتهى مختصرا.
وقال الكرماني: قوله للرسول يعني للرسول ﷺ قسمته لا أن سهما منه له، قال شارح التراجع: مقصود البخاري ترجيح قول من قال إن النبي ﷺ خمس الخمس وإنما كان إليه قسمته فقط، اهـ.

على أن ذكر الله في التعظيم كما في قوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ﴾ [التوبة : 62] والمراد قسم الخمس على الخمسة المعطوفين .

ويحتمل أن يكون ذكره لإيجاب سهم إلى وجه من وجوه القرب وأن يراد بقوله : ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾ أن من حق الخمس أن يكون متقرباً به إليه تعالى لا غير .

ثم خص من وجوه القرب هذه الخمسة تفضيلاً لها على غيرها كقوله : ﴿وَجَبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ﴾ فعلى الاحتمال الأول مذهب الإمامين أبي حنيفة والشافعي وعلى الثاني ما قال أبو العالية أنه يقسم على ستة أسهم : سهم لله تعالى يصرف إلى رتاج الكعبة وعنه كان رسول الله ﷺ يأخذ الخمس فيضرب بيده فيأخذ منه قبضة فيجعلها للكعبة وهو سهم الله ثم يقسم ما بقي على خمسة .

وقيل : إن سهم الله لبيت المال وعلى الثالث مذهب مالك بن أنس وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يقسم على ستة : لله وللرسول سهران وسهم لأقاربه حتى قبض فأجرى أبو بكر رضي الله عنه الخمس على ثلاثة وكذلك روي عن عمر ومن بعده من الخلفاء رضي الله عنهم وروي أن أبا بكر رضي الله عنه منع بني هاشم الخمس وقال : إنما لكم أن يعطى فقيركم ويزوج أيكم ويخدم من لا خادم له منكم فأما الغني منكم فهو بمنزلة ابن سبيل غني لا يعطى من الصدقة شيئاً ولا يتيم موسر وعن زيد بن علي رضي الله عنه كذلك قال ليس لنا أن نبني به قصوراً ولا أن نركب منه البراذين وقيل الخمس كله للقرابة . وعن علي رضي الله عنه أنه قيل له إن الله تعالى قال : ﴿وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ﴾ فقال أيتامنا ومساكيننا وعن الحسن في سهم رسول الله ﷺ أنه لولي الأمر من بعده .

والحاصل : أنهم قد اختلفوا في قسمة الخمس فعند أبي حنيفة رحمه الله أنها كانت في عهد رسول الله ﷺ على خمسة أسهم . سهم لرسول الله ﷺ وسهم لذوي قرباه من بني هاشم وبني عبد المطلب وبني عبد شمس وبني نوفل استحقوه حينئذ بالنصرة والمظاهرة لما روي عن عثمان وجبير بن مطعم رضي الله عنهما أنهما قالوا لرسول الله ﷺ هؤلاء إخوتك بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي

يَعْنِي : لِلرَّسُولِ قَسَمٌ ذَلِكَ

جعلك الله منهم أرايت إخواننا بني المطلب أعطيتهم وحرمتنا وإنما نحن وهم بمنزلة واحدة فَقَالَ ﷺ : «إنهم لم يفارقونا في جاهلية ولا إسلام» إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد وشبك بين أصابعه وثلاثة أسهم لليتامى والمساكين وابن السبيل وأما بعد رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فسهمه ساقط بموته وكذلك سهم ذوي القربى وإنما يُعْطُونَ لفقرهم فهم أسوة سائر الفقراء ولا يعطى أغنياؤهم فيقسم على اليتامى والمساكين وابن السبيل .

وأما عند الشافعي فيقسم على خمسة أسهم : سهم لرسول الله ﷺ يصرف إلى من كان يصرفه إليه من مصالح المسلمين كعدة الغزاة من الكراع والسلاح ونحو ذلك وسهم لذوي القربى من أغنيائهم وفقرائهم يقسم بينهم للذكر مثل حظ الأنثيين والباقي للفرق الثلاث.

وعند مالك بن أنس الأمر فيه مفوض إلى الإمام إن رأى قسمه بين هؤلاء وأن رأى أعطاه بعضهم دون بعض وإن رأى غيرهم أولى وأهم فغيرهم وذو أبو العالية إلى ظاهر الآية فَقَالَ يقسم أسداساً ويصرف سهم الله إلى الكعبة على ما تقدم ثم ذوو القربى بنو هاشم وبنو المطلب لما تقدم آنفاً وقيل بنو هاشم وحدهم وقيل جميع قريش والغني والفقير فيه سواء وقيل هو مخصوص وفقرائهم كسهم ابن السبيل وقيل الخمس كله لهم والمراد باليتامى والمساكين وابن السبيل من كان منهم والعطف للتخصيص وعن الكلبي أن الآية نزلت بيدر .

وَقَالَ الواقدي : كان الخمس في غزوة بني قينقاع بعد بدر بثلاثة أشهر وثلاثة أيام للنصف من شوال على رأس عشرين شهراً من الهجرة .

(يَعْنِي : لِلرَّسُولِ قَسَمٌ ذَلِكَ) هذا تغير من البُخَارِيِّ لقوله تعالى : ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ، وَلِلرَّسُولِ﴾ [الأنفال : 41] يعني للرسول قسمته لا أن سهماً منه له .

وَقَالَ شارح التراجم : مقصود البُخَارِيِّ بترجيح قول من قَالَ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لم يملك خمس الخمس وإنما كان إليه قسمته فقط .

قَالَ الْعَيْنِيُّ : وفي هذا الباب اختلاف للمفسرين فَقَالَ بعضهم : لله نصيب يجعل في الكعبة فعن أبي العالية الرياحي كان رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُوْتَى بالغنيمة

فيقسمها على خمسة يكون أربعة أخماس لمن شهدها ثم يأخذ الخمس فيضرب بيده فيه فيأخذ منه الذي قبض كفه فيجعله للكعبة وهو سهم الله تعالى ثم يقسم ما بقي على خمسة أسهم فيكون سهم للرسول وسهم لذوي القربى وسهم لليتامى وسهم للمساكين وسهم لابن السبيل.

وَقَالَ آخَرُونَ: ذكر الله استفتاح كلام للتبرك وسهم للرسول وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ سَهْمَ اللَّهِ وسهم الرسول واحد وهكذا قَالَ إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ والحسن بن مُحَمَّد بن الحنفية والحسن البصري والشعبي وعطاء بن أبي رباح وقتادة وآخرون أَنَّ سَهْمَ اللَّهِ ورسوله واحد ثم اختلف القائلون بهذا القول فروى عَلِيُّ بن أَبِي طلحة عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ كَانَتِ الْغَنِيمَةُ تَقْسَمُ عَلَى خَمْسَةِ أَقْسَامٍ فَأَرْبَعَةٌ مِنْهَا بَيْنَ مَنْ قَاتَلَ عَلَيْهَا وَخَمْسٌ وَاحِدٌ يَقْسَمُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ، فَرِبَعٌ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ فَمَا كَانَ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ فَهُوَ لِقَرَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَمْ يَأْخُذِ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الْخَمْسِ شَيْئًا.

وروى ابن أبي حاتم من حديث عَبْدِ اللَّهِ بن بريدة في قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ﴾ [الأنفال: 41] قَالَ: الذي لله فلنبيه والذي للرسول فلازواجه، وعن عطاء بن أبي رباح خمس الله ورسوله واحد يصنع فيه ما شاء يعني النَّبِيَّ ﷺ.

وَقَالَ آخَرُونَ: إن الخمس يتصرف فيه الإمام بالمصلحة للمسلمين كما يتصرف في مال الفبي وهذا قول مالك وأكثر السلف وقد اختلف أيضًا في الذي كان يناله له ﷺ من الخمس ماذا يصنع به من بعده فقالت طائفة يكون لمن يلي الأمر من بعده روي ذلك عن أبي بكر وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وقتادة وجماعة وَقَالَ آخَرُونَ يصرف في مصالح المسلمين.

وَقَالَ آخَرُونَ: بل هو مردود على بقية الأصناف ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل واختاره ابن جرير وقيل إِنَّ الخمس جميعه لذوي القربى.

وَقَالَ الْأَعْمَشُ عَنْ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: كان أبو بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يجعلان سهم النَّبِيِّ ﷺ في الكراع والسلاح قلت لإبراهيم ما كان علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول فيه؟ قَالَ كان أشدهم فيه؟ وهذا قول طائفة كثيرة من العلماء وذكر ابن المناصف

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَخَازِنٌ وَاللَّهُ يُعْطِي»⁽¹⁾.

في كتاب الجهاد عن مالك أَنَّ الْفِيءَ والخمس سواء يجعلان في بيت المال ويعطي الإمام أقارب سيدنا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بقدر اجتهاده ولا يعطون من الزكاة لقوله ﷺ: «لا تحل الصدقة لِأَلِ مُحَمَّدٍ وَهُمْ بنو هَاشِمٍ» وَقَالَ في الخمس والفيء: «هو حلال لِلْأَغْنِيَاءِ» ويوقف منه لبيت المال بخلاف الزكاة وَقَالَ عبد الملك الذي واسى الله عز وجل فيه بين الأغنياء والفقراء مال الفيء وما ضارع الفيء ومن ذلك أخماس الغنائم وجزية أهل العنوة وأهل الصلح وخراج الأرض وما صولح عليه أهل الشرك في الهدنة وما أخذ من تجار أهل الحرب إذا خرجوا لتجاراتهم إلى دار الإسلام وما أخذ من أهل ذمتنا إذا اتجروا من بلد إلى بلد وخمس الركاز حيث ما وجد نبدأ في تفريق ذلك على الفقراء والمساكين واليتامى وابن السبيل ثم نساوي بين الناس فيما بقي شريفهم ووضيعهم ومنه يزرق والي المسلمين وقاضيههم ويعطى غازيهم ويسد ثغورهم وتبني مساجدهم وقناطيرهم ويفك أسيرهم وما كان من كافة المصالح التي لا يوضع فيها الصدقات فهذا أعم في المصروف من الصدقات لأنه يجري في الأغنياء والفقراء وفيما يكون مصرف الصدقة وما لا يكون هذا قول مالك وأصحابه ومن ذهب مذهبهم أَنَّ الخمس والفيء مصرفهما واحد وذو الشَّافِعِيِّ وأبو حنيفة وأصحابهما والأوزاعي وأبو ثور وداود وإسحاق والنَّسَائِيُّ وعامة أصحاب الحديث والفقهاء إلى الفرق بين مصرف الفيء والخمس فقالوا الخمس موضوع فيما عينه الله فيه من الأصناف المسمَّين في آية الخمس من سورة الأنفال لا يتعدى به إلى غيرهم ولهم مع ذلك في توجيه قسمه عليهم بعد وفاة سيدنا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خلاف وأما الفيء فهو الذي يرجع النظر في مصرفه إلى الإمام بحسب المصلحة والاجتهاد والله تعالى أعلم.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَخَازِنٌ وَاللَّهُ يُعْطِي» احتج البُخَارِيُّ

(1) يعني بقوله ﷺ: «إِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَخَازِنٌ» قال الحافظ: لم يقع هذا اللفظ في سياق واحد وإنما هو مأخوذ من حديثين، وأما حديث «إِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ» فهو طرف من حديث أبي هريرة الآتي في الباب، وتقدم في العلم من حديث معاوية بلفظ: «وإنما أنا قاسم والله يعطي» في أثناء حديث، أما حديث «إِنَّمَا أَنَا خَازِنٌ وَاللَّهُ يُعْطِي» فهو طرف من حديث معاوية المذكور، ويأتي موصولاً في الاعتصام بهذا اللفظ، اهـ.

3114 - حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ سُلَيْمَانَ، وَمَنْصُورٍ، وَقَتَادَةَ، سَمِعُوا سَالِمَ بْنَ أَبِي الْجَعْدِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: وَلِدَ لِرَجُلٍ مِنَّا مِنَ الْأَنْصَارِ غُلَامٌ، فَأَرَادَ أَنْ يُسَمِّيَهُ مُحَمَّدًا، قَالَ شُعْبَةُ فِي حَدِيثٍ مَنْصُورٍ: إِنَّ الْأَنْصَارِيَّ قَالَ: حَمَلْتُهُ عَلَى عُنُقِي، فَأَتَيْتُ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ،

بهذا التعليق على ما ذهب إليه من الرد على من جعل لرسول الله ﷺ خمس الخمس ملكا وأسند أبو داود هذا التعليق في حديث عبد الرزاق عن مَعْمَرٍ عَنْ هَمَامٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بلفظ إن أنا إلّا خازن أضع حيث أمرت وقالَ الْحَافِظُ الْعَسْقَلَانِيُّ لم يقع هذا اللفظ في سياق واحد وإنما هو مأخوذ من حديثين أما حديث إنما أنا قاسم فهو طرف من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المذكور في الباب. وتقدم في العلم من حديث معاوية بلفظ وإنما أنا قاسم والله يعطي في أثناء حديث وأما حديث إنما أنا خازن والله يعطي فهو طرف من حديث معاوية المذكور ويأتي موصولاً في الاعتصام بهذا اللفظ.

(حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ) هشام بن عبد الملك الطيالسي قَالَ: (حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ سُلَيْمَانَ) هو الأعمش، (وَمَنْصُورٍ) وهو ابن المعتمر، (وَقَتَادَةَ) أنهم سمعوا (سَمِعُوا سَالِمَ بْنَ أَبِي الْجَعْدِ) بفتح الجيم وسكون المهملة الأولى، (عَنْ جَابِرِ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ) الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ (قَالَ: وَلِدَ لِرَجُلٍ مِنَّا مِنَ الْأَنْصَارِ غُلَامٌ، فَأَرَادَ أَنْ يُسَمِّيَهُ مُحَمَّدًا، قَالَ شُعْبَةُ فِي حَدِيثٍ مَنْصُورٍ: إِنَّ الْأَنْصَارِيَّ قَالَ: حَمَلْتُهُ عَلَى عُنُقِي، فَأَتَيْتُ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ) أشار بهذا إلى أَنَّ شُعْبَةَ لَمَّا رَوَى هذا الحديث عن هؤلاء الثلاثة وهم: سليمان ومنصور وقَتَادَةَ وهم سمعوا جابراً قَالَ وَلِدَ لِرَجُلٍ مِنَّا مِنَ الْأَنْصَارِ قَالَ حَمَلْتُهُ عَلَى عُنُقِي فَأَتَيْتُ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ وهذا يقتضي أن يكون الحديث من رواية جابر عن الْأَنْصَارِيِّ بخلاف رواية غيره فإنه من مسند جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وفي رواية مسلم عن منصور عن سالم بن أبي الجعد عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ وَلِدَ لِرَجُلٍ مِنَّا غُلَامٌ فَسَمَّاهُ مُحَمَّدًا فَقَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا نَدْعُكَ تَسْمِيَّ بِاسْمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَانْطَلَقَ بَابَهُ حَامِلَهُ عَلَى ظَهْرِهِ فَأَتَى بِهِ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَلَدَ لِي غُلَامٌ فَسَمَّيْتُهُ مُحَمَّدًا فَقَالَ لِي قَوْمِي لَا نَدْعُكَ تَسْمِيَّ بِاسْمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَسَمَّوْا بِاسْمِي وَلَا تَكْتَنُوا فَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ أَقْسَمُ بَيْنَكُمْ»

وَفِي حَدِيثِ سُلَيْمَانَ، وَوُلِدَ لَهُ غُلَامٌ، فَأَرَادَ أَنْ يُسَمِّيَهُ مُحَمَّدًا، قَالَ: «سَمُّوا بِاسْمِي، وَلَا تَكْنُؤْا بِكُنْيَتِي، فَإِنِّي إِنَّمَا جُعِلْتُ قَاسِمًا أَقْسِمُ بَيْنَكُمْ»،

وروى مسلم أيضًا من حديث شُعْبَةَ عَنْ قَتَادَةَ وَمَنْصُورٍ وَسُلَيْمَانَ وَحَصِينَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالُوا سَمِعْنَا سَالِمَ بْنَ أَبِي الْجَعْدِ عَنْ جَابِرِ فَزَادَ هُنَا حَصِينَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَلَى هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةِ الْمَذْكُورِينَ.

(وَفِي حَدِيثِ سُلَيْمَانَ) أَي: قَالَ شُعْبَةُ فِي حَدِيثِ سُلَيْمَانَ الْأَعْمَشِ (وُلِدَ لَهُ غُلَامٌ، فَأَرَادَ أَنْ يُسَمِّيَهُ مُحَمَّدًا، قَالَ: سَمُّوا) بفتح السين وضم الميم المشددة أمر من سَمَّى يَسْمِي بِاسْمِي.

(بِاسْمِي، وَلَا تَكْنُؤْا) من الاكتناء من باب الافتعال، ويروى: وَلَا تَكْنُؤْا من الكنية أو من التكني (بِكُنْيَتِي) قَالَ الْجَوْهَرِيُّ اكْتَنَى فُلَانٌ بِكَذَا وَفُلَانٌ يَكْنَى بِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ وَلَا تَقُلْ يَكْنَى بَعْدَ اللَّهِ وَكُنْيَتُهُ أَبَا زَيْدٍ وَبِأَبِي زَيْدٍ وَالكنية عند أهل العربية كل مركب إضافي في صدره أب أو أم كأبي بكر وأم كلثوم وهي من أقسام الأعلام. (فَإِنِّي إِنَّمَا جُعِلْتُ قَاسِمًا أَقْسِمُ بَيْنَكُمْ) أَي: أَقْسِمُ الْأَمْوَالَ فِي الْمَوَارِيثِ وَالْغَنَائِمِ وَغَيْرِهِمَا عَنْ اللَّهِ تَعَالَى وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لَهُ فَلَا يُطْلَقُ هَذَا الْأِسْمُ إِلَّا عَلَيْهِ ﷺ وَعَلَى هَذَا فَيَمْتَنَعُ التَّكْنِيَةُ مُطْلَقًا وَهُوَ مَذْهَبُ مُحَمَّدَ بْنِ سِيرِينَ وَالشَّافِعِيِّ وَأَهْلِ الظَّاهِرِ سِوَاهُ كَانَ اسْمُهُ أَحْمَدُ أَوْ مُحَمَّدًا.

وَقَالَ الْمُنْذِرِيُّ: اخْتَلَفَ هَلِ النَّهْيُ عَامٌ أَوْ خَاصٌّ فَذَهَبَتْ طَائِفَةٌ مِنَ السَّلَفِ إِلَى أَنَّ التَّكْنِيَّ وَحْدَهُ بِأَبِي الْقَاسِمِ مَمْنُوعٌ كَيْفَ كَانَ الْأِسْمُ وَذَهَبَ آخَرُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى مَنَعَ التَّكْنِيَّ بِأَبِي الْقَاسِمِ وَكَذَلِكَ تَسْمِيَةُ الْوَلَدِ بِالْقَاسِمِ لِثَلَاثِ أَسْبَابٍ لِلتَّكْنِيَّةِ لِأَنَّ الشَّخْصَ إِذَا سَمِيَ بِالْقَاسِمِ يَلْزَمُ مِنْهُ أَنْ يَكُونَ أَبُوهُ أَوْ الْقَاسِمُ فَيَصِيرُ الْأَبُ يَكْنَى بِكُنْيَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

وَذَهَبَ آخَرُونَ إِلَى أَنَّ الْمَمْنُوعَ الْجَمْعُ بَيْنَ التَّكْنِيَّةِ وَالْأَسْمِ وَأَنَّهُ لَا بَأْسَ بِالتَّكْنِيَّ بِأَبِي الْقَاسِمِ مَجْرَدًا مَا لَمْ يَكُنِ الْأِسْمُ مُحَمَّدًا أَوْ أَحْمَدَ.

وَذَهَبَ آخَرُونَ إِلَى أَنَّ النَّهْيَ فِي ذَلِكَ مَنْسُوخٌ وَحَكَى الْقُرْطُبِيُّ عَنْ جَمْهُورِ السَّلَفِ وَالْخَلْفِ وَفَقْهَاءِ الْأَمْصَارِ جَوَازَ كُلِّ ذَلِكَ وَالْحَدِيثُ إِذَا مَنْسُوخٌ وَإِنَّمَا خَاصٌّ بِهِ احْتِجَاجًا بِحَدِيثِ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ وَلَفْظُهُ: يَا رَسُولَ

وَقَالَ حُصَيْنٌ: «بُعِثْتُ قَاسِمًا أَقْسِمُ بَيْنَكُمْ»، قَالَ عَمْرُو: أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ سَالِمًا، عَنْ جَابِرٍ، أَرَادَ أَنْ يُسَمِّيَهُ الْقَاسِمَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «سَمُّوا بِأَسْمِي وَلَا تَكْتُمُوا بِكُنْيَتِي»⁽¹⁾.

اللَّهُ إِنْ وَلَدَ لِي بَعْدَكَ غَلامَ أَسمِيهِ بِاسْمِكَ وَأَكْنِيهِ بِكُنْيَتِكَ قَالَ: نعم.

(وَقَالَ حُصَيْنٌ) بضم الحاء وفتح الصاد المهملتين هو ابن عبد الرحمن السلمي أَبُو الهذيل الكوفي: («بُعِثْتُ قَاسِمًا أَقْسِمُ بَيْنَكُمْ») وهذا التعليق رواه مسلم وَقَالَ: حَدَّثَنَا هَنَادُ بْنُ السَّري حَدَّثَنَا عِشْرُ عَنْ حُصَيْنٍ عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ وَلَدَ لِرَجُلٍ مِنَّا غَلامَ فَسَمَّاهُ مُحَمَّدًا فَقُلْنَا لَا نَكْنِيكَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى تَسْتَأْمِرَهُ قَالَ فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّهُ وَلَدَ لِي غَلامَ فَسَمَّيْتَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنَّ قَوْمِي أَبَوا أَنْ يَكُونُوا بِه حَتَّى تَسْتَأْذِنَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ سَمُّوا بِأَسْمِي وَلَا تَكْتُمُوا بِكُنْيَتِي فَإِنَّمَا بَعِثْتُ قَاسِمًا أَقْسِمُ بَيْنَكُمْ فَإِنْ قِيلَ هُوَ ﷺ يَكْنَى بِأَبِي الْقَاسِمِ لِأَنَّ اسْمَ ابْنِهِ كَانَ قَاسِمًا إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يَقْسِمُ الْمَالَ، فَالْجَوَابُ أَنَّهُ احْتَرَزَ مِنْهُ نَظْرًا إِلَى مَجْرَدِ اشْتِرَاكِ اللَّفْظِ.

(وَقَالَ عَمْرُو) هو عمرو بن مرزوق: (أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ⁽²⁾)، عَنْ قَتَادَةَ) أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ سَالِمًا، عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: (أَرَادَ أَنْ يُسَمِّيَهُ الْقَاسِمَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «سَمُّوا بِأَسْمِي وَلَا تَكْتُمُوا بِكُنْيَتِي») وفي رواية الكشميهني: وَلَا تَكْتُمُوا

(1) قال الكاندهلوي: اختلفت روايات الحديث في ذلك، ولذا اختلفت أقوال أهل العلم، أجملها النووي وبسطها الحافظ، والجملة أن فيها خمسة مذاهب: الأول: المنع مطلقاً وهو مذهب الشافعي والظاهرية، والثاني: الجواز مطلقاً وكان النهي مختصاً بزمانه ﷺ وهو مذهب الجمهور، الثالث: لا يجوز لمن اسمه محمد ويجوز لغيره، الرابع: المنع من التسمية بمحمد مطلقاً، وكذا التكني بأبي القاسم مطلقاً، الخامس: المنع مطلقاً في حياته والتفصيل بعده بين من اسمه محمد وأحمد فيمتنع وإلا فيجوز، انتهى مختصراً. وقال العيني في حديث الباب بعد ذكر أقوال السلف المختلفة: وذهب آخرون إلى أن النهي في ذلك منسوخ، وحكى القرطبي عن جمهور السلف والخلف وفقهاء الأمصار جواز كل ذلك، والحديث إما منسوخ وإما خاص احتجاجاً بحديث علي رضي الله عنه، رواه الترمذي وصححه، ولفظه: «يا رسول الله إِنْ وَلَدَ لِي بَعْدَكَ غَلامَ أَسمِيهِ بِاسْمِكَ وَأَكْنِيهِ بِكُنْيَتِكَ؟ قَالَ: نعم»، اهـ.

وفي حاشية الكوكب: أخرجه البخاري في الأدب المفرد وأبو داود وابن ماجه وصححه الحاكم، اهـ.

(2) وهو من شيوخ البخاري.

3115 - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُونُسَ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ: «وُلِدَ لِرَجُلٍ مِنَّا غُلَامٌ فَسَمَّاهُ الْقَاسِمَ، فَقَالَتِ الْأَنْصَارُ لَا نَكْنِيكَ أَبَا الْقَاسِمِ، وَلَا نُنْعِمُكَ عَيْنًا، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وُلِدَ لِي غُلَامٌ، فَسَمَّيْتُهُ الْقَاسِمَ فَقَالَتِ الْأَنْصَارُ: لَا نَكْنِيكَ أَبَا الْقَاسِمِ، وَلَا نُنْعِمُكَ عَيْنًا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَحْسَنَتِ الْأَنْصَارُ، سَمُّوا بِاسْمِي وَلَا تَكْتَنُوا بِكُنْيَتِي،

بفتح الكاف وتشديد النون وهذا التعليق وصله أبو نعيم الأصبهاني في المستخرج عن أبي العباس قَالَ حَدَّثَنَا يُونُسُ الْقَاضِي ثنا عمرو بن مرزوق أنا شُعْبَةُ عَنْ قَتَادَةَ الْحَدِيثِ وَكَانَ شُعْبَةُ كَانَ تَارَةً يَحْدُثُ بِهِ عَنْ بَعْضِ مَشَايخِهِ دُونَ بَعْضٍ وَتَارَةً يَجْمَعُهُمْ وَيَفْضِلُ أَلْفَاظَهُمْ وَسَيَأْتِي فِي الْأَدَبِ مِنَ الزِّيَادَةِ مِنْ وَجْهِ آخَرَ عَنْ جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِلْأَنْصَارِيِّ: «سَمِّ ابْنَكَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ».

ومطابقة الحديث للترجمة في قوله: «إنما جعلت قاسمًا أقسم بينكم». والحديث أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صِفَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَفِي الْأَدَبِ وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي الْأِسْتِذَانِ عَلَى مَا قِيلَ وَفِي الْأَدَبِ.

(حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُونُسَ) الْبُخَارِيُّ الْبَيْهَقِيُّ قَالَ: (حَدَّثَنَا سُفْيَانُ) هُوَ ابْنُ عَيْنَةَ، (عَنِ الْأَعْمَشِ) سُلَيْمَانُ بْنُ مِهْرَانَ، (عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ: «وُلِدَ لِرَجُلٍ مِنَّا غُلَامٌ فَسَمَّاهُ الْقَاسِمَ، فَقَالَتِ الْأَنْصَارُ لَا نَكْنِيكَ» بضم النون وفتح الكاف وكسر النون المشددة من التكنية ويروى لَا نَكْنِيكَ بفتح النون وسكون الكاف من كنى يكنى.

(أَبَا الْقَاسِمِ، وَلَا نُنْعِمُكَ عَيْنًا) أَي: لَا نَقَرَّ عَيْنَكَ بِذَلِكَ وَلَا نَكْرَمَكَ تَقُولُ الْعَرَبُ فِي الْكِرَامَةِ وَحَسَنَ الْقَبُولِ نَعَمَ عَيْنٌ وَنِعْمَةٌ عَيْنٌ وَنِعَامٌ عَيْنٌ أَمَّا النِّعْمَةُ فَمَعْنَاهَا التَّنْعِيمُ وَيُقَالُ كَمْ مِنْ ذِي نِعْمَةٍ لَا نِعْمَةَ لَهُ أَي: لَا تَنْعَمُ لَهُ بِمَا لَهُ وَالنِّعْمَةُ بِالْفَتْحِ الْفَرَحُ وَالسَّرُورُ أَيْضًا وَنِعْمَةُ الْعَيْنِ بِالضَّمِّ قَرَّتْهَا.

(فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وُلِدَ لِي غُلَامٌ، فَسَمَّيْتُهُ الْقَاسِمَ فَقَالَتِ الْأَنْصَارُ: لَا نَكْنِيكَ أَبَا الْقَاسِمِ، وَلَا نُنْعِمُكَ عَيْنًا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَحْسَنَتِ الْأَنْصَارُ، سَمُّوا بِاسْمِي وَيُرَوَّى: تَسَمَّوْا بِفَتْحِ التَّاءِ وَالسَّيْنِ وَتَشْدِيدِ الْمِيمِ، (بِاسْمِي وَلَا تَكْتَنُوا) مِنَ التَّكْنِيَةِ وَيُرَوَّى: وَلَا تَكْتَنُوا مِنَ الْاِكْتِنَاءِ (بِكُنْيَتِي،

فَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ».

فَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ) وهذا طريق آخر في حديث جابر رضي الله عنه المذكور.

وفي الحديث إباحة التسمي باسمه للبركة الموجودة منه ولما فيه من الفأل الحسن من معنى الحمد ليكون من تسمي باسمه محمودًا .

وفيه : النهي عن التكني بكنيته لما رواه أنس رضي الله عنه : نادى رجل يا أبا القاسم فالتفت النبي ﷺ فَقَالَ الرجل لم أعنك ونقل أيضًا عن اليهود إنها كانت تناديه فإذا التفت قالوا لم نعنك فحسم الذريعة بالنهي .

فإن قيل : هل في التسمية بمحمد أيضًا منع ؟

فالجواب : أنه قد قيل به ولم يكن أحد من الصحابة رضي الله عنهم يجترئ أن ينادي النبي ﷺ باسمه لأن النداء بالاسم لا توقير فيه بخلاف الكنية وإنما كان يناديه باسمه الأعراب ممن لم يؤمن منهم أو لم يرسخ في قلبه الإيمان وقيل إن النهي مخصوص بحياته وقد ذهب إليه بعض أهل العلم وكان عمر رضي الله عنه كتب إلى أهل الكوفة لا تسموا أحدًا باسم نبي وأمر جماعة بالمدينة بتغيير أسماء أبنائهم المسمين بمحمد حتى ذكر له جماعة من الصحابة أنه ﷺ أذن لهم في ذلك فتركهم .

وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ : حديث النهي غير معروف عند أهل النقل وعلى تسليمه فمقتضاه النهي عن لعن من تسمي بمحمد وقيل : إن سبب نهى عمر رضي الله عنه عن ذلك أنه سمع رجل يقول لابن أخيه مُحَمَّدُ بن زيد بن الخطاب فعل الله بك يا مُحَمَّدُ فَقَالَ وإن سيدنا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُسَبُّ بك والله لا ندعوك مُحَمَّدُ ما بقيت وسمّاه عبد الرحمن وقد تقرّر الإجماع على إباحة التسمية بأسماء الأنبياء عليهم السلام وتسمي جماعة من الصحابة رضي الله عنه بأسماء الأبياء وكرهه بعض العلماء حكاه القاضي عياض التسمي بأسماء الملائكة وهو قول الحارث ابن مسكين قَالَ : وكره مالك التسمي بجبريل وإسرافيل وميكائيل ونحوها من أسماء الملائكة .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قَالَ : ما قنعتم بأسماء بني آدم حتى سمّيتم بأسماء الملائكة ، والله تعالى أعلم .

3116 - حَدَّثَنَا جِبَّانٌ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ، عَنْ يُونُسَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّهُ سَمِعَ مُعَاوِيَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهُهُ فِي الدِّينِ، وَاللَّهُ الْمُعْطِي وَأَنَا الْقَاسِمُ، وَلَا تَزَالُ هَذِهِ الْأُمَّةُ ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ، وَهُمْ ظَاهِرُونَ».

3117 - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ، حَدَّثَنَا فُلَيْحٌ، حَدَّثَنَا هِلَالٌ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِ أَبِي عَمْرَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَا أُعْطِيَكُمْ وَلَا أَمْنَعُكُمْ، أَنَا قَاسِمٌ أَضْعُ حَيْثُ أُمِرْتُ».

(حَدَّثَنَا جِبَّانٌ) بكسر الحاء المهملة وتشديد الموحدة ابن موسى أَبُو مُحَمَّدٍ المروزي قَالَ: (أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ) هو ابن المبارك المروزي، (عَنْ يُونُسَ) هو ابن يزيد الأيلي، (عَنِ الزُّهْرِيِّ) ابن شهاب، (عَنْ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّهُ سَمِعَ مُعَاوِيَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهُهُ فِي الدِّينِ، وَاللَّهُ الْمُعْطِي وَأَنَا الْقَاسِمُ، وَلَا تَزَالُ هَذِهِ الْأُمَّةُ ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ، وَهُمْ ظَاهِرُونَ»)) والحديث قد مضى في كتاب العلم في باب من يرى الله به خيراً يفقهه في الدين وقد مرّ الكلام فيه هناك.

(حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ) بكسر المهملة وبالنونين قَالَ: (حَدَّثَنَا فُلَيْحٌ) بضم الفاء وفتح اللام ابن سليمان بن المغيرة وكان اسمه عبد الملك ولقبه فليح فغلب على اسمه قَالَ: (حَدَّثَنَا هِلَالٌ) هو ابن علي الفهري المدني، (عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِ أَبِي عَمْرَةَ) بفتح المهملة الأنصاري البُخَارِيُّ وقد مرّ في كتاب الشرب. (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: مَا أُعْطِيَكُمْ وَلَا أَمْنَعُكُمْ) وفي رواية أحمد عن شريح بن النعمان عن فليح في أوله والله والمعنى لا أتصرف فيكم بعطية ولا منع برأيي.

إِنَّمَا (أَنَا قَاسِمٌ أَضْعُ حَيْثُ أُمِرْتُ) أي: والله هو المعطي في الحقيقة وهو المانع وأنا أعطيكم بقدر ما يلهمني الله أي: لا أعطي أحداً ولا أُمْنَعُ أحداً إِلَّا بِأَمْرِ اللَّهِ تعالى وقد أَخْرَجَهُ أَبُو داود من طريق همام عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بلفظ إن أنا إِلَّا خازن.

ومطابقة الحديثين للترجمة ظاهرة.

3118 - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَزِيدَ، حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي أَيُّوبَ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو الْأَسْوَدِ، عَنِ ابْنِ أَبِي عِيَّاشٍ وَاسْمُهُ نُعْمَانُ عَنْ خَوْلَةَ الْأَنْصَارِيَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا،

(حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَزِيدَ) من الزيادة هو أبو عبد الرحمن المقرئ مولى آل عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأصله من ناحية البصرة سكن مكة روى عنه الْبُخَارِيُّ في غير موضع عن علي ابن المديني عنه في الأحكام وعن مُحَمَّدٍ غير منسوب عنه في البيوع قَالَ: (حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي أَيُّوبَ) الخزاعي المصري واسم أبي أيوب مقلص بالقاف وبالمهملة وقد مرّ في التهجد.

(قَالَ: حَدَّثَنِي) بالإفراد (أَبُو الْأَسْوَدِ) مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ نَوْفَلٍ، (عَنِ ابْنِ أَبِي عِيَّاشٍ) هو نعمان بن أبي عيَّاش بالعين المهملة وتشديد المثناة التحتيّة وبالمعجمة (وَاسْمُهُ نُعْمَانُ) واسم أبي عيَّاش زيد بن الصامت الزرقى بضم الزاي وفتح الراء وبالقاف الأنصاري المديني، (عَنْ خَوْلَةَ) بفتح الخاء المعجمة بنت قيس بن فهد بن قيس بن ثعلبة (الْأَنْصَارِيَّةِ) المدنية تكنى بأُم صبية بضم المهملة وفتح الموحدة وبالتحتانية المشددة.

ويقال لها: خويلة أم مُحَمَّدٍ وهي امرأة حمزة بن عبد المطلب.

وقيل: إِنَّ أُمَامَةَ حَمْزَةً خَوْلَةَ بِنْتِ ثَامِرٍ بِالمثلثة الخولانية.

وقيل: إِنَّ ثَامِرَ لَقَبٍ لَقَيْسِ بْنِ فَهْدٍ.

قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ: خَوْلَةُ بِنْتُ قَيْسٍ هِيَ خَوْلَةُ بِنْتِ ثَامِرٍ.

وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ ثَنَا لَيْثٌ عَنْ سَعِيدِ الْمَقْبَرِيِّ عَنْ أَبِي الْوَلِيدِ قَالَ: سَمِعْتُ خَوْلَةَ بِنْتَ قَيْسٍ وَكَانَتْ تَحْتَ حَمْزَةٍ بِنْتُ عَبْدِ الْمَطْلُبِ تَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ مِنْ أَصَابِهِ بِحَقِّهِ بَوْرُكٌ لَهُ فِيهِ وَرَبٌّ مَتَخَوِّضٌ فِيمَا شَاءَتْ نَفْسُهُ مِنْ مَالِ اللَّهِ وَرَسُولُهُ لَيْسَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِلَّا النَّارُ» هَذَا الْحَدِيثُ حَسَنٌ صَحِيحٌ وَأَبُو الْوَلِيدِ اسْمُهُ عُبَيْدٌ سَنَوْطًا وَقَوْلُهُ: خَضِرَةٌ أَنْثَى عَلَى تَأْوِيلِ الْغَنِيْمَةِ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ مِنْ مَالِ اللَّهِ وَيَحْتَمِلُ مَا هُوَ أَعَمُّ مِنْ ذَلِكَ.

ومعنى خضرة مشتهة والنفوس تميلُ إلى ذلك.

وكذا أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ مِنْ حَدِيثِ جَمَاعَةٍ عَنِ الْمَقْبَرِيِّ وَأَخْرَجَهُ الْإِسْمَاعِيلِيُّ وَأَبُو نَعِيمٍ وَالتَّبْرَانِيُّ وَالْحَمِيدِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي الْأَسْوَدِ عَنْ ابْنِ أَبِي عِيَّاشٍ عَنْ

قَالَتْ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: «إِنَّ رَجَالًا يَتَخَوَّضُونَ فِي مَالِ اللَّهِ بِغَيْرِ حَقٍّ، فَلَهُمْ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»⁽¹⁾.

خولة بنت ثامر وقد مرّ أن كنية خولة إمّا أم صبية وإمّا أم مُحَمَّد. وَقَالَ أَبُو نَعِيمٍ: ويقال أم حبيبة وصَحَّفَ ابن مندة أم حبيبة بأم صبية وتلك غير هذه تلك جهنية وهذه أنصارية من أنفسهم ووقع للكلاباذي أيضًا أن كنيته أم صَبِيَّة.

وَقَالَ الدارقطني: لم يرو عن خولة بنت ثامر سوى النعمان بن أبي عياش الزُّرْقِي وذكر أَبُو عمر الحديث عن خولة بنت قيس عن عُيَيْدِ اللَّهِ سَنُوطًا وبنت ثامر عن النعمان عنها.

قَالَ الْحَافِظُ الْعَسْقَلَانِيُّ: وقد فرق غير واحد بين خولة بنت ثامر وخولة بنت قيس.

(قَالَتْ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: إِنَّ رَجَالًا يَتَخَوَّضُونَ) من الخوض بالمعجمتين وهو المشي في الماء وتحريكه ثم استعمل في التلبس بالأمر والتصرف فيه والتخوض تفعل منه، وقيل: هو التخليط في تحصيله من غير وجهه كيف أمكن وباب التفعّل فيه التكلف.

(فِي مَالِ اللَّهِ بِغَيْرِ حَقٍّ) والمعنى يتصرفون في مال المسلمين بالباطل وهو أعم من أن يكون بالقسمة وبغيرها وبذلك يناسب الترجمة وقوله في مال الله مظهر أقيم مقام المضمّر إشعارًا بأنه لا ينبغي التخوض في مال الله ورسوله والتصرف فيه بمجرد التشهي.

(فَلَهُمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) فيه حكم مرتّب على الوصف وهو التخوض في مال الله فقيه إشعار بالعلية.

(1) قال السندي: ومقتضى حديث الباب أن علة النهي هو اختصاص التسمية به ﷺ فإذا كان معنى الاسم مختصًا بأحد فينبغي اختصاص الاسم به أيضًا، فلعل النهي كان لعلّة الالتباس والإيذاء، ومع هذا يبين لهم ﷺ عدم استقامة هذه الكنية لغيره من حيث المعنى لكان للتنزيه، بل لمجرد إفادة عدم الأولوية لأن المعاني الأصلية للإعلام لا تجب مراعاتها حين التسمية وهو خلاف أصل النهي، وأما إذا كان للالتباس والإيذاء فهو على أصله للتحريم، وبيان عدم استقامة المعنى لمجرد التأييد والتقوية لا للتعليل، اهـ.

8 - باب قَوْل النَّبِيِّ ﷺ: «أَحِلَّتْ لَكُمْ الْغَنَائِمُ»

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَعَدَكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ﴾
[الفتح: 20] «وَهِيَ لِلْعَامَّةِ حَتَّى يُبَيِّنَهُ الرَّسُولُ ﷺ».

ويستفاد من هذه الأحاديث أنّ بين الاسم والمسمى به مناسبة لكن لا يلزم اطراد ذلك وأنّ من أخذ من الغنائم شيئاً بغير قسم الإمام كان عاصياً وفيه ردع الولاة أن يأخذوا من المال شيئاً بغير أهلية.

8 - باب قَوْل النَّبِيِّ ﷺ: «أَحِلَّتْ لَكُمْ الْغَنَائِمُ»

كذا في رواية الجميع ووقع عند ابن التين أحلت لي وهذا طرف من حديث جابر الماضي في التيمم.

(وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَعَدَكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾ وهي ما يُفِيء على المؤمنين إلى يوم القيامة) (فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ) يعني مغانم خيبر فإن هذه الآية نزلت في أهل الحديبية بالاتفاق ولما انصرفوا من الحديبية فتحوا خيبر كما سيأتي في موضعه إن شاء الله تعالى: ﴿وَكَفَّ أَيْدَى النَّاسِ عَنْكُمْ﴾ يعني: أيدي أهل خيبر وحلفائهم من بني أسد وغطفان حين جاؤوا لنصرتهم فغذف الله في قلوبهم الرعب فانصرفوا.

وقيل: أيدي أهل مكة بالصلح ﴿وَلِتَكُونَ﴾ هذه الكفة أو الغنيمة ﴿ءَايَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أماراة وعبرة يعرفون بها أنهم من الله بمكان وأنه ضامن لنصرهم والفتح عليهم.

وقيل: رأى رسول الله ﷺ فتح مكة في منامه ورؤى الأنبياء وحي فتأخر ذلك إلى السنة القابلة فجعل فتح خيبر علامة وعنواناً لفتح مكة والعطف على محذوف هو علة لكف أو عجل مثل لتسلموا أو علة لمحذوف مثل فعل ذلك ﴿وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ ويزيدكم بصيرة وبقيناً وثقة بفضل الله تعالى.

(وَهِيَ لِلْعَامَّةِ) أي: الغنيمة لعامة المسلمين (حَتَّى يُبَيِّنَهُ الرَّسُولُ ﷺ) أي: حتى يبين الرسول ﷺ من يستحق ذلك ممن لا يستحق وقد وقع بيان ذلك بقوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُصَّهُ﴾ الآية [الأنفال: 41].

3119 - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا خَالِدٌ، حَدَّثَنَا حُصَيْنٌ، عَنْ عَامِرٍ، عَنْ عُرْوَةَ الْبَارِقِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «الْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ الْأَجْرُ، وَالْمَغْنَمُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ».

3120 - حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «إِذَا هَلَكَ كِسْرَى فَلَا كِسْرَى بَعْدَهُ، وَإِذَا هَلَكَ قَيْصَرٌ فَلَا قَيْصَرَ بَعْدَهُ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُنْفَقَنَّ كُنُوزُهُمَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ».

(حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ) قَالَ: (حَدَّثَنَا خَالِدٌ) هو ابن عبد الرحمن الطحان قَالَ: (حَدَّثَنَا حُصَيْنٌ) بضم الحاء وفتح الصاد المهملتين ابن عبد الرحمن السلمي، (عَنْ عَامِرٍ) هو الشَّعْبِيُّ، (عَنْ عُرْوَةَ) هو ابن الجعد ويقال ابن أبي الجعد (الْبَارِقِيُّ) بالموحدة وبالراء والقاف الأزدي، (عَنِ النَّبِيِّ ﷺ) أَنَّهُ (قَالَ): «الْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ الْأَجْرُ، وَالْمَغْنَمُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» والحديث قد مر في كتاب الجهاد في باب الخيل معقود في نواصيها إلا أَنَّهُ ليس فيه لفظة والمغنم. ومطابقته للترجمة في قوله والمغنم.

(حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ) الحكم بن نافع قَالَ: (أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ) هو ابن أبي حمزة قَالَ: (حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ) بالزاي والنون عَبْدُ اللَّهِ بن ذكوان، (عَنِ الْأَعْرَجِ) هو عبد الرحمن بن هرذ (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: إِذَا هَلَكَ كِسْرَى فَلَا كِسْرَى بَعْدَهُ) أَي: في العراق (وَإِذَا هَلَكَ قَيْصَرٌ فَلَا قَيْصَرَ بَعْدَهُ) أَي: في الشام وكلمة لا هنا بمعنى ليس فلا يلزم التكرير فلا يرد أَنَّهُ إِذَا كَانَ اسم لا معرفة وجب التكرار، ويجوز أَن يكون مؤوَّلاً نحو قضيته ولا أبا حسن لها. (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُنْفَقَنَّ كُنُوزُهُمَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) قَالَ الخطابي: أَمَا كِسْرَى فقد قطع الله دابره وأنفقت كنوزه في سبيل الله وأما قيصر فكان الشام منشأ وبها بيت المقدس وهو الذي لا يتم للنصارى نسك إلا فيه ولا يملك أحد على الروم من ملوكهم حتى يكون قد دخله سرّاً وجهراً وقد أجلي عنها وافتتحت خزائنه ولم يخلفه أحد من القياصرة بعده إلى أن ينجز الله تمام وعده في فتح قسطنطينية في آخر الزمان وقد مرّ الحديث في باب الحرب خدعة، ومطابقته للترجمة في قوله: «لَتُنْفَقَنَّ كُنُوزُهُمَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ» لأن كنوزهما كانت مغنم.

3121 - حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ، سَمِعَ جَرِيرًا، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا هَلَكَ كِسْرَى فَلَا كِسْرَى بَعْدَهُ، وَإِذَا هَلَكَ قَيْصَرٌ فَلَا قَيْصَرَ بَعْدَهُ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَنْفَقَنَّ كُنُوزُهُمَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ».

3122 - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ، حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ، أَخْبَرَنَا سَيَّارٌ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ الْفَقِيرُ، حَدَّثَنَا جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ».

(حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ) قَالَ الْجِيَانِي: لَمْ أَرَهُ مَنْسُوبًا إِلَى أَحَدٍ وَنَسَبَهُ أَبُو نَعِيمٍ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ الْعَيْنِيُّ: ثَلَاثَةُ أَنْفُسٍ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَرَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فَأَيُّهُمْ هَذَا.

(سَمِعَ) أَي: أَنَّهُ سَمِعَ (جَرِيرًا) هُوَ ابْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ، (عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ) هُوَ ابْنُ عَمِيرِ الْكُوفِيِّ، (عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا هَلَكَ كِسْرَى فَلَا كِسْرَى بَعْدَهُ، وَإِذَا هَلَكَ قَيْصَرٌ فَلَا قَيْصَرَ بَعْدَهُ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَنْفَقَنَّ كُنُوزُهُمَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ»).

ومطابقته للترجمة مثل مطابقة الحديث الأول وقد أخرجهُ الْبُخَارِيُّ فِي علامات النبوة والأيمان والنذور وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي الْفَتَنِ.

(حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ) قَالَ: (حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ) بضم الهاء ابن بشير بضم الموحدة وفتح الشين الواسطي قَالَ: (أَخْبَرَنَا سَيَّارٌ) بفتح السين المهملة وتشديد المثناة التحتية هو ابن أبي سيار واسم أبي سيار وردان أَبُو الْحَكَمِ الْوَاسِطِيُّ قَالَ: (حَدَّثَنَا يَزِيدُ) مِنَ الزِّيَادَةِ (الْفَقِيرُ) هُوَ ابْنُ صَهْبِ الْكُوفِيِّ الْمَعْرُوفُ بِالْفَقِيرِ.

قَالَ الْكِرْمَانِيُّ: الْفَقِيرُ ضِدُّ الْغَنِيِّ، وَتَعَقَّبَهُ الْعَيْنِيُّ بِأَنَّهُ لَيْسَ كَذَلِكَ وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ فَقَارِ الظَّهْرِ لَا مِنَ الْمَالِ وَهُوَ الَّذِي أَصِيبَ فِي فَقَارِ ظَهْرِهِ وَهُوَ خِرَزَاتُهُ الْوَاحِدَةُ فَقَارَةٌ. عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَيُرْوَى: (حَدَّثَنَا جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ»)⁽¹⁾ وَقَدْ مَرَّ الْحَدِيثُ فِي كِتَابِ الطَّهَارَةِ فِي أَوَّلِ بَابِ التَّيَمُّمِ بِأَنَّهُ مِنْهُ وَقَدْ مَرَّ الْكَلَامُ فِيهِ هُنَاكَ.

(1) وهو من خصائصه فلم تحل لأحد قبله من الأنبياء ولا من أممهم.

3123 - حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «تَكْفَلُ اللَّهُ لِمَنْ جَاهَدَ فِي سَبِيلِهِ، لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ، وَتَصْدِيقُ كَلِمَاتِهِ بِأَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ يَرْجِعَهُ إِلَى مَسْكِنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ، مَعَ مَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ»⁽¹⁾.

ومطابقته للترجمة ظاهرة.

(حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ) هو ابن أبي أويس ابن أخت مالك، (قَالَ: حَدَّثَنِي مَالِكٌ) الإمام، (عَنِ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: تَكْفَلُ اللَّهُ لِمَنْ جَاهَدَ فِي سَبِيلِهِ، لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ، وَتَصْدِيقُ كَلِمَاتِهِ بِأَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ يَرْجِعَهُ) بفتح الياء من رجع المتعدي بنفسه.

(إِلَى مَسْكِنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ)، مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ وفي رواية: (مَعَ مَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ) يعني لا يخلو عن أحدهما مع جواز الاجتماع بخلاف أو التي في

(1) قال ابن أبي جمرة في البهجة: ظاهر الحديث يدل على أن من خرج إلى الجهاد بالنية المذكورة فيه فله أحد الوجهين المذكورين فيه وهو أن يرجع بالأجر والغنيمة أو يستشهد فيدخل الجنة ويكون فيها حياً يرزق لقوله تعالى في الشهداء: ﴿أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: 169]، والكلام عليه من وجوه:

الوجه الأول: قوله عليه السلام: «تَكْفَلُ اللَّهُ» معناه ضمن الله لأن الضمان له في اللغة سبعة أسماء ومن جملتها الكفيل والضمان من الله سبحانه ضمان إفضال لا ضمان وجوب فإن معناه تأكيد التصديق بحصول الأجر الذي تفضل به على المجاهد في سبيله لأن الوجوب في حقه تعالى مستحيل.

الوجه الثاني: قوله عليه السلام: «لِمَنْ جَاهَدَ فِي سَبِيلِهِ لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ وَتَصْدِيقُ كَلِمَاتِهِ» الجهاد في سبيل الله يحتمل وجوهاً وأظهرها في الموضع قتال العدو الذي هو الكافر وكيفية النية فيه هو أن يخرج للغزو يريد به القتال في سبيل الله وإعلاء كلمته لا يريد بذلك غير الله ويحتسب قتل نفسه إن قتل وكل ما يلاقي من شدة الحروب وهولها في حق الله تعالى لا لظهور ولا لكسب دنيا ولا لغير ذلك والتصديق على ضربين تصديق بوجوبه والوجوب على ضربين فرض عين وفرض كفاية وهو مذكور في الفقه وتصديق بما جاء فيه من عموم الأجر والإحسان على مقتضى الآيات في الوجهين معاً.

الوجه الثالث: هل تقتصر هذه الأجر على الوجه الظاهر وهو قتال العدو أو تحمل على ما يقتضيه عموم الجهاد في طاعة الله تعالى وهو الأظهر كما ذهب إليه بعض الصحابة حيث قال لأخيه حين لقيه في طريق المسجد وقد اغبرت قدماء فسأله أغير الصلاة أخرجك؟ فقال: لا =

أو يرجعه فإنها تفيد منع الخلو ومنع الجمع كليهما. والحديث قد مضى في كتاب

لم أخرج لغيرها فقال شهدت على رسول الله ﷺ أنه قا : «ما غبرت قدما رجل في سبيل الله إلا حرمه الله على النار» فقال له الرجل ذلك خاص بالقتال فقال الصحابي أفعال الخير كلها في سبيل الله وقد قال عليه السلام في الخارج للمسجد هو في ذمة الله إن مات أدخله الله الجنة وإن رجع إلى منزله كان كالمجاهد رجع بالأجر والغنيمة وهذا نص في المسألة فيجب تعديه في جميع وجوه البر ويكون الأول منها أظهرها وأعلاها.

الوجه الرابع: قد يتعدى الحديث للجهد المعنوي أم لا؟ أما ظاهر اللفظ فلا يؤخذ منه التعدي لأنه ذكر في الجهاد الحسي وأما على القاعدة التي قررناها في كلام الشارع عليه السلام فإنه محمول على كل الفوائد إن أمكن فهو متعد لا شك فيه سيما في هذا الموضع الذي قد نص عليه - عليه السلام - أن الجهاد المعنوي أكبر من الحسي وهو قوله عليه السلام: «هبطتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر وهو جهاد النفس» فإذا كان حكم يناط بعلة فحيث ما وجدت العلة أنيط الحكم بها فالدخول في الجهاد المعنوي يكون بتلك النيتين المذكورتين في الحديث وهما الجهاد في سبيل الله والتصديق بكلماته ولا يعول على العيش بعدها إلا إن قدر له بذلك لأن الراجع من أثناء الطريق لم تتم له صفة وتمام الصفة هنا هو الموت على ما هو عليه من مجاهدة النفس في ابتغاء مرضاة الله تعالى ولهذا المعنى لما أن جاء لبعضهم ثلاثة نفر يطلبون منه التربية في السلوك فقال لأحدهم كم تصبر فعده أياما محصورة فقال له الشيخ ما يجيء منك شيء ثم سأل الآخر فقال أطيق أكثر منه وعدّ له الأيام فقال له ما يجيء منك شيء ثم سأل الثالث فقال اصبر حتى أموت فقال له ادخل وقد قال بعض الفضلاء من أهل هذا الشأن من صدق وصدق قرب لا محالة وإنما يقع الخلل في الجهادين معًا إذا كان الدخول لحظ دنيوي أو نفساني ومن دخل بهذا قصده في الحياة وهو يؤملها فقليل أن يقع لمثل هذا النصر لأنه أقل شيء يرى من العدو ولا مدبرًا للطمع في الحياة وأما إذا كانت النية ما أشرنا إليه فالخلل لا يدخل هناك لأن من دخل بنية أن لا يعيش فقل أن ينهزم لأنه إذا عاين الموت لا يفر منها ويقول هو المطلوب والمقصود وأعظم ما في الجهادين من الوقائع الموت فإذا كانت أعظم الوقعات هي مقصوده فكيف يبالي بما هو أقل منها ولهذا المعنى كان النبي ﷺ حين الجهاد يخاطب الناس ويذكرهم ويعلمهم بما لهم فيه من الأجور مثل قوله عليه السلام: «اعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف» وكفى في هذا دليلاً أن الله عز وجل جعل الفرار منه من الكبائر فقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤَلِّمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِتْنٍ فَقَدْ بَكَءٌ يَقَضِي مِنَ اللَّهِ وَءَاوُنُهُ جَهَنَّمُ وَبَشَى الْكُفْرُ﴾ [الأنفال: 16] وقد روي أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا بعد وفاة النبي ﷺ يسون صفوفهم ويذكرون أصحابهم ويعظونهم حتى كان بعضهم ينظر من هو أفصح في الكلام وأعلى صوتا فيأمره بالمشي بين الصفوف فيعظ الناس ويذكرهم بما جاء في الجهاد وكل هذا مندرج في ضمن قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيُّ حَرَضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾ [الأنفال: 65] وما ذكرناه وأوردناه من جملة التحريض وكذلك ينبغي في الجهاد الأكبر إذا كان المرء عالمًا بكيفيته وبما جاء فيه فيها ونعمت وإن لم يكن عالمًا بذلك فليتخذ شيئًا يستند إليه عارفاً بذلك =

3124 - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ، حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُبَارَكِ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «غَزَا نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ،

الإيمان في باب الجهاد من الإيمان ومطابقته للترجمة ظاهرة.

(حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ) أَبُو كَرِيبِ الْهَمْدَانِي الْكُوفِي قَالَ: (أَخْبَرَنَا ابْنُ الْمُبَارَكِ) هُوَ عَبْدُ اللَّهِ الْمُرُوزِي، (عَنْ مَعْمَرٍ) هُوَ ابْنُ رَاشِدٍ، (عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أَنَّهُ (قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «غَزَا نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ» أَي: أَرَادَ أَنْ يَغْزُو.

وَقَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: هَذَا النَّبِيُّ هُوَ يَوْشَعَ بْنِ نُونٍ هُنَا.

وقد رواه الحاكم من طريق كعب الأحبار وبين تسمية القرية وقد ورد أصله من طريق مرفوعة صحيحة أخرجهما أحمد من طريق شام عن مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الشَّمْسَ لَمْ تَحْبَسْ لِبَشَرٍ إِلَّا لِيَوْشَعَ بْنِ نُونٍ لِيَالِي سَارٍ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدَسِ» وَأَغْرَبَ ابْنُ بَطَالٍ فَقَالَ فِي بَابِ اسْتِثْنَاءِ الرَّجُلِ الْإِمَامِ فِي هَذَا الْمَعْنَى حَدِيثَ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ فِي غَزْوَةِ خَرَجَ إِلَيْهَا لَا يَتْبَعُنِي مِنْ مَلِكٍ بَضْعَ امْرَأَةٍ وَلَمْ يَبْنِ دَارًا وَلَمْ يَسْكُنْهَا.

قَالَ الْحَافِظُ الْعَسْقَلَانِيُّ: وَلَمْ أَقِفْ لَهُ عَلَى مَا ذَكَرَهُ مُسْنَدًا لَكِنْ أَخْرَجَ الْخَطِيبُ فِي ذِمِّ النُّجُومِ لَهُ مِنْ طَرِيقِ أَبِي حَزِيفَةَ الْبُخَارِيِّ فِي الْمُبْتَدَأِ لَهُ بِإِسْنَادٍ لَهُ عَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَأَلَ قَوْمُ يَوْشَعَ بْنِ نُونٍ أَنْ يُطْلِعَهُمْ عَلَى بَدْءِ الْخَلْقِ وَأَجَالِهِمْ فَأَرَاهُمْ ذَلِكَ فِي مَاءٍ مِنْ غَمَامَةٍ مَطَرَهَا اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ أَحَدُهُمْ يَعْلَمُ مَتَى يَمُوتُ فَبَقُوا عَلَى ذَلِكَ إِلَى أَنْ قَاتَلَهُمْ دَاوُدُ عَلَى الْكُفْرِ فَأَخْرَجُوا إِلَى دَاوُدَ مَنْ لَمْ يَحْضُرْ أَجَلُهُ فَكَانَ يَقْتُلُ مِنْ أَصْحَابِ دَاوُدَ وَلَا يَقْتُلُ مِنْهُمْ فَشَكَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَدَعَا فَحَبَسَتْ عَلَيْهِمُ الشَّمْسُ وَزِيدَ فِي النَّهَارِ فَاخْتَلَطَتِ الزِّيَادَةُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ

الشأن حتى يبين له لسان العلم في جهاده ولسان الطريق وما يشترك فيه ولأجل ترك النظر إلى هذه القاعدة كانت المجاهدة اليوم عند جلّ الناس لا تفيد شيئاً لأجل أنهم يدخلون في المجاهدات جاهلين بها من الطريقتين وإن كان لأحدهم علم فيكون في الطريق الواحد ويترك الآخر ومن حصل له العلم بالطريقتين فهو المرجو له الخير وهو على طريق الهدى والتوفيق فطوبى له ثم طوبى له ومن رزق التوفيق ولم يكن له علم بهذين الطريقتين يحتاج أن يبذل نفسه فيهما لعله أن ينال منهما شيئاً أو من بركة أهليهما.

فاختلط عليهم حسابهم قَالَ الْحَافِظُ الْعَسْقَلَانِيُّ : وإسناده ضعيف جدًا وحديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المشار إليه عند أحمد أولى فإن رجال إسناده محتج بهم في الصحيح فالمعتمد أنها لم تحبس إلا ليوشع بن نون وقد اشتهر حبس الشمس ليوشع عَلَيْهِ السَّلَامُ حتى قَالَ أَبُو تمام في قصيدة :

فوالله لا أدري أحلام نائم أَلَمْتُ بنا أم كان في الركب يوشع

ولا يعارضه ما ذكره ابن إسحاق في المبتدأ من حديث يحيى بن عُرْوَةَ بن الزبير عَنْ أَبِيهِ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمَّا أَمَرَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بالمسير ببني إسرائيل أمره بحمل تابوت يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فلم يدل عليه حتى كاد الفجر يطلع وكان وعد بني إسرائيل أن يسير بهم إذا طلع الفجر فدعا ربّه أن يؤخر طلوعه حتى يفرغ من أمر يُوسُفُ ففعل الله عز وجل ذلك لأن الحصر إنما وقع في حق يوشع بطلوع الشمس فلا ينفي أن يحبس طلوع الفجر لغيره ولا يعارضه أيضًا ما ذكره يونس بن بكير في زيادته من مغازي ابن إسحاق أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لما أخبر قريشًا صبيحة الإسراء أنه رأى العير التي لهم وأنها تقدم مع شروق الشمس فدعا الله تعالى فحبست الشمس حتى دخلت العير لأنه منقطع .

لكن وقع في الأوسط للطبراني من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أمر الشمس فتأخرت ساعة من نهار وإسناده حسن ووجه الجمع أَنَّ الحصر محمول على ما مضى للأنبياء قبل نبينا ﷺ وليس فيه نفي أنها لم تحبس لنبينا ﷺ .

وقد روى الطحاوي والطبراني في الكبير والحاكم والبيهقي في الدلائل عن أسماء بنت عميس أنه ﷺ نام على فخذ علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حتى غابت الشمس فلما استيقظ قَالَ علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي لَمْ أُصِلْ الْعَصْرَ فَقَالَ ﷺ : «اللَّهُمَّ إِنْ عَبْدكَ عَلِيًّا احتبس بنفسه على نبيك فرد عليه شرفها» قالت أسماء فطلعت الشمس حتى وقعت على الجبال وعلى الأرض ثم قام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فتوضأ وصلى العصر وذلك بالصهباء ذكره الطحاوي في مشكل الآثار وَقَالَ وكان أحمد ابن صالح يقول لا ينبغي لمن سبيله العلم أن يتخلف عن حفظ حديث أسماء لأنها من أجل علامات النبوة قَالَ : وهو حديث متصل ورواته ثقات

فَقَالَ لِقَوْمِهِ: لَا يَتَّبِعْنِي رَجُلٌ مَلَكَ بُضْعَ امْرَأَةٍ، وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَتَّبِعَنِي بِهَا؟ وَلَمَّا بَيَّنَّ بِهَا،

وأخطأ ابن الجوزي فأورده في الموضوعات ولا يلتفت إليه وأما ما حكاه القاضي عياض أَنَّ الشمس رَدَّتْ للنبي ﷺ يوم الخندق لما شغلوا عن صلاة العصر فقد قال الحافظ العسقلاني كذا قال وعزاه للطحاوي حتى غربت الشمس فردّها الله عليه حتى صلى العصر والذي رأيته في مشكل الآثار للطحاوي حديث أسماء بنت عميس فإن ثبت ما قَالَ فهذه قصة ثالثة.

وأما ما ذكر من أنه وقع لسليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ أَيضًا وأنه روي عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ: سَأَلْتُ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ ﴿إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ [ص: 32] فَقَالَ مَا بَلَغَكَ فِي هَذَا يَا ابْنَ عَبَّاسٍ فَقُلْتُ لَهُ سَمِعْتُ كَعْبَ الْأَحْبَارِ يَقُولُ إِنَّ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ اشْتَغَلَ ذَاتَ يَوْمٍ بِعَرَضِ الْأَفْرَاسِ وَالنَّظَرِ إِلَيْهَا حَتَّى تَوَارَتْ الشَّمْسُ بِالْحِجَابِ رَدَّوْهَا عَلَيَّ يَعْنِي الْأَفْرَاسَ وَكَانَتْ أَرْبَعَةَ عَشَرَ فَرَدَّوْهَا عَلَيْهِ فَأَمَرَ بِضَرْبِ سَوْقِهَا وَأَعْنَاقِهَا بِالسَّيْفِ فَقَتَلَهَا وَإِنَّ اللَّهَ سَلَبَ مَلِكَهُ أَرْبَعَةَ عَشَرَ يَوْمًا لِأَنَّهُ ظَلَمَ الْخَيْلَ بِقَتْلِهَا فَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَذَبَ كَعْبٌ لَكِنْ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ اشْتَغَلَ بِعَرَضِ الْأَفْرَاسِ ذَاتَ يَوْمٍ لِأَنَّهُ أَرَادَ جِهَادَ عَدُوِّ حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ فَقَالَ يَأْمُرُ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ الْمُوَكَّلِينَ بِالشَّمْسِ رَدَّوْهَا عَلَيَّ يَعْنِي الشَّمْسَ فَرَدَّوْهَا عَلَيْهِ حَتَّى صَلَّى الْعَصْرَ فِي وَقْتِهَا وَإِنَّ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ لَا يَظْلَمُونَ وَلَا يَأْمُرُونَ بِالظُّلْمِ وَلَا يَرْضَوْنَ بِالظُّلْمِ لِأَنَّهُمْ مَعْصُومُونَ مُطَهَّرُونَ فِي ثُبُوتِ هَذِهِ الْقِصَّةِ كَلَامٌ.

(فَقَالَ لِقَوْمِهِ: لَا يَتَّبِعْنِي⁽¹⁾ رَجُلٌ مَلَكَ بُضْعَ امْرَأَةٍ) البضع بضم الموحدة وسكون المعجمة يطلق على الفرج والجماع والتزويج وكل منها ممكن هنا ويطلق أَيضًا على المهر والطلاق وَقَالَ الجوهري قَالَ ابْنُ السَّكَيْتِ البُضْعُ النِّكَاحُ يُقَالُ مَلَكَ فُلَانٌ بُضْعَ فُلَانَةٍ.

(وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَتَّبِعَنِي بِهَا) أَي: يَدْخُلُ عَلَيْهَا وَتَزِفُ إِلَيْهِ وَيُرَوِّى أَنْ يَتَّبِعَنِي مِنَ الْإِبْتِنَاءِ مِنَ الْإِفْتِعَالِ وَالْجُمْلَةُ حَالِيَةٌ.

(وَلَمَّا بَيَّنَّ بِهَا) أَي: وَالْحَالُ أَنَّهُ لَمْ يَدْخُلْ عَلَيْهَا وَالتَّعْبِيرُ بَلَمَّا يَشْعُرُ بِتَوَقُّعِ ذَلِكَ

وَلَا أَحَدٌ بَنَى بُيُوتًا وَلَمْ يَرْفَعْ سُقُوفَهَا، وَلَا أَحَدٌ اشْتَرَى غَنَمًا أَوْ خِلْفَاتٍ

قاله الزَّمَخْشَرِيُّ في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا يَدْخُلُ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: 14] ووقع في رواية سعيد بن المسيب عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند النَّسَائِيِّ وَأَبِي عَوَانَةَ وابن حبان لا يتبعني رجل بنى دارًا ولم يسكنها أو تزوج امرأة ولم يدخل بها وفي التقييد بعدم الدخول ما يفهم أن الأمر بعد الدخول بخلاف ذلك ولا يخفى ما بين الأمرين فإنه وإن كان بعد الدخول ربما استمر تعلق القول لكن ليس هو كما قبل الدخول غالبًا.

(وَلَا أَحَدٌ بَنَى بُيُوتًا وَلَمْ يَرْفَعْ سُقُوفَهَا) وفي صحيح مسلم ومسند أحمد ولما يرفع سقفيها وهو بضم السين والفاء ليوافق هذه الرواية.

وقال الحافظ العسقلاني: ووهم من ضبطها بالإسكان وتكلف في توجيه الضمير المؤنث للسقف انتهى وأنت خير بأن هذا كلام قاصر والظاهر أن الرواية بنى بيتًا ولما يرفع سقفيها فإنه حينئذ يحتاج إلى التكلف كما لا يخفى.

(وَلَا أَحَدٌ) ويروى: ولا آخر (اشْتَرَى غَنَمًا أَوْ خِلْفَاتٍ) بفتح المعجمة وكسر اللام بعدها فاء خفيفة قَالَ ابن فارس هي الناقة الحامل وقيل جمعها مخاض على غير قياس كما يقال واحدة النساء امرأة وقيل هي التي استكملت سنة بعد النتاج ثم حملت وقيل الخلفة التي توهم أن بها حملًا ثم لم تلقح.

وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ: فلا تزال خلفه حتى تبلغ عشرة أشهر.

وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ: الخلفة بكسر اللام المخاض من النوق وفي المغيث يقال خلفت إذا حملت وأخلفت إذا حالت ولم تحمل وقد يطلق على غير النوق وأو في قوله غنمًا أو خلفات للتنويع ويكون قد حذف وصف الغنم بالحمل للدلالة الثاني عليه أو هو على إطلاقه لأن الغنم يقل صبرها فيخشى عليها الضياع بخلاف النوق فلا يخشى عليها إلا مع الحمل ويحتمل أن تكون كلمة أو للشك أي: هل قَالَ غَنَمًا بغير صفة أو خلفات أي: بصفة أنها حوامل كذا قَالَ بعض الشراح والمعتمد كما قَالَ الْحَافِظُ الْعَسْكَلَانِيُّ إنها للتنويع.

لقد وقع في رواية أَبِي يَعْلَى عن مُحَمَّد بن العلاء ولا رجل له غنم أو بقر أو خلفات.

وَهُوَ يَنْتَظِرُ وَلَادَهَا، فَعَزَّا قَدْنَا مِنَ الْقَرْيَةِ صَلَاةَ الْعَصْرِ أَوْ قَرِيبًا مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَ لِلشَّمْسِ: إِنَّكَ مَأْمُورَةٌ وَأَنَا مَأْمُورٌ اللَّهُمَّ احْبِسْهَا عَلَيْنَا،

(وَهُوَ يَنْتَظِرُ وَلَادَهَا) بكسر الواو مصدر ولد ولادًا وولادة، (فَعَزَّا) أي: بمن تبعه ممن لم يتصف بتلك الصفة، (قَدْنَا مِنَ الْقَرْيَةِ) هي أريحا بفتح الهمزة وكسر الراء بعدها تحتانية ساكنة ومهملة مع القصر سمّاها الحاكم في روايته عن كعب. وفي رواية مسلم: فأدنى للقرية أي: قَرَّبَ جيوشه لها.

وَقَالَ ابن إسحاق: لما مات مُوسَى عليه الصلاة والسلام وانقضت الأربعون سنة بعث يوشع بن نون نبيًّا فأخبر بني إسرائيل أنه نبيُّ الله وأن الله قد أمره بقتال الجبارين فصدّقوه وبايعوه فتوجّه ببني إسرائيل إلى أريحا ومعه تابوت الميثاق فأحاط بمدينة أريحا ستة أشهر فلما كان السابع نفحوا في يوم الجمعة فبقيت منهم بقية وكادت الشمس تغرب وتدخل ليلة السبت فخشي يوشع أن يعجزوا فَقَالَ: اللَّهُمَّ اردد الشمس عليَّ فَقَالَ لها إنك في طاعة الله وأنا في طاعة الله وهو معنى قوله: إنك مأمورة وأنا مأمور.

(صَلَاةَ الْعَصْرِ أَوْ قَرِيبًا مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَ لِلشَّمْسِ: إِنَّكَ مَأْمُورَةٌ وَأَنَا مَأْمُورٌ) وفي رواية سعيد بن المسيب فلقى العدو عند غيبوبة الشمس.

وروى الحاكم عن كعب أنه قَالَ: إِنَّهُ وصل إلى القرية وقت العصر يوم الجمعة وكادت الشمس أن تغرب ويدخل الليل وبهذا يتبيّن معنى قوله وأنا مأمور والفرق بين المأمورين أنّ أمر الجمادات أمر تسخير وأمر العقلاء أمر تكليف وخطابه للشمس يحتمل أن يكون على حقيقته وأن الله خلق فيها تمييزًا وإدراكًا كما سيأتي البحث فيه في الفتن في سجودها تحت العرش واستئذانها من أين تطلع ويحتمل أن يكون ذلك على سبيل استحضاره في النفس لما تقرر أنه لا يمكن تحوّلها عن عادتها إلّا بخرق العادة ويؤيد الاحتمال الثاني: أنّ في رواية سعيد بن المسيب فَقَالَ اللَّهُمَّ: إنها مأمورة وإني مأمور فاحبسها عليّ حتى يقضي بيني وبينهم فحبسها الله عليه ومعنى قوله: إنك مأمورة أي: بالغروب وأنا مأمور أي: بالصلاة أو القتال قبل الغروب.

(اللَّهُمَّ احْبِسْهَا عَلَيْنَا) وفي رواية أحمد اللهم احبسها عليّ شيئًا وهو منصوب

فَحُسِبَتْ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَجَمَعَ الْغَنَائِمَ، فَجَاءَتْ يَغْنِي النَّارَ لِتَأْكُلَهَا، فَلَمْ تَطْعَمْهَا فَقَالَ: إِنَّ فِيكُمْ غُلُولًا، فَلْيَبَايِعْنِي مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ رَجُلٌ، فَلَزِقَتْ يَدُ رَجُلٍ بِيَدِهِ، فَقَالَ: فِيكُمْ الْغُلُولُ، فَلْتَبَايِعْنِي قَبِيلَتَكَ، فَلَزِقَتْ يَدُ رَجُلَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ بِيَدِهِ،

نصب المصدر أي: قدر ما ينقضي حاجتنا من فتح البلد.

(فَحُسِبَتْ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ) قَالَ الْقَاضِي عِيَاضُ اخْتَلَفَ فِي حِسَابِ الشَّمْسِ هُنَا فَقِيلَ: رَدَّتْ عَلَى أَدْرَاجِهَا، وَقِيلَ: وَقَفَتْ، وَقِيلَ: بَطُتْ حَرَكَتُهَا وَكُلُّ ذَلِكَ مُحْتَمَلٌ وَالثَّلَاثُ أَرْجَحُ عِنْدَ ابْنِ بَطَالٍ وَغَيْرِهِ.

(فَجَمَعَ الْغَنَائِمَ، فَجَاءَتْ يَغْنِي النَّارَ لِتَأْكُلَهَا) وَفِي رِوَايَةِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ عِنْدَ مُسْلِمٍ وَأَحْمَدَ: فَجَمَعُوا مَا غَنِمُوا فَأَقْبَلَتِ النَّارُ.

وزاد في رواية سعيد بن المسيّب: وكانوا إذا اغنموا غنيمة بعث الله عليها النار فتأكلها، (فَلَمْ تَطْعَمْهَا) أي: فلم تذوق لها طعمًا ولم يقل فلم تأكلها للمبالغة ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ [البقرة: 249].

(فَقَالَ: إِنَّ فِيكُمْ غُلُولًا) وهو الخيانة في المغنم والسرقة منه وكان الأنبياء المتقدمون إذا غنموا جمعوا المغنم في مريد فتأتي نار من السماء فتحرقها فإن كان فيها غلول أو ما لا يحل لم تأكلها وكذلك كانوا يفعلون في قرايبنهم كان المتقبل تأكله النار وما لا يتقبل يبقى على حاله ولا تأكله ففضل هذه الأمة وجعلها خير أمة أخرجت للناس وأعطاهم ما لم يعط غيرهم وأحلّ لهم الغنائم كما أشير إليه في آخر الحديث بقوله رأى ضعفنا وعجزنا فحلّها لنا.

(فَلْيَبَايِعْنِي مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ رَجُلٌ) فِيهِ حَذْفٌ أَيْ: فَبَايِعُوهُ، (فَلَزِقَتْ يَدُ رَجُلٍ بِيَدِهِ، فَقَالَ: فِيكُمْ الْغُلُولُ، فَلْتَبَايِعْنِي قَبِيلَتَكَ) فَبَايِعُوهُ، (فَلَزِقَتْ يَدُ رَجُلَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ بِيَدِهِ) وَفِي رِوَايَةِ أَبِي يَعْلَى: فَلَزِقَتْ يَدُ رَجُلٍ أَوْ رَجُلَيْنِ وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ الْمُسَيَّبِ: رَجُلَيْنِ بِالْجَزْمِ.

قَالَ ابْنُ الْمُنِيرِ: جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَامَةَ الْغُلُولِ إِلْزَاقَ يَدِ الْغَالِّ وَفِيهِ تَنْبِيهُ عَلَى أَنَّهَا يَدٌ عَلَيْهَا حَقٌّ يَطْلُبُ أَنْ يَتَخَلَّصَ مِنْهَا وَأَنَّهَا قَدْ يَنْبَغِي أَنْ يُضْرَبَ عَلَيْهَا وَيُحْبَسَ صَاحِبُهَا حَتَّى يُوَدَّى الْحَقُّ إِلَى الْإِمَامِ وَهُوَ مِنْ جِنْسِ شَهَادَةِ الْيَدِ عَلَى صَاحِبِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

فَقَالَ: فِيكُمْ الْغُلُولُ، فَجَاؤُوا بِرَأْسٍ مِثْلِ رَأْسِ بَقَرَةٍ مِنَ الذَّهَبِ، فَوَضَعُوهَا، فَجَاءَتِ النَّارُ، فَأَكَلَتْهَا ثُمَّ أَحَلَّ اللَّهُ لَنَا الْغَنَائِمَ، رَأَى ضَعْفَنَا وَعَجَزَنَا، فَأَحَلَّهَا لَنَا.

(فَقَالَ: فِيكُمْ الْغُلُولُ) وفي رواية سعيد بن المسيب فقال رجل غللتنا فجاء رجل برأس مثل رأس بقرة من الذهب.

(فَجَاؤُوا بِرَأْسٍ مِثْلِ رَأْسِ بَقَرَةٍ مِنَ الذَّهَبِ، فَوَضَعُوهَا، فَجَاءَتِ النَّارُ، فَأَكَلَتْهَا ثُمَّ أَحَلَّ اللَّهُ لَنَا الْغَنَائِمَ) وفي رواية النَّسَائِيِّ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عند ذلك إِنَّ اللَّهَ أَطْعَمَنَا الْغَنَائِمَ رَحْمَةً رَحِمْنَا بِهَا وَتَخَفِيفًا خَفَفَهُ عَنَا.

(رَأَى ضَعْفَنَا وَعَجَزَنَا، فَأَحَلَّهَا لَنَا) وفي رواية سعيد بن المسيب لما رأى من ضعفنا وفيه إشعار بأن إظهار العجز بين يدي الله لنا يستوجب ثبوت الفضل وفيه اختصاص هذه الأمة بحلّ الغنيمة وكان ابتداء ذلك في غزوة بدر وفيها نزل قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ [الأنفال: 69] فأحلّ الله الغنيمة وقد ثبت ذلك في الصحيح من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وقد تقدم في أوائل فرض الخمس أن أول غنيمة خمست غنيمة السرية التي خرج فيها عَبْدُ اللَّهِ بن جحش وذلك قبل بدر بشهرين ويمكن الجمع بما ذكر ابن سعد أنه ﷺ أخرج غنيمة تلك السرية حتى رجع من بدر فقسمها مع غنائم أهل بدر قَالَ المهلب في هذا الحديث إِنَّ فتن الدنيا تدعو النفس إلى الهلع ومحبة البقاء فَإِنْ من ملك بضع امرأة ولم يدخل بها أو دخل وكان على قرب من ذلك فَإِنْ قلبه متعلق بالرجوع إليها ويجد الشيطان السبيل إلى شغل قلبه عما هو عليه من الطاعة وكذلك غير المرأة من أحوال الدنيا وهو كما قَالَ أَلَا إِنَّ ما بعد الدخول إليها ليس كما قبله وَإِنْ لم يطل ويدلّ على التعميم في الأمور الدنيوية ما وقع في رواية سعيد ابن المسيب من الزيادة وهي قوله أوله حاجة في الرجوع.

وفيه: أن الأمور المهمة لا ينبغي أن تفوّض إلّا إلى أولي الحزم وأصحاب الفراغ لها فَإِنْ تعلق القلب بغيرها يمنع كمال بذل الوسع في ذلك.

وفيه: أن من مضى كانوا يغزون ويأخذون أموال أعدائهم وأسلابهم لكن لا يتصرّفون فيها بل يجمعونها وعلامة قبول غزوهم ذلك أن تنزل النار من السماء فتأكلها وعلامة عدم قبوله أن لا تنزل ومن أسباب عدم القبول أن يقع منهم الغلول

9 - باب: الْغَنِيمَةُ لِمَنْ شَهِدَ الْوَقْعَةَ

وقد منَّ الله تعالى على هذه الأمة ورحمها لشرف نبيهم ﷺ عنده فأحلَّ لهم الغنيمة وستر عليهم الغلول وطوى عنهم فضيحة عدم القبول فلله الحمد على نعمه تترى .

وفيه : معاقبة الجماعة بفعل سفهائها .

وفيه : أن أحكام الأنبياء عليهم السلام قد تكون بحسب الأمر الباطن كما في هذه القصة وقد تكون بحسب الأمر الظاهر كما في حديث إنكم تختصمون إليَّ الحديث ، واستدلَّ به ابن بطال على جواز إحراق أموال المشركين .

وتعقب : بأن ذلك كان في تلك الشريعة وقد نسخ بحلّ الغنائم لهذه الأمة .

وأجيب عنه : بأنه لا يخفى عليه ذلك ولكنه استنبط من إحراق الغنيمة بأكل النار جواز إحراق أموال الكفار إذا لم يوجد السبيل إلى أخذها غنيمة وهو ظاهر لأنَّ هذا القدر لم يرد التصريح بنسخه فهو محتمل على أنَّ شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد ناسخه واستدلَّ به أيضًا على أن قتال آخر النهار أفضل من أوله .

وفيه : نظر لأن ذلك في هذه القصة إنما وقع اتفاقاً .

ومطابقة الحديث في قوله ثم أحلَّ الله لنا الغنائم ، وقد أخرجهُ البُخَارِيُّ في النكاح أيضًا وأخرجهُ مُسْلِمٌ في المغازي .

9 - باب: الْغَنِيمَةُ لِمَنْ شَهِدَ الْوَقْعَةَ

(باب) بالتونين (الْغَنِيمَةُ لِمَنْ شَهِدَ) أي : حضر (الْوَقْعَةَ) أي : صدقة العدو وهذا قول عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَخْرَجَهُ عبد الرزاق بإسناد صحيح عن طارق بن شهاب أن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كتب إلى عمار أن الغنيمة لمن شهد الوقعة ذكره في قصة . وهذا ما عليه جماعة الفقهاء .

فإن قيل : قسم النَّبِيِّ ﷺ لجعفر بن أبي طالب ولمن قدم في سفينة أبي موسى من غنائم خيبر ممَّن لم يشهدا؟

فالجواب : أنه إنما فعل ذلك لشدة احتياجهم في بدء الإسلام فإنهم كانوا للأنصار تحت ثبج من النخيل والمواشي لحاجتهم فضاقت بذلك أحوال

3125 - حَدَّثَنَا صَدَقَةُ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ، عَنْ مَالِكٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَوْ لَا آخِرُ الْمُسْلِمِينَ، مَا فَتَحْتُ قَرْيَةً إِلَّا قَسَمْتُهَا بَيْنَ أَهْلِهَا، كَمَا قَسَمَ النَّبِيُّ ﷺ خَيْبَرَ».

الأنصار وكان المهاجرون في ذلك في شغل فلما فتح الله خيبر عوض الشارع المهاجرين ورد الأنصار منايحهم .

وَقَالَ الطَّحَاوِيُّ: إِنَّهُ ﷺ اسْتَطَابَ أَنْفُسَ أَهْلِ الْغَنِيمَةِ، وَقَدْ رَوَى ذَلِكَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَيْضًا كَمَا يَجِيءُ عَنْ قَرِيبٍ.

(حَدَّثَنَا صَدَقَةُ) هو ابن الفضل المروزي وهو من أفرادهِ قَالَ: (أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ) هو ابن مهدي البصري، (عَنْ مَالِكٍ) الإمام، (عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ أَبِيهِ) أسلم مولى عمر بن الخطاب يكنى أبا خالد كان من سبي اليمن.

(قَالَ: قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَوْ لَا آخِرُ الْمُسْلِمِينَ، مَا فَتَحْتُ قَرْيَةً إِلَّا قَسَمْتُهَا بَيْنَ أَهْلِهَا»⁽¹⁾ كَمَا قَسَمَ النَّبِيُّ ﷺ خَيْبَرَ) يعني: لو قسمت كل قرية على الفاتحين لما بقي شيء لمن يجيء بعدهم من المسلمين. قَالَ الْكِرْمَانِيُّ هو حقهم فَلِمَ لَا يَقْسِمُ عَلَيْهِمْ؟

فأجاب: بأنه يسترضيهم بالبيع ونحوه ويوقفه على الكل كما فعل بأرض العراق وغيرها ولم يكن قسم النَّبِيِّ ﷺ خيبر بكمالها ولكنه قسم منها طائفة وترك طائفة لم يقسمها فللإمام أن يفعل في ذلك ما رآه صلاحًا .

ومناسبة هذا الأثر للترجمة من حيث إن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صرَّح في هذا الأثر بأن الغنيمة لمن شهد الواقعة حيث قَالَ: أَلَا قَسَمْتُهَا بَيْنَ أَهْلِهَا أَي: الشاهدين لفتحها إلا أنه عارض ذلك عنده حسن النظر لآخر المسلمين فيما يتعلق بالأرض خاصة فوقفها على المسلمين وضرب عليها الخراج الذي يجمع مصالحهم واحتج في قسمته لأرض بينهم بقوله تعالى: ﴿مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ﴾ [الحشر: 7] إلى قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ الآية [الحشر: 10] قَالَ عمر رضي الله عنه هذه الآية استوعبت الناس كلهم فلم يبق أحد منهم إلا وله في هذا المال حق حتى الراعي .

(1) والمراد بأهلها الشاهدون لفتحها فأضيف الأهل إلى القرية بهذه المناسبة.

وروى أبو عبيد في كتاب الأموال من طريق ابن إسحاق عن حارثة بن مضرب عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه أراد أن يقسم السواد فشاور في ذلك فَقَالَ له علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دعهم يكونوا مادة للمسلمين فتركهم ومن طريق عبد الله بن أبي قيس أن عمر رضي الله عنه أراد قسمة الأرض فَقَالَ له معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إن قسمتها صار الربع العظيم في أيدي القوم يبيدون فيصير إلى الرجل الواحد أو المرأة ويأتي القوم يستون من الإسلام مسدًا فلا يجدون شيئًا فأنظر أمرًا يسع أولهم وآخرهم فافتضى رأي عمر تأخير قسم الأرض وضرب الخراج عليها للغانمين ولمن يجيء بعدهم، فبقي ما عدا ذلك على اختصاص الغانمين به.

وقد اختلف العلماء في حكم الأرض فَقَالَ أبو عبيد: وجدنا الآثار عن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ والخلفاء بعده قد جاءت في افتتاح الأرض على ثلاثة أحكام أرض أسلم أهلها عليها فهي لهم ملك وهي أرض عشر لا شيء فيها غيره وأرض افتتحت صلحًا على خراج معلوم فهم على ما صولحوا عليه لا يلزمهم أكثر منه وأرض أخذت عنوة وهي التي اختلف فيها المسلمون فَقَالَ بعضهم: سبيلها سبيل الغنيمة فيكون أربعة أخماسها حصصًا بين الذين افتتحوها خاصة والخمس الباقي لمن سمى الله تعالى.

وَقَالَ ابن المنذر: وهذا قول الشافعي وأبي ثور، وبه أشار الزبير بن العوام على عمرو بن العاص حين افتتح مصر.

قَالَ أبو عبيد: وَقَالَ بعضهم: بل حكمها والنظر فيها إلى الإمام إن رأى أن يجعلها غنيمة فيخمسها ويقسمها، كما فعل رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فذلك له وإن رأى أن يجعلها موقوفة على المسلمين ما بقوا كما فعل عمر رضي الله عنه في السواد فذلك له وهو قول أبي حنيفة وصاحبيه والثوري فيما حكاه الطحاوي.

وَقَالَ مالك: يجتهد فيها الإمام وَقَالَ في العتبية العمل في أرض العنوة على فعل عمر رضي الله تعالى عنه أن لا يقسم ويقرّ بحالها وقد ألح بلال وأصحاب له رضي الله عنهم على عمر في قسم الأرض بالشام، فَقَالَ: اللَّهُم أكفنيهم فما أتى الحول وقد بقي منهم أحد.

10 - بَابُ مَنْ قَاتَلَ لِلْمَغْنَمِ، هَلْ يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِهِ؟

3126 - حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ عَمْرِو، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا وَائِلٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ أَعْرَابِيٌّ لِلنَّبِيِّ ﷺ: الرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلْمَغْنَمِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُذَكَّرَ، وَيُقَاتِلُ لِيُرَى مَكَانُهُ، مَنْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ فَقَالَ: «مَنْ قَاتَلَ، لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ».

10 - بَابُ مَنْ قَاتَلَ لِلْمَغْنَمِ، هَلْ يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِهِ؟

(بَابُ مَنْ قَاتَلَ لِلْمَغْنَمِ) أي: لأجل حصول الغنيمة (هَلْ يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِهِ؟) واكتفى عن جواب الاستفهام بمضمون الحديث الذي ذكره وهو أن الذي يقاتل للمغنم ليس يجاهد في سبيل الله.

حَدَّثَنَا وَيْرُوى: (حَدَّثَنِي) بالإفراد (مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ) قَالَ: (حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ) بضم الغين المعجمة وسكون النون وفتح الدال لقب مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ قَالَ: (حَدَّثَنَا شُعْبَةُ) ابن الحجاج (عَنْ عَمْرِو) بفتح العين هو ابن مرة أَنَهُ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا وَائِلٍ هو شقيق بن سلمة، (قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ) عَبْدُ اللَّهِ بْنُ قَيْسٍ بن سليم الأشعري (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ: قَالَ أَعْرَابِيٌّ لِلنَّبِيِّ ﷺ: الرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلْمَغْنَمِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُذَكَّرَ) على البناء للمفعول أي: ليذكر بالشجاعة عند الناس.

(وَيُقَاتِلُ لِيُرَى مَكَانُهُ) على صيغة المجهول أيضًا وقوله: مكانه أي: مرتبته في الجنة ومنزلته في الشهداء وقيل: أي: مرتبته في الشجاعة والفرق بين هذا وبين الأول أن الأول للسمة وهذا للرياء.

(مَنْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟) كلمة من للاستفهام، (فَقَالَ) ﷺ: «مَنْ قَاتَلَ، لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» والحديث قد مضى في كتاب الجهاد وفي باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا.

ومطابقته للترجمة ظاهرة.

وَقَالَ ابن المنير: أراد الْبُخَارِيُّ أَنَّ قُصْدَ الْغَنِيْمَةِ لَا يَكُونُ مُنَافِيًا لِلْأَجْرِ وَلَا مُنْقَضًا إِذَا قُصِدَ مَعَهُ إِعْلَاءُ كَلِمَةِ اللَّهِ تَعَالَى لِأَنَّ السَّبَبَ لَا يَسْتَلْزِمُ الْحَصْرَ

11 - باب قِسْمَةِ الْإِمَامِ مَا يَقْدَمُ عَلَيْهِ، وَيَخْبَأُ لِمَنْ لَمْ يَحْضُرْهُ أَوْ غَابَ عَنْهُ

3127 - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ:

ولهذا يثبت الحكم الواحد بأسباب متعددة ولو كان قصد الغنيمة ينافي قصد الإعلاء لما جاء الجواب عامًّا ولقال مثلاً من قاتل للمغنم فليس هو في سبيل الله. وتعقبه الحافظ العسقلاني: بأن ما ادعاه أن مراد البخاري فيه بعد والذي يظهر أن النقص من الأجر أمر نسبي كما تقدم تحرير ذلك في أوائل الجهاد فليس من قصد إعلاء كلمة الله تعالى محضاً في الأجر مثل من ضم إلى هذا القصد قصداً آخر من غنيمة أو غيرها.

وقال ابن المنير في موضع آخر: ظاهر الحديث أن من قاتل للمغنم يعني خاصة فليس في سبيل الله وهذا لا أجر له فكيف ترجم أن ينقص الأجر؟ وجوابه ما تقدم والله تعالى اعلم.

11 - باب قِسْمَةِ الْإِمَامِ مَا يَقْدَمُ عَلَيْهِ، وَيَخْبَأُ لِمَنْ لَمْ يَحْضُرْهُ أَوْ غَابَ عَنْهُ

(باب قِسْمَةِ الْإِمَامِ مَا يَقْدَمُ) بفتح الدال عليه في هدايا المشركين بين أصحابه (عَلَيْهِ، وَيَخْبَأُ) من خَبَأْتُ الشيءَ أَخْبَوُهُ، خَبَأٌ إذا أخفيتِه والخَبَاءُ والخَبِيءُ والخَبِيئَةُ، الشيءُ المَخْبُوءُ قوله: (لِمَنْ لَمْ يَحْضُرْهُ) أي: في مجلس الغنيمة، (أَوْ غَابَ عَنْهُ) أي: كان في غير بلد القسمة والمعنى يقسم ما يقدم عليه في جهة أهل الحرب بين الحاضرين والغائبين بأن يعطي شيئاً للحاضرين ويخبأ شيئاً للغائبين.

وقال ابن المنير: فيه رد لما اشتهر في الناس أن الهدية لمن حضر.

(حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ) أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَجَّيُّ الْبَصْرِيُّ قَالَ: (حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ) أي: ابن درهم، (عَنْ أَيُّوبَ) هو السخثياني، (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ) بضم الميم التَّيْمِيُّ الأُحُولُ الْقَاضِي عَلَى عَهْدِ ابْنِ الزُّبَيْرِ وَهُوَ مِنَ التَّابِعِينَ

أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَهْدَيْتَ لَهُ أَقْبِيَّةٌ مِنْ دِيْبَاجٍ، مُزْرَرَةٌ بِالذَّهَبِ، فَقَسَمَهَا فِي نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَعَزَلَ مِنْهَا وَاحِدًا لِمَخْرَمَةِ بْنِ نَوْفَلٍ، فَجَاءَ وَمَعَهُ ابْنُهُ الْمِسُورُ بْنُ مَخْرَمَةَ، فَقَامَ عَلَى الْبَابِ، فَقَالَ: ادْعُهُ لِي، فَسَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ صَوْتَهُ، فَأَخَذَ قَبَاءً، فَتَلَقَّاهُ بِهِ، وَاسْتَقْبَلَهُ بِأَزْرَارِهِ، فَقَالَ: «يَا أَبَا الْمِسُورِ خَبَأْتُ هَذَا لَكَ»، وَكَانَ فِي خُلْفِهِ شِدَّةٌ، وَرَوَاهُ ابْنُ عُلَيَّةَ، عَنْ أَيُّوبَ، وَقَالَ حَاتِمُ بْنُ وَرْدَانَ: حَدَّثَنَا أَيُّوبُ، عَنْ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، عَنِ الْمِسُورِ، قَدِمَتْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أَقْبِيَّةٌ،

وليس له صحبة وحديثه في مراسيل التابعين.

(أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَهْدَيْتَ لَهُ أَقْبِيَّةٌ) جمع قباء (مِنْ دِيْبَاجٍ) هو الثياب المتخذة في الأبريسم وهو معرب.

(مُزْرَرَةٌ بِالذَّهَبِ) من زررت القميص إذا اتخذت له أزرارًا.

وَيُرْوَى مُزْرَدَةٌ مِنَ الزَّرْدِ وَهُوَ تَدَاخُلُ حَلْقِ الدَّرْعِ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ.

(فَقَسَمَهَا فِي نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَعَزَلَ مِنْهَا وَاحِدًا لِمَخْرَمَةَ) بفتح الميمين والراء وإسكان الخاء المعجمة (ابْنِ نَوْفَلٍ) بفتح النون والفاء، (فَجَاءَ وَمَعَهُ ابْنُهُ الْمِسُورُ) بفتح الميم وإسكان المهملة (ابْنُ مَخْرَمَةَ، فَقَامَ عَلَى الْبَابِ، فَقَالَ: ادْعُهُ لِي) أي: فَقَالَ مَخْرَمَةُ لابنه المسور ادعُ النَّبِيَّ ﷺ لي معناه: عرفه أنني حضرت، (فَسَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ صَوْتَهُ، فَأَخَذَ قَبَاءً، فَتَلَقَّاهُ بِهِ) أي: بذلك القباء.

وفي رواية: فخرج ومعه قباء وهو يريه محاسنه وهو معنى قوله: (وَاسْتَقْبَلَهُ بِأَزْرَارِهِ) وإنما فعل هكذا ليرضيه لأنه كان شرس الخلق كما أشار إليه في الحديث بقوله وكان في خلقه شدة.

(فَقَالَ: «يَا أَبَا الْمِسُورِ خَبَأْتُ هَذَا لَكَ»، وَكَانَ فِي خُلْفِهِ شِدَّةٌ، وَرَوَاهُ ابْنُ عُلَيَّةَ) هو إِسْمَاعِيلُ ابْنُ عَلِيَّةٍ بضم العين وفتح اللام وتشديد المثناة التحتية وَعُلَيَّةُ أُمُّهُ، وَأَبُوهُ إِبْرَاهِيمُ الْأَسَدِيُّ الْبَصْرِيُّ.

(عَنْ أَيُّوبَ) هو السخثياني، أي: رواه عنه مثل الرواية الأولى يعني مرسلًا.

(وَقَالَ حَاتِمُ بْنُ وَرْدَانَ: حَدَّثَنَا أَيُّوبُ، عَنْ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، عَنِ الْمِسُورِ قَدِمَتْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أَقْبِيَّةٌ) أسند الْبُخَارِيُّ هذه الرواية فيما مرَّ في كتاب الشهادات في باب شهادة الأعمى حيث قَالَ حَدَّثَنَا زِيَادُ بْنُ يَحْيَى حَدَّثَنَا حَاتِمُ بْنُ

تَابَعَهُ اللَّيْثُ، عَنْ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ.

12 - بَابُ كَيْفَ قَسَمَ النَّبِيُّ ﷺ قَرِيطَةَ،

وَالنَّضِيرَ وَمَا أُعْطِيَ مِنْ ذَلِكَ فِي نَوَائِبِهِ

3128 - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي الْأَسْوَدِ، حَدَّثَنَا مُعْتَمِرٌ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: سَمِعْتُ

أَنْسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: «كَانَ الرَّجُلُ يُجْعَلُ لِلنَّبِيِّ ﷺ»

وردان حَدَّثَنَا أَيُّوبُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ عَنْ الْمَسُورِ بْنِ مَخْرَمَةَ الْحَدِيثِ.

(تَابَعَهُ) أَي: تابع أيُّوب (اللَّيْثُ) أَي: ابن سعد، (عَنْ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ) أُسْنَدُ الْبُخَارِيِّ هَذِهِ الْمَتَابَعَةُ فِي كِتَابِ الْهَبَةِ فِي بَابِ كَيْفَ يَقْبِضُ الْمَتَاعَ وَقَالَ: حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا اللَّيْثُ عَنْ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ عَنْ الْمَسُورِ بْنِ مَخْرَمَةَ الْحَدِيثِ وَحَاصِلُ الْكَلَامِ أَنَّهُ اتَّفَقَ اثْنَانِ عَنْ أَيُّوبَ عَلَى إِرْسَالِهِ وَاتَّفَقَ اثْنَانِ عَلَى وَصْلِهِ وَاعْتَمَدَ الْبُخَارِيُّ عَلَى الْأَوَّلِ.

ومطابقة الحديث للترجمة في قوله أهديت له أقبية فقسمها الخ وَقَالَ ابْنُ بَطَالٍ مَا أَهْدَى لِلنَّبِيِّ ﷺ مِنَ الْمُشْرِكِينَ حَلَالٌ لَهُ لِأَنَّهُ فِيءٌ وَلَهُ أَنْ يَهَبَ مِنْهُ مَا شَاءَ وَيُؤْثِرَ بِهِ مِنْ شَاءَ كَالْفِيءِ، وَأَمَّا مِنْ بَعْدِهِ فَلَا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يَخْتَصَّ بِهِ إِنَّمَا أَهْدَى إِلَيْهِ لِكَوْنِهِ أَمِيرِهِمْ وَقَدْ مَضَى مَا يَتَعَلَّقُ بِذَلِكَ فِي كِتَابِ الْهَبَةِ.

12 - بَابُ كَيْفَ قَسَمَ النَّبِيُّ ﷺ قَرِيطَةَ،

وَالنَّضِيرَ وَمَا أُعْطِيَ مِنْ ذَلِكَ فِي نَوَائِبِهِ

(بَابُ كَيْفَ قَسَمَ النَّبِيُّ ﷺ قَرِيطَةَ) بضم القاف وفتح الراء، (وَالنَّضِيرَ) بفتح

النون وهما قبيلتان من اليهود.

(وَمَا أُعْطِيَ مِنْ ذَلِكَ فِي نَوَائِبِهِ) وهي المهمات الحادثة.

(حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي الْأَسْوَدِ) هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ أَبِي الْأَسْوَدِ وَاسْمُ أَبِي الْأَسْوَدِ حَمِيدُ أَبُو بَكْرٍ ابْنُ أُخْتِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَهْدِيٍّ الْبَصْرِيِّ الْحَافِظِ وَهُوَ مِنْ أَفْرَادِهِ، قَالَ: (حَدَّثَنَا مُعْتَمِرٌ) بلفظ الفاعل في الاعتبار.

(عَنْ أَبِيهِ) سُلَيْمَانَ بْنِ طَرْخَانَ التَّيْمِيِّ أَنَّهُ (قَالَ: سَمِعْتُ أَنْسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: كَانَ الرَّجُلُ) أَي: مِنَ الْأَنْصَارِ (يُجْعَلُ لِلنَّبِيِّ ﷺ

النَّخْلَاتِ، حَتَّى افْتَتَحَ قُرَيْظَةَ، وَالنَّضِيرَ، فَكَانَ بَعْدَ ذَلِكَ يَرُدُّ عَلَيْهِمْ.

النَّخْلَاتِ، حَتَّى افْتَتَحَ قُرَيْظَةَ وَالنَّضِيرَ) أي: حتى افتتح حصناً كان لقريظة وحتى أجلى بني النضير لأن الافتتاح لا يصدق على القبيلتين فهو من باب علفته تبناً وماءً بارداً فإن المراد القدر المشترك بين التعليف والسقي، وهو الإعطاء مثلاً، أو ثمة إضمار أي: وأجلى بني النضير (فَكَانَ بَعْدَ ذَلِكَ يَرُدُّ عَلَيْهِمْ).

ومحصل القصة أن الأنصار كانوا يجعلون لرسول الله ﷺ من عقارات نخلات ليصرف في نوائبه بطريق الإبراء لا بطريق التصدق وكذلك لما قدم المهاجرون كانوا قد نزل كل واحد منهم على رجل من الأنصار فواساه وقاسمه فكانوا كذلك إلى أن فتح الله الفتوح على رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فرد عليهم نخلاتهم فأول ذلك النضير فإنها كانت مما أفاء الله على رسوله مما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب، وانجلى عنها أهلها بالرعب فكانت خالصة لرسول الله دون سائر الناس، وأنزل الله فيهم: ﴿مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ﴾ [الحشر: 7] فحبس منها رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لنوائبه وما يعرفه، وقسم أكثرها في المهاجرين خاصة دون الأنصار، وذلك أن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِلْأَنْصَارِ: «إِنْ شِئْتُمْ قَسَمْتُ أَمْوَالِ بَنِي النَّضِيرِ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ وَأَقِمْتُمْ عَلَى مَوَاسَاتِكُمْ فِي ثِمَارِكُمْ وَإِنْ شِئْتُمْ أُعْطِيَتْهَا الْمُهَاجِرِينَ دُونَكُمْ وَقَطَعْتُمْ عَنْهُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْطَوْنَهُمْ مِنْ ثِمَارِكُمْ» قالوا: بل تعطيهما دوننا ونقيم على مواساتهم فأعطى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ المهاجرين دونهم فاستغنى القوم جميعاً استغنى المهاجرون بما أخذوا واستغنى الأنصار بما رجع إليهم من ثمارهم.

ثم فتحت قريظة لما نقضوا العهد فحوصروا فنزلوا على حكم سعد بن معاذ وقسمها النَّبِيُّ ﷺ في أصحابه وأعطى من نصيبه في نوائبه أي: في نفقات أهله ومن يطرأ عليه وجعل الباقي في السلاح والكراع عدة في سبيل الله كما ثبت في الصحيحين من حديث مالك بن أوس عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ومطابقة الحديث للترجمة ظاهرة على هذا التفعيل.

وقد أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي الْمَغَازِي أَيْضًا وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ أَيْضًا فِيهِ.

13 - باب بَرَكَةِ الْغَازِي فِي مَالِهِ حَيًّا وَمَيِّتًا، مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَوَلَاةِ الْأَمْرِ

3129 - حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي أَسَامَةَ، أَعَدَّكُمْ هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، قَالَ: لَمَّا وَقَفَ الزُّبَيْرُ يَوْمَ الْجَمَلِ
.....

13 - باب بَرَكَةِ الْغَازِي فِي مَالِهِ حَيًّا وَمَيِّتًا، مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَوَلَاةِ الْأَمْرِ

(باب بَرَكَةِ الْغَازِي) الحاصلة (في مَالِهِ حَيًّا وَمَيِّتًا، مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَوَلَاةِ الْأَمْرِ) البركة بالموحدة مأخوذ في الأصل من برك البعير إذا ناخ في موضع فلزمه ويطلق أيضًا على الزيادة وفي ديوان الأدب البركة الزيادة والنمو وتبرك به أي: تيمّن وقيل صحفها بعضهم فَقَالَ: تركة الغازي بالتاء المثناة الفوقية.

قَالَ الْقَاضِي عِيَّاضُ: وهي وإن كانت متجهة باعتبار أن في القصة ذكر ما خلفه الزبير رضي الله تعالى عنه لكنه قوله حَيًّا وَمَيِّتًا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وولادة الأمر يدل على أن الصواب ما وقع عند الجمهور بالموحدة وقيل هذا يشبه أن يكون من باب القلب لأن الذي ينبغي أن يقال باب بركة مال الغازي.

وتعقبه الْعَيْنِيُّ: بأنه لا حاجة إليه لأن المعنى باب البركة الحاصلة للغازي في ماله كما أشير إليه وقوله مَعَ النَّبِيِّ ﷺ يتعلق بقوله الغازي والولاية بالضم جمع الوالي.

(حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ) أي: ابن مخلد يعرف بابن راهويه الحنظلي المروزي، (قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي أَسَامَةَ) هو حماد بن أسامة اللَيْثِيُّ، (أَعَدَّكُمْ هِشَامُ ابْنُ عُرْوَةَ⁽¹⁾ عَنْ أَبِيهِ) عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَامِ، (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ) أنه (قَالَ: لَمَّا وَقَفَ الزُّبَيْرُ) هو ابن العوام أحد العشرة المبشرة بالجنة وحواري رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وابن عمته صفية بنت عبد المطلب شهد بدرًا والمشاهد كلها مع رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وهاجر الهجرتين وأسلم وهو ابن ست عشرة سنة وهو أول من سلَّ سيفًا في سبيل اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (يَوْمَ الْجَمَلِ) يعني يوم وقعة كانت بين علي

(1) ولم يذكر جواب الاستفهام وقد ذكره في مسند إسحاق بن راهويه بهذا الإسناد وقال في آخره: نعم.

وعائشة رضي الله تعالى عنهما وهي في هودج على جمل كما سيأتي في ذكر قصته إجمالاً وكانت تلك الوقعة على باب البصرة في جمادى الأولى سنة ست وثلاثين وإنما أضيفت الوقعة إلى الجمل لكون عائشة رضي الله عنها عليه وهذه الحرب وقعت بين المسلمين.

وقصته على التلخيص والإجمال : أن عثمان بن عفان رضي الله عنه قُتل شهيداً سنة خمس وثلاثين وكانت عائشة رضي الله عنها بمكة وكذلك أمهات المؤمنين قد خرجن إلى الحج في سنة خمس وثلاثين فراراً من الفتنة ولما بلغ أهل مكة أن عثمان قد قتل أقمن بمكة ثم لما بويع علي رضي الله تعالى عنه كان أحظى الناس عنده بحكم الحال لا عن اختيار علي رضي الله عنه لذلك رؤوس أولئك الذين قتلوا عثمان رضي الله تعالى عنه وفر جماعة من بني أمية وغيرهم إلى مكة وخرج طلحة والزبير في الاعتماد وتبعهم خلق كثير وجم غفير وقدم إلى مكة أيضاً في هذه الأيام يعلى بن أمية ومعه ستمائة ألف درهم وستمائة بعير فأناخ بالأبطح وقيل كان معه ستمائة ألف دينار وقدم ابن عمر رضي الله عنهما من البصرة بأكثر من ذلك فاجتمع بنو أمية بالأبطح وقامت عائشة رضي الله عنها في الناس تحضهم على القيام بطلب دم عثمان رضي الله عنه وطاوعوها في ذلك وخرجوا وتوجهوا نحو البصرة وكانت عائشة رضي الله عنها تحمل في هودج على جمل.

قَالَ ابن الأثير : اسمه عسكر اشتراه يعلى بن أمية بمائتي دينار وفي رواية بمائة دينار من رجل من عرنية وكان جملاً عظيماً وكان هذا هو الذي يدلهم على الطريق وكانوا لا يمرون على ماء ولا واد إلا سألوه عنه حتى وصلوا إلى موضع يسمى حوَاب بفتح الحاء المهملة وسكون الواو وفتح الهمزة وفي آخره باء موحدة وهو ماء قريب من البصرة فنبحت كلابه فقالوا : أي ماء هذا؟ فَقَالَ الدليل : هذا ماء الحوَاب، فحين سمعت عائشة رضي الله عنها بذلك صرخت بأعلى صوتها وضربت عضد بعيرها فأناخته فقالت : «أنا والله صاحبة الحوَاب ردوني ردوني» تقول ذلك فأناخوا حولها وهم على ذلك وهي تأبى المسير حتى

إذا كانت الساعة التي أناخت فيها من الغد جاء عَبْدُ اللَّهِ بن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: النجا النجا فقد أدرككم علي بن أبي طالب فعند ذلك رحلوا.

وأما حديث الحوَّاب فقد أخرجه أحمد في مسنده عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت إن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لي ذات يوم: «كيف بإحداكن إذا نبحتها كلاب الحوَّاب» فعرفت الحال عند ذلك فأرادت الرجوع وأما علي رضي الله تعالى عنه فإنه خرج في آخر شهر ربيع الآخر في سنة ست وثلاثين من المدينة في تسعمائة مقاتل وقيل: لما بلغ علياً مسير عَائِشَةَ وطلحة والزبير ومن معهم إلى البصرة سار نحوهم في أربعة آلاف من أهل المدينة فيهم أربعمائة ممن بايعوا تحت الشجرة وثمانمائة من الأنصار ورايته مع ابنه مُحَمَّد بن الحنفية وعلى ميمنته الحسن بن علي وعلى يسرته الحسين بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وعلى الخيل عمار بن ياسر وعلى الرجالة مُحَمَّد بن أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وعلى مقدمته عَبْدُ اللَّهِ ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ثم اجتمعوا كلهم عند قصر عُيَيْدِ اللَّهِ بن زياد ونزل الناس في كل ناحية وقد اجتمع مع علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عشرون ألفاً والتفت على عَائِشَةَ رضي الله تعالى عنها ومن معها نحو من ثلاثين ألفاً وقامت الحرب على ساقها فتصاففوا وتصارفوا وتجاولوا وكان من جملة من يبارز الزبير وعمار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فحمل عمار نحوه بالرمح والزبير كافً عنه لقول رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «تقتلك الفئة الباغية» وقتل ناس كثير ورجع الزبير عن القتال وَقَالَ الواقدي كان زمام الجمل بيد كعب بن سور وما كان يأخذ زمام الجمل إلا من هو معروف بالشجاعة وما أخذه أحد إلا قتل وحمل عليه عدي بن حاتم ولم يبق إلا عقره ففقت عين عدي واجتمع بنو ضبة عند الجمل وقتلوه دونه قتلاً لم يسمع مثله فقطعت عنده ألف يد وقتل عليه ألف رجل منهم وَقَالَ ابن الزبير جرحت على زمام الجمل سبعة وثلاثين جراحة وما أحد أخذ برأسه إلا قتل أخذه عبد الرحمن بن عتاب فقتل ثم أخذه الأسود بن البحري فقتل وعدّ جماعة وغلب ابن الزبير من الجراحات فألقى نفسه بين القتلى ثم وصلت النبال إلى هودج أم المؤمنين فجعلت تنادي اللَّهُ اللَّهُ يا بنيّ اذكروا يوم الحساب ورفعت يديها تدعو على أولئك القوم من قتلة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فضج الناس معها بالدعاء وأولئك نفر

لا يقلعون عن رشق هودجها بالنبال حتى بقي مثل القنفذ فجعلت الحرب تأخذ وتعطي فتارة لأهل البصرة وتارة لأهل الكوفة وقتل خلق كثير ولم تُرَ وقعة أكثر من قطع الأيدي والأرجل فيها من هذه الوقعة ثم حملت عليه السبائبة والأشتر يقدمها وحمل بحير بن دلجة الضبي الكوفي وقطع بطانة وعقره وقطع ثلاث قوائم من قوائمه فبرك ووقع الهودج على الأرض ووقف عليها علي رضي الله تعالى عنه فَقَالَ السلام عليك يا أماء فقالت وعليك السلام يا بني فَقَالَ يغفر الله لك فقالت ولك وانهزم من كان حوله من الناس وأمر علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ يَحْمِلُوا الهودج من بين القتلى وأمر مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ وعمار بن ياسر أَنْ يَضْرِبَا عَلَيْهِ قَبَّةً وَلَمَّا كَانَ آخِرَ اللَّيْلِ خَرَجَ مُحَمَّدُ بْنُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَأَدْخَلَهَا الْبَصْرَةَ وَأَنْزَلَهَا فِي دَارِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَلْفٍ الْخَزَاعِيِّ وَبَكَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بَكَاءً شَدِيدًا وَقَالَتْ: وَدِدْتُ أَنِّي مِتُّ قَبْلَ هَذَا الْيَوْمِ بِعِشْرِينَ سَنَةً وَجَاءَ وَجْهُ النَّاسِ مِنَ الْأَمْرَاءِ وَالْأَعْيَانِ يَسْلُمُونَ عَلَيْهَا ثُمَّ إِنَّ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَقَامَ بِظَاهِرِ الْبَصْرَةِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَصَلَّى عَلَى الْقَتْلَى مِنَ الْفَرِيقَيْنِ .

وَقَالَ ابْنُ الْكَلْبِيِّ : قَتَلَ مِنْ أَصْحَابِ عَائِشَةَ ثَمَانِيَةَ آلَافٍ وَقِيلَ ثَلَاثَةَ عَشَرَ أَلْفًا وَمِنْ أَصْحَابِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَلْفٌ .

وقيل : قتل من أهل البصرة عشرة آلاف ومن أهل الكوفة خمسة آلاف وكان في جملة القتلى طلحة بن عبيد الله أحد العشرة المبشرين بالجنة ثم دخل علي رضي الله عنه البصرة يوم الاثنين ثم جهز عَائِشَةَ أَحْسَنَ الْجِهَازِ بِكُلِّ شَيْءٍ يَنْبَغِي لَهَا مِنْ مَرْكَبٍ وَزَادَ وَمَتَاعٍ وَأَخْرَجَ مَعَهَا كُلَّ مَنْ نَجَا مِنَ الْوَقْعَةِ مِمَّنْ خَرَجَ مَعَهَا وَاخْتَارَ لَهَا أَرْبَعِينَ امْرَأَةً مِنْ نِسَاءِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ الْمَعْرُوفَاتِ وَوَقَفَ عَلَيَّ مَعَهَا حَتَّى وَدَعَهَا وَكَانَ خُرُوجُهَا يَوْمَ السَّبْتِ غَرَّةَ رَجَبِ سَنَةِ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ وَشِيعَهَا عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِإِسْنَادٍ وَقَالَ فِي آخِرِهِ نَعَمْ مَوْلاً نَحْنُ قَضَيْتُهُ وَلَا أَبَا حَسَنٍ لَهَا أَمِيالاً وَسَرَحَ بَنِيهِ مَعَهَا يَوْمًا وَقَالَ الْوَاقِدِيُّ أَمَرَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ النِّسَاءَ اللَّاتِي خَرَجْنَ مَعَ عَائِشَةَ بَلْبَسَ الْعِمَائِمَ وَتَقْلِيدَ السِّيفِ ثُمَّ قَالَ لَهَا لَا تَعْلَمْنَهَا أَنْكُنْ نِسْوَةً وَتَلْثَمْنَ مِثْلَ الرِّجَالِ وَكُنْ حَوْلَهَا مِنْ بَعِيدٍ وَلَا تَقْرُبْنَهَا وَسَارَتْ

عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ حَتَّى دَخَلَتْ مَكَةَ وَأَقَامَتْ حَتَّى حَجَّتْ وَاجْتَمَعَ إِلَيْهَا نِسَاءُ أَهْلِ مَكَةَ يَبْكِينَ وَهِيَ تَبْكِي وَسُئِلَتْ عَنْ مَسِيرِهَا فَقَالَتْ لَقَدْ أَعْطَى عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَأَكْثَرَ وَبِعَثَ مَعِيَ رَجَالًا وَبَلَغَ النِّسَاءُ فَأَتَيْنَهَا وَكَشَفْنَ عَنْ وَجُوهِهِنَّ وَعَرَفْنَهَا الْحَالَ فَسَجَدَتْ وَقَالَتْ وَاللَّهِ مَا يَزِدَادُ ابْنَ أَبِي طَالِبٍ إِلَّا كَرَمًا.

وَأَمَّا مَقْتَلُ الزَّبِيرِ وَسِيرَتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَإِنَّهُ لَمَّا انْفَصَلَ مِنْ عَسْكَرِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كَمَا مَرَّ تَبِعَهُ عَمْرُو بْنُ جَرْمُوزٍ وَفَضَالَةُ بْنُ حَابِسٍ مِنْ غَوَاةِ بَنِي تَمِيمٍ وَأَدْرَكُوهُ وَتَعَاوَنُوا عَلَيْهِ فَقَتَلُوهُ وَيُقَالُ بَلْ أَدْرَكَهُ عَمْرُو بْنُ جَرْمُوزٍ فَقَالَ لَهُ إِنْ لِي إِلَيْكَ حَاجَةٌ فَقَالَ ادْنُ فَقَالَ مَوْلَى الزَّبِيرِ وَاسْمُهُ عَطِيَّةٌ إِنْ مَعَهُ سِلَاحًا فَقَالَ وَإِنْ كَانَ فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ فَجَعَلَ يَحْدِثُهُ وَكَانَ وَقْتُ الصَّلَاةِ فَقَالَ لَهُ الزَّبِيرُ الصَّلَاةُ فَقَالَ الصَّلَاةُ فَتَقَدَّمَ الزَّبِيرُ لِيَصْلِيَ بِهِمَا فَطَعَنَهُ عَمْرُو بْنُ جَرْمُوزٍ فَقَتَلَهُ وَيُقَالُ بَلْ أَدْرَكَهُ عَمْرُو بُوَادِي السَّبَاعِ وَهُوَ نَائِمٌ فِي الْقَائِلَةِ فَهَجَمَ عَلَيْهِ فَقَتَلَهُ وَهَذَا الْقَوْلُ هُوَ الْأَشْهُرُ وَأَخَذَ رَأْسَهُ وَذَهَبَ بِهِ إِلَى عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقِيلَ لِعَلِيٍّ هَذَا ابْنُ جَرْمُوزٍ قَدْ أَتَاكَ بِرَأْسِ الزَّبِيرِ فَقَالَ بَشَرُوا قَاتِلَ الزَّبِيرِ بِالنَّارِ فَقَالَ عَمْرُو:

أَتَيْتَ عَلِيًّا بِرَأْسِ الزَّبِيرِ وَقَدْ كُنْتَ أَحْسَبُهَا زُلْفَةً
فَبَشَرَ بِالنَّارِ قَبْلَ الْعِيَانِ فَبُئِسَ الْبَشَارَةُ وَالتَّحْفَةُ
وَسِيَانٌ عِنْدِي قَتَلَ الزَّبِيرِ وَضَرْطَةٌ عَنِزٌ بِذِي الْجَحْفَةِ

وَأَمَّا سِيرَتُهُ فَقَدْ مَرَّ عَنْ قَرِيبٍ أَنَّهُ أَحَدُ الْعَشْرَةِ الْمُبَشَّرَةِ بِالْجَنَّةِ وَأَنَّهُ شَهِدَ جَمِيعَ مَشَاهِدِ النَّبِيِّ ﷺ وَكَانَ عَلَيْهِ يَوْمَ بَدْرٍ مَلَأَةٌ صَفْرَاءُ فَنَزَلَتْ الْمَلَائِكَةُ عَلَى سِيَمَاهُ وَثُبِتَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ أَحَدٍ وَبَايَعَهُ عَلَى الْمَوْتِ وَقَالَ مُصْعَبُ بْنُ الزَّبِيرِ قَاتِلَ أَبِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعَمْرُهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ سَنَةً.

وَقَالَ الزَّبِيرُ بْنُ بَكَارٍ بِإِسْنَادِهِ عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ، قَالَ: كَانَ لِلزَّبِيرِ أَلْفُ مَمْلُوكٍ يُؤَدُّونَ الضَّرْبِيَّةَ لَا يَدْخُلُ بَيْتَ مَالِهِ مِنْهَا دَرَاهِمٌ يَتَصَدَّقُ بِهَا.

وَقَالَ الزَّبِيرُ بْنُ بَكَارٍ بِإِسْنَادِهِ عَنْ جَوِيرِيَّةٍ قَالَتْ: بَاعَ الزَّبِيرُ دَارًا بِسِتْمِائَةِ أَلْفٍ فَقِيلَ لَهُ غَبْنْتَ فَقَالَ كَلَّا وَاللَّهِ لَتَعْلَمَنَّ أَنَّنِي لَمْ أَغْبِنَ هِيَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

وَرَوَى عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ فَقَالَ أَوْصَى إِلَى الزَّبِيرِ جَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ مِنْهُمْ

دَعَانِي، فَقُمْتُ إِلَى جَنْبِهِ فَقَالَ: «يَا بُنَيَّ، إِنَّهُ لَا يُقْتَلُ الْيَوْمَ إِلَّا ظَالِمٌ أَوْ مَظْلُومٌ،

عثمان وعبد الرحمن بن عوف وابن مسعود والمقداد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وكان يحفظ عليهم أموالهم وينفق على أولادهم من ماله وكان الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رجلاً ليس بالقصير ولا بالطويل إلى الخفة ما هو في اللحم ولحيته خفيفة أسمر اللون أشعره .

وحكى الواقدي عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن هشام بن عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ ربما أخذت بالشعر على منكبي الزبير وأنا غلام فأتعلق به على ظهره .

وحكى أَبُو اليقظان عن هشام بن عُرْوَةَ قَالَ: كان جدي الزبير إذا ركب تخط رجلاه الأرض ولا يغير شيبه واختلفوا في سنه حكى ابن سعد عن الواقدي بإسناده إلى عُرْوَةَ بن الزبير قَالَ قتل أبي يوم الجمل وقد زاد على الستين بأربع سنين وحكى ابن الجوزي في الصفوة ثلاثة أقوال :

أحدها : أنه قتل وهو ابن بضع وخمسين سنة .

والثاني : ابن ستين سنة .

والثالث : ابن خمس وستين، واللَّهِ تَعَالَى أَعْلَمُ .

دَعَانِي، فَقُمْتُ إِلَى جَنْبِهِ فَقَالَ: «يَا بُنَيَّ، إِنَّهُ لَا يُقْتَلُ الْيَوْمَ إِلَّا ظَالِمٌ أَوْ مَظْلُومٌ» قَالَ ابن بطلال : معناه ظالم عند خصمه مظلوم عند نفسه لأن كلاً من الفريقين كان يتأول أنه على الصواب وَقَالَ ابن التين معناه أنهم إما صحابي يتأول فهو مظلوم وإما غير صحابي قاتل لأجل الدنيا فهو ظالم .

وَقَالَ الْكِرْمَانِيُّ : فإن قيل جميع الحروب كذلك فما وجه تخصيصه بذلك اليوم؟

فالجواب أنها أول حرب وقعت بين المسلمين فالمراد الظالم من أهل الإسلام .

وَقَالَ الْحَافِظُ الْعَسْقَلَانِيُّ : ويحتمل أن يكون أو للشك من الراوي وأن الزبير إما قَالَ لا يقتل اليوم إلا ظالم بمعنى أنه ظن أن الله يعجل للظالم منهم العقوبة أو لا يقتل اليوم إلا مظلوم بمعنى أنه ظن أن يعجل له الشهادة وظن على التقديرين أنه يقتل مظلوماً إما لاعتقاده أنه كان مصيباً وإما لأنه كان سمع من النَّبِيِّ ﷺ ما سمع علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو قوله لما جاءه: «قاتل الزبير بشر قاتل ابن صفية

وَإِنِّي لَا أَرَانِي إِلَّا سَأْتُقِلُ الْيَوْمَ مَظْلُومًا ،

بالنار» ورفعته إلى النَّبِيِّ ﷺ كما رواه أحمد وغيره من طريق زرّ بن حبیش عن علي رضي الله عنه بإسناد صحيح .

ووقع عند الحاكم عن طريق غنام بن علي عن هشام بن عروة في هذا الحديث مختصراً قَالَ وَاللَّهِ لئن قتلْتُ لأقتلن مظلوماً واللَّهِ ما فعلت يعني شيئاً من المعاصي .

وَقَالَ الْعَيْنِيُّ : الأصل أن لا يكون أو للشك وبالا احتمال لا يثبت ذلك وكلمة أو على معناها للتقسيم ههنا لأن المقتول يومئذ لم يكن إلا من أحد القسمين على ما ذكره ابن بطال وأيضاً إنما أراد الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بقوله هذا أن تقاتل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ليس كتقاتل أهل البغي والعصية لأن القاتل والمقتول منهم ظالم لقوله ﷺ : «إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار» لأنه لا تأويل لواحد منهم يعذر به عند الله ولا شبهة له من الحق يتعلق بها فليس أحد منهم مظلوماً بل كلهم ظالم وكان الزبير وطلحة وجماعة من كبار الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ خرجوا مع عائشة لطلب قتلة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وإقامة الحد عليهم ولم يخرجوا لقتال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لأنه لا خلاف بين الأمة أن علياً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان أحق بالإمامة من جميع أهل زمانه وكان قتلة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لاجئوا إلى علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فرأى علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه لا ينبغي إسلامهم للقتل على هذا الوجه حتى يسكن حال الأمة وتجري الأشياء على وجوها حتى ينفذ الأمور على ما أوجب الله عليه فهذا وجه منع علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المطلوبين بدم عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فكان ما قدر الله مما جرى به القلم في الأمور التي وقعت ، والله تعالى أعلم .

(وَإِنِّي لَا أَرَانِي) بضم الهمزة أي لا أظن ويجوز فتحها بمعنى لا اعتقد (إلا سَأْتُقِلُ الْيَوْمَ مَظْلُومًا) وظنه بأنه يقتل مظلوماً قد تحقق لأنه قتل غدراً بعد أن ذكره علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فانصرف عن القتال فنام بمكان ففتك به رجل من غواة بني تميم يسمى عمرو بن جرموز بضم الجيم والميم بينهما راء ساكنة وآخره زاي .

وقيل : قتله حين تقدم إلى الصلاة كما تقدم وذلك لأنه روى ابن أبي خيثمة

وَأَنَّ مِنْ أَكْبَرِ هَمِّي لَدِينِي، أَفْتَرَى يُبْقِي دِينَنَا مِنْ مَالِنَا شَيْئًا؟ فَقَالَ: يَا بُنَيَّ بَعْ مَالِنَا، فَاقْضِ دِينِي، وَأَوْصِ بِالثُّلْثِ، وَثُلْثُهُ لِبَنِيهِ - يَعْنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ - يَقُولُ: ثُلْثُ الثُّلْثِ، فَإِنْ فَضَلَ مِنْ مَالِنَا فَضْلٌ بَعْدَ قَضَاءِ الدَّيْنِ شَيْءٌ، فَثُلْثُهُ لَوْلَدِكَ»، -

في تاريخه من طريق عبد الرحمن بن أبي ليلى قَالَ إِنَّا لَمَعَ عَلِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا التَقَى الصَّفَانِ فَقَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ: فَجَاءَ الزُّبَيْرُ فَجَعَلْنَا نَنْظُرُ إِلَى يَدِ عَلِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَشِيرُ بِهَا إِذْ وَلَى الزُّبَيْرُ قَبْلَ أَنْ يَقَعَ الْقِتَالُ.

وَرَوَى الْحَاكِمُ مِنْ طُرُقٍ مُتَعَدِّدَةٍ أَنَّ عَلِيًّا ذَكَرَ الزُّبَيْرَ بِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهُ: «لَتَقَاتِلَنَّ عَلِيًّا وَأَنْتَ ظَالِمٌ لَهُ» فَرَجَعَ لِذَلِكَ. وَرَوَى يَعْقُوبُ بْنُ سُفْيَانَ وَخَلِيفَةُ فِي تَارِيخِهِمَا مِنْ طَرِيقِ عَمْرِو بْنِ جَادَانَ بِالْجِيمِ قَالَ: فَانْطَلَقَ الزُّبَيْرُ مُنْصَرِفًا فَقَتَلَهُ عَمْرُو بْنُ جُرْمُوزٍ بِوَادِي السَّبَاعِ.

ويقال: إِنَّ الزُّبَيْرَ قَالَ لِابْنِهِ مَا قَالَ لَمَّا رَأَى مِنْ شِدَّةِ الْأَمْرِ وَأَنْهَمَ لَا يَنْفَصِلُونَ إِلَّا عَنْ تَقَاتُلٍ وَإِنَّمَا قَالَ لَا أُرَانِي إِلَّا سَاقَتِلَ مَظْلُومًا لِأَنَّهُ لَمْ يَنْوِ الْقِتَالَ وَلَا عَزَمَ عَلَيْهِ وَلَمَّا التَقَى الْجَمْعَانِ فَرَفَعَهُ ابْنُ جُرْمُوزٍ فَقَتَلَهُ فِي طَرِيقِهِ.

(وَأَنَّ مِنْ أَكْبَرِ هَمِّي لَدِينِي) اللام فيه مفتوحة للتأكيد وهو خبر إن ومعناه ليس عليّ تبعة سوى ديني وفي رواية غنام انظر يا بني ديني فإني لا أدع شيئاً أهم إلى منه.

(أَفْتَرَى) على صيغة البناء للمفعول بهمزة الاستفهام أي: أفتظن (يُبْقِي دِينَنَا) من الإبقاء (مِنْ مَالِنَا شَيْئًا؟) ويروى أفتري يبقي ديننا من مالنا شيئاً على أن ديننا بالرفع على أنه فاعل يبقي.

يقول: (فَقَالَ: يَا بُنَيَّ بَعْ مَالِنَا، فَاقْضِ دِينِي، وَأَوْصِ بِالثُّلْثِ) من ماله مُطْلَقًا لمن شاء ولما شاء، (وَتُلْثُهُ) أي: وأوصى بثلث الثلث (لِبَنِيهِ يَعْنِي) بني (عَبْدُ اللَّهِ ابْنِ الزُّبَيْرِ) خاصة وهم حفدة الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقد فسر قوله وتلثه حيث قَالَ: (يَقُولُ: ثُلْثُ الثُّلْثِ، فَإِنْ فَضَلَ مِنْ مَالِنَا فَضْلٌ بَعْدَ قَضَاءِ الدَّيْنِ) ويروى: فَإِنْ فَضَلَ بَعْدَ قَضَاءِ الدَّيْنِ (شَيْءٌ، فَثُلْثُهُ لَوْلَدِكَ) قَالَ المهلب: معناه ثلث ذلك الفضل الذي أوصى به من الثلث لبنيه كذا قَالَ: وهو كلام معروف من خارج لكنه لا يوضح اللفظ الوارد.

قَالَ هِشَامٌ: وَكَانَ بَعْضُ وَلَدِ عَبْدِ اللَّهِ، قَدْ وَازَى بَعْضَ بَنِي الزُّبَيْرِ، خُبَيْبٌ، وَعَبَّادٌ وَلَهُ

وحكى الدمياطي عن بعض العلماء أن قوله: فثلثه لولدك بتشديد اللام على صيغة الأمر وفي التثنية يعني ثلث ذلك الفضل الذي أوصى به للمساكين من الثلث لبنه قَالَ الْحَافِظُ الْعَسْقَلَانِيُّ: وهو أقرب أي: من كلام المهلب لكن قَالَ الدمياطي: فيه نظر يعني فيما حكاه عن بعض العلماء فليتأمل.

(قَالَ هِشَامٌ) هو ابن عُرْوَةَ بن الزبير راوي الخبر وهو متصل بالإسناد المذكور.

(وَكَانَ بَعْضُ وَلَدِ عَبْدِ اللَّهِ) أي: ابن الزبير (قَدْ وَازَى) بالزاي أي: ساوى وحاذى في السن (بَعْضُ بَنِي الزُّبَيْرِ) وفيه استعمال وازى بالواو وأنكره الجوهري فإنه قَالَ يقال آزى بالهمز ولا يقال وازى والمراد كما ذكرنا أنهم ساواهم في السن.

قال ابن بطال: يحتمل أنه ساوى بني عَبْدِ اللَّهِ في أنصبتهم من الوصية أولاد الزبير في أنصبتهم من الميراث قَالَ: وهذا أولى وإلا لم يكن لذكر كثرة أولاد الزبير معنى ونظر.

وفيه: الْحَافِظُ الْعَسْقَلَانِيُّ فَقَالَ لم يكن في تلك الحالة قد ظهر مقدار المال الموروث ولا الموصى به وأما قوله لا يكون له معنى فليس كذلك لأن المراد أنه إنما خص أولاد عَبْدِ اللَّهِ دون غيرهم لكونهم كبروا وتأهلوا حتى ساووا أعمامهم في ذلك فجعل لهم نصيباً من المال ليتوفر على أبيهم حصته.

(خُبَيْبٌ) بضم الخاء المعجمة وفتح الموحدة على صيغة التصغير روي مرفوعاً على أنه بدل أو بيان لقوله للبعض في قوله وكان بعض ولد عَبْدِ اللَّهِ وروي مجروراً باعتبار الولد وأما قول الْحَافِظِ الْعَسْقَلَانِيِّ ويجوز جره على أنه بيان للبعض فهو سهو فإن لفظ بعض في موضعين أحدهما وهو الأول مرفوع لأنه اسم كان والآخر منصوب لأنه مفعول قوله وازى.

(وَعَبَّادٌ) بفتح العين المهملة وتشديد الموحدة عطف على خبيب.

(وَلَهُ) أي: للزبير رضي الله عنه.

وأعرب الْكِرْمَانِيَّ حيث قَالَ أي: لعبد الله تسعة بنين فجعل ضمير له

يَوْمَئِذٍ تَسْعَةُ بَنِينَ، وَتَسْعُ بَنَاتٍ -، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَجَعَلَ يُوصِيَنِي بِدَيْنِهِ، وَيَقُولُ: «يَا بُنَيَّ إِنْ عَجَزْتَ عَنْهُ فِي شَيْءٍ، فَاسْتَعِنْ عَلَيْهِ مَوْلَايَ»، قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا دَرَيْتُ مَا أَرَادَ حَتَّى قُلْتُ: يَا أَبَتِ مَنْ مَوْلَاكَ؟ قَالَ: «اللَّهُ»، قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا وَقَعْتُ فِي كُرْبَةٍ مِنْ دَيْنِهِ، إِلَّا قُلْتُ: يَا مَوْلَى الزُّبَيْرِ أَفْضِ عَنْهُ دَيْنَهُ، فَيَقْضِيهِ، فَقُتِلَ الزُّبَيْرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَلَمْ يَدْعُ دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا إِلَّا أَرْضَيْنِ، مِنْهَا الْغَابَةُ،

لِعَبْدِ اللَّهِ وَهُوَ سَهُوٌ لِأَن أَوْلَادَ عَبْدِ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ أَرْبَعَةٌ خَبِيبٌ وَعِبَادٌ وَقَدْ ذَكَرَا وَهَاشِمٌ وَثَابِتٌ فَأَمَّا سَائِرُ وَلَدِهِ فَوُلِدُوا بَعْدَ ذَلِكَ.

(يَوْمَئِذٍ) أَي: يَوْمَ أَوْصَى الزُّبَيْرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (تَسْعَةُ بَنِينَ، وَتَسْعُ بَنَاتٍ) أَمَّا التَّسْعَةُ الذُّكُورُ فَهَمَّ عَبْدُ اللَّهِ وَعُرُوهُ وَالْمَنْذَرُ أَمَّهُمْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَعَمْرُو وَخَالِدُ أَمَّهُمَا أُمُ خَالِدِ بْنِ خَالِدِ بْنِ سَعِيدٍ وَمُصْعَبٌ وَحُمَزَةُ أَمَّهُمَا الرُّبَابُ بِنْتُ أَنْيْفٍ، وَعَبِيدَةُ وَجَعْفَرُ أَمَّهُمَا زَيْنَبُ بِنْتُ بَشْرٍ، وَسَائِرُ وَلَدِ الزُّبَيْرِ غَيْرُ هَؤُلَاءِ مَاتُوا قَبْلَهُ. وَأَمَّا التَّسْعُ الْإِنَاثُ فَهُنَّ خَدِيجَةُ الْكُبْرَى وَأُمُّ الْحَسَنِ وَعَائِشَةُ أَمَّهُنَّ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَحَبِيبَةُ وَسُودَةُ وَهْنَدُ أَمَّهُنَّ أُمُ خَالِدٍ، وَرَمْلَةُ أُمُّ الرُّبَابِ، وَحَفْصَةُ أُمُّ زَيْنَبٍ، وَزَيْنَبُ أُمُّهَا أُمُّ كَلْثُومِ بِنْتُ عَقْبَةَ.

(قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَجَعَلَ يُوصِيَنِي بِدَيْنِهِ، وَيَقُولُ: «يَا بُنَيَّ إِنْ عَجَزْتَ عَنْهُ فِي شَيْءٍ، فَاسْتَعِنْ عَلَيْهِ مَوْلَايَ»، قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا دَرَيْتُ مَا أَرَادَ حَتَّى قُلْتُ: يَا أَبَتِ مَنْ مَوْلَاكَ؟ قَالَ: «اللَّهُ»، قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا وَقَعْتُ فِي كُرْبَةٍ مِنْ دَيْنِهِ، إِلَّا قُلْتُ: يَا مَوْلَى الزُّبَيْرِ أَفْضِ عَنْهُ دَيْنَهُ، فَيَقْضِيهِ، فَقُتِلَ الزُّبَيْرُ⁽¹⁾ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَلَمْ يَدْعُ دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا إِلَّا أَرْضَيْنِ، مِنْهَا الْغَابَةُ) كَذَا وَقَعَ وَصَوَابُهُ مِنْهُمَا بِالتَّثْنِيَةِ وَالْغَابَةُ بِالْغَيْنِ الْمَعْجَمَةِ وَتَخْفِيفِ الْبَاءِ الْمَوْحِدَةِ أَرْضٌ عَظِيمَةٌ شَهِيرَةٌ مِنْ عَوَالِي الْمَدِينَةِ.

قال الْكِرْمَانِيُّ: الْغَابَةُ اسْمُ مَوْضِعٍ بِالْحِجَازِ وَهَذَا لَيْسَ بِتَفْسِيرٍ وَاضِحٍ وَقَالَ يَاقُوتُ الْغَابَةُ مَوْضِعٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَدِينَةِ أَرْبَعَةُ أَمْيَالٍ مِنْ نَاحِيَةِ الشَّامِ.

(1) قال ابن عبد البر شهد الجمل فقاتل ساعة فناداه علي رضي الله عنه وانفرد به فذكره أن رسول الله ﷺ قال له وقد وجدهما يضحكان: «أما إنك ستقاتل عليًا وأنت له ظالم»، فتذكر الزبير ذلك، فانصرف عن القتال متوجهًا إلى المدينة فأتبعه ابن جرموز فقتله بموضع يعرف بوادي السباع، وجاء بسيفه إلى علي رضي الله عنه، فقال علي رضي الله عنه، بشروا قاتل ابن صفية بالنار، هذا وقد تقدم ذكره.

وَأَخَذَى عَشْرَةَ دَارًا بِالْمَدِينَةِ، وَدَارَيْنِ بِالْبَصْرَةِ، وَدَارًا بِالْكُوفَةِ، وَدَارًا بِمِصْرَ، قَالَ: وَإِنَّمَا كَانَ دَيْنُهُ الَّذِي عَلَيْهِ، أَنَّ الرَّجُلَ كَانَ يَأْتِيهِ بِالْمَالِ، فَيَسْتَوْدِعُهُ إِيَّاهُ، فَيَقُولُ الزُّبَيْرُ: «لَا وَلَكِنَّهُ سَلَفٌ»، فَإِنِّي أَخْشَى عَلَيْهِ الضَّيْعَةَ، وَمَا وَلِيَّ إِمَارَةً قَطُّ وَلَا جَبَايَةَ خَرَجٍ،

والغابة أيضًا : قرية بالبحرين وَقَالَ فِي كِتَابِ الْأَمَكَةِ وَالْجِبَالِ لِلزَّمَخْشَرِيِّ
الغابة بريد من المدينة طريق الشام .

وَقَالَ الْبَكْرِيُّ : الغابة غابتان العليا والسفلى .

وَقَالَ الرِّشَاطِيُّ : الغابة موضع عند المدينة .

والغابة أيضًا في آخر الطريق من البصرة إلى اليمامة .

وفي المطالع : الغابة مال من أموال عوالي المدينة وفي تركة الزبير كان اشتراها بسبعين ومائة ألف وبيعت في تركته بألف ألف وستمائة ألف .

وقد صحفه بعض الناس فَقَالَ : الغابة يعني بالمشاة التحتية وذلك غلط فاحش والغابة في اللغة الشجر الملفف والأجم من الشجر وشبهها .

(وَأَخَذَى عَشْرَةَ دَارًا بِالْمَدِينَةِ، وَدَارَيْنِ بِالْبَصْرَةِ، وَدَارًا بِالْكُوفَةِ، وَدَارًا بِمِصْرَ⁽¹⁾) قَالَ: وَإِنَّمَا كَانَ دَيْنُهُ الَّذِي عَلَيْهِ، أَنَّ الرَّجُلَ كَانَ يَأْتِيهِ بِالْمَالِ، فَيَسْتَوْدِعُهُ إِيَّاهُ، فَيَقُولُ الزُّبَيْرُ: (لَا) أَي: لَا يَكُونُ وَدِيعَةً وَلَكِنَّهُ دَيْنٌ وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ، (وَلَكِنَّهُ سَلَفٌ) يَعْنِي أَنَّهُ مَا كَانَ يَقْبِضُ مِنْ أَحَدٍ وَدِيعَةً إِلَّا إِنْ رَضِيَ صَاحِبُهَا أَنْ يَجْعَلَهَا فِي ذِمَّتِهِ وَكَانَ غَرَضُهُ بِذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ يَخْشَى عَلَى الْمَالِ أَنْ يَضِيعَ فَيُظَنُّ بِهِ التَّقْصِيرُ فِي حِفْظِهِ وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ: (فَإِنِّي أَخْشَى عَلَيْهِ الضَّيْعَةَ) فَرَأَى أَنْ يَجْعَلَهُ مَضْمُونًا لِيَكُونَ أَوْثَقَ لِمَالِهِ وَأَبْقَى لِمَرْوَتِهِ .

وَقَالَ ابْنُ بَطَالٍ: وَلِيُطِيبَ لَهُ رِيحُ ذَلِكَ الْمَالِ، رَوَى الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ مِنْ طَرِيقِ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ أَنَّ كَلًّا مِنْ عَثْمَانَ وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ وَمَطِيعَ بْنَ الْأَسْوَدِ وَأَبِي الْعَاصِ بْنِ الرَّبِيعِ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ، وَالْمَقْدَادَ بْنَ عَمْرٍو أَوْصَى إِلَى الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(وَمَا وَلِيَّ إِمَارَةً قَطُّ) الإِمَارَةُ بِكَسْرِ الهمزة، (وَلَا جَبَايَةَ خَرَجٍ) أَي: وَلَا وَلِيَّ

(1) استدلَّ به على أَنَّ مِصْرَ فُتِحَتْ صِلْحًا، وَفِيهِ نَظَرٌ، لِأَنَّهُ لَا يَلْزَمُ مِنْ قَوْلِنَا إِنَّهَا فُتِحَتْ عَنُودَ امْتِنَاعِ بِنَاءِ أَحَدِ الْغَانِمِينَ وَلَا غَيْرِهِمْ دَارًا.

وَلَا شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَكُونَ فِي غَزْوَةٍ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، أَوْ مَعَ أَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ: فَحَسَبْتُ مَا عَلَيْهِ مِنَ الدِّينِ، فَوَجَدْتُهُ أَلْفِي أَلْفٍ وَمِائَتِي أَلْفٍ، قَالَ: فَلَقِي حَكِيمَ بْنَ حِزَامٍ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ، فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي، كَمْ عَلَى أَخِي مِنَ الدِّينِ؟

أَيْضًا جباية خراج، (وَلَا شَيْئًا) أي: ولا ولي شَيْئًا مما يتعلق من الأمور التي فيها تحصيل المال يعني أن كثرة ماله في هذه الجهات المقتضية لسوء الظن بأصحابها بها بل كان كسبه من الغنيمة مع النَّبِيِّ ﷺ ثم مع أبي بكر ثم مع عمر ثم مع عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كما أفاده قوله: (إِلَّا أَنْ يَكُونَ فِي غَزْوَةٍ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، أَوْ مَعَ أَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ) فبارك الله له في ماله بطيب أصله وريح أرباحًا بلغت ألوف الألوف.

وقد روى الزبير بن بكار كان له ألف مملوك يؤدون إليه الخراج، وروى يعقوب بن سُفْيَانَ مثله في وجه آخر.

(قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ) هو متصل بالإسناد المذكور.

(فَحَسَبْتُ مَا عَلَيْهِ مِنَ الدِّينِ) قوله فحسبت بفتح السين من حسبت الشيء أَحْسَبُهُ بالضم حسابًا وحسابة وحسبًا وحُسابًا بالضم أي: عدده وأما حسبته بالكسر أَحْسَبَهُ بالفتح محسبة بفتح السين ومحسبة بكسر السين وحسبانًا بكسر الحاء أي: ظننته، (فَوَجَدْتُهُ أَلْفِي أَلْفٍ وَمِائَتِي أَلْفٍ، قَالَ: فَلَقِي حَكِيمَ بْنَ حِزَامٍ) بالرفع على أنه فاعل لقي (عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ) بالنصب على المفعولية، (فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي، كَمْ عَلَى أَخِي مِنَ الدِّينِ؟) إنما جعل الزبير أخًا له باعتبار أخوة الدين.

وقال الْكِرْمَانِيُّ: أو باعتبار قرابة بينهما لأن الزبير بن العوام بن خويلد ابن عم حكيم وذلك أن حكيم بن حزام بكسر الحاء المهملة وتخفيف الزاي ابن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشي الأسدي يكنى أبا خالد وهو ابن أخي خديجة بنت خويلد زوج النَّبِيِّ ﷺ وهو من مسلمة الفتح وعاش في الجاهلية ستين سنة وفي الإسلام ستين سنة وتوفي بالمدينة في خلافة معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سنة أربع وخمسين وهو ابن مائة وعشرين سنة والزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشي الأسدي فعلى هذا فالعوام يكون أخا حزام

فَكَتَمَهُ، فَقَالَ: مِائَةُ أَلْفٍ، فَقَالَ حَكِيمٌ: وَاللَّهِ مَا أَرَى أَمْوَالَكُمْ تَسْعُ لِهَذِهِ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ: أَفَرَأَيْتَكَ إِنْ كَانَتْ أَلْفِي أَلْفٍ وَمِائَتِي أَلْفٍ؟ قَالَ: مَا أَرَأَكُمْ تُطِيقُونَ هَذَا، فَإِنْ عَجَزْتُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ فَاسْتَعِينُوا بِي،

فيكون الزبير ابن عم حكيم.

(فَكَتَمَهُ) أي: كتم أصل الدين، (فَقَالَ: مِائَةُ أَلْفٍ، فَقَالَ حَكِيمٌ: وَاللَّهِ مَا أَرَى أَمْوَالَكُمْ تَسْعُ لِهَذِهِ) أي: تكفي لوفاء مائة ألف، (فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ: أَفَرَأَيْتَكَ إِنْ كَانَتْ أَلْفِي أَلْفٍ وَمِائَتِي أَلْفٍ؟ قَالَ: مَا أَرَأَكُمْ تُطِيقُونَ هَذَا، فَإِنْ عَجَزْتُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ فَاسْتَعِينُوا بِي) قَالَ ابن بطلال: ليس في قوله مائة ألف وكتمانه الزائد كذب لأنه أخبر ببعض ما عليه وهو صادق.

قَالَ الْكِرْمَانِيُّ: ما كذب إذ لم ينف الزائد على المائة ومفهوم العدد لا اعتبار له وفي التوضيح هذا ليس بكذب لأنه صدق في البعض وكتم بعضاً وللإنسان إذا سئل عن خبر أن يخبر عنه بما شاء وله أن لا يخبر بشيء منه أصلاً هذا لكن قَالَ الْحَافِظُ الْعَسْقَلَانِيُّ: من يعتبر مفهوم العددية يراه أخبر بغير الواقع ولهذا قَالَ ابن التين: في قوله: «إِنْ عَجَزْتُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاسْتَعِينُوا بِي» مع قوله في الأول ما أراكم تطيقون هذا بعض التجوز وكذا كتمان عَبْدُ اللَّهِ بن الزبير ما كان على أبيه.

وَقَالَ ابن بطلال أَيْضًا: إِنَّمَا قَالَ لَهُ مِائَةُ أَلْفٍ وَكْتَمَ الْبَاقِي لثَلَا يَسْتَعْظِمُ حَكِيمٌ مَا اسْتَدَانَهُ فَيُظَنُّ بِهِ عَدَمُ الْحَزْمِ وَيُظَنُّ بِعَبْدِ اللَّهِ عَدَمُ الْوَفَاءِ بِذَلِكَ فَيَنْظُرُ إِلَيْهِ بِعَيْنِ الْإِحْتِيَاجِ إِلَيْهِ فَلَمَّا اسْتَعْظِمَ حَكِيمٌ أَمْرَ مِائَةِ أَلْفٍ احْتِاجَ عَبْدِ اللَّهِ أَنْ يَذْكُرَ لَهُ الْجَمِيعَ وَيَعْرِفَهُ أَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى وَفَائِهِ.

روى يعقوب بن سُفْيَانَ من طريق عَبْدِ اللَّهِ بن المبارك أن حكيم بن حزام بذل لعبد الله بن الزبير مائة ألف إعانة له على وفاء دين أبيه فامتنع فبذل له مائتي ألف فامتنع إلى أربع مائة ألف ثم قَالَ: لم أرد منك هذا ولكن تنطلق معي إلى عَبْدِ اللَّهِ ابن جعفر فانطلق معه وبعبد الله بن عمر يستشفع بهم عليه فلما دخلوا عليه قَالَ أَجِئْتُ بِهِؤَلَاءِ تَسْتَشْفَعُ بِهِمْ عَلَيَّ هِيَ لَكَ قَالَ لَا أُرِيدُ ذَلِكَ قَالَ فَأَعْطَنِي بِهَا نَعْلَيْكَ هَاتَيْنِ أَوْ نَحْوَهُمَا قَالَ: لَا أُرِيدُ قَالَ: فهي عليك إلى يوم القيامة قَالَ: لَا قَالَ: فحكمتك قَالَ: أعطيك بها أرضاً فَقَالَ: نعم فأعطاه قَالَ: فرغب معاوية رَضِيَ

قَالَ: وَكَانَ الزُّبَيْرُ اشْتَرَى الْغَابَةَ بِسَبْعِينَ وَمِائَةِ أَلْفٍ، فَبَاعَهَا عَبْدُ اللَّهِ بِأَلْفٍ أَلْفٍ وَسِتِّ مِائَةِ أَلْفٍ، ثُمَّ قَامَ فَقَالَ: مَنْ كَانَ لَهُ عَلَى الزُّبَيْرِ حَقٌّ، فَلْيُؤَافِنَا بِالْغَابَةِ، فَأَتَاهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ، وَكَانَ لَهُ عَلَى الزُّبَيْرِ أَرْبَعُ مِائَةِ أَلْفٍ، فَقَالَ لِعَبْدِ اللَّهِ: إِنْ شِئْتُمْ تَرَكْتُهَا لَكُمْ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: لَا، قَالَ: فَإِنْ شِئْتُمْ جَعَلْتُموها فِيمَا تَوْخَرُونَ إِنْ أَخَرْتُمْ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: لَا، قَالَ: قَالَ: فَاقْطَعُوا لِي قِطْعَةً، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: لَكَ مِنْ هَاهُنَا إِلَى هَاهُنَا، قَالَ: فَبَاعَ مِنْهَا فَقَضَى دَيْنَهُ فَأَوْفَاهُ، وَبَقِيَ مِنْهَا أَرْبَعَةُ أَسْهُمٍ وَرِصْفٌ،

اللَّهُ عَنْهُ فِيهَا مَعَهُ فَاشْتَرَاهَا مِنْهُ بِأَكْثَرِ مِنْ ذَلِكَ.

(قَالَ: وَكَانَ الزُّبَيْرُ اشْتَرَى الْغَابَةَ بِسَبْعِينَ وَمِائَةِ أَلْفٍ، فَبَاعَهَا عَبْدُ اللَّهِ) أي: ابن الزبير (بِأَلْفٍ أَلْفٍ وَسِتِّ مِائَةِ أَلْفٍ) كأنه قسمها ستة عشر سهماً لأنه قَالَ بعد ذلك لمعاوية: إنها قَوِّمَتْ كل سهم بمائة ألف (ثُمَّ قَامَ) أي: عَبْدُ اللَّهِ بن الزبير، (فَقَالَ مَنْ كَانَ لَهُ عَلَى الزُّبَيْرِ حَقٌّ، فَلْيُؤَافِنَا) أي: فليأتنا يقال وافى فلان إذا أتى (بِالْغَابَةِ، فَأَتَاهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ) هو عَبْدُ اللَّهِ بن جعفر بن أَبِي طالب بحر الجود والكرم.

(وَكَانَ لَهُ عَلَى الزُّبَيْرِ أَرْبَعُ مِائَةِ أَلْفٍ، فَقَالَ لِعَبْدِ اللَّهِ) أي: فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بن جعفر لعبدِ اللَّهِ بن الزبير: (إِنْ شِئْتُمْ تَرَكْتُهَا لَكُمْ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ) أي: ابن الزبير (لَا، قَالَ: فَإِنْ شِئْتُمْ جَعَلْتُموها فِيمَا تَوْخَرُونَ إِنْ أَخَرْتُمْ؟ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ) أي: ابن الزبير: (لَا⁽¹⁾) قَالَ: قَالَ: فَاقْطَعُوا لِي قِطْعَةً، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: لَكَ مِنْ هَاهُنَا إِلَى هَاهُنَا، قَالَ: فَبَاعَ مِنْهَا) أي: من الغابة والدور لا من الغابة وحدها لأنه تقدم أن الدين ألف ألف ومائتا ألف وأنه باع الغابة بألف ألف وستمائة ألف وأنه كان بقي منها بغير بيع أربعة أسهم ونصف بأربعمائة وخمسين ألفاً فيكون الحاصل من ثمنها إذ ذاك ألف ألف ومائة ألف وخمسين ألف خاصة فيبقى من الدين ألف ألف وخمسون ألفاً فكان باع بها شيئاً من الدور وبذلك يلتئم قوله.

(فَقَضَى دَيْنَهُ فَأَوْفَاهُ، وَبَقِيَ مِنْهَا أَرْبَعَةُ أَسْهُمٍ وَرِصْفٌ) وقد وقع عند أبي نعيم في المستخرج من طريق علي بن مسهر عن هشام بن عُرْوَةَ قَالَ توفي الزبير وترك عليه من الدين ألفي ألف فضمنها عَبْدُ اللَّهِ بن الزبير فأداها، ولم يبع في تركته

(1) أي: لا نترك دينك فإنه ترك به وفاء.

فَقَدِمَ عَلَى مُعَاوِيَةَ، وَعِنْدَهُ عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ، وَالْمُنْذِرُ بْنُ الزُّبَيْرِ، وَابْنُ زَمْعَةَ، فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ: كَمْ قَوْمَتِ الْغَابَةُ؟ قَالَ: كُلُّ سَهْمٍ مِائَةُ أَلْفٍ،

داره التي بمكة ولا التي بالكوفة ولا التي بمصر هكذا أورده مختصراً وأفاد أنه كان له دار بمكة ولم يقع ذكرها في الحديث الطويل ويستفاد منه ما أُوِّلَ آنفاً لأنه تقدم أنه كان له إحدى عشرة داراً بالمدينة ودارين بالبصرة غير ما ذكر.

وروى أبو العباس السراج في تاريخه حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي السَّفَرِ حَدَّثَنَا أَبُو إِسْمَاعِيلَ بَسْنَدَهُ الْمَذْكُورُ قَالَ لَمَّا قَدِمَ يَعْنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ مَكَةَ فَاسْتَقَرَّ عِنْدَهُ أَيُّ: ثَبِتَ عِنْدَهُ قَتْلُ الزُّبَيْرِ نَظَرَ فِيمَا عَلَيْهِ مِنَ الدِّينِ فَجَاءَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ فَقَالَ إِنَّهُ كَانَ لِي عَلَى أَخِي شَيْءٍ وَلَا أَحْسِبُهُ تَرَكَ بِهِ وَفَاءً أَفْتَحِبُّ أَنْ أَجْعَلَهُ فِي حِلِّ فَقَالَ لَهُ ابْنُ الزُّبَيْرِ وَكَمْ هُوَ قَالَ: أَرْبَعُمِائَةِ أَلْفٍ فَإِنَّهُ تَرَكَ بِهَا وَفَاءً بِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى. (فَقَدِمَ⁽¹⁾ عَلَى مُعَاوِيَةَ) أَيُّ: أَبِي سُفْيَانَ وَهُوَ فِي دِمَشْقَ.

وَقَالَ الْحَافِظُ الْعَسْقَلَانِيُّ: فَقَدِمَ عَلَى مُعَاوِيَةَ أَيُّ: فِي خِلَافَتِهِ وَهَذَا فِيهِ نَظَرٌ لِأَنَّهُ ذَكَرَ أَنَّهُ آخِرُ الْقِسْمَةِ أَرْبَعِ سِنِينَ اسْتَبْرَأَ لِلدِّينِ كَمَا سَيَأْتِي فَيَكُونُ آخِرُ الْأَرْبَعِ فِي سَنَةِ أَرْبَعِينَ وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يَجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَى مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَلَعَلَّ هَذَا الْقَدْرَ مِنَ الْغَابَةِ كَانَ ابْنُ الزُّبَيْرِ أَخَذَهُ مِنْ حَصَّتِهِ أَوْ مِنْ نَصِيبِ أَوْلَادِهِ انْتَهَى. وَقَالَ الْعَيْنِيُّ: هَذَا النَّظَرُ إِنَّمَا يَتَوَجَّهُ عَلَى قَوْلِهِ أَيُّ: فِي خِلَافَتِهِ وَلَا حَاجَةَ إِلَى هَذَا لِأَنَّهُ تَقْيِيدُ الْمَطْلُوقِ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ عَلَى أَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ قُدُومُهُ عَلَيْهِ قَبْلَ اجْتِمَاعِ كُلِّ النَّاسِ عَلَيْهِ.

(وَعِنْدَهُ عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ) بَفَتْحِ الْعَيْنِ فِي عَمْرُو وَهُوَ عُمَرُو بْنُ عُثْمَانَ بْنِ عَفَانَ، (وَالْمُنْذِرُ) بِلَفْظِ الْفَاعِلِ مِنَ الْإِنْذَارِ وَهُوَ (ابْنُ الزُّبَيْرِ) ابْنُ الْعَوَامِ أَخُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، (وَابْنُ زَمْعَةَ) هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَمْعَةَ بِالزَّايِ وَالْمِيمِ وَالْعَيْنِ الْمَهْمَلَةِ الْمَفْتُوحَاتِ وَقِيلَ بِسُكُونِ الْمِيمِ ابْنُ قَيْسٍ بْنُ عَبْدِ شَمْسٍ وَهُوَ أَخُو سُودَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ لِأَبِيهَا.

(فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (كَمْ قَوْمَتِ الْغَابَةُ؟) قَالَ: كُلُّ سَهْمٍ مِائَةُ أَلْفٍ) بِنَصْبِ الْمِائَةِ بِنَزْعِ الْخَافِضِ أَيُّ: قَوْمَتِ الْغَابَةَ وَجَاءَ كُلُّ سَهْمٍ بِمِائَةِ أَلْفٍ.

قَالَ: كَمْ بَقِيَ؟ قَالَ: أَرْبَعَةٌ أَشْهُمُ وَنِصْفُ، قَالَ الْمُنْذِرُ بْنُ الزُّبَيْرِ: قَدْ أَخَذْتُ سَهْمًا بِمِائَةِ أَلْفٍ، قَالَ عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ: قَدْ أَخَذْتُ سَهْمًا بِمِائَةِ أَلْفٍ، وَقَالَ ابْنُ زَمْعَةَ: قَدْ أَخَذْتُ سَهْمًا بِمِائَةِ أَلْفٍ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: كَمْ بَقِيَ؟ فَقَالَ: سَهْمٌ وَنِصْفُ، قَالَ: أَخَذْتُهُ بِخُمْسِينَ وَمِائَةِ أَلْفٍ، قَالَ: وَبَاعَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ نَصِيبَهُ مِنْ مُعَاوِيَةَ بِسِتِّ مِائَةِ أَلْفٍ، فَلَمَّا فَرَعَ ابْنُ الزُّبَيْرِ مِنْ قِضَاءِ دَيْنِهِ، قَالَ بَنُو الزُّبَيْرِ: أَقْسِمُ بَيْنَنَا مِيرَاثًا، قَالَ: لَا، وَاللَّهِ لَا أَقْسِمُ بَيْنَكُمْ حَتَّى أُنَادِيَ بِالْمَوْسِمِ أَرْبَعَ سِنِينَ: أَلَا مَنْ كَانَ لَهُ عَلَى الزُّبَيْرِ دَيْنٌ فَلْيَأْتِنَا فَلْنَقْضِهِ، قَالَ: فَجَعَلَ كُلُّ سَنَةٍ يُنَادِي بِالْمَوْسِمِ، فَلَمَّا مَضَى أَرْبَعُ سِنِينَ قَسَمَ بَيْنَهُمْ،

(قَالَ: كَمْ بَقِيَ؟ قَالَ: أَرْبَعَةٌ أَشْهُمُ وَنِصْفُ، قَالَ الْمُنْذِرُ بْنُ الزُّبَيْرِ: قَدْ أَخَذْتُ سَهْمًا بِمِائَةِ أَلْفٍ، قَالَ عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ: قَدْ أَخَذْتُ سَهْمًا بِمِائَةِ أَلْفٍ، وَقَالَ ابْنُ زَمْعَةَ: قَدْ أَخَذْتُ سَهْمًا بِمِائَةِ أَلْفٍ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: كَمْ بَقِيَ؟ فَقَالَ: سَهْمٌ وَنِصْفُ، قَالَ: قَدْ أَخَذْتُهُ بِخُمْسِينَ وَمِائَةِ أَلْفٍ، قَالَ: وَبَاعَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ نَصِيبَهُ مِنْ مُعَاوِيَةَ بِسِتِّ مِائَةِ أَلْفٍ) أي: بعد ذلك فربح عبد الله مائتي ألف قال أي: هشام ابن عروة.

(فَلَمَّا فَرَعَ ابْنُ الزُّبَيْرِ مِنْ قِضَاءِ دَيْنِهِ، قَالَ بَنُو الزُّبَيْرِ: أَقْسِمُ بَيْنَنَا مِيرَاثًا، قَالَ) أي: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ: (لَا) أي: لَا أَقْسِمُ وَقَوْلُهُ: (وَاللَّهِ لَا أَقْسِمُ بَيْنَكُمْ) تَفْسِيرٌ وَتَأْكِيدٌ لِقَوْلِهِ: لَا (حَتَّى أُنَادِيَ بِالْمَوْسِمِ أَرْبَعَ سِنِينَ: أَلَا مَنْ كَانَ لَهُ عَلَى الزُّبَيْرِ دَيْنٌ فَلْيَأْتِنَا فَلْنَقْضِهِ) وَلَيْسَ فِيهِ مَنَعٌ لِلْمُسْتَحَقِّ مِنْ حَقِّهِ وَهُوَ الْقِسْمَةُ وَالتَّصَرُّفُ فِي نَصِيبِهِ لِأَنَّهُ كَانَ وَصِيًّا وَلَعَلَّهُ ظَنَّ بَقَاءَ الدِّينِ فَالْقِسْمَةُ لَا تَكُونُ إِلَّا بَعْدَ وِفَاءِ الدِّينِ جَمِيعِهِ وَالْمُرَادُ بِالْمَوْسِمِ مَوْسِمُ الْحَجِّ سَمِيَ بِهِ لِأَنَّهُ مَعْلُومٌ يَجْتَمِعُ النَّاسُ إِلَيْهِ وَالْمَوْسِمُ الْعَلَامَةُ.

(قَالَ: فَجَعَلَ كُلُّ سَنَةٍ يُنَادِي بِالْمَوْسِمِ، فَلَمَّا مَضَى أَرْبَعُ سِنِينَ قَسَمَ بَيْنَهُمْ) وَفَائِدَةٌ تَخْصِصُ الْمَنَادَاةَ بِأَرْبَعِ سِنِينَ أَيْ: أَنَّ الْغَالِبَ أَنَّ الْمَسَافَةَ الَّتِي بَيْنَ مَكَّةَ وَأَقْطَارِ الْأَرْضِ تَقْطَعُ بِسِتِّينَ فَارَاقًا أَنْ تَصِلَ الْأَخْبَارُ إِلَى الْأَقْطَارِ ثُمَّ تَعُودُ إِلَيْهِ، أَوْ لِأَنَّ الْأَرْبَعَ سِنِينَ هِيَ الْغَايَةُ فِي الْآحَادِ بِحَسَبِ مَا يُمْكِنُ أَنْ يَتَرَكَّبَ مِنْهُ الْعَشْرَاتُ لِأَنَّهُ يَتَضَمَّنُ وَاحِدًا وَاثْنَيْنِ وَثَلَاثَةً وَأَرْبَعَةً وَهِيَ عَشْرَةٌ.

قَالَ: فَكَانَ لِلزُّبَيْرِ أَرْبَعُ نِسْوَةٍ، وَرَفَعَ الثُّلُثَ، فَأَصَابَ كُلَّ امْرَأَةٍ أَلْفُ أَلْفٍ وَمِائَتَا أَلْفٍ، فَجَمِيعُ مَالِهِ خَمْسُونَ أَلْفَ أَلْفٍ، وَمِائَتَا أَلْفٍ.

(قَالَ: فَكَانَ لِلزُّبَيْرِ أَرْبَعُ نِسْوَةٍ) أي: مات عنهن وهن أم خالد والرباب وزينب المذكورات قبل وعاتكة بنت زيد أخت سعيد بن زيد أحد العشرة وأما أسماء وأم كلثوم فكان طلقهما.

(وَرَفَعَ الثُّلُثَ) أي: الموصى به، (فَأَصَابَ كُلَّ امْرَأَةٍ أَلْفُ أَلْفٍ وَمِائَتَا أَلْفٍ⁽¹⁾) فَجَمِيعُ مَالِهِ خَمْسُونَ أَلْفَ أَلْفٍ، وَمِائَتَا أَلْفٍ) وفي رواية أبي نعيم من طريق الرازي عن أبي أسامة أن ميراث الزبير قسم على خمسين ألف ألف ومائتي ألف ونيف زاد على رواية إسحاق ونيف.

قَالَ الْحَافِظُ الْعَسْقَلَانِيُّ: وفيه نظر لأنه إذا كان لكل زوجة ألف ألف ومائتا ألف فنصيب الأربع أربعة آلاف ألف وثمانمائة ألف وهذا هو الثمن ويرتفع من ضربه في ثمانية ثمانية وثلاثون ألف ألف وأربعمائة ألف وهذا القدر هو الثلثان فإذا ضم إليه الثلث الموصى به وهو قدر نصف الثلثين وجملته تسعة عشر ألف ألف ومائتا ألف كان جملة ماله على هذا سبعة وخمسين ألف ألف وستمائة ألف وقد نبه على ذلك ابن بطال ولم يجب عنه لكنه وهم فَقَالَ وتسعمائة ألف.

وتعقبه ابن المنير فَقَالَ: الصواب وستمائة ألف وهو كما قَالَ.

وَقَالَ ابن التين: نقص عن التحرير سبعة آلاف ألف وأربعمائة ألف يعني خارجاً عن قدر الدين وهو كما قَالَ وهذا تفاوت شديد في الحساب وقد ساق البلاذري في تاريخه هذا الحديث عن الحسين بن علي بن الأسود عن أبي أسامة بسنده فَقَالَ فيه وكان للزبير أربع نسوة فأصاب كل امرأة من ثمن عقاراته ألف ألف ومائة ألف وكان الثمن أربعة آلاف ألف وأربعمائة ألف وكان ثلثا المال الذي اقتسمه الورثة خمسة وثلاثين ألف ألف ومائتي ألف وكذلك أَخْرَجَهُ ابن سعد عن أبي أسامة فعلى هذا إذا انضم إليه نصفه وهو سبعة عشر ألف ألف وستمائة ألف كان جميع المال اثنين وخمسين ألف ألف وثمانمائة ألف فيزيد عما وقع في آخر الحديث ألفي ألف وستمائة ألف وهو أقرب من الأول فلعل

(1) هذا يقتضي أَنَّ الثمن كان أربعة آلاف ألف، وثمانمائة ألف.

المراد أن القدر المذكور وهو أن لكل زوجة ألف ألف ومائتي ألف كان لو قسم المال كله بغير وفاء الدين لكن خرج الدين من حصة كل أحد منهم فيكون الذي يورث ما عدا ذلك.

وبهذا التقرير يخف الوهم في الحساب ويبقى التفاوت أربعمائة ألف فقط لكن روى ابن سعد بسند آخر ضعيف عن هشام بن عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ تَرْكَهَ الزَّبِيرِ بَلَغَتْ إِحْدَى أَوْ اثْنَيْنِ وَخَمْسِينَ أَلْفَ أَلْفٍ وَهَذَا أَقْرَبُ مِنَ الْأَوَّلِ لَكِنَّهُ أَيْضًا لَا تَحْرِيرَ فِيهِ وَكَأَنَّ الْقَوْمَ لَمْ يَقْصِدُوا بِذَلِكَ تَحْرِيرَ الْحِسَابِ فَإِنْ غَرَضُهُمْ ذِكْرُ الْكَثْرَةِ الَّتِي نَشَأَتْ عَنِ الْبَرَكَةِ فِي تَرْكَهَ الزَّبِيرِ إِذْ خَلَفَ دِينًا كَثِيرًا وَلَمْ يَخْلَفْ إِلَّا الْعَقَارَ الْمَذْكُورَ وَمَعَ ذَلِكَ فَبُورِكَ فِيهِ حَتَّى تَحْصَلَ مِنْهُ هَذَا الْمَالُ الْعَظِيمُ وَقَدْ جَرَتْ لِلْعَرَبِ عَادَةٌ بِالْغَاءِ الْكُسُورِ تَارَةً وَجَبَرَهَا أُخْرَى فَهَذَا مِنْ ذَلِكَ.

وقد وقع الغاء الكسور في هذه القصة في عدة روايات بصفات مختلفة:

ففي رواية علي بن مسهر عن هشام عند أبي نعيم: بلغ ثَمَنُ نِسَاءِ الزَّبِيرِ أَلْفَ أَلْفٍ وَتَرَكَ عَلَيْهِ مِنَ الدِّينِ أَلْفِي أَلْفٍ.

وفي رواية عثمان بن علي عن هشام عند يعقوب بن سُفْيَانَ: أَنَّ الزَّبِيرَ قَالَ لِابْنِهِ انْظُرْ دِينَي وَهُوَ أَلْفُ أَلْفٍ وَمِائَتَا أَلْفٍ.

وفي رواية أبي معاوية عن هشام: أَنَّ قِيَمَةَ مَا تَرَكَهَ الزَّبِيرُ كَانَ خَمْسِينَ أَلْفَ أَلْفٍ.

وفي رواية السراج: أَنَّ جُمْلَةَ مَا حَصَلَ مِنْ عَقَارِهِ نِيفَ وَأَرْبَعُونَ أَلْفَ أَلْفٍ وَعِنْدَ ابْنِ سَعْدٍ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عِينَةَ أَنَّ مِيرَاثَهُ قَسَمَ عَلَى أَرْبَعِينَ أَلْفَ أَلْفٍ وَأَخْرَجَهُ الْحُمَيْدِيُّ فِي النُّوَادِرِ عَنْ سُفْيَانَ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ وَفِي الْمَجَالِسَةِ لِلدِّينَوَرِيِّ مِنْ طَرِيقِ مُحَمَّدِ بْنِ عُبَيْدٍ عَنْ أَبِي أُسَامَةَ أَنَّ الزَّبِيرَ تَرَكَ مِنَ الْعُرُوضِ قِيَمَةَ خَمْسِينَ أَلْفَ أَلْفٍ وَالَّذِي يَظْهَرُ أَنَّ الرِّوَاةَ لَمْ يَقْصِدُوا إِلَى التَّحْرِيرِ الْبَالِغِ فِي ذَلِكَ كَمَا تَقْدُمُ أَنْفَاءً.

وقد حكى القاضي عياض عن ابن سعد ما تقدم ثم قَالَ: فعلى هذا يصح قوله إن جميع ماله خمسون ألف ألف ويبقى الوهم في قوله ومائتا ألف قَالَ فَإِنَّ الصَّوَابَ أَنَّ يُقَالُ مِائَةُ أَلْفٍ وَاحِدَةً قَالَ وَعَلَى هَذَا فَقَدْ وَقَعَ فِي الْأَصْلِ الْوَهْمُ فِي

لفظ مائتا ألف حيث وقع في نصيب الزوجات وفي الجملة وإنما الصواب مائة ألف واحدة حيث وقع في الموضوعين قَالَ الْحَافِظُ الْعَسْقَلَانِيُّ : وهو غلط فاحش يتعجب من وقوع مثله فيه مع تيقظه للوهم الذي في الأصل وتفرغ باله للجمع والقسمة وذلك أن نصيب كل زوجة إذا كان ألف ألف ومائة ألف لا يصح معه أن يكون جميع المال خمسين ألف ألف ومائة ألف بل إنما يصح أن يكون جميع المال خمسين ألف ألف ومائة ألف إذا كان نصيب كل زوجة ألف ألف وثلاثة وأربعين ألفًا وسبعمائة وخمسين على التحرير.

قال : وقرأت بخط القطب الحلبي عن الدمياطي أن الوهم إنما وقع في رواية أبي أسامة عند الْبُخَارِيِّ في قوله في نصيب كل زوجة انه ألف ألف ومائتا ألف وأن الصواب أنه ألف ألف سواء بغير كسر وإذا اختص الوهم بهذه اللفظة وحدها خرج بقية ما فيه على الصحة لأنه يقتضي أن يكون الثمن أربعة آلاف ألف فيكون ثمنًا من أصل اثنين وثلاثين فإذا انضم إليه الثلث صار ثمانية وأربعين وإذا انضم إليها الدين صار الجميع خمسين ألف ألف ومائتي ألف .

فلعل بعض رواه لما وقع له ذكر مائتا ألف عند الجملة ذكرها عند نصيب كل زوجة سهوًا وهذا توجيه حسن .

ويؤيده ما روى أَبُو نَعِيمٍ في المعرفة من طريق أَبِي مَعْشَرٍ عن هِشَامٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : ورثت كل امرأة للزبير ربع الثمن ألف ألف درهم .

وقد وجهه الدمياطي أيضًا بأحسن منه فَقَالَ ما حاصله : أن قوله فجميع مال الزبير خمسون ألف ألف ومائتا ألف صحيح والمراد به قيمة ما خلفه عند موته وأن الزائد على ذلك هو تسعة آلاف ألف وستمائة ألف بمقتضى ما يحصل من ضرب ألف ألف ومائتي ألف وهو ربع الثمن في ثمانية مع ضم الثلث كما تقدم ثم قدر الدين حتى يرتفع من الجميع تسعة وخمسون ألف ألف وثمانمائة ألف حصل هذا الزائد من نماء العقار والأراضي في المدة التي آخر فيها عَبْدُ اللَّهِ بن الزبير قسم التركة استبراء للدين كما تقدم وهذا التوجيه في غاية الحسن لعدم تكلفه وتبقيّة الرواية الصحيحة على وجهها وقد تلقاه الْكِرْمَانِيُّ فذكره ملخصًا ولم ينسبه لقائله

ولعله من توارد الخواطر فإن قلت إذا كان الثمن أربعة آلاف ألف وثمانمائة ألف فالجميع ثمانية وثلاثون ألف ألف وأربعمائة ألف وإذا أضفت إليه الثلث فهو خمسون ألف ألف وسبعة آلاف ألف وستمائة ألف وإن اعتبرته مع الدين فهو خمسون ألف ألف وتسعة آلاف ألف وثمانمائة ألف فعلى التقادير الحساب غير صحيح قلت: لعل الجميع كان عند وفاته هذا المقدار فزادت من غلة أمواله في هذه الأربع سنين إلى ستين ألف ألف إلى مائتي ألف فيصح منه إخراج الدين والثلث ويبقى المبلغ الذي هو ثُمْنُها لكل امرأة منه ألف ألف ومائتا ألف ، والله تعالى اعلم.

وأما ما ذكره الزبير بن بكار في النسب في ترجمة عاتكة وَأَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزَّبِيرِ صَالِحُ عَاتِكَةَ بِنْتُ زَيْدٍ عَنْ نَصِيْبِهَا مِنَ الثَّمَنِ عَلَى ثَمَانِينَ أَلْفًا فَقَدْ اسْتَشْكَلَهُ الدِّمِيَاطِيُّ وَقَالَ: بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا فِي الصَّحِيحِينَ بَوْنٌ بَعِيدٌ وَالْعَجَبُ مِنَ الزَّبِيرِ كَيْفَ مَا تَصْدَى لِتَحْرِيرِ ذَلِكَ قَالَ الْحَافِظُ الْعَسْقَلَانِيُّ: وَيُمْكِنُ الْجَمْعُ بِأَنْ يَكُونَ الْقَدْرُ الَّذِي صَوْلَحَتْ بِهِ قَدْرُ ثَلَاثِي الْعَشْرِ مِنْ اسْتِحْقَاقِهَا وَكَانَ ذَلِكَ بِرِضَاهَا وَرَدَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنُ الزَّبِيرِ بَقِيَّةَ اسْتِحْقَاقِهَا عَلَى مَنْ صَالَحَهَا لَهُ وَلَا يَنَافِي ذَلِكَ أَصْلَ الْجُمْلَةِ ، وَاللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ.

وفي الحديث من الفوائد: ندب الوصية عند حضور أمر يخشى فيه الفوت كما عند الحرب فإنه سبب مخوف كركوب البحر واختلف لو تصدق حينئذ أو حرر هل يكون من الثلث أو من رأس المال .

وفيه: أن للوصي تأخير قسمة الميراث حتى توفي ديون الميت وتنفذ وصاياه إن كان له ثلث وأن له أن يستبرئ أمر الديون وأصحابها قبل القسمة ويؤخر القسمة بحسب ما يؤدي إليه اجتهاده ولا يخفى أن ذلك يتوقف على إجازة الورثة وإلا فمن طلب القسمة بعد وفاء الدين الذي وقع العلم به وصمم عليها أجيب إليها ولم يتربص به انتظار أمر متوهم فإذا ثبت بعد ذلك شيء استعيد منه وأخذ وبهذا يتبين ضعف من استدلل بهذه القصة لمالك حيث قَالَ إن أجل المفقود أربع سنين والذي يظهر أن ابن الزبير إنما اختار التأخير أربع سنين لأن المدن الواسعة التي يؤتى الحجاز من جهتها إذ ذاك كانت أربعا اليمن والعراق والشام ومصر

فبنى على أن كل قطر لا يتأخر أهله في الغالب عن الحج أكثر من ثلاثة أعوام فيحصل استيعابهم في مدة الأربع ومنهم يبلغ الخبر في هذه المدة مَنْ وراءهم من الأقطار وقيل لأن الأربع هي الغاية في الأحاد بحسب ما يمكن أن يتركب منه العشرات لأن فيها واحدًا واثنين وثلاثة وأربعة ومجموع ذلك عشرة وقد تقدم إلى ذلك إشارة.

واختار الموسم لأنه مجمع الناس من الآفاق .
وفيه أيضًا : جواز التربص بوفاء الدين إذا لم تكن التركة نقدًا ولم يختار صاحب الدين إلا النقد .

وفيه أيضًا : جواز الوصية للأحفاد إذا كان من يحجبهم من الآباء موجودًا .
وفيه : جواز شراء الوارث من التركة .

وفيه : أن الهبة لا تملك إلا بالقبض وأن ذلك لا يخرج المال عن ملك الأول لأن ابن جعفر عرض على ابن الزبير أن يحلّ لهم من دينه الذي كان على الزبير فامتنع ابن الزبير .

وفيه : بيان جود عبد الله بن جعفر لسماحته بهذا المال العظيم فلذلك سمي بحر الكرم .

وفيه : أن من عرض على شخص أن يهبه شيئًا فامتنع أن الواهب لا يعد راجعًا في هبته وأما امتناع ابن الزبير فهو محمول على أن بقية الورثة وافقوه على ذلك وعلم أن غير البالغين ينفذون له ذلك إذا بلغوا وأجاب ابن بطال بأن هذا ليس من الأمر المحكوم به عند التشاخ وإنما يحكم به في شرف النفوس ومحاسن الأخلاق انتهى .

قال الحافظ العسقلاني : والذي يظهر أن ابن الزبير تحمل بالدين كله على ذمته والتزم وفاءه ورضي الباؤون ذلك .

وفيه أيضًا : أن لا كراهة في الاستكثار من الزوجات والخدم .
وقال ابن الجوزي : فيه رد على من كره جمع الأموال الكثيرة من جهلة المتزهدين وتعقب بأن هذا الكلام لا يناسب مقامه من حيث كونه لهجا بالوعظ

فإن من شأن الواعظ التحريض على الزهد في الدنيا والتقلل منها وكون مثل هذا لا يكره للزبير وأنظاره لا يطرد.

وفيه أيضًا: بركة العقار والأرض لما فيه من النفع العاجل والآجل بغير كثير تعب ولا دخول في مكروه كاللغو الواقع في البيع والشراء.

وفيه أيضًا: إطلاق اللفظ المشترك لمن يظن به معرفة المراد والاستفهام لمن لم يتبين له لأن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ لابنه استعن عليه مولاي والمولى لفظ مشترك فجوز ابن الزبير أن يكون أراد بعض عتقائه مثلاً فاستفهمه فعرف حينئذ مراده.

وفيه: منزلة الزبير عند نفسه وأنه في تلك الحالة كان في غاية الوثوق بالله والإقبال عليه والرضا بحكمه والاستعانة به، ودل ذلك على أنه كان في نفسه محققاً مصيباً في القتال ولذلك قَالَ إن أكبر همه دينه ولو كان يعتقد أنه غير مصيب أو أنه آثم باجتهاده ذلك لكان اهتمامه بما هو فيه من أمر القتال أشد.

وفيه أيضًا: استعمال التجوز في كثير من الكلام كما تقدم وقد وقع ذلك أيضًا في قوله أربع سنين في المواسم لأنه إن عد موسم سنة ست وثلاثين فلم يؤخر ذلك إلا ثلاث سنين ونصفًا وإن لم يعده فقد أخرج ذلك أربع سنين ونصفًا ففيه إلغاء الكسر أو جبره.

وفيه: قوة نفس عَبْدَ اللَّهِ بن الزبير لعدم قبوله ما سأله حكيم بن حزام من المعاونة وما سأله عَبْدَ اللَّهِ بن جعفر من المحاللة.

وفيه: كرم حكيم أيضًا وسماحة نفسه.

وفيه: أن الاستدانة إنما تكره لمن لا وفاء له أو لمن يصرفه إلى غير وجهه.

وفيه: النداء في ديون من يعرف بالدين.

وفيه: النداء في الموسم لأنه مجمع الناس.

وفيه: طاعة بني الزبير لأخيهم في تأخير القسمة لأجل الدين الموهوم.

وفيه أيضًا: ما كان عليه الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من اتخاذ النساء.

وهذا الحديث من أفراد البُخَارِيِّ وذكره أصحاب الأطراف في مسند الزبير

14 - باب: إِذَا بَعَثَ الْإِمَامُ رَسُولًا

فِي حَاجَةٍ، أَوْ أَمَرَهُ بِالْمُقَامِ هَلْ يُسْهِمُ لَهُ

3130 - حَدَّثَنَا مُوسَى، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ مُوَهَّبٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا،

والأشبه أن يكون من مسند ابنه عَبْدُ اللَّهِ وكله موقوف غير قوله وما ولي إمارة ولا جباية خراج ولا شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَكُونَ فِي غَزْوَةٍ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فهذا المقدار في حكم المرفوع.

روى التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ عُرْوَةَ قَالَ: أَوْصَى الزبير إلى ابنه عَبْدُ اللَّهِ صبيحة الجمل فَقَالَ: ما مني عضو إلا وقد جرح مع رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حتى انتهى ذلك إلى فرجه. رواه ابن سعد في طبقاته في قتل الزبير ووصيته بدينه وثالث ماله عن أبي أسامة حماد بن أسامة نحو حديث الْبُخَارِيِّ وطوله غير أنه خالفه في موضع واحد وهو قوله أصاب كل امرأة من نسائه ألف ألف ومائة ألف كما تقدم، والله أعلم.

ومطابقة الحديث للترجمة تؤخذ في قوله وما ولي إمارة إلى قوله وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وذلك أن البركة كانت في مال الزبير في كونه غازيًا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ومع أبي بكر وعمر وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وكون البركة في حياته وبعد موته يظهر عند التأمل في قصته.

14 - باب: إِذَا بَعَثَ الْإِمَامُ رَسُولًا

فِي حَاجَةٍ، أَوْ أَمَرَهُ بِالْمُقَامِ هَلْ يُسْهِمُ لَهُ

(باب) بالتونين (إِذَا بَعَثَ الْإِمَامُ رَسُولًا فِي حَاجَةٍ، أَوْ أَمَرَهُ بِالْمُقَامِ) بضم الميم أي: بالإقامة ببلده (هَلْ يُسْهِمُ لَهُ) أي: في الغنيمة مع الغانمين أو لا يسهم وجواب إذا يفهم من حديث الباب.

وفيه: خلاف مضى ذكره في باب الغنيمة لمن شهد الوقعة.

(حَدَّثَنَا مُوسَى) هو ابن إِسْمَاعِيلَ المنقري المعروف بالتبوذكي قَالَ: (حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ) بفتح العين الواضح بن عَبْدُ اللَّهِ اليشكري قَالَ: (حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ مُوَهَّبٍ) على وزن جعفر هو عثمان بن عَبْدُ اللَّهِ بن موهب الأعرج الطليحي التميمي القرشي، (عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) قَالَ أَبُو عَلِي

قَالَ: إِنَّمَا تَعَيَّبَ عَثْمَانُ عَنْ بَدْرٍ، فَإِنَّهُ كَانَتْ تَحْتَهُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَتْ مَرِيضَةً، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ لَكَ أَجْرَ رَجُلٍ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا وَسَهْمَهُ».

الجباني: وقع في نسخة أبي مُحَمَّد عن أبي أحمد يعني الأصيلي عن الجرجاني عمرو بن عَبْدَ اللَّهِ وهو غلط وصوابه عثمان بن موهب عن ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ (قَالَ: إِنَّمَا تَعَيَّبَ عَثْمَانُ) أَي: ابنِ عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (عَنْ بَدْرٍ) أَي: تكلف الغيبة عن غزوة بدر، (فَإِنَّهُ كَانَتْ تَحْتَهُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَتْ مَرِيضَةً) يعني أن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يحضر بدرًا لأجل مرض بنت رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وهي رقية رضي الله عنها وتوفيت ورسول الله ﷺ في بدر.

ثم زوجه أم كلثوم رضي الله عنها فتوفيت تحته سنة تسع وهي التي غسلتها أم عطية وعد ابن إسحاق الذين غابوا عن بدر ثمانية أو تسعة وهم: عثمان بن عفان تخلف لذلك.

وطلحة بن عُبَيْدِ اللَّهِ كان بالشام فضرب له سهمه وأجره.

وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل كان بالشام أَيْضًا.

وأبو لبابة بشير بن عبد المنذر رده رَسُولُ اللَّهِ ﷺ من الروحاء حين بلغه خروج النفي من مكة فاستعمله على المدينة.

والحارث بن حاطب بن عبيد رده أَيْضًا من الطريق.

والحارث بن الصمة كسر بالروحاء فرجع.

وخوات بن جبير لم يحضر الوقعة.

وأبو الصباح بن ثابت خرج مع رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فأصاب ساقه نصل حجر فرجع وسعد بن مالك تجهز ليخرج فمات وقيل: إنه مات في الروحاء فضرب لكل واحد منهم سهمه وأجره.

(فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ لَكَ أَجْرَ رَجُلٍ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا وَسَهْمَهُ».) واحتج أَبُو حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ بهذا الحديث أن من بعثه الإمام لحاجة حتى غنم الإمام أنه يسهم له وكذلك المدد يلحقون أرض الحرب وهو قول الشَّعْبِيِّ والنخعي والثوري والحكم بن عتيبة والأوزاعي والحديث حجة على الليث وَالشَّافِعِيِّ

ومالك وأحمد حيث قالوا: لا يسهم من الغنيمة إلا لمن حضر الواقعة.

واحتجوا بحديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَخْرَجَهُ الطحاوي وأبو داود أنه ﷺ بعث أبان بن سعيد على سرية من المدينة قبل نجد فقدم أبان ورسول الله ﷺ بخيبر بعدما فتحها الحديث.

وفيه: اجلس يا أبان فلم يقسم لهم شيئاً.

وأجاب الطحاوي عنه: بأنه ﷺ وجه أبان إلى نجد قبل أن يتهيأ خروجه إلى خيبر فتوجه أبان في ذلك ثم حدث من خروج النَّبِيِّ ﷺ إلى خيبر ما حدث فكان ما غاب فيه أبان عن حضور خيبر ليس هو شغلاً شغله النَّبِيُّ ﷺ عن حضورها بعد ما تهيأ له.

وَقَالَ الجصاص: لا حجة فيه لأن خيبر صارت دار الإسلام لظهور النَّبِيِّ ﷺ عليها وهذا لا خلاف فيه.

وقيل: كانت خيبر لأهل الحديبية خاصة شهدوها أو لم يشهدوا دون من سواهم لأن الله تعالى كان وعدهم إياها بقوله: ﴿وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا﴾ [الفتح: 21] بعد قوله: ﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ﴾ [الفتح: 20].

فإن قالوا إن إعطاء رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عثمان وهو لم يحضر بدرًا مخصوص له قلنا يحتاج ذلك إلى دليل فإن قالوا أعطى ﷺ عثمان من سهمه من الخمس قلنا كان ذلك يوم حنين حيث قَالَ ما لي مما أفاء الله عليكم إلا الخمس وهو مردود فيكم وإعطاء عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومن غاب أيضًا من بدر من سهمه من الخمس يحتاج إلى دليل، والله أعلم.

ومطابقة الحديث للترجمة تؤخذ من قوله إن لك أجر رجل إلى آخره.

وقد أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ مطوّلًا في المغازي وفي فضل عثمان أيضًا.

وَأَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ في المناقب.

15 - باب: وَمِنَ الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ الْخُمْسَ لِنَوَائِبِ الْمُسْلِمِينَ

مَا سَأَلَ هَوَازُنُ النَّبِيِّ ﷺ بِرِضَاعِهِ فِيهِمْ فَتَحَلَّلَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ
وَمَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَعِدُّ النَّاسَ أَنْ يُعْطِيَهُمْ مِنَ الْفَيْءِ وَالْأَنْفَالِ
مِنَ الْخُمْسِ وَمَا أُعْطِيَ الْأَنْصَارَ وَمَا أُعْطِيَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ تَمَرٌ خَيْبَرَ

15 - باب: وَمِنَ الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ الْخُمْسَ لِنَوَائِبِ الْمُسْلِمِينَ

مَا سَأَلَ هَوَازُنُ النَّبِيِّ ﷺ بِرِضَاعِهِ فِيهِمْ فَتَحَلَّلَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ
وَمَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَعِدُّ النَّاسَ أَنْ يُعْطِيَهُمْ مِنَ الْفَيْءِ وَالْأَنْفَالِ
مِنَ الْخُمْسِ وَمَا أُعْطِيَ الْأَنْصَارَ وَمَا أُعْطِيَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ تَمَرٌ خَيْبَرَ
(باب) بالتونين (وَمِنَ الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ الْخُمْسَ لِنَوَائِبِ الْمُسْلِمِينَ) النوائب
جمع نائبة وهي ما ينوب الإنسان من الحوادث وينزل به.

قَالَ الْحَافِظُ الْعَسْقَلَانِيُّ: هذا عطف على الترجمة التي قبل ثمانية أبواب
حيث قَالَ الدليل: على أن الخمس لنوائب رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ هنا لنوائب
المسلمين وَقَالَ بعد باب ومن الدليل على أن الخمس للإمام والجمع بين هذه
التراجم أن الخمس لنوائب المسلمين وإلى النَّبِيِّ ﷺ مع تولي قسمته أن يأخذ منه
ما يحتاج إليه بقدر كفايته والحكم بعده كذلك يتولى الإمام ما كان يتولاه هذا
محصل ما ترجم به المصنف وجَوَزَ الْكِرْمَانِيُّ أَنْ يَكُونَ كُلُّ تَرْجُمةٍ عَلَى وفق
مذهب من المذاهب.

وفيه: بعد لأن أحدًا لم يقل إن الخمس للمسلمين دون النَّبِيِّ ﷺ ودون
الإمام ولا للنبي ﷺ دون المسلمين وكذا للإمام فالتوجيه الأول هو اللائق وقد
أشار إليه الْكِرْمَانِيُّ أيضًا انتهى.

وتعقبه الْعَيْنِيُّ بأنه: لا وجه لدعوى هذا العطف البعيد لتخلل أبواب
بأحاديثها بين المعطوف والمعطوف عليه فإن اضطر إلى القول بهذا لأجل الواو
فيقال له هذه ليست بواو العطف وإنما مثل هذا يأتي كثيرًا بدون أن يكون معطوفًا
على شيء فيقال: هذه واو الاستفتاح وهو المسموع من الأساتذة الكبار.

قال العيني: ولما ذكر أولًا الخمس لنوائب رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثم ذكر لنوائب

المسلمين ثم ذكر الخمس للإمام وطريق التوفيق بينها أن الخمس لرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثم للإمام بعده يتولاه مثل ما كان ﷺ يتولاه وأما قوله هنا لنواب المسلمين فهو أنه لا يكون إلا مع تولي النَّبِيِّ ﷺ قسمته وله أن يأخذ منه ما يحتاج إليه بقدر كفايته وكذلك من يتولى بعده انتهى.

وأنت خبير بأن ما ذكره من طريق التوفيق بينها ليس مخالفاً لما ذكره الْحَافِظُ الْعَسْقَلَانِيُّ من وجه الجمع بينها، ثم قَالَ: قَالَ بعضهم يريد الْحَافِظُ الْعَسْقَلَانِيُّ وجوز الْكِرْمَانِيُّ أن يكون كل ترجمة على وفق مذهب من المذاهب وفيه بعد إلى آخر ما قاله.

وتعقبه الْعَيْنِيُّ أَيْضًا وَقَالَ: عبارة الْكِرْمَانِيِّ هكذا فَإِنْ قلت ترجم هذه المسألة بقوله: ومن الدليل على أن الخمس لنواب رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

وثانياً: بقوله ومن الدليل على أن الخمس لنواب المسلمين.

وثالثاً: أن الخمس للإمام فما التوفيق بينها قلت المذاهب فيه مختلفة فبُوبَ لكل مذهب باباً وترجم له ولا تفاوت في المعنى إذ نواب رَسُولِ اللَّهِ ﷺ هي نواب المسلمين، ولا شك أن التصرف فيه له ولمن يقوم مقامه انتهى.

قال: قوله ولا تفاوت في المعنى ينبئ عن وجه التوفيق مثل ذكر غير أنه قَالَ بوب لكل مذهب باباً بحسب النظر إلى الظاهر وأما بالنظر إلى المعنى فما قاله موافق لما قلنا على أننا نقول أَيْضًا في هذا الباب مذاهب انتهى.

وقد فصل تلك المذاهب وقد فصلنا بها سابقاً في شرح باب قول الله تعالى: ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ مِائَةَ أَلْفٍ مِائَةً وَلِلرَّسُولِ﴾.

(مَا سَأَلَ) في محل الرفع على الابتداء وخبره قوله ومن الدليل.

(هَوَازِنُ) مرفوع فاعل سأل وهو أَبُو قَبِيلَةَ وهو هَوَازِنُ بن منصور بن عكرمة ابن قيس بن غيلان وأطلقها على بعضهم مجازاً، قَالَ الرشاطي في هَوَازِنُ بطون كثيرة وأفخاذ وفي خزاعة أَيْضًا هَوَازِنُ بن أسلم بن أقصى.

(النَّبِيُّ ﷺ) بالنصب على المفعولية.

(بِرِضَاعِهِ فِيهِمْ) أي: بسبب رضاعه ﷺ فيهم.

.....عُقَيْلٌ، عَنِ ابْنِ

(حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عُفَيْرٍ قَالَ: حَدَّثَنِي اللَّيْثُ، قَالَ: حَدَّثَنِي عُقَيْلٌ، عَنْ ابْنِ

شِهَابٍ، قَالَ: وَزَعَمَ عُرْوَةُ أَنَّ مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ، وَمِسُورَ بْنَ مَخْرَمَةَ، أَخْبَرَاهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ حِينَ جَاءَهُ وَفَدُ هَوَازِنَ مُسْلِمِينَ: فَسَأَلُوهُ أَنْ يَرُدَّ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَسَبْيَهُمْ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَحَبُّ الْحَدِيثِ إِلَيَّ أَصْدَقُهُ، فَاخْتَارُوا إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ، إِمَّا السَّبْيَ وَإِمَّا الْمَالَ، وَقَدْ كُنْتُ اسْتَأْنَيْتُ بِهِمْ»، وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ انْتَضَرَ آخِرَهُمْ بِضْعَ عَشْرَةِ لَيْلَةٍ حِينَ قَفَلَ مِنَ الطَّائِفِ، فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ غَيْرُ رَادٍّ إِلَيْهِمْ إِلَّا إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ قَالُوا: فَإِنَّا نَخْتَارُ سَبِينَا، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْمُسْلِمِينَ، فَأَتْنِي عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ إِخْوَانَكُمْ هَؤُلَاءِ قَدْ جَاؤُونَا تَائِبِينَ، وَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ أَنْ أَرُدَّ إِلَيْهِمْ سَبْيَهُمْ مِنْ أَحَبِّ أَنْ يُطِيبَ، فَلْيَفْعَلْ وَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَكُونَ عَلَى حَظِّهِ حَتَّى نُعْطِيَهُ إِيَّاهُ مِنْ أَوَّلِ مَا يُفِيءُ اللَّهُ عَلَيْنَا فَلْيَفْعَلْ»، فَقَالَ النَّاسُ: قَدْ طَيَّبْنَا ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّا لَا نَدْرِي مَنْ أَذِنَ مِنْكُمْ فِي ذَلِكَ مِمَّنْ لَمْ يَأْذَنْ، فَارْجِعُوا حَتَّى يَرْفَعَ إِلَيْنَا عِرْفَاؤُكُمْ أَمْرَكُمْ»، فَارْجَعَ النَّاسُ فَكَلَّمَهُمْ

شِهَابٍ قَالَ: وَزَعَمَ عُرْوَةُ أَنَّ مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ، وَمِسُورَ بْنَ مَخْرَمَةَ، أَخْبَرَاهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ حِينَ جَاءَهُ وَفَدُ هَوَازِنَ مُسْلِمِينَ: فَسَأَلُوهُ أَنْ يَرُدَّ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَسَبْيَهُمْ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَحَبُّ الْحَدِيثِ إِلَيَّ أَصْدَقُهُ، فَاخْتَارُوا إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ، إِمَّا السَّبْيَ وَإِمَّا الْمَالَ، وَقَدْ كُنْتُ اسْتَأْنَيْتُ بِهِمْ» (أي: انتظرت وهو من الأناة أي: التؤدة).

(وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ انْتَضَرَ آخِرَهُمْ بِضْعَ عَشْرَةِ لَيْلَةٍ حِينَ قَفَلَ مِنَ الطَّائِفِ، فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ غَيْرُ رَادٍّ إِلَيْهِمْ إِلَّا إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ قَالُوا: فَإِنَّا نَخْتَارُ سَبِينَا، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْمُسْلِمِينَ، فَأَتْنِي عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ إِخْوَانَكُمْ هَؤُلَاءِ قَدْ جَاؤُونَا تَائِبِينَ، وَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ أَنْ أَرُدَّ إِلَيْهِمْ سَبْيَهُمْ مِنْ أَحَبِّ أَنْ يُطِيبَ، فَلْيَفْعَلْ وَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَكُونَ عَلَى حَظِّهِ حَتَّى نُعْطِيَهُ إِيَّاهُ مِنْ أَوَّلِ مَا يُفِيءُ اللَّهُ عَلَيْنَا فَلْيَفْعَلْ»، فَقَالَ النَّاسُ: قَدْ طَيَّبْنَا ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّا لَا نَدْرِي مَنْ أَذِنَ مِنْكُمْ فِي ذَلِكَ مِمَّنْ لَمْ يَأْذَنْ، فَارْجِعُوا حَتَّى يَرْفَعَ إِلَيْنَا عِرْفَاؤُكُمْ أَمْرَكُمْ» (العرفاء جمع عريف وهو القائم بأمور القوم المتعرف لأحوالهم، (فرجع الناس فكلمهم

عُرَفَاؤُهُمْ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَخْبَرُوهُ أَنَّهُمْ قَدْ طَيَّبُوا فَأَذِنُوا، فَهَذَا الَّذِي بَلَّغْنَا عَنْ سَبِيِّ هَوَازِنَ.

3133 - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ، حَدَّثَنَا حَمَّادٌ، حَدَّثَنَا أَيُّوبُ، عَنْ أَبِي قِلَابَةَ، قَالَ: وَحَدَّثَنِي الْقَاسِمُ بْنُ عَاصِمٍ الْكَلْبِيُّ، - وَأَنَا لِحَدِيثِ الْقَاسِمِ أَخْفَظُ - عَنْ زَهْدَمٍ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ أَبِي مُوسَى، فَأُتِيَ - ذَكَرَ دَجَاجَةً -،

عُرَفَاؤُهُمْ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَخْبَرُوهُ أَنَّهُمْ قَدْ طَيَّبُوا فَأَذِنُوا، فَهَذَا الَّذِي بَلَّغْنَا عَنْ سَبِيِّ هَوَازِنَ) أَي: قَالَ ابْنُ شَهَابِ الزُّهْرِيُّ فَهَذَا الَّذِي بَلَّغْنَا عَنْ سَبِيِّ هَوَازِنَ.

والحديث قد مر في كتاب العتق في باب من ملك من العرب رقيقًا .

ومطابقته للترجمة في قوله ومن الدليل إلى قوله فتحلل من المسلمين .

(حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ) هُوَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَجْبِيُّ الْبَصْرِيُّ قَالَ: (حَدَّثَنَا حَمَّادٌ) هُوَ ابْنُ زَيْدٍ قَالَ: (حَدَّثَنَا أَيُّوبُ) هُوَ السَّخْتِيَانِيُّ، (عَنْ أَبِي قِلَابَةَ) بَكْسَرِ الْقَافِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَيْدِ الْجَرَمِيِّ الْبَصْرِيِّ، (قَالَ: وَحَدَّثَنِي الْقَاسِمُ بْنُ عَاصِمٍ الْكَلْبِيُّ) نِسْبَةُ إِلَى مُصْغَرِ الْكَلْبِ التَّمِيمِيِّ وَالْقَائِلُ لَذَلِكَ هُوَ أَيُّوبُ بَيْنَ ذَلِكَ عَبْدُ الْوَهَّابِ الثَّقَفِيُّ عَنْ أَيُّوبَ كَمَا سَيَأْتِي فِي الْإِيمَانِ وَالنُّزُورِ.

(وَأَنَا لِحَدِيثِ الْقَاسِمِ أَخْفَظُ⁽¹⁾) عَنْ زَهْدَمٍ بِفَتْحِ الزَّايِ وَسُكُونِ الْهَاءِ وَفَتْحِ الدَّالِ الْمَهْمَلَةِ ابْنِ مُضَرَّبٍ بِالضَّادِ الْمَعْجَمَةِ مِنَ التَّضْرِيْبِ الْجَرَمِيِّ الْأَزْدِيِّ الْبَصْرِيِّ وَقَدْ مَرَّ فِي الشَّهَادَاتِ.

قَالَ الْكَلَابَاذِيُّ: حَدِيثُ الْقَاسِمِ وَأَبِي قِلَابَةَ كِلَاهُمَا عَنْ زَهْدَمٍ وَرَوَى أَيُّوبُ عَنِ الْقَاسِمِ مَقْرُونًا بِأَبِي قِلَابَةَ فِي الْخُمْسِ.

(قَالَ: كُنَّا عِنْدَ أَبِي مُوسَى) عَبْدُ اللَّهِ بْنُ قَيْسٍ الْأَشْعَرِيُّ، (فَأُتِيَ - ذَكَرَ دَجَاجَةً -) كَذَا فِي رِوَايَةِ أَبِي ذَرٍّ فَأُتِيَ بِصَيْغَةِ الْمَاضِي مِنَ الْإِتْيَانِ مَعْرُوفًا وَمَجْهُولٌ وَلَفْظُ ذِكْرٍ بِكْسَرِ الدَّالِ وَسُكُونِ الْكَافِ وَدَجَاجَةٌ بِالْجَرِّ وَالتَّنْوِينِ عَلَى الْإِضَافَةِ وَكَذَا فِي رِوَايَةِ النَّسْفِيِّ.

(1) أَي: مِنْ حَدِيثِ أَبِي قِلَابَةَ.

وَعِنْدَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَيْمِ اللَّهِ أَحْمَرُ كَأَنَّهُ مِنَ الْمَوَالِي، فَدَعَاهُ لِلطَّعَامِ، فَقَالَ: إِنِّي رَأَيْتُهُ يَأْكُلُ شَيْئًا فَقَدِرْتُهُ، فَحَلَفْتُ لَا أَكُلُ، فَقَالَ: هَلُمَّ فَلَا حَدْثُكُمْ عَنْ ذَلِكَ، إِنِّي أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي نَفَرٍ

وفي رواية الأصيلي: فأتي بضم الهمزة على البناء للمفعول وذكر بفتحتين ودجاجة بالنصب والتنوين على المفعولية كأن الراوي لم يستحضر اللفظ كله وحفظ منه لفظ دجاجة قَالَ القاضي عياض: وهذا أشبه لقوله في الطريق الأخرى فأتي بلحم دجاج ولقوله في حديث الباب فدعاه للطعام أي: الذي فيه الدجاجة وسيأتي في النذور بلفظ: فأتي بطعام فيه دجاج.

وفي رواية مسلم: فدعي بمائدة وعليها لحم دجاج وفي لفظ: عن زهدم الجرمي دخلت على أبي موسى وهو يأكل لحم دجاج.

وفي رواية الترمذي عن زهدم قَالَ: دخلت على أبي موسى وهو يأكل دجاجًا فَقَالَ ادْنُ فكل فإني رأيت رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يأكله وَقَالَ هذا حديث حسن والدجاجة بفتح الدال وكسرهما وهما لغتان مشهورتان.

وحكي فيه أيضًا ضمها وهي لغة ضعيفة.

قَالَ الداودي: اسم الدجاجة يقع على الذكر والأنثى.

وَقَالَ صاحب التوضيح: ولا أدري من أين أخذه.

وَقَالَ الْعَيْنِي: قاله أهل اللغة والتاء فيه للوحدة.

(وَعِنْدَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَيْمِ اللَّهِ) هو نسبة إلى بطن من بني بكر بن عبد مناة وهو بفتح المثناة الفوقية وسكون التحتية ومعنى تيمم عبد الله.

(أَحْمَرُ) بالرفع صفة رجل (كَأَنَّهُ مِنَ الْمَوَالِي) يعني من سبي الروم، (فَدَعَاهُ لِلطَّعَامِ، فَقَالَ: إِنِّي رَأَيْتُهُ يَأْكُلُ شَيْئًا) أي: من النجاسة يعني كانت تلك الدجاجة جلالة، (فَقَدِرْتُهُ) بالقاف وكسر الدال المعجمة وبالراء قَالَ ابن فارس: قدّرت الشيء أي: كرهته.

(فَحَلَفْتُ لَا أَكُلُ، فَقَالَ: هَلُمَّ) أي: تعال وأقبل، (فَلَا حَدْثُكُمْ عَنْ ذَلِكَ، إِنِّي أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي نَفَرٍ) رهط الإنسان وعشيرته وهو اسم جمع يقع على جماعة من الرجال خاصة ما بين الثلاثة إلى العشرة ولا واحد له من لفظه والرهط

مِنَ الْأَشْعَرِيِّينَ نَسْتَحْمِلُهُ، فَقَالَ: «وَاللَّهِ لَا أَحْمِلُكُمْ، وَمَا عِنْدِي مَا أَحْمِلُكُمْ»، وَآتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِنَهْبِ إِبِلٍ، فَسَأَلَ عَنَّا فَقَالَ: «أَيْنَ النَّفَرُ الْأَشْعَرِيُّونَ؟»، فَأَمَرَ لَنَا بِخُمْسِ ذُوْدٍ غُرِّ الذُّرَى، فَلَمَّا انْطَلَقْنَا قُلْنَا: مَا صَنَعْنَا؟ لَا يُبَارِكُ لَنَا، فَرَجَعْنَا إِلَيْهِ، فَقُلْنَا: إِنَّا سَأَلْنَاكَ أَنْ تَحْمِلَنَا، فَحَلَفْتَ أَنْ لَا تَحْمِلَنَا، أَفَنَسِيتَ؟ قَالَ: «لَسْتُ أَنَا حَمَلْتُكُمْ، وَلَكِنَّ اللَّهَ حَمَلَكُمْ».

عشيرة الرجل وأهله والرهط من الرجال ما دون العشرة وقيل: إلى الأربعين ولا يكون فيهم امرأة ولا واحد له من لفظه أيضًا ويجمع على أرهط وأرهاط وأرهاط جمع الجمع.

(مِنَ الْأَشْعَرِيِّينَ) جمع أشعري نسبة إلى أشعر أبو قبيلة من اليمن وهو أشعر ابن أور بن زيد بن يشجب بن غرب بن زيد بن كهلان وتقول العرب جاءني الأشعرون بحذف ياء النسبة.

(نَسْتَحْمِلُهُ) أي: نسأل منه أن يحملنا يعني أرادوا ما يركبون عليه من الإبل ويحملون عليها.

(فَقَالَ: «وَاللَّهِ لَا أَحْمِلُكُمْ، وَمَا عِنْدِي مَا أَحْمِلُكُمْ»، وَآتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ) على البناء للمفعول.

(بِنَهْبِ إِبِلٍ) النهب الغنيمة، (فَسَأَلَ عَنَّا فَقَالَ: «أَيْنَ النَّفَرُ الْأَشْعَرِيُّونَ؟»)، فَأَمَرَ لَنَا بِخُمْسِ ذُوْدٍ بفتح الذال المعجمة وسكون الواو وآخره دال مهملة هو في الإبل ما بين الثلاث إلى العشر.

(غُرِّ الذُّرَى) الغر بضم الغين المعجمة وتشديد الراء جمع الأغر وهو الأبيض والذرى بضم الذال المعجمة وفتح الراء مقصورًا جمع ذروة وذروة كل شيء أعلاه يريد أنها ذوو الأسنة البيض من سمنهن وكثرة شحومهن.

(فَلَمَّا انْطَلَقْنَا قُلْنَا: مَا صَنَعْنَا؟ لَا يُبَارِكُ لَنَا، فَرَجَعْنَا إِلَيْهِ، فَقُلْنَا: إِنَّا سَأَلْنَاكَ أَنْ تَحْمِلَنَا، فَحَلَفْتَ أَنْ لَا تَحْمِلَنَا، أَفَنَسِيتَ؟) الهمزة فيه للاستفهام على سبيل الاستخبار.

(قَالَ: لَسْتُ أَنَا حَمَلْتُكُمْ، وَلَكِنَّ اللَّهَ حَمَلَكُمْ) قَالَ الْخَطَابِيُّ: هذا يحتمل وجوها أن يريد به إزالة المنة عليهم عنهم وإضافة النعمة فيها إلى الله عز وجل أو

وَإِنِّي وَاللَّهِ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - لَا أَخْلِفُ عَلَى يَمِينٍ، فَأَرَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَتَيْتُ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ، وَتَحَلَّلْتُهَا»⁽¹⁾.

أنه نسي والناسي بمنزلة المضطر وفعله قد يضاف إلى الله تعالى كما في الصائم إذا أكل ناسيًا فإن الله أطعمه وسقاه أو أن الله حملكم حين ساق هذا النهب ورزق هذه الغنيمة أو أنه نوى في ضميره إلا أن يرد عليه مال في ثاني الحال فيحملهم عليه.

(وَإِنِّي وَاللَّهِ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - لَا أَخْلِفُ عَلَى يَمِينٍ، فَأَرَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَتَيْتُ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ، وَتَحَلَّلْتُهَا) من التحلل وهو التقصّي من عهدة اليمين والخروج

(1) قال ابن أبي جمرة في البيهجة: ظاهر الحديث يدل على جواز التحلل من اليمين المنعقدة. والكلام عليه من وجوه:

الوجه الأول: قوله: «أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ في نفر من الأشعرين» يرد عليه سؤالان: الأول: أن يقال لهم قال أتيت ولم يقل أتينا وهم كانوا جماعة فعدل عن اللفظ الحقيقي إلى غيره مع الاحتياج إلى الزيادة في اللفظ لأنه لو قال أتينا لم يحتج إلى ذكر النفر فلما قال أتيت احتج أن يبين مع من أتى وهذا يتنافى لغتهم وفصاحتهم لما فيه من الاختصار والإبلاغ. الثاني: أن يقال لم يُسَمَّ النفر من أي قبيلة كانوا.

والجواب عن الأول من وجهين: الأول: أن أبا موسى رضي الله عنه هو سيد الأشعرين ورئيسهم وهو صاحب رأيهم ومدير أمرهم لأن قبائل العرب كانوا لا يفعلون شيئاً حتى يسألوا فيه سيد قبيلتهم فهو يخبر أنه كان السبب في مجيء الأشعرين إلى النبي ﷺ وبرأيه ومشورته أتوا فإن قال قائل لو كان كذلك لقال أتيت رسول الله ﷺ بنفر من الأشعرين قيل له إنما عدل عن تلك الصيغة لما نطق به تواضعاً منه لإخوانه الأشعرين لأنه لو قال ذلك لكان في اللفظ ما يدل على جبرهم في المجيء فلما ترك ذلك وأتى بفي زال ذلك وبقي هو مع إخوانه في اللفظ كأنه واحد منهم. الثاني: من الجواب يحتمل أن يكون خص ذكر نفسه دون غيره تبركاً منه باسم النبي ﷺ حتى يكون اسمه يلي الاسم المبارك ومثل هذا كان الصحابة رضي الله عنهم يفعلون كثيراً تبركاً منه بالاسم المرفع.

والجواب عن السؤال الثاني: أنه إنما ذكر الأشعرين وعيّنهم لأن جمعا إذا أتى النبي ﷺ في هذا القدر ويراجعهم ويرجعون إليه بهذا القدر من المحاولة التي ذكرت في الحديث فلا يكون في الوقت إلا مشهوراً فكان ذكر القبيلة وتعيينها قرينة لقوة التصديق وهذا كان دأب الصحابة رضي الله عنهم مثل عثمان رضي الله عنه حين أخبر عن حديث الوضوء وقال فيه لولا آية في كتاب الله ما حدثتكموه فأشار إلى القرينة الدالة على التصديق مع أنه واحد ممن يؤخذ عنه الدين لقوله عليه السلام: «عليكم بستي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي» ثم يرد سؤال أيضاً على قوله نستحمله وهو أن يقال لم قال نستحمله ولم يذكر فيما أرادوا الحملان منه؟

من حرمتها إلى ما يحل له منها وهو إما بالاستثناء مع الاعتقاد وإما بالكفارة.

والجواب عنه: إنما سكت عن ذلك للعلم به للقرائن التي قارنته في الحديث يعلم بها أنه أراد الاستحمال في الجهاد فحذف ذكر الجهاد إبلاغاً في الاختصار وهو من الفصحح في الكلام.

الوجه الثاني: من البحث المتقدم قوله عليه السلام: «وَاللَّهُ لَا أَحْمَلُكُمْ وَمَا عِنْدِي مَا أَحْمَلُكُمْ عَلَيْهِ» ظاهر اللفظ يدل على جواز اليمين أن لا يفعل الإنسان فعلاً من أفعال البر إذا لم يقدر عليه لأن حمل هؤلاء إلى الجهاد من أفعال البر فحلف عليه السلام أن لا يحملهم لكونه لم يقدر على ذلك وقد بين عليه السلام العلة بقوله: «وما عندي ما أحملكم عليه» وهذا معارض لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [البقرة: 224] والجمع بين الآية والحديث أن اليمين هنا ليس المراد منه ظاهر لفظه لما قارنه من القرائن التي دلت على بطلانه وذلك ما علم من حال النبي ﷺ أنه كان في أفعال البر يبذل المجهود فكيف يقع منه يمين على هذه القرية العظمى أن لا يفعلها ذلك محال في حقه عليه السلام وإنما حلف عليه السلام لهم ليقطع مادة التشويش عنهم لتعلق خاطرهم في الرجاء لعله يعطيهم فيما بعد فكان يمينه عليه السلام رفعاً لهذا التشويش وراحة لنفوسهم عند قطع الإياس وكل ما كان سبباً لرفع تشويش فهو مستحب فإن قال قائل فما فائدة قوله عليه السلام: «لا أحملكم وما عندي ما أحملكم عليه» وأحدهما يغني عن الآخر قيل له النبي ﷺ كان إذا جاء أحد يطلب منه إن كان عنده شيء أعطاه وإن لم يكن عنده شيء تكلم لأصحابه إن كان فيهم من يقدر له بشيء يعطيه فأتى عليه السلام بتلك اللفظتين ليقطع عنهم مادة التشويش مرة واحدة حتى لا يبقى لهم تعلق خاطر بإعطائه ولا بكلامه لمن يعطيهم فقوله وما عندي ما أحملكم عليه إشارة لهم بأنه ليس عنده ما يحملهم عليه وقوله لا أحملكم إشارة بأن لا يتسبب لهم في ذلك لكن يرد على هذا (سؤال) وهو أن يقال قطع عليه السلام العادة التي كان يفعل لهؤلاء الأشعرين دون غيرهم وهو كونه إذا لم يكن عنده شيء نظر في أصحابه وتكلم لهم.

والجواب: عنه أنه قد يكون النبي ﷺ علم أن أصحابه ليس عندهم في الوقت شيء إلا قدر ما يقوم بحركتهم ولا يفضل لهم على ذلك فضل حتى يعطوه غيرهم وهم كانوا خارجين إلى الجهاد فيحتاجون إلى القوة والشدة فإن شاركهم غيرهم فيما عندهم قد يضعفون على القتال بسبب ذلك سيما الصحابة رضي الله عنهم الذي كان قوتهم التمرة والتمرتين فإذا شاركهم غيرهم في هذا النوع اليسير معلوم أنهم لا يطيقون القتال لأن البشر لا بد له من شيء ما يسد به رمقه وقد روي عن بعضهم أنه كان قوتهم في غزوة من الغزوات ثمرة تمر ففوق التمرة فجاء أحدهم يأخذ تمرته فقليل له قد أخذتها فغشي عليه فلم يبق حتى أعطيها وأكلها فقام فإذا كانوا على هذا الحال فالزائد عليهم ضرر بهم لا مصلحة في خروجه معهم فترك عليه السلام الطلب لأصحابه لأجل هذا المعنى والله أعلم.

الوجه الثالث: من البحث المتقدم قوله عليه السلام: «وَأَتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَنَهَبَ إِبِلَ فَسَأَلَ عَنْهَا النَّهَبَ هُوَ مَا يُؤْخَذُ مِنْ أَمْوَالِ الْمُشْرِكِينَ وَهِيَ الْغَنِيمَةُ الَّتِي يُضْرَبُ عَلَيْهَا بِالْخَيْلِ وَالرَّجُلِ فَتُؤْخَذُ أَمْوَالُهُمْ وَتَنْهَبُ مِنْ أَيْدِيهِمْ وَسْؤَالُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الْفَرَسِ الْأَشْعَرِيِّ حِينَ أَتَاهُ النَّهَبُ =

وفي هذا الحديث دلالة على أن من حلف على فعل شيء أو تركه وكان

دليل واضح على أنه ما أراد بيمينه إلا الوجه الذي ذكرناه وهو رفع التشويش عنهم.
 الوجه الرابع: قوله: «فأمر لنا بخمس ذودٍ غرّ الذرى» الذود عند العرب هو الجمل الواحد فهو أخبر أنه عليه السلام أعطاهم خمسة أبعة وغر الذرى صفة للجمال وهو بياض يكون في أعلى أسنمتها وإنما أتى بصفتهم لأنها قرينة تذهب التهمة في النسيان والغلط لأن من يذكر هذا القدر من الجزئيات فقد انتفت عنه التهمة في القضية بكل ممكن.

الوجه الخامس: قوله: «فلما انطلقنا قلنا ما صنعنا» فيه دليل على أن المرء إذا حصل له مراده يسر بذلك في وقته حتى قد ينسى ما كان قبله من شدة فرحه به لأن مراد هؤلاء الأشعرين كان أن لو وجدوا إعانة للجهاد في سبيل الله وبين يدي رسوله ﷺ فلما ظفروا بذلك اشغلهم الفرح الذي دخل عليهم بالطاعة التي قالوها عن ذكر يمين النبي ﷺ فلما أن سكن ذلك عنهم قليلاً ورجعوا إلى أنفسهم فحينئذ ألهموا لذلك فرجعوا إذ ذاك وهذا أمر قل أن يثبت عنده إلا القليل النادر ولا يحصل الثبوت هناك إلا لمن داوم على محاسبة نفسه في كل أنفاسه واستغرق في المراقبة حتى يذهل عن لذة الطاعة ولذيد النعم مع أن من وجد هذه اللذة بالطاعة حتى يذهل في الحين عن أموره لما توالى عليه من محبتها فهو مقام سنّي لكن ما أشرنا إليه أرفع وأعلا.

الوجه السادس: قولهم: «لا يبارك لنا» هذه البركة التي خافوا من زوالها احتملت وجهين:
 الأول: أن يكونوا أرادوا بزوالها أنهم لا يبلغون بها ما أملوا.

الثاني: أن يكونوا أرادوا لا يبارك لهم في أثمان تلك الجمال ولا في رقابها لكونهم لم يأخذوها على الوجه المرضي لأنه تعين عليهم فيه النصح للنبي ﷺ لقوله عليه السلام: «النصيحة لله ولرسوله» وهم كانوا عالمين بيمين النبي ﷺ فتعين عليهم نصحه فخافوا من زوال البركة لأجل ما تعين عليهم بسببه فلم يفعلوه لأن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يتقون أشياء حلالاً محضاً مخافة وقوعهم في الحرام كما قال بعضهم: كنا ندع سبعين باباً من الحلال مخافة أن نقع في الحرام: لأن الحرام ترتفع منه البركة ظاهراً وباطناً أما الباطن فإنه يحدث الظلمة في القلب والقساوة وأما الظاهر فإنه يحدث الكسل عن العبادة والامتهان بحققها مع أن البركة تذهب منه محسوسة لأنه إذا كان الشيء حراماً ما يقوم باثنين يستعمله رجل واحد ولا يكفيه لزوال البركة منه وذهابها وكذلك أيضاً في الضد وهو الحلال لا بد من ظهور البركة فيه محسوسة ومعنوية وبالمحسوسة يستدل على المعنوية في كل الطرفين في الحلال والحرام فإذا بورك في طعام وقام باثنين منه ما يقوم بالواحد علم أن البركة المعنوية حاصلة فيه بالضمن ولهذا المعنى لما أن وجد أبو بكر رضي الله عنه في الصحفة التي قدمها إلى الأضياف فأكلوا منها وهي باقية على حالها لم تنقص ثم أكل هو وأهل بيته وهي على حالها لم تنقص أثر بها النبي ﷺ يعلمه بتلك البركة المعنوية فيها بما شهد له ظاهرها فاستدل بالحسي على المعنوي ولأجل هذا المعنى كان طعام أهل الخير والصالح أبداً فيه من البركة ما ليس في غيره لأجل أنهم يبحثون على الحلال أكثر من غيرهم فكانت البركة لديهم ظاهرة وباطنة فاستعانوا بذلك على العبادة والاستمرار عليها وتورت باطنهم وقل تسبهم في أسباب =

الحنث خيراً من التمادي على اليمين استحباب له الحنث ويلزمه الكفارة وهذا

الدنيا للبركة الحسية والمعنوية الموجودة في طعامهم.

الوجه السابع: من البحث المتقدم قوله: «فرجعنا إليه فقلنا إنا سألناك فحللت أن لا تحملنا أنفسيت» وفيه دليل على أن الشيء إذا كان فيه محتملات وأحدها أبراً للذمة فالسنة فيه أن يؤخذ بما هو أبراً للذمة لأن عطية النبي ﷺ إليهم الإبل يحتمل وجهين: أحدهما: أن يكون أعطاهم ذلك مع علمه باليمين.

والثاني: أن يكون أعطاهم ناسياً فإن كان الأول فليس عليهم فيه شيء لأنه عليه السلام هو المشرع وما يفعل إلا ما هو الأمر الذي يتدين به لأن منه يؤخذ الدين وتتلقى الأحكام وإن كان الثاني فليس عليه أيضاً فيه شيء لقوله عليه السلام: «رفع عن أمتي الخطأ والنسيان» لكن يتعين عليهم في ذلك النصح لأنهم سمعوه حين حلف وهم الآن ذاكرون لذلك قادرون على زواله إن كان نسياناً فخافوا من أحد المحتملات فأخذوا بالأبرأ للذمة حتى أزالوا ما كان هناك من الشبه وعلموا وجه الصواب في المسألة والشبهة هناك ما أشرنا إليها وهي تركهم النصيحة لرسول الله ﷺ.

الوجه الثامن: قوله عليه السلام: «لست أنا حملتكم ولكن الله حملكم» فيه دليل على أن المرء ينظر في عمله الصالح ينظر الحقيقة والتوحيد فكل ما يصدر منه من أنواع الخير يرى أن الله تعالى هو الفاعل لذلك حقيقة ومَنْ عليه وتفضل بأن أظهر ذلك وأجراه على لسانه أو يده لأن النبي ﷺ لما أن أجرى الله تعالى هذا الخير على يديه وهو حمل الأشعرين إلى الغزو تبرأ من فعله ذلك ونسب حملهم إلى الله تعالى لا لنفسه المكرومة وتدبيره وكذلك أيضاً يجب أن ينظر بالعكس عند ترك الأعمال أو وقوع المخالفة وكل ما فيه نقص ينسب كل هذا وما أشبهه إلى النفس وينظر إذ ذاك من طريق التكليف والأمر لأن النبي ﷺ لما أن امتنع من حمل الأشعرين نسب الامتناع لنفسه المكرومة فقال: «والله لا أحملكم» ولم يقل لهم الله منعكم من الحمل لأنه ليس أعطاني ما أحملكم عليه وهذا من التأدب مع الربوبية والتعمق في ميدان الحقيقة والتوحيد مع النظر بالحكمة والتكليف فيمن كانت قاعدته هذه فهو السعيد لأن وجود هذه الخصلة علم على التوفيق يدل على ذلك قصة آدم عليه السلام لما أن يسر للسعادة نظر إلى هذه القاعدة فسلك هذا المنهاج فنسب الخطيئة التي وقعت منه لنفسه فقال: «رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَنَا تَقَفْرٌ لَنَا وَنَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ» [الأعراف: 23] فتأب الله عليه وجعله من أصفائه ومن كانت قاعدته عكس ما قررناه أو كان نظره في كل أمره بنظر التوحيد فذلك علم على شقائه وخسرانه لأن وجود هذه الخصلة تدل على ذلك يشهد لذلك قصة إبليس اللعين لما أن يسر للبعد والشقاء والطرد والخذلان حين امتنع من السجود لم يعترف بعد ذلك على نفسه بالخطأ وإنما نظر إلى الحقيقة فقال: «لو شاء الله أن أسجد لسجدت» فكان ذلك سبباً إلى خذلانه.

الوجه التاسع: قوله عليه السلام: «وإني والله إن شاء الله لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيراً منها إلا أتيت الذي هو خير وتحللتها» فيه دليل على التحلل من اليمين وقد تقدم وقد اختلف الفقهاء هل الكفارة تكون قبل الحنث عند العزم عليه أو لا يكون إلا بعد وقوعه على قولين =

متفق عليه.

وسبب الخلاف هذا الحديث وما جاء في رواية أخرى أنه عليه السلام قال: «ثم تحللت من يميني» فأما فيما نحن بسبيله بالواو وهي ليست تعطى الترتيب وأتى في الحديث الآخر بـ «ثم» تفيد أن الحنث وقع قبل لأنها للمهلة والتراخي واستثناؤه عليه السلام هنا هو من باب التأدب مع الربوبية لأن اليمين بغير استثناء قطع على القدر ألا ينفذ ولهذا المعنى قال مالك رحمه الله لمن أخبره أنه وقف على عرفة وتاب وحلف أنه لا يقع في مخالفة أبداً فقال له: بئس ما صنعت ما وقعت فيه أشد مما تبت منه لأنك آليت على الله أن لا ينفذ قضاءه وقدره: فكان استثناء النبي ﷺ لأجل هذا المعنى ولأجل النظر إلى ما أشرنا إليه ذهب ابن عباس رضي الله عنهما إلى أن الاستثناء يجوز ولو بعد سنين فالاستثناء له سائغ لأنه نظر أن اليمين بغير استثناء قطع على القدرة وذلك قلة أدب واحترام بجانب الربوبية وإن كانت الأيمان قد أبيحت لنا في شريعتنا لأن ذلك من باب المن والتوسعة وقد كان عيسى عليه السلام يقول لبني إسرائيل «وأنا وصيتكم أن لا تحلفوا بالله صادقين ولا كاذبين» فجعل ابن عباس رضي الله عنهما الاستثناء في هذا اليمين فإذا وقع كالتوبة من الذنب والتوبة مرغّب فيها إلى وقت التعزير فإذا كان استثناء المرء لأجل هذا المعنى وهو الرجوع عن ما وقع منه من سوء الأدب فاستثناؤه سائغ وهو يخرج عن ما عقد من اليمين وإنما ذهب رضي الله عنه إلى هذا الأجل إنه كان في خير القرون فقل أن تقع اليمين من أحدهم وإن وقعت فيكون رجوعهم للاستثناء لأجل هذا المعنى لا لشهوات أنفسهم فلما استقرأ من أحوال أهل زمانه وما هم عليه كانت فتياه بهذا ولأجل عدم هذا أنكر قوله من أتى بعده من الفقهاء ولم يعلموا له وجهاً في الغالب لأن الناس قد تغيروا عما كانوا عليه فمن العلماء من فهم معناه ومنهم من لم يفهمه ومن فهمه لم يقدر أن يبدي ذلك لأهل زمانه لأن الغالب عليهم بفضل شهواتهم وتقديهمها فقد يدعون أنهم أرادوا الوجه الذي ذكرناه وهم لم يريدوا إلا شهوات أنفسهم واتباع أهوائهم فكان ترك ذكر بيان مذهبه ساداً للذريعة ولأجل هذا يقال لا بد في كل زمان من عالم يبين الدين بحسب ما يحتاج إليه في الوقت يؤيد هذا قوله عليه السلام: «كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي جاء بعده نبي وأنه لا نبي بعدي وإن علماء أمتي كأنياء بني إسرائيل» ثم اختلف الفقهاء اختلافاً كثيراً متى ينفع الاستثناء كل منهم ذهب إلى ما انضح له عليه الدليل ولكل واحد منهم نظر صحيح ولولا التطويل لأوضحنا تصحيح مذاهبهم وبيناهم فإن قال قائل لو كان الوجه في الاستثناء ما ذكرتم لم يصدر اليمين من النبي ﷺ بغير استثناء لأنه قد حلف ألا يحملهم ولم يستثن قيل له قد بينا الوجه الذي لأجله حلف هناك فلو استثنى إذاك لزال المقصود مما أريدت اليمين إليه وبقيت النفوس متشوقة متطلعة فإن قال قائل لم قال عليه السلام ذلك عن نفسه المكرومة ولم يقل من حلف على يمين فيرى خيراً منها يأتي الذي هو خير ويكفر عن يمينه قيل له إنه لو عد ذلك عن ذكر نفسه المكرومة إلى ذكر غيره لكان في المسألة توقف من باب الورع لأنه قد يؤخذ ذلك منه على باب الرخص والتوسعة ويرى أن الأولى البقاء على اليمين من غير إيقاع الحنث فلما أن أخبر بذلك عن نفسه المكرومة إلى ذكر غيره لكان في المسألة توقف من باب الورع لأنه قد يؤخذ ذلك منه على باب الرخص والتوسعة ويرى أن =

3134 - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ، أَخْبَرَنَا مَالِكٌ، عَنْ نَافِعٍ،

وأجمعوا على أنه لا يجب عليه الكفارة قبل الحنث وعلى أنه يجوز تأخيرها عن الحنث وعلى أنه لا يجوز تقديمها قبل اليمين.

واختلفوا في جوازها بعد اليمين وقبل الحنث، فجوزها مالك والأوزاعي والثوري والشافعي، واستثنى الشافعي التكفير بالصوم فقال: لا يجوز قبل الحنث وأما التكفير بالمال فيجوز.

وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ وَأَصْحَابُهُ وَأَشْهَبُ الْمَالِكِيِّ: لا يجوز تقديم الكفارة على الحنث بكل حال وفيه أنه لا بأس بدخول الرجل على الرجل في حال أكله لكن إنما يحسن ذلك إذا كان بينهما صداقة مؤكدة وفيه استدناء صاحب الطعام للدخل عليه في حال أكله ودعوته للطعام وهو مشروع متأكد سواء كان الطعام قليلاً أو كثيراً وطعام الواحد يكفي الاثنين وطعام الاثنين يكفي الأربعة وطعام الأربعة يكفي الثمانية واجتماع الجماعة على الطعام مقتض لحصول البركة فيه وفيه جواز أكل الدجاج وهو مجمع عليه وإنما الخلاف في الجلالة منه هل يكره أكلها أو يحرم وروى ابن عدي في الكامل من حديث نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان إذا أراد أن يأكل دجاجة أمر بها فربطت أياماً ثم يأكلها بعد ذلك.

ومطابقة الحديث للترجمة من حيث إنهم سألوه فلم يجد ما يحملهم عليه ثم حضر شيء من الغنائم فحملهم منها وهو محمول على أنه حملهم على ما يختص بالخمس وإذا كان له التصرف بالتنجيز من غير تعليق فكذا له التصرف بتنجز ما علق، وقد أخرجه البخاري في التوحيد وفي النذور والذبائح وكفارات الأيمان والمغازي وأخرجه مسلم في الأيمان والنذور والتزمذي في الأطعمة وفي السمائل والنسائي في الصيد والنذور.

(حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ) التنيسي قَالَ: (أَخْبَرَنَا مَالِكٌ) الإمام، (عَنْ نَافِعٍ

الأولى البقاء على اليمين من غير إيقاع الحنث فلما أن أخبر بذلك عن نفسه المكفرة علم أن الأولى ما فعل عليه السلام يبين هذا ويوضحه قصة أم سلمة حين قالت للنبي ﷺ: إنهم لم يعصوك وإنما اتبعوك وقد أوردناه في حديث الإفك وبيننا هذا المعنى والله المستعان.

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَ سَرِيَّةً فِيهَا عَبْدُ اللَّهِ قَبْلَ نَجْدٍ، فَعَنِمُوا إِبِلًا كَثِيرًا، فَكَانَتْ سِهَامُهُمْ اثْنِي عَشَرَ بَعِيرًا، أَوْ أَحَدَ عَشَرَ بَعِيرًا وَنُقُلُوا بَعِيرًا بَعِيرًا».

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَ سَرِيَّةً) وهي طائفة من الجيش أقصاها أربعمئة تبعث إلى العدو.

(فِيهَا عَبْدُ اللَّهِ) وهو عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وصرح بذلك مسلم في روايته فإنه أَخْرَجَهُ فِي الْمَغَازِي عَنْ يَحْيَى بْنِ يَحْيَى قَالَ قَرَأْتُ عَلَى مَالِكٍ عَنْ نَافِعٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ سَرِيَّةً وَأَنَا فِيهِمُ الْحَدِيثُ.

(قَبْلَ نَجْدٍ) بكسر القاف وفتح الموحدة أي: ناحية نجد وجهتها والنجد بفتح النون وسكون الجيم اسم خاص لما دون الحجاز مما يلي العراق وروي أن هذه السرية كانوا عشرة فغنموا مائة وخمسين بعيرا فأخذ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ منها ثلاثين، وأخذوا عشرين ومائة وأخذ كل واحد منها اثني عشر بعيرا ونقل بعيرا.

(فَعَنِمُوا إِبِلًا كَثِيرًا) وفي رواية لمسلم فأصبنا إِبِلًا وَغَنَمًا، (فَكَانَتْ سِهَامُهُمْ) أي: أنصبأوهم (اثْنِي عَشَرَ بَعِيرًا) والمراد أنه بلغ نصيب كل واحد منهم هذا القدر وتوهم بعضهم أن ذلك جميع الأنصباء، قَالَ النَّوَوِيُّ وهو غلط.

(أَوْ أَحَدَ عَشَرَ بَعِيرًا وَنُقُلُوا) على صيغة المجهول من التنفيل (بَعِيرًا بَعِيرًا) هكذا رواه مالك بالشك والاختصار وإبهام الذي نفلهم وقد وقع بيان ذلك في رواية ابن إسحاق عن نافع عند أبي داود ولفظه فخرجت فيها فأصبنا نعما كثيرا وأعطانا أميرنا بعيرا بعيرا لكل إنسان ثم قدمنا على النَّبِيِّ ﷺ فقسم بيننا غنيمتنا فأصاب كل رجل منا اثني عشر بعيرا بعد الخمس وَأَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ أَيضًا مِنْ طَرِيقِ شُعَيْبِ بْنِ أَبِي حَمْزَةَ عَنْ نَافِعٍ وَلفظه بعثنا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي جَيْشٍ قَبْلَ نَجْدٍ وَابْعَثَ سَرِيَّةً مِنَ الْجَيْشِ وَكَانَ سَهْمًا الْجَيْشِ اثْنِي عَشَرَ بَعِيرًا وَثَلَاثَةَ عَشَرَ بَعِيرًا وَنَفَلَ أَهْلَ السَّرِيَّةِ بَعِيرًا بَعِيرًا فَكَانَتْ سَهْمَانَهُمْ ثَلَاثَةَ عَشَرَ بَعِيرًا ثَلَاثَةَ عَشَرَ بَعِيرًا وَأَخْرَجَهُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ وَقَالَ فِي رَوَايَةٍ إِنَّ ذَلِكَ الْجَيْشَ كَانَ أَرْبَعَةَ آلَافٍ وَفِي رَوَايَةٍ وَنَفَلُوا بَعِيرًا بَعِيرًا فَلَمْ يَغْيِرْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

وَقَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ: اتَّفَقَ جَمَاعَةٌ رَوَاهُ الْمَوْطَأُ عَلَى رَوَايَةٍ بِالشَّكِّ إِلَّا الْوَلِيدُ

ابن مسلم فإنه رواه عن شعيب ومالك جميعًا فلم يشك وكأنه حمل رواية مالك على رواية شعيب وكذا أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ عن القعنبي عن مالك والليث بغير شك .
وَقَالَ ابن عبد البر وَقَالَ سَائِرُ أَصْحَابِ نَافِعٍ : اثْنِي عَشَرَ بَعِيرًا مِنْ غَيْرِ شَكٍّ لَمْ يَقَعْ الشَّكُّ فِيهِ إِلَّا مِنْ مَالِكٍ ثُمَّ النُّفْلُ زِيَادَةٌ فِي الْقِسْمِ يُزَادُهَا الْغَازِي عَلَى نَصِيبِهِ فِي الْغَنِيمَةِ وَمِنْهُ نَفْلُ الصَّلَاةِ وَهُوَ مَا عَدَا الْفَرَضَ .

واختلف الرواة في القسم والتنفيل كانا جميعًا من أمير ذلك الجيش أو من النَّبِيِّ ﷺ أو أحدهما من أحدهما فرواية ابن إسحاق صريحة : أن التنفيل كان من الأمير والقسم من النَّبِيِّ ﷺ .

وظاهر رواية الليث عن نافع عند مسلم : أن ذلك صدر من أمير الجيش وأن النَّبِيَّ ﷺ كان مقررًا لذلك ومجيزًا له لأنه قَالَ فِيهِ وَلَمْ يَغْيِرْهُ النَّبِيُّ ﷺ .
وفي رواية عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو عَنْهُ أَيُّضًا : وَنَقَلْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعِيرًا بَعِيرًا وَهَذَا يُمْكِنُ أَنْ يَحْمَلَ عَلَى التَّقْرِيرِ فَتَجْتَمِعُ الرَّوَايَتَانِ قَالَ النَّوَوِيُّ : مَعْنَاهُ أَنَّ أَمِيرَ السَّرِيَةِ نَفَلَهُمْ فَأَجَازَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَجَازَتْ نَسَبَتُهُ لِكُلِّ مِنْهُمَا .

واحتج بهذا الحديث سعيد بن المسيب والحسن البصري والأوزاعي وأحمد وإسحاق في جواز التنفيل بعد سهامهم قالوا هذا ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يُخْبِرُ أَنَّهُمْ قَدْ نَفَلُوا بَعْدَ سَهَامِهِمْ فَلَمْ يَنْكُرْ ذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ .

وفي الحديث : أَنَّ الْجَيْشَ إِذَا انْفَرَدَ مِنْهُمْ قِطْعَةٌ فَغَنِمُوا شَيْئًا كَانَتْ الْغَنِيمَةُ لِلْجَمِيعِ قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ لَا يَخْتَلِفُ الْفُقَهَاءُ فِي ذَلِكَ أَيُّ : إِذَا خَرَجَ الْجَيْشُ جَمِيعَهُ ثُمَّ انْفَرَدَتْ مِنْهُ قِطْعَةٌ انْتَهَى .

وليس المراد الجيش القاعد في بلاد الإسلام فإنه لا يشارك الجيش الخارج إلى بلاد العدو بل قَالَ ابْنُ دَقِيقِ الْعِيدِ : إِنْ الْحَدِيثُ يَسْتَدِلُّ بِهِ عَلَى أَنَّ الْمَنْقَطَعَ مِنَ الْجَيْشِ عَنِ الْجَيْشِ الَّذِي فِيهِ الْإِمَامُ يَنْفَرُ بِمَا يَغْنَمُهُ قَالَ : وَإِنَّمَا قَالُوا بِمُشَارَكَةِ الْجَيْشِ لَهُمْ إِذَا كَانُوا قَرِيبًا مِنْهُمْ يَلْحَقُهُمْ عَوْنُهُ وَغَوْتُهُ لَوْ احْتِاجُوا انْتَهَى .

وهذا القيد في مذهب مالك وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ : لَهُ أَنْ يَنْقَلَ السَّرِيَةُ جَمِيعًا مَا غَنِمَتْ دُونَ بَقِيَةِ الْجَيْشِ مُطْلَقًا .

وقيل : إنه انفرد بذلك وفيه مشروعية التنفيل ومعناه تخصيص من له أثر في الحرب بشيء من المال لكنه خصه عمرو بن شعيب بالنبي ﷺ دون من بعده نعم ذكره مالك أن يكون بشرط من أمير الجيش كأن يحرض على القتال ويعد بأن ينقل الربع إلى الثلث قبل القسم واعتل بأن القتال حينئذ يكون للدنيا قال فلا يجوز مثل هذا انتهى.

وفي هذا رد على من حكى الإجماع على مشروعيته وقد اختلف العلماء هل هو من أصل الغنيمة أو من الخمس أو من خمس الخمس أو مما عدا الخمس على أقوال ثلاثة :

الأول : مذهب الشافعي والأصح عندهم أنها من خمس الخمس ونقله منذر ابن سعيد عن مالك وهو شاذ عندهم .

قال ابن بطال : وحديث الباب يرد على هذا القول لأنهم نقلوا نصف السدس وهو أكثر من خمس الخمس وهذا واضح وقد زاده ابن المنير أيضاً فقال لو فرضنا أنهم كانوا مائة لكان قد حصل لهم ألف ومائتا بعير ويكون الخمس من الأصل ثلاثمائة بعير وخمسها ستون وقد نطق الحديث بأنهم نقلوا بعيراً بعيراً فيكون جملة ما نقلوا مائة بعير وإذا كان خمس الخمس ستين لم يف كله ببعير بعير لكل من المائة وهكذا كيفما فرضت العدد قال وقد ألجأ هذا الإلزام بعضهم فادعى أن جميع ما حصل للغانمين كان اثني عشر بعيراً ف قيل له : فيكون خمسها ثلاثة أبعة فيلزم أن تكون السرية كلها ثلاثة رجال كذا قال ابن المنير وهو سهو على التفريع المذكور بل يلزم أن يكون أقل من رجل بناء على أن النفل من خمس الخمس .

وقال ابن التين : قد انفصل من قال من الشافعية بأن النفل من خمس الخمس بأوجه ، منها أن الغنيمة لم تكن كلها أبعة بل كان فيها أصناف أخرى فيكون التنفيل وقع من بعض الأصناف دون بعض .

ثانيها : أن يكون نفلهم من سهمه من هذه الغزاة وغيرها فضم هذا إلى هذا فلذلك زادت العدة .

ثالثها : أن يكون نفل بعض الجيش دون بعض قَالَ : وظاهر السياق يرد هذه الاحتمالات قَالَ وقد جاء أنهم كانوا عشرة وأنهم غنموا مائة وخمسين بغيراً فخرج منها الخمس وهو ثلاثون وقسم عليهم البقية فحصل لكل واحد اثنا عشر بغيراً ثم نفلوا بغيراً بغيراً فعلى هذا فقد نفلوا ثلث الخمس.

قَالَ الْحَافِظُ الْعَسْقَلَانِيُّ : إن ثبت هذا لم يكن فيه ردٌ للاحتمال الأخير لأنه يحتمل أن يكون الذين نفلوا ستة من العشرة والله أعلم.

قال الأَوْزَاعِيُّ وأبو ثور وغيرهم : النفل من أصل الغنيمة .
وَقَالَ مَالِكٌ وَطَائِفَةٌ : لا نفل إلا من الخمس .

وَقَالَ الْخَطَّابِيُّ : أكثر ما روي من الأخبار يدل على أن النفل من أصل الغنيمة والذي يقرب من حديث الباب أنه كان من الخمس لأنه أضاف الاثني عشر إلى سهامهم فكأنه أشار إلى أن ذلك قد تقرر لهم استحقيقه من الأخماس الأربعة الموزعة عليهم فيبقى النفل من الخمس .

قَالَ الْحَافِظُ الْعَسْقَلَانِيُّ : ويؤيده ما رواه مسلمٌ في حديث الباب من طريق الزُّهْرِيِّ قَالَ : بلغني عن ابن عمر رضي الله عنهما قَالَ نفل رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سرية بعثها قبل نجد من إبل جاؤوا بها نفلاً سوى نصيبهم من المغنم لم يسق مسلمٌ لفظه وساقه الطحاوي ويؤيده أيضاً : ما رواه مالكٌ عن عبد ربه بن سعيد عن عمرو بن شعيب أن النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « ما لي مما أفاء الله عليكم إلا الخمس وهو مردودٌ عليكم » ووصله النَّسَائِيُّ من وجه آخر حسن عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وأَخْرَجَهُ أيضاً بإسناد حسن من حديث عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فإنه يدل على أن ما سوى الخمس للمقاتلة .

وروى مالكٌ أيضاً عن أبي الزناد : أنه سمع سعيد بن المسيب قَالَ كان الناس يعطون السلب من الخمس .

قَالَ الْحَافِظُ الْعَسْقَلَانِيُّ : وظاهره اتفاق الصحابة على ذلك .

وَقَالَ ابن عبد البر : إن أراد الإمام تفضيل بعض الجيش لمعنى فيه فذلك من الخمس لا من رأس الغنيمة وإن انفردت قطعة فأراد أن ينفلها مما غنمت دون

3135 - حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ، أَخْبَرَنَا اللَّيْثُ، عَنْ عُقَيْلٍ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ سَالِمٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُنْفِلُ بَعْضَ مَنْ يَبْعَثُ مِنَ السَّرَايَا لَأَنْفُسِهِمْ خَاصَّةً، سِوَى قِسْمِ عَامَّةِ الْجَيْشِ».

سائر الجيش فذلك من غير الخمس بشرط أن لا يزيد على الثلث انتهى.
وهذا الشرط قَالَ به الجمهور وَقَالَ الشَّافِعِيُّ: لا يتحدد بل هو راجع إلى ما يراه الإمام من المصلحة ويدل له قوله تعالى: ﴿قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [الأنفال: 1] ففوض إليه أمرها والله تعالى أعلم.

وقال الأَوْزَاعِيُّ: لا ينفل ذهباً ولا فضة وخالفه الجمهور وحديث الباب من رواية ابن إسحاق يدل لما قالوا واستدل به على تعيين قسمة أعيان الغنيمة لا أثمانها وفيه نظرٌ لاحتمال أن يكون وقع ذلك اتفاقاً أو بياناً للجواز وعند المالكية فيه أقوالٌ: ثالثها التخيير وفيه أن أمير الجيش إذا فعل مصلحة لم ينقضها الإمام.

ومطابقة الحديث للترجمة في قوله ونفلوا بغيراً بغيراً قَالَ الخطابي: النفل عطية يخص بها الإمام من أبلى بلاء حسناً وسعى سعياً جميلاً كالسلب إنما يعطى للقاتل لغنائه وكفايته.

(حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ) قَالَ: (أَخْبَرَنَا اللَّيْثُ) هو ابن سعد، (عَنْ عُقَيْلٍ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ سَالِمٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُنْفِلُ بَعْضَ مَنْ يَبْعَثُ مِنَ السَّرَايَا لَأَنْفُسِهِمْ خَاصَّةً، سِوَى قِسْمِ عَامَّةِ الْجَيْشِ» وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ وَزَادَ فِي آخِرِهِ وَالْخُمْسَ وَاجِبٌ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ لَ النَّفْلِ إِلَّا بَعْدَ الْخُمْسِ وَيُؤَيِّدُهُ مَا رَوَاهُ الطَّحَاوِيُّ مِنْ حَدِيثِ مَعْنِ بْنِ يَزِيدَ السَّلْمِيِّ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا نَفْلَ إِلَّا بَعْدَ الْخُمْسِ».

قَالَ الطَّحَاوِيُّ: معناه حتى يقسم الخمس فإذا قسم الخمس انفرد حق المقاتلة وهو أربعة أخماس، فكان ذلك النفل الذي ينقله الإمام من بعد أن أثر أن يفعل ذلك من الخمس لا من أربعة الأخماس التي هي للمقاتلة.

قَالَ الْحَافِظُ الْعَسْقَلَانِيُّ: وليس فيه حجة لأن النفل من الخمس لا من غيره بل هو محتملٌ لكل من الأقوال نعم فيه دليل على أنه يجوز تخصيص بعض السرية بالتفيل دون بعض.

(إِمَّا قَالَ: فِي بَضْعٍ، وَإِمَّا قَالَ: فِي ثَلَاثَةِ خَمْسِينَ، أَوْ اثْنَيْنِ وَخَمْسِينَ رَجُلًا

مِنْ قَوْمِي -، فَرَكِبْنَا سَفِينَةً، فَأَلْقَيْنَا سَفِينَتَنَا إِلَى النَّجَاشِيِّ بِالْحَبَشَةِ، وَوَافَقَنَا جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَأَصْحَابُهُ عِنْدَهُ، فَقَالَ جَعْفَرٌ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَنَا هَاهُنَا، وَأَمَرَنَا بِالْإِقَامَةِ، فَأَقِيمُوا مَعَنَا، فَأَقَمْنَا مَعَهُ حَتَّى قَدِمْنَا جَمِيعًا، فَوَافَقَنَا النَّبِيُّ ﷺ حِينَ افْتَتَحَ خَيْبَرَ، فَأَسْهَمَ لَنَا، أَوْ قَالَ: فَأَعْطَانَا مِنْهَا، وَمَا قَسَمَ لِأَحَدٍ غَابَ عَنْ فَتْحِ خَيْبَرَ مِنْهَا شَيْئًا، إِلَّا لِمَنْ شَهِدَ مَعَهُ، إِلَّا أَصْحَابَ سَفِينَتِنَا مَعَ جَعْفَرٍ وَأَصْحَابِهِ، قَسَمَ لَهُمْ مَعَهُمْ.

مِنْ قَوْمِي فَرَكِبْنَا سَفِينَةً، فَأَلْقَيْنَا سَفِينَتَنَا إِلَى النَّجَاشِيِّ بِالْحَبَشَةِ، وَوَافَقَنَا) أَي: صادفنا (جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَأَصْحَابُهُ عِنْدَهُ، فَقَالَ جَعْفَرٌ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَنَا هَاهُنَا، وَأَمَرَنَا بِالْإِقَامَةِ، فَأَقِيمُوا مَعَنَا، فَأَقَمْنَا مَعَهُ حَتَّى قَدِمْنَا جَمِيعًا، فَوَافَقَنَا النَّبِيُّ ﷺ حِينَ افْتَتَحَ خَيْبَرَ، فَأَسْهَمَ لَنَا، أَوْ قَالَ: فَأَعْطَانَا مِنْهَا، وَمَا قَسَمَ لِأَحَدٍ غَابَ عَنْ فَتْحِ خَيْبَرَ مِنْهَا شَيْئًا، إِلَّا لِمَنْ شَهِدَ مَعَهُ، إِلَّا أَصْحَابَ سَفِينَتِنَا مَعَ جَعْفَرٍ وَأَصْحَابِهِ، قَسَمَ لَهُمْ مَعَهُمْ).

ومطابقته للترجمة في قوله فأسهم لنا إلى آخره قَالَ ابن المنير أحاديث الباب مطابقة لما ترجم به إلا هذا الأخير فإن ظاهره أنه ﷺ قسم لهم من أصل الغنيمة لا من الخمس إذ لو كان من الخمس لم يكن لهم بذلك خصوصية والحديث ناطق بها قَالَ: لكن وجه المطابقة أنه إذا جاز للامام أن يجتهد وينفذ اجتهاده في الأumas الأربعة المختصة بالغانمين فيقسم منها لمن لم يشهد الواقعة فلأن ينفذ اجتهاده في الخمس الذي لا يستحقه معين وإن استحقه صنف مخصوص أولى.

وَقَالَ ابن التين: يحتمل أن يكون أعطاهم برضا بقية الجيش انتهى.

وهذا جزم به موسى بن عقبة في مغازيه ويحتمل أن يكون إنما أعطاهم من الخمس وبهذا جزم أبو عبيد في كتاب الأموال وهو الموافق لترجمة البخاري.

وقال الكيرماني: ميل البخاري إلى الأخير بدليل الترجمة وبدليل أنه لم ينقل أنه استأذن المقاتلين، وأما قول ابن المنير لو كان من الخمس لم يكن هناك تخصيص فظاهر لكن يحتمل أن يكون من الخمس وخصهم بذلك دون غيرهم ممن كان من شأنه أن يعطى من الخمس والله أعلم.

ويحتمل أن يكون أعطاهم من جميع الغنيمة لكونهم وصلوا قبل قسمة

3137 - حَدَّثَنَا عَلِيُّ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُنْكَدِرِ، سَمِعَ جَابِرًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ قَدْ جَاءَنِي مَالُ الْبَحْرَيْنِ لَقَدْ أُعْطَيْتُكَ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا»، فَلَمْ يَجِئْ حَتَّى قُبِضَ النَّبِيُّ ﷺ، فَلَمَّا جَاءَ مَالُ الْبَحْرَيْنِ، أَمَرَ أَبُو بَكْرٍ مُنَادِيًا فَنَادَى: مَنْ كَانَ لَهُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ دِينَ أَوْ عِدَّةٌ فَلْيَأْتِنَا، فَأَتَيْنَهُ فَقُلْتُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِي كَذَا وَكَذَا، فَحَثَا لِي ثَلَاثًا، - وَجَعَلَ سُفْيَانُ يَحْثُو بِكَفَّيْهِ جَمِيعًا، ثُمَّ قَالَ لَنَا: هَكَذَا قَالَ لَنَا

الغنيمة وبعد حوزها وهو أحد القولين للشافعي.

قَالَ الْحَافِظُ الْعَسْقَلَانِيُّ: وهذا الاحتمال يترجح بقوله أسهم له لأن الذي يعطى من الخمس لا يقال في حقه أسهم إلا تجوزاً ولأن سياق الكلام يقتضي الافتخار فيستدعي الاختصاص بما لم يقع لغيرهم كما تقدم، والله تعالى أعلم.

والحديث أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ مقطوعاً في الخمس وفي هجرة الحبشة وفي المغازي وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ في الفضائل.

(حَدَّثَنَا عَلِيُّ) هو ابن المديني قَالَ: (حَدَّثَنَا سُفْيَانُ) هو ابن عيينة قَالَ: (حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُنْكَدِرِ) أنه (سَمِعَ جَابِرًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ قَدْ جَاءَنِي مَالُ الْبَحْرَيْنِ لَقَدْ أُعْطَيْتُكَ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا»، فَلَمْ يَجِئْ حَتَّى قُبِضَ النَّبِيُّ ﷺ، فَلَمَّا جَاءَ مَالُ الْبَحْرَيْنِ) أرسله العلاء بن الحضرمي وسيأتي في أول باب الجزية من حديث عمرو بن عوف إنه من الجزية لكن فيه فقدم أَبُو عبيدة بمال من البحرين فيحمل على أن الذي وعد به النَّبِيُّ ﷺ جابراً كان بعد السنة التي قدم فيها أَبُو عبيدة بالمال وظهر بذلك جهة المال المذكور وأنه من الجزية فأغنى ذلك عن قول ابن بطال يحتمل أن يكون من الخمس أو من الفية.

(أَمَرَ أَبُو بَكْرٍ) رضي الله عنه (مُنَادِيًا) فنادى قَالَ الْحَافِظُ الْعَسْقَلَانِيُّ: لم أقف على اسمه ويحتمل أن يكون بلاً، (فَنَادَى) وفي رواية: ينادي (مَنْ كَانَ لَهُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ دِينَ أَوْ عِدَّةٌ) أي: وعد (فَلْيَأْتِنَا، فَأَتَيْنَهُ فَقُلْتُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِي كَذَا وَكَذَا، فَحَثَا لِي ثَلَاثًا) أي: ثلاث حثيات وحتى يحثي وحثا يحثو لغتان والحيثة بالمهملة والمثلثة ما يملأ الكف والحفنة ما يملأ الكفين وذكر أَبُو عبيد أنهما بمعنى (وَجَعَلَ سُفْيَانُ يَحْثُو بِكَفَّيْهِ جَمِيعًا، ثُمَّ قَالَ لَنَا: هَكَذَا قَالَ لَنَا

ابْنُ الْمُكَدِّرِ -، وَقَالَ مَرَّةً فَأَتَيْتُ أَبَا بَكْرٍ، فَسَأَلْتُ، فَلَمْ يُعْطِنِي، ثُمَّ أَتَيْتُهُ فَلَمْ يُعْطِنِي، ثُمَّ أَتَيْتُهُ الثَّالِثَةَ فَقُلْتُ: سَأَلْتُكَ فَلَمْ تُعْطِنِي، ثُمَّ سَأَلْتُكَ فَلَمْ تُعْطِنِي، ثُمَّ سَأَلْتُكَ فَلَمْ تُعْطِنِي، فَإِمَّا أَنْ تُعْطِنِي، وَإِمَّا أَنْ تَبْخَلَ عَنِّي قَالَ: قُلْتُ: تَبْخَلَ عَلَيَّ؟ مَا مَنَعْتُكَ مِنْ مَرَّةٍ إِلَّا وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أُعْطِيكَ، قَالَ سُفْيَانُ، وَحَدَّثَنَا عَمْرُو، عَنْ مُحَمَّدِ ابْنِ عَلِيٍّ، عَنْ جَابِرٍ، فَحَثَا لِي حَثِيَةً وَقَالَ: عُدَّهَا فَوَجَدْتُهَا خَمْسَ مِائَةٍ، قَالَ: فَحُذْ مِثْلَهَا مَرَّتَيْنِ، وَقَالَ يَعْنِي ابْنُ الْمُكَدِّرِ:

ابْنُ الْمُكَدِّرِ وَقَالَ مَرَّةً القائل هو سُفْيَانُ بهذا السند وقد تقدم الحديث في الهبة بالسند الأول بدون هذه الزيادة إلى آخرها وتقدمت الزيادة بهذا الإسناد في الكفالة والحوالة إلى قوله خذ مثلها.

(فَأَتَيْتُ أَبَا بَكْرٍ، فَسَأَلْتُهُ، فَلَمْ يُعْطِنِي، ثُمَّ أَتَيْتُهُ فَلَمْ يُعْطِنِي، ثُمَّ أَتَيْتُهُ الثَّالِثَةَ فَقُلْتُ: سَأَلْتُكَ فَلَمْ تُعْطِنِي، ثُمَّ سَأَلْتُكَ فَلَمْ تُعْطِنِي، ثُمَّ سَأَلْتُكَ فَلَمْ تُعْطِنِي، فَإِمَّا أَنْ تُعْطِنِي، وَإِمَّا أَنْ تَبْخَلَ عَنِّي) أي: من جهتي وتبخل بفتح الخاء، ويروى: تبخل بتشديد الخاء أي تنسب إلى البخل (قَالَ) أي أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (قُلْتُ: تَبْخَلَ) عَنِّي وفي نسخ: (عَلَيَّ).

(مَا مَنَعْتُكَ مِنْ مَرَّةٍ إِلَّا وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أُعْطِيكَ)⁽¹⁾ فَإِنْ قِيلَ: إِذَا كَانَ يُرِيدُ أَنْ يُعْطِيَهُ فَلَمْ يَمْنَعْهُ؟ قُلْتُ لَعَلَّهُ مَنَعَ الْإِعْطَاءَ فِي الْحَالِ لِمَانَعٍ أَوْ لِأَمْرٍ أَهَمَّ مِنْ ذَلِكَ أَوْ لِثَلَا يَحْرَصُ عَلَى الطَّلَبِ أَوْ لِثَلَا يَزِدُّهُمْ النَّاسَ عَلَيْهِ وَلَمْ يَرُدَّ بِهِ الْمَنَعَ الْكُلِّيَّ عَلَى الْإِطْلَاقِ.

(قَالَ سُفْيَانُ) هو متصل بالسند المذكور، (وَحَدَّثَنَا عَمْرُو) وهو ابن دينار، (عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ) أي: ابن الحسين بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، (عَنْ جَابِرٍ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (فَحَثَا لِي حَثِيَةً) هذا مع قوله في الرواية التي قبلها وجعل سُفْيَانُ يَحْثُو بِكَفِيهِ يَقْتَضِي أَنْ الْحَثِيَةَ مَا يُؤْخَذُ بِالْيَدَيْنِ جَمِيعًا كَمَا سَبَقَ الْإِشَارَةُ إِلَيْهِ.

(وَقَالَ: عُدَّهَا فَوَجَدْتُهَا خَمْسَ مِائَةٍ، قَالَ: فَحُذْ مِثْلَهَا مَرَّتَيْنِ، وَقَالَ يَعْنِي ابْنُ الْمُكَدِّرِ) الَّذِي قَالَ: وَقَالَ: هو سُفْيَانُ وَالَّذِي قَالَ يَعْنِي هو علي ابن المديني:

(1) أي: ما من مرة منعتك إلا وأنا أريد أن أعطيك.

وَأَيُّ ذَاٍ أَدَوُا مِنَ الْبُخْلِ.

3138 - حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ أَبِرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا قُرَّةٌ، حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ، عَنْ جَابِرِ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْسِمُ غَنِيمَةً بِالْجِعْرَانَةِ،

(وَأَيُّ ذَاٍ أَدَوُا مِنَ الْبُخْلِ) قَالَ الْقَاضِي عِيَّاضُ: رَوَاهُ الْمُحَدِّثُونَ غَيْرَ مُهِمَّوْزٍ مِنْ دَوَى الرَّجُلِ إِذَا كَانَ بِهِ مَرَضٌ فِي جَوْفِهِ وَالصَّوَابُ أَدَوُا بِالْهَمْزِ لِأَنَّهُ مِنَ الدَّاءِ فَيَحْمَلُ عَلَى أَنَّهُمْ سَهَلُوا الْهَمْزَةَ وَوَقَعَ فِي رِوَايَةِ الْحُمَيْدِيِّ فِي مَسْنَدِهِ عَنْ سُفْيَانَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ وَقَالَ ابْنُ الْمُنَكَّدِرِ فِي حَدِيثِهِ فَظَهَرَ بِذَلِكَ اتِّصَالُهُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِخِلَافِ رِوَايَةِ الْأَصْلِ فَإِنَّهَا تَشْعُرُ بِأَنَّ ذَلِكَ مِنْ كَلَامِ ابْنِ الْمُنَكَّدِرِ وَقَدْ رَوَى حَدِيثُ: «وَأَيُّ ذَاٍ أَدَوُا مِنَ الْبُخْلِ» وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي الْكِفَالَةِ تَوْجِيهِهُ وَفَاءُ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَعَدَاتِ النَّبِيِّ ﷺ وَكَذَا فِي كِتَابِ الْهَبَةِ وَأَنَّ وَعْدَهُ ﷺ لَا يَجُوزُ إِخْلَافُهُ فَتَزُلْ مَنْزِلَةُ الضَّمَانِ فِي الصَّحَةِ.

وقيل: إنما فعله أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى سَبِيلِ التَّطَوُّعِ وَلَمْ يَكُنْ يُلْزَمُهُ قَضَاءُ ذَلِكَ وَمَا تَقَدَّمَ فِي بَابٍ مِنْ أَمْرِ بِإِنْجَازِ الْوَعْدِ مِنْ كِتَابِ الشَّهَادَاتِ أَوَّلَى وَأَنَّ جَابِرًا لَمْ يَدْعُ أَنْ لَهُ دَيْنًا فِي ذِمَّةِ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمْ يَطَالِبْهُ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَيْنَهُ وَوَفَى ذَلِكَ لَهُ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ الْمَوْكُولِ الْأَمْرِ فِيهِ إِلَى اجْتِهَادِ الْإِمَامِ وَعَلَى ذَلِكَ تَرْجَمَ الْمُصَنِّفُ وَبِهِ تَرْجَمَ حَيْثُ قَالَ: وَمَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَعِدُ النَّاسَ أَنْ يُعْطِيَهُمْ مِنَ الْفِيءِ وَالْأَنْفَالِ مِنَ الْخُمْسِ، فَافْهَمُ.

(حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ أَبِرَاهِيمَ) قَالَ: (حَدَّثَنَا قُرَّةٌ) بِضَمِّ الْقَافِ وَتَشْدِيدِ الرَّاءِ هُوَ ابْنُ خَالِدٍ أَبُو مُحَمَّدٍ السَّدُوسِيُّ الْبَصْرِيُّ قَالَ: (حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ، عَنْ جَابِرِ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْسِمُ غَنِيمَةً بِالْجِعْرَانَةِ) هُوَ بِكَسْرِ الْجِيمِ وَتَخْفِيفِ الْعَيْنِ السَّاكِنَةِ وَقَدْ تَكَسَّرَ وَتَشْدِيدِ الرَّاءِ مَوْضِعَ قَرِيبٍ مِنْ مَكَّةَ مِنَ الْحُلِّ وَهِيَ مِيقَاتُ الْإِحْرَامِ.

وَكَانَتْ الْقِسْمَةُ بِالْجِعْرَانَةِ قِسْمَةً غَنَائِمٍ هَوَازِنَ.

وَكَانَتْ الْغَنِيمَةُ سِتَّةَ آلَافٍ مِنَ الذَّرَارِيِّ وَالنِّسَاءِ وَمِنَ الْإِبِلِ وَالشَّاءِ مَا لَا يَدْرِي عَدَّتُهُ وَيُقَالُ عَدَةُ الْإِبِلِ أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفَ بَعِيرٍ وَعَدَةُ الْغَنَمِ أَكْثَرُ مِنْ أَرْبَعِينَ أَلْفَ شَاةٍ وَمِنَ الْفِضَّةِ أَرْبَعَةُ آلَافٍ أَوْقِيَّةٌ.

إِذْ قَالَ لَهُ رَجُلٌ: اَعْدِلْ، فَقَالَ لَهُ: «شَقِيتُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ».

وَقَالَ الواقدي: أصاب كلَّ رجلٍ أربع من الإبل وأربعون شاة وعن سُفْيَان بن عيينة عن رافع بن خديج أن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أعطى المؤلفَةَ قلوبهم من سبي حنين مائة من الإبل فأعطى أبا سُفْيَان بن حرب مائة وصفوان بن أمية مائة وعيينة بن حصين مائة والأقرع بن حابس مائة وعلقمة بن غلاثة مائة ومالك بن عوف مائة والعباس بن مرداس دون المائة وقصتهم مشهورة.

(إِذْ قَالَ لَهُ رَجُلٌ: اَعْدِلْ) جواب بينما والرجل الذي قَالَ له: اعدل هو ذو الخويصرة التميمي كما ذكره ابن إسحاق رجل من بني تميم . وفي رواية قَالَ: هذه قسمة ما أريد بها وجه الله .

وسأتي حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مطوَّلاً بينما نحن عند رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وهو يقسم إذ أتاه ذو الخويصرة رجل من بني تميم فَقَالَ يا رَسُولَ اللَّهِ اعدل الحديث.

(فَقَالَ) ﷺ: (لَهُ): لَقَدْ «شَقِيتُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ» بضم التاء المثناة الفوقية في رواية الأكثرين ومعناه ظاهر ولا محذور فيه والشرط لا يستلزم الوقوع لأنه ليس ممن لا يعدل حتى يحصل له الشقاء بل هو عادل فلا يشقى وحكى القاضي عياض فتح التاء على الخطاب ورجحه النَّوَوِيُّ، والمعنى على هذا لقد شقيت أي: ضللت أنت أيها التابع حيث تقتدي بمن لا يعدل أو حيث تعتقد ذلك في نبيك هذا القول الذي لا يصدر عن مؤمن .

وَقَالَ الذهبي: القائل يا رَسُولَ اللَّهِ اعدل هو حرقوص بن زهير رأس الخوارج قتل في الخوارج يوم النصر.

ومطابقة الحديث للترجمة من حيث إنه لما كان التصرف في الفيء والأنفال والغنائم والأخماس للنبي ﷺ وفي الحديث ذكر قسمة الغنائم فحصلت المطابقة بينهما. ثم إنه قد خالف زيد بن الحباب مسلم بن إبراهيم فقال عن قرعة عن أبي الزبير بدل عمرو بن دينار.

أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ وسياقه أتم ورواية البُخَارِيِّ أرجح فقد وافق شيخه على ذلك عن قرعة عثمان بن عمر عن الإسماعيلي والنضر بن شميل عند أبي نعيم فاتفق

16 - بَابُ مَا مَنَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الْأَسَارَى مِنْ غَيْرِ أَنْ يُخَمَّسَ

3139 - حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

هؤلاء الحفاظ الثلاثة أرجح من انفراد زيد بن الحباب عنهم ويحتمل أن يكون الحديث عند قرة عن شيخين بدليل أن في رواية أبي الزبير زيادة على ما في رواية هؤلاء كلهم عن قرة عن عمرو، وسيأتي بقية الكلام على الحديث في استتابة المرتدين عند الكلام على حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إن شاء الله تعالى.

16 - بَابُ مَا مَنَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الْأَسَارَى مِنْ غَيْرِ أَنْ يُخَمَّسَ

(بَابُ مَا مَنَّ النَّبِيُّ ﷺ) أي: باب منه ﷺ (عَلَى الْأَسَارَى مِنْ غَيْرِ أَنْ يُخَمَّسَ) أراد بهذه الترجمة أنه كان له ﷺ أن يتصرف في الغنيمة بما يراه مصلحة فتارة ينفل من رأس الغنيمة وتارة من الخمس واستدل على الأول بأنه كان يمنّ على الأسارى من رأس الغنيمة فدل على أنه كان له أن ينفل من رأس الغنيمة وقد تقدم بيان الاختلاف في ذلك.

(حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ) صرح أصحاب الأطراف بأنه إسحاق بن منصور ابن بهرام الكوسج أبو يعقوب المروزي، وكذا ذكره في المغازي، فَقَالَ: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ وَرواه أبو نعيم عن الطبراني ثنا إسحاق بن إبراهيم نا عبد الرزاق ولما رواه في المغازي قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ مَكِي حَدَّثَنَا الْفَرَبْرِيُّ حَدَّثَنَا الْبُخَارِيُّ حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ عَنْ عَبْدِ الرَّزَّاقِ وكذا هو في بعض نسخ المغاربة أنه ابن منصور.

(أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ) قَالَ: (أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ أَبِيهِ) جبير بن مطعم (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) وجبير بضم الجيم وفتح الموحدة مصغراً ابن مطعم بلفظ اسم الفاعل من الإطعام ابن عدي بن نوفل بن عبد مناف القرشي⁽¹⁾ توطي في صفر قبل بدر بنحو سبعة أشهر وكان قد أحسن السعي في نقض الصحيفة التي كتبها قريش في أن لا يبايعوا الهاشمية والمطلبية ولا

(1) مات بالمدينة وروي له ستون حديثاً، للبخاري منها تسعة والمطعم كان معظماً في قريش ومات كافراً.

أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ فِي أُسَارَى بَدْرٍ: «لَوْ كَانَ الْمُطْعَمُ بْنُ عَدِيٍّ حَيًّا، ثُمَّ كَلَّمَنِي فِي هَؤُلَاءِ النَّتْنَى لَتَرَكْتُهُمْ لَهُ».

يناكحهم وحصروهم في الشعب ثلاث سنين فأراد النبي ﷺ أن يكافئه وقيل: لما مات أبو طالب وخديجة خرج رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إلى الطائف فلم يلق عندهم خيرًا ورجع إلى مكة في جوار المطعم.

(أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ فِي أُسَارَى بَدْرٍ: «لَوْ كَانَ الْمُطْعَمُ بْنُ عَدِيٍّ حَيًّا، ثُمَّ كَلَّمَنِي فِي هَؤُلَاءِ النَّتْنَى» قَالَ الْخَطَّابِيُّ: النَّتْنَى جَمْعُ النَّتْنِ مِثْلُ الزَّمْنَى وَالزَّمَنُ يُقَالُ أَتْنُ الشَّيْءِ فَهُوَ مَتْنٌ وَنَتْنٌ وَهُوَ بَنُونِينِ مَفْتُوحَتَيْنِ بَيْنَهُمَا مِثَالَةُ فَوْقِيَّةٍ سَاكِنَةٌ مَقْصُورٌ.

(لَتَرَكْتُهُمْ لَهُ) وفي الحديث للإمام أن يمنّ على الأسارى بغير فداء خلافاً لمن منع ذلك وفيه حجة لأبي حنيفة ومالك على أن الغنائم لا تستقر ملكاً للغانمين إلا بعد القسمة وَقَالَ الشَّافِعِيُّ: يملكون بنفس الغنيمة.

وَقَالَ الْحَافِظُ الْعَسْقَلَانِيُّ: والجواب عن حديث الباب أنه محمول على أنه كان يستطيع أنفس الغانمين وليس في الحديث ما يمنع ذلك فلا يصلح للاحتجاج به وللفرقيين احتجاجات أخرى وأجوبة تتعلق بهذه المسألة لكنها لا تؤخذ من حديث الباب لا نفيًا ولا إثباتًا، واستبعد ابن المنير الحمل المذكور فَقَالَ: إن طيب قلوب الغانمين بذلك من العقود الاختيارية فيحتمل أن لا يدعى بعضهم، فكيف بت القول بأنه يعطيه إياهم مع أن الأمر موقوف على الاختيار من يحتمل أن لا يسمح.

قَالَ الْحَافِظُ الْعَسْقَلَانِيُّ: والذي يظهر أن هذا كان باعتبار ما تقدم في أول الأمر أن الغنيمة كانت للنبي ﷺ يتصرف فيها حيث شاء وفرض الخمس إنما نزل بعد قسمة غنائم بدر كما تقرر فلا حجة إذا في هذا الحديث.

وقال ابن قصار: لو ملكوا بنفس العقد لكان من له أب أو ولد أو من يعتق عليه إذا ملكه يجب أن يعتق عليه ويحسب به من سهمه وكان بحيث لو تأخرت القسمة في العين والورق ثم قسمت يكون حول الزكاة على الغانمين من يوم غنموا وهم اتفقوا على أنه لا يعتق عليه من يلزم عتقه إلا بعد القسمة ولا يكون

17 - باب: وَمِنَ الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ الْخُمْسَ لِلْإِمَامِ
«وَأَنَّهُ يُعْطَى بَعْضَ قَرَابَتِهِ دُونَ بَعْضٍ» مَا قَسَمَ
النَّبِيُّ ﷺ لِبَنِي الْمُطَّلِبِ، وَبَنِي هَاشِمٍ مِنْ خُمْسِ خَيْبَرَ

حول الزكاة إلا من يوم حاز نصيبه بالقسمة فدل هذا كله على أنها لا تملك بنفس الغنيمة على أنه لو ملكت بنفس الغنيمة لم يجب عليه الحد إذا وطئ جارية من المغنم وقد أنكر الداوودي دخول التخميس في أسارى بدر فقال: لم يقع فيهم غير أمرين: إما المن بغير فداء، وإما الفداء بمال ومن لم يكن له مال علم أولاد الأنصار الكتابة وأطال في ذلك ولم يأت بطائل ولا يلزم وقوع شيء أو شيئين مما خير فيه منع التخيير وقد قتل النبي ﷺ منهم عقبة بن أبي معيط وادعاه أن قريشاً لا يدخلون تحت الرق يحتاج إلى دليل خاص وإلا فأصل الخلاف هل يسترى العربي أو لا ثابت مشهور والله أعلم.

ومطابقة الحديث للترجمة تؤخذ من معنى الحديث.

وَأُخْرِجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي الْمَغَازِي أَيْضًا وَأُخْرِجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي الْجِهَادِ.

17 - باب: وَمِنَ الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ الْخُمْسَ لِلْإِمَامِ
«وَأَنَّهُ يُعْطَى بَعْضَ قَرَابَتِهِ دُونَ بَعْضٍ» مَا قَسَمَ
النَّبِيُّ ﷺ لِبَنِي الْمُطَّلِبِ، وَبَنِي هَاشِمٍ مِنْ خُمْسِ خَيْبَرَ

(باب: وَمِنَ الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ الْخُمْسَ لِلْإِمَامِ) قد مر توجيه هذا عند قوله باب ومن الدليل على أن الخمس لنواب المسلمين وحاصله أنه لا تفاوت في المعنى إذ نواب رسول الله ﷺ هي نواب المسلمين ولا شك أن التصرف فيه له ﷺ ولمن يقوم مقامه.

(وَأَنَّهُ يُعْطَى) عطف على أن الخمس أي: وعلى أنه يعطى (بَعْضَ قَرَابَتِهِ دُونَ بَعْضٍ) وقوله: (مَا قَسَمَ النَّبِيُّ ﷺ) مبتدأ خبره قوله ومن الدليل مقدماً وقوله: (لِبَنِي الْمُطَّلِبِ) متعلق بقوله قسم وهذا المطلب وهو عم عبد المطلب جد رسول الله ﷺ، (وَبَنِي هَاشِمٍ مِنْ خُمْسِ خَيْبَرَ) وقد كان المطلب وهاشم ونوفل وعبد شمس كلهم أولاد عبد مناف.

قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: لَمْ يَعْمَهُمْ بِذَلِكَ، وَلَمْ يَخْصَّ قَرِيبًا دُونَ مَنْ هُوَ أَحْوَجُ إِلَيْهِ، وَإِنْ كَانَ الَّذِي أُعْطِيَ لِمَا يَشْكُو إِلَيْهِ مِنَ الْحَاجَةِ، وَلِمَا مَسَّتْهُمْ فِي جَنْبِهِ، مِنْ قَوْمِهِمْ وَحُلَفَائِهِمْ.

وقال ابن إسحاق: عبد شمس وهاشم والمطلب أخوة لأم وأمهم عاتكة بنت مرة وكان نوفل أخاهم لأبيهم فقسم رسول الله ﷺ لبني المطلب وبني هاشم وترك بني نوفل وبني عبد شمس فهذا يدل على أن الخمس له وله فيه الخيار يضعه حيث شاء.

(قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ) هو الخليفة المنعوت بالعدل والإنصاف.
(لَمْ يَعْمَهُمْ) أي: لم يعم قريبًا (بِذَلِكَ) أي: بما قسمه، (وَلَمْ يَخْصَّ قَرِيبًا دُونَ مَنْ) هُوَ (أَحْوَجُ إِلَيْهِ) أي: من هو أحوج إليه قَالَ ابن مالك فيه حذف العائد على الموصول وهو قليل ومنه قراءة يَحْيَى بن يعمر تمامًا على الذي أحسن بضم النون أي: الذي هو أحسن قَالَ وإذا طال الكلام فلا ضعف ومنه ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ﴾ [الزخرف: 48] أي: وفي الأرض هو إله وفي بعض النسخ: دون من هو أحوج إليه فعلى هذا لا يحتاج إلى التكلف المذكور ثم قوله: (أحوج من) أحوجه (إليه) غيره وأحوج أيضًا بمعنى احتاج.

(وَإِنْ كَانَ الَّذِي) أُعْطِيَ على البناء للمفعول أي: وإن كان الذي أعطي أبعد قرابة ممن لم يعط ففي هذا اختصار اقتضى توقُّعًا في فهمه وسياقه عند عمر بن شبة في أخبار المدينة موصولاً مطوَّلاً وقسم لهم قسمًا لم يعم عامتهم ولم يخص به قريبًا دون من هو أحوج منه ولقد كان يومئذ فيمن (أُعْطِيَ) من هو أبعد قرابة أي: ممن لم يعط ويروى بفتح همزة أن والكسر هو الأكثر رواية والأظهر دراية، فافهم. لِمَا تَشْكُو إِلَيْهِ تعليل لعطية الأبعد قرابة وتشكُّوا بتشديد الكاف من التشكي من باب التفعّل ويروى: (لِمَا يَشْكُو إِلَيْهِ) من شكا يشكو شكاية.

(مِنْ الْحَاجَةِ، وَلِمَا مَسَّتْهُمْ) عطف على لما الأولى ويروى: مَسَّتْهُمْ بَتَاء التأنيث بتأويل الشدة.

(فِي جَنْبِهِ) أي: في جانب وجهه ﷺ ويروى: في حينه أي: زمانه (مِنْ قَوْمِهِمْ وَحُلَفَائِهِمْ) أي: حلفاء قومهم بالحاء المهملة جمع حليف وأشار بذلك

3140 - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ عُقَيْلٍ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ ابْنِ الْمُسَيَّبِ، عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ قَالَ: مَشَيْتُ أَنَا وَعُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَعْطَيْتَ بَنِي الْمُطَّلِبِ وَتَرَكْتَنَا، وَنَحْنُ وَهُمْ مِنْكَ بِمَنْزِلَةٍ وَاحِدَةٍ؟

إلى ما لقي النبي ﷺ وأصحابه بمكة من قريش بسبب الإسلام من الأذى والشدة. قَالَ الْكِرْمَانِيُّ: فَإِنْ قُلْتَ والمفهوم منه أنه أعطاهم لقرابتهم كما يقول الشَّافِعِيُّ ولفقرهم كما يقول الحنفي قلت دون إما لمعنى غير فمعناه لم يعم جميع الأقرباء من نوفل وغيرهم ولم يخص قريباً إلا المحتاجين منهم وإن كان الذي أعطاه لأجل شكايتهم إليه في الحاجة ولأجل ما مسهم من البأس أبعد قرابة وعليه الحنفية وإما لمعنى عند أي لم يخص قريباً محتاجاً وإن كان الذي أعطاه قد أعطى لأجل الشكاية وعليه الشافعية.

(حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ) قَالَ: (حَدَّثَنَا اللَّيْثُ) أي: ابن سعد، (عَنْ عُقَيْلٍ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ ابْنِ الْمُسَيَّبِ) وفي رواية يُونس عن ابن شهاب عند أبي داود أَخْبَرَنِي سعيد بن المسيب، (عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ) وفي رواية الْبُخَارِيُّ فِي الْمَغَازِي من رواية يُونس عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب أن جبير بن مطعم أخبره (قَالَ: مَشَيْتُ أَنَا وَعُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَعْطَيْتَ بَنِي الْمُطَّلِبِ وَتَرَكْتَنَا، وَنَحْنُ وَهُمْ مِنْكَ بِمَنْزِلَةٍ وَاحِدَةٍ؟) لأن عثمان ابن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو ابن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف وجبير هو ابن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف فهما وبنو المطلب كلهم أولاد عم جده ﷺ فهذا معنى قولهما ونحن وهم بمنزلة واحدة أي: في الانتساب إلى عبد مناف فعثمان بن عفان رضي الله عنه من بني عبد شمس وجبير من بني نوفل فلذلك اختصا بالمجيء، فافهم.

وفي رواية أبي داود قَالَ: أَخْبَرَنِي جبير بن مطعم أنه جاء هو وعثمان بن عفان يكلمان رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فيما قسم من الخمس في بني هاشم وبني المطلب فقلت يا رَسُولَ اللَّهِ قسمت لإخواننا في بني المطلب وبني هاشم ولم تعطنا شيئاً وقرابتنا وقرابتهم منك واحدة.

ولأبي داود في رواية ابن إسحاق فقلنا يا رَسُولَ اللَّهِ هؤلاء بنو هاشم لا ننكر

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّمَا بَنُو الْمُطَّلِبِ، وَبَنُو هَاشِمٍ شَيْءٌ وَاحِدٌ»

فضلهم للموضع الذي وضعك الله به منهم فما بال إخواننا بني المطلب أعطيتهم وتركنا وزاد أبو داود والنسائي من طريق ابن إسحاق عن ابن شهاب وضع سهم ذوي القربى في بني هاشم وبني المطلب وترك بني نوفل وبني عبد شمس.

(فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّمَا بَنُو الْمُطَّلِبِ، وَبَنُو هَاشِمٍ شَيْءٌ وَاحِدٌ») في رواية الأكثرين بالشين المعجمة المفتوحة وبالهزمة وَقَالَ الْقَاضِي عِيَاضُ: رَوَيْنَا بِكَذَا فِي الْبُخَارِيِّ بغير خلاف، انتهى.

وقال الحافظ العسقلاني: وقد وجدته في أصلي من رواية الكشميهني هنا. وفي المغازي من رواية المستملي في المغازي ومناقب قريش من روايته. ورواية الحموي بكسر المهملة وتشديد المثناة التحتانية وكذلك كان يرويه يَحْيَى بن معين وحده ومعناه سواء ومثل.

وَقَالَ الْخَطَّابِيُّ: هو أجود في المعنى وحكاها القاضي عياض رواية خارج الصحيح وَقَالَ: الصواب رواية العامة لقوله فيه وشبك بين أصابعه وهذا دليل على الاختلاط والامتزاج كالشيء الواحد لا على التمثيل والتنظير وهذه الزيادة التي أشار إليها وقعت في رواية ابن إسحاق عند أبي داود ولفظه فَقَالَ أَنَا وَبَنُو الْمُطَّلِبِ لَمْ نَفْتَرِقْ فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلَا فِي إِسْلَامٍ وَإِنَّمَا نَحْنُ وَهُمْ شَيْءٌ وَاحِدٌ وَشَبَكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ. ووقع في رواية أبي زيد المروزي شيء أحد بغير واو وبهمز الألف فقليل: هما بمعنى.

وقيل: الأحد الذي ينفرد بشيء لا يشاركه فيه غيره والواحد أول العدد. وقيل: الأحد المنفرد بالمعنى والواحد المنفرد بالذات. وقيل: الأحد لنفي ما يذكر معه من العدد والواحد اسم لمفتاح العدد من جنسه.

وقيل: لا يقال أحد إلا لله تعالى حكاه جميع ذلك القاضي عياض. ومطابقة الحديث للترجمة ظاهرة. وقد أخرجهُ الْبُخَارِيُّ فِي مَنَاقِبِ قُرَيْشٍ وَالمَغَازِي وَأَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي الْخُرَاجِ وَالنَّسَائِيُّ فِي قِسْمِ الْفِيءِ وَابْنُ مَاجَةَ فِي الْجِهَادِ.

قَالَ اللَّيْثُ: حَدَّثَنِي يُونُسُ، وَزَادَ، قَالَ جُبَيْرٌ: وَلَمْ يَقْسِمِ النَّبِيُّ ﷺ لِبَنِي عَبْدِ شَمْسٍ، وَلَا لِبَنِي نَوْفَلٍ، وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: عَبْدُ شَمْسٍ، وَهَاشِمٌ، وَالْمُطَّلِبُ إِخْوَةٌ لَأُمِّ، وَأُمُّهُمْ عَاتِكَةُ بِنْتُ مُرَّةَ، وَكَانَ نَوْفَلٌ أَخَاهُمْ لِأَبِيهِمْ.

(قَالَ اللَّيْثُ: حَدَّثَنِي يُونُسُ، وَزَادَ، قَالَ جُبَيْرٌ: وَلَمْ يَقْسِمِ النَّبِيُّ ﷺ لِبَنِي عَبْدِ شَمْسٍ، وَلَا لِبَنِي نَوْفَلٍ) وهو موصول بالإسناد السابق كما روجه الحافظ العسقلاني ويحتمل أن يكون معلقاً.

وقد وصله البُخَارِيُّ في المغازي عن يَحْيَى بن بكير عن الليث عن يُونُسَ بتمامه وزاد أبو داود في رواية يُونُسَ بهذا الإسناد وكان أبو بكر رضي الله عنه يقسم الخمس نحو قسم رَسُولِ اللَّهِ ﷺ غير أنه لم يكن يعطي قريبي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وكان عمر يعطيهم منه وعثمان بعده وبين الذهلي هذه الزيادة مدرجة في كلام الزُّهْرِيِّ وأخرج ذلك مفصلاً من رواية الليث عن يُونُسَ وكأن هذا هو السر في حذف البُخَارِيُّ هذه الزيادة مع ذكره لرواية يُونُسَ.

وروى مسلم وأبو داود والنسائي وغيرهم من طريق ابن شهاب عن يزيد بن هرمز عن ابن شهاب في سهم ذي القربى قَالَ: هو لقريبي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قسمه لهم النَّبِيُّ ﷺ وقد كان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عرض علينا من ذلك شيئاً رأيناه دون حقنا فرددناه وللنسائي من وجه آخر وقد كان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دعانا أن ينكح أيمنا ويخدم عائلنا ويقضي عن غارمنا فأبينا إلا أن يسلمه لنا قَالَ فتركناه.

(وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ) هو مُحَمَّدُ بن إِسْحَاقَ صاحب المغازي: (عَبْدُ شَمْسٍ، وَهَاشِمٌ، وَالْمُطَّلِبُ إِخْوَةٌ لَأُمِّ، وَأُمُّهُمْ عَاتِكَةُ) بالمهملة وكسر التاء الفوقية وبالکاف (بِنْتُ مُرَّةَ) بضم الميم وتشديد الراء ابن هلال من بني سليم.

وقال ابن جرير: وكان هاشم توأم أخيه عبد شمس وأن هاشما خرج ورجله ملتصقة برأس عبد شمس فما تخلصت حتى سال بينهما دم فقالوا يدل هذا على أن يكون بين أولادهما حروب فكانت وقعة بني العباس مع بني أمية بن عبد شمس سنة ثلاث وثلاثين ومائة من الهجرة.

(وَكَانَ نَوْفَلٌ أَخَاهُمْ لِأَبِيهِمْ) ولم يذكر أمه وهي واقدة بالقاف بنت أبي عدي

واسمه نوفل بن عبادة من بني مازن بن صعصعة وكان هؤلاء الأربعة قد سادوا قومهم بعد أبيهم وصارت إليهم الرياسة فكان يقال لهم المجيرون وذلك لأنهم أخذوا لقومهم قريش الأمان من ملوك الأقاليم ليدخلوا في التجارات في بلدانهم فكان هاشم قد أخذ أماناً من ملوك الشام والروم، وأخذ لهم عبد شمس من النجاشي الأكبر ملك الحبشة وأخذ لهم نوفل من الأكاسرة وأخذ لهم المطلب أماناً من ملوك حمير وكانت إلى هاشم السقاية والوفادة بعد أبيه وإليه وإلى أخيه نسب ذوي القربى وقد كانوا شَيْئاً واحداً وَقَالَ ابن كثير في تفسيره بنو المطلب وازروا بني هاشم في الجاهلية والإسلام ودخلوا معهم في الشعب غضبا لرسول الله ﷺ وحماية له مسلمهم طاعة لله ولرسوله وكافرهم حمية للعشيرة وأنفة وطاعة لأبي طالب عم رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وأما بنو عبد شمس وبنو نوفل وإن كانوا أبناء عمّهم فلم يوافقوهم على ذلك بل حاربوهم وناذبوهم وأمالوا بطون قريش على حرب الرسول ﷺ ولهذا كان ذم أبي طالب لهم في قصيدته اللامية:

جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا عقوبة شر عاجل غير آجل
بميزان قسط لا يغيض شعيرة له شاهد من نفسه حق عادل
لقد سفهت أخلاق قوم تبدلوا بني خلف قيضاً بنا والغياطل
ونحن الصميم من ذؤابة هاشم وآل قصي في الخطوب الأوائل
وهذه قصيدة طويلة مائة وعشرة أبيات قد ذكرها العيني في تاريخنا الكبير وفسر لغاتها وقوله بني خلف أراد به رهط أمية بن خلف الجمحي وقوله قيضاً أي: مقايضة وهو الاستبدال والغياطل جمع غيطة وهي الشجرة.

وذكر الزبير بن بكار في النسب: أنه كان يقال لهاشم والمطلب البدران ولعبد شمس ونوفل الأبهرا وهذا يدل على أن بين هاشم والمطلب اتلافاً سرى في أولادهما من بعدهما ولهذا لما كتبت قريش الصحيفة بينهم وبين بني هاشم وحصروهم في الشعب دخل بنو المطلب مع بني هاشم ولم يدخل بنو نوفل وبنو عبد شمس وسيأتي الإشارة إلى ذلك في أول المبعث إن شاء الله تعالى.

وهذا التعليق ذكره ابن جرير والزيبر بن بكار، والله تعالى أعلم.

ومطابقته للترجمة من حيث إنه قسم رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لبني المطلب وبني هاشم وترك نوفل وبني عبد شمس مع أنهم أيضًا من أقرباء رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فدل هذا على أن الخمس له وله الخيار يضعه حيث يشاء.

قَالَ الْحَافِظُ الْعَسْقَلَانِيُّ : وفي هذا الحديث حجة للشافعي ومن وافقه أن سهم ذوي القربى لبني هاشم والمطلب خاصة دون بقية قرابة النَّبِيِّ ﷺ من قريش وعن عمر بن عبد العزيز هم بنو هاشم خاصة وبه قَالَ زَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ وطائفة من الكوفيين. وهذا الحديث يدل لإلحاق بني المطلب بهم وقيل : هم قريش كلها لكن يعطي الإمام منهم من يراه وبهذا .

قَالَ أَصْبَغُ : وهذا الحديث حجة عليه وفيه توهين قول من قَالَ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ إنما أعطاهم بركة الحاجة إذ لو أعطاهم بركة الحاجة لم يخص قومًا دون قوم والحديث ظاهر في أنه أعطاهم بسبب النصرة وما أصابهم بسبب الإسلام من بقية قومهم الذين لم يسلموا .

والمخلص أن الآية نصت على استحقاق قربي النَّبِيِّ ﷺ وهي متحققة في بني عبد شمس لأنه شقيق وفي بني نوفل إذا لم نعتبر قرابة الأم واختلفت الشافعية في سبب إخراجهم فليل العلة القرابة مع النصرة فلذلك دخل بنو هاشم وبنو المطلب ولم يدخل بنو عبد شمس وبنو نوفل لفقدان جزء العلة أو شرطها .

وقيل : الاستحقاق بالقرابة ووجد ببني عبد شمس ونوفل مانع لكونهم انحازوا عن بني هاشم وحاربوهم والثالث أن القربى عام مخصوص وبيته السنة. قال ابن بطال : وفيه رد لقول الشَّافِعِيِّ إِنَّ خُمْسَ الْخُمْسِ يَقْسَمُ بَيْنَ ذَوِي الْقُرْبَى وَلَا يُفْضَلُ غَنِيٌّ عَلَى فَقِيرٍ وَأَنَّهُ يَقْسَمُ بَيْنَهُمْ لِلذِّكْرِ مِثْلَ حَظِّ الْأُنثَى .

قال الحافظ العسقلاني : ولا حجة فيه لما ذكر لا إثباتًا ولا نفيًا أما الأول فليس في الحديث إلا أنه قسم خمس الخمس بين بني هاشم والمطلب ولم يتعرض لتفضيل ولا عدمه وإذا لم يتعرض فالأصل في القسمة إذا أطلقت التسوية والتعميم فالحديث إذا حجة للشافعي لا عليه ويمكن التوصل إلى التعميم بأن يأمر الإمام نائبه في كل إقليم يضبط من فيه ويجوز النقل من مكان إلى مكان للحاجة .

18 - باب من لَمْ يُخَمَّسِ الْأَسْلَابُ، وَمَنْ قَتَلَ قَتِيلًا فَلَهُ سَلْبُهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُخَمَّسَ، وَحُكْمُ الْإِمَامِ فِيهِ

وقيل : لا بل يختص كل ناحية بمن فيها وأما الثاني فليس فيه تعرض لكيفية القسم لكن ظاهره التسوية وبها قَالَ الْمَزْيِيُّ وطائفة : فيحتاج من جعل سبيله سبيل الميراث إلى دليل والله أعلم.

واستدل به على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب إلى وقت الحاجة فإن ذوي القربى لفظ عام خص ببني هاشم والمطلب .

قَالَ ابْنُ الْحَاجِبِ : ولم ينقل اقتران إجمالي مع أن الأصل عدمه .

18 - باب من لَمْ يُخَمَّسِ الْأَسْلَابُ، وَمَنْ قَتَلَ قَتِيلًا فَلَهُ سَلْبُهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُخَمَّسَ، وَحُكْمُ الْإِمَامِ فِيهِ

(باب من لَمْ يُخَمَّسِ الْأَسْلَابُ) أي : من لم ير بتخميس الأسلاب وهو جمع سَلَبَ بفتحيتين على وزن فعل بمعنى مفعول أي : مسلوب وهو ما يأخذه أحد الفريقين في الحرب من قرنه مما يكون عليه ومعه من سلاح وثياب ودابة وغيرها وعن أحمد لا تدخل الدابة وعن الشَّافِعِيِّ يختص بأداة الحرب.

(وَمَنْ قَتَلَ قَتِيلًا) أي : مشارفًا للقتل لأن قتل القتيل لا يتصور نحو ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة : 2] أي : الضالين الصائرين إلى التقوى أو هو القتيل بهذا القتل المستفاد ومن لفظ قتل لا يقتل سابق.

(فَلَهُ سَلْبُهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُخَمَّسَ) ليس هذا من لفظ الحديث⁽¹⁾ وأراد به أن السلب لا يخمس ويروى من غير خمس بضميتين وخمس بسكون الميم وقوله : (وَحُكْمُ الْإِمَامِ فِيهِ) عطف على قوله من لم يخمس وأشار بهذه الترجمة إلى الخلاف في المسألة وهو شهير وإلى ما تضمنته الترجمة ذهب الأكثر وهو أن القاتل يستحق

(1) فإنه أخرجه الطحاوي وقال : حدثنا أبو بكرة وابن مرزوق قالا : ثنا أبو داود عن حماد بن سلمة عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال يوم حنين من قتل قتيلاً فله سلبه فقتل أبو طلحة يومئذ عشرين رجلاً فأخذ أسلابهم ، وأخرجه أبو داود أيضاً في سننه ولكن لفظه من قتل كافراً فله سلبه .

السلب سواء قَالَ أمير الجيش قبل ذلك : من قتل قتيلاً فله سلبه أو لم يقل ذلك وهو ظاهر حديث أبي قَتَادَةَ ثاني حديثي الباب وقالوا : إنه فتوى من النَّبِيِّ ﷺ وإخبار عن الحكم الشرعي وهو قول الشَّافِعِيِّ وأحمد وابن جرير وجماعة من أهل الحديث قالوا كل شيء من الغنيمة يخمس إلا السلب فإنه لا يخمس.

وعن مالك أن الإمام مخير فيه إن شاء خمسه وإن شاء لم يخمسه واختاره القاضي إِسْمَاعِيلُ بن إسحاق وعن إسحاق إذا كثرت الأسلاب تخمس وهو مروي عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وَقَالَ الثوري ومكحول والأوزاعي : يخمس مُطْلَقًا وهو قول عن مالك وعن الشَّافِعِيِّ وهو رواية عن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وتمسكوا بعموم قوله تعالى : ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾ [الأنفال : 41] ولم يستثن شيئاً.

وقال الزُّهْرِيُّ عن القاسم بن مُحَمَّدٍ عن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : السلب من النفل والنفل يخمس .

وَقَالَ ابن قدام : السلب للقاتل إذا قتل في كل حال إلا أن ينهزم العدو وبه قَالَ أَبُو ثور وداود وابن المنذر وهو قول عن الشَّافِعِيِّ أَيْضًا .

وَقَالَ مسروق : إذا التقى الزحفان فلا سلب له إنما هو النفل قبله وبعده ونحوه قول نافع .

وَقَالَ الْأَوْزَاعِيُّ وسعيد بن عبد العزيز وأبو بكر بن أبي مريم : السلب للقاتل ما لم تمتد الصفوف بعضها إلى بعض فإذا كان كذلك فلا سلب لأحد .

وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ وأبو يُوسُفَ ومحمد : السلب من غنيمة الجيش حكمه حكم سائر الغنيمة إلا أن يقول الإمام من قتل قتيلاً فله سلبه فحينئذ يكون له .

وَقَالَ ابن قدامة : وبه قَالَ مالك وَقَالَ قَالَ أحمد : لا يعجبني أن يأخذ السلب إلا بإذن الإمام وهو قول الْأَوْزَاعِيِّ .

وَقَالَ ابن المنذر وقال الشَّافِعِيُّ : له أخذه بغير إذنه واحتج الأكثر لقولهم للقاتل أن يأخذ السلب من رأس الغنيمة بغير إذن الإمام بقوله ﷺ : «من قتل قتيلاً فله سلبه» فإنه خصص عموم قوله تعالى : ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ

لِلَّهِ مُخَسَّسَةٌ» [الأنفال : 41].

وتعقب : بأنه ﷺ لم يقل : «من قتل قتيلاً فله سلبه» إلا يوم حنين قَالَ مالك : لم يبلغني ذلك في غير حنين .

وأجاب الشافعي وغيره : بأن ذلك حفظ عن النَّبِيِّ ﷺ في عدة مواطن :

منها : يوم بدر كما في أول حديثي الباب .

ومنها : حديث حاطب بن أبي بلتعة أنه قتل رجلاً يوم أحد فسلم له رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سلبه ، أَخْرَجَهُ البيهقي .

ومنها : حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ عَقِيلَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ قَتَلَ يَوْمَ مَوْثَةَ رَجُلًا فَفَنَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ سلبه ثُمَّ كَانَ ذَلِكَ مَقْرَرًا عِنْدَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ .

كما روى مسلم من حديث عوف بن مالك في قصته مع خالد بن الوليد وإنكاره عليه أخذه السلب من القاتل الحديث بطوله .

وكما روى الحاكم والبيهقي بإسناد صحيح عن سعد بن أبي وقاص أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَحْشٍ قَالَ يَوْمَ أَحَدٍ تَعَالَى بَنَانُ نَدَعُو فِدْعَا سَعْدٍ فَقَالَ : اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي رَجُلًا شَدِيدًا بِأَسْهٍ فَأَقَاتَلَهُ وَيَقَاتِلُنِي ثُمَّ ارْزُقْنِي عَلَيْهِ الظَّفَرَ حَتَّى أَقْتَلَهُ وَأَخْذَ سَلْبِهِ الْحَدِيثَ .

وكما روى أحمد بإسناد قوي عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّبِيرِ قَالَ : كَانَتْ صَفِيَّةُ فِي حَصْنِ حَسَانَ بْنِ ثَابِتٍ يَوْمَ الْخَنْدَقِ فَذَكَرَ الْحَدِيثَ فِي قِصَّةِ قَتْلِهَا الْيَهُودِي وَقَوْلَهَا لِحَسَانَ انْزِلْ فَاسْلُبْهُ فَقَالَ : مَا لِي بِسَلْبِهِ حَاجَةٌ وَكَمَا رَوَى ابْنُ إِسْحَاقَ فِي الْمَغَازِي فِي قِصَّةِ قَتْلِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَمْرُو بْنُ عَبْدِ وَدٍ يَوْمَ الْخَنْدَقِ أَيُّضًا فَقَالَ لَهُ عَمْرُو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : هَلَا سَلَبْتَهُ دَرْعَهُ فَإِنَّهُ لَيْسَ لِلْعَرَبِ خَيْرٌ مِنْهَا فَقَالَ : «إِنَّهُ اتَّقَانِي بِسَوَاتِهِ» وَأَيُّضًا فَالنَّبِيُّ ﷺ إِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ يَوْمَ حَنِينٍ بَعْدَ أَنْ فَرَّ الْقِتَالُ كَمَا هُوَ صَرِيحٌ فِي ثَانِي حَدِيثِي الْبَابِ حَتَّى قَالَ مَالِكُ : يَكْرَهُ لِلْإِمَامِ أَنْ يَقُولَ مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا فَلَهُ سَلْبُهُ لَثَلَا تَضَعُفَ نِيَّاتِ الْمَجَاهِدِينَ وَلَمْ يَقُلِ النَّبِيُّ ﷺ ذَلِكَ إِلَّا بَعْدَ انْقِضَاءِ الْحَرْبِ .

وعن الحنفية : لا كراهة في ذلك وإذا قاله قبل الحرب أو في أثناءها استحق القاتل ، والله وتعالى أعلم .

3141 - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ الْمَاجِشُونِ، عَنْ صَالِحِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: بَيْنَا أَنَا وَاقِفٌ فِي الصَّفِّ يَوْمَ بَدْرٍ، فَتَنَظَّرْتُ عَنْ يَمِينِي وَشِمَالِي، فَإِذَا أَنَا بِغُلَامَيْنِ مِنَ الْأَنْصَارِ - حَدِيثُهُ أَسْنَانُهُمَا، تَمَنَّيْتُ أَنْ أَكُونَ بَيْنَ أَضْلَعٍ مِنْهُمَا -

(حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ) وهو ابن مسرهد قَالَ: (حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ الْمَاجِشُونِ) هو يُونُسُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ واسمه دينار التَّيْمِيُّ القُرَشِيُّ والمَاجِشُونُ بكسر الجيم وفتحها وضم الشين المعجمة هو يعقوب وهو بالفارسية بمعنى المورد وقد مر في الوكالة.

(عَنْ صَالِحِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، عَنْ أَبِيهِ) إِبْرَاهِيمَ، (عَنْ جَدِّهِ) عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ (قَالَ: بَيْنَا) قد مر غير مرة أَن أصله بين فأشبع فتحة النون وزيدت الميم فصار بينما وربما يقال: بينا بغير ميم ويضاف إلى جملة هي بينا قوله: (أَنَا وَاقِفٌ فِي الصَّفِّ يَوْمَ بَدْرٍ، فَتَنَظَّرْتُ عَنْ يَمِينِي وَ) عَنْ (شِمَالِي) وقوله: (فَإِذَا أَنَا بِغُلَامَيْنِ) جواب بينا.

(مِنَ الْأَنْصَارِ حَدِيثُهُ أَسْنَانُهُمَا) صفة الغلامين فلذلك جر لفظ حديثه وأسانهما بالرفع لأنه فاعل حديثه.

(تَمَنَّيْتُ أَنْ أَكُونَ بَيْنَ أَضْلَعٍ مِنْهُمَا) كذا للأكثر بفتح أوله وسكون المعجمة وفتح اللام على وزن افعل من الضلاعة وهي القوة يقال اضطلع بحمله أي: قوي عليه ونهض به أي: بين أشد وأقوى من الغلامين المذكورين ويروى بفتح اللام على أَنه جمع ضلع.

ووقع في رواية الحموي وحده بين أصلح منهما بالصاد والحاء المهملتين ونسبها ابن بطل لمسدّد شيخ البُخَارِيِّ وَقَالَ خالفه إِبْرَاهِيمُ بْنُ حَمْزَةَ عِنْدَ الطَّحَاوِيِّ وَمُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ عِنْدَ ابْنِ سَنَجَرٍ وَعَفَانُ عِنْدَ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ فَكُلُّهُمْ رَوَوْا عَنْ يُونُسَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ فِيهِ فَقَالُوا: اضْلَعُ بِالضَّادِ الْمَعْجَمَةِ وَالْعَيْنِ الْمَهْمَلَةِ قَالَ: واجتماع ثلاثة من حفاظ أولى من انفراد واحد خالفهم، انتهى.

وقد ظهر أَن الخلاف على الرواية عن الفربري فلا يليق الجزم بأن مسدّدًا به هكذا وقد رواه أحمد في مسنده وأبو يعلى عن عُبيدِ اللَّهِ القواريري وبشر بن

فَعَمَزَنِي أَحَدُهُمَا فَقَالَ: يَا عَمَّ هَلْ تَعْرِفُ أَبَا جَهْلٍ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، مَا حَاجَتُكَ إِلَيْهِ يَا ابْنَ أَخِي؟ قَالَ: أُخْبِرْتُ أَنَّهُ يَسُبُّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَئِنْ رَأَيْتُهُ لَا يُفَارِقُ سَوَادِي سَوَادَهُ حَتَّى يَمُوتَ الْأَعْجَلُ مِنَّا، فَتَعَجَّبْتُ لِدَلِّكَ، فَعَمَزَنِي الْآخَرُ، فَقَالَ لِي مِثْلَهَا، فَلَمْ أَنْشَبْ أَنْ نَظَرْتُ إِلَى أَبِي جَهْلٍ يَجُولُ فِي النَّاسِ،

الوليد وغيرهما كلهم عن يونسف كالجماعة وكذلك أخرجه الإسماعيلي في طريق عثمان بن أبي شيبة عن عفان كذلك .

وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ: الَّذِي فِي مُسْلِمٍ أَضْلَعُ وَوَقَعَ فِي بَعْضِ رَوَايَةِ أَصْلَحِ وَالْأَوَّلِ الصَّوَابُ.

(فَعَمَزَنِي أَحَدُهُمَا فَقَالَ: يَا عَمَّ هَلْ تَعْرِفُ أَبَا جَهْلٍ؟) هُوَ عَمْرُو بْنُ هِشَامِ بْنِ الْمَغِيرَةِ الْمَخْزُومِيِّ الْقُرَشِيِّ فَرَعُونَ هَذِهِ الْأُمَّةُ.

(قُلْتُ: نَعَمْ، مَا حَاجَتُكَ إِلَيْهِ يَا ابْنَ أَخِي؟ قَالَ: أُخْبِرْتُ) بَضْمُ الْهَمْزَةِ عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ.

(أَنَّهُ يَسُبُّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَئِنْ رَأَيْتُهُ لَا يُفَارِقُ سَوَادِي سَوَادَهُ) يَعْنِي لَا يُفَارِقُ شَخْصِي شَخْصَهُ وَأَصْلُهُ أَنَّ الشَّخْصَ يَرَى عَلَى الْبَعْدِ أَسْوَدَ (حَتَّى يَمُوتَ الْأَعْجَلُ مِنَّا) أَيِ: الْأَقْرَبُ أَجَلًا وَهُوَ كَلَامٌ مُسْتَعْمَلٌ يَفْهَمُ مِنْهُ أَنَّ يَلَازِمُهُ وَلَا يَتْرَكُهُ إِلَى وَقُوعِ الْمَوْتِ بِأَحَدِهِمَا وَصُدُورِ هَذَا الْكَلَامِ فِي حَالِ الْغَضَبِ وَالانْزِعَاجِ يَدُلُّ عَلَى صِحَّةِ الْعَقْلِ الْوَافِرِ وَالنَّظَرِ فِي الْعَوَاقِبِ فَإِنَّ مَقْتَضَى الْغَضَبِ أَنْ يَقُولَ حَتَّى أَقْتُلَهُ لَكِنِ الْعَاقِبَةُ مَجْهُولَةٌ.

وقيل: إِنَّ لَفْظَ الْأَعْجَلِ تَحْرِيفٌ وَإِنَّمَا هُوَ الْأَعْجَزُ وَهُوَ يَقَعُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ كَثِيرًا وَالصَّوَابُ مَا وَقَعَ فِي الرِّوَايَةِ لَوْضُوحُ مَعْنَاهُ.

(فَتَعَجَّبْتُ لِدَلِّكَ، فَعَمَزَنِي الْآخَرُ، فَقَالَ لِي مِثْلَهَا، فَلَمْ أَنْشَبْ) أَيِ: فَلَمْ يَلْبَثْ يُقَالُ نَشَبَ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ أَيِ: دَخَلَ وَتَعَلَّقَ وَنَشَبَ فِي الشَّيْءِ إِذَا وَقَعَ فِيهِمَا لَا مُخْلَصَ لَهُ مِنْهُ وَلَمْ يَنْشَبْ أَنْ فَعَلَ أَيِ: لَمْ يَلْبَثْ وَحَقِيقَتُهُ لَمْ يَتَعَلَّقْ بِشَيْءٍ غَيْرِهِ وَلَا بِسِوَاهِ وَمَادَتُهُ نُونٌ وَشَيْنٌ مَعْجَمَةٌ وَبَاءٌ مُوَحَّدَةٌ.

(أَنْ نَظَرْتُ إِلَى أَبِي جَهْلٍ يَجُولُ فِي النَّاسِ) بِالْجِيمِ وَفِي رَوَايَةِ مُسْلِمٍ: يَزُولُ هُوَ بِمَعْنَاهُ أَيِ: يَضْطَرُّ فِي الْمَوَاضِعِ وَلَا يَسْتَقِرُّ عَلَى حَالٍ.

قُلْتُ: أَلَا إِنَّ هَذَا صَاحِبُكُمَا الَّذِي سَأَلْتُمَانِي، فَأَبْتَدَرَاهُ بِسَيْفَيْهِمَا، فَضَرَبَاهُ حَتَّى قَتَلَاهُ، ثُمَّ انْصَرَفَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَخْبَرَاهُ فَقَالَ: «أَيُّكُمَا قَتَلَهُ؟»، قَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا: «أَنَا قَتَلْتُهُ»، فَقَالَ: «هَلْ مَسَحْتُمَا سَيْفَيْكُمَا؟»، قَالَا: لَا، فَنَظَرَ فِي السَّيْفَيْنِ، فَقَالَ: «كِلَاكُمَا قَتَلَهُ، سَلَبُهُ لِمُعَاذِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْجَمُوحِ»،

(قُلْتُ: أَلَا) للتنبيه (إِنَّ هَذَا صَاحِبُكُمَا الَّذِي سَأَلْتُمَانِي، فَأَبْتَدَرَاهُ) أي: سبقاه مسرعين (بِسَيْفَيْهِمَا، فَضَرَبَاهُ حَتَّى قَتَلَاهُ، ثُمَّ انْصَرَفَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَخْبَرَاهُ فَقَالَ: «أَيُّكُمَا قَتَلَهُ؟»، قَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا: «أَنَا قَتَلْتُهُ»، فَقَالَ: «هَلْ مَسَحْتُمَا سَيْفَيْكُمَا؟»، قَالَا: لَا، فَنَظَرَ فِي السَّيْفَيْنِ) ليستدل بهما على حقيقة كيفية قتلها فعلم أن الجموح هو المثخن كما يشهد به سياق الحديث.

وَقَالَ ابْنُ الْمُهَلَّبِ: نَظَرَهُ ﷺ فِي السَّيْفَيْنِ لِيرَى مَا بَلَغَ الدَّمُ مِنْ سَيْفَيْهِمَا وَمَقْدَارِ عَمَقِ دَخُولِهِمَا فِي جِسْمِ الْمَقْتُولِ لِيَحْكُمَ بِالسَّيْفِ لِمَنْ كَانَ فِي ذَلِكَ الْمَبْلَغِ أَبْلَغَ وَلِذَلِكَ سَأَلَهُمَا أَوَّلًا هَلْ مَسَحْتُمَا سَيْفَيْكُمَا لِأَنَّهُمَا لَوْ مَسَحَاهُمَا لَمَا بَيْنَ الْمَرَادِ مِنْ ذَلِكَ.

(فَقَالَ: كِلَاكُمَا) ويروى: كلاهما (قَتَلَهُ) إنما قَالَ ذَلِكَ وَإِنْ كَانَ أَحَدُهُمَا الَّذِي أَتَخَنَهُ تَطْيِيبًا لِقَلْبِ الْآخَرِ مِنْ حَيْثُ إِنَّ لَهُ مِشَارَكَةَ فِي الْقَتْلِ.

(سَلَبُهُ) أي: سلب أبي جهل (لِمُعَاذِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْجَمُوحِ) وإنما حكم له مع أنهما اشتركا في القتل لأن القتل الشرعي الذي يتعلق به استحقاق السلب هو الإِثْخَانُ وهو إنما وجد منه.

وَقَالَ الْإِسْمَاعِيلِيُّ: إِنْ الْأَنْصَارِيِّينَ ضَرَبَاهُ فَأَتَخَنَاهُ وَبَلَغَا بِهِ الْمَبْلَغَ الَّذِي يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ بَقَاؤُهُ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ إِلَّا قَدَرُ مَا نَطَقًا فَدَلَّ قَوْلُهُ كِلَاهُمَا قَتَلَهُ عَلَى أَنَّ كِلَاهُمَا وَصَلَ إِلَى قَطْعِ الْحَشْوَةِ وَإِبَانَتِهَا وَأَنْ عَمَلَ كُلُّ مَنْ سَيْفِيهِمَا كَعَمَلِ الْآخَرِ غَيْرَ أَنَّ أَحَدَهُمَا سَبَقَ بِالضَّرْبِ فَصَارَ فِي حَكْمِ الْمَثْبُوتِ لِجِرَاحِهِ حَتَّى وَقَعَتْ بِهِ ضَرْبَةُ الثَّانِي فَاشْتَرَكَا فِي الْقَتْلِ إِلَّا أَنَّ أَحَدَهُمَا قَتَلَهُ وَهُوَ مَمْتَنِعٌ وَالْآخَرُ قَتَلَهُ وَهُوَ مَثْبُوتٌ فَلِذَلِكَ قَضَى بِالسَّلْبِ لِلْسَّابِقِ إِلَى إِثْخَانِهِ وَلَمَّا رَوَى الطَّحَاوِيُّ هَذَا الْحَدِيثَ قَالَ: فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ السَّلْبَ لَوْ كَانَ وَاجِبًا لِلْقَاتِلِ بِقَتْلِهِ إِيَّاهُ لَكَانَ وَجِبَ سَلْبِهِ لَهَا وَلَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ ﷺ يَنْتَزِعُهُ مِنْ أَحَدِهِمَا فَيَدْفَعُهُ إِلَى الْآخَرِ أَلَا يَرَى أَنَّ الْإِمَامَ لَوْ قَالَ: مَنْ

وَكَاْنَا مُعَاذَ ابْنِ عَفْرَاءَ، وَمُعَاذَ بَنِّ عَمْرِو بْنِ الْجُمُوحِ (1).

قتل قتيلاً فله سلبه وقتل رجلان قتيلاً أن سلبه لهما نصفان وأنه ليس للإمام أن يحرم أحدهما ويدفعه إلى الآخر لأن كل واحد منهما له فيه من الحق ما للآخر وهما أولى به من الإمام فلما كان للنبي ﷺ في سلب أبي جهل أن يجعله لأحدهما دون الآخر دل ذلك أنه كان أولى به منهما لأنه لم يكن قال: يومئذ من قتل قتيلاً فله سلبه وقال أيضاً: إن سلب المقتول لا يجب للقاتل بقتله صاحبه إلا أن يجعل الإمام إياه له على ما فيه صلاح المسلمين من التحريض على قتال العدو.

(وَكَاْنَا) أي: الغلامان المذكوران من الأنصار.

(مُعَاذَ ابْنِ عَفْرَاءَ، وَمُعَاذَ بَنِّ عَمْرِو بْنِ الْجُمُوحِ) أما معاذ بن عفراء بفتح

(1) قال الحافظ: الغرض من هذا الحديث قوله في آخره كلاهما قتله سلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح، فقد احتج به من قال: إن إعطاء القاتل السلب مفوض إلى رأي الإمام، وقرره الطحاوي وغيره بأنه لو كان يجب للقاتل لكان السلب بينهما لاشتراكهما في قتله، فلما خص به أحدهما دل على أنه لا يستحق بالقتل، وإنما يستحق بتعيين الإمام، وأجاب الجمهور بأن في السياق دلالة على أن السلب يستحقه من أثنى في القتل ولو شاركه غيره في الضرب أو الطعن، قال المهلب: نظره ﷺ في السيفين ليرى ما بلغ الدم من سيفيهما في جسم المقتول ليحكم بالسلب لمن كان في ذلك أبلغ، ولذلك سألهما أولاً هل مسحتما سيفيكما أم لا؟ لأنهما لو مسحاهما لما تبين المراد من ذلك وإنما قال كلاهما قتله، وإن كان أحدهما هو الذي أثنى لطيب نفس الآخر، وقال الإسماعيلي: أقول إن الأنصاريين ضرباه فأثخنه وبلغا به المبلغ الذي يعلم منه أنه لا يجوز بقاؤه على تلك الحال إلا قدر ما يطقاً، وقد دل قوله: «كلاهما قتله» على أن كلا منهما وصل إلى قطع الحشوة وإبانتها، أو بما يعلم أن عمل كل من سيفيهما كعمل الآخر، غير أن أحدهما سبق بالضرب فصار في حكم المثبت لجراحه حتى وقعت به ضربة الثاني فاشتركا في القتل، إلا أن أحدهما قتله وهو ممتنع والآخر قتله وهو مثبت، فلذلك قضى بالسلب للسابق إلى إثخنه، انتهى مختصراً.

قلت: وقد ورد في الروايات في قتله أبي جهل ذكر ابن عفراء ومعاذ بن عمرو بن الجموح وعبد الله بن مسعود كما بسط الحافظ الروايات في ذلك في مغازي الفتح، ثم قال: يحتمل أن يكون معاذ بن عفراء شد عليه مع معاذ بن عمرو كما في الصحيح، وضربه بعد ذلك معاذ حتى أثبت ثم حترأسه ابن مسعود رضي الله عنه فتجمع الأقوال كلها، وإطلاق كونهما قتلاه يخالف في الظاهر حديث ابن مسعود وأنه وجده وبه رمق فهو محمول على أنهما بلغا به منزلة المقتول حتى لم يبق به إلا مثل حركة المذبوح، وفي تلك الحالة لقيه ابن مسعود فضرب عنقه، انتهى مختصراً. وقال العيني: لما روى الطحاوي هذا الحديث قال: فيه دليل على أن السلب لو كان واجباً للقاتل بقتله إياه لكان قد وجب سلبه لهما، ولم يكن النبي ﷺ ينتزعه من أحدهما فيدفعه =

العين المهملة وسكون الفاء وبالراء وبالمدة وهي أمه عفراء بنت عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجاري وهو معاذ بن الحارث بن رفاعه بن سواد هكذا قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ .

وَقَالَ ابْنُ هِشَامٍ: هو معاذ بن الحارث بن عفراء بن سواد بن مالك بن غنم ابن مالك النجاري وَقَالَ مُوسَى بْنُ عَقِبَةَ معاذ بن الحارث بن رفاعه بن الحارث شهد بدرًا هو وأخوه عوف ومعوذ بنو عفراء وهو بنو الحارث بن رفاعه وَقَالَ أَبُو عَمْرِو لِمَعَاذِ بْنِ عَفْرَاءَ رَوَايَةٌ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي النَّهْيِ عَنِ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصُّبْحِ وَبَعْدَ الْعَصْرِ مَا تَفِي خِلَافَةً عَلَيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَمَّا معاذ بن عمرو بن الجموح فالجموح هو ابن زيد بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة بن سعد بن عدي بن أسد بن ساردة بن يزيد بن جشم بن الخزرج السلمي الخزرجي الْأَنْصَارِيُّ شهد العقبة وبدرًا هو وأبوه عمرو وقيل: قتل عمرو بن الجموح يوم أحد وذكر ابن هشام عن زياد عن ابن إسحاق أنه الذي قطع رجل أبي جهل بن هشام وصرعه قَالَ وضرب ابنه عكرمة بن أبي جهل يد معاذ فطرحها ثم ضربه معوذ بن عفراء حتى أثبتته وتركه وبه رمق ثم وقف عليه عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ واحتز رأسه حين أمره رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَلْتَمِسَهُ فِي الْقَتْلِ وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمِ بْنِ أَبِي بَكْرِ عَفْرَاءُ ضَرْبَاهُ حَتَّى يَبْرُدَ بِالْدَّالِ أَيُّ: مات وفي رواية حتى برك بالكاف أَي: سقط على الأرض وكذا فِي الْبُخَارِيِّ فِي بَابِ قَتْلِ أَبِي جَهْلٍ .

وَادْعَى الْقُرْطُبِيُّ: أَنَّهُ وَهَمَ التَّبَسُّ عَلَى بَعْضِ الرِّوَاةِ مَعَاذِ بْنِ الْجُمُوحِ بِمَعَاذِ ابْنِ عَفْرَاءَ .

وَقَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: ابن الجموح ليس من ولد عفراء ومعاذ بن عفراء ممن باشر قتل أبي جهل فلعل بعض إخوته حضره أو أعمامه أو يكون الحديث ابن عفراء فغلط الراوي فَقَالَ ابْنَا عَفْرَاءَ وَقَالَ أَبُو عَمْرٍ: أَصَحُّ مِنْ هَذَا حَدِيثِ أَنْسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ ابْنَ عَفْرَاءَ قَتَلَهُ وَقَالَ ابْنُ التِّينِ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ أَخَوَيْنِ لَأُمِّ

= إلى الآخر، ألا يرى أن الإمام لو قال: من قتل قتيلاً فله سلبه، وقتل رجلان قتيلاً أن سلبه لهما نصفان؟ فلما كان للنبي ﷺ في سلب أبي جهل أن يجعله لأحدهما دون الآخر دل ذلك على أنه كان أولى به منهما، لأنه لم يكن قال يومئذ: «من قتل قتيلاً فله سلبه»، انتهى. مختصراً.

أو يكون بينهما رضاع.

وَقَالَ الدَّاوُدِي : ابنا عفراء سهل وسهيل ويقال معوذ ومعاذ.

وروى الحاكم في إكليله من حديث الشَّعْبِيِّ عن عبد الرحمن ابن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حمل رجل كان مع أبي جهل على ابن عفراء فقتله فحمل ابن عفراء الآخر على الذي قتل أخاه فقتله ومرا ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على أبي جهل فَقَالَ الحمد لله الذي أعز الإسلام فَقَالَ أَبُو جهل : تشتمني يا رويعي هذيل فَقَالَ نعم والله وأقتلك فحذفه أَبُو جهل بسيفه وَقَالَ : دونك هذا إذا فأخذه عَبْدُ اللَّهِ فضر به حتى قتله وَقَالَ يا رَسُولَ اللَّهِ قتلت أبا جهل فَقَالَ : «اللَّهُ الذي لا إله إلا هو» فحلف له فأخذه النَّبِيُّ ﷺ بيده ثم انطلق معه حتى أراه إياه فقام عنده وَقَالَ : «الحمد لله الذي أعز الإسلام وأهله» ثلاث مرات والتوفيق بين هذه الروايات إثبات الاشتراك في قتل أبي جهل ولكن السلب ما ثبت إلا للذي أثخنه على ما مر. ومطابقة الحديث للترجمة من حيث إنه ﷺ لم يخمس سلب أبي جهل وقد أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي الْمَغَازِي أَيْضًا وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ أَيْضًا فِي الْمَغَازِي.

قَالَ مُحَمَّدٌ هُوَ الْبُخَارِيُّ نَفْسَهُ : سَمِعَ يُوسُفُ صَالِحًا ، وَإِبْرَاهِيمَ أَبَاهُ أَي : سمع يُوسُفُ بن الماجشون صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف المذكور في الإسناد وسمع إبراهيم أباه أَي : ابن عبد الرحمن بن عوف وهذه الزيادة هنا لأبي ذر وأبي الوقت وأراد بهذه دفع قول من يقول إن بين يُوسُفَ وبين صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن رجلًا وهو عبد الواحد بن أبي عون وهو رجل مشهور ثقة فيكون الحديث منقطعًا .

وقد ذكره البزار في رواية عن مُحَمَّدَ بن عبد الملك القرشي وعلي بن مسلم قَالَ : حَدَّثَنَا يُوسُفُ بن أبي سلمة ثنا عبد الواحد بن أبي عون حدثني صالح بن إبراهيم به ثم قَالَ هذا الحديث : لا نعلمه يروى عن عبد الرحمن بن عوف عن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد ووثق عبد الواحد فأشار الْبُخَارِيُّ بهذه الزيادة إلى أن سماع يُوسُفَ من صالح وسماع إبراهيم من أبيه ثابت فالحديث متصل .

3142 - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُسْلَمَةَ، عَنْ مَالِكٍ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ ابْنِ أَفْلَحَ، عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ، مَوْلَى أَبِي قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي قَتَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَامَ حُنَيْنٍ، فَلَمَّا التَقَيْنَا كَانَتْ لِلْمُسْلِمِينَ جَوْلَةٌ، فَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ عَلَا رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَاسْتَدْرْتُ حَتَّى أَتَيْتُهُ مِنْ وَرَائِهِ حَتَّى ضَرَبْتُهُ بِالسَّيْفِ عَلَى حَبْلِ عَاتِقِهِ،

وقد تقدم في الوكالة هذا الإسناد بعينه في حديث آخر وبين فيه سماع إبراهيم من أبيه وأما سماع يوسف من صالح فوقع في رواية عفان عند الإسماعيلي .
قَالَ الْحَافِظُ الْعَسْقَلَانِيُّ: ويحتمل أن يكون يوسف سمعه من صالح وثبته فيه عبد الواحد والله تعالى أعلم.

(حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُسْلَمَةَ) القعني، (عَنْ مَالِكٍ) الإمام، (عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ) الأنصاري، (عَنْ ابْنِ أَفْلَحَ) بفتح الهمزة واللام وسكون الفاء بالمهملة هو عمرو بن كثير بن أفلح، (عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ) هو نافع (مَوْلَى أَبِي قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي قَتَادَةَ) الحارث بن ربيعي الأنصاري وهذا الإسناد بعينه قد مر في كتاب البيوع في باب بيع السلاح في الفتنة.

(قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَامَ حُنَيْنٍ) بالتنوين منصرف واد بينه وبين مكة ثلاثة أميال وكان في السنة الثامنة من الهجرة.

(فَلَمَّا التَقَيْنَا كَانَتْ لِلْمُسْلِمِينَ جَوْلَةٌ) بالجيم أي: دوران واضطراب من جال يجول إذا دار والمراد التأخر وعبر بهذه العبارة احترازًا عن لفظ الهزيمة، وهذه الجولة كانت في بعض الجيش لا في رسول الله ﷺ ومن حوله.

(فَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ عَلَا رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ⁽¹⁾)، فَاسْتَدْرْتُ) من الدوران هذه رواية الكشميهني، وفي رواية الأكثرين: فاستدبرت من الاستدبار.
(حَتَّى أَتَيْتُهُ مِنْ وَرَائِهِ حَتَّى ضَرَبْتُهُ بِالسَّيْفِ عَلَى حَبْلِ عَاتِقِهِ) العاتق موضع الرداء من العنق.

وقيل: ما بين العنق والمنكب.

(1) أي: ظهر عليه وأشرف على قتله أو صرعه وجلس عليه.

فَأَقْبَلَ عَلَيَّ فَضَمَّنِي ضَمَّةً وَجَدْتُ مِنْهَا رِيحَ الْمَوْتِ، ثُمَّ أَدْرَكُهُ الْمَوْتُ، فَأَرْسَلَنِي، فَلَحِقْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ فَقُلْتُ: مَا بَالُ النَّاسِ؟ قَالَ: أَمْرُ اللَّهِ، ثُمَّ إِنَّ النَّاسَ رَجَعُوا، وَجَلَسَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا لَهُ عَلَيْهِ بَيِّنَةٌ فَلَهُ سَلْبُهُ»، فَقُمْتُ فَقُلْتُ: مَنْ يَشْهَدُ لِي؟ ثُمَّ جَلَسْتُ، ثُمَّ قَالَ: «مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا لَهُ عَلَيْهِ بَيِّنَةٌ فَلَهُ سَلْبُهُ»، فَقُمْتُ فَقُلْتُ: مَنْ يَشْهَدُ لِي؟ ثُمَّ جَلَسْتُ، ثُمَّ قَالَ الْثَالِثَةُ مِثْلَهُ، فَقَالَ رَجُلٌ: صَدَقَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَسَلْبُهُ عِنْدِي فَأَرْضِهِ عَنِّي، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَا هَا اللَّهُ، إِذَا

وقيل: هو عرق أو عصب هناك.

وقيل: حبل العاتق عصبه.

(فَأَقْبَلَ عَلَيَّ فَضَمَّنِي ضَمَّةً وَجَدْتُ مِنْهَا رِيحَ الْمَوْتِ، ثُمَّ أَدْرَكُهُ الْمَوْتُ، فَأَرْسَلَنِي، فَلَحِقْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (فَقُلْتُ: مَا بَالُ النَّاسِ) أي: ما حال الناس منهزمين.

(قَالَ: أَمْرُ اللَّهِ) أي: قَالَ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أي: جاء أمر الله تعالى ويقال: بالهم وحالهم حكم الله أي ما حكم به وقضاه ويقال: معناه ما حالهم بعد الانهزام فَقَالَ: أمر الله غالب والعاقبة للمتقين.

(ثُمَّ إِنَّ النَّاسَ رَجَعُوا، وَجَلَسَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا لَهُ عَلَيْهِ بَيِّنَةٌ فَلَهُ سَلْبُهُ»، فَقُمْتُ فَقُلْتُ: مَنْ يَشْهَدُ لِي، ثُمَّ جَلَسْتُ، ثُمَّ قَالَ: «مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا لَهُ عَلَيْهِ بَيِّنَةٌ فَلَهُ سَلْبُهُ»، فَقُمْتُ فَقُلْتُ: مَنْ يَشْهَدُ لِي، ثُمَّ جَلَسْتُ، ثُمَّ قَالَ الْثَالِثَةُ مِثْلَهُ)، فَقُمْتُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا لَكَ يَا أَبَا قَتَادَةَ؟»، فَأَقْتَصَصْتُ عَلَيْهِ الْقِصَّةَ، (فَقَالَ رَجُلٌ: صَدَقَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَسَلْبُهُ عِنْدِي فَأَرْضِهِ عَنِّي) قَالَ الْحَافِظُ الْعَسْقَلَانِيُّ: لم أقف على اسمه.

(فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَا هَا اللَّهُ، إِذَا) كذا الرواية بالتنوين قَالَ الخطابي: والصواب فيه لاها الله ذا بغير ألف قبل الذال أي بلفظ اسم الإشارة والهاء بدل من الواو وكأنه قَالَ لا والله يكون ذا يعني والله لا يكون ذا.

وَقَالَ المازري: معناه لاها الله ذا يميني أو قسمي.

يَعْمِدُ إِلَى أَسَدٍ مِنْ أَسَدِ اللَّهِ، يُقَاتِلُ عَنِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ، يُعْطِيكَ سَلْبَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «صَدَقَ»، فَأَعْطَاهُ، فَبَغْتُ الدَّرْعَ، فَاثْبَعْتُ بِهِ مَخْرَفًا فِي بَنِي سَلَمَةَ،

وَقَالَ أَبُو زَيْدٌ ذَا زَائِدَةٍ فِي هَذَا لَعْنَانِ الْمَدِّ وَالْقَصْرِ قَالُوا: وَيَلْزَمُ الْجَرَّ بَعْدَهَا كَمَا يَلْزَمُ بَعْدَ الْوَاوِ وَقَالُوا وَلَا يَجُوزُ الْجَمْعُ بَيْنَهُمَا فَلَا يُقَالُ: لَا هَا وَاللَّهُ. وَقَالَ أَبُو عَثْمَانَ الْمَازِنِيُّ: مَنْ قَالَ لَا هَا لِلَّهِ إِذَا فَقَدْ أَخْطَأَ إِنَّمَا هُوَ لَا هَا لِلَّهِ ذَا.

وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ: هَا لِلتَّنْبِيهِ وَقَدْ يَقْسَمُ بِهَا يُقَالُ لَا هَا لِلَّهِ مَا فَعَلْتُ وَقَوْلُهُمْ لَا هَا لِلَّهِ ذَا أَصْلُهُ لَا وَاللَّهُ هَذَا فَفَرَقْتُ بَيْنَ هَا وَذَا وَتَقْدِيرُهُ لَا وَاللَّهُ مَا فَعَلْتُ هَذَا. وَقَالَ الْكِرْمَانِيُّ: الْمَعْنَى صَحِيحٌ عَلَى لَفْظٍ إِذَا يَعْنِي بِالتَّنْوِينِ جَوَابًا وَجَزَاءً وَتَقْدِيرُهُ لَا وَاللَّهُ إِذَا صَدَقَ لَا يَكُونُ أَوْ لَا يَعْمَدُ وَيُرْوَى بَرَفْعَ لَفْظَةِ اللَّهِ عَلَى أَنَّهُ مَبْتَدَأُ وَهِيَ لِلتَّنْبِيهِ وَلَا يَعْمَدُ خَبْرُهُ وَقَوْلُهُ.

لَا (يَعْمِدُ) يَرْوَى بِالْمِثْنَةِ التَّحْتِيَّةِ وَبِالنُّونِ أَيْضًا وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ الْآتِي يُعْطِيكَ أَي: لَا يَقْصِدُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

(إِلَى أَسَدٍ مِنْ أَسَدِ اللَّهِ) الْأَوَّلُ بِفَتْحَتَيْنِ مَفْرُودٍ وَالثَّانِي بِضَمِّ الْهَمْزَةِ وَسَكُونِ السِّينِ جَمْعُ أَسَدٍ.

(يُقَاتِلُ عَنِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ، يُعْطِيكَ سَلْبَهُ) أَي: إِلَى رَجُلٍ كَالْأَسَدِ يُقَاتِلُ عَنْ جِهَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ نَصْرَةً فِي الدِّينِ فَيَأْخُذُ حَقَّهُ قَوْلُهُ وَيُعْطِيكَ أَي: لَا يُعْطِيكَ أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُسْتَرْضِي حَقَّ أَبِي قَتَادَةَ لَا وَاللَّهُ كَيْفَ وَهُوَ أَسَدُ اللَّهِ.

(فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «صَدَقَ») أَي: أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(فَأَعْطَاهُ) أَي: فَأَعْطَى النَّبِيُّ ﷺ الدَّرْعَ أَبَا قَتَادَةَ وَمَقْتَضَى الظَّاهِرُ أَنْ يُقَالَ: فَأَعْطَانِي فَعَدَلَ عَنْهُ إِلَى الْغِيْبَةِ التَّفَانَا أَوْ تَجْرِيدًا وَهُوَ مَفْعُولٌ ثَانٍ وَالْأَوَّلُ مَحْذُوفٌ وَإِنَّمَا أَعْطَاهُ بَلَا بَيْنَةً لِأَنَّهُ ﷺ لَعَلَّهُ عَلِمَ أَنَّهُ الْقَاتِلُ بِطَرِيقٍ مِنَ الطَّرِيقِ وَلَا يُقَالُ إِنَّمَا اسْتَحَقَّ أَبُو قَتَادَةَ السَّلْبَ بِإِقْرَارٍ مِنْهُ فِي يَدِهِ لِأَنَّ الْمَالَ كَانَ مَنْسُوبًا إِلَى جَمِيعِ الْجَيْشِ فَلَا اعْتِبَارَ بِإِقْرَارِهِ.

(فَبَغْتُ الدَّرْعَ، فَاثْبَعْتُ) أَي: اشْتَرَيْتُ (بِهِ مَخْرَفًا فِي بَنِي سَلَمَةَ) وَالْمَخْرَفُ بَفَتْحِ الْمِيمِ وَسَكُونِ الْخَاءِ الْمَعْجَمَةُ وَفَتْحُ الرَّاءِ بَعْدَهَا فَاءٌ وَهُوَ الْبِسْتَانُ.

فَإِنَّهُ لَأَوَّلُ مَالٍ تَأْتَلَتْهُ فِي الْإِسْلَامِ.

وقيل : الحائط من النخل يخرف فيه الرطب أي : يجتنى ويتنو سلمة بكسر اللام.

(فَإِنَّهُ لَأَوَّلُ مَالٍ تَأْتَلَتْهُ فِي الْإِسْلَامِ) أي : اتخذته وجمعه وهو من باب التفعّل فيه معنى التكلف مأخوذ من الأثلة وهو الأصل والمعنى اتخذته أصلاً للمال ومادته همزة وثاء مثلثة ولا م يقال مال مؤثّل ومجد مؤثّل أي : مجموع ذو أصل.

وفي الحديث فضيلة أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وصحة إصابته بحضرته ﷺ وجواز الإشهاد ومنقبة لأبي قتادة الحارث الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ واحتج به من قَالَ إن السلب من رأس الغنيمة لا من الخمس لأن إعطاءه ﷺ أبا قتادة كان قبل القسمة لأنه نقله حين برد القتال .

وأجاب أصحابنا ومالك عنه فقالوا : هذه حجة لنا لأنه إنما قَالَ ذلك بعد تقضي الحرب وقد جرت الغنائم وهذه حالة قد سبق فيها مقدار حق الغانمين وهو الأربعة الأخماس على ما أوجبها الله لهم فينبغي أن يكون من الخمس .

وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ : وهذا الحديث أدل دليل على صحة مذهب مالك وأبي حنيفة وزعم من خالفنا أن هذا الحديث منسوخ بما قاله يوم حنين وهو فاسد لوجهين : الأول : أن الجمع بينهما ممكن فلا نسخ .

الثاني : أنه روى أهل السير وغيرهم أن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ يوم بدر : «من قتل قتيلًا فله سلبه» كما قاله يوم حنين وغايته أن يكون من باب تخصيص العموم . وفيه : أن لاها الله يمين ولكنهم قالوا إنه كناية إن نوى بها اليمين كانت يمينًا وإلا فلا .

قَالَ الْعَيْنِيُّ : ظاهر الحديث يدل على أنها يمين .

وفيه : جواز كلام الوزير سائل الأمير قبل أن يعلم جواب الأمير كما فعل أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين قَالَ لاها الله .

وفيه : إذا ادّعى رجل أنه قتل رجلاً بعينه وادّعى سلبه هل يعطى له فقالت طائفة لا بد من البينة واحتجوا بظاهر هذا الحديث وبه قَالَ الليث وَالشَّافِعِيُّ وجماعة من أهل الحديث .

وَقَالَ الْأَوْزَاعِيُّ: لَا يَحْتَاجُ إِلَيْهَا وَيُعْطَى بِقَوْلِهِ وَقَدْ اسْتَدَلَّ بِهِ عَلَى دُخُولِ مَنْ لَا سَهْمَ لَهُ فِي عَمُومِ قَوْلِهِ مِنْ قَتْلِ قَتِيلًا وَعَنِ الشَّافِعِيِّ فِي قَوْلِ لَا يَسْتَحِقُّ السَّلْبَ إِلَّا مَنْ اسْتَحَقَّ السَّهْمَ وَبِهِ قَالَ مَالِكٌ لِأَنَّهُ إِذَا لَمْ يَسْتَحِقَّ السَّهْمَ فَلَا يَسْتَحِقُّ السَّلْبَ بِطَرِيقِ الْأُولَى وَعُورِضَ بِأَنَّ السَّهْمَ عُلِقَ عَلَى الْمِظَنَّةِ وَالسَّلْبَ يَسْتَحِقُّ بِالْفِعْلِ فَهُوَ أُولَى وَهَذَا هُوَ الْأَصَحُّ.

وفيه أيضًا: أَنَّ السَّلْبَ مُسْتَحَقٌّ لِلْقَاتِلِ الَّذِي أَثْنَعَهُ بِالْقَتْلِ دُونَ مَنْ وَقَفَ عَلَيْهِ كَمَا سَيَأْتِي فِي قِصَّةِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَعَ أَبِي جَهْلٍ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ.

وفيه أيضًا: أَنَّ السَّلْبَ لِلْقَاتِلِ فِي كُلِّ حَالٍ وَبِهِ قَالَ أَبُو ثَوْرٍ وَابْنُ الْمُنْذِرِ حَتَّى قَالَ أَبُو ثَوْرٍ وَلَوْ كَانَ الْمَقْتُولُ مِنْهَزِمًا وَقَالَ أَحْمَدُ: لَا يَسْتَحِقُّهُ إِلَّا بِالْمُبَارَزَةِ وَعَنِ الْأَوْزَاعِيِّ إِذَا تَقَى الزَّحْفَانِ فَلَا سَلْبَ.

وفيه أيضًا: أَنَّ السَّلْبَ يَسْتَحِقُّهُ الْقَاتِلُ مِنْ كُلِّ مَقْتُولٍ حَتَّى لَوْ كَانَ الْمَقْتُولُ امْرَأَةً وَبِهِ قَالَ أَبُو ثَوْرٍ وَابْنُ الْمُنْذِرِ.

وَقَالَ الْجُمْهُورُ: شَرْطُهُ أَنْ يَكُونَ الْمَقْتُولُ مِنَ الْمَقَاتِلَةِ.

وَقَالَ ابْنُ قِدَامَةَ: وَيَجُوزُ أَنْ يَسْلُبَ الْقَتْلَى وَيَتْرَكُهُمْ عِرَاءَ.

قَالَ الْأَوْزَاعِيُّ: وَكَرِهَهُ الثَّوْرِيُّ وَابْنُ الْمُنْذِرِ ثُمَّ إِنَّهُمْ اتَّفَقُوا عَلَى أَنَّهُ لَا يَقْبَلُ قَوْلُ مَنْ ادَّعَى السَّلْبَ إِلَّا بَيِّنَةٌ تَشْهَدُ لَهُ بِأَنَّهُ قَتَلَهُ وَالْحُجَّةُ فِيهِ قَوْلُهُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ لَهُ عَلَيْهِ بَيِّنَةٌ فَمَفْهُومُهُ أَنَّهُ إِذَا لَمْ تَكُنْ لَهُ بَيِّنَةٌ لَا يَقْبَلُ وَسِيَاقُ أَبِي قَتَادَةَ يَشْهَدُ لَذَلِكَ وَعَنِ الْأَوْزَاعِيِّ يَقْبَلُ قَوْلُهُ بَغِيرَ بَيِّنَةٍ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَعْطَاهُ أَبَا قَتَادَةَ بَغِيرَ بَيِّنَةٍ.

وفيه: نَظَرُ لَأَنَّهُ وَقَعَ فِي مَغَازِيِ الْوَاقِدِيِّ أَنَّ أَوْسَ بْنَ خَوْلِي شَهِدَ لِأَبِي قَتَادَةَ وَعَلَى تَقْدِيرِ أَنْ لَا يَصَحُّ فَيَحْمَلُ عَلَى أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ عَلِمَ أَنَّهُ الْقَاتِلُ بِطَرِيقِ مِنَ الطَّرِيقِ وَأَبْعَدُ مَنْ قَالَ مِنَ الْمَالِكِيَّةِ أَنَّ الْمَرَادَ بِالْبَيِّنَةِ هُنَا الَّذِي أَقْرَأَهُ أَنَّ السَّلْبَ عِنْدَهُ فَهُوَ شَاهِدٌ وَالشَّاهِدُ الثَّانِي وَجُودُ السَّلْبِ فَإِنَّهُ بِمَنْزِلَةِ الشَّاهِدِ عَلَى أَنَّهُ قَتَلَهُ وَلِذَلِكَ جَعَلَ لَوْثًا فِي بَابِ الْقِسَامَةِ وَقِيلَ إِنَّمَا اسْتَحَقَّهُ أَبُو قَتَادَةَ بِإِقْرَارِ الَّذِي هُوَ بِيَدِهِ وَهَذَا ضَعِيفٌ لِأَنَّ الْإِقْرَارَ إِنَّمَا يَفِيدُ إِذَا كَانَ الْمَالُ مَنْسُوبًا لِمَنْ هُوَ بِيَدِهِ فَيُؤَاخَذُ بِإِقْرَارِهِ وَالْمَالُ هُنَا مَنْسُوبٌ لَجَمِيعِ الْجَيْشِ، وَنَقَلَ ابْنُ عَطِيَّةٍ عَنْ أَكْثَرِ الْفُقَهَاءِ أَنَّ الْبَيِّنَةَ هُنَا شَاهِدٌ وَاحِدٌ يَكْتَفِي بِهِ.

19 - باب مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ

يُعْطِي الْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبَهُمْ وَغَيْرَهُمْ مِنَ الْخُمْسِ وَنَحْوِهِ

رَوَاهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَيْدٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

3143 - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ، حَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ، عَنِ الرَّهْرِيِّ، عَنْ سَعِيدِ

ابْنِ الْمُسَيَّبِ، وَعُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، أَنَّ حَكِيمَ بْنَ حَزَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،

19 - باب مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ

يُعْطِي الْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبَهُمْ وَغَيْرَهُمْ مِنَ الْخُمْسِ وَنَحْوِهِ

(باب مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعْطِي الْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبَهُمْ) وهم الذين أسلموا ونيتهم

ضعيفة وهم شرفاء يتوقع بإسلامهم إسلام نظرائهم.

وسياتي تفصيله في تفسير سورة براءة.

(وَعَيْرُهُمْ) أي: غير المؤلفة ممن ظهر له المصلحة في إعطائه.

(مِنَ الْخُمْسِ وَنَحْوِهِ) أي: من مال الخراج والجزية والفيء قَالَ إِسْمَاعِيلُ

القاضي في إعطاء النَّبِيِّ ﷺ للمؤلفة من الخمس دلالة على أن الخمس إلى الإمام يفعل فيه ما يرى من المصلحة.

وَقَالَ الطَّبْرِيُّ: استدل بهذه الأحاديث من زعم أن النَّبِيَّ ﷺ كان يعطي من

أصل الغنيمة لغير المقاتلين قَالَ وهو قول مردود بدليل القرآن والآثار الثابتة

واختلف بعد ذلك من أين كان يعطي المؤلفة فَقَالَ مالك وجماعة من الخمس

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ وجماعة من خمس الخمس.

(رواه⁽¹⁾ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَيْدٍ) أي: ابن عاصم الأنصاري المازني المدني، (عَنِ

النَّبِيِّ ﷺ) وسياتي حديثه الطويل موصولاً في قصة حنين مع الكلام عليه إن

شاء الله تعالى والغرض منه هنا قوله: ﴿وَمَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ﴾ [الحشر: 6] يوم

حنين قسم في الناس في المؤلفة قلوبهم.

(حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ) قَالَ: (حَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ، عَنِ الرَّهْرِيِّ، عَنْ سَعِيدِ

ابْنِ الْمُسَيَّبِ، وَعُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، أَنَّ حَكِيمَ بْنَ حَزَامٍ) وحكيم بفتح الحاء وكسر

(1) أي: روى ما ذكر في الترجمة.

قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ قَالَ لِي: «يَا حَكِيمُ، إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرٌ حُلُوٌّ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافٍ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، وَكَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ، وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى»، قَالَ حَكِيمٌ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، لَا أُرْزَأُ أَحَدًا بَعْدَكَ شَيْئًا حَتَّى أَفَارِقَ الدُّنْيَا، فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يَدْعُو حَكِيمًا لِيُعْطِيَهُ الْعَطَاءَ فَيَأْتِي أَنْ يَقْبَلَ مِنْهُ شَيْئًا، ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ دَعَاهُ لِيُعْطِيَهُ فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ إِنِّي أَعْرِضُ عَلَيْهِ حَقَّهُ الَّذِي قَسَمَ اللَّهُ لَهُ مِنْ هَذَا الْفَيْءِ فَيَأْتِي أَنْ يَأْخُذَهُ، فَلَمْ يَرْزَأُ حَكِيمٌ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ حَتَّى تُؤْفَى.

3144 - حَدَّثَنَا أَبُو الثُّعْمَانِ، حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ زَيْدٍ،

الكاف وحزام بكسر الحاء وتخفيف الزاي كان من المؤلفة قلوبهم.

(قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ قَالَ لِي: «يَا حَكِيمُ، إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرٌ حُلُوٌّ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافٍ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، وَكَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ، وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى»، قَالَ حَكِيمٌ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، لَا أُرْزَأُ) بتقديم الرءاء على الزاي أي: لا أنقص.

قَالَ الْجَوْرِي: يُقَالُ مَا رَزَاتَهُ بِالزَّايِ أَي: مَا نَقَصْتَهُ وَيُقَالُ: رَجُلٌ مَرَزَأُ أَي: كَرِيمٌ يَصِيبُ النَّاسَ خَيْرًا وَالْمَعْنَى هُنَا لَا أَخَذَ.

(أَحَدًا) أَي: مِنْ أَحَدٍ (بَعْدَكَ شَيْئًا حَتَّى أَفَارِقَ الدُّنْيَا، فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يَدْعُو حَكِيمًا لِيُعْطِيَهُ الْعَطَاءَ فَيَأْتِي أَنْ يَقْبَلَ مِنْهُ شَيْئًا، ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ دَعَاهُ لِيُعْطِيَهُ فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ إِنِّي أَعْرِضُ عَلَيْهِ حَقَّهُ الَّذِي قَسَمَ اللَّهُ لَهُ مِنْ هَذَا الْفَيْءِ فَيَأْتِي أَنْ يَأْخُذَهُ، فَلَمْ يَرْزَأُ حَكِيمٌ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ حَتَّى تُؤْفَى) والحديث قد مضى في كتاب الزكاة في باب الاستعفاف في المسألة وقد مرّ الكلام فيه مستوفى.

ومطابقته للترجمة في قوله سألت رسول الله ﷺ فأعطاني ثم سأله فأعطاني وكان حكيماً من المؤلفة قلوبهم.

(حَدَّثَنَا أَبُو الثُّعْمَانِ) مُحَمَّدُ بْنُ الْفَضْلِ السَّدُوسِيُّ قَالَ: (حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ زَيْدٍ

عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ نَافِعٍ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهُ كَانَ «عَلَيَّ اعْتِكَافُ يَوْمٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَبْقِيَ بِهِ»، قَالَ: وَأَصَابَ عُمَرُ جَارِيَتَيْنِ مِنْ سَبْيِ حُنَيْنٍ، فَوَضَعَهُمَا فِي بَعْضِ بُيُوتِ مَكَّةَ، قَالَ: «فَمَنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى سَبْيِ حُنَيْنٍ»، فَجَعَلُوا يَسْعَوْنَ فِي السَّككِ، فَقَالَ عُمَرُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، انْظُرْ مَا هَذَا؟ فَقَالَ: «مَنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى السَّبْيِ»، قَالَ: اذْهَبْ فَأَرْسِلِ الْجَارِيَتَيْنِ،

عَنْ أَيُّوبَ (السختياني، (عَنْ نَافِعٍ) مَوْلَى ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، (أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهُ كَانَ «عَلَيَّ اعْتِكَافُ يَوْمٍ⁽¹⁾ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَبْقِيَ بِهِ»)) وفي رواية جرير بن حازم عند مسلم: أن سؤاله لذلك كان بالجعرانة بعد أن رجع من الطائف وقد أخرج هذا المقدار في كتاب الاعتكاف في باب إذا نذر في الجاهلية أن يعتكف ثم أسلم فإنه أخرجه هناك عن عبيد بن إسما عيل إلى آخره لكن رواه نافع هناك عن ابن عمر أن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهنا عن نافع أن عمر وهذا مرسل لأنه لم يدرك رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ولا عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فكل ما رواه عنهما فهو مرسل وقد مر الكلام فيه.

بقي أنه قد مرّ في كتاب الاعتكاف أنه نذر ليلة وهنا اعتكاف يوم ولا منافاة بينهما لجواز أن يكون نذرهما.

(قَالَ) أَيُّ نَافِعٍ: (وَأَصَابَ عُمَرُ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (جَارِيَتَيْنِ) قَالَ الْحَافِظُ الْعَسْكَلَانِيُّ: لَمْ أَرِ مِنْ سَمَاهُمَا.

(مِنْ سَبْيِ حُنَيْنٍ، فَوَضَعَهُمَا فِي بَعْضِ بُيُوتِ مَكَّةَ، قَالَ: «فَمَنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى سَبْيِ حُنَيْنٍ»، فَجَعَلُوا يَسْعَوْنَ فِي السَّككِ، فَقَالَ عُمَرُ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَابَنَهُ عَبْدَ اللَّهِ: (يَا عَبْدَ اللَّهِ، انْظُرْ مَا هَذَا؟ فَقَالَ: «مَنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى السَّبْيِ»)) وسيأتي صفة ذلك في المغازي وفي هذا السياق حذف تقديره فنظر وسأل عن سبب سعيهم في السكك ف قيل له فَقَالَ لعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (قَالَ) أَيُّ: عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (اِذْهَبْ فَأَرْسِلِ الْجَارِيَتَيْنِ) وفي رواية ابن عيينة قلت ما هذا فقالوا السبي أسلموا فأرسلهم النَّبِيُّ ﷺ فقلت والجارية فأرسلوها ويستفاد منه الأخذ بخبر الواحد وهذا أيضًا مرسل.

قَالَ نَافِعٌ: وَلَمْ يَعْتَمِرْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْجِعْرَانَةِ وَلَوْ اعْتَمَرَ لَمْ يَخَفْ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ، وَزَادَ جَرِيرُ بْنُ حَازِمٍ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: مِنَ الْخُمْسِ، وَرَوَاهُ مَعْمَرٌ،

وَقَالَ الدارقطني: روى سُفْيَانُ بْنُ عيينَةَ عن أيوب حديث الجاريتين فوصله عنه قوم وأرسله آخرون.

(قَالَ نَافِعٌ: وَلَمْ يَعْتَمِرْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْجِعْرَانَةِ وَلَوْ اعْتَمَرَ لَمْ يَخَفْ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ) هكذا رواه أَبُو النعمان شيخ البُخَارِيِّ مرسلاً وفيه إشارة إلى أنه سمع ذلك من ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وقد وصله مسلم وابن خزيمة جميعاً عن أحمد ابن عبدة عن حماد بن زيد فَقَالَ في روايته عن نافع ذكر عند ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عمرة رَسُولِ اللَّهِ ﷺ من الجعرانة فَقَالَ لم يعتمر منها⁽¹⁾ وقد ذكرت في أبواب العمرة الأحاديث الواردة في اعتماؤه من الجعرانة وتقدم في أواخر الجهاد في باب من قسم الغنيمة في غزوه أيضاً حديث أنس في ذلك وقد ذكر في أبواب العمرة سبب خفاء عمرة النَّبِيِّ ﷺ من الجعرانة على كثير من أصحابه فليراجع إليه ومن حفظ حجة على من لم يحفظ فلي تأمل.

(وَزَادَ جَرِيرٌ) بفتح الجيم وكسر الراء الأولى (ابْنُ حَازِمٍ) بالمهملة والزاي، (عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (قَالَ: مِنَ الْخُمْسِ) يعني زاد جرير لفظ عن ابْنِ عُمَرَ فصار متصلاً وَقَالَ أيضاً من الخمس أي: كانت الجاريتان من الخمس قَالَ الدارقطني: حديث جرير موصول وحماد أثبت في أيوب من جرير.

(وَرَوَاهُ) أي: روى حديث الاعتكاف (مَعْمَرٌ) بفتح الميمين هو ابن راشد قَالَ الْحَافِظُ الْعَسْكَلَانِيُّ: اتفقت الروايات كلها على أنه بفتح الميمين بينهما مهملة ساكنة وحكى بعض الشراح أنه بضم الميم وبعد العين مثناة مفتوحة ثم ميم مكسورة على لفظ اسم الفاعل من الاعتمار وهو تصحيف.

(1) وليس في قول نافع حجة لأن ابن عمر رضي الله عنهما ليس كل ما علمه حدث به نافعاً ولا كل ما حدث به حفظه نافع، ولا كل ما علم ابن عمر رضي الله عنهما لا ينسأه والعمرة من الجعرانة أشهر من هذا وأظهر أن يشك فيها.

عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ ابْنِ عُمرَ: فِي النَّذْرِ وَلَمْ يَقُلْ يَوْمَ.

3145 - حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ بْنُ حَارِظٍ، حَدَّثَنَا الْحَسَنُ، قَالَ: حَدَّثَنِي عُمَرُو بْنُ تَغْلِبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَوْمًا وَمَنْعَ آخَرِينَ، فَكَأَنَّهُمْ عَتَبُوا عَلَيْهِ، فَقَالَ: «إِنِّي أُعْطِي قَوْمًا أَخَافُ ظَلَعَهُمْ

وتعقبه العيني: بأنه إن أراد الكرماني فهو لم يقل هكذا وإنما عبارة مَعْمَر بفتح الميمين ابن راشد وفي بعضها مُعْمَر بلفظ الفاعل من الاعتماد وكلاهما أدرك أيوب وسمع منه والأول أشهر.

(عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ ابْنِ عُمرَ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (فِي النَّذْرِ) أي: في حديث النذر يعني: زاد لفظ عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(وَلَمْ يَقُلْ يَوْمَ) يعني لم يذكر لفظ يوم في قوله عليّ اعتكاف يوم ويجوز في يوم الجر بالتنوين على طريق الحكاية ويجوز النصب على الظرفية كذا قَالَ الْعَيْنِي وفيه نظر.

ومطابقة الحديث للترجمة في قوله وأصاب عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جاريتين من سبي حنين.

(حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ) التبوذكي قَالَ: (حَدَّثَنَا جَرِيرٌ بْنُ حَارِظٍ) قَالَ: (حَدَّثَنَا الْحَسَنُ) هو البصري، (قَالَ: حَدَّثَنِي) بالإفراد (عُمَرُو) بالواو (ابْنُ تَغْلِبَ) بفتح المشاة الفوقية وسكون الغين العجمة وكسر اللام⁽¹⁾ وقد مر مع الحديث في كتاب الجمعة في باب من قَالَ في الخطبة أمّا بعد.

(قَالَ: أَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَوْمًا وَمَنْعَ آخَرِينَ، فَكَأَنَّهُمْ عَتَبُوا عَلَيْهِ) أي: لا موا قَالَ الخليل حقيقة العتاب مخاطبة الإدلال ومذاكرة الموحدة.

(فَقَالَ: إِنِّي أُعْطِي قَوْمًا أَخَافُ ظَلَعَهُمْ) بفتح الظاء المعجمة واللام وبالعين المهملة هو الاعوجاج وأصل الظلع الميل وأطلق ههنا على مرض القلب وضعف اليقين.

وَقَالَ الْكِرْمَانِيُّ: وفي بعض النسخ ضلعهم بالضاد المعجمة وهو الغمز في

(1) وهو التمرى بفتح النون والميم.

وَجَزَعَهُمْ، وَأَكْلُ أَقْوَامًا إِلَى مَا جَعَلَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْخَيْرِ وَالْغَنَى، مِنْهُمْ عَمْرُو ابْنُ تَغْلِبَ فَقَالَ عَمْرُو بْنُ تَغْلِبَ: مَا أَحَبُّ أَنْ لِي بِكَلِمَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حُمْرَ النَّعَمِ، وَزَادَ أَبُو عَاصِمٍ، عَنْ جَرِيرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ الْحَسَنَ، يَقُولُ: حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ تَغْلِبَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أُتِيَ بِمَالٍ أَوْ بِسَبْيٍ فَقَسَمَهُ بِهِذَا.

الشيء وفي بعضها هلعهم وهو أفحش الجزع.

(وَجَزَعَهُمْ) بالجيم والزاي ويروى لما أرى في قلوبهم من الجزع.

(وَأَكْلُ) بفتح الهمزة وكسر الكاف على وزن يَعِدُ أَي: أفوض.

(أَقْوَامًا إِلَى مَا جَعَلَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْخَيْرِ وَالْغَنَى) بفتح المعجمة ثم نون ومد هو الكفاية وفي رواية الكشميهني بالكسر والقصر بلفظ ضد الفقر.

(مِنْهُمْ عَمْرُو بْنُ تَغْلِبَ فَقَالَ عَمْرُو بْنُ تَغْلِبَ: مَا أَحَبُّ أَنْ لِي بِكَلِمَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ) أَي: التي قالها في حقه وهي إدخاله في أهل الخير والغنى.

(حُمْرَ النَّعَمِ) قَالَ الْجَوْهَرِيُّ: النعم واحد الأنعام وهي المال الراعية وأكثر ما يقع هذا الاسم على الإبل والحمير بضم الحاء المهملة وسكون الميم جمع أحمر ويقال المراد بالكلمة هي الكلمة التي قالها في حق غيره فالمعنى لا أحب أن يكون لي حمر النعم بدلًا من الكلمة المذكورة التي لي أو أن يكون لي ذلك وتقال تلك الكلمة في حقي.

ومطابقة الحديث للترجمة في قوله اعطى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قومًا.

(وَزَادَ أَبُو عَاصِمٍ) هو الضحاك المشهور بالنيل أحد مشايخ البُخَارِيِّ وهذا من المواضع التي علق البُخَارِيُّ عن بعض شيوخه ما بينه وبينه واسطة فإن أبا العاصم شيخه كما عرفت وقد علق عنه هذا هنا وساقه موصولًا في أواخر الجمعة وأدخل بينه وبين أبي عاصم واسطة حيث قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مَعْمَرٍ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ، (عَنْ جَرِيرٍ) أَي: ابن حازم أنه (قَالَ: سَمِعْتُ الْحَسَنَ، يَقُولُ: حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ تَغْلِبَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أُتِيَ) بضم الهمزة على البناء للمفعول.

(بِمَالٍ) أَوْ بِسَبْيٍ كذا في رواية الكشميهني بالشين المعجمة وفي رواية غيره: (أَوْ بِسَبْيٍ) بفتح السين المهملة وسكون الموحدة وبالمثناة التحتية والأول أعم وأشمل (فَقَسَمَهُ بِهِذَا) أَي: بهذا الوجه الذي ذكر في الحديث.

3146 - حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنِّي أُعْطِي قُرَيْشًا أَتَأَلَّفُهُمْ، لِأَنَّهُمْ حَدِيثُ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ».

3147 - حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، حَدَّثَنَا الزُّهْرِيُّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، أَنَّ نَاسًا مِنَ الْأَنْصَارِ قَالُوا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، حِينَ أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ مِنْ أَمْوَالِ هَوَازِنَ مَا أَفَاءَ، فَطَفِقَ يُعْطِي رَجُلًا مِنْ قُرَيْشِ الْمِائَةِ مِنَ الْإِبِلِ،

(حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ) هشام بن عبد الملك الطيالسي قَالَ: (حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أَنَّهُ (قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنِّي أُعْطِي قُرَيْشًا أَتَأَلَّفُهُمْ» أَي: اطلب إلفهم، (لأنهم) حَدِيثُ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ أَي: قريبو عهد بالكفر ويروى: (حَدِيثُ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ) بالافراد والفعيل يستوي فيه المذكر والمؤنث والجمع وإن كان بمعنى الفاعل على ما قيل والحديث أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ مَطْوَلًا ومختصرًا فأخرجه في مناقب قريش عن سليمان بن حرب وفي المغازي عن بNDAR عن غندر ورفق عن أبي الوليد وآدم على ما يجيء . ومطابقتها للترجمة ظاهرة.

(حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ) الحكم بن نافع قَالَ: (أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، حَدَّثَنَا الزُّهْرِيُّ، قَالَ أَخْبَرَنِي) بالافراد (أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (أَنَّ نَاسًا مِنَ الْأَنْصَارِ قَالُوا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، حِينَ أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ مِنْ أَمْوَالِ هَوَازِنَ مَا أَفَاءَ، فَطَفِقَ) أَي: أخذ وشرع في الفعل وجعل يفعل وهو في أفعال المقاربة.

(يُعْطِي رَجُلًا مِنْ قُرَيْشِ الْمِائَةِ مِنَ الْإِبِلِ) ذكر ابن إسحاق الذين أعطاهم رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يومئذ مائة من الإبل يتألفهم ويتألف بهم قومهم وهم أَبُو سُفْيَانٍ صخر بن حرب وابنه معاوية وحكيم بن حزام والحارث بن الحارث بن كلدة والحارث بن هشام وسهل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى والعلاء بن حارثة الثقفي وعيينة بن حصن وصفوان بن أمية والأقرع بن حابس ومالك بن عوف فهؤلاء أصحاب المئين وأعطى دون المائة رجالاً من قريش منهم مخزومة بن نوفل الزُّهْرِيُّ وعمير بن وهب الجمحي وهشام بن عمرو وأخو بني عامر قَالَ ابن إسحاق لا أحفظ ما أعطاهم وقد عرفت أنها دون المائة وأعطى سعد بن يربوع بن عنبسة ابن عامر بن مخزوم خمسين من الإبل والسهمي كذلك .

فَقَالُوا: يَغْفِرُ اللَّهُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، يُعْطِي قُرَيْشًا وَيَدْعُنَا، وَسُيُوفُنَا تَقْطُرُ مِنْ دِمَائِهِمْ، قَالَ أَنَسٌ: فَحَدَّثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَقَالَتِهِمْ، فَأَرْسَلَ إِلَى الْأَنْصَارِ، فَجَمَعَهُمْ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَمَ، وَلَمْ يَدْعُ مَعَهُمْ أَحَدًا غَيْرَهُمْ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا جَاءَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «مَا كَانَ حَدِيثُ بَلْغَنِي عَنْكُمْ؟». قَالَ لَهُ فَقَهَاؤُهُمْ: أَمَا دَوُّوْا آرَائِنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَلَمْ يَقُولُوا شَيْئًا، وَأَمَّا أَنَسٌ مِنَّا حَدِيثُهُ أَسْنَانُهُمْ، فَقَالُوا: يَغْفِرُ اللَّهُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، يُعْطِي قُرَيْشًا، وَيَتْرُكُ الْأَنْصَارَ، وَسُيُوفُنَا تَقْطُرُ مِنْ دِمَائِهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي أُعْطِي رَجُلًا حَدِيثٌ عَهْدُهُمْ بِكُفْرٍ، أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالْأَمْوَالِ، وَتَرْجِعُونَ إِلَى رِحَالِكُمْ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟» فَوَاللَّهِ مَا تَنْقَلِبُونَ بِهِ خَيْرٌ مِمَّا يَنْقَلِبُونَ بِهِ،

وَقَالَ ابْنُ هِشَامٍ وَاسْمُهُ عَدِي بْنُ قَيْسٍ: وَأَعْطَى عَبَّاسُ بْنُ مَرْدَاسٍ أَبَاعِرَ قَلِيلَةً.

وَقَالَ ابْنُ التَّيْنِ: إِنَّهُمْ فَوْقَ الْأَرْبَعِينَ وَعَدَّ مِنْهُمْ عِكْرَمَةَ بْنَ أَبِي جَهْلٍ (فَقَالُوا: يَغْفِرُ اللَّهُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، يُعْطِي قُرَيْشًا وَيَدْعُنَا، وَسُيُوفُنَا تَقْطُرُ مِنْ دِمَائِهِمْ، قَالَ أَنَسٌ: فَحَدَّثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ) عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ أَيِ: أَخْبَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (بِمَقَالَتِهِمْ) أَيِ: بِمَا قَالَهُ أَنَسٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، (فَأَرْسَلَ إِلَى الْأَنْصَارِ، فَجَمَعَهُمْ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَمَ، وَلَمْ يَدْعُ مَعَهُمْ أَحَدًا غَيْرَهُمْ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا جَاءَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «مَا كَانَ حَدِيثُ بَلْغَنِي عَنْكُمْ؟». قَالَ لَهُ فَقَهَاؤُهُمْ) أَيِ: أَصْحَابُ الْفَهْمِ وَالْعِلْمِ وَاشْتِقَاقُ الْفَقِيهِ هُنَا مِنَ الْفَقْهِ بِمَعْنَى الْفَهْمِ وَلَيْسَ الْمُرَادُ مِنْهُ مَا جَعَلَهُ الْعَرَفُ خَاصًّا بِعِلْمِ الشَّرِيعَةِ بَلْ بِعِلْمِ الْفُرُوعِ مِنْهَا.

(أَمَّا دَوُّوْا آرَائِنَا) أَيِ: أَمَّا أَصْحَابُ رَأْيِنَا الَّذِينَ يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ فِي الْأُمُورِ (يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَلَمْ يَقُولُوا شَيْئًا) مِنْ ذَلِكَ، (وَأَمَّا أَنَسٌ مِنَّا حَدِيثُهُ أَسْنَانُهُمْ) أَرَادَ بِهِمُ الشُّبَّانَ الْجَهَالَ الَّذِينَ مَا تَمَكَّنُوا فِي الْقَوْلِ بِالصَّوَابِ وَقَوْلُهُ أَسْنَانُهُمْ مَرْفُوعٌ بِقَوْلِهِ: حَدِيثُهُ.

(فَقَالُوا: يَغْفِرُ اللَّهُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، يُعْطِي قُرَيْشًا، وَيَتْرُكُ الْأَنْصَارَ، وَسُيُوفُنَا تَقْطُرُ مِنْ دِمَائِهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي أُعْطِي رَجُلًا حَدِيثٌ عَهْدُهُمْ بِكُفْرٍ، أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالْأَمْوَالِ، وَتَرْجِعُونَ إِلَى رِحَالِكُمْ») هُوَ جَمْعُ رَحْلٍ وَهُوَ مَسْكَنُ الرَّجُلِ وَمَا يَسْتَصْحَبُهُ مِنَ الْمَتَاعِ.

(بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟) فَوَاللَّهِ مَا تَنْقَلِبُونَ بِهِ خَيْرٌ مِمَّا يَنْقَلِبُونَ بِهِ) يَعْنِي أَنْ

قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ رَضِينَا، فَقَالَ لَهُمْ: «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ بَعْدِي أُثْرَةً شَدِيدَةً، فَاضْبِرُوا حَتَّى تَلْقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﷺ عَلَى الْحَوْضِ» قَالَ أَنَسٌ: فَلَمْ نَضْبِرْ.

3148 - حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَوْسِيُّ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ صَالِحٍ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عُمَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، أَنَّ مُحَمَّدَ ابْنَ جُبَيْرٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي جُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ، أَنَّهُ بَيْنَا هُوَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمَعَهُ النَّاسُ، مُقْبِلًا مِنْ حُنَيْنٍ، عَلِقَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ الْأَعْرَابُ يَسْأَلُونَهُ حَتَّى اضْطَرُّوهُ إِلَى سَمُرَةٍ،

رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَيْرٌ مِنَ الْمَالِ.

قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ رَضِينَا، فَقَالَ لَهُمْ: «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ بَعْدِي أُثْرَةً» بفتح الهمزة والمثلثة بمعنى الإيثار يقال أثر يؤثر إيثارًا إذا أعطى واستأثر فلان بالشيء أي: استبد به والمعنى أنكم سترون بعد استقلال الأمراء بالأموال وحرمانكم منها.

(شَدِيدَةٌ) صفة أثره.

فَاضْبِرُوا حَتَّى تَلْقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﷺ عَلَى الْحَوْضِ قَالَ أَنَسٌ: فَلَمْ نَضْبِرْ) وهذا الحديث قد مر في كتاب الشرب.

ومطابقته للترجمة ظاهرة.

(حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَوْسِيُّ) قَالَ: (حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ) أي: ابن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، (عَنْ صَالِحٍ) هو ابن كيسان، (عَنْ ابْنِ شِهَابٍ) الزُّهْرِيُّ أَنَّهُ (قَالَ: أَخْبَرَنِي) بِالْأَفْرَادِ (عُمَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ جُبَيْرِ ابْنِ مُطْعِمٍ، أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ جُبَيْرٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي جُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ، أَنَّهُ بَيْنَا هُوَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمَعَهُ النَّاسُ، مُقْبِلًا مِنْ حُنَيْنٍ) نصب على الحال وفي رواية الكشميهني مقله من حنين أي: مرجعه.

(عَلِقَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ الْأَعْرَابُ يَسْأَلُونَهُ حَتَّى اضْطَرُّوهُ إِلَى سَمُرَةٍ) بفتح السين المهملة وضم الميم شجرة طويلة متفرقة الرأس قليلة الظل صغيرة الورق والشوك صلبة الخشب قاله ابن التين.

وقال الداوودي: السمرة هي العضاء.

وقال الخطابي: ورق السمرة أثبت وظلّها أكشف ويقال: هي شجرة الطلح.

فَخَطَفْتُ رِدَاءَهُ، فَوَقَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «أَعْطُونِي رِدَائِي، فَلَوْ كَانَ عَدَدُ هَذِهِ الْعِضَاءِ نَعَمًا، لَقَسَمْتُه بَيْنَكُمْ، ثُمَّ لَا تَجِدُونِي بَخِيلًا، وَلَا كَذُوبًا، وَلَا جَبَانًا».

3149 - حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ، حَدَّثَنَا مَالِكٌ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنْتُ أُمَشِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ، فَأَذْرَكُهُ أَغْرَابِيَّ فَجَذَبَهُ جَذْبَةً شَدِيدَةً، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةٍ

(فَخَطَفْتُ رِدَاءَهُ) أَي: خَطَفْتُ السَّمَرَةَ عَلَى سَبِيلِ الْمَجَازِ أَوْ خَطَفْتُ الْأَعْرَابَ.

(فَوَقَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: أَعْطُونِي رِدَائِي، فَلَوْ كَانَ عَدَدُ هَذِهِ الْعِضَاءِ نَعَمًا) قَالَ الْقَزَاز: الْعِضَاءُ شَجَرُ الشُّوكِ كَالطَّلَحِ وَالْعُوسَجِ وَالسِّدْرِ وَاخْتَلَفَ فِي وَاحِدِهِ فَقِيلَ عِضَةٌ بَفَتْحَتَيْنِ مِثْلَ شَفَةِ وَشَفَاهُ وَالْأَصْلُ عَفْهَةٌ وَشَفْهَةٌ فَحَذَفَتِ الْهَاءُ وَقِيلَ: وَاحِدُهَا عِضَاهَةٌ.

(لَقَسَمْتُه بَيْنَكُمْ، ثُمَّ لَا تَجِدُونِي بَخِيلًا، وَلَا كَذُوبًا، وَلَا جَبَانًا) وَفِي الْحَدِيثِ ذِمُّ الْخِصَالِ الْمَذْكُورَةِ وَهِيَ الْبَخْلُ وَالْكَذِبُ وَالْجَبْنُ وَأَنَّ إِمَامَ الْمُسْلِمِينَ لَا يَصْلَحُ أَنْ يَكُونَ فِيهِ خِصْلَةٌ مِنْهَا وَفِيهِ مَا كَانَ فِي النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الْحِلْمِ وَحَسَنِ الْخُلُقِ وَسِعَةِ الْجُودِ وَالصَّبْرِ عَلَى جَفَاةِ الْأَعْرَابِ وَفِيهِ جَوَازُ وَصْفِ الْمَرْءِ نَفْسَهُ بِالْخِصَالِ الْحَمِيدَةِ عِنْدَ الْحَاجَةِ لَخَوْفِ ظَنِّ أَهْلِ الْجَهْلِ بِهِ خِلَافَ ذَلِكَ وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ مِنَ الْفَخْرِ الْمَذْمُومِ وَفِيهِ رِضَا السَّائِلِ الْمُحَقِّقَ بِالْوَعْدِ إِذَا تَحَقَّقَ مِنَ الْوَعْدِ الْإِنْجَازَ وَفِيهِ أَنَّ الْإِمَامَ مُخِيرٌ فِي قِسْمِ الْغَنِيمَةِ إِنْ شَاءَ بَعْدَ فِرَاقِ الْحَرْبِ وَإِنْ شَاءَ بَعْدَ ذَلِكَ. وَمُطَابَقَتُهُ لِلتَّرْجُمَةِ تَسْتَأْنِسُ مِنْ قَوْلِهِ: «لَقَسَمْتُه بَيْنَكُمْ».

(حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ) قَالَ: (حَدَّثَنَا مَالِكٌ) الْإِمَامُ، (عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ) أَي: ابْنِ أَبِي طَلْحَةَ أَبِي يَحْيَى الْأَنْصَارِيِّ، (عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ) أَنَّهُ (قَالَ: كُنْتُ أُمَشِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ) الْوَاوُ لِلْحَالِ وَالْبُرْدُ بِضْمٍ الْمُوَحَّدَةُ نَوْعٌ مِنَ الثِّيَابِ مَعْرُوفٌ وَالْجَمْعُ أَبْرَادٌ وَبُرُودٌ.

ونجران بالنون المفتوحة وسكون الجيم وبالراء: بلدة باليمن.

(غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ، فَأَذْرَكُهُ أَغْرَابِيَّ فَجَذَبَهُ جَذْبَةً شَدِيدَةً، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةٍ

عَاتِقِ النَّبِيِّ ﷺ قَدْ أَثَرْتُ بِهِ حَاشِيَةَ الرَّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَذْبَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ فَضَحِكَ، ثُمَّ «أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ».

3150 - حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ حُنَيْنٍ، أَثَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَسًا فِي الْقِسْمَةِ، فَأَعْطَى الْأَفْرَعَ بْنَ حَابِسٍ مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ، وَأَعْطَى عُيَيْنَةَ.....

عَاتِقِ النَّبِيِّ ﷺ⁽¹⁾ قَدْ أَثَرْتُ بِهِ حَاشِيَةَ الرَّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَذْبَتِهِ) الجذبة والجبهة بمعنى واحد، (ثُمَّ قَالَ: مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ فَضَحِكَ، ثُمَّ «أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ») وفيه لطف رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وحلمه وكرمه إنه ﴿لَعَلَّ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: 4].

(حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ) قَالَ: (حَدَّثَنَا جَرِيرٌ⁽²⁾ عَنْ مَنْصُورٍ) هو ابن المعتمر، (عَنْ أَبِي وَائِلٍ) شقيق بن سلمة، (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ) أي: ابن مسعود (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أنه (قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ حُنَيْنٍ، أَثَرَ النَّبِيُّ ﷺ) بمد الهمزة أي: اختار (أَنَسًا فِي الْقِسْمَةِ) بالزيادة، (فَأَعْطَى الْأَفْرَعَ بْنَ حَابِسٍ) الأقرع بفتح الهمزة وسكون القاف وباء الراء والمهملة وحابس بالحاء المهملة وكسر الموحدة وآخره سين مهملة ابن عقال بن مُحَمَّد بن سنان بن مجاشع التميمي المجاشعي الداري أحد المؤلفات قلوبهم وكان الأقرع وعيينة بن حصين شهدا مع رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فتح مكة وحنينا والطائف وَقَالَ الذهبي: قَالَ ابن دريد: اسمه فراش ولقب الأقرع لقرع رأسه وكان أحد الأشراف واستعمله عَبْدُ اللَّهِ بن عامر على جيش سيّره إلى خراسان فأصيب هو والجيش بجوزن.

(مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ، وَأَعْطَى عُيَيْنَةَ) بضم العين المهملة وفتح المشاة التحتية الأولى وسكون الثانية وبالنون هو ابن حصين بن حذيفة بن بدر الفزاري من المؤلفات قَالَ الذهبي وكان أحمق مطاعاً دخل على النَّبِيِّ ﷺ بغير إذن وأساء الأدب فصبر النَّبِيُّ ﷺ على جفوته وأعرابيته وقد ارتد ثم آمن فمَنَّ عليه الصديق رضي الله تعالى عنه ثم لم يزل مظهرًا للإسلام واسمه حذيفة ولقبه عيينة لشتر عينه.

(1) صفح كل شيء وجهه وناحيته والعائق ما بين المنكب والعنق.

(2) بفتح الجيم ابن عبد الحميد.

مِثْلَ ذَلِكَ، وَأَعْطَى أَنَسًا مِنْ أَشْرَافِ الْعَرَبِ فَأَثَرَهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْقِسْمَةِ، قَالَ رَجُلٌ: وَاللَّهِ إِنَّ هَذِهِ الْقِسْمَةَ مَا عُذِلَ فِيهَا، وَمَا أُرِيدَ بِهَا وَجْهُ اللَّهِ، فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَأُخْبِرَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، فَأَتَيْتُهُ، فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: «فَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ يَعْدِلِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ؟ رَحِمَ اللَّهُ مُوسَى قَدْ أُودِيَ بِأَكْثَرٍ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ».

(مِثْلَ ذَلِكَ، وَأَعْطَى أَنَسًا مِنْ أَشْرَافِ الْعَرَبِ فَأَثَرَهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْقِسْمَةِ، قَالَ رَجُلٌ) لم أظفر بتسميته: (وَاللَّهِ إِنَّ هَذِهِ الْقِسْمَةَ مَا عُذِلَ فِيهَا، وَمَا أُرِيدَ بِهَا) أي: في هذه القسمة وكلمة أو للشك من الراوي وفي صحيح مسلم بالواو من غير شك (وَجْهُ اللَّهِ، فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَأُخْبِرَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، فَأَتَيْتُهُ، فَأَخْبَرْتُهُ) وفي رواية مسلم فأخبرته بما قَالَ فتغير وجهه حتى كان كالصرف بكسر الصاد المهملة وسكون الراء وآخره فاء هو صبغ أحمر يصبغ به الجلود. وَقَالَ ابن دريد: وقد يسمى الدم صرفًا.

وفي رواية أخرى له قَالَ: فَأَتَيْتِ النَّبِيَّ ﷺ فساررته فغضب من ذلك غضبًا شديدًا واحمرَّ وجهه حتى تمنيت أنني لم أذكر له.

(فَقَالَ: فَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ يَعْدِلِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ؟ رَحِمَ اللَّهُ مُوسَى قَدْ أُودِيَ) على صيغة المجهول (بِأَكْثَرٍ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ) وَقَالَ القاضي عياض: حكم الشرع أن من سب النبي كفر وقتل ولم يذكر في هذا الحديث أن الرجل قتل.

وَقَالَ المازري: يحتمل أن يكون لم يفهم منه الطعن في النبوة وإنما نسبته إلى ترك العدل في القسمة فلعله ﷺ لم يعاقب هذا الرجل لأنه لم يثبت عليه ذلك وإنما نقل عنه واحد وبشهادة الواحد لا يراق الدم.

وقال عباس بن مرداس في ذلك الوقت هذه الأبيات:

أَتَجْعَلُ نَهْبِي وَنَهْبَ الْعُبَيْدِ	بَيْنَ عَيْنَةٍ وَالْأَقْرَعِ
وَمَا كَانَ حَصْنٌ وَلَا حَابِسٌ	يَفُوقَانِ مُرْدَاسَ فِي مَجْمَعِ
وَمَا كُنْتُ دُونَ الْمَرْءِ مِنْهُمَا	وَمَنْ يَخْفِضُ الْيَوْمَ لَا يَرْفَعُ

العبيد مصغر ضد الحر علم فرس، وعباس بفتح المهملة وتشديد الموحدة ومرداس بكسر الميم.

ومطابقة الحديث للترجمة ظاهرة.

3151 - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ غِيلَانَ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، حَدَّثَنَا هِشَامٌ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبِي، عَنْ أَسْمَاءَ ابْنَةِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَتْ: «كُنْتُ أَنْقُلُ النَّوَى مِنْ أَرْضِ الزُّبَيْرِ الَّتِي أَقْطَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى رَأْسِي، وَهِيَ مِنِّي عَلَى ثُلُثِي فَرَسَخٍ» وَقَالَ أَبُو صَمْرَةَ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَقْطَعَ الزُّبَيْرَ أَرْضًا مِنْ أَمْوَالِ بَنِي النَّضِيرِ.

والحديث أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي الْمَغَازِي أَيْضًا وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي الزَّكَاةِ.

(حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ غِيلَانَ) بفتح العين المعجمة وسكون المثناة التحتية وقدم في الصلاة قَالَ: (حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ) حماد بن أسامة قَالَ: (حَدَّثَنَا هِشَامٌ) هو ابن عُرْوَةَ بن الزبير، (قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبِي، عَنْ أَسْمَاءَ ابْنَةِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) أنها (قَالَتْ: كُنْتُ أَنْقُلُ النَّوَى مِنْ أَرْضِ الزُّبَيْرِ الَّتِي أَقْطَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ) أي: أعطاه قطعة من الأراضي التي جعلت الأنصار لرسول الله ﷺ حين قدم المدينة أو من أراضي بني النضير كما في الحديث بعده. (عَلَى رَأْسِي) يتعلق بقوله: انقل.

(وَهِيَ) أي: الأرض التي أقطعه (مِنِّي عَلَى ثُلُثِي فَرَسَخٍ).

ومطابقة الحديث للترجمة في قوله وغيرهم أي: وغير المؤلفه وفي قوله وغيره أي: وغير الخمس.

والحديث أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي النِّكَاحِ مَطْوَلًا وَلَمْ يَذْكُرْ هُنَا إِلَّا قِصَّةَ النَّوَى وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي النِّكَاحِ وَالِاسْتِئْذَانِ وَالنِّسَائِيِّ فِي عَشْرَةِ النِّسَاءِ.

(وَقَالَ أَبُو صَمْرَةَ) بفتح الصاد المعجمة وسكون الميم وبالراء اسمه أنس بن عياض وقد مرَّ في الموضوع.

(عَنْ هِشَامٍ) هو ابن عُرْوَةَ، (عَنْ أَبِيهِ) عُرْوَةَ بن الزبير (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَقْطَعَ الزُّبَيْرَ أَرْضًا مِنْ أَمْوَالِ بَنِي النَّضِيرِ) والغرض من هذا التعليق إفادة فائدتين: إحداهما: أَنَّ أَبَا صَمْرَةَ خَالَفَ أُسَامَةَ فِي وَصْلِهِ فَأَرْسَلَهُ كَمَا نَرَى.

والأخرى: أَنَّ فِي رِوَايَةِ أَبِي صَمْرَةَ تَعْيِينَ الْأَرْضِ الْمَذْكُورَةِ وَأَنَّهَا كَانَتْ مِمَّا آفَاءَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى رَسُولِهِ ﷺ مِنْ أَمْوَالِ بَنِي النَّضِيرِ فَأَقْطَعَ الزُّبَيْرَ مِنْهَا، وَبِذَلِكَ يَرْتَفِعُ اسْتِشْكَالُ الْخَطَابِيِّ حَيْثُ قَالَ: لَا أَدْرِي كَيْفَ أَقْطَعَ النَّبِيُّ ﷺ أَرْضَ الْمَدِينَةِ

3152 - حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ الْمُقْدَامِ، حَدَّثَنَا الْفَضِيلُ بْنُ سُلَيْمَانَ، حَدَّثَنَا مُوسَى ابْنُ عُقْبَةَ، قَالَ: أَخْبَرَنِي نَافِعٌ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ أَجْلَى الْيَهُودِ، وَالنَّصَارَى مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَمَّا ظَهَرَ عَلَى أَهْلِ حَبِيرٍ، أَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ الْيَهُودَ مِنْهَا، وَكَانَتْ الْأَرْضُ لَمَّا ظَهَرَ عَلَيْهَا لِلْيَهُودِ وَلِلرَّسُولِ وَلِلْمُسْلِمِينَ،

وأهلها قد أسلموا راغبين في الدين إلا أن يكون المراد ما وقع من الأنصار أنهم جعلوا للنبي ﷺ ما لا يبلغه الماء من أرضهم فأقطع النبي ﷺ لمن شاء منه.

(حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ الْمُقْدَامِ) أي: ابن سليمان العجلي البصري قَالَ: (حَدَّثَنَا الْفَضِيلُ) بضم الفاء مصغراً (ابْنُ سُلَيْمَانَ) النميري البصري قَالَ: (حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ، قَالَ: أَخْبَرَنِي نَافِعٌ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ عُمَرَ ابْنَ الْخَطَّابِ أَجْلَى الْيَهُودِ، وَالنَّصَارَى) أي: أخرجهم من أوطانهم يقال: أجليت القوم عن وطنهم وجلوتهم وجلي القوم وأجلوا وجلوا (مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ) وإنما فعل هذا عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لقوله ﷺ: «لا يبقين دينان بجزيرة العرب» والصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اشتغل عنه بقتال أهل الردة أو لم يبلغه الخبر، والله تعالى أعلم.

(وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَمَّا ظَهَرَ عَلَى أَهْلِ حَبِيرٍ، أَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ الْيَهُودَ مِنْهَا، وَكَانَتْ الْأَرْضُ لَمَّا ظَهَرَ عَلَيْهَا) على البناء للمفعول (لِلْيَهُودِ وَلِلرَّسُولِ وَلِلْمُسْلِمِينَ) هكذا في رواية الأكثرين.

وفي رواية ابن السكن: لما ظهر عليها لله وللرسول وللمسلمين وقد قيل: إن هذا هو الصواب بدليل ما مرّ في كتاب الحرث في باب إذا قال ربّ الأرض وَقَالَ ابن أبي صفرة والذي في الأصل صحيح أيضاً قَالَ: والمراد لما ظهر عليها أي: لما ظهر على فتح أكثرها قبل أن يسأله اليهود أن يصالحوه فكانت لليهود فلما صالحهم على أن يسلموا له الأرض كانت لله ولرسوله ويحتمل أن يكون المراد بالأرض ما هي أعم من المفتحة وغير المفتحة والمراد بظهوره عليها غلبته لهم وكان حيثئذ بعض الأرض لليهود وبعضها للرسول وللمسلمين ويحتمل أن يكون على حذف المضاف أي: ثمرة الأرض.

فَسَأَلَ الْيَهُودُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَتْرُكَهُمْ عَلَى أَنْ يَكْفُوا الْعَمَلَ وَلَهُمْ نِصْفُ الثَّمَرِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نُقِرُّكُمْ عَلَى ذَلِكَ مَا شِئْنَا»، فَأَقْرُوا حَتَّى أَجْلَاهُمْ عُمُرُ فِي إِمَارَتِهِ إِلَى تَيْمَاءَ، وَأَرِيحَا.

20 - بَاب مَا يُصِيبُ مِنَ الطَّعَامِ فِي أَرْضِ الْحَرْبِ

(فَسَأَلَ الْيَهُودُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَتْرُكَهُمْ عَلَى أَنْ يَكْفُوا الْعَمَلَ وَلَهُمْ نِصْفُ الثَّمَرِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نُقِرُّكُمْ» من التقرير هذه رواية الكشميهني وفي رواية غيره نترككم) (عَلَى ذَلِكَ مَا شِئْنَا، فَأَقْرُوا حَتَّى أَجْلَاهُمْ عُمُرُ فِي إِمَارَتِهِ إِلَى تَيْمَاءَ) بفتح المثناة الفوقية وسكون التحتية وبالمدة قَالَ ابن قرقول: هي من أمهات القرى على البحر من بلاد طَبِئٍ منها يخرج إلى الشام.

وَقَالَ الْبَكْرِي: ترتحل من المدينة وأنت تريد تيماء فتنزل الصهباء لأشجع ثم تنزل أشمذين لأشجع ثم تنزل العين ثم سلاح لبني عذرة ثم تسير ثلاث ليال في الجنباب ثم تنزل تيماء وهي لطبيّ قوله: (وَأَرِيحَا) بفتح الهمزة وكسر الراء وبالحاء المهملة.

قَالَ الْبَكْرِي: أريحا قرية بالشام وهي أرض سميت بأريحا بن لمسك بن أرفخشد بن سام بن نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ.

قَالَ ابْنُ الْمُنِير: أحاديث الباب مطابقة للترجمة إلا هذا الأخير فليس فيه للعطاء ذكر لكن فيه ذكر جهات قد علم من مكان آخر أنها كانت جهات عطاء فبهذا الطريق يدخل تحت الترجمة وقد مر الحديث في كتاب المزارعة في باب إِذَا قَالَ رَبُّ الْأَرْضِ أَقْرَكَ بِمَا أَقْرَكَ اللَّهُ وَقَدْ مَرَّ الْكَلَامُ فِيهِ هُنَاكَ.

20 - بَاب مَا يُصِيبُ مِنَ الطَّعَامِ فِي أَرْضِ الْحَرْبِ

(بَاب مَا يُصِيبُ) المجاهد (مِنَ الطَّعَامِ فِي أَرْضِ الْحَرْبِ) هل يؤخذ منه الخمس أو يباح أكله للمقاتلين وفي المسألة خلاف فعند الجمهور لا بأس بأكل الطعام في دار الحرب بغير إذن الإمام ما داموا فيها فيأكلون منه قدر حاجتهم ولا بأس بذبح البقر والغنم قبل أن يقع في المقاسم.

3153 - حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ حُمَيْدِ بْنِ هِلَالٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُغَفَّلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «كُنَّا مُحَاصِرِينَ قَصْرَ خَيْبَرَ، فَرَمَى إِنْسَانٌ.....

والحاصل: أن الجمهور على جواز أخذ الغانمين من القوت وما يصلح به وكل طعام يعتاد أكله عموماً وكذلك علف الدواب سواء كان قبل القسمة أو بعدها بإذن الإمام أو بغير إذنه والمعنى فيه أن الطعام يعز في دار الحرب فأبيح للضرورة.

والجمهور وأيضاً: على جواز الأخذ ولو لم يكن الضرورة ناجزة وذلك قول الليث والأربعة والأوزاعي وإسحاق واتفقوا أيضاً على جواز ركوب دوابهم وليس ثيابهم واستعمال سلاحهم حال الحرب وردّه بعد انقضاء الحرب وشرط الأوزاعيّ فيه إذن الإمام وعليه أن يرده كلما فرغت حاجته ولا يستعمله في غير الحرب ولا ينتظر برده انقضاء الحرب لئلا يعرض للهلاك وحجته حديث روي عن ابن ثابت من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يأخذ دابة من المغنم فيركبها حتماً إذا أعجفها ردها إلى المغنم وذكر في الثوب كذلك وهو حديث حسن أخرجه أبو داود الطحاوي ونقل عن أبي يوسف أنه حمّله على ما إذا كان الأخذ غير محتاج يتّقي به دابته أو ثوبه بخلاف من ليس له ثوب ولا دابة.

وَقَالَ الزُّهْرِيُّ: لا يأخذ شيئاً من الطعام وغيره إلا بإذن الإمام وَقَالَ سليمان ابن موسى يأخذ إلا أن ينهى الإمام.

وَقَالَ ابن المنذر: قد وردت الأحاديث الصحيحة في التشديد في الغلول واتفق علماء الأمصار على جواز أكل الطعام وجاء الحديث بنحو ذلك فلنقتصر عليه وأما العلف فهو في معناه.

وَقَالَ مالك: يباح ذبح الأنعام وقد تقدم في باب ما يكره من ذبح الإبل في أواخر الجهاد وشيء من ذلك.

(حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ) هشام بن عبد الملك الطيالسي قَالَ: (حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ حُمَيْدِ بْنِ هِلَالٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُغَفَّلٍ) بالغين المعجمة والفاء على وزن مُحَمَّد المدني وكان من أصحاب الشجرة وقد مر في الصلاة.

(قَالَ: كُنَّا مُحَاصِرِينَ قَصْرَ خَيْبَرَ، فَرَمَى إِنْسَانٌ) قَالَ الْحَافِظُ الْعَسْكَلَانِيُّ: لم

بِجِرَابٍ فِيهِ شَحْمٌ، فَنَزَوْتُ لَأَخْذَهُ، فَالْتَفْتُ، فَإِذَا النَّبِيُّ ﷺ، فَاسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ».

أقف على اسمه وفي رواية أبي داود من طريق سليمان بن المغيرة إليّ بجراب يوم خبير فالتزمته.

(بِجِرَابٍ) بكسر الجيم هو المزود وَقَالَ الْقَزَازُ: وهو بفتح الجيم وعاء من جلود وفي غرائب المدونة هو بكسر الجيم وفتحها.

وَقَالَ صَاحِبُ الْمُنْتَهَى: الجراب بالكسر والعامّة تفتح وجمعه أجربة وجرب بإسكان الراء وفتحها.

(فِيهِ شَحْمٌ، فَنَزَوْتُ) بالنون والزاي أي: وثبْتُ مسرعًا.

(لَأَخْذَهُ) وفي رواية سليمان بن المغيرة فالتزمته فقلت لا أعطي اليوم أحدًا من هنا شيئًا وبهذا يتبين قوله: (فَالْتَفْتُ، فَإِذَا النَّبِيُّ ﷺ⁽¹⁾) فَاسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ⁽²⁾ ولعله استحيى من فعله ومن قوله معًا.

وفيه: إشارة إلى ما كانوا عليه في توقيف النبي ﷺ ومن معاناة التنزّه والإعراض عن خوارم المروءة.

وفيه: جواز أكل الشحوم التي توجد عند اليهود وكانت محرمة عليهم وكرهها مالك وعنه تحريمها وكذا عن أحمد وسيأتي ذلك في باب مفرد في كتاب الذبائح إن شاء الله تعالى.

ومطابقة الحديث للترجمة من حيث إن النبي ﷺ رآه ولم ينكر عليه فإن قيل إنه قَالَ فَنَزَوْتُ لَأَخْذَهُ وليس فيه أنه أخذه حتى يتأتى عدم الإنكار فالجواب أنه جاء في رواية سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال عن عَبْدِ اللَّهِ بن مغفل قَالَ: أَصَبْتُ جِرَابًا مِنْ شَحْمِ يَوْمِ خَبِيرٍ قَالَ فَالتَزَمْتَهُ الْحَدِيثُ. رواه مسلم عن شيبان بن فروخ عن سليمان بن المغيرة.

وفي رواية مسلم ما يدل على رضاه ﷺ أيضًا فإنه قَالَ فِيهِ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ متبسّمًا وزاد أَبُو دَاوُدَ والطَّيَالِسي فِي آخِرِهِ فَقَالَ هُوَ لَكَ فَكَانَ عَرَفَ شِدَّةَ حَاجَتِهِ إِلَيْهِ فَسَوَّغَ لَهُ الْاسْتِثْنَاءَ بِهِ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

(1) أي: هناك أو نحوه لأن كلمة إذا للمفاجأة تقع بعدها الجملة.

(2) أي: من النبي ﷺ.

3154 - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «كُنَّا نَصِيبُ فِي مَغَازِينَا الْعَسَلَ وَالْعَنْبَ، فَتَأْكُلُهُ وَلَا نَرْفَعُهُ».

3155 - حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ، حَدَّثَنَا الشَّيْبَانِيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ أَبِي أَوْفَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، يَقُولُ: أَصَابَتْنَا مَجَاعَةٌ لِيَالِي خَيْبَرَ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ خَيْبَرَ وَقَعْنَا فِي الْحُمْرِ الْأَهْلِيَّةِ، فَانْتَحَرْنَاَهَا، فَلَمَّا غَلَّتِ الْقُدُورُ نَادَى مُنَادِي

والحديث قد أخرجَه البخاري في المغازي والذبائح أيضًا وأخرجَه مُسْلِمٌ في المغازي وأبو داود في الجهاد والنسائي في الذبائح.

(حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ) قَالَ: (حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ أَيُّوبَ) هو السخثياني، (عَنْ نَافِعٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كُنَّا نَصِيبُ فِي مَغَازِينَا الْعَسَلَ) بالنصب مفعول نصيب.

(وَالْعَنْبَ، فَتَأْكُلُهُ وَلَا نَرْفَعُهُ) أي: ولا نحمله للادخار ويحتمل أن يراد ولا نرفعه إلى متولي القسمة أو إلى النَّبِيِّ ﷺ لأجل الاستئذان في أكله اكتفاء بما سبق منه من الإذن وعند أبي نعيم من رواية يونس بن محمَّد وعن الإسماعيلي من رواية أحمد بن إبراهيم كلاهما عن حماد بن زيد فزادا فيه والفواكه ورواه الإسماعيلي أيضًا من طريق ابن المبارك عن حماد بن زيد بلفظ: كنا نصيب العسل والسمن في المغازي فنأكله ومن طريق جرير بن حازم عن أيوب بلفظ: أصبنا طعامًا وأغنمًا يوم اليرموك فلم نقسم وهذا الموقوف لا يغير الأول لاختلاف السياق وللأول حكم الرفع للتصريح بكونه في زمن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وأما يوم اليرموك فكان بعده فهو موقوف يوافق المرفوع.

ومطابقة الحديث للترجمة ظاهرة.

(حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ) التبوذكي قَالَ: (حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ) هو ابن زياد العبدي البصري قَالَ: (حَدَّثَنَا الشَّيْبَانِيُّ) بفتح الشين المعجمة وسكون المثناة التحتية وبالموحدة والنون هو سليمان بن أبي سليمان أبو إسحاق الكوفي واسم أبيه فيروز، (قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ أَبِي أَوْفَى) هو عَبْدُ اللَّهِ بن أَبِي أَوْفَى واسم أبي أوفى علقمة، (يَقُولُ: أَصَابَتْنَا مَجَاعَةٌ لِيَالِي خَيْبَرَ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ خَيْبَرَ وَقَعْنَا فِي الْحُمْرِ الْأَهْلِيَّةِ، فَانْتَحَرْنَاَهَا، فَلَمَّا غَلَّتِ الْقُدُورُ نَادَى مُنَادِي

رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «أَكْفُوا الْقُدُورَ، فَلَا تَطْعَمُوا مِنْ لُحُومِ الْحُمْرِ شَيْئًا» قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَقُلْنَا: «إِنَّمَا نَهَى النَّبِيُّ ﷺ لَأَنَّهَا لَمْ تُحْمَسْ» قَالَ: وَقَالَ آخَرُونَ: «حَرَّمَهَا أَلْبَتَّةَ» وَسَأَلْتُ سَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ فَقَالَ: «حَرَّمَهَا أَلْبَتَّةَ»⁽¹⁾.

رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «أَكْفُوا الْقُدُورَ» أَي: اقلبوا من كفأت القدر إذا كببتها لتفرغ ما فيها وأكفأته إذا كببته وإذا أملته.

(فَلَا تَطْعَمُوا مِنْ لُحُومِ الْحُمْرِ شَيْئًا قَالَ عَبْدُ اللَّهِ) هو ابن أبي أوفى راوي الحديث وبين ذلك في المغازي من وجه آخر عن الشيباني بلفظ قَالَ ابن أبي أوفى: فتحدثنا بيننا أي: الصحابة.

(فَقُلْنَا: «إِنَّمَا نَهَى النَّبِيُّ ﷺ لَأَنَّهَا لَمْ تُحْمَسْ» قَالَ) أَي: قال عبد الله (وَقَالَ آخَرُونَ) أَي: جماعة آخرون من الصحابة: («حَرَّمَهَا أَلْبَتَّةَ») يعني قطعاً كلياً وهو منصوب على المصدر يقال بته وألبته من البت وهو القطع والهمزة في لفظ البتة للقطع لا للوصل وذلك بمعزل عن القياس.

(وَسَأَلْتُ سَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ) السائل هو الشيباني وله رواية عن سعيد بن جبيرة في غير هذا الحديث عند النسائي.

(فَقَالَ: «حَرَّمَهَا أَلْبَتَّةَ») والحاصل أن الصحابة اختلفوا في علة النهي عن

(1) قال ابن أبي جمة في البهجة: ظاهر الحديث يدل على تحريم أكل الحمر الأهلية.

والكلام عليه من وجوه:

الوجه الأول: قوله: «أصابتنا مجاعة ليالي خبير» هذه الليالي هل هي على العموم في جميع الليالي أو هو لفظ عام يراد به الخاص ويكون معناه في بعض ليالي خبير محتمل للوجهين معاً وإضافة ليالي إلى خبير يحتمل وجهين أيضاً: أحدهما: أن يكون أراد حين السير إليها.

الثاني: أن يكون أراد حين مشيهم على حصونها فعلى القول بأن الإضافة إلى الليالي على العموم وهو الخروج من أول السفر فهو مرجوح لأن أحداً لا يخرج بغير شيء من الزاد فإن كان على معنى التخصيص احتمل وأما إن كان المراد المشي على حصونها فاحتمل الوجهين معاً العموم والخصوص.

الوجه الثاني: قوله: «فلما كان يوم خبير» يوم خبير يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون أراد يوم فتح خبير.

الثاني: أن يكون أراد يوم قدومهم على خبير أما الأول فمرجوح لأنه لو كان المراد به الفتح لم يكونوا لينحروا الحمر الأهلية لأن الفتح إذا كان بالضرورة أن يكون الطعام كثيراً لديهم =

لحم الحمر هل هو لذاتها أو لمعارض؟ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بن أَبِي أَوْفَى رَضِيَ اللَّهُ

لأن حصنا من الحصون يكون معمورًا لا يخلو من الطعام البتة.
الوجه الثالث: قوله: «وقعنا في الحمر الأهلية» الوقوع فيها هو غنيمتهم إياها بغير قصد لأنك تقول فلان وقع في كذا إذا لم يقصده وإنما وقع فيه بحكم الوفاق.
الوجه الرابع: قوله: «فانتحرناها» نحرهم لهذه الحمر لا يخلو أن يكونوا عالمين بتحريمها أو لم يكن لهم علم بذلك فإن كانوا عالمين بالتحريم فيكون ذبحهم لها من أجل الاضطرار إليها وهي المخصصة التي أصابتهم ففعلهم هذا اتباعًا للأمر قد أحل للمضطر أكل الميتة وذلك إذا مرت عليه ثلاثة أوقات والحمر الأهلية مثل الميتة سواء كلاهما يعمهما التحريم لغير موجب فعمتهما الإباحة للموجب لأن ما لا يؤكل إذا ذكي فهو ميتة فحكمه حكم الميت وإن كانوا غير عالمين بالتحريم ففيه دليل لمن ذهب من العلماء أن الأصل الإباحة حتى يرد النهي لأن العلماء اختلفوا في هذا المعنى على قولين فمنهم من ذهب إلى أن الأصل الحظر حتى يتبين التحليل ومنهم من ذهب إلى أن الأصل الإباحة يرد النهي فإن كان الأصل الحظر فما استباحوها إلا لموجب وهو العذر وإن كان الأصل الإباحة فهم ما أحدثوا شيئًا وإنما استصحبوا الأصل وقوله انتحرناها احتملت وجهين:

أحدهما: أن تكون من أبنية المبالغة أي: سارعوا إليها بأنفسهم ولم يتركوا إليها غيرهم واحتمل أن تكون بمعنى التسبب أي: تسببوا في نحرها بالأمر ثم بقي على الفصل.

سؤال: وهو أن يقال لم انتحروها أولا عند وقوعهم في الحمر من غير أن يستأذنوا النبي ﷺ في ذلك.

والجواب: عنه من وجهين وهما ما تقدم هل الأصل الإباحة أو الحظر فإن كان الأصل الإباحة فقد تقدم توجيهه وإن كان الأصل الحظر قد تقدم توجيهه أيضًا.

الوجه الخامس: من البحث المتقدم قوله: «فلما غلت القدور نادى منادي رسول الله ﷺ أكفئوا القدور ولا تطعموا من لحوم الحمر شيئًا» أكفئوا القدور بمعنى حولوها عن النار ولا تطعموا من لحوم الحمر شيئًا أي: لا تأكلوا منها شيئًا ويرد على هذا الفصل سؤالان:

الأول: أن يقال لِمَ أمر بالإكفاء عند غليان القدور ولم يأمر به قبل ذلك.

الثاني: أن يقال لِمَ نهاهم عن أكلها وقد كانت لهم مباحة لوجود الاضطرار إليها.

الجواب: عن الأول أنه قد جاء في رواية أخرى زيادة تبين هذا المعنى قال فيها لما رأى كثرة النيران سأل عنها ف قيل له انتحرنا الحمر الأهلية فأمر عليه السلام إذ ذاك.

وفي هذا دليل على كثرة مشاهدته عليه السلام لشأن أصحابه وما يزيد عليهم وما ينقص والسؤال عن جميع أحوالهم فعلى هذا يجب على كل من كان راعيًا على أي شيء استرعاه دوام النظر إليه والالتفات لما يزيد فيه وينقص حتى يعلم ما حكم الله تعالى فيما يظهر من الزيادة والنقص فينفذه وهذا على التقسيم الذي ذكرناه قبل في غير هذا الحديث من رعاية الأعلى إلى الأدنى حتى إلى جوارحه لأن الغفلة عن ذلك توقع الخلل يؤيد هذا قوله عليه السلام في صفة المؤمن «كيس حذر فطين».

عَنْهُمَا فَقُلْنَا إِنَّمَا نَهَى النَّبِيُّ ﷺ لَأَنْهَا لَمْ تَخْمَسْ فَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا إِذَا خُمِّسَتْ

والجواب: عن الثاني أنه عليه السلام إنما نهاهم عن أكلها لوجود أحسن منها وهي الخيل لأنه قد جاء في حديث غير هذا أنهم انتحروا الخيل هناك فقد يكون الصحابة رضي الله عنهم تركوا الخيل لاحتياجهم إليها للقتال فاختاروا أكل الحمر للمنفعة التي يؤملونها في ترك الخيل فأمرهم النبي ﷺ أن يتركوا ما أرادوا فعله وإن يقيموا ضرورتهم بالخيل لأنها ليست بحرام ففضل عليه السلام أقل الضررين لأن الحمر عينها حرام لا يجوز أكلها شرعاً والفرس حلال على المشهور من الأقاويل ليس فيه غير ما يؤمل من فائدة القتال عليه والضرر الذي يلحق من أجل ذبحه متوقع هل يقع أولاً يقع وهو احتياجهم إليها حين القتال وهذه الخيل يحتمل أن يكون وقعوا فيها مع الحمر فتركوها للجهاد وفضلوا أكل الحمر عليها لأجل علة الجهاد ويحتمل أن تكون خيلهم التي خرجوا بها وفيما قرئناه دليل على أن المرء ينظر في أموره وتصرفاته فإذا اجتمع له أمران فإن كان خيراً أخذ أعلاهما وإن كانا شراً أخذ أدناهما ولأجل العمل على هذه القاعدة استراح أهل الصوفية من مكابدة الدنيا وهمها لأنهم أخذوا أقل الضررين وهو ما لهم في الدنيا من المجاهدات لتحصل لهم الراحة الدائمة في الآخرة فحصل لهم بضمن ذلك راحتان معاً لأن أكبر الراحة في الدنيا هو الزهد فيها وهو أول قدم عندهم في السلوك وقد قال علي رضي الله عنه لو كانت الدنيا من فضة والآخرة من خزف وكانت الدنيا فانية والآخرة باقية لكان الأولى أن يزهد في الفانية ويعمل للباقية والأمر بضد ذلك ولأجل ترك النظر إلى هذه القاعدة تعب أهل الدنيا التعب الكلي فهم أبداً يؤملون الراحة لأنفسهم ويعملون عليها والشقاء والتعب يستقبلهم فلم يزالوا على هذا الحال حتى يفاجئهم الموت وهم في تعب وضنك ثم يرجعون إلى تعب أكثر مما كانوا فيه وهي المحاسبة على ما جمعوا وفيما أنفقوا ولهذا قال الغزالي رحمه الله مساكين أهل الدنيا طلبوا الراحة فأخطؤوا الطريق فاستقبلهم العذاب ومعناه ظاهر لأنهم قصدوا الراحة ورأوا أنها لا تكون إلا بحطام الدنيا فأخذوا في جمعه وصبروا على ما فيها من الكد وفاجأهم الموت ولم يحصل لهم ما أملوا من الراحة فيها ثم انتقلوا إلى التعب الآخر الذي تقدم ذكره ثم بقي على الفصل .

سؤال الوارد: وهو أن يقال لم ذكر الإكفاء وترك الإطعام وذكر أحدهما يغني عن الآخر.

والجواب: عنه أنه إنما أمر أولاً بالإكفاء لأن ما ظهر منكراً فقدم تغيير المنكر.

وفيه: دليل على الإسراع لتغيير المنكر عند معاينته لأن النبي ﷺ لم يتركه حين رآه حتى غيره وتغييره على أقسام وقد ذكرناه في غير ما حديث ووجه ثان وهو أنه لو اقتصر لهم على قوله أكفئوا القدور لحملوه على العموم في الكل ويحتمل أن يكون في القدور ما هو حلال فلما عقب ذلك بذكر المحرم أعطى قوة للكلام أن لا يكفأ من القدور إلا ما نص على تحريمه.

وفي هذا دليل عليه السلام أن أمر الشارع عليه السلام يؤخذ على عموميه ولا يخص ولا يتأول إلا في مواضع لا يمكن فيها العموم لقريئة تخصصه ومما يؤيد هذا فعله عليه السلام حين أنزل الله عليه: ﴿وَاللَّهُ يَتَصَدَّقُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: 67] فأخذها على العموم ولم يخص ناساً دون آخرين ولا وقتاً دون وقت وإنما قال لأصحابه «اذهبوا فإن الله قد عصمني من الناس» وكان =

تَوْكَلْ وَقَالَ آخَرُونَ لَأَنْهَآ كَانَتْ تَأْكُلُ الْعِذْرَةَ وَقَالَ بَعْضُهُمْ مِنْهُمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ

كذلك وبقي فيما بعد لا يقي نفسه المكربة بشيء ثقة منه ﷺ بالله تعالى وبعموم اللفظ ولأجل هذا أخذ على العموم من غير تأويل على ما قررناه وسعد أهل التوفيق والسعادة العظمى لأنهم سمعوه عز وجل يقول في كتابه: ﴿يَأْتِيهَا الْيَتِيمُ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنْ أَتَمَّكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٦﴾ [الأنفال: 64] فعملوا على الاتباعية ولم يلتفتوا لغيرها فصدقوا وصدقوا في الإيمان والاتباعية فأنجز لهم ما وعدوا والمتأولون دخلوا في التعب والحيرة وقد حكى عن بعض الفضلاء أنه رأى شيئاً من آثار القدرة ولم ير نفسه لذلك أهلاً فجعل يعتذر ويتذلل فقليل له عملت على الحق فأريت الحقيقة وعملوا على التأويل فعملوا بحسب ما عملوا وعند الله تجتمع الخصوم.

وفيه دليل: أيضاً على أن الإمام ينظر في مصالح رعيته على العموم وعلى الخصوص ويحذر من أن ينفع قومًا ويضر آخرين بسببه لأن النبي ﷺ لما أن أمر بإكفاء القدر خاف لثلا يقع بأحد مضرة لعموم اللفظ فأتى بما يخصص المقصود ولا يلحق به مضرة لمخلوق كما ذكر.

الوجه السادس: من البحث المتقدم قوله: «فقلنا إنما نهى النبي ﷺ عنها لأنها لم تخمس وقال آخرون حرمة البتة» إلى آخر الحديث فيه وجوه:

الأول: إن السؤال والبحث في الأمر لا يكون إلا بعد الامتثال لأن الصحابة رضي الله عنهم لما أن أمرهم النبي ﷺ بما أمر امتثلوا الأمر في الحين ولم يعترضوا ولم يبحثوا فلما أن كان بعد امتثالهم وحينئذ رجعوا إلى البحث في التحريم هل هو لعة أو لغير علة وأعطى اجتهد بعضهم أنه تعبد لغير علة وأعطى اجتهد بعضهم أنه لعة وذكرها.

الثاني: إن المجتهدين إذا اختلفوا في الحكم وكان في زمانهم من هو أعلم بالقضية منهم يأتون إليه ويسألونه عن قضيتهم لأن الصحابة رضوان الله عليهم لما أن وقع الخلاف بينهم وقال كل أحد باجتهاده أتوا إلى سعيد بن جبير الذي هو من كبار التابعين وفضلائهم فسألوه.

الثالث: هل التحريم لعة أم لا؟ فإن قلنا إن التحريم تعبد فلا بحث وإن قلنا إنه لعة فهل هي معقولة المعنى أم لا؟ الظاهر أنها لعة وهي معقولة المعنى بيان ذلك أن الله جل جلاله هو بالمؤمنين رؤوف رحيم كما أخبر في كتابه: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: 43] فهو عز وجل ينظر لهم ما هو الأصلح في حقهم فيأمرهم به وما هو ضرر في حقهم فينهاهم عنه وبنو آدم بذلك جاهلون فلو قيل لهم افعلوا ولا تفعلوا ولا يناط بذلك ثواب ولا عقاب لكان بعضهم يفعلون أشياء يضررون بها أنفسهم فمن لطفه عز وجل جعل الثواب والعقاب على ارتكاب المخالفة حتى يسلموا من بليتها ثم جاد عز وجل وتفضل بالتوبة على من وقع فيها إذا رجع عنها كل هذا لطف منه عز وجل بالمؤمنين ورحمة وكل مخالفة بلاؤها ظاهر لا يخفى وإنما يقع الكلام على ما نحن بسبيله وما كان من جنسه تشير إليه ليتيقظ إلى هذه الحكمة العظمى واللفظ الأكبر بيان ذلك أن الحمار معروف بالبلادة وهي تتعدى لأكله على ما عهد مع قساوة القلب الذي يحدث به وهذا ضد صفة المؤمن لأن من صفة المؤمن أن يكون كيساً حذراً فطيناً والبلادة تذهب بهذه الأوصاف أيضاً أعني المؤمن أن يكون خائفاً راجياً وقساوة القلب تذهب بذلك فحرمة الشارع عليه السلام لأجل هذا المعنى لأن الله جل جلاله أرسله رحمة للعالمين ومما يقاربه في =

أبي ليلي إنما كرهت إبقاءً على الظهر وخشية أن تفنى .

وَقَالَ الْحَافِظُ الْعَسْقَلَانِيُّ : والغرض منه أي : من إيراد الحديث هنا أنه يشعر بأن عاداتهم جرت بالإسراع إلى المأكولات وانطلاق الأيدي فيها ولولا ذلك ما أقدموا بحضرة النَّبِيِّ ﷺ على ذلك فلمَّا أمروا بالإراقة كفَّوا وقد ظهر أنه لم يأمرهم بإراقة لحوم الحمر إلا لأنها لم تخمس وأما حديث ثعلبة بن الحكم قَالَ أَصَبْنَا يَوْمَ خَيْبَرَ غَنَمًا فَذَكَرَ الْأَمْرَ بِإِكْفَائِهَا وَفِيهِ فَإِنَّهَا لَا تَحِلُّ النَّهْبَةُ قَالَ ابْنُ الْمُنْذِرِ : إنما كان ذلك لأجل ما وقع من النهبة لا أن أكل نعم أهل الحرب غير جائز .

وقال العيني : فإن قلت : روى ابن شاهين في ناسخه استدلالاً على نسخ التحريم بإسناد جيد عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ خَيْبَرَ أَنْ نَكْفِيَ الْحُمُرَ الْأَهْلِيَّةَ نِيَةً وَنَضِجَةً ثُمَّ أَمَرَ بَعْدَ ذَلِكَ .

وروى أبو داود أيضًا من حديث غالب بن الجرانة قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَ يَبْقَى فِي مَالِي شَيْءٌ أَطْعَمَ أَهْلِي إِلَّا حُمُرَ لِي فَقَالَ : « أَطْعَمَ أَهْلَكَ مِنْ سَمِينٍ مَالِكَ » قلت الأحاديث الصحيحة الثابتة ترد ذلك كله .

وَقَالَ الْخَطَّابِيُّ : حديث غالب مختلف في إسناده فلا يثبت والنهي ثابت وَقَالَ عَبْدُ الْحَقِّ لَيْسَ هُوَ بِمَتَّصِلِ الْإِسْنَادِ وَقَالَ السَّهْلِيُّ ضَعِيفٌ لَا يَعَارِضُ بِمِثْلِهِ حَدِيثُ النَّهْيِ .

وحديث الباب أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي الْمَغَازِي أَيْضًا وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي الذَّبَائِحِ وَالنِّسَائِيُّ فِي الصَّيْدِ وَابْنُ مَاجَةَ فِي الذَّبَائِحِ وَمِنْ أَحَادِيثِ الْبَابِ حَدِيثُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَيْضًا أَصَبْنَا طَعَامًا يَوْمَ خَيْبَرَ فَكَانَ الرَّجُلُ يَجِيءُ فَيَأْخُذُ مِنْهُ مِقْدَارَ مَا يَكْفِيهِ ثُمَّ يَنْصَرِفُ . أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَالْحَاكِمُ وَالطَّحَاوِيُّ وَلَفْظُهُ فَيَأْخُذُ مِنْهُ حَاجَتَهُ .

= النسبة الميتة أيضًا لأنها سم قاتل فإذا أكلت عادت بالضرر فحرمها عز وجل لأجل هذا المعنى فإذا بقي المرء ثلاثة أوقات كثر سم بدنه فغلب سم الميتة فلم تضره فأحلها عز وجل لزوال المضرة منها ولما كان الفرس ليس فيه مضرة غير أنه إذا ديم على أكله أحدث الفساوة في القلب كان أكله مكروهاً ثم بهذه النسبة جميع الأشياء الكراهية فيها والتحريم بحسب ما كان فيها من الضرر ومن رزق النظر بالنور يجده محسوسًا ومعنويًا على ما ذكره العلماء والفضلاء ، وبالله التوفيق .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

58 - كِتَابُ الْجِزْيَةِ وَالْمُؤَادَعَةِ

1 - باب الْجِزْيَةِ وَالْمُؤَادَعَةِ مَعَ أَهْلِ الْحَرْبِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

58 - كِتَابُ الْجِزْيَةِ وَالْمُؤَادَعَةِ

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) باب الْجِزْيَةِ كَذَا فِي رِوَايَةِ الْأَكْثَرِ، وَوَقَعَ عِنْدَ أَبِي نَعِيمٍ وَابْنِ بَطَالٍ: (كِتَابُ الْجِزْيَةِ).

وَأَمَّا الْبِسْمَلَةُ فَهِيَ مَوْجُودَةٌ عِنْدَ الْكُلِّ سِوَى أَبِي ذَرٍّ.

وَالْجِزْيَةُ مِنَ الْجَزَاءِ، لِأَنَّهَا مَالٌ يُؤْخَذُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ جِزَاءَ الْإِسْكَانِ فِي دَارِ الْإِسْلَامِ أَوْ جِزَاءً عَنْ قَتْلِهِ، وَقِيلَ مِنْ جِزَأْتُ الشَّيْءَ إِذَا قَسَمْتَهُ ثُمَّ سَهَلْتُ الْهَمْزَةَ فَهِيَ فِعْلَةٌ مِنَ الْجِزْءِ وَقِيلَ مِنَ الْإِجْزَاءِ لِأَنَّهَا تَكْفِي مَنْ يَوْضَعُ ذَلِكَ عَلَيْهِ فِي عَصْمَةِ دَمِهِ.

(وَالْمُؤَادَعَةُ) أَيُ: الْمِتَارَكَةُ وَالْمِصَالِحَةُ وَالْمِرَادُ مِتَارَكَةُ أَهْلِ الْحَرْبِ مَدَّةً مَعِينَةً لِمَصْلَحَةٍ.

1 - باب الْجِزْيَةِ وَالْمُؤَادَعَةِ مَعَ أَهْلِ الْحَرْبِ

(بَابُ الْجِزْيَةِ وَالْمُؤَادَعَةِ مَعَ أَهْلِ) الذِّمَّةِ وَ(الْحَرْبِ) فِيهِ لَفٌّ وَنُشْرٌ عَلَى التَّرْتِيبِ لِأَنَّ الْجِزْيَةَ مَعَ أَهْلِ الذِّمَّةِ وَالْمُؤَادَعَةَ مَعَ أَهْلِ الْحَرْبِ.

قَالَ ابْنُ الْمُنِيرِ: وَلَيْسَ فِي أَحَادِيثِ الْبَابِ مَا يُوَافِقُهَا إِلَّا الْحَدِيثُ الْأَخِيرُ فِي تَأْخِيرِ النُّعْمَانِ بْنِ مِقْرَنٍ الْقِتَالَ وَانْتِظَارِهِ زَوَالَ الشَّمْسِ.

وَقَالَ الْحَافِظُ الْعَسْقَلَانِيُّ: وَلَيْسَتْ هَذِهِ الْمُؤَادَعَةُ الْمَعْرُوفَةُ وَالَّذِي يَظْهَرُ أَنَّ الصَّوَابَ مَا وَقَعَ عِنْدَ أَبِي نَعِيمٍ مِنْ إِثْبَاتِ لَفْظِ كِتَابٍ فِي صَدْرِ هَذِهِ التَّرْجُمَةِ وَيَكُونُ الْكِتَابُ مَعْقُودًا لِلْجِزْيَةِ وَالْمِهَادَنَةِ وَالْأَبْوَابُ الْمَذْكُورَةُ بَعْدَ ذَلِكَ مَفْرَعَةٌ عَنْهُ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَتَبْلُغُوا الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ

قَالَ الْعُلَمَاءُ: الْحِكْمَةُ فِي وَضْعِ الْجِزْيَةِ أَنَّ الذِّلَّ الَّذِي يُلْحَقُهُمْ يَحْمِلُهُمْ عَلَى الدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ.

(وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى) بِالْجَرِّ عَطْفٌ عَلَى الْجِزْيَةِ وَهَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ فِي سُورَةِ التَّوْبَةِ وَهِيَ الْأَصْلُ فِي مَشْرُوعِيَةِ الْجِزْيَةِ وَلَمَّا تَمَهَّدَتْ أُمُورُ الْمُشْرِكِينَ وَدَخَلَ النَّاسُ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا وَاسْتَقَامَتْ جَزِيرَةُ الْعَرَبِ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ بِقِتَالِ أَهْلِ الْكِتَابِينَ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى وَكَانَ ذَلِكَ فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَلِهَذَا جَهَزَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِقِتَالِ الرُّومِ وَدَعَا النَّاسَ إِلَى ذَلِكَ وَبَعَثَ إِلَى أَحْيَاءِ الْعَرَبِ حَوْلَ الْمَدِينَةِ فَنَدَبَهُمْ فَأَوْعَبُوا مَعَهُ وَاجْتَمَعَ مِنَ الْمُقَاتِلَةِ نَحْوُ مِنْ ثَلَاثِينَ أَلْفًا وَتَخَلَّفَ بَعْضُ النَّاسِ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمِنْ حَوْلِهَا مِنَ الْمُنَافِقِينَ وَغَيْرِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ فِي عَامٍ جَدَّبَ وَوَقْتُ قَيْظٍ وَحَرٍّ وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ﷺ يَرِيدُ الشَّامَ لِقِتَالِ الرُّومِ فَلَبِغَ تَبُوكَ فَنَزَلَ بِهَا وَأَقَامَ عَلَى مَائِهَا قَرِيبًا مِنْ عَشْرِينَ يَوْمًا ثُمَّ اسْتَخَارَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الرَّجُوعِ فَرَجَعَ لَضَيْقِ الْحَالِ وَضَعْفِ النَّاسِ وَالْآيَةُ هِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَتَبْلُغُوا الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ أَي: لَا يُؤْمِنُونَ بِهِمَا عَلَى مَا يَنْبَغِي فَإِنْ إِيْمَانُهُمْ كَلَّا إِيْمَانٌ.

(﴿وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾) مَا ثَبَتَ تَحْرِيمَهُ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَقِيلَ رَسُولُهُ هُوَ الَّذِي يَزْعُمُونَ اتِّبَاعَهُ وَالْمَعْنَى يَخَالِفُونَ أَصْلَ دِينِهِمُ الْمُنْسُوخَ اعْتِقَادًا وَعَمَلًا.

(﴿وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ﴾) الثَّابِتُ الَّذِي هُوَ نَاسِخُ سَائِرِ الْأَدْيَانِ.
(﴿مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾) بَيَانٌ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ (﴿حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ﴾) مَا تَقَرَّرَ عَلَيْهِمْ أَنْ يُعْطَوْهُ⁽¹⁾ مُشْتَقٌّ مِنْ جَزَى دِينِهِ إِذَا قَضَاهُ وَقَدْ تَقَدَّمَ غَيْرُ ذَلِكَ فِي اشْتِقَاقِهِ.

(﴿عَنْ يَدٍ﴾) حَالٌ مِنَ الضَّمِيرِ أَي: عَنْ يَدِ مُؤَاتِيَةٍ بِمَعْنَى مُنْقَادِينَ أَوْ عَنْ يَدِهِمْ

(1) أَي: إِنْ لَمْ يَسْلَمُوا.

وَهُمْ صَغُرُونَ ﴿٢٩﴾ [التوبة: 29] أَذْلَاءٌ،

بمعنى مسلمين بأيديهم غير باعثين بأيدي غيرهم ولذلك منع من التوكيل فيه أو عن غني ولذلك قيل لا يؤخذ من الفقير أو عن يد قاهرة عليهم بمعنى عاجزين أذلاء أو حال من الجزية بمعنى نقدًا مسلمة عن يد إلى يد أو عن إنعام عليهم فإن إبقاءهم بالجزية نعمة عظيمة عليهم وقيل: عن يد أي: عن طيب نفس وكل من أطاع لقاهر وأعطاه عن طيب نفس من يده فقد أعطاه عن يد.

(وَهُمْ صَغُرُونَ) ذليلون حقيرون مهانون فلهذا لا يجوز إغزازهم ولا رفعهم على المسلمين بل أذلاء أشقياء.

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا تَوَخَّذَ الْجَزْيَةَ مِنَ الذَّمِّ وَتَوَجَّأَ عُنْقَهُ ومفهوم الآية عند من يعتبره يقتضي تخصيص الجزية بأهل الكتاب وسيجيء التفصيل في ذلك إن شاء الله تعالى.

(أَذْلَاءٌ) هذا تفسير من البُخَارِيِّ لقوله تعالى: ﴿وَهُمْ صَغُرُونَ﴾ قَالَ أَبُو عبيدة في المجاز الصاغر الذليل الحقير.

﴿وَالْمَسْكَنَةُ﴾ مَصْدَرُ الْمَسْكِينِ من عادة البُخَارِيِّ أنه يذر ألفاظ القرآن التي لها أدنى مناسبة بينها وبين ما هو المقصود في الباب ويفسرها وقد ورد في حق أهل الكتاب وضربت عليهم الذلة والمسكنة فهنا أيضًا جرى على عادته فَقَالَ والمسكنة مصدر المسكين.

قَالَ الْعَيْنِيُّ: المسكنة الفقر المدقع.

وَقَالَ ابن الأثير: فقر النفس فإن كان مراد البُخَارِيِّ من المصدر الاصطلاحي فلا يصح على ما لا يخفى وإن كان مراده الموضع فكذلك لأنه لا يقال المسكنة موضع صدور المسكين، انتهى.

وفيه نظر لأنه ليس مراده هذا ولا ذاك بل مراده أنه من المصادر المصنوعة كالسبحة والحقلة، فافهم.

أَسْكَنُ من فلانٍ: أَخَوُجُ مِنْهُ إشارة إلى أن المسكين يؤخذ من قولهم: فلان أَسْكَنُ من فلانٍ أي: أَخَوُجُ مِنْهُ وليس من السكون الذي هو ضد الحركة وفيه أن المسكنة والمسكين وما يشق من ذلك كله من السكون الذي بمعنى ضد الحركة

«وَمَا جَاءَ فِي أَخْذِ الْجِزْيَةِ مِنَ الْيَهُودِ، وَالنَّصَارَى، وَالْمَجُوسِ وَالْعَجَمِ»

كَأَنَّ الْفَقْرَ أَسْكَنَهُ وَقَطَعَهُ عَنِ الْحَرَكَةِ وَلَمْ يَذْهَبْ إِلَى السُّكُونِ قِيلَ : قَوْلُهُ وَالْمَسْكَنَةُ إِلَى آخِرِهِ مِنْ كَلَامِ أَبِي عُبَيْدَةَ فِي الْمَجَازِ.

وَقِيلَ الْقَائِلُ وَلَمْ يَذْهَبْ إِلَى السُّكُونِ قِيلَ : هُوَ الْفَرَبْرِي الرَّائِي عَنِ الْبُخَارِيِّ أَرَادَ أَنْ يَنْبَهَ عَلَى أَنَّ قَوْلَ الْبُخَارِيِّ أَسْكَنَ مِنَ الْمَسْكَنَةِ لَا مِنَ السُّكُونِ وَإِنْ كَانَ أَصْلُ الْمَادَةِ وَاحِدًا قَالَه الْحَافِظُ الْعَسْقَلَانِيُّ .

وَتَعْقِبُهُ الْعَيْنِيُّ حَيْثُ قَالَ مَنْ قَالَ مِمَّنْ تَصْدَى لشرح الْبُخَارِيِّ أَوْ مِنْ غَيْرِهِمْ : إِنْ قَائِلُ هَذَا هُوَ الْفَرَبْرِي وَهَذَا تَخْمِينٌ وَحْدَسٌ وَلِئِنْ سَلَّمْنَا أَنَّ أَحَدًا مِنْهُمْ ذَكَرَ هَذَا عَلَى الْإِبْهَامِ فَلَا يَفِيدُ شَيْئًا لِأَنَّ الْمُتَصَرِّفَ فِي مَادَةٍ خَارِجًا عَنِ الْقَاعِدَةِ لَا يُؤْخَذُ مِنْهُ وَهَذَا مِمَّا لَا نِزَاعَ فِيهِ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

(وَمَا جَاءَ) عَطَفَ عَلَى مَا قَبْلَهُ وَهُوَ مِنْ بَقِيَةِ التَّرْجُمَةِ.

(فِي أَخْذِ الْجِزْيَةِ مِنَ الْيَهُودِ، وَالنَّصَارَى، وَالْمَجُوسِ وَالْعَجَمِ) قِيلَ : وَعَطَفَ الْعَجَمَ عَلَى مَنْ تَقَدَّمَ ذَكَرَهُ مِنْ عَطَفِ الْخَاصِّ عَلَى الْعَامِ.

وَفِيهِ نَظَرٌ وَالظَّاهِرُ أَنَّ بَيْنَهُمَا عُمُومًا وَخُصُوصًا وَجِهِيًّا فَأَمَّا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى فَهَمَّ الْمُرَادُ بِأَهْلِ الْكِتَابِ بِالِاتِّفَاقِ وَأَمَّا الْمَجُوسَ فَقَدْ ذَكَرَ مُسْتَنَدُهُ فِي الْبَابِ وَفَرَّقَ الْحَنْفِيَّةُ فَقَالُوا تَوَخَّذْ مِنْ مَجُوسِ الْعَجَمِ دُونَ مَجُوسِ الْعَرَبِ وَحَكَى الطُّحَاوِيُّ عَنْهُمْ تَقَبُّلَ الْجِزْيَةِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَمِنْ جَمِيعِ كُفَّارِ الْعَجَمِ وَلَا يَقْبَلُ مِنْ مُشْرِكِي الْعَرَبِ إِلَّا السِّيفَ وَالْإِسْلَامَ لَمَّا رَوَى الزَّهْرِيُّ أَنَّهُ ﷺ صَالِحُ عَبْدِ الْأَوْثَانِ إِلَّا مَنْ كَانَ مِنَ الْعَرَبِ.

فَهَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ الْبُخَارِيُّ هُوَ قَوْلُ أَبِي حَنِيفَةَ وَأَصْحَابِهِ وَعِنْدَ الشَّافِعِيِّ وَأَحْمَدَ لَا تَوَخَّذْ إِلَّا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَعِنْدَ مَالِكٍ يَجُوزُ أَنْ تُضْرَبَ الْجِزْيَةُ عَلَى جَمِيعِ الْكُفَّارِ مِنْ كِتَابِيٍّ وَمَجُوسِيٍّ وَوثنِيٍّ وَغَيْرِ ذَلِكَ إِلَّا مَنْ ارْتَدَّ وَبِهِ قَالَ الْأَوْزَاعِيُّ وَفَقَّهَاءُ الشَّامِ وَحَكَى ابْنُ الْقَاسِمِ عَنْهُ لَا تَقْبَلُ مِنْ قُرَيْشٍ وَحَكَى ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ الْإِتِّفَاقَ عَلَى قَبُولِهَا مِنَ الْمَجُوسِ، وَلَكِنْ حَكَى ابْنُ التَّيْنِ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ أَنَّهَا لَا تَقْبَلُ إِلَّا مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى فَقَطْ وَنَقَلَ أَيْضًا الْإِتِّفَاقَ عَلَى أَنَّهُ لَا يَحِلُّ نِكَاحُ نِسَائِهِمْ وَلَا أَكْلُ ذَبَائِحِهِمْ لَكِنْ حَكَى غَيْرَهُ عَنْ أَبِي ثَوْرٍ حُلَّ ذَلِكَ.

قَالَ ابْنُ قِدَامَةَ: هَذَا خِلَافُ إِجْمَاعٍ مِنْ تَقْدِمِهِ .

وَقَالَ الْحَافِظُ الْعَسْقَلَانِيُّ: وَفِيهِ نَظَرٌ فَقَدْ حَكَى ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيْبِ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَرَى بِذُبِيحَةِ الْمَجُوسِيِّ بِأَسًا إِذَا أَمَرَهُ الْمُسْلِمُ بِذُبْحِهَا .

وَرَوَى ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ عَنْهُ وَعَنْ عَطَاءٍ وَطَاوُسٍ وَعَمْرُو بْنِ دِينَارٍ: أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَرُونَ بِأَسًا بِالتَّسْرِيرِ بِالْمَجُوسِيَّةِ .

قَالَ الشَّافِعِيُّ: تَقَبَّلَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ عَرَبِيًّا كَانُوا أَوْ عَجَمًا وَيَلْتَحِقُ بِهِمُ الْمَجُوسُ فِي ذَلِكَ وَاحْتِجَ بِالْآيَةِ الْمَذْكُورَةِ فَإِنْ مَفْهُومُهَا أَنَّهُ لَا تَقَبَّلُ مِنْ غَيْرِ أَهْلِ الْكِتَابِ وَقَدْ أَخَذَهَا النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الْمَجُوسِ فَدَلَّ عَلَى إِلْحَاقِهِمْ بِهِمْ وَاقْتَصَرَ عَلَيْهِ وَكَانَ عَمْرٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمْ يَكُنْ يَأْخُذُ الْجَزْيَةَ مِنَ الْمَجُوسِ حَتَّى شَهِدَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنُ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ ﷺ أَخَذَهَا مِنْ مَجُوسٍ هَجَرَ وَأَنَّهُ قَالَ سُنُّوا بِهِمْ سُنَّةَ أَهْلِ الْكِتَابِ وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ لَهُمْ شَبَهَةٌ كِتَابٌ فَأَلْحَقُوا بِالْكِتَابِيِّينَ وَأَمَّا سَائِرُ الْكُفَرَةِ فَلَا يُوْخَذُ مِنْهُمْ الْجَزْيَةُ عَنْدهُ .

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ ثَبَتَ الْجَزْيَةَ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى بِالْكِتَابِ وَعَلَى الْمَجُوسِ بِالسَّنَةِ وَاحْتِجَ غَيْرُهُ بِعَمُومِ قَوْلِهِ فِي حَدِيثٍ بَرِيدَةٍ وَغَيْرِهِ فَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَادْعِهِمْ إِلَى الْإِسْلَامِ فَإِنْ أَجَابُوا وَإِلَّا فَالْجَزْيَةَ وَاحْتَجُوا أَيْضًا بِأَنَّهُ أَخَذَهَا مِنَ الْمَجُوسِ يَدُلُّ عَلَى تَرْكِ مَفْهُومِ الْآيَةِ فَلَمَّا انْتَفَى تَخْصِيصُ أَهْلِ الْكِتَابِ بِذَلِكَ دَلَّ عَلَى أَنَّ لَا مَفْهُومَ لِقَوْلِهِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ .

وَأَجِيبْ: بِأَنَّ الْمَجُوسَ كَانَ لَهُمْ كِتَابٌ ثُمَّ رَفَعَ وَرَوَى الشَّافِعِيُّ وَغَيْرُهُ فِي ذَلِكَ حَدِيثًا عَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَسَيَأْتِي فِي هَذَا الْبَابِ ذِكْرُهُ وَتَعَقُّبُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا﴾ [الأنعام: 156] .

وَأَجِيبْ: بِأَنَّ الْمُرَادَ مِمَّا اطَّلَعَ عَلَيْهِ الْقَائِلُونَ وَهُمْ قَرِيشٌ لِأَنَّهُ لَمْ يَشْتَهَرْ عَنْدهُمْ مِنْ جَمِيعِ الطَّوَائِفِ مَنْ لَهُ كِتَابٌ إِلَّا الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى وَلَيْسَ فِي ذَلِكَ نَفْيُ بَقِيَّةِ الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ كَالزَّبُورِ وَصَحْفِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَغَيْرِ ذَلِكَ .

ثُمَّ الْجَزْيَةُ أَقْلُهَا فِي كُلِّ سَنَةٍ دِينَارٌ سِوَاهُ فِيهِ الْغَنَى وَالْفَقِيرُ عِنْدَ الْجُمْهُورِ .

وَقَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ: قُلْتُ لِمُجَاهِدٍ: مَا شَأْنُ أَهْلِ الشَّامِ، عَلَيْهِمْ أَرْبَعَةُ دَنَانِيرَ، وَأَهْلُ الْيَمَنِ عَلَيْهِمْ دِينَارٌ؟ قَالَ: «جُعِلَ ذَلِكَ مِنْ قَبْلِ الْيَسَارِ»⁽¹⁾.

وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: عَلَى الْغَنِيِّ ثَمَانِيَةٌ وَأَرْبَعُونَ دِرْهَمًا وَعَلَى الْمَتَوَسِّطِ نِصْفُهَا وَعَلَى الْفَقِيرِ الْكَسُوبُ رُبْعُهَا وَلَا شَيْءَ عَلَى فَقِيرٍ غَيْرِ كَسُوبٍ كَذَا ذَكَرَهُ الْقَاضِي.

وَقَالَ الْحَافِظُ الْعَسْقَلَانِيُّ: وَأَقْلَ الْجَزِيَةِ عِنْدَ الْجُمْهُورِ دِينَارٌ لِكُلِّ سَنَةٍ وَخَصَّهُ الْحَنْفِيَّةُ بِالْفَقِيرِ وَأَمَّا الْمَتَوَسِّطُ فَعَلَيْهِ دِينَارَانِ وَعَلَى الْغَنِيِّ أَرْبَعَةُ دَنَانِيرَ وَهُوَ مُوَافِقٌ لِأَثَرِ مُجَاهِدٍ كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ حَدِيثُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَعِنْدَ الشَّافِعِيَّةِ أَنَّ لِلْإِمَامِ أَنْ يَمَاسِكَ حَتَّى يَأْخُذَهَا مِنْهُمْ وَبِهِ قَالَ أَحْمَدُ رَوَى أَبُو عُبَيْدٍ مِنْ طَرِيقِ أَبِي إِسْحَاقَ عَنْ حَارِثَةَ بْنِ مُضَرَّبٍ عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ بَعَثَ عُثْمَانَ بْنَ حَنِيفٍ بِوَضْعِ الْجَزِيَةِ عَلَى أَهْلِ السَّوَادِ ثَمَانِيَّةً وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعَةً وَعِشْرِينَ وَاثْنَيْ عَشَرَ وَهَذَا عَلَى حِسَابِ الدِّينَارِ بَاثْنَيْ عَشَرَ وَعَنْ مَالِكٍ لَا يَزَادُ عَلَى الْأَرْبَعِينَ وَيَنْقُصُ مِنْهَا عَمَّنْ لَا يُطِيقُ وَهَذَا مُحْتَمَلٌ أَنْ يَكُونَ جَعَلَهُ عَلَى حِسَابِ الدِّينَارِ بَعِشْرَةَ وَالْقَدْرَ الَّذِي لَا يَدُ مِنْهُ دِينَارٌ.

وفيه: حديث مسروق عن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ حِينَ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ قَالَ: خُذْ مِنْ كُلِّ حَالِمٍ دِينَارًا أَخْرِجْهُ أَصْحَابَ السَّنَنِ وَصَحْحَةَ التَّرْمِذِيِّ وَالْحَاكِمَ وَاخْتَلَفَ السَّلَفُ فِي أَخْذِهَا مِنَ الصَّبِيِّ فَالْجُمْهُورُ لَا عَلَى مَفْهُومِ حَدِيثِ مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَكَذَا لَا تَأْخُذُ مِنْ شَيْخٍ فَإِنْ وَلَا زَمِينَ وَلَا امْرَأَةً وَلَا مَجْنُونًا وَلَا عَاجِزًا عَنِ الْكَسْبِ وَلَا أَجِيرًا وَلَا مِنْ أَصْحَابِ الصَّوَامِعِ وَالدِّيَارَاتِ فِي قَوْلِ الْأَصْحَحِ عِنْدَ الشَّافِعِيَّةِ الْوَجُوبُ عَلَى مَنْ ذَكَرَ آخِرًا، وَاللَّهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ.

(وَقَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ) هُوَ سُفْيَانُ، (عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ) هُوَ عَبْدُ اللَّهِ (قُلْتُ: لِمُجَاهِدٍ، مَا شَأْنُ أَهْلِ الشَّامِ، عَلَيْهِمْ أَرْبَعَةُ دَنَانِيرَ، وَأَهْلُ الْيَمَنِ عَلَيْهِمْ دِينَارٌ؟ قَالَ: «جُعِلَ ذَلِكَ مِنْ قَبْلِ الْيَسَارِ» أَي: مِنْ جِهَةِ الْغَنَى وَهَذَا التَّعْلِيلُ وَصَلَهُ

(1) قال الحافظ: قوله «قال ابن عيينة» وصله عبد الرزاق عنه، وأشار بهذا الأثر إلى جواز التفاوت في الجزية وأقل الجزية عند الجمهور دينار لكل سنة، وخصه الحنفية بالفقير، وأما المتوسط فعليه ديناران وعلى الغني أربعة، وهو موافق لأثر مجاهد كما دل عليه حديث عمر رضي الله عنه، وعند الشافعية: أن للإمام أن يماسك حتى يأخذها منهم، وبه قال أحمد، وروى أبو عبيد أنه بعث عثمان بن حنيف بوضع الجزية على أهل السواد ثمانية وأربعين وأربعة وعشرين واثني =

3156 - حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، قَالَ: سَمِعْتُ عَمْرًا، قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا مَعَ جَابِرِ بْنِ زَيْدٍ، وَعَمْرٍو بْنُ أَوْسٍ فَحَدَّثَنِيهِمَا بِجَالَةٍ،

عبد الرزاق عنه به وزاد بعد قوله أهل الشام من أهل الكتاب يؤخذ منهم الجزية إلى آخره وأشار بهذا الأثر إلى جواز التفاوت في الجزية وقد عرف ذلك آنفاً.

(حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ) المعروف بابن المديني قَالَ: (حَدَّثَنَا سُفْيَانُ) هو ابن عيينة، (قَالَ: سَمِعْتُ عَمْرًا) هو عمرو بن دينار، (قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا مَعَ جَابِرِ ابْنِ زَيْدٍ) هو أَبُو الشعثاء البصري، (وَعَمْرٍو بْنُ أَوْسٍ) بفتح الهمزة وسكون الواو وفي آخره سين مهملة الثقفي المكي المتقدم ذكر روايته عن عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما في الحج وعن عبد الله بن عمرو في التهجد وليست هنا رواية بل ذكره عمرو بن دينار ليبين أن بجالة لم يقصده بالتحديث وإنما اختلفوا هل يسوغ له أن يقول حَدَّثَنَا والجمهور على الجواز ومنع منه النسائي وطائفة قليلة، وقال البرقاني: يقول سمعت فلاناً.

(فَحَدَّثَنِيهِمَا بِجَالَةٍ) بفتح الموحدة وتخفيف الجيم وباللام ابن عبدة بالمهملتين بينهما موحدة مفتوحة التميمي ويقال بجالة بن عبد بسكون الباء بلا

عشر، وهذا على حساب الدينار باثني عشر، وعن مالك: لا يزداد على الأربعين وينقص منها عمن لا يطبق، وهذا محتمل أن يكون جعله على حساب الدينار بعشرة والقدر الذي لا بد منه دينار، وفيه حديث عن معاذ أن النبي ﷺ حين بعثه إلى اليمن قال خذ من كل حالم ديناراً أخرجه أصحاب السنن وصححه الترمذي والحاكم، انتهى مختصراً. قلت: وبسط الكلام على الجزية في الأوجز، وذكرت فيه أبحاث كثيرة في هذه المسألة وفيه عن البداية الكلام المحيط بأصول هذا الفصل ينحصر في ست مسائل: الأولى: ممن يجوز أخذ الجزية، الثانية: على أي أصناف منهم تجب، الثالثة: كم تجب، الرابعة: متى تجب ومتى تسقط، الخامسة: كم أصناف الجزية، السادسة: في ماذا يصرف مال الجزية، ثم بسط الكلام على هذه المسائل، وأما المسألة التي نحن بصدها فقد أخرج مالك في موطنه أن عمر رضي الله تعالى عنه ضرب الجزية على أهل الذهب أربعة دنانير، وعلى أهل الورق أربعين درهماً، قال الزرقاني: وإليه ذهب مالك فلا يزداد عليه ولا ينقص إلا من يضعف عن ذلك فيخفف عنه بقدر ما يراه الإمام، وقال الشافعي: أقلها دينار ولا حد لأكثرها إلا إذا بذل الأغنياء ديناراً لم يجز قتالهم، وقال أبو حنيفة وأحمد: أقلها على الفقراء اثنا عشر درهماً، وعلى الأوساط أربعة وعشرون درهماً أو ديناران، وعلى الأغنياء ثمانية وأربعون درهماً أو أربعة دنانير، قال الباغي: بعد ما تقدم من قول مالك: هذا هو المذهب، قال ابن القاسم: لا ينقص من فرض عمر لعمر ولا يزداد عليه لغنى، إلى آخر ما بسط في الأوجز من الأقوال والدلائل في ذلك.

- سَنَةَ سَبْعِينَ، عَامَ حَجِّ مُضْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ بِأَهْلِ الْبَصْرَةِ عِنْدَ دَرَجِ زَمْزَمَ -،

باء وهو في التابعين الكبار المشهورين من أهل البصرة وليس له في البخاري سوى هذا الموضع.

(سَنَةَ سَبْعِينَ، عَامَ حَجِّ مُضْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ بِأَهْلِ الْبَصْرَةِ) أي : وحج حينئذ بجمالة معه وبذلك صرح أحمد في روايته عن سُفْيَانَ وَكَانَ مُضْعَبُ أَمِيرًا عَلَى الْبَصْرَةِ مِنْ قَبْلِ أَخِيهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ وَكَانَ يَدْعَى لَهُ بِالْخُلَافَةِ بِالْحِجَازِ وَالْعِرَاقِ وَقَدْ بَأْمَوَالٍ عَظِيمَةٍ وَدَوَابٍ وَظَهَرَ فَفَرَّقَ الْجَمِيعَ فِي قَوْمِهِ وَغَيْرِهِمْ وَنَحَرَ عِنْدَ الْكَعْبَةِ أَلْفَ بَدَنَةٍ وَعَشْرِينَ أَلْفَ شَاةٍ وَأَغْنَى سَاكِنِي مَكَّةَ وَعَادَ إِلَى الْكُوفَةِ وَيَكْنَى بِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ مِنَ الطَّبَقَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ التَّابِعِينَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَكَانَ يَجَالِسُ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَحَكَى عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَرَوَى عَنْ أَبِيهِ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ وَسَعْدِ وَأَبِي سَعِيدِ الْخَدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَكَانَ يُقَالُ لَهُ النَّحْلُ لِحُجُودِهِ وَكَانَ جَمِيلًا وَسِيمًا شَجَاعًا وَوَلِيَ الْعِرَاقَ خَمْسَ سِنِينَ فَأَصَابَ أَلْفَ أَلْفٍ وَأَلْفَ أَلْفٍ وَأَلْفَ أَلْفٍ فَفَرَّقَهَا فِي النَّاسِ قَتَلَ يَوْمَ الْخَمِيسِ النِّصْفَ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ وَسَنَةَ خَمْسٍ وَثَلَاثُونَ سَنَةً.

وقيل : تسع وثلاثون.

وقيل : أربعون.

وقيل : خمس وأربعون وكان قتله عند دير الجاثليق على شاطئ نهر يقال له دجيل وقبره معروف هناك وكان عبد الملك بن مروان سار في جنود هائلة من الشام فالتقى مضعباً في السنة المذكورة وعبد الملك في خمسين ألفاً ومضعب في ثلاثين ألفاً فانهزم جيش مضعب لنفاق جماعة من عسكره وقتل منهم خلق كثير وقتل مضعب قتله زائدة بن قدامة .

وقيل : يزيد بن هبار القاسبي وكان من أصحاب مضعب ونزل إليه عُبَيْدُ اللَّهِ ابْنُ ظُبْيَانَ فَحَزَّ رَأْسَهُ وَأَتَى بِهِ عَبْدَ الْمَلِكِ فَأَعْطَاهُ أَلْفَ دِينَارٍ وَكَانَ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ يَدْعَى لَهُ بِالْخُلَافَةِ فِي أَرْضِ الْحِجَازِ وَأَخُوهُ مُضْعَبُ كَانَ عَامِلَهُ عَلَى الْبَصْرَةِ وَالْكُوفَةِ.

(عِنْدَ دَرَجِ زَمْزَمَ) الدرج بفتحين جمع درجة وهي المرقاة قاله الجوهري وفي

قَالَ: كُنْتُ كَاتِبًا لِحِزْرِ بْنِ مُعَاوِيَةَ، عَمِّ الْأَخْنَفِ، فَأَتَانَا كِتَابُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَبْلَ مَوْتِهِ بِسَنَةٍ، فَرَقُّوا بَيْنَ كُلِّ ذِي مَحْرَمٍ مِنَ الْمَجُوسِ،

المغرب درج السلم رتبة الواحدة درجة.

(قَالَ: كُنْتُ كَاتِبًا لِحِزْرِ بْنِ مُعَاوِيَةَ، عَمِّ الْأَخْنَفِ) جزء بفتح الجيم وسكون الزاي وفي آخره همزة هو ابن معاوية بن حصين بضم الحاء المهملة هكذا يقول المحدثون وفتح الصاد المهملة التميمي السعدي بن عبادة قَالَ الدارقطني بكسر الجيم وسكون الزاي وبالياء المثناة التحتية.

وَقَالَ ابْنُ مَكُولَا: بفتح الجيم وكسر الزاي وبالياء وقيل بضم الجيم وفتح الزاي وتشديد الياء وقيل هذا تصحيف.

وَقَالَ الْحَافِظُ الْعَسْقَلَانِيُّ: وهو معدود في الصحابة وكان عامل عمر على الأهواز ووقع في رواية الترمذي أنه كان على منادر وهي من قرى الأهواز وذكر البلاذري أنه عاش إلى خلافة معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وولي لزياد بعض عمله.

وَقَالَ أَبُو عَمْرٍ فِي الْاِسْتِيعَابِ: لا يصح له صحبة وأما الأخنف فهو ابن قيس ابن معاوية بن حصين بن عبادة بن النزال بن مرة بن عبيد بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة التميمي السعدي قَالَ أَبُو عَمْرٍ أَدْرَكَ النَّبِيَّ ﷺ ولم يره وأسلم على عهد النَّبِيِّ ﷺ وكان أحد الجلة الحكماء الدهاة الحلماء العقلاء يعد في كبار التابعين بالبصرة ومات بالكوفة في إمارة مصعب بن الزبير سنة سبع وستين ومشى مصعب في جنازته وَقَالَ الذهبي: هو مخضرم.

(فَأَتَانَا كِتَابُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (قَبْلَ مَوْتِهِ بِسَنَةٍ) أي: قبل موت عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وكان ذلك سنة اثنتين وعشرين لأن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد استشهد سنة ثلاث وعشرين.

(فَرَقُّوا) أمرٌ من التفريق (بَيْنَ كُلِّ ذِي مَحْرَمٍ مِنَ الْمَجُوسِ) قَالَ الخطابي: أمر عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالترفة بين المحارم من المجوس وأراد به منعهم من إظهار ذلك وإفشاء عقودهم للمسلمين وإلا فالسنة أن لا يكشفوا عن بواطن أمورهم وعن مذاهبهم في الأنكحة وغيرها وذلك كما يشترط على النصاري أن لا يظهروا صليهم ولا يفشوا عقائدهم لئلا يفتتن به الناس من ضعفة المسلمين ثم لا يكشف

وَلَمْ يَكُنْ عُمَرُ أَخَذَ الْجِزْيَةَ مِنَ الْمَجُوسِ .

3157 - حَتَّى شَهِدَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ : «أَخَذَهَا مِنْ مَجُوسِ

هَجَرَ» .

لهم عن شيء مما استحلوه من بواطن الأمور .

وفي رواية مسدد وأبي يعلى بعد قوله : فرقوا بين كل زوجين من المجوس
اقتلوا كل ساحر قَالَ فقتلنا في يوم ثلاث سواحر وفرقنا بين المحارم منهم وصنع
طعاماً فدعاهم وعرض السيف على فخذيه فأكلوا بغير زمزمة .

قَالَ الْحَافِظُ الْعَسْقَلَانِيُّ : وقد روى سعيد بن منصور من وجه آخر عن بجاله
ما يبين سبب ذلك ولفظه فرقوا بين المجوس وبين محارمهم كيما يلحقهم بأهل
الكتاب فهذا يدل على أن ذلك عند عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شرط في قبول الجزية
منهم وأما الأمر بقتل الساحر فهو من مسائل الخلاف .

وقد وقع في رواية سعيد بن منصور المذكورة من الزيادة واقتلوا كل ساحر
وكاهن وسيأتي الكلام على حكم الساحر في باب هل يعفى عن الذمي إذا سحر
إن شاء الله تعالى .

(وَلَمْ يَكُنْ عُمَرُ أَخَذَ الْجِزْيَةَ مِنَ الْمَجُوسِ حَتَّى شَهِدَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ
عَوْفٍ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ : «أَخَذَهَا مِنْ مَجُوسِ هَجَرَ») وهو
بفتححتين ، قالوا : المراد منه هجر البحرين ، وقال الجوهري هو اسم بلد يذكر
وينصرف ، وقال الزجاجي يذكر ويؤنث وقال البكري لا يدخله الألف واللام
وإنما لم يكن عمر رضي الله عنه يأخذ الجزية من المجوس لأنه كان يرى في
زمانه أن الجزية لا تؤخذ إلا من أهل الكتاب إذ لو كان عاماً لما كان في توقفه في
ذلك إلى أن شهد عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بذلك معنى .

قَالَ الْحَافِظُ الْعَسْقَلَانِيُّ : إن كان هذا في جملة كتاب عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فهو
متصل وتكون فيه رواية عمر عن عبد الرحمن بن عوف وليس بجيد : وقد أخرج
أبو داود من طريق قشير بن عمرو عن بجاله عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ :
جاء رجل من مجوس هجر إلى النَّبِيِّ ﷺ فلما خرج قلت له ما قضى الله ورسوله
فيكم قَالَ شر الإسلام أو القتل قَالَ وَقَالَ عبد الرحمن بن عوف قبل منهم الجزية

قَالَ ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : فَأَخَذَ النَّاسُ بِقَوْلِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَتَرَكُوا مَا سَمِعْتَ وَعَلَى هَذَا فَبِجَالَةِ يَرْوِيهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ سَمَاعًا وَعَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كِتَابَةً كِلَاهُمَا عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ .

وَرَوَى أَبُو عُبَيْدَةَ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ عَنْ حَدِيثِهِ : لَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ أَصْحَابِي أَخَذُوا الْجِزْيَةَ مِنَ الْمَجُوسِ مَا أَخَذْتُهَا وَفِي الْمَوْطَأِ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ لَا أُدْرِي مَا أَصْنَعُ بِالْمَجُوسِ فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ : أَشْهَدُ لِسَمْعَتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ سَنُوا بِهِمْ سَنَةَ أَهْلِ الْكِتَابِ وَهَذَا مَنْقُطٌ مَعَ ثِقَةِ رَجَالِهِ .

وَرَوَاهُ ابْنُ الْمُنْذِرِ وَالدَّارِقُطْنِيُّ فِي الْغُرَائِبِ مِنْ طَرِيقِ أَبِي عَلِيٍّ الْحَنْفِيِّ عَنْ مَالِكٍ فَزَادَ فِيهِ عَنْ جَدِّهِ وَهُوَ مَنْقُطٌ أَيْضًا لِأَنَّ جَدَّهُ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ لَمْ يَلْحَقْ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ وَلَا عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ أَبُو عُمَرَ : هَذَا مِنَ الْعَامِ الَّذِي أُرِيدُ بِهِ الْخَاصُّ لِأَنَّ الْمُرَادَ سَنَةَ أَهْلِ الْكِتَابِ فِي اخْتِذَاكِ الْجِزْيَةَ فَقَطْ وَاسْتَدَلَّ بِقَوْلِهِ سَنَةَ أَهْلِ الْكِتَابِ عَلَى أَنَّهُمْ لَيْسُوا بِأَهْلِ كِتَابٍ لَكِنْ رَوَى الشَّافِعِيُّ وَعَبْدُ الرَّزَّاقِ وَغَيْرُهُمَا بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ الْمَجُوسُ أَهْلَ كِتَابٍ يَقْرَأُونَهُ وَعَلِمَ يَدْرُسُونَهُ فَشَرِبَ أَمِيرُهُمُ الْخَمْرَ فَوَقَعَ عَلَى أُخْتِهِ فَلَمَّا أَصْبَحَ دَعَا أَهْلَ الطَّمْعِ فَأَعْطَاهُمْ وَقَالَ إِنْ آدَمَ كَانَ يَنْكِحُ أَوْلَادَهُ بَنَاتِهِ فَأَطَاعُوهُ وَقَتْلَ مَنْ خَالَفَهُ فَأَسْرَى عَلَى كِتَابِهِمْ وَعَلَى مَا فِي قُلُوبِهِمْ مِنْهُ فَلَمْ يَبْقَ عَنْدهُمْ مِنْهُ شَيْءٌ .

وَرَوَى عَبْدُ بْنُ حَمِيدٍ فِي تَفْسِيرِ سُورَةِ الْبُرُوجِ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ عَنْ ابْنِ أَبِي زَيْدٍ لَمَّا هَزَمَ الْمُسْلِمُونَ أَهْلَ فَارَسٍ قَالَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اجْتَمَعُوا فَقَالَ إِنْ الْمَجُوسُ لَيْسُوا بِأَهْلِ كِتَابٍ فَنَصْنَعُ عَلَيْهِمْ وَلَا مِنْ عِبْدَةِ الْأَوْثَانِ فَنَجْرِي عَلَيْهِمْ أَحْكَامَهُمْ فَقَالَ عَلِيٌّ بَلْ هُمْ أَهْلُ كِتَابٍ فَذَكَرَ نَحْوَهُ لَكِنْ قَالَ وَقَعَ عَلَى ابْنَتِهِ وَقَالَ فِي آخِرِهِ فَوْضِعَ الْأَخْذُودَ لِمَنْ خَالَفَهُ فَهَذَا حُجَّةٌ لِمَنْ قَالَ كَانَ لَهُمْ كِتَابٌ .

وَأَمَّا قَوْلُ ابْنِ بَطَّالٍ : لَوْ كَانَ لَهُمْ كِتَابٌ وَرَفَعَ لِرَفْعِ حُكْمِهِ وَلَكَمَا اسْتَنْثَى حُلَّ ذُبَائِحِهِمْ وَنِكَاحِ نِسَائِهِمْ لِأَنَّ فِي ذَلِكَ شَبَهَةً تَقْتَضِي حَقْنَ الدَّمِ بِخِلَافِ النِّكَاحِ فَإِنَّهُ مِمَّا يَحْتَاطُ لَهُ .

3158 - حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، عَنِ الْمُسَوَّرِ بْنِ مَخْرَمَةَ، أَنَّهُ أَخْبَرَهُ أَنَّ عَمْرَو بْنَ عَوْفٍ الْأَنْصَارِيَّ وَهُوَ حَلِيفُ لِبْنِي عَامِرِ بْنِ لُؤْيٍ، وَكَانَ شَهِدَ بَدْرًا،

وَقَالَ ابْنُ الْمُنْذَرِ: لَيْسَ تَحْرِيمُ نِسَائِهِمْ وَذَبَائِحِهِمْ مُتَّفَقًا عَلَيْهِ وَلَكِنْ الْأَكْثَرُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ عَلَيْهِ.

وفي الحديث قبول خبر الواحد وأن الصحابي الجليل قد يغيب عنه علم ما اطلع عليه غيره من أقوال النَّبِيِّ ﷺ وأحكامه وأنه لا نقص عليه في ذلك وفيه التمسك بالمفهوم لأن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فهم من قوله أهل الكتاب اختصاصهم بذلك حتى حدثه عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِالْحَاقِ الْمَجُوسِ بِهِمْ فَرَجَعَ وَمِمَّا يُؤَيِّدُ ذَلِكَ أَنَّهُ ﷺ كَانَ يَبْعَثُ أَمْرَاءَ السَّرَايَا فَيَقُولُ لَهُمْ إِذَا لَقِيتُمُ الْعَدُوَّ فَادْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ فَإِنْ أَجَابُوا وَإِلَّا فَالْجِزْيَةُ فَإِنْ أَعْطَوْا وَإِلَّا قَاتِلُوهُمْ وَلَمْ يَنْصَحْ عَلَى مُشْرِكٍ دُونَ مُشْرِكٍ بَلْ عَمَّ جَمِيعُهُمْ لِأَنَّ الْكُفْرَ يَجْمَعُهُمْ وَلَمَّا جَازَ أَنْ يَسْتَرْقَهُمْ جَازَ أَنْ يُؤْخَذَ مِنْهُمْ الْجِزْيَةُ وَعَكْسُهُ الْمُرْتَدُّ لَمَّا لَمْ يَجْزَ أَنْ يَسْتَرْقَ لَمْ يَجْزَ أَخْذُ الْجِزْيَةِ مِنْهُ فَإِنْ قِيلَ الْآيَةُ الْمَذْكُورَةُ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْجِزْيَةَ لَا تُؤْخَذُ إِلَّا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ.

فالجواب: أننا لا نسلم ذلك لأن الله تعالى لم يَنْهَ أَنْ يُؤْخَذَ مِنْ غَيْرِهِمْ وَلِلشَّارِعِ أَنْ يَزِيدَ فِي الْبَيَانِ وَيَفْرَضَ مَا لَيْسَ بِمَذْكُورٍ فِي الْكِتَابِ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ.

ومطابقة الحديث للترجمة في قوله: والمجوس.

وقد أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي الْخِرَاجِ بِأَتَمِّ مِنْهُ وَأَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي السِّيرِ مُخْتَصَرًا وَكَذَا النَّسَائِيُّ فِيهِ.

(حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ) الْحَكَمُ بْنُ نَافِعٍ قَالَ: (أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ) هُوَ ابْنُ أَبِي حَمْزَةَ الْحَمَصِيِّ، (عَنِ الزُّهْرِيِّ) مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ أَنَّهُ (قَالَ: حَدَّثَنِي) بِالْإِفْرَادِ (عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، عَنِ الْمُسَوَّرِ بْنِ مَخْرَمَةَ أَنَّهُ أَخْبَرَهُ أَنَّ) رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَ (عَمْرَو بْنَ عَوْفٍ الْأَنْصَارِيَّ وَهُوَ حَلِيفُ لِبْنِي عَامِرِ بْنِ لُؤْيٍ، وَكَانَ شَهِدَ بَدْرًا) قَالَ الْحَافِظُ الْعَسْقَلَانِيُّ: الْمَعْرُوفُ عِنْدَ أَهْلِ الْمَغَازِي أَنَّهُ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَهُوَ مُوَافِقٌ لِقَوْلِهِ هُنَا

أَخْبَرَهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ إِلَى الْبَحْرَيْنِ يَأْتِي بِجَزْيَتِهَا، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُوَ صَالِحَ أَهْلِ الْبَحْرَيْنِ، وَأَمَرَ عَلَيْهِمُ الْعَلَاءَ بْنَ الْحَضْرَمِيِّ،

وهو حليف لبني عامر بن لؤي لأنه يشعر بكونه من أهل مكة ويحتمل أن يكون وصفه بالأنصاري بالمعنى الأعم ولا مانع أن يكون أصله من الأوس والخزرج ونزل مكة وحالف بعض أهلها فبهذا الاعتبار يكون أنصاريًا مهاجرًا ثم ظهر لي أن لفظة الأنصاري وهم، وقد تفرد بها شعيب عن الزُّهريّ ورواه أصحاب الزُّهريّ كلهم عنه بدونها في الصحيحين وغيرهما وهو معدود في أهل بدر باتفاقهم.

وتعقبه العينيّ: بأنه لا يجزم به أنه من المهاجرين وشعيب بن أبي حمزة ثقة لا يضر تفرد به بمثل هذا، فافهم.

قال أبو عمر: عمرو بن عوف الأنصاريّ حليف لبني عامر بن لؤي شهد بدرًا ويقال له عمير.

وَقَالَ ابن إسحاق: هو مولى سهل بن عمرو العامري سكن المدينة لا عقب له روى عن المسور بن مخرمة حديثًا واحدًا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَخَذَ الْجَزِيَّةَ مِنْ مَجُوسِ الْبَحْرَيْنِ وَقَدْ وَقَعَ عِنْدَ مُوسَى بْنِ عَقْبَةَ فِي الْمَغَازِي أَنَّهُ عَمِيرُ بْنُ عَوْفٍ بِالتَّصْغِيرِ وَسَيَّاتِي فِي الرِّقَاقِ مِنْ طَرِيقِ مُوسَى بْنِ عَقْبَةَ عَنِ الزُّهْرِيِّ بِغَيْرِ تَصْغِيرٍ وَقَدْ فَرَّقَ الْعَسْكَرِيُّ بَيْنَ عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ وَعَمِيرُ بْنُ عَوْفٍ وَالصَّوَابُ أَنَّهُمَا وَاحِدٌ كَمَا نَبَهَ عَلَيْهِ أَبُو عَمْرٍ.

(أَخْبَرَهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ) أَبُو عُبَيْدَةَ بضم المهملة هو عامر بن عبد الله الجراح أمين هذه الأمة أحد العشرة المبشرين بالجنة.

(إِلَى الْبَحْرَيْنِ) أي: البلد المشهور بالعراق (يَأْتِي بِجَزْيَتِهَا) أي: بجزية أهلها وكان غالب أهلها إذ ذاك المجوس ففيه تقوية للحديث الذي قبله ومن ثم ترجم عليه النَّسَائِيُّ أَخَذَ الْجَزِيَّةَ مِنَ الْمَجُوسِ.

(وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُوَ صَالِحَ أَهْلِ الْبَحْرَيْنِ) كان ذلك في سنة الوفود سنة تسع من الهجرة، (وَأَمَرَ) بتشديد الميم (عَلَيْهِمُ الْعَلَاءَ) بالمد (ابن) عَبْدُ اللَّهِ بن مالك (الْحَضْرَمِيُّ) منسوب إلى حضرموت بفتح المهملة والراء والميم وسكون

فَقَدِمَ أَبُو عُبَيْدَةَ بِمَالٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ، فَسَمِعَتِ الْأَنْصَارُ بِقُدُومِ أَبِي عُبَيْدَةَ، فَوَافَتْ صَلَاةَ الصُّبْحِ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا صَلَّى بِهِمُ الْفَجْرَ انْصَرَفَ، فَتَعَرَّضُوا لَهُ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ رَأَاهُمْ، وَقَالَ: «أَظُنُّكُمْ قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ قَدْ جَاءَ بِشَيْءٍ؟»، قَالُوا: أَجَلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَأَبْشِرُوا وَأَمْلُوا مَا يَسُرُّكُمْ، فَوَاللَّهِ لَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافُسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا وَتُهْلِكُكُمْ كَمَا أَهْلَكْتَهُمْ».

الضاد المعجمة وهو صاحبي مشهور كان من أهل حضرموت فقدم مكة وحالف بني مخزوم وأسلم العلاء قديمًا ومات الثلاثة المذكورون أبو عبيدة والعلاء وعمرو بن عوف باليمن في خلافة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وعنهم.

(فَقَدِمَ أَبُو عُبَيْدَةَ بِمَالٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ، فَسَمِعَتِ الْأَنْصَارُ بِقُدُومِ أَبِي عُبَيْدَةَ فَوَافَتْ صَلَاةَ الصُّبْحِ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا صَلَّى بِهِمُ الْفَجْرَ انْصَرَفَ، فَتَعَرَّضُوا لَهُ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ رَأَاهُمْ، وَقَالَ: «أَظُنُّكُمْ قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ قَدْ جَاءَ بِشَيْءٍ؟»، قَالُوا: أَجَلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَأَبْشِرُوا وَأَمْلُوا) من التأمل.

(مَا يَسُرُّكُمْ، فَوَاللَّهِ لَا الْفَقْرَ⁽¹⁾ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا) كلمة أن مصدرية في محل النصب على أنه مفعول ولكن أخشى.

(كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا) أي: فتتنافسوها فحذفت إحدى التاءين.

(كَمَا تَنَافَسُوهَا) من التنافس وهو الرغبة في الشيء والانفراد به من الشيء النفيس الجيد في نوعه ونافست في الشيء منافسة ونفاسًا إذا رغبت فيه.

(وَتُهْلِكُكُمْ كَمَا أَهْلَكْتَهُمْ) وفي هذا الحديث أن طلب العطاء من الإمام لا غضاظة فيه وفيه البشرى من الإمام لأصحابه وأتباعه وتوسيع أملهم منه وفيه من أعلام النبوة إخباره ﷺ بما يفتح عليهم وفيه أن المنافسة في الدنيا قد تجر إلى هلاك الدين وقد وقع في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

3159 - حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ يَعْقُوبَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرِ الرَّقِّي، حَدَّثَنَا الْمُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ،

مرفوعا تنافسون ثم تتحاسدون ثم تتدابرون ثم تتباغضون أو نحو ذلك وفيه إشارة إلى أن كل خصلة من المذكورات مسببة عن التي قبلها.

ومطابقته للترجمة تؤخذ من قوله بعث أبا عبيدة إلى البحرين إلى قوله فقدم
أبو عبيدة بمال البحرين وكان أهل البحرين إذ ذاك مجوساً.

(حَدَّثَنَا الْفَضْلُ) بسكون المعجمة (ابْنُ يَعْقُوبَ) الرخامي البغدادي وهو من أفرادهِ وقد مر في البيع قَالَ: (حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ) أي: ابن غيلان أَبُو عبد الرحمن (الرَّقِّيُّ) بفتح الراء المشددة وكسر القاف المشددة نسبة إلى الرقة مات سنة عشرين ومائتين. قال: (حَدَّثَنَا الْمُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ) كذا في جميع النسخ بسكون العين المهملة وفتح المثناة الفوقية وكسر الميم وكذا وقع في مستخرج الإسماعيلي وغيره في هذا الحديث وزعم الدمياطي أن الصواب المعمر بفتح العين المهملة وتشديد الميم المفتوحة وبالراء من غير مثناة قَالَ لأن عَبْدَ اللَّهِ بن جعفر الرقي لا يروي عن المعتمر البصري ورد بأن ذلك ليس بكاف في رد الروايات الصحيحة لأن عدم دخول أحدهما بلد الآخر لا يستلزم عدم ملاقاتهما في سفر الحج ونحوه.

وقال الْحَافِظُ الْعَسْقَلَانِيُّ : وما ذكره معارض بمثله فإن المعتمر بن سليمان رَقِيَ وسعيد بن عَبْدِ اللَّهِ بن بصري فمهما استبعد من لقاء البصري الرَّقِيِّ جاء مثله في لقاء الرَّقِيِّ البصري وَأَيْضًا فالذين جمعوا رجال الْبُخَارِيِّ لم يذكروا فيهم المعمر بن سليمان الرَّقِيِّ وأطبقوا على ذكر المعتمر بن سليمان التَّيْمِيِّ البصري وقال أيضًا وأغرب الْكِرْمَانِيُّ فحكى أنه قيل الصواب في هذا مَعْمَر بن راشد يعني شيخ عبد الرزاق ثم قَالَ وهذا هو الخطأ بعينه فليست لعبد الله بن جعفر الرقي عن مَعْمَر بن راشد رواية أصلًا .

وتعقبه العُيَيْنِي: بأن الكرمانى لم يجزم فيه بل حكى عن بعضهم ولمن حكى عن أن يقول دعوى عدم رواية عَبْدُ اللَّهِ بن جعفر الرقى عن مَعْمَر بن راشد تحتاج إلى دليل فمجرد النفى غير كاف.

حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عُبَيْدٍ اللَّهِ الثَّقَفِيُّ، حَدَّثَنَا بَكْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمُزْنِي، وَزِيَادُ بْنُ جُبَيْرٍ، عَنْ جُبَيْرِ بْنِ حَيَّةَ، قَالَ: بَعَثَ عُمَرُ النَّاسَ فِي أَفْنَاءِ الْأَمْصَارِ،

(حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عُبَيْدٍ اللَّهِ) مكبراً هو ابن جبير بن حية المذكور بعد زياد بن جبير كذا ضبطه الكرمانى وفي نسخة وقع مصغراً.

(الثَّقَفِيُّ) بالمثلثة والقاف المفتوحتين وبالفاء قَالَ: (حَدَّثَنَا بَكْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمُزْنِي) بضم الميم وفتح الزاي وبالنون، (وَزِيَادُ بْنُ جُبَيْرٍ) ⁽¹⁾ بكسر الزاي وتخفيف التحتانية وقد مر في الصوم.

(عَنْ) أبيه (جُبَيْرِ بْنِ حَيَّةَ) بفتح الحاء المهملة وتشديد المثناة التحتية هو ابن مسعود بن معتب بن مالك بن عمرو بن سعيد بن عوف بن ثقيف الثقفي وهو من كبار التابعين ومنهم من عده في الصحابة.

قَالَ الْحَافِظُ الْعَسْقَلَانِيُّ: وليس ذلك عندي ببعيد لأن من شهد الفتوح في وسط خلافة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يكون في عهد النَّبِيِّ ﷺ مميّزاً وقد نقل ابن عبد البر أنه لم يبق في سنة حجة الوداع من قريش وثقيف أحد إلا أسلم وشهدها وهذا منهم وهو في بيت كبير فإن عمه عُروة بن مسعود كان رئيس ثقيف في زمانه والمغيرة بن شُعْبَةَ ابن عمه نجا.

ووقع في رواية الطَّبْرِيِّ من طريق مبارك بن فضالة عن زياد بن جبير: حدثني ولسعيد حفيده رواية أخرى في الأشربة والتوحيد وعمه زياد بن جبير تقدمت له روايات أخرى في الصوم والحج وذكر أَبُو الشَّيْخِ أن جبير بن حية ولي إمرة أصبهان ومات في خلافة عبد الملك بن مروان.

وَقَالَ ابن ماكولا: جبير بن حية الثقفي روى عن المغيرة بن شُعْبَةَ وهو والد الجبيريين بالبصرة.

وَقَالَ الْعَيْنِيُّ: روى جبير بن حية أيضاً عن عمر بن الخطاب والنعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

قَالَ أي: إنه (قَالَ بَعَثَ عُمَرُ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو ابن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. (النَّاسَ فِي أَفْنَاءِ الْأَمْصَارِ) قَالَ صاحب المطالع في أفناء الناس: أي:

يُقَاتِلُونَ الْمُشْرِكِينَ، فَأَسْلَمَ الْهَرْمَزَانُ،

جماعاتهم⁽¹⁾ وقيل أفناء الناس أخلاطهم يقال للرجل إذا لم يعلم من أي قبيلة هو من أفناء القبائل وقيل الأفناء النزاع من القبائل من ههنا ومن ههنا حكى أَبُو حاتم أنه لا يقال في الواحد هذا من أفناء الناس إنما يقال في الجماعة هؤلاء من أفناء الناس .

وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ: يُقَالُ هُوَ مِنْ أَفْنَاءِ النَّاسِ أَي: لَمْ يَعْلَمْ مِمَّنْ هُوَ وَقَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ وَفِي الْحَدِيثِ رَجُلٌ مِنْ أَفْنَاءِ النَّاسِ أَي: لَمْ يَعْلَمْ مِمَّنْ هُوَ الْوَاحِدُ فَنُو وَقِيلَ: هُوَ مِنَ الْفَنَاءِ وَهُوَ الْمَتَسِعُ أَمَامَ الدَّارِ وَيَجْمَعُ الْفَنَاءُ عَلَى أَفْنِيَةٍ وَالْمَصْرُ الْمَدِينَةُ الْعَظِيمَةُ .

وَقَالَ الْكِرْمَانِيُّ: قَوْلُهُ أَفْنَاءُ الْأَنْصَارِ يُقَالُ هُوَ مِنْ أَفْنَاءِ النَّاسِ إِذَا لَمْ يَعْلَمْ مِمَّنْ هُوَ وَفِي بَعْضِهَا الْأَمْصَارُ بِالْمِيمِ .

وَقَالَ الْحَافِظُ الْعَسْقَلَانِيُّ: فِي أَفْنَاءِ الْأَمْصَارِ أَي: فِي مَجْمُوعِ الْبِلَادِ الْكَبِيرَةِ. (يُقَاتِلُونَ الْمُشْرِكِينَ، فَأَسْلَمَ الْهَرْمَزَانُ) بَضَمَ الْهَاءَ وَسَكُونُ الرَّاءِ وَضَمُّ الْمِيمِ وَبِالنُّونِ عَلِمَ رَجُلٌ عَظِيمٌ مِنْ عِظَمَاءِ الْعَجَمِ مَلِكُ الْأَهْوَازِ وَالْكَرْمَانِيِّ .

وَقَالَ ابْنُ قَتِيبَةَ فِي الْمَعَارِفِ: قَتَلَهُ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بَعْدَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهَذَا الْمَوْضِعُ يَقْتَضِي بَعْضَ بَسْطِ الْكَلَامِ حَتَّى يَنْشَرْحَ صَدْرُ النَّازِلِ فِيهِ لِأَنَّ الرَّائِي هُنَا أَخْلَ شَيْئًا كَثِيرًا فَنَقُولُ بِإِلَّهِ التَّوْفِيقِ .

أما الهرمزان فكان ملكًا كبيرًا من ملوك العجم وكانت تحت يده كورة الأهواز وكورة جندي سابور وكورة السوس وكورة السرق وكورة نهر بين وكورة نهر تيري ومناذر بفتح الميم والنون وبعد الألف ذال معجمة وفي آخره راء وكان الهرمزان في الجيش الذين أرسلهم يزدجر إلى قتال المسلمين وهم على القادسية وهي قرية على طريق الحاج على مرحلة من الكوفة وأمير المسلمين يومئذ سعد ابن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وكان رأس جيش العجم رستم في مائة ألف وعشرين ألفًا يتبعهم ثمانون ألفًا ومعهم ثلاثة وثلاثون فيلاً وكان الهرمزان رأس الميمنة وزعم ابن إسحاق أن المسلمين كانوا ما بين السبعة آلاف إلى الثمانية

(1) والأفناء بالفاء والنون ممدودًا جمع فَنُو بكسر الفاء وسكون النون.

فَقَالَ: إِنِّي مُسْتَشِيرُكَ فِي مَعَاذِي هَذِهِ؟

آلاف ووقع بينهم قتال عظيم لم يعهد مثله وأبلى في ذلك اليوم جماعة من الشجعان مثل طليحة الأسدي وعمرو بن معدي كرب والقعقاع بن عمرو وجريز ابن عَبْدِ اللَّهِ البجلي وضرار بن الخطاب وخالد بن عرفة وأمثالهم وكانت الوقعة بينهم يوم الاثنين مستهل المحرم عام أربع عشرة وأرسل الله تعالى في ذلك اليوم ريحاً شديدة أرمت خيام الفرس من أماكنها وألقت سرير رستم مقدم الجيش فركب بغلة وهرب وأدركه المسلمون وقتلوه وانهزمت الفرس وقتل المسلمون منهم خلقاً كثيراً وكان فيهم المسلسلون ثلاثين ألفاً فقتلوا بكما لهم وقتل في المعركة عشرة آلاف وقيل قريب من ذلك ولم يزل المسلمون وراءهم إلى أن دخلوا مدينة الملك وهي المدائن التي فيها إيوان كسرى وكان الهرمزان من جملة الهاربين ثم وقعت بينه وبين المسلمين وقعة ثم وقع الصلح بينه وبين المسلمين ثم نقض الصلح ثم جمع أَبُو مُوسَى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الجيش وحاصروا هرمزان في مدينة تستر ولما اشتد عليه الأمر بعث إلى أَبِي مُوسَى فسأل الأمان إلى أن يحمله إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فأجابته إلى ذلك ووجه معه الخمس من غنائم المسلمين فلما وصل إليه ووقع نظره عليه سجد لله تعالى وجرى بينه وبين عمر محاورات ثم بعد ذلك أسلم طائعا غير مكره وأسلم من كان معه من أهله وولده وخدمه ثم قربه عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وفرح بإسلامه فهذه قصة إسلام هرمزان الذي قَالَ في حديث الباب: فأسلم الهرمزان وكان لا يفارق عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حتى قتل عمر رضي الله تعالى عنه فاتهمه بعض الناس بممالة أَبِي لَوْلُؤَةَ فقتله عُبَيْدُ اللَّهِ بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بتصغير عبيد.

(فَقَالَ: إِنِّي مُسْتَشِيرُكَ) أَي: قَالَ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(فِي مَعَاذِي) بتشديد الياء (هَذِهِ) إشارة إلى قصده وقد بين ابن أبي شيبة ما قصده من ذلك فروي من طريق معقل بن يسار أن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شاور الهرمزان في فارس وأصبهان وأذربيجان أَي: بأيها يبدأ وهذا يُشعر بأن المراد أنه استشار في جهات مخصوصة والهرمزان كان من أهل تلك البلاد فكان أعلم بأحوالها من غيره وعلى هذا ففي قوله في حديث الباب فالرأس كسرى والجناح

قَالَ: نَعَمْ مِثْلُهَا وَمِثْلُ مَنْ فِيهَا مِنَ النَّاسِ مِنْ عَدُوِّ الْمُسْلِمِينَ مِثْلُ طَائِرٍ لَهُ رَأْسٌ وَلَهُ جَنَاحَانِ وَلَهُ رِجْلَانِ، فَإِنْ كُسِرَ أَحَدُ الْجَنَاحَيْنِ نَهَضَتِ الرَّجْلَانِ بِجَنَاحٍ وَالرَّأْسُ، فَإِنْ كُسِرَ الْجَنَاحُ الْآخَرُ نَهَضَتِ الرَّجْلَانِ وَالرَّأْسُ، وَإِنْ شُدِخَ الرَّأْسُ ذَهَبَتِ الرَّجْلَانِ وَالْجَنَاحَانِ وَالرَّأْسُ، فَالرَّأْسُ كِسْرَى، وَالْجَنَاحُ قَيْصَرُ،

قيصر والجنح الآخر فارس نظر لأن كسرى هو رأس أهل فارس وأما قيصر صاحب الروم فلم يكن كسرى رأساً لهم.

وقد وقع عند الطَّبْرِيِّ من طريق مبارك بن فضالة قَالَ: فَإِنْ فَارَسَ الْيَوْمَ رَأْسٌ وَجَنَاحَانِ وَهَذَا مُوَافِقٌ لِرَوَايَةِ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ وَهُوَ أَوْلَى لِأَن قَيْصَرَ كَانَ بِالشَّامِ ثُمَّ بِلَادِ الشَّامِ وَلَا تَعْلُقُ لَهُمْ بِالْعِرَاقِ وَفَارَسَ وَالْمَشْرِقِ وَلَوْ أَرَادَ أَنْ يَجْعَلَ كِسْرَى رَأْسَ الْمُلُوكِ وَهُوَ مَلِكُ الْمَشْرِقِ وَلَوْ أَرَادَ أَنْ يَجْعَلَ كِسْرَى رَأْسَ الْمُلُوكِ وَهُوَ مَلِكُ الْمَشْرِقِ وَقَيْصَرَ مَلِكُ الرُّومِ دُونَهُ وَلِذَلِكَ جُعِلَ جَنَاحًا لَكَانَ الْمُنَاسِبُ أَنْ يَجْعَلَ الْجَنَاحَ الثَّانِي مَا يَقَابِلُهُ مِنْ جِهَةِ الْيَمِينِ كَمُلُوكِ الْهِنْدِ وَالصِّينِ مِثْلًا لَكِنْ دَلَّتِ الرِّوَايَةُ الْآخَرَى عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَرِدْ إِلَّا أَهْلُ بِلَادِهِ الَّتِي هُوَ عَالِمٌ بِهَا وَكَأَنَّ الْجِيُوشَ إِذْ ذَاكَ كَانَتْ بِالْبِلَادِ الثَّلَاثَةِ وَأَكْثَرَهَا وَأَعْظَمَهَا بِالْبِلَادَةِ الَّتِي فِيهَا كِسْرَى لِأَنَّهُ كَانَ رَأْسَهُمْ.

(قَالَ: نَعَمْ) أَي: قَالَ الْهَرَمَزَانُ نَعَمْ وَهُوَ حَرْفٌ إِيجَابٌ.

وَقَالَ الْكِرْمَانِيُّ: إِنْ صَحَّتِ الرِّوَايَةُ بِلَفْظِ فَعَلِ الْمَدْحِ فَتَقْدِيرُهُ نَعَمْ الْمِثْلُ (مِثْلُهَا) وَالضَّمِيرُ فِي مِثْلُهَا يَرْجِعُ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي يَدُلُّ عَلَيْهَا السِّيَاقُ وَارْتِفَاعُ مِثْلُهَا عَلَى الْإِبْتِدَاءِ.

(وَمِثْلُ مَنْ فِيهَا مِنَ النَّاسِ مِنْ عَدُوِّ الْمُسْلِمِينَ) عَطَفَ عَلَى مِثْلُهَا وَخَبَرَ الْمُبْتَدَأَ قَوْلُهُ: (مِثْلُ طَائِرٍ لَهُ رَأْسٌ وَلَهُ جَنَاحَانِ وَلَهُ رِجْلَانِ، فَإِنْ كُسِرَ أَحَدُ الْجَنَاحَيْنِ نَهَضَتِ الرَّجْلَانِ بِجَنَاحٍ وَالرَّأْسُ، فَإِنْ كُسِرَ الْجَنَاحُ الْآخَرُ نَهَضَتِ الرَّجْلَانِ وَالرَّأْسُ، وَإِنْ شُدِخَ الرَّأْسُ) أَي: وَإِنْ كَسَرَ مِنَ الشَّدَخِ بِالشَّيْنِ الْمَعْجَمَةِ وَالدَّالِّ الْمَهْمَلَةِ وَالْخَاءِ الْمَعْجَمَةِ قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ: الشَّدَخُ كَسْرُ الشَّيْءِ الْأَجُوفِ تَقُولُ شَدَخْتُ رَأْسَهُ فَانْشَدَخَ.

(ذَهَبَتِ الرَّجْلَانِ وَالْجَنَاحَانِ وَالرَّأْسُ، فَالرَّأْسُ كِسْرَى، وَالْجَنَاحُ قَيْصَرُ)

وَالْجَنَاحُ الْآخَرُ فَارِسُ، فَمَرِ الْمُسْلِمِينَ، فَلْيَنْفِرُوا إِلَى كِسْرَى، - وَقَالَ بَكْرٌ، وَزِيَادٌ جَمِيعًا عَنْ جُبَيْرِ بْنِ حَيَّةٍ - قَالَ: فَتَدَبَّنَا عُمَرُ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْنَا النُّعْمَانُ بْنُ مُقَرِّنٍ،

وَالْجَنَاحُ الْآخَرُ فَارِسُ) لفظ كسرى بفتح الكاف وكسرهما وقيصر غير منصرف وكذا فارس اسم الجيل المعروف من العجم.

قيل: فيه نظر لأن كسرى لم يكن رأساً للروم وقد تقدم البحث فيه.

وقيل: إن كسرى كان رأس الكل لأنه لم يكن في زمانه ملك أكبر منه لأن سائر ملوك البلاد كانوا يهابونه ويهادونه فإن قيل فالرأس كسرى والجناح قيصر والجناح الآخر فارس وما الرجلان.

فالجواب: أن لقيصر الإفرنج ولكسرى الهند ولا شك أن الفرنج كانت في طرف من قيصر متصلين به والهند كانت في طرف من كسرى متصلين به وإنما لم يقل وإن كسر الرجلان فكذا اكتفاء للعلم بحاله قياساً على الجناح لا سيما وأنه بالنسبة إلى الظاهر أسهل حالاً من الجناح فإن قيل إذا انكسر الجناح والرجلان جميعاً لا ينهض أيضاً فالجواب أن الغرض أن العضو الشريف هو الأصل فإذا صلح صلح الجسد كله وإذا فسد فسد بخلاف العكس.

(فَمَرِ الْمُسْلِمِينَ، فَلْيَنْفِرُوا إِلَى كِسْرَى) في رواية مبارك: أن الهرمزان قَالَ: فاقطع الجناحين يلن لك الرأس فأنكر عليه عمر فَقَالَ: بل أقطع الرأس أولاً فيحتمل أنه لما أنكر عليه عاد فأشار إليه بالصواب.

(وَقَالَ بَكْرٌ) هو بكر بن عَبْدِ اللَّهِ المذكور، (وَزِيَادٌ) هو زياد بن جبير المذكور (جَمِيعًا عَنْ جُبَيْرِ بْنِ حَيَّةٍ، قَالَ: فَتَدَبَّنَا) بفتح الدال المهملة والموحدة على صيغة الماضي أي: طلبنا ودعانا (عُمَرُ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وعزم علينا أن نجتمع للجهاد، (وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْنَا النُّعْمَانُ بْنُ مُقَرِّنٍ)⁽¹⁾ بفتح القاف وكسر الراء المشددة وبالنون المزني حامل لواء مُزينة يوم الفتح استشهد يوم نهاوند سنة إحدى وعشرين وهو من أفاضل الصحابة هاجر هو وإخوة له سبعة وقيل عشرة.

وَقَالَ ابن مسعود: إن للإيمان بيوتاً وإن بيت آل مقرن من بيوت الإيمان وروي عنه أنه قَالَ قدمنا على رَسُولِ اللَّهِ ﷺ في أربعمئة من مزينة ثم سكن

(1) أي: جعله أميراً علينا والنعمان بن مقرن.

حَتَّى إِذَا كُنَّا بِأَرْضِ الْعَدُوِّ، وَخَرَجَ عَلَيْنَا عَامِلٌ كَسَرَى فِي أَرْبَعِينَ أَلْفًا،

البصرة وتحول عنها إلى الكوفة وكان النعمان قدم على عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بفتح القادسية .

وفي رواية بن أبي شيبه : فدخل عمر المسجد فإذا هو بالنعمان يصلي فقعده فلما فرغ قَالَ إِنِّي مستعملك قَالَ أما جايئاً فلا ولكن غازياً قَالَ فَإِنَّكَ غَازٍ فخرج معه الزبير وحذيفة وابن عمر والأشعث وعمر بن معد يكرب .

وفي رواية الطَّبَرِيِّ : فأراد عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المسير بنفسه ثم بعث النعمان ومعه ابن عمر وجماعة وكتب إلى أبي مُوسَى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ يسير بأهل البصرة وإلى حذيفة أَنْ يسير بأهل الكوفة حتى يجتمعوا بنهاوند وإذا التقيتم فأمركم النعمان بن مقرن .

(حَتَّى إِذَا كُنَّا بِأَرْضِ الْعَدُوِّ) وقد عرف من رواية الطَّبَرِيِّ : أنها نهاوند وهي بضم النون وتخفيف الهاء وفتح الواو وسكون النون وآخره دال مهملة ضبط الحَافِظُ الْعَسْقَلَانِيُّ بفتح النون وليس كذلك بل بالضم لأنه بناها نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ وكانت تسمى نوح اوند يعني عَمَّرَهَا نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ فأبدلوا الحاء هاء وهي مدينة جنوبي همدان ولها أنهار وبساتين وهي كثيرة الفواكه تحمل فواكهها إلى العراق لجودتها منها إلى همدان أربعة عشر فرسخاً وهي من بلاد عراق العجم في حد بلاد الجبل .

(وَخَرَجَ عَلَيْنَا عَامِلٌ كَسَرَى) سماه مبارك بن فضالة في روايته بندار وعند ابن أبي شيبه أنه ذو الجناحين وهو خرزاد بن هرمز من الفرس أحد الأمراء الأربعة الذين أُمِّرتهم الأعجام على كورة نهاوند فلعل أحدهما لقبه .

(فِي أَرْبَعِينَ أَلْفًا) كان هؤلاء الأربعة ألفاً من فارس وكان من أهل نهاوند عشرون ألفاً ومن أهل أصبهان عشرون ألفاً ومن أهل قم وقاشان عشرون ألفاً ومن أهل أذربيجان ثلاثون ألفاً ومن بلاد أخرى عشرون ألفاً فالجملة مائة ألف وخمسون ألفاً فرساناً وكانت هذه الوقعة التي وقعت على نهاوند وقعة عظيمة وكان المسلمون يسمونها فتح الفتوح .

وَقَالَ ابن إسحاق والواقدي : كانت وقعة نهاوند في سنة إحدى وعشرين .

فَقَامَ تَرْجُمَانٌ، فَقَالَ: لِيُكَلِّمْنِي رَجُلٌ مِنْكُمْ، فَقَالَ الْمُغِيرَةُ: سَلْ عَمَّا شِئْتَ؟ قَالَ: مَا أَنْتُمْ؟

وَقَالَ سَيْفٌ: كَانَتْ فِي سَنَةِ سَبْعِ عَشْرَةٍ.

وقيل: في سنة تسع عشرة وكانت هذه الواقعة أربع وقعات وفي الواقعة الثانية قتل النعمان بن مقرن أمير الجيش وقام مقامه حذيفة بن اليمان رضي الله تعالى عنه.

(فَقَامَ تَرْجُمَانٌ) بفتح التاء وضمها وضم الجيم والوجه الثالث فتحهما نحو الزعفران.

وفي رواية الطَّبَرِيِّ: من الزيادة فلما اجتمعوا أرسل بNDAR إليهم أن أرسلوا رجلاً نكلمه فأرسلوا إليه المغيرة رضي الله عنه.

وفي رواية ابن أبي شيبة: وكان بينهم فھر فسرھ إليهم المغيرة فعبر النھر فشاوړ ذو الجناحين أصحابه كيف يقعد للرسول فقالوا له اقعد في هيئة الملك وبهجهتھ فقعد على سريره ووضع التاج على رأسه وقام أبناء الملوك حوله سَمَاطِينَ عليهم أساور الذهب والقرطة والديباج قَالَ: فأذن للمغيرة فأخذ بضبعيه رجلان ومعه رمحه وسيفه فجعل يطعن برمحه في بسطهم ليتطيروا.

وفي رواية الطَّبَرِيِّ قَالَ المغيرة: فمضيت ونكست رأسي فدفعت فقلت لهم إن الرسل لا يفعل بهم هذا.

(فَقَالَ: لِيُكَلِّمْنِي رَجُلٌ مِنْكُمْ، فَقَالَ الْمُغِيرَةُ) هو ابن شُعْبَةَ الثقفی الكوفي وكان هو الترجمان وكذلك كان هو الترجمان بين الهرمان وعمر بن الخطاب رضي الله عنه في المدينة لما قدم الهرمان إليه.

(سَلْ عَمَّا شِئْتَ؟ قَالَ: مَا أَنْتُمْ؟) هكذا خاطبه عامل كسرى بصيغة من لا يعقل احتقاراً له.

وفي رواية ابن أبي شيبة: فَقَالَ إِنَّكُمْ معشر العرب أصابكم جوع وجهد وجئتم فإن شئتم مِرْنَاكُمْ بكسر الميم وسكون الراء أي: أعطيناكم الميرة أي: الزاد ورجعتم.

في رواية الطَّبَرِيِّ: إِنَّكُمْ معشر العرب أطول الناس جوعاً وأبعد الناس من

قَالَ: نَحْنُ أَنْاسٌ مِنَ الْعَرَبِ، كُنَّا فِي شَقَاءٍ شَدِيدٍ وَبَلَاءٍ شَدِيدٍ، نَمُصُّ الْجِلْدَ وَالنَّوَى مِنَ الْجُوعِ، وَنَلْبَسُ الْوَبَرَ وَالشَّعَرَ، وَنَعْبُدُ الشَّجَرَ وَالْحَجَرَ، فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الْأَرْضِينَ - تَعَالَى ذِكْرُهُ وَجَلَّتْ عَظَمَتُهُ - إِلَيْنَا نَبِيًّا مِنْ أَنْفُسِنَا نَعْرِفُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ، فَأَمَرَنَا نَبِيُّنَا رَسُولُ رَبِّنَا ﷺ «أَنْ نُقَاتِلَكُمْ حَتَّى تَعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ، أَوْ تُؤَدُّوا الْحِزْبَةَ، وَأَخْبَرَنَا نَبِيُّنَا ﷺ عَنْ رَسُولِ رَبِّنَا، أَنَّهُ مَنْ قُتِلَ مِنَّا صَارَ إِلَى الْجَنَّةِ فِي نَعِيمٍ لَمْ يَرِ مِثْلَهَا قَطُّ، وَمَنْ بَقِيَ مِنَّا مَلَكَ رِقَابَكُمْ».

كل خير وما منعني أن أمر هؤلاء الأساورة أن ينتظموكم بالنشاب إلا تنجسا لجيفكم قَالَ فحمدت الله وأثنت عليه ثم قلت ما أخطأت شيئا من صفتنا كذلك كنا حتى بعث الله إلينا رسوله.

(قَالَ) أَي: المغيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (نَحْنُ أَنْاسٌ مِنَ الْعَرَبِ، كُنَّا فِي شَقَاءٍ شَدِيدٍ وَبَلَاءٍ شَدِيدٍ، نَمُصُّ الْجِلْدَ وَالنَّوَى مِنَ الْجُوعِ، وَنَلْبَسُ الْوَبَرَ وَالشَّعَرَ، وَنَعْبُدُ الشَّجَرَ وَالْحَجَرَ، فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الْأَرْضِينَ، تَعَالَى ذِكْرُهُ وَجَلَّتْ عَظَمَتُهُ، إِلَيْنَا نَبِيًّا مِنْ أَنْفُسِنَا نَعْرِفُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ) وزاد في رواية ابن أبي شيبة في شرف منا وأوسطنا حسبا وأصدقنا حديثا.

(فَأَمَرَنَا نَبِيُّنَا رَسُولُ رَبِّنَا ﷺ «أَنْ نُقَاتِلَكُمْ حَتَّى تَعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ، أَوْ تُؤَدُّوا الْحِزْبَةَ، وَأَخْبَرَنَا نَبِيُّنَا ﷺ عَنْ رَسُولِ رَبِّنَا، أَنَّهُ مَنْ قُتِلَ مِنَّا صَارَ إِلَى الْجَنَّةِ فِي نَعِيمٍ لَمْ يَرِ مِثْلَهَا قَطُّ، وَمَنْ بَقِيَ مِنَّا مَلَكَ رِقَابَكُمْ»)

وفي رواية ابن أبي شيبة: فَأَمَرَنَا رَسُولُ رَبِّنَا أَنْ نُقَاتِلَكُمْ حَتَّى تَعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ أَوْ تُؤَدُّوا الْحِزْبَةَ هَذَا الْقَدْرُ هُوَ الَّذِي يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي هَذَا الْبَابِ وَفِيهِ إِخْبَارُ الْمَغِيرَةِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَ بِقِتَالِ الْمَجُوسِ حَتَّى يُوَدُّوا الْحِزْبَةَ لِأَنَّهُمْ كَانُوا مَجُوسًا، وَفِيهِ فَصَاحَةُ الْمَغِيرَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ حَيْثُ إِنَّ كَلَامَهُ مَبِينٌ لِأَحْوَالِهِمْ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِدَنِيَاهُمْ مِنَ الْمَطْعُومِ وَالْمَلْبُوسِ وَبَدِينِهِمْ مِنَ الْعِبَادَةِ وَمَعَامِلَتِهِمْ مِنْ طَلَبِ التَّوْحِيدِ وَبِمَعَادِهِمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَى كَوْنِهِمْ فِي الْجَنَّةِ وَفِي الدُّنْيَا إِلَى كَوْنِهِمْ مَلَائِكًا لِلرَّقَابِ دَفْعَ لِقَوْلِ مَنْ زَعَمَ أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تَفَرَّدَ بِذَلِكَ.

وزاد في رواية الطَّبْرِيِّ: وَإِنَّا وَاللَّهِ لَا نَرْجِعُ إِلَى ذَلِكَ الشَّقَاءِ أَبَدًا حَتَّى نَغْلِبَكُمْ عَلَى مَا فِي أَيْدِيكُمْ.

3160 - فَقَالَ النُّعْمَانُ: رُبَّمَا أَشْهَدَكَ اللَّهُ مِثْلَهَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمْ يُنْذِمَكَ، وَلَمْ يُخْزِكَ، وَلَكِنِّي شَهِدْتُ الْقِتَالَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَانَ «إِذَا لَمْ يُقَاتِلْ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ، انْتَهَرَ حَتَّى تَهَبَّ الْأَرْوَاحُ، وَتَحْضُرَ الصَّلَوَاتُ»⁽¹⁾.

(فَقَالَ النُّعْمَانُ) يعني للمغيرة: (رُبَّمَا أَشْهَدَكَ اللَّهُ مِثْلَهَا) أي: أحضرك الله مثل هذه المغازي والمقاتلة أو الشدة (مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمْ يُنْذِمَكَ) بضم الياء من الإنذار يقال أندمه منه فندم والمعنى لم يندمك فيما لقيت معه من الشدة أو المعنى لن يندمك على التأني والصبر حتى تزول الشمس.

(وَلَمْ يُخْزِكَ) من الإخزاء يقال خزي بالكسر إذا ذل وهان أي: لو قتلت معه لعلمك بما تصير إليه من الثواب والنعيم الدائم لأجل الشهادة ويروى ولم يحزنك بالحاء المهملة والنون من الحزن وهو رواية الأكثرين والأولى ولم يخزك وفي رواية المستملي وهي أوجه لوفاق ما قبله كما في حديث وفد عبد القيس غير خزايا ولا ندامى وهذه المحاوراة التي وقعت بين النعمان بن مقرن والمغيرة بن شُعْبَةَ بسبب تأخير النعمان القتال فاعتذر النعمان بقوله: (وَلَكِنِّي شَهِدْتُ الْقِتَالَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا لَمْ يُقَاتِلْ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ، انْتَهَرَ حَتَّى تَهَبَّ الْأَرْوَاحُ) جمع ريح وأصله روح قلبت الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها والجمع يرد الأشياء إلى أصلها وقد حكى ابن جني جمع ريح على أرياح.

(وَتَحْضُرَ الصَّلَوَاتُ) وفي رواية ابن أبي شيبَةَ وتزول الشمس وزاد في رواية

(1) قال ابن أبي جمرة في البهجة: ظاهر الحديث يدل على أن السنة في القتال غدوة النهار أو عشية.

والكلام عليه من وجوه:

الوجه الأول: إن هذا القتال غدوة أو عشية لعله أم لا فإن قلنا إنه لغير علة فلا بحث ويبقى تعبدا وإن قلنا إنه لعله فما هي العلة الظاهر أنه لعله والعلة فيه على ضربين محسوسة ومعنوية والمحسوسة على ضربين عامة وخاصة فالعامة هي ما يكون في هذين الوقتين أعني أول النهار وعشيته من هبوب الأرواح وقوة الأبدان من عاقل وغير عاقل ونشاطها إذ ذاك لما في الوقتين من برودة الهوى وجمام النفوس من الراحة المتقدمة فمتقدم راحة الغدو استراحة الليل لأنه جعل سكناً ومتقدم راحة العشي استراحة القائلة لأن استراحة القائلة من السنة لقوله عليه السلام: «قِيلُوا فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَا تَقِيلُ» هذه هي العامة وأما الخاصة التي هي للعاقل دون غيره ما يحصل له من قوة اليقين ونشاط النفس بما لها في هذا الفعل من =

الطَّبْرِيِّ وَيُطِيبُ الْقِتَالَ وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ وَيَنْزِلُ النُّصْرَ وَقَدْ بَيَّنَّ مَبَارَكُ بْنُ

الأجر العظيم لنكاية العدو لأن قوى الأبدان العاقلة وغير العاقلة من أعظم مواد النكاية للعدو وأما المعنوية ففيمما في الوقتين من الزيادة في الإيمان وقوة المدد المعنوي وهو في النصر أقوى من الحسي فأما قوة الإيمان فإن هذين الوقتين أثر تعبد وطاعة لله تعالى والإيمان يقوي أعند التعبد والطاعات كما يضعف عند المخالفات وأعظم موجبات النصر هو الإيمان لأن الله تعالى يقول في كتابه: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: 47] فقوة الإيمان أعظم في مواد النصر من المحسوسات للوعد الجميل وقد روي أن عمر رضي الله عنه بعث سرية من السرايا ثم جاء البشير بالنصر والفتح فقال أي وقت كانت المقاتلة؟ فقالوا غدوة فقال ومتى كان النصر عشية فبكى رضي الله عنه حتى بليت دموعه لحيته فقالوا كيف تبكي والنصر لنا فقال والله ما الكفر يقف أمام الإيمان من غدوة إلى عشية إلا من أمر أحدثتموه أنتم أو أنا فلم ينظر إلى النصر إلا بقوة الإيمان وأما قوة المدد المعنوي أيضًا فهو من وجهين وقد نص عليه السلام عليهما في غير هذا الحديث فأحدهما: الريح لأنه عليه السلام قال: «نصرت بالصبا» حتى لقد ذهب بعض العلماء أنه لم يكن قط نصر بغير ريح والصبا ريح لينة شرقية وقد قيل إنها من الجنة وما كان من الجنة فهو للمؤمنين عون وعلى الكافرين وبال. أما الوجه الآخر: فهو الدعاء من المؤمنين لأنه قد جاءت زيادة في رواية غير الحديث الذي نحن بسبيله «ويدعو لكم إخوانكم المؤمنون» وقال عليه السلام في حديث ذكر فيه فضيلة: «الدعاء جند من جنود الله» فيجب أن يغتنم هذا الوقت الذي يكون فيه هذا المدد العظيم.

ويترتب على هذا من الفقه أن يدعو المرء بعد صلواته وفي الأوقات التي يرجو فيها القبول لإخوانه المؤمنين شرقًا وغربًا ليكثر لهم المدد الذي يرجى به النصر وقد روي أن عبد الله بن مروان خرج في بعض غزواته فسأل عن بعض صالحى الوقت فطلب فوجده في مسجد متوجهًا يصلي فقال اخرجوا على بركة الله سبابته في القبلة عندي خير من كذا وكذا فارس فلما بلغوا الحصن الذي أملوا انهتد شقة من سورة ففرح الجيش فقال ليس ذلك منكم وإنما هو ببركة تلك السبابة التي في القبلة.

الوجه الثاني: من البحث المتقدم فيه دليل على أن الحكم بالغالب في ارتباط العادات لأنه قال: «انتظر حتى تهب الأرواح وتحضر الصلاة» وهذه الريح قد تكون في ذلك الوقت وقد لا تكون لكن لما أن كان الغالب عليها أنها تأتي في ذلك الوقت وهو بعد الزوال حكم لها به وانتظرت إليه.

الوجه الثالث: إن النادر لا يعمل عليه لأنه قد يوجد الريح في بعض الأيام في غير ما هذا الوقت فلم ينط به الحكم لندرته.

الوجه الرابع: قوله: «انتظر» يرد عليه سؤالان:

الأول: أن يقال لم أتى بهذا اللفظ وعدل عن غيره من الألفاظ.

الثاني: أن يقال لم قال انتظر ولم يقل انتظرنا ومعلوم أن الانتظار كان من الجيش كله.

فضالة في روايته عن زياد بن جبير ارتباط كلام النعمان بما قبله وسياقه يبين أنه ليس قصة مستأنفة كما زعمه ابن بطال حيث قَالَ قول النعمان للمغيرة ربما أشهدك الله مثلها إلى آخره كلام مستأنف وابتداء قصة أخرى وذلك الزعم بعيد جداً مع إمكان الارتباط الكلام بما قبله ولفظ مبارك بن فضالة ملخصاً أنهم أرسلوا إليهم إما أن تعبروا إلينا النهر أو نعبر إليكم قَالَ النعمان اعبروا إليهم قَالَ

والجواب: عن الأول أن قوله انتظر فيه إشعار بأنهم أخذوا أهبة القتال واستعدوا ولم يغفلوا وهذا مثل قوله عليه السلام: «لا يزال العبد في صلاة ما دام ينتظر الصلاة» ومعلوم أن المراد من كان متطهراً في المسجد ينتظر الصلاة وأما من كان ينتظر الصلاة في بيته فلا يطلق عليه باعتبار ما أراده الشارع عليه السلام أنه ينتظر الصلاة وكذلك هنا سواء أتى بقوله انتظر ليعين ما قرناه. والجواب: عن الثاني أن المقصود من الجماعة رئيسهم والمعول عليه فيهم فإذا انتظر الرئيس انتظر الكل فأتى بهذه الصيغة تعظيماً للنبي ﷺ وتادباً معه كما هو الواجب.

الوجه الخامس: من البحث المتقدم هل يتعدى الحديث للقتال المعنوي أم لا الظاهر تعديته إذ أن حكم المعاني عنه عليه السلام تؤخذ كما يؤخذ عنه حكم الظاهر وقد تقدم من هذا ما فيه كفاية للحجة بالتعدي في غير ما حديث وتعديه يحتمل وجوها ويجمعها وجه واحد وهو أن أول النهار في المحسوس هو أول بدء ظهور خلقه فكذلك الوقائع الحسية والمعنوية أعني من التصرف والخواطر غير المستقيمة يبادر عند ظهورها إلى قتالها ومقاتلتها هي إزالتها لقوله عليه السلام في المار بين يدي المصلي: «فليقاتله فإنما هو شيطان» ومعناه فليدفعه وليزيله لأن أول الوقت في وقوع المخالفة أو الغفلة الإيمان فيها أقوى من وقت التمكن فيهما وأما نسبة العشي في المعنوي فهو الذكر بعد الغفلة لأن بالذكر يحيا الإيمان وقد قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِنَّمَا يُغِيثُكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۝﴾ [الأنعام: 68] والفرق بين القتالين أن الأول يكون بالدفع كما ذكرنا والثاني بالتوبة والإفلاع والتوبة هنا هي حقيقة النصر والذكر بعد الغفلة هي الريح المبشرة بالنصر المذكور وأما الصلاة في المعنوي فهو ما تقدم من مقتضى رحمة المولى لإثارته ريح التذكار بعد الغفلة الموجب للتوبة وهي حقيقة النصر لأن الصلاة من العباد دعاء والصلاة من الله تعالى رحمة فمن سبقت له الرحمة ختم له بالنصر وأما الانتظار في المعنوي فهو استصحاب دوام انكسار القلب إما لوقوع غفلة أو لوقوع مخالفة لأن النبي ﷺ قال إخباراً عن ربه عز وجل يقول: «اطلبوني عند المنكسرة قلوبهم من أجلي» لأن انكسار القلب من أجل الرب من أجل الطاعات لأنه لا يدخله رياء وهو أرجى الوسائل بمقتضى الوعد الجميل لأن معنى قوله تعالى: «اطلبوني عند المنكسرة قلوبهم» أي: هو معهم فإذا كان معهم فهو يلطف بهم ويوقظهم من الغفلة ويحرك لهم أسباب التوبة ويمن عليهم بالنصر والغنيمة جعلنا الله ممن لطف به وأدخله في حفظ عنايته.

فتلاقوا وقد قرن بعضهم بعضًا وألقوا حسك الحديد خلفهم لثلاث يفرؤا⁽¹⁾ قَالَ فرأى المغيرة كثرتهم فَقَالَ لم أر كالיום فشيلاً إن عدونا يتركون يتأهبون أما والله لو كان الأمر إلي لقد أعجلتهم.

وفي رواية ابن أبي شيبه: فصاففناهم فرشقونا حتى أسرعوا فينا فَقَالَ المغيرة للنعمان إنه قد أسرع في الناس فلو حملت فَقَالَ النعمان إنك لذو مناقب وقد شهدت مع رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مثلها.

وفي رواية الطَّبْرِيِّ: قد كان الله أشهدك أمثالها وإنه والله ما منعني أن أناجزهم إلا شيء شهدته من رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

وزاد ابن أبي شيبه والطبري معاً واللفظ لمبارك بن فضالة عن زياد بن جبير فَقَالَ النعمان اللهم إني أسألك أن تقرر عيني اليوم بفتح يكون فيه عز الإسلام وذل الكفر والشهادة لي ثم قَالَ إني هارٌّ اللواء فتيسروا للقتال.

وفي رواية ابن أبي شيبه: فليقض الرجل حاجته وليتوضأ ثم هارّه الثانية فتأهبوا وفي رواية ابن أبي شيبه فلينظر الرجل إلى نفسه ويرم من سلاحه ثم هارّه الثالثة فاحملوا ولا يلويّن أحد على أحد ولو قتلت فإن قتلت فعلى الناس حذيفة قَالَ فحمل وحمل الناس فوالله ما علمت أن أحداً يومئذ يريد أن يرجع إلى أهله حتى يقتل أو يظفر فثبتوا لنا ثم انهزموا فجعل الواحد يقع على الآخر فيقتل سبعة وجعل الحسك الذي جعلوه خلفهم يعقرهم وفي رواية ابن أبي شيبه ووقع ذو الجناحين عن بغلة شهباء فانشق بطنه ففتح الله على المسلمين.

وفي رواية الطَّبْرِيِّ: وجعل النعمان يتقدم باللواء فلما تحقق الفتح جاءته نشابة في خاصرته فصرعته فسجاه أخوه معقل ثوباً وأخذ اللواء ورجع الناس فنزلوا وباعوا حذيفة فكتب بالفتح إلى عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع رجل من المسلمين قلت وسماه سيف في الفتوح طريف بن سهم.

وعند ابن أبي شيبه من طريق علي بن زيد بن جدعان عن أبي عثمان هو النهدي: أنه ذهب بالبشارة إلى عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فيمكن أن يكونا ترافقا.

(1) الحسك ما يعمل من الحديد على مثال حسك السعدان وهو من آلات العسكر.

وذكر الطَّبْرِيّ: أن ذلك كان سنة تسع عشرة.

وقيل: سنة إحدى وعشرين.

وقيل: غير ذلك كما تقدم.

وفي الحديث منقبة للنعمان ومعرفة المغيرة بالحرب وقوة نفسه وشهامته وفصاحته وبلاغته ولقد اشتمل كلامه الوجيز هذا على بيان أحوالهم الدنيوية من المطعم والملبس ونحوهما وعلى أحوالهم الدينية أولاً وثانياً وعلى معتقدهم من التوحيد والرسالة والإيمان والمعاد وعلى بيان معجزات الرسول ﷺ وإخباره بالمغيبات ووقوعها كما أخبر.

وفيه: فضل المشورة وأن الكبير لا نقص عليه في مشاورة من هو دونه وأن المفضل قد يكون أميراً على الأفضل لأن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان في جيش عليه فيه النعمان بن مقرن والزبير أفضل منه اتفاقاً ومثله تأمير عمرو بن العاص على جيش فيه أبو بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كما سيأتي في أواخر المغازي.

وفيه: ضرب المثل وجودة تصور الهرمزان ولذلك استشاره عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وفيه: تشبيه الغائب المحسوس بحاضر محسوس لتقريبه إلى الفهم.

وفيه: البداءة بقتال الأهم فالأهم وبيان ما كان العرب عليه في الجاهلية من الفقر وشظف العيش.

وفيه: الإرسال إلى الإمام بالبشارة وفضل القتال بعد زوال الشمس على ما قبله وقد تقدم ذلك في الجهاد أيضاً.

ومطابقة الحديث للترجمة تؤخذ من تأخير النعمان بن مقرن عن مقاتلة العدو وانتظاره هبوب الرياح وزوال الشمس وهو معنى قوله في آخر الحديث انتظر حتى تهب الأرواح وتحضر الصلوات وهذه مواعدة في هذا الزمان مع الإمكان للمصلحة والترجمة هي المواعدة مع أهل الحرب وهي ترك قتالهم مع إمكانه قبل الظفر بهم.

وقد أخرج البُخَارِيُّ بعض هذا الحديث في التوحيد أيضاً.

2 - باب: إِذَا وَادَعَ الْإِمَامُ مَلِكَ الْقَرْيَةِ، هَلْ يَكُونُ ذَلِكَ لِبَقِيَّتِهِمْ؟

3161 - حَدَّثَنَا سَهْلُ بْنُ بَكَّارٍ، حَدَّثَنَا وَهْبٌ، عَنْ عَمْرِو بْنِ يَحْيَى، عَنْ عَبَّاسِ السَّاعِدِيِّ، عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ، قَالَ: «عَزَوْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ تَبُوكَ وَأَهْدَى مَلِكُ أَيْلَةَ لِلنَّبِيِّ ﷺ بَغْلَةً بَيْضَاءَ، وَكَسَاهُ بُرْدًا، وَكَتَبَ لَهُ بِحَرِّهِمْ».

2 - باب: إِذَا وَادَعَ الْإِمَامُ مَلِكَ الْقَرْيَةِ، هَلْ يَكُونُ ذَلِكَ لِبَقِيَّتِهِمْ؟

(باب) بالتنوين (إِذَا وَادَعَ) من الموادعة وهي المتاركة والمصالحة والمسالمة على ترك الحرب والأذى وحاصله أن يدع كل واحد منهما ما هو فيه. (الْإِمَامُ مَلِكُ الْقَرْيَةِ) وقوله: (هَلْ يَكُونُ ذَلِكَ لِبَقِيَّتِهِمْ؟) جواب إذا أي: هل يكون ما ذكره من الموادعة التي يدل عليه قوله وادع لبقية أهل القرية وجواب الاستفهام محذوف تقديره يكون.

(حَدَّثَنَا سَهْلُ بْنُ بَكَّارٍ) ⁽¹⁾ أَبُو بَشَرٍ الدَّارِمِيُّ البَصْرِيُّ قَالَ: (حَدَّثَنَا وَهْبٌ) بالتصغير هو ابن خالد بن عجلان أَبُو بَكْرٍ البَصْرِيُّ صاحب الكرايس.

(عَنْ عَمْرِو بْنِ يَحْيَى) أي: ابن عمارة المازني، (عَنْ عَبَّاسٍ) بفتح المهملة وتشديد الموحدة هو ابن سهل (السَّاعِدِيُّ)، عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ) عبد الرحمن وقيل المنذر ويقال إنه عم عباس الساعدي أنه (قَالَ: عَزَوْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ تَبُوكَ وَأَهْدَى مَلِكُ أَيْلَةَ) بفتح الهمزة وسكون المثناة التحتية وباللام بلدة في أول الشام.

وقال ابن قرقول: هي مدينة بالشام على نصف ما بين طريق مصر ومكة على شاطئ البحر.

(بَغْلَةً بَيْضَاءَ، وَكَسَاهُ) كذا فيه بالواو وفي رواية أبي ذر بالفاء وهو أولى لأن فاعل كسا هو النَّبِيُّ ﷺ (بُرْدًا، وَكَتَبَ لَهُ بِحَرِّهِمْ) للنبي ﷺ أي: بحكومة أرضهم وقريتهم وعبر عنها بالبحر لكونها بقربه.

قَالَ ابن المنير: لم يقع في لفظ الحديث عند الْبُخَارِيِّ صيغة الأمان ولا

(1) بفتح الموحدة وتشديد الكاف.

صيغة الطلب لكنه بناء على العادة في أن الملك الذي أهدى إنما طلب إبقاء ملكه وإنما يبقى ملكه ببقاء رعيته .

وحاصله : أن قبول هديته مؤذن بموادعته وكتابة بحرهم مؤذن بدخولهم في الموادة لأن موادة ملك موادة لرعيته لأن قوتهم به ومصالحهم إليه فلا معنى لانفراده دونهم وانفرادهم دونه عند الإطلاق والعادة قاضية بذلك.

وقال الحافظ العسقلاني : وهذا القدر لا يكفي في مطابقة الحديث للترجمة لأن العادة بذلك معروفة من غير الحديث وإنما جرى البخاري على عادته في الإشارة إلى بعض طرق الحديث الذي يورده وقد ذكر ذلك ابن إسحاق في السيرة فقال لما انتهى النبي ﷺ إلى تبوك أتاه ليخنة بن ربيعة صاحب أيلة فصالحه وأعطاه الجزية وكتب له رسول الله ﷺ كتاباً فهو عندهم : «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هذه أمانة من الله ومحمد النبي رسول الله ليخنة بن ربيعة وأهل أيلة» فذكره.

وقال العيني : هذا القائل - يريد الحافظ العسقلاني - ذكر الاكتفاء في مواضع عديدة في المطابقة بوجه أدنى من الذي ذكرناه يريد به ما ذكر آنفاً قال فما له يدعي هنا عدم الكفاية .

وإثبات المطابقة بالوجه الذي ذكرناه أقوى وأوجه من الذي ذكره لأن الذي ذكرناه من الداخل والذي ذكره من الخارج وهل علم أنه قصد ذلك أولاً هذا.

وقال ابن بطلال : العلماء مجمعون على أن الإمام إذا صالح ملك القرية أنه يدخل في ذلك الصلح بقيتهم واختلفوا في عكس ذلك وهو ما إذا استأمن لطائفة معينة هل يدخل هو فيهم؟ فذهب الأكثر إلى أنه لا بد من تعيينه لفظاً.

وقال أصبغ وسحنون : لا يحتاج إلى ذلك بل يكتفى بالقرينة لأنه لم يأخذ الأمان لغيره إلا وهو يقصد إدخال نفسه ثم هذا الحديث طرف من حديث مضى في كتاب الزكاة مطوّلاً بعين هذا الإسناد في باب خرص التمر وقد مضى الكلام فيه مستوفى.

3 - بَابُ الْوَصَايَا بِأَهْلِ ذِمَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

وَالذِّمَّةُ: الْعَهْدُ، وَالْإِلَّ: الْقَرَابَةُ.

3162 - حَدَّثَنَا آدَمُ بْنُ أَبِي إِيَاسٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، حَدَّثَنَا أَبُو جَمْرَةَ،

3 - بَابُ الْوَصَايَا بِأَهْلِ ذِمَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

بَابُ الْوَصَاةِ بفتح الواو والمهملة مخففاً بمعنى الوصية، قَالَ الجوهري: أَوْصَيْتُ لَهُ شَيْئاً وَأَوْصَيْتُ إِلَيْهِ، إِذَا جَعَلَهُ وَصِيكَ، وَالاسْمُ الْوَصَايَةُ بِكسر الواو وفتحها، وَأَوْصِيَّتُهُ وَوَصِيَّتُهُ تَوْصِيَةٌ وَالاسْمُ الْوَصَاةُ وَالْوَصِيَّةُ وَقَدْ تَقَدَّمَ بَسْطُهُ فِي أَوَّلِ كِتَابِ الْوَصَايَا وَفِي بَعْضِ النُّسخ: (بَابُ الْوَصَايَا).

(بِأَهْلِ ذِمَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ) وَإِنَّمَا أَضَافَ الذِّمَّةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِأَنَّ الذِّمَّةَ الَّتِي هِيَ الْعَهْدُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

(وَالذِّمَّةُ: الْعَهْدُ، وَالْإِلَّ: الْقَرَابَةُ) فَسَّرَ الْبُخَارِيُّ الذِّمَّةَ بِالْعَهْدِ وَهِيَ تَجِيءُ بِمَعْنَى الْعَهْدِ وَالْأَمَانِ وَالضَّمَانِ وَالْحَرَمَةِ وَالْحَقِّ وَسَمَّى أَهْلَ الذِّمَّةِ لِدُخُولِهِمْ فِي عَهْدِ الْمُسْلِمِينَ وَأَمَانِهِمْ وَأَمَّا الْإِلَّ فَهُوَ بِكسر الهمزة وتشديد اللام وَقَدْ فَسَّرَهُ بِالْقَرَابَةِ وَهُوَ تَفْسِيرُ الضَّحَّاكِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا يَرْفُقُونَ فِي مَوْءِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً﴾ [التوبة: 10] وَهُوَ كَقَوْلِ الشَّاعِرِ⁽¹⁾:

وَأَشْهَدُ أَنَّ إِلَّكَ مِنْ قُرَيْشٍ كِلَالُ السَّقْبِ مِنْ رَأْلِ النَّعَامِ

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ فِي الْمَجَازِ: الْإِلَّ الْعَهْدُ وَالْمِيثَاقُ وَالْيَمِينُ.

وَقَالَ غَيْرُهُ: يُطْلَقُ الْإِلَّ أَيْضًا عَلَى الْعَهْدِ وَعَلَى الْجَوَارِ.

وَعَنْ مُجَاهِدٍ: الْإِلَّ اللَّهُ، وَأَنْكَرَهُ عَلَيْهِ غَيْرُ وَاحِدٍ.

(حَدَّثَنَا آدَمُ بْنُ أَبِي إِيَاسٍ) قَالَ: (حَدَّثَنَا شُعْبَةُ) قَالَ: (حَدَّثَنَا أَبُو جَمْرَةَ) هُوَ

(1) البيت لحسان ثابت في شرح ديوان ابن حسان: 407.

الإل: القرابة، السقب، ولد الناقة ساعة يولد، الرأل: ولد النعام.

البيت يخاطب به أبا سفيان بن الحارث فيقول له: قرابتك من قريش كقرابة ولد الناقة من رأل النعام. أي أنت لست منهم.

أخرجه مسلم في الأيمان باب ندب من حلف يمينا فرأى غيرها خيراً منها أن يأتي الذي هو خير. وفي الإمارة باب النهي عن طلب الإمارة والحرص عليها رقم 1652.

قَالَ: سَمِعْتُ جُوَيْرِيَةَ بِنَ قُدَامَةَ التَّمِيمِيَّ، قَالَ: سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قُلْنَا: أَوْصِنَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ: «أَوْصِيكُمْ بِذِمَّةِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ ذِمَّةُ نَبِيِّكُمْ، وَرَزَقُ عِيَالِكُمْ».

4 - بَاب مَا أَقْطَعَ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الْبَحْرَيْنِ، وَمَا وَعَدَ مِنْ مَالِ الْبَحْرَيْنِ وَالْجَزْيَةِ، وَلِمَنْ يُقَسَّمُ الْفَيْءُ وَالْجَزْيَةُ

بالجيم والراء الضبعي واسمه قصر بسكون المهملة، وقد مرّ في آخر الأيمان.
(قَالَ: سَمِعْتُ جُوَيْرِيَةَ⁽¹⁾ بِنَ قُدَامَةَ⁽²⁾ التَّمِيمِيَّ) أَنَّهُ (قَالَ: سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قُلْنَا: أَوْصِنَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ: «أَوْصِيكُمْ بِذِمَّةِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ ذِمَّةُ نَبِيِّكُمْ، وَرَزَقُ عِيَالِكُمْ») إِذْ بِسَبَبِ الذِّمَّةِ يَحْصُلُ الْجَزْيَةُ الَّتِي هِيَ مَقْسُومَةٌ فِي الْمُسْلِمِينَ مَصْرُوفَةٌ فِي مَصَالِحِهِمْ وَفِي رِوَايَةِ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ وَأَوْصِيَهُ بِذِمَّةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ أَنْ يَوْفَى لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ وَأَنْ يِقَاتَلَ مِنْ وَرَائِهِمْ وَلَا يَكْلَفُوا إِلَّا طَاقَتَهُمْ وَيَسْتَفَادَ مِنْ هَذِهِ الزِّيَادَةِ أَنْ لَا يُؤْخَذَ مِنْ أَهْلِ الْجَزْيَةِ إِلَّا قَدْرَ مَا يَطِيقُ الْمَأْخُوذُ مِنْهُ.

قال المهلب: وفي الحديث الحرض على الوفاء بالعهد وحسن النظر في عواقب الأمور والإصلاح لمغانى المال وأصول الاكتساب وهو مختصر من حديث طويل في قصة مقتل عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وسيجيء ما فيه من فائدة زائدة في الكلام على حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المذكور في مناقبه إن شاء الله تعالى.

4 - بَاب مَا أَقْطَعَ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الْبَحْرَيْنِ، وَمَا وَعَدَ مِنْ مَالِ الْبَحْرَيْنِ وَالْجَزْيَةِ، وَلِمَنْ يُقَسَّمُ الْفَيْءُ وَالْجَزْيَةُ

(بَاب مَا أَقْطَعَ النَّبِيُّ ﷺ) مِنَ الْإِنْقِطَاعِ بِكسْرِ الهمزة وهو تسويغ الإمام شيئاً من مال الله تعالى لمن يراه أهلاً لذلك وأكثر ما يستعمل في إقطاع الأرض وهو أن يخرج منها شيئاً له يحوزه إما أن يملكه إياه فيعمره أو يجعل له عليه مدة

(1) قيل إنّ جويرية هذا هو جارية بن قدامة الصحابي المشهور فإن ثبت وإلا فهو من كبار التابعين.

(2) بضم القاف وتخفيف الدال.

3163 - حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ، حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: دَعَا النَّبِيُّ ﷺ الْأَنْصَارَ لِيَكْتُبَ لَهُمْ بِالْبَحْرَيْنِ، فَقَالُوا: لَا وَاللَّهِ حَتَّى تَكْتُبَ لِإِخْوَانِنَا مِنْ قُرَيْشٍ بِمِثْلِهَا، فَقَالَ: «ذَاكَ لَهُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ»، يَقُولُونَ لَهُ، قَالَ:

والإقطاع قد يكون تمليكًا وقد يكون غير تمليك والأجناد يسمون مقطعين بفتح الطاء ويقال مقتطعين أيضًا (مِنَ الْبَحْرَيْنِ) أراد به من مال البحرين والمراد بالبحرين البلد المشهور بالعراق من جهة الهند وقد تقدم في فرض الخمس أن النَّبِيَّ ﷺ كان صالحهم وضرب عليهم الجزية وتقدم في كتاب الشرب في الكلام على هذا الحديث أن المراد بإقطاعها للأنصار تخصيصهم بما يتحصل من جزيتها وخراجها لا تمليك رقبتها لأن أرض الصلح لا تقسم ولا تقطع.

(وَمَا وَعَدَ مِنْ مَالِ الْبَحْرَيْنِ وَالْجِزْيَةِ) عطف على ما اقطع وقوله: والجزية من عطف الخاص على العام قوله.
(وَلَمَنْ يُقْسَمُ الْفَيْءُ) وقد مر أن الفَيْء ما حصل للمسلمين من أموال الكفار من غير حرب ولا جهاد.

(وَالْجِزْيَةُ) هذا أيضًا من عطف الخاص على العام لأنها من جملة الفَيْء.
(حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ) هو أحمد بن عبد الله بن يونس بن عبد الله بن قيس التميمي اليربوعي الكوفي قال: (حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ) هو ابن معاوية بن خديج أبو خيثمة الجعفي الكوفي، (عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ) الْأَنْصَارِيُّ قاضي المدينة أنه (قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسًا رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، قَالَ: دَعَا النَّبِيُّ ﷺ الْأَنْصَارَ لِيَكْتُبَ لَهُمْ) أي: ليعين لكل منهم حصته على سبيل الانقطاع.

(بِالْبَحْرَيْنِ) وقد مر في كتاب الشرب في باب كتابة القطائع من رواية الليث عن يَحْيَى بن سعيد بلفظ ليقطع لهم بالبحرين والمراد بالحصّة من الجزية والخراج لأن رقبتها لا تملك لأن أرض الصلح لا تقسم كما عرفت.

(فَقَالُوا: لَا وَاللَّهِ حَتَّى تَكْتُبَ لِإِخْوَانِنَا مِنْ قُرَيْشٍ بِمِثْلِهَا، فَقَالَ) ﷺ: (ذَاكَ لَهُمْ) أي: ذاك المال للمهاجرين (مَا شَاءَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ، يَقُولُونَ لَهُ) أي: الأنصار يقولون لرسول الله ﷺ مصرّين على ذلك حتى (قَالَ) رسول الله ﷺ:

«فَإِنَّكُمْ سَتَرُونَ بَعْدِي أُثْرَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّى تُلْقَوْنِي».

3164 - حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: أَخْبَرَنِي رَوْحُ بْنُ الْقَاسِمِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُكَدِّرِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِي: «لَوْ قَدْ جَاءَنَا مَالُ الْبَحْرَيْنِ قَدْ أَعْظَيْتُكَ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا».

(فَإِنَّكُمْ سَتَرُونَ بَعْدِي أُثْرَةً) بفتح الهمزة والشاء المثلثة اسم من الإيثار يقال أثر إيثاراً إذا أعطى قاله ابن الأثير.

وفي المطالع: بضم الهمزة وسكون المثلثة ويروى أثره بفتحهما وبالوجهين قيده الجاني ويقال أيضاً إثرة بكسر الهمزة وسكون المثلثة.

قَالَ الْأَزْهَرِي: وَهُوَ الْأَسْتِثَارُ أَي: يَسْتَأْثِرُ عَلَيْكُمْ الْمُلُوكُ بِأَمْوَالِ الدُّنْيَا إِثَارًا لَأَنْفُسِهِمْ وَاسْتِقْلَالًا بِهَا وَيُفَضِّلُونَ غَيْرَكُمْ عَلَيْكُمْ وَلَا يَجْعَلُونَ لَكُمْ فِي الْأَمْرِ نَصِيبًا وَعَنْ أَبِي عَلِيٍّ الْقَالِي: إِنَّ الْأَثْرَةَ الشَّدَّةُ وَبِهِ كَانَ يَتَأَوَّلُ الْحَدِيثَ وَالتَّفْسِيرَ الْأَوَّلَ أَظْهَرَ وَعَلَيْهِ الْأَكْثَرُ وَسَبِّهِ يَشْهَدُ لَهُ وَهُوَ إِثَارُ الْأَنْصَارِ الْمَهَاجِرِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ فَأَجَابَهُمْ ﷺ بِهَذَا.

(فَاصْبِرُوا حَتَّى تُلْقَوْنِي) عَلَى الْحَوْضِ.

ومطابقة الحديث للترجمة باعتبار الجزء الأول فإن للترجمة ثلاثة أجزاء وفي الباب ثلاثة أحاديث فلكل جزء حديث يطابقه على الترتيب فحديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هذا يدل على أنه ﷺ قد أشار بذلك على الأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مراراً فلم يقبلوا فتركه ﷺ فنزل الْبُخَارِيُّ ما بالقوة منزلة ما بالفعل وهو في حقه ﷺ واضح لأنه لا يأمر إلا بما يجوز فعله والله وتعالى أعلم.

(حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ) المعروف بابن المديني قَالَ: (حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ) أَي: ابن مَعْمَر الهروي سكن بغداد.

(قَالَ: أَخْبَرَنِي) بالافراد (رَوْحُ) بفتح الراء (ابْنُ الْقَاسِمِ) العنبري التميمي البصري، (عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُكَدِّرِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) أنه (قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِي: لَوْ قَدْ جَاءَنَا مَالُ الْبَحْرَيْنِ) ويروى: لو قد جاءنا مال البحرين (قَدْ أَعْظَيْتُكَ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا) ثلاث مرات.

فَلَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَجَاءَ مَالُ الْبَحْرَيْنِ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: مَنْ كَانَتْ لَهُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عِدَّةٌ فَلْيَأْتِنِي، فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ كَانَ قَالَ لِي: «لَوْ قَدْ جَاءَنَا مَالُ الْبَحْرَيْنِ لَأَعْطَيْتُكَ هَكَذَا وَهَكَذَا» فَقَالَ لِي: اخْطُهُ، فَحَنَوْتُ حَتَّى فَقَالَ لِي: عُدَّهَا، فَعَدَدْتُهَا فَإِذَا هِيَ خَمْسُمِائَةٍ، فَأَعْطَانِي أَلْفًا وَخَمْسُمِائَةٍ.

3165 - وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ طَهْمَانَ، عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ ضُهَيْبٍ، عَنْ أَنَسٍ، أَتَى النَّبِيَّ ﷺ بِمَالٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ، فَقَالَ: «انْثُرُوهُ فِي الْمَسْجِدِ»، فَكَانَ أَكْثَرَ مَالٍ أَتَى بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، إِذْ جَاءَهُ الْعَبَّاسُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَعْطِنِي، إِنِّي قَادَيْتُ نَفْسِي وَقَادَيْتُ عَقِيلًا، قَالَ: «خُذْ»، فَحَنَّا فِي ثَوْبِهِ، ثُمَّ ذَهَبَ يَقُلُّهُ فَلَمْ يَسْتَطِعْ، فَقَالَ: أُمِرُ بَعْضُهُمْ بِرَفْعِهِ إِلَيَّ، قَالَ: «لَا»

(فَلَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَجَاءَ مَالُ الْبَحْرَيْنِ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (مَنْ كَانَتْ لَهُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عِدَّةٌ) أَي: وَعِد (فَلْيَأْتِنِي، فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ كَانَ قَالَ لِي: «لَوْ قَدْ جَاءَنَا مَالُ الْبَحْرَيْنِ لَأَعْطَيْتُكَ هَكَذَا وَهَكَذَا» فَقَالَ لِي: اخْطُهُ) بضم الهمزة وكسرهما من حثا يحثو حثوا وحتى يحثي حثيًا وقيل: الهاء فيه للسكت.

(فَحَنَوْتُ حَتَّى فَقَالَ لِي: عُدَّهَا، فَعَدَدْتُهَا فَإِذَا هِيَ خَمْسُمِائَةٍ، فَأَعْطَانِي أَلْفًا وَخَمْسُمِائَةٍ) والحديث قد مر في الخمس في باب ومن الدليل على أن الخمس لنواب المسلمين ومطابقته للجزء الثاني للترجمة كما لا يخفى.

(وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ طَهْمَانَ) بفتح المهملة وسكون الهاء، (عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ ابْنِ ضُهَيْبٍ، عَنْ أَنَسٍ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (أَتَى النَّبِيَّ ﷺ) على البناء للمفعول (بِمَالٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ، فَقَالَ: «انْثُرُوهُ فِي الْمَسْجِدِ»)، فَكَانَ أَكْثَرَ مَالٍ أَتَى بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، إِذْ جَاءَهُ الْعَبَّاسُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَعْطِنِي، إِنِّي قَادَيْتُ نَفْسِي وَقَادَيْتُ عَقِيلًا) بفتح العين المهملة أَي: ابن أبي طالب وقد فادى العباس نفسه ولعقيل يوم بدر حين صارا أسيرين للمسلمين.

(قَالَ: «خُذْ»، فَحَنَّا فِي ثَوْبِهِ، ثُمَّ ذَهَبَ يَقُلُّهُ) بضم الياء وكسر القاف وتشديد اللام أَي: يرفعه ويحملة.

(فَلَمْ يَسْتَطِعْ، فَقَالَ: أُمِرُ بَعْضُهُمْ بِرَفْعِهِ إِلَيَّ) ويروى: عليّ (قَالَ: «لَا»

قَالَ: فَارْفَعُهُ أَنْتَ عَلَيَّ، قَالَ: «لا»، فَتَنَرَّ مِنْهُ، ثُمَّ ذَهَبَ يُقِيلُهُ فَلَمْ يَرْفَعْهُ، فَقَالَ: أُمِرُ بَعْضُهُمْ يَرْفَعُهُ عَلَيَّ، قَالَ: «لا»، قَالَ: فَارْفَعُهُ أَنْتَ عَلَيَّ، قَالَ: «لا»، فَتَنَرَّ مِنْهُ، ثُمَّ اخْتَمَلَهُ عَلَى كَاهِلِهِ، ثُمَّ انْطَلَقَ فَمَا زَالَ يُتْبِعُهُ بَصَرُهُ حَتَّى خَفِيَ عَلَيْنَا، عَجَبًا مِنْ جِرْصِهِ، فَمَا قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَثَمَّ مِنْهَا دِرْهَمٌ.

قَالَ: فَارْفَعُهُ أَنْتَ عَلَيَّ، قَالَ: «لا»، فَتَنَرَّ مِنْهُ، ثُمَّ ذَهَبَ يُقِيلُهُ فَلَمْ يَرْفَعْهُ، فَقَالَ: أُمِرُ بَعْضُهُمْ يَرْفَعُهُ عَلَيَّ، قَالَ: «لا»، قَالَ: فَارْفَعُهُ أَنْتَ عَلَيَّ، قَالَ: «لا»، فَتَنَرَّ مِنْهُ، ثُمَّ اخْتَمَلَهُ عَلَى كَاهِلِهِ) وهو ما بين الكتفين.

(ثُمَّ انْطَلَقَ، فَمَا زَالَ يُتْبِعُهُ بَصَرُهُ حَتَّى خَفِيَ عَلَيْنَا، عَجَبًا مِنْ جِرْصِهِ، فَمَا قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَثَمَّ مِنْهَا دِرْهَمٌ) قد مضى هذا التعليق بهذا الإسناد في كتاب الصلاة في باب القسمه وتعليق القنو في المسجد.

قَالَ الْحَافِظُ الْعَسْقَلَانِيُّ: وحديث أنس المعلق يشعر بأنه راجع إلى نظر الإمام يفضل من شاء ما شاء وتقدم في الخمس أن المال الذي أتى به من البحرين كان من الجزية وأن صرف الجزية مصرف الفيء وتقدم بيان الاختلاف في مصرف الفيء وأن المصنف يختار أنه إلى نظر الإمام والله وتعالى أعلم.

وروى عبد الرزاق في حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الطويل حين دخل عليه العباس وعلي يختصمان قَالَ: قرأ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ﴿مَا آفَأَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ [الحشر: 7] فَقَالَ استوعبت هذه المسلمين ورواه أبو عبيد من وجه آخر وَقَالَ فيه فاستوعبت هذه الآية الناس فلم يبق أحد إلا له فيها حق إلا بعض من تملكون من أرقائكم.

قال أبو عبيد: حكم الفيء والخراج والجزية واحد ويلتحق به ما يؤخذ من مال أهل الذمة من العشر إذا اتجروا في بلاد الإسلام وهو حق المسلمين يعم به الفقير والغني وتصرف منه أعطية المقاتلة وأرزاق الذرية وما ينوب الإمام من جميع ما فيه صلاح الإسلام والمسلمين، واختلف الصحابة في قسم الفيء فذهب أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى التسوية وهو قول علي وعطاء واختيار الشافعي وذهب عمر وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إلى التفضيل وبه قَالَ مالك.

وذهب الكوفيون إلى أن ذلك إلى رأي الإمام إن شاء فضل وإن شاء سوى.

5 - بَابُ إِثْمٍ مِنْ قَتَلَ مُعَاهِدًا بِغَيْرِ جُرْمٍ

3166 - حَدَّثَنَا قَيْسُ بْنُ حَفْصٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ،

قَالَ ابْنُ بَطَالٍ: أَحَادِيثُ الْبَابِ حُجَّةٌ لِمَنْ قَالَ بِالْتَفْضِيلِ.

قَالَ الْحَافِظُ الْعَسْقَلَانِيُّ: وَالَّذِي يَظْهَرُ أَنَّ مَنْ قَالَ بِالْتَفْضِيلِ يَشْتَرِطُ التَّعْمِيمَ بِخِلَافِ مَنْ قَالَ إِنَّهُ إِلَى نَظَرِ الْإِمَامِ وَهُوَ الَّذِي تَدُلُّ عَلَيْهِ أَحَادِيثُ الْبَابِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ مِنْ حَدِيثِ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا جَاءَهُ فِيءٌ قَسَمَهُ مِنْ يَوْمِهِ فَأَعْطَى الْأَهْلَ حَظِينَ وَأَعْطَى الْأَعْزَبَ حَظًّا وَاحِدًا وَقَالَ ابْنُ الْمُنْذِرِ انْفَرَدَ الشَّافِعِيُّ بِقَوْلِهِ إِنْ فِيءٌ الْخُمْسُ كَخُمْسِ الْغَنِيمَةِ وَلَا يَحْفَظُ ذَلِكَ عَنْ أَحَدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ وَلَا مِنْ بَعْدِهِمْ لِأَنَّ الْآيَاتِ التَّالِيَاتِ لآيَةِ الْفِيءِ مَعْطُوفَاتٌ عَلَى آيَةِ الْفِيءِ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ﴾ [الحشر: 8] إِلَى آخِرِهَا فَهِيَ مَفْسُورَةٌ لِمَا تَقْدُمُ مِنْ قَوْلِهِ مَا: ﴿أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ وَالشَّافِعِيُّ حَمَلَ الْآيَةَ الْأُولَى عَلَى أَنَّ الْقِسْمَةَ إِنَّمَا وَقَعَتْ لِمَنْ ذَكَرَ فِيهَا فَقَطْ ثُمَّ لِمَا رَأَى الْإِجْمَاعُ عَلَى أَنَّ أُعْطِيَ الْمُقَاتِلَةَ وَأَرْزَاقَ الذَّرِيَّةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَالِ الْفِيءِ تَأُولُ أَنَّ الَّذِي ذَكَرَ فِي الْآيَةِ هُوَ الْخُمْسُ فَجَعَلَ خُمْسَ الْفِيءِ وَاجِبًا لَهُمْ وَخَالَفَهُ عَامَةُ أَهْلِ الْعِلْمِ اتِّبَاعًا لِعَمْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَفِي قِصَّةِ الْعَبَّاسِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ سَهْمَ ذَوِي الْقُرْبَى مِنَ الْفِيءِ لَا يَخْتَصُّ بِفُقَرَاهُمْ لِأَنَّ الْعَبَّاسَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ مِنَ الْأَغْنِيَاءِ قَالَ إِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ قُلْتُ لِأَحْمَدَ فِي قَوْلِ عَمْرِو بْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَا عَلَى الْأَرْضِ مُسْلِمٌ إِلَّا وَلَهُ مِنْ هَذَا الْفِيءِ حَقٌّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ قَالَ يَقُولُ الْفِيءُ لِلْغَنِيِّ وَالْفَقِيرِ وَكَذَا قَالَ إِسْحَاقُ بْنُ رَاهُوَيْه.

5 - بَابُ إِثْمٍ مِنْ قَتَلَ مُعَاهِدًا بِغَيْرِ جُرْمٍ

(بَابُ إِثْمٍ مِنْ قَتَلَ مُعَاهِدًا) بَفَتْحِ الْهَاءِ وَكُسْرِهَا أَيُ: ذَمِيًّا (بِغَيْرِ جُرْمٍ) أَيُ: بِغَيْرِ ذَنْبٍ وَلَيْسَ فِي الْحَدِيثِ هَذَا التَّقْيِيدُ لَكِنَّهُ مُسْتَفَادٌ مِنْ قَوَاعِدِ الشَّرْعِ وَوَقَعَ مَنْصُوصًا فِي رِوَايَةِ أَبِي مُعَاوِيَةَ الْآتِي ذِكْرُهَا بِلَفْظِ بَغَيْرِ حَقٍّ وَفِيمَا أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِلَفْظٍ مِنْ قَتَلَ نَفْسًا مُعَاهِدَةً بِغَيْرِ حِلِّهَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ.

(حَدَّثَنَا قَيْسُ بْنُ حَفْصٍ) أَبُو مُحَمَّدٍ الدَّارِمِيُّ الْبَصْرِيُّ قَالَ: (حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ)

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَمْرٍو، حَدَّثَنَا مُجَاهِدٌ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا،
عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَتَلَ مُعَاهِدًا لَمْ يَرَحْ»

هو ابن زياد قَالَ: (حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَمْرٍو) الفقيمي التميمي الكوفي والفقيمي بضم الفاء وفتح القاف نسبة إلى فقيم بن دارم بن مالك ثقة ليس له في الْبُخَارِيِّ سوى هذا الحديث وآخر في الأدب قَالَ: (حَدَّثَنَا مُجَاهِدٌ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو) قالوا هذا الحديث منقطع فيما بين عبد الله بن عمرو ومجاهد في رواية عبد الواحد عن الحسن بن عمرو وتابعه أبو معاوية عن ابن ماجة وعمرو بن عبد الغفار الفقيمي عند الإسماعيلي فإنهم روه هكذا وقد رواه مروان بن معاوية الفزاري فزاد فيه رجلاً بين مجاهد وعبد الله بن عمرو وهو جنادة بن أبي أمية أَخْرَجَهُ مِنْ طَرِيقِ النَّسَائِيِّ.

وَقَالَ الدارقطني: هو الصواب.

وأجيب: بأن سماع مجاهد عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عمرو ثابت وليس هو بمدلس فيحتمل أن يكون مجاهد سمعه أولاً من جنادة ثم لقي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عمرو أو سمعاه معاً من ابن عمرو وثبته منه جنادة فحدث به مجاهد عَنْ ابْنِ عُمَرَ تارة وأخرى عن جنادة ولعل السر في ذلك ما وقع بينهما من زيادة أو اختلاف لفظ فَإِنَّ لَفْظَ النَّسَائِيِّ مِنْ طَرِيقِهِ مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ لَمْ يَجِدْ رِيحَ الْجَنَّةِ فَقَالَ مَنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ وَلَمْ يَظَلْ مُعَاهِدًا وَهُوَ بِالْمَعْنَى وَوَقَعَ فِي رِوَايَةِ أَبِي مُعَاوِيَةَ بِغَيْرِ حَقِّ كَمَا تَقْدُم.

ثم إن هذا الحديث من مسند عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عمرو إلا ما رواه الأصيلي عن الجرجاني عن الفربري فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بَضَمَ الْعَيْنَ بِغَيْرِ وَאו قَالَ الْحَافِظُ الْعَسْقَلَانِيُّ وَهُوَ تَصْحِيفٌ.

(عَنِ النَّبِيِّ ﷺ) أَنَّهُ (قَالَ: مَنْ قَتَلَ مُعَاهِدًا) بفتح الهاء وكسرهما أراد به الذمي لأنه من أهل العهد والأمان والعهد حيث وقع هو الميثاق.

(لَمْ يَرَحْ) بفتح الياء والراء وأصله يراح قَالَ الجوهرى راح فلان الشيء يراحه ويراحه إذا وجد ريحه وأما في هذا الحديث فقد جعله أَبُو عبيد من راحه يراحه وكان أَبُو عمرو يقول: إنه من راحه يراحه والكسائي من أراحه يراحه

رَائِحَةُ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا.

ومعنى الثلاث واحد وحكى ابن التين ما قاله الكسائي من ضم أوله وكسر الراء قَالَ والأول أجود وعليه الأكثر.

(رَائِحَةُ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا) هكذا هو في رواية الجميع إلا ابن عبد الغفار فقال سبعين عامًا وكذا جاء في رواية أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند التِّرْمِذِيِّ مرفوعًا ولفظه إلا من قتل نفسًا معاهدة لها ذمة الله وذمة رسوله فقد أخفر بذمة الله فلا يرح رائحة الجنة وإن ريحها لتوجد من مسيرة سبعين خريفًا.

وروى النَّسَائِيُّ أيضًا من حديث أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ نحوه وفي الموطأ خمسمائة.

قَالَ ابن بطال : أما الأربعون فهي أقصى أشد العمر في قول الأكثرين فإذا بلغها ابن آدم زاد علمه ويقينه واستحكمت بصيرته في الخشوع لله على الطاعة والندم على ما سلف فهذا يجد ريح الجنة على مسيرة أربعين عامًا وأما السبعون فإنها حد المعتكف ويعرض للمرء عندها من الخشية والندم ما يعرض لاقتراب أجله فيجد ريح الجنة من مسيرة سبعين عامًا وأما وجه الخمسمائة فهي فترة ما بين نبي ونبي فيكون من جاء في آخر الفترة واهتدى باتباع النَّبِيِّ ﷺ الذي كان قبل الفترة ولم يضره طولها فيجد ريح الجنة على خمسمائة عام فإن قيل المؤمن لا يخلد في النار فالجواب أن المراد لم يجد أول ما يجدها سائر المسلمين الذين لم يقترفوا الكبائر.

ومطابقة الحديث للترجمة في قوله من قتل معاهدًا وقد أخرجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي الدِّيَاتِ أَيْضًا وَأَخْرَجَهُ ابن ماجة في الدِّيَاتِ أَيْضًا.

فائدة:

قَالَ أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى : أربعة أحاديث تدور على ألسنة الناس ولا أصل لها عن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ من آذى ذميًّا فأنا خصمه يوم القيامة، ومن بشر بخروج أذار بشرته بالجنة ويروى من بشر بخروج صفر، ونحركم يوم فطركم، وللوسائل حق وإن جاء على فرس.

6 - باب إِخْرَاجِ الْيَهُودِ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ

وَقَالَ عُمَرُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَقْرَكُمْ مَا أَقْرَكُمُ اللَّهُ بِهِ».

3167 - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، قَالَ: حَدَّثَنِي سَعِيدُ

الْمَقْبُرِيُّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ، خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «انْطَلِقُوا إِلَى يَهُودَ»، فَخَرَجْنَا حَتَّى جِئْنَا بَيْتَ الْمِدرَاسِ

6 - باب إِخْرَاجِ الْيَهُودِ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ

(باب إِخْرَاجِ الْيَهُودِ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ) وقد مضى تفسير جزيرة العرب في

باب هل يستشفع إلى أهل الذمة في كتاب الجهاد.

وَقَالَ الْكِرْمَانِيُّ: جزيرة العرب هي ما بين عدن إلى ريف العراق طولاً ومن

جدة إلى الشام عرضاً.

وقيل: هذا عام أريد به الخاص وهو الحجاز.

وقد تقدم في هذا الباب حديث ابن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ثاني حديثي الباب ولفظه أخرجوا المشركين وكان المصنف اقتصر على ذكر اليهود لأنهم يوحدون الله تعالى إلا القليل منهم ومع ذلك أمر بإخراجهم فيكون إخراج غيرهم من الكفار بطريق الأولى.

(وَقَالَ عُمَرُ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (عَنِ النَّبِيِّ ﷺ): «أَقْرَكُمْ مَا أَقْرَكُمُ اللَّهُ بِهِ» هذا

قطعة من قصة أهل خيبر وقد ذكرها الْبُخَارِيُّ موصولة في كتاب المزارعة في باب إذا قَالَ رب الأرض أَقْرَكُ ما أَقْرَكَ اللَّهُ ومضى الكلام فيه هناك.

(حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ) قَالَ: (حَدَّثَنَا اللَّيْثُ) هو ابن سعد، (قَالَ:

حَدَّثَنِي سَعِيدُ الْمَقْبُرِيُّ، عَنْ أَبِيهِ) أَبِي سَعِيدٍ واسمه كيان المدني مولى بني ليث، (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أنه (قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ، خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ) جواب بينما وقد مر غير مرة أي: الأفضح في جوابه أن يكون بلا إذ وإذا.

(فَقَالَ: «انْطَلِقُوا إِلَى يَهُودَ»، فَخَرَجْنَا حَتَّى جِئْنَا بَيْتَ الْمِدرَاسِ) بكسر الميم

وهو البيت الذي يدرس فيه.

فَقَالَ: «أَسْلِمُوا تَسْلَمُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ، وَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُجْلِيَكُمْ مِنْ هَذِهِ الْأَرْضِ، فَمَنْ يَجِدْ مِنْكُمْ بِمَالِهِ شَيْئًا فَلْيَبِعْهُ، وَإِلَّا فَاغْلَمُوا أَنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ»⁽¹⁾.

وَقَالَ الْكَرْمَانِيُّ: المدراس العالم التالي للكتاب.
وَقَالَ الْحَافِظُ الْعَسْفَلَانِيُّ: والأول أرجح لأن في الرواية الأخرى حتى أتى المدراس.

وتعقبه الْعَيْنِيُّ: بأنه لا يرجح ذلك لأن معنى أتى المدراس جاء مكان دراستهم للتوراة ونحوها.

(فَقَالَ: أَسْلِمُوا) بفتح الهمزة أمر من الإسلام (تَسْلَمُوا) مجزوم جواب الأمر وهو من السلامة وفيه الجناس الحسن لسهولة لفظه وعدم كلفته ونظيره وقد تقدم نظيره في كتاب هرقل أسلم تسلم.

(وَاعْلَمُوا أَنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ) جملة ابتدائية كأنهم قالوا في جواب قوله: «أَسْلِمُوا تَسْلَمُوا» لم قلت هذا؟ فَقَالَ: «إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ».

(وَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُجْلِيَكُمْ مِنْ هَذِهِ الْأَرْضِ) فَإِنْ أَسْلَمْتُمْ سَلِمْتُمْ مِنْ ذَلِكَ وَمِمَّا هُوَ أَشَقُّ مِنْهُ.

(فَمَنْ يَجِدْ مِنْكُمْ بِمَالِهِ) أي: بدل ماله الباء للبدلية.

(شَيْئًا فَلْيَبِعْهُ) جواب من والمعنى أن من كان له شيء مما لا يمكن تحويله فله أن يبيعه ويحتمل أن يكون من الوجد أي: المحبة أي: فمن يحب منكم من ماله شَيْئًا والغرض أن من شقَّ عليه فراق شيء مما يعسر تحويله فقد أذن له في بيعه والظاهر هو الأول.

(وَإِلَّا فَاغْلَمُوا أَنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ) أي: وإن لم تسمعوا ما قلت لكم من

(1) قال الحافظ: قوله: «فَمَنْ يَجِدْ مِنْكُمْ بِمَالِهِ» من الوجدان، أي: يجد مشترئًا، أو من الوجد أي: المحبة أن يبيعه، والغرض أن منهم من يشق عليه فراق شيء من ماله مما يعسر تحويله فقد أذن له في بيعه، اهـ.

واقترع العيني والقسطلاني على ما قاله الكرمانى إن الباء للبدلية، ثم قال الحافظ: لم أر من صرح بنسب اليهود والمذكورين، والظاهر أنهم بقايا من اليهود وتأخروا بالمدينة بعد إجلاء =

ذلك فاعلموا أن الأرض لله ورسوله ويروى ولرسوله والمعنى وإلا فاعلموا أنه قد تعلق مشيئة الله تعالى بأن يورث أرضكم هذه للمسلمين ففارقوها.

ثم الظاهر أن المراد من اليهود في هذا الحديث بقايا في اليهود تأخروا بالمدينة بعد قتل بني قريظة وإجلاء بني النضير والفراغ من أمرهم لأنه كان قبل إسلام أبي هريرة رضي الله عنه وإنما جاء أبو هريرة رضي الله عنه بعد فتح خيبر كما سيأتي بيان ذلك كله في المغازي.

وقد أقر النبي ﷺ يهود خيبر على أن يعملوا في الأرض كما تقدم واستمروا إلى أن أجلاهم عمر رضي الله عنه ويحتمل أن يكون النبي ﷺ بعد أن فتح ما بقي من خيبر هم بإجلاء من بقي من اليهود الذين صالحهم ثم سألوهم أن يبقيتهم ليعملوا في الأرض فبقاؤهم أو كان قد بقي بالمدينة من اليهود المذكورين طائفة استمروا فيها معتمدين على الرضى بإبقائهم على العمل في أرض خيبر ثم منعهم النبي ﷺ من سكنى المدينة أصلاً والله وتعالى أعلم.

وسياق كلام القرطبي في شرح مسلم يقتضي أنه فهم أن المراد بذلك هو بنو

بني قينقاع وقريظة والنضير والفراغ من أمرهم لأنه كان قبل إسلام أبي هريرة وإنما جاء أبو هريرة بعد فتح خيبر وقد أقر النبي ﷺ يهود خيبر على أن يعملوا في الأرض واستمروا إلى أن أجلاهم عمر، ويحتمل والله أعلم أن يكون النبي ﷺ بعد أن فتح ما بقي من خيبرهم بإجلاء من بقي ممن صالح من اليهود ثم سألوهم أن يبقيتهم ليعملوا في الأرض فبقاؤهم، أو كان قد بقي بالمدينة من اليهود المذكورين طائفة استمروا فيها معتمدين على الرضا بإبقائهم للعمل في أرض خيبر ثم منعهم النبي ﷺ من سكنى المدينة أصلاً، وسياق كلام القرطبي في شرح مسلم يقتضي أنه فهم أن المراد بذلك بنو النضير ولكن لا يصح ذلك لتقدمه على مجيء أبي هريرة، وأبو هريرة يقول في هذا الحديث إنه كان مع النبي ﷺ وبيت المدراس بكسر أوله وهو البيت الذي يدرس فيه كتابهم، أو المراد بالمدراس العالم الذي يدرس كتابهم، والأول أرجح لأن في الرواية الأخرى حتى أتى المدراس، انتهى مختصراً. واختار الكرمانى هذا الثاني إذ قال: المدراس أي: العالم التالي للكتاب، أي: حيث مكان دراستهم للتوراة ونحوها، وهذا كان بعد قتل بني قريظة وإجلاء بني النضير، اهـ.

وتعقب العيني على قول الحافظ: الأول أرجح بقوله ما ثم ترجيح، لأن معنى أتى المدراس أي: جاء مكان دراستهم للتوراة ونحوها، اهـ.

وقال القسطلاني: قوله: «بيت المدراس» أي: بيت العالم الذي يدرس كتابهم أو البيت الذي يدرسون فيه كتابهم.

3168 - حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ: حَدَّثَنَا ابْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ سُلَيْمَانَ الْأَحْوَلِ: سَمِعَ سَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ: سَمِعَ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ: يَوْمُ الْخَمِيسِ وَمَا يَوْمُ الْخَمِيسِ، ثُمَّ بَكَى حَتَّى بَلَ دَمْعُهُ الْحَصَى، قُلْتُ:

النضير ولكن لا يصح ذلك لتقدمه على مجيء أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو يقول في هذا الحديث إنه كان مع النَّبِيِّ ﷺ واللَّهِ تَعَالَى أَعْلَم.

ومطابقة الحديث للترجمة من حيث إن النَّبِيَّ ﷺ أراد أن يخرج اليهود لأنه كان يكره أن يكون بأرض العرب غير المسلمين لأنه امتحن في استقبال القبلة حتى نزل: ﴿قَدْ زَرَى تَقَلُّبُ وَجْهِكَ﴾ [البقرة: 144] وامتحن مع بني النضير حين أرادوا الغدر به وأن يلقوا عليه حجراً فأمره اللَّهُ بإجلائهم وإخراجهم وترك سائر اليهود وكان يرجو أن يحقق اللَّهُ رغبته في إبعاد اليهود عن جواره فلم يوح إليه في ذلك شيء إلى أن حضرته الوفاة فأوحى إليه فيه فَقَالَ: «لا يبقين دينان بأرض العرب» وأوصى بذلك عند موته فلما كان في خلافة عمر رضي اللَّهُ تعالى عنه قَالَ من كان عنده عهد رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فليأت به وإلا فإني مجليكم فأجلاهم والحديث أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي الْإِكْرَاهِ وَالْإِعْتِصَامِ وَالْمَغَازِي أَيْضًا وَأَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي الْخَرَجِ وَالنَّسَائِيُّ فِي السَّيْرِ.

(حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ) قَالَ الْجَيَانِي لم ينسبه أحد من الرواة.

وَقَالَ الْحَافِظُ الْعَسْقَلَانِيُّ: هو مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ وقد تقدم في كتاب الوضوء في حديث آخر حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ حَدَّثَنَا ابْنُ عُيَيْنَةَ.

وتعقبه الْعَيْنِيُّ: بأنه لا يلزم من قوله في الوضوء حَدَّثَنَا ابْنُ سَلَامٍ عن ابن عيينة أن يكون هنا أَيْضًا هو ابن سلام عن ابن عيينة لأنه قَالَ في عدة مواضع عن مُحَمَّدِ بْنِ يُوسُفَ الْبَيْكَنْدِيِّ عن ابن عيينة.

وروى الإسماعيلي هذا الحديث عن الحسن بن سُفْيَانَ عن مُحَمَّدِ بْنِ خَلَادٍ والبالغي عن ابن عيينة.

(حَدَّثَنَا ابْنُ عُيَيْنَةَ) هو سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، (عَنْ سُلَيْمَانَ) ابن أبي مسلم (الْأَحْوَلِ) أنه (سَمِعَ سَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ، سَمِعَ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، يَقُولُ: يَوْمُ الْخَمِيسِ وَمَا يَوْمُ الْخَمِيسِ، ثُمَّ بَكَى حَتَّى بَلَ دَمْعُهُ الْحَصَى، قُلْتُ:

يَا أَبَا عَبَّاسٍ، مَا يَوْمُ الْحَمِيرِ؟ قَالَ: اشْتَدَّ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَجَعُهُ، فَقَالَ: «اثْنُونِي بِكَيْفٍ أَكْتُبُ لَكُمْ كِتَابًا لَا تَضِلُّوا بَعْدَهُ أَبَدًا». فَتَنَازَعُوا، وَلَا يَنْبَغِي عِنْدَ نَبِيِّ تَنَازُعٍ، فَقَالُوا: مَا لَهُ أَهْجَرَ اسْتَفْهَمُوهُ؟ فَقَالَ: «ذُرُونِي، فَإِلَّذِي أَنَا فِيهِ خَيْرٌ مِمَّا تَدْعُونِي إِلَيْهِ». فَأَمَرَهُمْ بِثَلَاثٍ، «أَخْرِجُوا الْمُشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَأَجِيزُوا الْوَفْدَ بِنَحْوِ مَا كُنْتُ أُجِيزُهُمْ». وَالثَّالِثَةُ خَيْرٌ، إِمَّا أَنْ سَكَتَ عَنْهَا، وَإِمَّا أَنْ قَالَهَا فَتَسَيَّئَتْهَا. قَالَ سُفْيَانُ: هَذَا مِنْ قَوْلِ سُلَيْمَانَ.

يَا أَبَا عَبَّاسٍ: مَا يَوْمُ الْحَمِيرِ؟ قَالَ: اشْتَدَّ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَجَعُهُ، فَقَالَ: «اثْنُونِي بِكَيْفٍ أَكْتُبُ لَكُمْ كِتَابًا لَا تَضِلُّوا بَعْدَهُ أَبَدًا»، فَتَنَازَعُوا، وَلَا يَنْبَغِي عِنْدَ نَبِيِّ تَنَازُعٍ، فَقَالُوا: مَا لَهُ أَهْجَرَ (أي: هجر في الدنيا واشتد وجعه لأن الاشتداد مستلزم للهجر بالضم فهو كناية).

(اسْتَفْهَمُوهُ؟ فَقَالَ: «ذُرُونِي، فَإِلَّذِي أَنَا فِيهِ خَيْرٌ مِمَّا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ»، فَأَمَرَهُمْ بِثَلَاثٍ، قَالَ: أَخْرِجُوا الْمُشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَأَجِيزُوا الْوَفْدَ) جمع الوافد وهو الوارد على الأمير.

(بِنَحْوِ مَا كُنْتُ أُجِيزُهُمْ وَالثَّالِثَةُ خَيْرٌ، إِمَّا أَنْ سَكَتَ عَنْهَا، وَإِمَّا أَنْ قَالَهَا فَتَسَيَّئَتْهَا، قَالَ سُفْيَانُ) أي: ابن عيينة: (هَذَا مِنْ قَوْلِ سُلَيْمَانَ) أي: الأحوال المذكور في السند، قَالَ الْمَهْلَبُ: إِنَّمَا أَمْرٌ بِإِخْرَاجِهِمْ خَوْفَ التَّلْبِيسِ مِنْهُمْ وَإِنْهُمْ مَتَى رَأَوْا عَدُوًّا قَوِيًّا صَارُوا مَعَهُ كَمَا فَعَلُوا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الْأَحْزَابِ.

وقال الطَّبْرِيُّ: فِيهِ مِنَ الْفَقْهِ أَنَّ الشَّارِعَ ﷺ بَيَّنَّ لِأُمَّتِهِ الْمُؤْمِنِينَ إِخْرَاجَ كُلِّ مَنْ دَانَ بِغَيْرِ دِينِ الْإِسْلَامِ مِنْ كُلِّ بَلَدَةٍ لِلْمُسْلِمِينَ سِوَاءَ كَانَتْ تِلْكَ الْبَلَدَةُ مِنَ الْبِلَادِ الَّتِي أَسْلَمَ أَهْلُهَا عَلَيْهَا أَوْ مِنْ بِلَادِ الْعِنُودَةِ إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْمُسْلِمِينَ بِهِمْ ضَرُورَةٌ إِلَيْهِمْ مِثْلَ كَوْنِهِمْ عِمَارًا لِأَرْضِيهِمْ وَنَحْوِ ذَلِكَ فَإِنْ قِيلَ كَانَ هَذَا خَاصًّا بِمَدِينَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَسَائِرِ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ دُونَ سَائِرِ بِلَادِ الْإِسْلَامِ إِذْ لَوْ كَانَ الْكُلُّ فِي الْحُكْمِ سِوَاءَ لَكَانَ ﷺ بَيَّنَّ ذَلِكَ فَالْجَوَابُ أَنَّهُ قَدْ ذَكَرَ أَنَّهُ إِذَا كَانَ لِلْمُسْلِمِينَ ضَرُورَةٌ إِلَيْهِمْ لَا يَتَعَرَّضُ لَهُمْ إِلَّا تَرَى أَنَّهُ ﷺ أَقْرَبُ يَهُودَ خَيْرٍ بَعْدَ قَهْرِ الْمُسْلِمِينَ إِيَّاهُمْ عِمَارًا لِأَرْضِهَا لِلضَّرُورَةِ وَكَذَلِكَ فَعَلَ الصَّدِيقُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ فِي يَهُودِ خَيْبَرَ وَنَصَارَى نَجْرَانَ وَكَذَلِكَ فَعَلَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ بِنَصَارَى الشَّامِ فَإِنَّهُ أَقْرَبَهُمْ لِلضَّرُورَةِ إِلَيْهِمْ فِي

7 - باب: إِذَا غَدَرَ الْمُشْرِكُونَ بِالْمُسْلِمِينَ، هَلْ يُعْفَى عَنْهُمْ؟

3169 - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، قَالَ: حَدَّثَنِي سَعِيدُ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا فُتِحَتْ خَيْبَرُ أُهْدِيَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ شَاةٌ فِيهَا سُمٌّ،

عمارة الأرضين إن كان المسلمون مشغولين بالجهاد.
ومطابقة الحديث للترجمة في قوله: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب فإن قيل الترجمة إخراج اليهود والمشرك أعم من اليهود.
فالجواب أنه قد سبق أنه إنما ذكر اليهود في الترجمة لأن أكثرهم يوحّدون الله تعالى فإذا كان هؤلاء يستحقون الإخراج فغيرهم من الكفار أولى.
والحديث قد مضى في كتاب الجهاد في باب هل يستشفع إلى أهل الذمة وقد مر الكلام فيه هناك.

7 - باب: إِذَا غَدَرَ الْمُشْرِكُونَ بِالْمُسْلِمِينَ، هَلْ يُعْفَى عَنْهُمْ؟

(باب) بالتونين (إِذَا غَدَرَ الْمُشْرِكُونَ بِالْمُسْلِمِينَ، هَلْ يُعْفَى عَنْهُمْ؟) إذا غدر المشركون بالمسلمين هل يعفى عنهم والغدر ضد الوفاء والغدر الخيانة أيضًا وكذا نقض العهد ولم يذكر جواب الاستفهام لأجل الاختلاف في معاقبة المرأة التي أهدت الشاة المسمومة.

(حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ) قَالَ: (حَدَّثَنَا اللَّيْثُ) أي: ابن سعد (قَالَ: حَدَّثَنِي) بالافراد ابن أبي هو (سَعِيدُ) المَقْبَرِيُّ، (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أنه (قَالَ: لَمَّا فُتِحَتْ خَيْبَرُ أُهْدِيَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ شَاةٌ فِيهَا سُمٌّ) ⁽¹⁾ وكان الذي أتى بها امرأة يهودية صرح بذلك في صحيح مسلم.

وقال النَّوَوِيُّ في شرح مسلم: وهذه المرأة اليهودية الفاعلة للسّم اسمها زينب بنت الحارث أخت مرحب اليهودي.

وَقَالَ الْعَيْنِيُّ: كذا رواه الواقدي عن الزُّهْرِيِّ وأنه ﷺ قَالَ لَهَا: «ما حملك على هذا؟» قالت: قتلت أبي وعمي وزوجي وأخي.

(1) بفتح السين وضمتها وكسرها ثلاث لغات والفتح أفصح وجمعه سمّام وسموم.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اجْمَعُوا إِلَيَّ مَنْ كَانَ هَا هُنَا مِنْ يَهُودَ» فَجَمِعُوا لَهُ، فَقَالَ: «إِنِّي سَأِلُكُمْ عَنْ شَيْءٍ، فَهَلْ أَنْتُمْ صَادِقِي عَنْهُ؟»، فَقَالُوا: نَعَمْ، قَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ أَبُوكُمْ؟»، قَالُوا: فُلَانٌ، فَقَالَ: «كَذَبْتُمْ، بَلْ أَبُوكُمْ فُلَانٌ»، قَالُوا: صَدَقْتَ، قَالَ: «فَهَلْ أَنْتُمْ صَادِقِي عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتُ عَنْهُ؟»، فَقَالُوا: نَعَمْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ، وَإِنْ كَذَبْنَا عَرَفْتَ كَذِبَنَا كَمَا عَرَفْتَهُ فِي أَبِيْنَا، فَقَالَ لَهُمْ: «مَنْ أَهْلُ النَّارِ؟»، قَالُوا: نَكُونُ فِيهَا يَسِيرًا، ثُمَّ تَخْلُفُونَا فِيهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اخْسَوْا فِيهَا، وَاللَّهِ لَا نَخْلُفُكُمْ فِيهَا أَبَدًا»،

قَالَ مُحَمَّدٌ: فَسَأَلْتُ إِبْرَاهِيمَ بْنَ جَعْفَرٍ عَنْ هَذَا فَقَالَ: أَبُوهَا الْحَارِثُ وَعَمُّهَا بَشَارُ وَكَانَ أَجْبَنَ النَّاسِ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ الرِّفِّ وَأَخُوهَا زَبِيرُ وَزَوْجُهَا سَلَامُ بْنُ حَكَمٍ.

(فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اجْمَعُوا إِلَيَّ مَنْ كَانَ هَا هُنَا مِنْ يَهُودَ» فَجَمِعُوا لَهُ، فَقَالَ: إِنِّي سَأِلُكُمْ عَنْ شَيْءٍ، فَهَلْ أَنْتُمْ صَادِقِي) بتشديد الياء لأن أصله صادقون فلما أضيف إلى ياء المتكلم سقطت النون فاجتمعت الواو والياء وقد سبقت إحداهما بالسكون فقلبت الواو ياء فأدغمت الياء في الياء.

(عَنْهُ؟)، فَقَالُوا: نَعَمْ، قَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ أَبُوكُمْ؟»، قَالُوا: فُلَانٌ، فَقَالَ: «كَذَبْتُمْ، بَلْ أَبُوكُمْ فُلَانٌ»، قَالُوا: صَدَقْتَ، قَالَ: «فَهَلْ أَنْتُمْ صَادِقِي عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتُ عَنْهُ؟»، فَقَالُوا: نَعَمْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ، وَإِنْ كَذَبْنَا عَرَفْتَ كَذِبَنَا كَمَا عَرَفْتَهُ فِي أَبِيْنَا، فَقَالَ لَهُمْ: «مَنْ أَهْلُ النَّارِ؟»، قَالُوا: نَكُونُ فِيهَا يَسِيرًا، ثُمَّ تَخْلُفُونَا فِيهَا) وأصل تخلفونا تخلفوننا فإسقاط النون من غير جازم ولا ناصب لغة وهو من خلف يخلف إذا قام مقام غيره والخلف بتحريك اللام وسكونها كل من يجيء بعد من مضى إلا أنه بالتحريك في الخير وبالسكون في الشر يقال خلف صدق وخلف سوء.

(فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: اخْسَوْا فِيهَا) زجر لهم بالطرد والإبعاد أو دعاء عليهم بذلك ويقال لطرد الكلب اخسأ.

(وَاللَّهِ لَا نَخْلُفُكُمْ فِيهَا أَبَدًا)، فَإِنْ قِيلَ إِنَّ عُصَاةَ الْمُسْلِمِينَ يَدْخُلُونَ النَّارَ عَلَى مَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ.

فَالْجَوَابُ: أَنَّهُمْ لَا يَخْرُجُونَ مِنْهَا فَلَا يَتَصَوَّرُ مَعْنَى الْخِلَافَةِ وَكَذَلِكَ هُمَا

ثُمَّ قَالَ: «هَلْ أَنْتُمْ صَادِقِي عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتُكُمْ عَنْهُ؟»، فَقَالُوا: نَعَمْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ، قَالَ: «هَلْ جَعَلْتُمْ فِي هَذِهِ الشَّاةِ سُمًّا؟»، قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «مَا حَمَلَكُم عَلَى ذَلِكَ؟»، قَالُوا: أَرَدْنَا إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا نَسْتَرِيحَ، وَإِنْ كُنْتَ نَبِيًّا لَمْ يَضُرَّكَ.

يفترقان بالخلود وعدمه (ثُمَّ قَالَ: «هَلْ أَنْتُمْ صَادِقِي عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتُكُمْ عَنْهُ؟»، فَقَالُوا: نَعَمْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ، قَالَ: «هَلْ جَعَلْتُمْ فِي هَذِهِ الشَّاةِ سُمًّا؟»، قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «مَا حَمَلَكُم عَلَى ذَلِكَ؟»، قَالُوا: أَرَدْنَا إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا نَسْتَرِيحَ، وَإِنْ كُنْتَ نَبِيًّا لَمْ يَضُرَّكَ) قَالَ الْقَاضِي عِيَاضُ: واختلف الآثار والعلماء هل قتلها النَّبِيُّ ﷺ أم لا؟ فوق في صحيح مسلم أنهم قالوا ألا نقتلها قَالَ: لا

ومثله عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَكَذَا عَنْ جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَعَنْهُ أَيْضًا مِنْ رِوَايَةِ أَبِي سَلَمَةَ أَنَّهُ ﷺ قَتَلَهَا.

وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا دَفَعَهَا إِلَى أَوْلِيَاءِ بَشَرِ بْنِ الْبَرَاءِ بْنِ مَعْرُورٍ وَكَانَ أَكَلَ مِنْهَا فَمَاتَ بِهَا فَقَتَلُوهَا.

وَقَالَ ابْنُ سَحْنُونٍ: أَجْمَعَ أَهْلُ الْحَدِيثِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَتَلَهَا وَفِي رِوَايَةِ أَبِي دَاوُدَ فَأَمَرَ بِهَا فَقَتَلَتْ وَفِي لَفْظِ قَتَلَهَا وَصَلَبَهَا وَفِي جَامِعِ مَعْمَرٍ عَنِ الزُّهْرِيِّ لَمَّا أَسْلَمَتْ تَرَكَهَا قَالَ مَعْمَرٌ.

كَذَا قَالَ الزُّهْرِيُّ: أَسْلَمَتْ وَالنَّاسُ يَقُولُونَ قَتَلَهَا وَإِنِهَا لَمْ تَسْلَمْ.

وَقَالَ السَّهْلِيُّ: قِيلَ إِنَّهُ صَفَحَ عَنْهَا.

قَالَ الْقَاضِي: وَجْهُ الْجَمْعِ بَيْنَ هَذِهِ الرِّوَايَاتِ وَالْأَقَاوِيلِ أَنَّهُ لَمْ يَقْتُلْهَا إِلَّا حِينَ اطَّلَعَ عَلَى سِحْرِهَا وَقِيلَ لَهَا قَتَلَهَا فَقَالَ لَا فَلَمَّا مَاتَ بَشَرِ بْنِ الْبَرَاءِ مِنْ ذَلِكَ سَلِمَهَا لِأَوْلِيَائِهِ فَقَتَلُوهَا قِصَاصًا فَصَحَّ قَوْلُهُمْ لَمْ يَقْتُلْهَا أَيُّ: فِي الْحَالِ وَيَصَحُّ قَوْلُهُمْ قَتَلَهَا أَيُّ: بَعْدَ ذَلِكَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَاسْتَدَلَ الْإِمَامُ مَالِكٌ بِهَذَا الْحَدِيثِ عَلَى أَنَّ الْقَتْلَ بِالسَّمِّ كَالْقَتْلِ بِالسَّلَاحِ الَّذِي يُوْجِبُ الْقِصَاصَ.

وَقَالَ الْكُوفِيُّونَ: لَا قِصَاصَ فِيهِ، وَفِيهِ الدِّيةُ عَلَى الْعَاقِلَةِ قَالُوا وَلَوْ دَسَّ فِي طَعَامٍ أَوْ شَرَابٍ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ شَيْءٌ وَلَا عَلَى عَاقِلَتِهِ.

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ: إِذَا فَعَلَ ذَلِكَ وَهُوَ مُكْرَهُ فِيهِ قَوْلَانِ: هَلْ فِيهِ قُودٌ أَوْ لَا

8 - باب دُعَاءِ الْإِمَامِ عَلَى مَنْ نَكَثَ عَهْدًا

3170 - حَدَّثَنَا أَبُو الثُّعْمَانِ، حَدَّثَنَا ثَابِتُ بْنُ يَزِيدَ، حَدَّثَنَا عَاصِمٌ، قَالَ: سَأَلْتُ أَنَسًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ الْقُنُوتِ، قَالَ: قَبْلَ الرُّكُوعِ، فَقُلْتُ: إِنَّ فُلَانًا يَزْعُمُ أَنَّكَ قُلْتَ بَعْدَ الرُّكُوعِ؟ فَقَالَ: كَذَبٌ، ثُمَّ حَدَّثَنَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنَّهُ قَتَلَ شَهْرًا بَعْدَ الرُّكُوعِ، يَدْعُو عَلَى أَحْيَاءٍ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ»،

أصحبهما لا وفيه معجزة ظاهرة له عَلَيْهِ السَّلَامُ حيث لم يؤثر فيه السم والذي أكل معه مات وفيه أن السم لا يؤثر بذاته بل بإذن الرب جل جلاله ومشيتته ألا ترى أن السم أثر في بشر ولم يؤثر في النَّبِيِّ ﷺ فلو كان يؤثر بذاته لأثر فيهما في الحال.

ومطابقة الحديث للترجمة من حيث إن المشركين من أهل خيبر غدروا بالنبي ﷺ وأهدوا له على يد امرأة شاة مسمومة فعفا عنها أو قتلها فيه خلاف على ما مر والحديث أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي الْمَغَازِي وَالطَّبِّ أَيْضًا وَأَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ فِي التَّفْسِيرِ وَأَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ امْرَأَةً يَهُودِيَّةً أَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ بِشاة مسمومة فأكل منها فجاء بها إلى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فسألها عن ذلك فقالت أردت لأقتلك فَقَالَ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَسْلُطَكَ عَلَى ذَلِكَ قَالَ أَوْ قَالَ عَلِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالُوا أَلَا تَقْتُلُهَا قَالَ لَا قَالَ فَمَا زِلْتَ أَعْرِفُهَا فِي لَهَوَاتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

8 - باب دُعَاءِ الْإِمَامِ عَلَى مَنْ نَكَثَ عَهْدًا

(باب) جواز (دُعَاءِ الْإِمَامِ) وفي نسخة: باب الدعاء (عَلَى مَنْ نَكَثَ) أي: نقض (عَهْدًا) أي: ميثاقًا.

(حَدَّثَنَا أَبُو الثُّعْمَانِ) مُحَمَّدُ بْنُ الْفَضْلِ السَّدُوسِيُّ قَالَ: (حَدَّثَنَا ثَابِتُ بْنُ يَزِيدَ) عَلَى لَفْظِ الْمَضَارِعِ مِنَ الزِّيَادَةِ وَوَهُمُ مَنْ قَالَ فِيهِ زَيْدٌ بِغَيْرِ الْيَاءِ قَالَ: (حَدَّثَنَا عَاصِمٌ) هُوَ ابْنُ سُلَيْمَانَ الْأَحُولِ وَهُوَ لَا كَلِمَ بَصْرِيٌّ، (قَالَ: سَأَلْتُ أَنَسًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ الْقُنُوتِ، قَالَ: قَبْلَ الرُّكُوعِ، فَقُلْتُ: إِنَّ فُلَانًا يَزْعُمُ أَنَّكَ قُلْتَ بَعْدَ الرُّكُوعِ؟ فَقَالَ: كَذَبٌ) قَالَ الْكِرْمَانِيُّ: فَإِنْ قُلْتَ فَلِمَ يَقْرَأُ الشَّافِعِيُّ الْقُنُوتَ بَعْدَ الرُّكُوعِ قُلْتَ لَمَا رَوَى عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي كِتَابِ الْوُتْرِ أَنَّهُ قَالَ: قَتَلَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الصُّبْحِ بَعْدَ الرُّكُوعِ وَنَحْوَهُ (ثُمَّ حَدَّثَنَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنَّهُ قَتَلَ شَهْرًا بَعْدَ الرُّكُوعِ، يَدْعُو عَلَى أَحْيَاءٍ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ» بضم المهملة وفتح اللام على صيغة التصغير.

قَالَ: «بَعَثَ أَرْبَعِينَ - أَوْ سَبْعِينَ يَشْكُ فِيهِ - مِنَ الْقُرَاءِ إِلَى أَنَاسٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ»، فَعَرَضَ لَهُمْ هَؤُلَاءِ فَقَتَلُوهُمْ، وَكَانَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ عَهْدٌ، «فَمَا رَأَيْتُهُ وَجَدَ عَلَى أَحَدٍ مَا وَجَدَ عَلَيْهِمْ».

9 - بَابُ أَمَانِ النِّسَاءِ وَجَوَارِهِنَّ

3171 - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ، أَخْبَرَنَا مَالِكٌ، عَنْ أَبِي النَّضْرِ،

قَالَ: «بَعَثَ أَرْبَعِينَ أَوْ سَبْعِينَ يَشْكُ فِيهِ» أَي: فِي أَنَّ الْمَبْعُوثَ أَرْبَعُونَ أَوْ سَبْعُونَ (مِنَ الْقُرَاءِ) يَتَعَلَّقُ بِقَوْلِهِ: بَعَثَ (إِلَى أَنَاسٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَعَرَضَ لَهُمْ هَؤُلَاءِ فَقَتَلُوهُمْ، وَكَانَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ عَهْدٌ، فَمَا رَأَيْتُهُ وَجَدَ⁽¹⁾ عَلَى أَحَدٍ مَا وَجَدَ عَلَيْهِمْ) يُقَالُ وَجَدَ مَطْلُوبَهُ يَجِدُهُ مِنْ بَابِ ضَرْبٍ يَضْرِبُ وَجُودًا وَيَجِدُهُ بِالضَّمِّ لُغَةً عَامَرِيَّةً لَا نَظِيرَ لَهَا فِي بَابِ الْمِثَالِ وَوَجَدَ ضَالَّتَهُ وَجَدَانًا وَوَجَدَ عَلَيْهِ فِي الْغَضَبِ مَوْجِدَةً وَوَجَدَانًا أَيْضًا حَكَاهَا بَعْضُهُمْ وَوَجَدَ فِي الْحُزْنِ وَجَدًا بِالْفَتْحِ أَوْ جِدَةً وَوَجَدَ فِي الْمَالِ وَجَدًا أَوْ جِدَةً أَي: اسْتَغْنَى وَكَانَ ﷺ لَا يَدْعُو بِالْشَّرِّ عَلَى أَحَدٍ مِنَ الْكُفَّارِ مَا دَامَ يَرْجُو لَهُمُ الرِّجْوَةَ وَالْإِقْلَاعَ عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ أَلَا تَرَى أَنَّهُ ﷺ سَأَلَ أَنْ يَدْعُو عَلَى دُوسٍ فَدَعَا لَهُمْ بِالْهُدَى وَإِنَّمَا دَعَا عَلَى بَنِي سُلَيْمٍ حِينَ نَكَثُوا الْعَهْدَ وَغَدَرُوا وَيَتَسَّ مِنْ رَجْوَعِهِمْ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ فَأَجَابَ اللَّهُ بِذَلِكَ دَعْوَتَهُ وَأَظْهَرَ صِدْقَهُ وَبِرْهَانَهُ وَهَذِهِ الْقِصَّةُ أَصْلٌ فِي جَوَازِ الدَّعَاءِ فِي الصَّلَاةِ وَالْخُطْبَةِ عَلَى عَدُوِّ الْمُسْلِمِينَ وَمَنْ خَالَفَهُمْ وَمَنْ نَكَثَ عَهْدًا أَوْ شَبَّهَهُ.

وَالْحَدِيثُ قَدْ مَرَّ فِي كِتَابِ الْوُتْرِ فِي بَابِ الْقَنُوتِ قَبْلَ الرُّكُوعِ وَبَعْدَهُ.

وَمُطَابَقَتُهُ لِلتَّرْجُمَةِ ظَاهِرَةٌ.

9 - بَابُ أَمَانِ النِّسَاءِ وَجَوَارِهِنَّ

(بَابُ) حَكَمَ (أَمَانِ النِّسَاءِ وَجَوَارِهِنَّ) بِكَسْرِ الْجِيمِ وَضَمِّهَا أَي: إِجَارَتِهِنَّ وَأَصْلُ حَكَمِ الْجَوَارِ الْمَجَاوِرَةِ، قَالَ الْجَوْهَرِيُّ: الْجَارُ الَّذِي يُجَاوِرُكَ، تَقُولُ جَاوَرْتُهُ مُجَاوِرَةً وَجَوَارًا بِكَسْرِ الْجِيمِ وَضَمِّهَا، وَالْجَارُ الَّذِي أَجْرْتَهُ مِنْ أَنْ يَظْلِمَهُ ظَالِمٌ وَأَجْرْتَهُ بِدُونِ الْمَدِّ مِنَ الْإِجَارَةِ وَيُقَالُ أَجْرْتَ فَلَانًا عَلَى فَلَانٍ إِذَا أَعْنَتَهُ مِنْهُ وَمَنْعَتَهُ.

(حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ) قَالَ: (أَخْبَرَنَا مَالِكٌ) (الإمام، عَنْ أَبِي النَّضْرِ)

(1) أَي: حُزْنَ.

مَوْلَى عُمَرَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ، أَنَّ أَبَا مُرَّةَ، مَوْلَى أُمِّ هَانِيٍّ بِنْتِ أَبِي طَالِبٍ، أَخْبَرَهُ أَنَّهُ سَمِعَ أُمَّ هَانِيٍّ ابْنَةَ أَبِي طَالِبٍ، تَقُولُ: ذَهَبْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَامَ الْفَتْحِ، فَوَجَدْتُهُ يَغْتَسِلُ وَفَاطِمَةُ ابْنَتُهُ تَسْتُرُهُ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: «مَنْ هَذِهِ؟»، فَقُلْتُ: أَنَا أُمُّ هَانِيٍّ بِنْتُ أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ: «مَرْحَبًا بِأُمِّ هَانِيٍّ»، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ غُسْلِهِ، قَامَ فَصَلَّى ثَمَانِي رَكَعَاتٍ مُلْتَحِفًا فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ زَعَمَ ابْنُ أُمِّي عَلِيٌّ أَنَّهُ قَاتِلُ رَجُلٍ قَدْ أَجْرْتُهُ فُلَانُ بْنُ هُبَيْرَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَدْ أَجَرْنَا مَنْ أَجَرْتَ يَا أُمَّ هَانِيٍّ»، قَالَتْ أُمُّ هَانِيٍّ: وَذَلِكَ ضُحَى.

بالنون والضاد المعجمة واسمه سالم بن أبي أمية.

(مَوْلَى عُمَرَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ) أي: ابن مَعْمَرِ القرشي التَّيْمِيُّ المدني (أَنَّ أَبَا مُرَّةَ) بضم الميم وتشديد الراء واسمه يزيد بن مرة، (مَوْلَى أُمِّ هَانِيٍّ بِنْتِ أَبِي طَالِبٍ) وقيل: مولى عقيل بن أبي طالب.

وَقَالَ الدَّاوودي: كان عبدًا لهما فأعتقه فينسب مرة لهذا ومرة لهذا. (أَخْبَرَهُ أَنَّهُ سَمِعَ أُمَّ هَانِيٍّ ابْنَةَ أَبِي طَالِبٍ، تَقُولُ: ذَهَبْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَامَ الْفَتْحِ، فَوَجَدْتُهُ يَغْتَسِلُ وَفَاطِمَةُ ابْنَتُهُ تَسْتُرُهُ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: «مَنْ هَذِهِ؟»، فَقُلْتُ: أَنَا أُمُّ هَانِيٍّ بِنْتُ أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ: «مَرْحَبًا بِأُمِّ هَانِيٍّ»، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ غُسْلِهِ، قَامَ فَصَلَّى ثَمَانِي رَكَعَاتٍ مُلْتَحِفًا فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ زَعَمَ ابْنُ أُمِّي عَلِيٌّ أَنَّهُ قَاتِلُ رَجُلٍ قَدْ أَجْرْتُهُ فُلَانُ بْنُ هُبَيْرَةَ) بضم الهاء وفتح الموحدة وسكون التحتية وبالراء وفلان بالنصب عطف بيان لقوله رجلاً.

(فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَدْ أَجَرْنَا مَنْ أَجَرْتَ يَا أُمَّ هَانِيٍّ»)، قَالَتْ أُمُّ هَانِيٍّ: وَذَلِكَ ضُحَى) والحديث مضى في أوائل كتاب الصلاة في باب الصلاة في الثوب الواحد ملتحفًا به ومرّ فيه أيضًا ما يتعلق بالمراد بفلان ابن هبيرة وغير ذلك من فوائده ووقع هنا للدَّاوودي الشارح وهم فإنه قَالَ قوله عام الحديبية وهم من عَبْدَ اللَّهِ بنِ يُوسُفَ والذي قاله غيره يوم الفتح.

وتعقبه ابن التين: بأن الروايات كلها على خلاف ما قَالَ الدَّاوودي وليس فيها إلا يوم الفتح على الصواب وفي الحديث جواز أمان المرأة وأن من أمنتها حرم قتله وقد أجارت زينب بنت رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أبا العاص بن الربيع وعلى هذا جماعة

10 - بَابُ: ذِمَّةُ الْمُسْلِمِينَ وَجَوَارِهِمْ وَاحِدَةٌ يَسْعَى بِهَا أَدْنَاهُمْ

الفقهاء بالحجاز والعراق منهم مالك وأبو حنيفة وَالشَّافِعِيُّ وَأحمد وأبو ثور وإسحاق وهو قول الثوري والأوزاعي وشذ عبد الملك بن الماجشون وسحنون عن الجماعة فَقَالَ إن أمر الأمان إلى الإمام إن أجازة جاز وإن رده رد. وما ورد ما يخالف ذلك محمول على قضايا خاصة قَالَ ابن المنذر وفي قول النَّبِيِّ ﷺ: «يسعى بذمتهم أدناهم» دلالة على إغفال هذا القول. ومطابقة الحديث للترجمة في قوله قد أجرنا من أجرٍ.

10 - بَابُ: ذِمَّةُ الْمُسْلِمِينَ وَجَوَارِهِمْ وَاحِدَةٌ يَسْعَى بِهَا أَدْنَاهُمْ

(باب) بالتونين (ذِمَّةُ الْمُسْلِمِينَ⁽¹⁾ وَجَوَارِهِمْ) عطف على المبتدأ وليس في بعض النسخ لفظ وجوارهم وقوله (وَاحِدَةٌ) خبر المبتدأ يعني أن من انعقدت عليه ذمة من طائفة المسلمين فإنها واحدة في الحكم لا يختلف باختلاف العاقلين. والحاصل: أن كل من عقد ذمة يعني أماناً لأحد من أهل الحرب جاز أمانه على جميع المسلمين دينياً كان أو شريعاً عبداً كان أو حرّاً رجلاً كان أو امرأة وليس لهم بعد ذلك أن يخفروه واتفق مالك والثوري والأوزاعي والليث وَالشَّافِعِيُّ وَأبو ثور على جواز أمان العبد قاتل أو لم يقاتل. وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ وَأبو يُوسُفَ: لا يجوز أمانه إلا أن يقاتل.

وَقَالَ سَحْنُونُ: إن أذن له سيده في القتال صح أمانه وإلا فلا وأجاز مالك أمان الصبي إذا عقل الإسلام ومنع ذلك أَبُو حَنِيفَةَ وَالشَّافِعِيُّ وجمهور الفقهاء. وَقَالَ ابن المنذر: أجمع أهل العلم أن أمان الصبي غير جائز.

قَالَ الْحَافِظُ الْعَسْقَلَانِيُّ: قلت وكلام غيره يشعر بالتفرقة بين المراهق وغيره وكذلك المميز الذي يعقل والخلاف عن المالكية والحنابلة وأما المجنون فلا يصح أمانه بلا خلاف كالكافر لكن قَالَ الْأَوْزَاعِيُّ إن غزا الذمي مع المسلمين وأمن أحداً فإن شاء الإمام أمضاه وإلا فليرده إلى مأمنه وحكى ابن المنذر عن

(1) مرفوع على أنه مبتدأ.

3172 - حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ، أَخْبَرَنَا وَكِيعٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ: حَظَبْنَا عَلِيٍّ فَقَالَ: مَا عِنْدَنَا كِتَابٌ نَقْرُؤُهُ إِلَّا كِتَابُ اللَّهِ، وَمَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ، فَقَالَ:

الثوري انه استثنى من الرجال الأحرار الأسير في أرض الحرب فَقَالَ لا ينفذ أمانه وكذلك الأجير.

(يَسْعَى بِهَا) أي: بذمة المسلمين وأمانهم (أَدْنَاهُمْ) أي: أقلهم فدخل فيه الواحد والوضع بالنص والكثير والشريف بالفحوى ويدخل فيه أيضًا المرأة والعبد والصبي والمجنون وقد سبق الخلاف في ذلك آنفًا.

ثم إن قوله: «يسعى بذمتهم أدناهم» أشار به إلى ما ورد في بعض طرقه وقد تقدم بيانه في فضل المدينة في أواخر الحج ويأتي بهذا اللفظ بعد خمسة أبواب إن شاء الله تعالى.

ثم إن لفظ ذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم رواه أحمد في مسنده وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ وروى عن علي بن أبي طالب وعبد الله بن عمر وعن النَّبِيِّ ﷺ مثل رواية أحمد ثم قَالَ معنى هذا عند أهل العلم أن من أعطى الأمان من المسلمين فهو جائر على كلهم.

وروى ابن ماجة في حديث ابن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النَّبِيِّ ﷺ: تَكَافَأَ دِمَاؤُهُمْ وَهُمْ يَدُ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ يَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ». الحديث.

حَدَّثَنِي بِالْأَفْرَادِ (حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ) هو مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ كَذَا نَسَبَهُ ابْنُ السَّكَنِ. وَقَالَ الْكَلَابَادِيُّ: رَوَى مُحَمَّدُ بْنُ مِقَاتٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ نَمِيرٍ فِي الْجَامِعِ وَكُلُّهُمْ مُحْتَمَلٌ هُنَا.

(أَخْبَرَنَا وَكِيعٌ) هو ابن الجراح، (عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ) تيم الرباب، (عَنْ أَبِيهِ) يزيد بن شريك التَّيْمِيِّ ومات إبراهيم في حبس الحجاج سنة أربع وتسعين.

(قَالَ) أي يزيد بن شريك: (حَظَبْنَا عَلِيٍّ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (فَقَالَ: مَا عِنْدَنَا كِتَابٌ نَقْرُؤُهُ إِلَّا كِتَابُ اللَّهِ، وَمَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ، فَقَالَ) ويروى: قَالَ بدون الفاء.

فِيهَا الْجِرَاحَاتُ وَأَسْنَانُ الْإِبِلِ: «وَالْمَدِينَةُ حَرَمٌ مَا بَيْنَ غَيْرِ إِلَى كَذَا، فَمَنْ أَحَدَتْ فِيهَا حَدَثًا أَوْ آوَى فِيهَا مُحَدِّثًا، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يُقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ، وَمَنْ تَوَلَّى غَيْرَ مَوَالِيهِ فَعَلَيْهِ مِثْلُ ذَلِكَ، وَذِمَّةُ الْمُسْلِمِينَ وَاحِدَةٌ، فَمَنْ أَخْفَرَ مُسْلِمًا فَعَلَيْهِ مِثْلُ ذَلِكَ».

(فِيهَا الْجِرَاحَاتُ) أي: أحكامها، (وَأَسْنَانُ الْإِبِلِ) أي: إبل الديارات⁽¹⁾: (وَالْمَدِينَةُ حَرَمٌ) أي: محرم صيدها ونحوه.

(مَا بَيْنَ غَيْرٍ) بفتح المهملة وسكون التحتية وبالراء اسم جبل بالمدينة.
(إِلَى كَذَا) قَالَ الْعَيْنِيُّ: لعله أُحْدِ.

(فَمَنْ أَحَدَتْ فِيهَا حَدَثًا) بفتح الدال وهو الأمر المنكر الذي ليس بمعتاد ولا بمعروف في السنة.

(أَوْ آوَى فِيهَا مُحَدِّثًا) بكسر الدال أي: نصر جانيًا أو آواه وأجاره من خصمه وحال بينه وبين من يقتص منه ويروى بفتح الدال وهو الأمر المبتدع نفسه.
(فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يُقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ) بفتح الصاد وهو التوبة.

وقيل: الفريضة.

(وَلَا عَدْلٌ) هو الفدية وقيل النافلة.

ويقال: الصرف النافلة والعدل: الفريضة.

(وَمَنْ تَوَلَّى غَيْرَ مَوَالِيهِ) أي: اتخذهم أولياء أو موالي كانتمائه إلى غير أبيه أو غير معتقه.

(فَعَلَيْهِ مِثْلُ ذَلِكَ، وَذِمَّةُ الْمُسْلِمِينَ وَاحِدَةٌ) قد مر معناه (فَمَنْ أَخْفَرَ مُسْلِمًا) بالخاء المعجمة أي: فمن نقض عهد مسلم (فَعَلَيْهِ مِثْلُ ذَلِكَ) أي: مثل ما كان على من أحدث فيها.

والحديث قد مضى في باب حرم المدينة وتقدم الكلام فيه هناك.

ومطابقته للترجمة في قوله وذمة المسلمين واحدة.

(1) مغلظة ومخففة كذا قيل والظاهر العموم للزكاة أيضًا.

11 - باب: إِذَا قَالُوا: صَبَّأْنَا وَلَمْ يُحْسِنُوا أَسْلَمْنَا

وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: فَجَعَلَ خَالِدٌ يَقْتُلُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خَالِدٌ»

11 - باب: إِذَا قَالُوا: صَبَّأْنَا وَلَمْ يُحْسِنُوا أَسْلَمْنَا

(باب) بالتنونين (إِذَا قَالُوا) أي: المشركون حين يقاتلون (صَبَّأْنَا) أي: ملنا إلى الإسلام وأرادوا به الإخبار بأنهم أسلموا، (وَلَمْ يُحْسِنُوا) أن يقولوا: (أَسْلَمْنَا) أي: جرياً منهم على لغتهم، وجواب إذا محذوف تقديره بل يكون ذلك كافياً في رفع القتال عنهم أم لا.

قَالَ ابْنُ الْمُنِير: المقصود من الترجمة أن المقاصد تعتبر بأدلتها كيف ما كانت الأدلة لفظية أو غير لفظية تأتي بأي لغة كانت، وقوله صَبَّأْنَا، من صَبَّأً فلانٌ إذا خرج من دينه إلى دين آخر من قولهم: صَبَّأَ نَابَ البعير إذا طلع، وصَبَّأتِ النجوم، إذا خرجت من مطالعها، وكانت العرب تسمي النَّبْيَ الصَّابِيَّ لأنه خرج من دين قريش إلى دين الإسلام.

(وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (فَجَعَلَ خَالِدٌ) أي: ابن الوليد، (يَقْتُلُ)، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خَالِدٌ» (هذا طرف من حديث طويل أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ في كتاب المغازي في غزوة الفتح وأصل القصة أن خالد بن الوليد بعثه النَّبِيُّ ﷺ إلى بني جذيمة فدعاهم إلى الإسلام فلم يحسنوا أن يقولوا: أسلمنا فجعلوا يقولون: صَبَّأْنَا صَبَّأْنَا فجعل خالد يقتل منهم بناء على ظاهر اللفظ فبلغ النَّبِيُّ ﷺ ذلك فأنكره فدل على أنه يكتفي من كل قوم بما يعرف من لغتهم وقد عذر النَّبِيُّ ﷺ خالد بن الوليد في اجتهاده ولذلك لم يقدم منه .

وَقَالَ ابْنُ بَطَال: لا خلاف أن القاضي إذا قضى بجور أو بخلاف قول أهل العلم فهو مردود فإن كان على وجه الاجتهاد والتأويل كما صنع خالد رضي الله تعالى عنه فإن الإثم ساقط والضمان لازم عند عامة أهل العلم إلا أنهم اختلفوا في ضمان ذلك فإن كان في قتل أو جراح فني بيت المال وهذا قول الثوري وأبي حنيفة وأحمد وإسحاق .

وقالت طائفة: على عاقلة الإمام أو الحاكم وهذا قول الأوزاعي وأبي يوسف ومحمد والشافعي .

وَقَالَ عُمَرُ: إِذَا قَالَ مَتْرَسٌ فَقَدْ آمَنَهُ، إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ الْأَلْسِنَةَ كُلَّهَا، وَقَالَ: تَكَلَّمْ لَا بَأْسَ.

وَقَالَ ابْنُ الْمَاجْشُونِ: لَيْسَ عَلَى الْحَاكِمِ شَيْءٌ مِنَ الدِّيَةِ فِي مَالِهِ وَلَا عَلَى عَاقِلَتِهِ وَلَا فِي بَيْتِ الْمَالِ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

وهذا من المواضع التي يتمسك بها في أن البُخَارِيَّ يترجم ببعض ما ورد في الحديث وإن لم يورده في تلك الترجمة فإنه ترجم بقولهم صباناً ولم يوردها، واكتفى بطرف الحديث الذي وقعت فيه هذه اللفظة.

(وَقَالَ عُمَرُ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (إِذَا قَالَ مَتْرَسٌ) هي كلمة فارسية معناها لا تخف لأن لفظة (م) بالفتح كلمة النهي عندهم ولفظ ترس بمعنى الخوف عندهم فإذا أرادوا أن يقولوا لواحد لا تخف يقولون بلسانهم: مترس.

واختلفوا في ضبطها فضبطها الأصيلي بفتح الميم والتاء وسكون الراء وهو الموافق لقواعدهم.

وضبطها أَبُو ذَرٍّ بكسر الميم وسكون التاء.

وضبطه بعضهم بإسكان التاء وفتح الراء.

وأهل خراسان كانوا يقولون: ليحيى ابن يَحْيَى الأندلسي مطرس بالطاء بدل المثناة والأصل هو ضبط الأصيلي لا غير.

(فَقَدْ آمَنَهُ) من التفعيل أو من الإفعال.

(إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ الْأَلْسِنَةَ كُلَّهَا) وهذا التعليق وصله عبد الرزاق من طريق أبي وائل قَالَ: جَاءَنَا كِتَابُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَنَحْنُ نَحَاصِرُ قَصْرَ فَارِسَ فَقَالَ إِذَا حَاصِرْتُمْ قَصْرًا فَلَا تَقُولُوا لَهُمْ أَنْزِلُوا عَلَى حَكَمِ اللَّهِ فَإِنَّكُمْ لَا تَدْرُونَ مَا حَكَمَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْزِلُوهُمْ عَلَى حَكْمِكُمْ ثُمَّ اقْضُوا فِيهِمْ وَإِذَا لَقِيَ الرَّجُلُ الرَّجُلَ فَقَالَ لَا تَخَفْ فَقَدْ آمَنَهُ وَإِذَا قَالَ: مَتْرَسٌ فَقَدْ آمَنَهُ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ الْأَلْسِنَةَ كُلَّهَا.

(وَقَالَ) أَي: وَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِلْهَرَمْزَانِ حِينَ أَتَوْا بِهِ إِلَيْهِ.

(تَكَلَّمْ لَا بَأْسَ) وقد تقدم في الجزية والموادعة وروي ابن أبي شيبَةَ ويعقوب ابن أَبِي سُفْيَانَ فِي تَارِيخِهِ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ حَاصِرْنَا تَسْتَرِفْنَزْلُ الْهَرَمْزَانِ عَلَى حَكَمِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَلَمَّا قَدِمَ بِهِ عَلَيْهِ اسْتَعْجَمَ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: تَكَلَّمْ لَا بَأْسَ عَلَيْكَ.

12 - باب الْمَوَادَّعة وَالْمُصَالحة

مَعَ الْمُشْرِكِينَ بِالْمَالِ وَغَيْرِهِ، وَإِثْمٌ مِنْ لَمْ يَفِ بِالْعَهْدِ

وَقَوْلِهِ: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ﴾

فكان ذلك تأمينا من عمر رضي الله عنه.

وَقَالَ الْحَافِظُ الْعَسْقَلَانِيُّ: ورويناه مطوَّلاً في سنن سعيد بن منصور حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ أَخْبَرَنَا حميد وفي نسخة: إِسْمَاعِيلُ بْنُ جَعْفَرٍ مِنْ طَرِيقِ ابْنِ خُزَيْمَةَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ حَجْرٍ عَنْهُ عَنْ حَمِيدٍ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَعَثَ مَعِيَ أَبُو مُوسَى بِالْهَرَمِزَانِ إِلَى عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَجَعَلَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَكْلِمُهُ فَلَا يَتَكَلَّمُ فَقَالَ لَهُ: تَكْلِمُ قَالَ: أَكْلَامٌ حَيٍّ أَمْ كَلَامٌ مَيِّتٍ قَالَ: تَكْلِمُ لَا بِأَسْ فَذَكَرَ الْقِصَّةَ.

قَالَ: فَأَرَادَ قَتْلَهُ فَقُلْتُ: لَا سَبِيلَ إِلَى ذَلِكَ قَدْ قُلْتُ لَهُ تَكْلِمُ لَا بِأَسْ فَقَالَ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ فَشَهِدْ لِي الزَّبِيرُ بِمِثْلِ ذَلِكَ فَتَرَكَهُ فَأَسْلَمَ وَفَرَضَ لَهُ فِي الْعِطَاءِ فَلَوْ قَالَ الْمُؤْمِنُ لَكَافِرٍ تَكْلِمُ بِحَاجَتِكَ لَا بِأَسْ عَلَيْكَ يَكُونُ ذَلِكَ أَمَانًا وَلَا يَجُوزُ التَّعَرُّضُ.

قَالَ ابْنُ الْمُنِيرِ: يَسْتَفَادُ مِنْهُ أَنَّ الْحَاكِمَ إِذَا نَسِيَ حُكْمَهُ فَشَهِدَ عَنْهُ اثْنَانِ بِهِ نَفَذَهُ وَأَنَّهُ إِذَا تَوَقَّفَ فِي قَبُولِ شَهَادَةِ الْوَاحِدِ فَشَهِدَ الثَّانِي بِوَفْقِهِ انْتَفَتِ الرِّبَاةُ وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ قَدْحًا فِي شَهَادَةِ الْأَوَّلِ.

12 - باب الْمَوَادَّعة وَالْمُصَالحة

مَعَ الْمُشْرِكِينَ بِالْمَالِ وَغَيْرِهِ، وَإِثْمٌ مِنْ لَمْ يَفِ بِالْعَهْدِ

(بَابُ) جَوَازِ (الْمَوَادَّعة) وَهِيَ الْمَسَالْمَةُ عَلَى تَرْكِ الْحَرْبِ وَالْأَذَى وَحَقِيقَةُ الْمَوَادَّةِ الْمِتَارَكَةِ أَيْ: يَدْعُ كُلُّ وَاحِدٍ فِي الْفَرِيقَيْنِ مَا هُوَ فِيهِ.

(وَالْمُصَالحة) فِي مَحَلِّ عَطْفِ التَّفْسِيرِ (مَعَ الْمُشْرِكِينَ بِالْمَالِ وَغَيْرِهِ) أَيْ: وَغَيْرِ الْمَالِ كَالْأَسَارِ.

(وَإِثْمٌ مِنْ لَمْ يَفِ بِالْعَهْدِ) وَيُرْوَى: مَنْ لَمْ يَوْفَ.

(وَقَوْلِهِ) تَعَالَى بِالْجَرِّ عَطْفٌ عَلَى قَوْلِهِ: الْمَوَادَّةُ: (﴿وَإِنْ جَنَحُوا﴾) يُقَالُ جَنَحَ لَهُ وَإِلَيْهِ إِذَا مَالَ (﴿لِلْسَّلَامِ﴾) بِكَسْرِ السِّينِ الصِّلَحُ وَتَوْنُثُ تَأْنِيثُ نَقِيضُهَا

فَأَجَنَحَ لَهَا ﴿[الأنفال: 61] الْآيَةُ.

وهي الحرب قَالَ الشاعر:

السلم تأخذ منها ما رضيت به والحرب تكفيك من أنفاسها جرع
وقرأ أبو بكر بفتح السين.

(﴿فَأَجَنَحَ لَهَا﴾) أي: مل إليها واقبلها منهم ذلك وعاهد معهم.

(الآيَةُ) أي: اقرأ الآية وهي قوله تعالى: ﴿وَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ ولا تخف من
إبطانهم المكر والخديعة في جنوحهم إلى السلم ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّكِينُ﴾ لأقوالهم
﴿الْعَلِيمُ﴾ بنياتها فيكفيك ويعصمك من مكرهم وخديعتهم ويحيق: بهم قَالَ
مجاهد نزلت في بني قريظة.

وفيه: نظر لأن السياق كله في وقعة بدر وذكرها مكتنفٌ لهذا.

وعن ابن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ومجاهد وزيد بن أسلم وعطاء
الخراساني وعكرمة والحسن و قتادة إن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿فَاقْتُلُوا
الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ [التوبة: 5] وبقوله تعالى: ﴿فَقَتِلُوا الَّذِينَ لَا
يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا يَوْمِ الْآخِرِ﴾ [التوبة: 29].

وَقَالَ ابن كثير في تفسيره: فيه نظر أَيْضًا لأن آية براءة الأمر بقتالهم إذا
أمكن ذلك فأما إذا كان العدو كثيفًا فإنه تجوز مهادنتهم كما دلت عليه هذه
الآية الكريمة وكما فعل النَّبِيُّ ﷺ يوم الحديبية فلا منافاة ولا نسخ ولا
تخصيص.

وَقَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: والصحيح أن الأمر موقوف على ما يرى الإمام فيه
صلاح الإسلام وأهله في حرب أو سلم وليس بحتم أن يقاتوا أبدًا ويجابوا إلى
الهدنة أبدًا.

﴿جَنَحُوا﴾ طلبوا هذا التفسير من المصنف وَقَالَ غيره: معنى جنحوا مالوا
كما سبق.

وَقَالَ أَبُو عبيدة: السِّلْمُ والسَّلْمُ واحد وهو الصلح.

3173 - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا بِشْرٌ هُوَ ابْنُ الْمُفْضَلِ، حَدَّثَنَا يَحْيَى، عَنْ بُشَيْرِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ أَبِي حَثْمَةَ، قَالَ: انْطَلَقَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَهْلٍ، وَمُحَيِّصَةُ بْنُ مَسْعُودِ ابْنِ زَيْدٍ، إِلَى خَيْبَرَ وَهِيَ يَوْمَئِذٍ صُلْحٌ، فَتَفَرَّقَا فَأَتَى مُحَيِّصَةُ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَهْلٍ وَهُوَ يَتَشَحَّطُ فِي دَمٍ قَتِيلًا،

وَقَالَ أَبُو عمرو: السلم أي: بالفتح الصلح والسلم أي: بالكسر الإسلام.
(حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ) قَالَ: (حَدَّثَنَا بِشْرٌ) بكسر الموحدة (هُوَ ابْنُ الْمُفْضَلِ) على صيغة اسم المفعول من التفضيل بالضاد المعجمة ابن لاحق أَبُو إِسْمَاعِيلَ البصري.

(حَدَّثَنَا يَحْيَى) هو ابن سعيد الأنصاري، (عَنْ بُشَيْرٍ) بضم الموحدة مصغر بشر (ابن يَسَارٍ) ضد اليمين المدني مولى الأنصار، (عَنْ سَهْلٍ بْنِ أَبِي حَثْمَةَ) بفتح الحاء المهملة وسكون المثناة واسمه عَبْدُ اللَّهِ الْأَنْصَارِيُّ المدني.

(قَالَ: انْطَلَقَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَهْلٍ) أي: ابن زيد بن كعب الحارثي وهو أخو عبد الرحمن بن سهل، (وَمُحَيِّصَةُ بْنُ مَسْعُودٍ) بضم الميم وفتح الحاء المهملة ومسعود هو ابن كعب بن عامر الأنصاري الخزرجي أَبُو سعيد المدني له صحبة هو أخو حويصة بن مسعود بضم الحاء المهملة وفتح الواو ويقال فيهما جميعًا بتشديد الياء وتخفيفها أسلم قبل أخيه حويصة وكان حويصة أَسَنَ منه.

ووقع في بعض نسخ الجامع: مسعود (ابن زَيْدٍ) فقالوا إنه وهم من الْبُخَارِيِّ والصواب: كعْبٌ بدل زيد.

(إِلَى خَيْبَرَ وَهِيَ يَوْمَئِذٍ صُلْحٌ، فَتَفَرَّقَا فَأَتَى مُحَيِّصَةُ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَهْلٍ وَهُوَ) أي: عَبْدُ اللَّهِ (يَتَشَحَّطُ) بالمعجمة ثم المهملتين.

(فِي دَمٍ قَتِيلًا) أي: يضطرب في الدم قاله الخطابي.

وَقَالَ الداودي: المتشحط المختضب ومادته شين معجمة وحاء مهملة وطاء مهملة.

فَدَفَنَهُ ثُمَّ قَدِمَ الْمَدِينَةَ، فَاَنْطَلَقَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ سَهْلٍ، وَمُحَيِّصَةُ، وَحُوَيْصَةُ ابْنَا مَسْعُودٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَذَهَبَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ يَتَكَلَّمُ، فَقَالَ: «كَبُرَ كَبْرُ» وَهُوَ أَخَذْتُ الْقَوْمَ، فَسَكَتَ فَتَكَلَّمَا، فَقَالَ: «أَتَحْلِفُونَ وَتَسْتَحِقُّونَ قَاتِلَكُمْ، أَوْ صَاحِبَكُمْ»، قَالُوا: وَكَيْفَ نَحْلِفُ وَلَمْ نَشْهَدْ وَلَمْ نَر؟ قَالَ: «فَتُبْرِيكُمْ يَهُودُ بِخَمْسِينَ».

قَالَ ابْنُ الْأَثِير: معناه يتخبط في دمه ويضطرب ويتمرغ، قوله قتيلاً نصب على الحال.

(فَدَفَنَهُ ثُمَّ قَدِمَ الْمَدِينَةَ، فَاَنْطَلَقَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ سَهْلٍ) أي: ابن زيد الأنصاري أخو عبد الله بن سهل المذكور، (وَمُحَيِّصَةُ، وَحُوَيْصَةُ ابْنَا مَسْعُودٍ) أي: ابن كعب الأنصاري ثم إن عبد الله قَالَ النَّوَوِي هو ابن سهل بن زيد ابن كعب فعلى هذا يكون محيصة وحويصة ابني عم أبيه.

وَقَالَ عبد البر: في ترجمة حويصة قَالَ لرسول الله ﷺ قصة ابن عمه عبد الله وَقَالَ في ترجمة عبد الله هو ابن أخي حويصة ومحيفة فعلى ما قَالَ عبد البر يحتاج إلى تأويل فليتأمل.

(إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَذَهَبَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ يَتَكَلَّمُ، فَقَالَ: «كَبُرَ كَبْرُ» وَهُوَ أَمْرٌ فِي التَّكْبِيرِ كَرَرَهُ لِلْمَبَالِغَةِ أَيْ: قَدَمُ الْأَسْنِ يَتَكَلَّمُ.

(وَهُوَ أَخَذْتُ الْقَوْمَ) أي: وعبد الرحمن أحدثهم سناً، (فَسَكَتَ فَتَكَلَّمَا) أي: حويصة ومحيفة، (فَقَالَ) ﷺ: (أَتَحْلِفُونَ وَتَسْتَحِقُّونَ) دم (قَاتِلَكُمْ) الهمزة فيه للاستفهام على سبيل الاستخبار. (أَوْ صَاحِبَكُمْ) شك من الراوي.

(قَالُوا: وَكَيْفَ نَحْلِفُ وَلَمْ نَشْهَدْ وَلَمْ نَر؟ قَالَ: «فَتُبْرِيكُمْ يَهُودُ»⁽¹⁾ بِخَمْسِينَ) كذا وقع من غير مميز وتقديره بخمسين يميناً.

(1) قال الخطابي: أي تبرأ إليكم من دعوكم بخمسين يميناً، وقيل معناه يخلصونكم من اليمين بأن يحلفوا، فإنهم إذا حلفوا لم يثبت عليهم شيء وخلصتم أنتم من اليمين، فالمعنى على هذا يجعلونكم بريئين من اليمين. والله أعلم.

فَقَالُوا: كَيْفَ نَأْخُذُ أَيْمَانَ قَوْمٍ كُفَّارٍ، فَعَقَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ عِنْدِهِ⁽¹⁾.

(فَقَالُوا: كَيْفَ نَأْخُذُ أَيْمَانَ قَوْمٍ كُفَّارٍ، فَعَقَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ) أي: أدى ديتة (مِنْ عِنْدِهِ) يحتمل وجهين أحدهما من مَالٍ نفسه والآخر من بيت المال المعد لمصالح

(1) قال الحافظ: الغرض من الحديث قوله «وهي يومئذ صلح» وفهم المهلب من قوله في آخره «فعقله النبي ﷺ من عنده» أنه يوافق قوله في الترجمة: المصالحة مع المشركين بالمال، فقال إنما وداه من عنده استئلافاً لليهود، وهذا الذي قاله يردّه ما في نفس الحديث من غير هذه الطريق، فكره النبي ﷺ أن يبطل دمه فإنه مشعر بأن سبب إعطائه ديتة من عنده كان تطييباً لقلوب أهله ويحتمل أن يكون كلُّ منهما سبباً لذلك، وبهذا تتم الترجمة، اهـ.

وقال العيني: مطابقتها للترجمة تؤخذ من قوله «وهي يومئذ صلح» وتام المطابقة تؤخذ من قوله: «فعقله النبي ﷺ من عنده لأنه مصالحة مع المشركين»، اهـ.

وسكت القسطلاني عن المطابقة، ثم قال الحافظ: أما أصل المسألة فاختلف فيه، فقال الوليد بن مسلم: سألت الأوزاعي عن موادة إمام المسلمين أهل الحرب عن مال يؤديه إليهم؟ فقال لا يصلح ذلك إلا عن ضرورة كشغل المسلمين عن حربهم، قال: ولا بأس أن يصالحهم على غير شيء يؤدونه إليهم كما وقع في الحديبية، وقال الشافعي: إذا ضعف المسلمون عن قتال المشركين جازت لهم مهادنتهم على غير شيء يعطونهم، لأن القتل للمسلمين شهادة، وإن الإسلام أعز من أن يعطى المشركون على أن يكفوا عنهم إلا في حالة مخافة اصطلام المسلمين لكثرة العدو، لأن ذلك من معاني الضرورات، وكذلك إذا أسر رجل مسلم فلم يطلق إلا بفدية جاز، اهـ.

وقال العيني بعد ذكر قول الأوزاعي والشافعي: وقال ابن بطلال: ولم أجد لمالك وأصحابه ولا الكوفيين نصاً في هذه المسألة، قال العيني: مذهب أصحابنا أن للإمام أن يصالحهم بمال يؤخذ منهم أو يدفع إليهم إذا كان الصلح خيراً في حق المسلمين، لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾ [الأنفال: 61] والمال الذي يؤخذ منهم بالصلح يصرف مصارف الجزية، وقال أيضاً في موضع آخر قوله تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ﴾ الآية، قال مجاهد نزلت في بني قريظة، وفيه نظر لأن السياق كله في وقعة بدر، وقول ابن عباس رضي الله عنه ومجاهد والحسن وقتادة وغيرهم: إن هذه الآية منسوخة بآية السيف في براءة ﴿فَقَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا يَتَّبِعُونَ أَلَاخِرَ﴾ [التوبة: 29]، قال ابن كثير في تفسيره: فيه نظر أيضاً، لأن في آية براءة الأمر بقتالهم إذا أمكن ذلك، فأما إذا كان العدو كثيفاً فإنه تجوز مهادنتهم، كما دلت عليه هذه الآية الكريمة، وكما فعل النبي ﷺ يوم الحديبية، فلا منافاة ولا نسخ ولا تخصيص، اهـ.

وقال الموفق: تجوز مهادنتهم على غير مال، لأن النبي ﷺ هادنتهم يوم الحديبية على غير مال، ويجوز ذلك على مال تأخذه منهم، فإنها إذا جازت على غير مال فعلى مال أولى، وأما إن صالحهم على مال نبذله لهم، فقد أطلق أحمد القول بالمنع منه وهو مذهب الشافعي رحمه الله لأن فيه صغاراً للمسلمين، وهذا محمول على غير حال الضرورة، فأما إن دعت إليه ضرورة، وهو أن يخاف على المسلمين الهلاك أو الأسر فيجوز لأنه يجوز للأسير فداء نفسه =

المسلمين وإنما وداه ﷺ من عنده قطعاً للنزاع وجبراً لخواطريهم وإلا فاستحقاقهم لم يثبت واستثلاً لليهود وطمعاً منه في دخولهم الإسلام وليكيف بذلك شرهم عن نفسه وعن المسلمين مع إشكال القضية بإباء أولياء القتل من اليمين وإبائهم أيضاً من قبول أيمان اليهود فكاد الحكم أن يكون طويلاً ولكن أراد النبي ﷺ أن يودع اليهود بالغرم عنهم فإن الأمر كان متوجهاً إلى اليهود في القتل لعبد الله وأراد أن يذهب ما بنفوس أوليائه من العداوة لليهود بأن غرم لهم الدية إذ كان العرف جارياً أن من أخذ دية قتيله فقد انتصف.

وَقَالَ الْحَافِظُ الْعَسْقَلَانِيُّ: وفهم المهلب من قوله في آخره فعقله النبي ﷺ من عنده أن يوازن قوله في الترجمة والمصالحة مع المشركين بالمال فَقَالَ إنما وداه من عنده استثلاً لليهود وطمعاً في دخولهم في الإسلام قَالَ هذا الذي قاله يردّه ما في نفس الحديث من غير هذه الطريق فكره النبي ﷺ أن بَطَلَ دمه فإنه مشعر بأن سبب إعطائه ديته من عنده كان تطيباً لقلوب أهله ويحتمل أن يكون كل منهما سبباً لذلك وبهذا تتم الترجمة وأما أصل المسألة فقد اختلف فيها فَقَالَ

بالمال، فكذا ههنا، ولأن بذله المال إن كان فيه صغار فإنه يجوز تحمله لدفع صغار أعظم منه وهو القتل والأسر وسبي الذرية الذين يفضي سبيهم إلى كفرهم، وقد روى عبد الرزاق في المغازي عن معمر عن الزهري قال: أرسل النبي ﷺ إلى عيينة بن حصن وهو مع أبي سفيان يعني يوم الأحزاب أُرِيت إن جعلت لك ثلث ثمر الأنصار أترجع بمن معك من غطفان وتخذل بين الأحزاب؟ فأرسل إليه عيينة إن جعلت لي الشطر فعلت، قال معمر: فحدثني ابن أبي نجيع أن سعد بن معاذ وسعد بن عباد قالوا يا رسول الله، والله لقد كان يجر سمره في الجاهلية في عام السنة حول المدينة ما يطيق أن يدخلها، فالآن حين جاء الله بالإسلام نعطيهم ذلك، فقال النبي ﷺ: «فنعم إذن»، ولولا أن ذلك جائز لما بذله النبي ﷺ، وروي أن الحارث بن عمرو الغطفاني بعث إلى النبي ﷺ فقال: إن جعلت لي شطر ثمار المدينة وإلا ملأتها عليك خيلاً ورجلاً، فقال له النبي ﷺ حتى أشاور السعد، يعني سعد بن عباد وسعد ابن معاذ وسعد بن زارة، فشاورهم النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله إن كان هذا أمراً من السماء فتسليم لأمر الله تعالى، وإن كان برأيك وهواك اتبعنا رأيك وهواك، وإن لم يكن أمراً من السماء ولا برأيك وهواك فوالله ما كنا نعطيهم في الجاهلية بسرة ولا ثمرة إلا شراء أو قري، فكيف وقد أعزنا الله بالإسلام؟ فقال النبي ﷺ لرسوله أسمع؟ فعرضه النبي ﷺ ليعلم ضمعهم من قوتهم، فلولا جوازه عند الضعف لما عرضه عليهم، اهـ.

الوليد بن مسلم سألت الأَوْزَاعِيَّ عن موادة إمام المسلمين أهل الحرب على مال يؤديه المسلمون إليهم فَقَالَ لا يصلح ذلك إلا عن ضرورة كشغل المسلمين عن حربهم من قتال عدو أو فتنة شملت المسلمين فإذا كان ذلك فلا بأس به قَالَ الوليد وذكرت ذلك لسعيد بن عبد العزيز فَقَالَ قد صالحهم معاوية أيام صفين وصالحهم عبد الملك بن مروان لشغله بقتال ابن الزبير كان يؤدي عبد الملك إلى طاغية ملك الروم في كل يوم ألف دينار وإلى تراجمة الروم وأنباط الشام في كل جمعة ألف دينار وَقَالَ ولا بأس أن يصلحهم على غير شيء يؤديه إليهم كما وقع في الحديبية .

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ : إذا ضعف المسلمون عن قتال المشركين جازت لهم مهادنتهم على غير شيء يعطونه لأن القتل للمسلمين شهادة وأن الإسلام أعز من أن يعطي المشركين على أن يكفوا عنه إلا أن يخاف أن يضطلموا لكثرة العدو ولأن ذلك من معاني الضرورات وكذلك إذا أسر رجل مسلم ولم يطلق إلا بفدية فلا بأس لأنه ﷺ فدى رجلاً برجلين .

وَقَالَ ابن بطال : ولم أجد لمالك وأصحابه ولا الكوفيين نصاً في هذه المسألة .

وَقَالَ الْعَيْنِيُّ : مذهب أصحابنا أن للإمام أن يصلحهم بمال يأخذه منهم أو يدفع إليهم إذا كان الصلح خيراً في حق المسلمين لقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْتَنَحْ لَهَا ﴾ [الأنفال : 61] والمال الذي يؤخذ منهم بالصلح يصرف مصارف الجزية .

وفي الحديث : إرشاد إلى أن الأكبر أولى بالتقديم في الكلام واعلم أن حقيقة الدعوى إنما هي لأخيه عبد الرحمن لا حق فيها لابني عمه وأنه ﷺ أمر أن يتكلم الأكبر لأنه لم يكن المراد بكلامه حقيقة الدعوى بل سماع صورة القصة وكيفيتها فإذا أراد حقيقتها تكلم صاحبها ويحتمل أن عبد الرحمن وكل الأكبر أو أمره بتوكيله فيها .

وفيه : أن القوم إذا كان فيهم صغير ينبغي أن يتأدب الصغير فلا يتقدم عليهم

بالكلام ونحوه أشار إليه بقوله وهو أحدث القوم أي: وعبد الرحمن أصغر القوم سنًا وفيه صحة الوكالة أشار إليه بقوله فتكلما أي: محيصة وحويصة وذلك لأن الحق لم يكن لهما وإنما تكلما بطريق الوكالة.

وفيه: أن حكم القسامة مخالف لسائر الدعاوى من جهة أن اليمين على المدعي⁽¹⁾.

وفيه: أن القسامة خمسون يمينا فإن قلت كيف عرضت اليمين على الثلاثة وإنما هي للوارث خاصة وهو أخوه، فالجواب: أنه كان معلومًا عندهم أن اليمين تختص بالوارث فأطلق الخطاب لهم والمراد من تختص به.

وفيه: إثبات حكم القسامة خلافًا لجماعة روي عنهم إبطال القسامة وأنه لا حكم فيها ولا عمل بها، قَالَ الْكِرْمَانِيُّ: وَمِنْهُمْ الْبُخَارِيُّ.

وَقَالَ الْخَطَّابِيُّ: بَدَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْمَدْعِينَ فِي الْيَمِينِ فَلَمَّا نَكَلُوا وَرَدَّهَا عَلَى الْمَدْعِيِّ عَلَيْهِمْ فَلَمَّا لَمْ يَرْضُوا بِأَيْمَانِهِمْ عَقَلَهُ مِنْ عِنْدِهِ لِأَنَّهُ عَاقِلَةُ الْمُسْلِمِينَ وَوَلِي أُمُورِهِمْ، قَالَ: وَاسْتَدَلَّ مِنْ يَرَى الْقِسَامَةَ مُوجِبًا لِلْقَصَاصِ كَمَا لَكَ بِقَوْلِهِ تَسْتَحِقُّونَ دَمَ قَاتِلِكُمْ إِذْ ظَاهَرَهُ نَفْسَ الْقَتْلِ فِي الدِّيَةِ.

وَقَالَ النَّوَوِيُّ: مَعْنَاهُ يَثْبُتُ حَقُّكَ عَلَى مَنْ حَلَفْتَ عَلَيْهِ وَذَلِكَ الْحَقُّ أَعْمُ مِنْ أَنْ يَكُونَ قِصَاصًا أَوْ دِيَّةً وَفِيهِ جَوَازُ الْيَمِينِ بِالظَّنِّ وَصَحَّةُ يَمِينِ الْكَافِرِ وَجَوَازُ الْحُكْمِ عَلَى الْغَائِبِ.

ومطابقة الحديث للترجمة تؤخذ من قوله وهي يومئذ صلح.

وتمام المطابقة تؤخذ من قوله فعقله النَّبِيُّ ﷺ من عنده لأنه مصالحة مع المشركين.

وقد أخرجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي الصَّلْحِ وَالْأَدْبِ وَالْدِّيَاتِ وَالْأَحْكَامِ وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ

(1) وهذا مذهب الشافعي إذا كان هناك لوث يوقع في القلب صدق المدعي بأن يكون هناك علامة القتل على واحد بعينه كالدم أو ظاهر يشهد للمدعي من عداوة ظاهرة أو شهادة عدل واحد أو جماعة غير عدول أنه قتله أو أنّ أهل المحلة قتلوه، وأما عندنا فلا يحلف ولي القتل لقوله ﷺ: «الْبَيْتَةُ عَلَى الْمَدْعِيِّ وَالْيَمِينُ عَلَى الْمَدْعَى عَلَيْهِ»، وقد فصل في الفقه.

13 - باب فَضْلُ الْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ

3174 - حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ يُونُسَ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ، أَخْبَرَهُ: أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ، أَخْبَرَهُ أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ بْنُ أُمَيَّةَ أَخْبَرَهُ: «أَنَّ هِرْقَلَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ فِي رَكْبٍ مِنْ قُرَيْشٍ كَانُوا تِجَارًا بِالشَّامِ، فِي الْمُدَّةِ الَّتِي مَادَّ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَبَا سُفْيَانَ فِي كُفَّارِ قُرَيْشٍ».

في الحدود وأبو داود في الديات والتِّرْمِذِيُّ في الديات والنَّسَائِيُّ في القضاء والقسامة وابن ماجة في الديات.

13 - باب فَضْلُ الْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ

(باب فَضْلُ الْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ) أي: الميثاق.

(حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ) قَالَ: (حَدَّثَنَا اللَّيْثُ) أي: ابن سعد، (عَنْ يُونُسَ) أي: ابن يزيد الأيلي، (عَنْ ابْنِ شِهَابٍ) الزُّهْرِيِّ، (عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ، أَخْبَرَهُ: أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ) رضي الله عنه، (أَخْبَرَهُ أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ) ابْنِ أُمَيَّةَ (أَخْبَرَهُ: «أَنَّ هِرْقَلَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ فِي رَكْبٍ مِنْ قُرَيْشٍ كَانُوا تِجَارًا بِالشَّامِ، فِي الْمُدَّةِ الَّتِي مَادَّ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَبَا سُفْيَانَ فِي كُفَّارِ قُرَيْشٍ» أي: المدة التي هادن رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وعينها للصِّلح يقال: مَادَّ الغريمان إذا اتفقا على أجل الدين.

والحديث قطعة من حديث أبي سُفْيَانَ في قصة هِرْقَلَ وقد مرّ في أوائل الكتاب.

ومطابقته للترجمة من حيث إن الغدر عند كل أمة قبيح مذموم وليس هو من صفات الرسل وأن هِرْقَلَ أراد أن يمتحن بذلك أعني بإرساله إلى أبي سُفْيَانَ صدق رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لأن من غدر ولم يف بعهده لا يصح أن يكون نبياً والرسل أخبرت عن الله تعالى فضل من وفى بعهده.

وقد قَالَ هِرْقَلَ في مدح رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: وكذلك الرسل لا تغدر، وهذا وإن كان قول هِرْقَلَ ولا حجة فيه لكن الحديث تداولته الصحابة واستحسنوا كلامه فكان حجة، والله وتعالى أعلم.

14 - باب: هَلْ يُعْفَى عَنِ الذَّمِّ إِذَا سَحَرَ؟

وَقَالَ ابْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، سُئِلَ: أَعْلَى مِنْ سَحَرَ مِنْ أَهْلِ الْعَهْدِ قُتِلَ؟ قَالَ: بَلَّغْنَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ صُنِعَ لَهُ ذَلِكَ فَلَمْ يَقْتُلْ مِنْ صَنْعِهِ، وَكَانَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ.

14 - باب: هَلْ يُعْفَى عَنِ الذَّمِّ إِذَا سَحَرَ؟

(باب) بالتونين (هَلْ يُعْفَى عَنِ الذَّمِّ إِذَا سَحَرَ؟) وجواب الاستفهام يوضحه حديث الباب.

(وَقَالَ ابْنُ وَهْبٍ) هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ، (أَخْبَرَنِي يُونُسُ) هُوَ ابْنُ يَزِيدَ الْأَيْلِي، (عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، سُئِلَ) عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ أَيُّ سِئْلِ ابْنِ شِهَابٍ: (أَعْلَى مِنْ سَحَرَ مِنْ أَهْلِ الْعَهْدِ⁽¹⁾ قُتِلَ؟) الهمزة فيه للاستفهام على سبيل الاستخبار.

(قَالَ: بَلَّغْنَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ صُنِعَ لَهُ ذَلِكَ) أَيُّ: السحر، (فَلَمْ يَقْتُلْ مِنْ صَنْعِهِ، وَكَانَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ) ترجم بلفظ الذمي وسئل الزُّهْرِيُّ بلفظ أهل العهد وأجاب بلفظ أهل الكتاب فالأولان متقاربان وأما أهل الكتاب فمراده الذين لهم عهد وكان الأمر في نفس الأمر كذلك.

وهذا التعليق وصله ابن وهب في جامعه وحكم هذا الباب أنه لا يقتل ساحر أهل الكتاب كقول ابن شهاب إلا أن قتل بسحره فيقتل أو أحدث حدثاً فيؤخذ به بقدر ذلك وهو قول الجمهور.

وروى ابن وهب وابن القاسم عن مالك: أنه إن أدخل سحره ضرراً على مسلم نقض عهده بذلك فحل قتله وعنه أيضاً يقتل الساحر ولا يستتاب وبه قال أحمد وجماعة وهو عندهم كالزناديق قيل: لا حجة لابن شهاب في أنه ﷺ لم يقتل اليهودي الذي سحره لوجوه:

الأول: أنه ﷺ كان لا ينتقم لنفسه ولو عاقبه لكان منتقماً لنفسه.

الثاني: أن ذلك السحر لم يضره في شيء من أمور الوحي ولا دخلت عليه

3175 - حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا يَحْيَى، حَدَّثَنَا هِشَامٌ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ عَائِشَةَ: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سُجِرَ، حَتَّى كَانَ يُحَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ صَنَعَ شَيْئًا وَلَمْ يَصْنَعْهُ».

داخله في الشريعة وإنما كان اعتراه شيء من التخييل والوهم ثم لم يتركه الله على ذلك بل تداركه بعصمته وأعلمه موضع السحر وأعلمه باستخراجه وحله عنه وذلك كما تقدم أن عفريتاً من الجن تفلت عليه ليقطع صلاته فلم يتمكن من ذلك وقد رفع الله عنه السم بكلام الذراع.

الثالث: أن هذا السحر إنما تسلط على ظاهره لا على قلبه وعقله واعتقاده وإنما ناله منه ما ينال المريض من ضرر الحمى وهو مرض من الأمراض وعارض من العلل يجوز عليه أنواع الأمراض فلا يقدح في نبوته ويجوز طروؤه عليه في أمر دنياه وهو فيها عرضة للآفات كسائر البشر ولذلك الاحتمال لم يجزم المصنف بالحكم والله تعالى اعلم.

(حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى) قَالَ: (حَدَّثَنَا يَحْيَى) هو ابن سعيد القطان قَالَ: (حَدَّثَنَا هِشَامٌ) هو ابن عُرْوَةَ (قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي) هو عُرْوَةُ بن الزبير بن العوام، (عَنْ عَائِشَةَ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سُجِرَ) على البناء للمفعول (حَتَّى كَانَ يُحَيَّلُ إِلَيْهِ) على صيغة المجهول (أَنَّهُ صَنَعَ شَيْئًا وَلَمْ يَصْنَعْهُ) واسم اليهودي الذي سحره: لبید بن اعصم.

روي عن ابن عباس وعائشة رضي الله عنهما: كان غلام من اليهود يخدم رسول الله ﷺ فدنّت إليه اليهود ولم يزالوا به حتى أخذ مشاطة رأس النبي ﷺ وعدة أسنان من مشطه فأعطاهم اليهود فسحروه فيها وكان الذي تولى ذلك لبید بن اعصم ثم دسها في بئر لبني زريق يقال لها: ذروان، ويقال: أروان، ويقال: ذي أروان فمرض رسول الله ﷺ وانتثر شعر رأسه ولبث ستة أشهر يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن وجعل يذوب ولا يدري ما عراه وتخيّل أنه يفعل الشيء وما يفعله فيبينما هو نائم ذات يوم إذ أتاه ملكان فقعد أحدهما عند رأسه والآخر عند رجله فَقَالَ الذي عند رجله للذي عند رأسه: ما بال الرجل قَالَ: طب قَالَ: وما طب قَالَ: سحر قَالَ: ومن سحره؟ قَالَ لبید بن أعصم اليهودي، قَالَ: فبم طبه قَالَ: بمشط

ومشاة قَالَ: وأين هو؟ قَالَ: في جف طلعة نحت راعوفة في بئر ذروان.

الجُفُّ بالجيم: وعاء الطلع.

والراعوفة: صخرة تترك في أسفل البئر إذا حُفرت فإذا أرادوا تنقية البئر جلس المنقي عليها.

فانتبه النَّبِيُّ ﷺ مذعورًا وَقَالَ: «يا عَائِشَةُ أما شعرت أن الله تعالى أَخْبَرَنِي بدائي»، ثم بعث رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عليًا والزبير وعمار بن ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فنزحوا ماء تلك البئر كأنه نقاعة الحناء ثم رفعوا الصخرة وأخرجوا الجف فإذا فيه مشاة رأسه وأسنان من مشطه وإذا وتر معقدة فيه إحدى عشرة عقدة مغروزة بالإبر فأنزل الله تعالى المعوذتين فجعل كلما قرأ آية انجلت عقدة ووجد ﷺ خفة حتى إذا انحلت العقدة الأخيرة قام ﷺ كأنما نشط من عقال وجعل جبريل عَلَيْهِ السَّلَام يقول: بسم الله أريقك من كل شر يؤذك ومن كل حاسد ومن عين والله يشفيك فقالوا: يا رَسُولُ اللَّهِ أفلا نأخذ الخبيث فنقتله؟ فَقَالَ ﷺ: «أما أنا فقد شفاني الله وأكره أن أثير على الناس شرًا»، قالت عَائِشَةُ: ما غضب رَسُولُ اللَّهِ غضبًا ينتقم من أحد لنفسه قط إلا أن يكون شيئًا هو لله فيغضب لله وينتقم، وسيأتي هذا في كتاب الطب عن عَائِشَةَ رضي الله تعالى عنها إن شاء الله تعالى.

وقد اعترض بعض الملحدين على حديث عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وقالوا: كيف يجوز السحر على رَسُولِ اللَّهِ ﷺ والسحر كفر وعمل من أعمال الشياطين فكيف يصل ضرره إلى النَّبِيِّ ﷺ مع حياطة الله تعالى له وتسديده إياه بملائكته وصون الوحي عن الشياطين؟

وأجيب: بأن هذا اعتراض فاسد وعناد للقرآن لأن الله تعالى قَالَ لرسوله: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾﴾ [الفلق: 1] إلى قوله: ﴿فِي الْعَقَدِ﴾ [الفلق: 4] والنفاثات السواحر في العقد كما ينفث الراقي في الرقية حين سحر وليس في جواز ذلك عليه ما يدل على أن ذلك يلزمه أبدًا أو يدخل عليه داخله في شيء من ذاته أو شريعته وإنما كان له من ضرر السحر ما ينال المريض من ضرر الحمى والبرسام من ضعف الكلام وسوء التخيل ثم زال ذلك عنه وأبطل الله كيد السحر

15 - باب مَا يُحَذَّرُ مِنَ الْقَدْرِ

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ﴾ [الأنفال: 62].

وقد قام الإجماع على عصمته في الرسالة والله الموفق.
ومطابقة الحديث للترجمة أنه ﷺ سحره يهودي وعفا عنه كما تدل عليه تنمة القصة.

15 - باب مَا يُحَذَّرُ مِنَ الْقَدْرِ

(باب مَا يُحَذَّرُ مِنَ الْقَدْرِ) وهو ضد الوفاء ونقض العهد، يُحَذَّرُ على صيغة المجهول من حَذَرَ يَحْذَرُ حَذْرًا ويروى: يُحَذَّرُ بالتشديد من التحذير.
(وَقَوْلِهِ تَعَالَى) ويروى: وقول الله عز وجل بالجر عطفًا على ما يحذر.

(﴿وَإِنْ يُرِيدُوا﴾) أي: وأن يرد الكفار بالصلح (﴿أَنْ يَخْدَعُوكَ﴾) أي: خديعة ليتقوا وليستعدوا، (﴿فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ﴾) أي: فإن محسبك وكافيك هو الله وحده وهذه الآية بعد قوله تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ﴾ [الأنفال: 61] فاجنح لها ثم ذكر الله نعمته عليه بقوله: ﴿هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِصِرْهِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٧) وَأَلْفَ بَيْتٍ قُلُوبِهِمْ﴾ [الأنفال: 62، 63] أي: جمعها على الإيمان بك وعلى طاعتك ومناصرتك مع ما فيهم العصبية والضعينة في أدنى شيء والتهالك على الانتقام بحيث لا يكاد يأتلف فيهم قلبان حتى صاروا كنفس واحدة وهذا من معجزاته ﷺ وبيانه، قوله: ﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلْفَتْ بِكَ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: 63] أي: تناهي عداوتهم إلى حد لو أنفق منفق في إصلاح ذات بينهم ما في الأرض من الأموال لم يقدر على الألفة والإصلاح ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ﴾ بقدرته البالغة فإنه المالك للقلوب يقبلها كيف يشاء ﴿عَزِيزٌ﴾ تام القدرة والغلبة ما يعصى عليه ما يريده ﴿حَكِيمٌ﴾ يعلم أنه كيف ينبغي أن يفعل ما يريد.

وقيل: الآية في الأوس والخزرج كان بينهم إحْنٌ لا حد لها ووقائع هلكت فيها ساداتهم فأنساهم الله ذلك وألف بينهم بالإسلام حتى تصادقوا وصاروا أنصارًا.

3176 - حَدَّثَنَا الْحُمَيْدِيُّ، حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَلَاءِ بْنِ زُبَيْرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ بُسْرَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا إِدْرِيسَ، قَالَ: سَمِعْتُ عَوْفَ بْنَ مَالِكٍ، قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ وَهُوَ فِي قُبَّةٍ مِنْ آدَمَ،

(حَدَّثَنَا الْحُمَيْدِيُّ) وهو عبد الله بن الزبير بن عيسى ونسبته إلى أحد أجداده قَالَ: (حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ) أَبُو العباس القرشي قَالَ: (حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَلَاءِ بْنِ زُبَيْرٍ) بفتح الزاي وسكون الباء الموحدة والراء الرباعي بفتح الراء والباء الموحدة وبالعين المهملة.

(قَالَ: سَمِعْتُ بُسْرَ) بضم الموحدة وسكون السين المهملة وآخره راء (ابْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ) الحضرمي: (أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا إِدْرِيسَ) هو عائد الله بالعين المهملة والهمزة بعد الألف وبالألف المعجمة.

وَقَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ: بكسر الياء التحتية بعد الألف الخولاني بفتح الخاء المعجمة وسكون الواو وبالنون.

(قَالَ: سَمِعْتُ عَوْفَ بْنَ مَالِكٍ) بفتح المهملة وبالفاء الأشجعي مات بالشام سنة ثلاث وسبعين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ورجال الإسناد كلهم شاميون إلا شيخ البُخَارِيِّ فإنه مكِّي وفي تصريح عبد الله بن العلاء بالسماع من بسر دلالة على أن الذي وقع في رواية الطبراني من طريق دحيم عن الوليد عن عبد الله بن العلاء عن زيد بن واقد عن بسر بن عبيد الله فزاد في الإسناد زيد بن واقد فهو من المزيد في متصل الأسانيد ولا يضر هذا رواية البُخَارِيِّ.

وقد أَخْرَجَهُ أَبُو داود وابن ماجة والإسماعيلي مثل رواية البُخَارِيِّ ليس فيها زيد بن واقد.

(قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ وَهُوَ فِي قُبَّةٍ مِنْ آدَمَ) ويروى: في قبة من آدم.

والقبة: بضم القاف وتشديد الباء الموحدة الخركاهة وكل بناء مدور فهو قبة والجمع قباب وقبب.

والأدم: بفتحيتين اسم لجمع أديم وهو الجلد المدبوغ المصلح بالدباغ.

فَقَالَ: «اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ: مَوْتِي، ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، ثُمَّ مَوْتَانِ يَأْخُذُ فِيكُمْ كَفْعَاصِ الْغَنَمِ، ثُمَّ اسْتِفَاضَةُ الْمَالِ حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِائَةَ دِينَارٍ فَيَظَلُّ سَاخِطًا،

(فَقَالَ: اَعْدُدْ سِتًّا) أي: ست علامات (بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ) أي: لقيام القيامة وَقَالَ الْحَافِظُ الْعَسْقَلَانِيُّ: أو لظهور أشراتها المقتربة منها: (مَوْتِي، ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، ثُمَّ مَوْتَانِ) بضم الميم وسكون الواو قَالَ الْقَزَاز: هو الموت وَقَالَ غِيْره: الموت الكثير الوقوع ويقال بالضم لغة تميم وغيرهم يفتحونها ويقال للبليد موتان القلب بفتح الميم والسكون.

وَقَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: يغلط بعض المحدثين بفتح الميم والواو وإنما ذاك اسم الأرض التي لم تُحيا بالزرع والإصلاح. ووقع في رواية ابن السكن ثم موتتان بلفظ التثنية وحينئذ فهو بفتح الميم قَالَ الْعَيْنِيُّ: ولا وجه له هنا.

(يَأْخُذُ فِيكُمْ كَفْعَاصِ الْغَنَمِ) بضم القاف وتخفيف العين المهملة وبعد الألف صاد مهملة وهو داء يأخذ الغنم فيسيل من أنوفها شيء فتموت فجاءة وكذلك غيرها من الدواب.

وَقَالَ الْكِرْمَانِيُّ: وهو في الأصل موت يقع في الماشية واستعماله في الإنسان تنبيه على وقوعه فيهم ووقوعه في الماشية فإنها تسلب سرعاً. وَقَالَ ابْنُ فَارِسٍ: القعاص داء يأخذ في الصدر كأنه يكسر العنق.

وقيل: هو الهلاك المعجل والكل متقارب وضبطه الْحَافِظُ الْعَسْقَلَانِيُّ بتقديم العين على القاف.

وتعقبه الْعَيْنِيُّ: بأن ما ذكره ابن الأثير وابن قرقول وغيرهما هو بتقديم القاف على العين ويقال إن هذه الآية ظهرت في طاعون عمواس زمن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ومات فيه سبعون ألفاً في ثلاثة أيام وكان ذلك بعد فتح بيت المقدس.

(ثُمَّ اسْتِفَاضَةُ الْمَالِ) من فاض الماء والدمع وغيرها إذا كثر (حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِائَةَ دِينَارٍ فَيَظَلُّ سَاخِطًا) أي: يبقى ساخطاً استقلالاً للمبلغ وتحقير له وهذه الآية ظهرت في خلافة عثمان رضي الله عنه عند تلك الفتوح العظيمة.

ثُمَّ فِتْنَةٌ لَا يَبْقَى بَيْتٌ مِنَ الْعَرَبِ إِلَّا دَخَلَتْهُ، ثُمَّ هُدْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الْأَصْفَرِ، فَيَغْدِرُونَ فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً، تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا.

(ثُمَّ فِتْنَةٌ لَا يَبْقَى بَيْتٌ مِنَ الْعَرَبِ إِلَّا دَخَلَتْهُ) وتلك الآية افتتحت بقتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ واستمرت الفتن بعده.

(ثُمَّ هُدْنَةٌ) بضم الهاء وسكون المهملة بعدها نون هي الصلح على ترك القتال بعد التحرك فيه وأصل الهدنة السكون يقال هدن يهدن إذا سكن فسمي الصلح على ترك القتال هدنة ومهادنة لأنه سكون عن القتال بعد التحرك فيه وللإمام أن يهادن قومًا من الكفار على أن لا يغزوهم مدة من الزمان.

(تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الْأَصْفَرِ) وهم الروم، (فَيَغْدِرُونَ فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً، تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا) غاية بالغين المعجمة وبالتحتية كذا للأكثر.

وَقَالَ ابن الجوزي: ورواه بعضهم بالباء الموحدة وهي الأجمة وشبه كثرة الرماح للعسكر بها فاستعيرت له يعني يأتون قريبًا من ألف ألف رجل قاله الْكِرْمَانِيُّ وَقَالَ غيره: الجملة تسعمائة ألف وستون ألفًا.

وَقَالَ الخطابي: الغاية الغيضة فاستعيرت للرايات ترفع لرؤساء الجيش.

ووقع في حديث ذي مخبر بكسر الميم وسكون المعجمة وفتح الموحدة عند أبي داود في نحو هذا الحديث بلفظ راية بدل غاية وفي أوله استصالحون الروم صلحًا آمنًا ثم تغزون أنتم وهم فتنصرون ثم تنزلون مرجًا فيرفع رجل من أهل النصرانية الصليب فيقول غلب الصليب فيغضب رجل من المسلمين فيقوم إليه فيدقه فعند ذلك يغدر الروم ويجتمع للملحمة فيأتون فذكره.

وقال الجواليقي: غاية وراية واحد لأنها غاية المتبع إذا وقفت وقف وإذا مشت تبعها ولاين حاجة من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا إذا وقعت الملامح بعث الله بعثًا من الموالي يؤيد الله بهم الدين وله من حديث معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا الملحمة الكبرى وفتح القسطنطينية وخروج الدجال في سبعة أشهر وله من حديث عَبْدِ اللَّهِ بن بسر رفعه بين الملحمة وفتح المدينة ست سنين ويخرج الدجال في السابعة وإسناده أصح من إسناد حديث معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وروى ابن دحية من حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعاً : أن الله تعالى يرسل ملك الروم من آل هرقل يقال له : صمارة فيرغب إلى المهدي في الصلح وذلك لظهور المسلمين على المشركين فيصالحه إلى سبعة أعوام فيضع عليهم الجزية ﴿عَنْ يَدِهِ وَهُمْ صَغُورٌ﴾ [التوبة : 29] ولا يبقى لرومي حرمة ويكسر لهم الصليب ثم يرجع المسلمون إلى دمشق فإذا هم كذلك إذا رجل من الروم قد التفت فرأى أبناء الروم وبناتهم في القيود ويرفع الصليب ورفع صوته ، وَقَالَ : ألا من كان يعبد الصليب فلينصره ، فيقوم إليه رجل من المسلمين فيكسر الصليب ويقول : الله أغلب وأعز فحينئذ يغدرون وهم أولى بالغدر فيجتمع عند ذلك ملوك الروم خفية فيأتون إلى بلاد المسلمين وهم على غفلة مقيمين على الصلح فيأتون إلى أنطاكية في اثني عشر ألف راية تحت كل راية اثنا عشر ألفاً فعند ذلك يبعث المهدي إلى أهل الشام والحجاز والكوفة والبصرة والعراق يستنصر بهم فيبعث إليهم أهل الشرق أنه قد جاءنا عدو من أهل خراسان شغلنا عنك فيأتي إليه بعض أهل الكوفة والبصرة فيخرج بهم إلى دمشق وقد مكث الروم فيها أربعين يوماً يفسدون ويقتلون فينزل الله صبره على المسلمين فيخرجون إليهم فيشتد الحرب بينهم ويستشهد من المسلمين خلق كثير فإيا لها من وقعة ومقتلة ما أعظمها وأعظم هولها ويرتد من العرب يومئذ أربع قبائل سليم وفهد وغسان وطي فيلحقون بالروم .

ثم إن الله تعالى ينزل الصبر والنصر والظفر على المؤمنين ويغضب على الكافرين فعصاة المسلمين يومئذ خير خلق الله تعالى والمخلصين من عباده ليس فيهم مارد ولا مارق ولا شارد ولا مراتب ولا منافق .

ثم إن المسلمون يدخلون إلى بلاد الروم ويكبرون على المدائن والحصون فتقع أسوارها بقدرة الله تعالى فيدخلون المدائن والحصون ويغنمون الأموال ويسبون النساء والأطفال وتكون أيام المهدي أربعين سنة : عشر منها بالمغرب واثنتا عشرة سنة بالمدينة واثنتا عشرة سنة بالكوفة وستاً بمكة وتكون منيته فجاءة .

ووقع عند الإسماعيلي من وجه آخر عن الوليد بن مسلم قَالَ : تذاكرنا هذا

16 - باب: كَيْفَ يُنْبَذُ إِلَى أَهْلِ الْعَهْدِ؟

وَقَوْلُهُ: ﴿وَأِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَأُنْذِرْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾ [الأنفال: 58] الآية.

الحديث شيخاً من شيوخ المدينة فَقَالَ: أَخْبَرَنِي سعيد بن المسيب عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ مَكَانَ فَتَحَ بَيْتَ الْمَقْدَسِ عِمْرَانَ بَيْتَ الْمَقْدَسِ.

قَالَ الْمَهْلَبُ: وَفِي الْحَدِيثِ أَنَّ الْغَدْرَ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ.

وفيه: أشياء من علامات النبوة قد ظهر أكثرها.

وَقَالَ ابْنُ الْمُنِيرِ: أَمَّا قِصَّةُ الرُّومِ فَلَمْ تَظْهَرْ إِلَى الْآنَ وَلَا بَلَّغْنَا أَنَّهُمْ عَبَرُوا فِي الْبَرِّ فِي هَذَا الْعَدَدِ فَهِيَ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي لَمْ تَقَعْ بَعْدَ.

وفيه: بشارة ونذارة وذلك أنه دل على أن العاقبة للمتقين مع كثرة ذلك الجيش.

وفيه: إشارة إلى أن عدد جيوش المسلمين ستكون أضعاف ما هم عليه، والله تعالى أعلم.

ومطابقته للترجمة في قوله: فيغدرون.

16 - باب: كَيْفَ يُنْبَذُ إِلَى أَهْلِ الْعَهْدِ؟

(باب) بالتنوين (كَيْفَ يُنْبَذُ) على البناء للمفعول والنبذ بالنون والموحدة والذال المعجمة وهو الطرح والمراد هنا نقض العهد.

(إِلَى أَهْلِ الْعَهْدِ).

(وَقَوْلُهُ) تَعَالَى بِالرَّفْعِ عَطْفٌ عَلَى قَوْلِهِ كَيْفَ يَنْبَذُ أَي: بَابٌ يَذْكُرُ فِيهِ كَيْفَ يَنْبَذُ وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأِمَّا تَخَافَنَّ﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿مِنْ قَوْمٍ﴾ من المشركين معابدين ﴿خِيَانَةً﴾ نقض عهد بأمارات تلوح لك، ﴿فَأُنْذِرْ إِلَيْهِمْ﴾ أي: فَاطْرَحْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ ﴿عَلَى سَوَاءٍ﴾ أي: على عدل وطريق قصد في العداوة ولا تناجزهم في الحرب فإنه يكون خيانة منك أو على سواء في الخوف أو العلم بنقض العهد وهو في موضع الحال من النابذ على الوجه الأول أي: ثابتاً على

3177 - حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، أَخْبَرَنَا حُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ، قَالَ: بَعَثَنِي أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِيمَنْ يُؤَدُّنَ يَوْمَ النَّحْرِ بِمَنَى: «لَا يَحُجُّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ، وَلَا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ، وَيَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ يَوْمُ النَّحْرِ»، وَإِنَّمَا قِيلَ الْأَكْبَرُ مِنْ أَجْلِ قَوْلِ النَّاسِ: الْحَجُّ الْأَصْغَرُ،

طريق سوي أو منه أو من المنبوذ إليهم أو منهما على غيره.

قَالَ الْأَزْهَرِيُّ: معناه إذا هادنت قوما فعلمت منهم النقض فلا تسرع إلى النقض حتى تلقي إليهم أنك نقضت العهد بأن ترسل إليهم وتعلمهم بأن العهد انقضى فيكونون في علم النقض مستوين ثم أوقع بهم وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَي: على مثل، وَقَالَ الْكِسَائِيُّ: على عدل.

وقيل: معناه أعلمهم أنك قد جازيتهم حتى يصيروا مثلك في العلم والكل متقارب وتمايم الآية ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَاسِقِينَ﴾ [الأنفال: 58] وهو تعليل للأمر بالنبذ والنهي عن مناجزة القتال المدلول عليه بالحال على طريقة الاستئناف.

(حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ) الحكم بن نافع قَالَ: (أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ) أنه قَالَ: (أَخْبَرَنَا حُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (قَالَ: بَعَثَنِي أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِيمَنْ يُؤَدُّنَ يَوْمَ النَّحْرِ بِمَنَى) كان بعثه إياه في الحجة التي أمره النَّبِيُّ ﷺ قبل حجة الوداع يوضحه ما أَخْرَجَهُ المصنف في كتاب الحج في باب لا يطوف بالبيت عريان ولا مشرك عن يَحْيَى بن بكير عن الليث عن يُونُس عن ابن شهاب عن حميد بن عبد الرحمن أن أبا هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أخبره أن أبا بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعثه في التي أمره عليها رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قبل حجة الوداع في رهط يؤذن بالناس ألا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان.

(«لَا يَحُجُّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ، وَلَا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ، وَيَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ يَوْمُ النَّحْرِ»)

هذا قول مالك وجماعة من الفقهاء لأن فيه تمام الحج ومعظم أفعاله، ولما روي أنه ﷺ وقف يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال: «هذا يوم الحج الأكبر»، وقيل: يوم عرفة لقوله ﷺ: «الحج عرفة» وقيل: عرفة.

(وَإِنَّمَا قِيلَ الْأَكْبَرُ مِنْ أَجْلِ قَوْلِ النَّاسِ: الْحَجُّ الْأَصْغَرُ) قَالَ الدَّوَوْدِيُّ: يعنون العمرة وقيل: إنما قيل له الأكبر لأن الناس كانوا في الجاهلية يقفون

فَنَبَذَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى النَّاسِ فِي ذَلِكَ الْعَامِ، فَلَمْ يَحْجَّ عَامَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ الَّذِي حَجَّ فِيهِ النَّبِيُّ ﷺ مُشْرِكًا.

17 - بَابُ إِثْمٍ مِنْ عَاهِدٍ ثُمَّ غَدَرَ

وَقَوْلُهُ: ﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾ [الأنفال: 56].

بعرفات وتقف قريش بالمزدلفة لأنهم كانوا يقولون لا نخرج من الحرم ما دام كان صلاة الفجر يوم النحر وليلة النحر اجتمعوا كلهم بالمزدلفة فقبل له يوم الحج الأكبر لأنه يوم الاجتماع الأكبر (فَنَبَذَ أَبُو بَكْرٍ) رضي الله عنه (إِلَى النَّاسِ فِي ذَلِكَ الْعَامِ، فَلَمْ يَحْجَّ عَامَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ الَّذِي حَجَّ فِيهِ النَّبِيُّ ﷺ مُشْرِكًا) وإنما وصف بالحج الأكبر لأن المراد بالحج ما يقع ذلك اليوم من أعماله فإنه أكبر من باقي الأعمال، أو لأن ذلك الحج أجمع فيه المسلمون والمشركون ومن وافق عيده أعياد أهل الكتاب أو لأنه ظهر فيه عزّ المسلمين وذلّ المشركين.

وقد مضى الحديث في كتاب الحج في الباب المذكور.

ومطابقته للترجمة في قوله: فنبد أبو بكر إلى الناس.

وَقَالَ الْمَهْلَبُ: خشي غدر المشركين فلذلك بعث من ينادي بذلك.

17 - بَابُ إِثْمٍ مِنْ عَاهِدٍ ثُمَّ غَدَرَ

(بَابُ إِثْمٍ مِنْ عَاهِدٍ ثُمَّ غَدَرَ) أي: نقض العهد.

(وَقَوْلُهُ) تَعَالَى بِالْحَجْرِ عطف على مدخول باب: ﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ﴾ وهذا بدل من ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في الآية السابقة بدل البعض للبيان والتخصيص وهم يهود قريظة عاهدتهم رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أن لا يمالئوا عليه فأعانوا المشركين بالسلاح وقالوا نسينا ثم عاهدتهم فنكثوا ومالؤهم عليه يوم الخندق وركب كعب بن الأشرف إلى مكة فحالفهم ومن لتضمين المعاهدة معنى الأخذ والمراد بالمرة مرة المعاهدة أو المحاربة.

(وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ) سبّة الغدر ومغبته أو لا يتقون الله فيه أو نصره للمؤمنين وتسليطه عليهم والغدر حرام باتفاق سواء كان في حق المسلم أو الذمي.

3178 - حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُرَّةٍ، عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَرْبَعٌ خِلَالٍ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا: مَنْ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدْعَهَا».

3179 - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ، أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: مَا كَتَبْنَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا الْقُرْآنَ وَمَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الْمَدِينَةُ حَرَامٌ مَا بَيْنَ عَائِرٍ إِلَى كَذَا، فَمَنْ أَحْدَثَ حَدَّثًا أَوْ آوَى مُحَدِّثًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يُقْبَلُ مِنْهُ عَدْلٌ وَلَا صَرَفٌ،

(حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ) قَالَ: (حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُرَّةٍ، عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا)، أَنَّهُ (قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَرْبَعٌ خِلَالٍ⁽¹⁾ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا⁽²⁾: مَنْ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ⁽³⁾، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدْعَهَا»)) والحديث قد مضى في كتاب الإيمان في باب علامة المنافق ومضى الكلام فيه هناك.

ومطابقته للترجمة في قوله وإذا عاهد غدر.

(حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ) قَالَ: (أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ) هو ابن عيينة، (عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ) يزيد بن شريك التَّيْمِيِّ، (عَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ) قَالَ: مَا كَتَبْنَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا الْقُرْآنَ وَمَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: الْمَدِينَةُ حَرَامٌ مَا بَيْنَ عَائِرٍ) هو جبل بالمدينة (إِلَى كَذَا) قَالَ الْعَيْنِيُّ: لَعَلَّهُ أَحَدٌ، (فَمَنْ أَحْدَثَ حَدَّثًا أَوْ آوَى مُحَدِّثًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يُقْبَلُ مِنْهُ عَدْلٌ وَلَا صَرَفٌ) ويروى لا يقبل الله منه صرْفًا ولا عدلاً.

(1) أي: أربع خصال وهو جمع خلة وهي الخصلة.

(2) أي: شديد المشابهة بالمنافق الشرعي.

(3) أي: مال عن الحق في خصومته أو شق ستر الديانة.

وَذِمَّةُ الْمُسْلِمِينَ وَاحِدَةٌ، يَسْعَى بِهَا أَذْنَاهُمْ، فَمَنْ أَخْفَرَ مُسْلِمًا، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يُقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ، وَمَنْ وَالَى قَوْمًا بِغَيْرِ إِذْنِ مَوْلَاهِ، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يُقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ».

3180 - قَالَ أَبُو مُوسَى، حَدَّثَنَا هَاشِمُ بْنُ الْقَاسِمِ، حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا لَمْ تَجْتَبُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا؟ فَقِيلَ لَهُ: وَكَيْفَ تَرَى ذَلِكَ كَائِنًا يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟ قَالَ: إِي وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ، عَنْ قَوْلِ الصَّادِقِ الْمَصْدُوقِ،

(وَذِمَّةُ الْمُسْلِمِينَ وَاحِدَةٌ، يَسْعَى بِهَا أَذْنَاهُمْ، فَمَنْ أَخْفَرَ مُسْلِمًا، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يُقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ، وَمَنْ وَالَى قَوْمًا بِغَيْرِ إِذْنِ مَوْلَاهِ، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يُقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ) والحديث قد مضى قريبًا في باب ذمة المسلمين وجوارهم واحدة وفي الحج أيضًا.

ومطابقته للترجمة تؤخذ من قوله: فمن أحدث حدثًا إلى آخره.

(قَالَ أَبُو مُوسَى) هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى شَيْخُ الْبُخَارِيِّ وَفِي بَعْضِ النُّسخِ حَدَّثَنَا أَبُو مُوسَى وَالْأَوَّلُ هُوَ الصَّحِيحُ ⁽¹⁾ ثُمَّ هَذِهِ الصِّيغَةُ هَلْ تَحْمِلُ عَلَى السَّمَاعِ فِيهِ خِلَافٌ وَقَالَ الْخَطِيبُ لَا تَحْمِلُ عَلَى السَّمَاعِ إِلَّا مِمَّنْ جَرَتْ عَادَتُهُ أَنْ يَسْتَعْمِلَهَا.

(حَدَّثَنَا هَاشِمُ بْنُ الْقَاسِمِ) أَبُو النُّضْرِ التَّمِيمِيُّ وَيُقَالُ اللَّيْثِيُّ الْكِنَانِيُّ خِرَاسَانِي سَكَنَ بَغْدَادَ قَالَ: (حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ سَعِيدٍ ⁽²⁾ عَنْ أَبِيهِ) سَعِيدُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ سَعِيدِ ابْنِ الْعَاصِ الْأُمَوِيِّ الْقُرَشِيِّ، (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ)، أَنَّهُ قَالَ: كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا لَمْ تَجْتَبُوا) مِنَ الْجَبَايَةِ بِالْجَيْمِ وَالْمَوْحِدَةِ (دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا) أَي: إِذَا لَمْ تَأْخُذُوا مِنَ الْجَزِيَّةِ وَالْخَرَاجِ.

(فَقِيلَ لَهُ: وَكَيْفَ تَرَى ذَلِكَ كَائِنًا يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟ قَالَ: إِي) بِكُسْرِ الهمزة حَرَفِ تَصْدِيقٍ (وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ، عَنْ قَوْلِ الصَّادِقِ الْمَصْدُوقِ) مَعْنَى

(1) وبه جزم الإسماعيلي وأبو نعيم وغيرهما.

(2) وقد وافقه في هذا الحديث أخوه خالد بن سعيد بنحوه.

قَالُوا: عَمَّ ذَاكَ؟ قَالَ: تُنْتَهَكُ ذِمَّةُ اللَّهِ، وَذِمَّةُ رَسُولِهِ ﷺ، فَيَشُدُّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قُلُوبَ أَهْلِ الذِّمَّةِ، فَيَمْنَعُونَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ⁽¹⁾.

الصادق ظاهر والمصدوق هو الذي لم يقل له إلا الصدق يعني أن جبريل عليه السلام مثلاً لم يخبره إلا بالصدق قَالَ الْكَرْمَانِيُّ: أو المصدق بلفظ المفعول.

(قَالُوا: عَمَّ) أصله عن ما فحذف ألف ما وأدغم النون في الميم.

(ذَاكَ قَالَ: تُنْتَهَكُ) بضم أوله من الانتهاك وانتهاك الحرمة تناولها بما لا يحل من الجور والظلم.

(ذِمَّةُ اللَّهِ، وَذِمَّةُ رَسُولِهِ ﷺ، فَيَشُدُّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قُلُوبَ أَهْلِ الذِّمَّةِ، فَيَمْنَعُونَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ) أي: يمتنعون من أداء الجزية.

وهذا التعليق وصله أبو نعيم في المستخرج من طريق موسى بن العباس عن أبي موسى مثله.

وَقَالَ الْحُمَيْدِيُّ: أخرج مسلم معنى هذا الحديث من وجه آخر عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة رفعه منعت العراق درهمها وقفيزها الحديث وساق الحديث بلفظ الماضي والمراد به يستقبل مبالغة في الإشارة إلى تحقق وقوعه.

وروى مسلم أيضاً عن جابر رضي الله تعالى عنه مرفوعاً يوشك أهل العراق أن لا يجبى إليهم قفيز ولا درهم قالوا: مم ذاك؟ قَالَ: من قبل العجم يمنعون ذلك.

وفيه: علم من علامات النبوة والتوصية بالوفاء بأهل الذمة لما في الجزية

(1) قال الحافظ: تنتهك - بضم أوله - أي: تتناول مما لا يحل من الجور والظلم، فيمتنعون من أداء الجزية، قال الحميدي: أخرج مسلم معنى هذا الحديث من وجه آخر عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة رفعه: «منعت العراق درهمها وقفيزها» وساق الحديث بلفظ الفعل الماضي، والمراد به ما يستقبل مبالغة في الإشارة إلى تحقق وقوعه، ولمسلم عن جابر أيضاً مرفوعاً «يوشك أهل العراق أن لا يجبى إليهم بغير ولا درهم، قالوا: مم ذلك؟ قال من قبل العجم يمنعون ذلك» وفيه علم من أعلام النبوة والتوصية بالوفاء لأهل الذمة لما في الجزية التي تؤخذ منهم من نفع المسلمين، وفيه التحذير من ظلمهم وأنه متى وقع ذلك نقضوا العهد فلم يجتب المسلمون منهم شيئاً فتضيق أحوالهم، اهـ.

18 - باب

3181 - حَدَّثَنَا عَبْدَانُ، أَخْبَرَنَا أَبُو حَمْزَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ الْأَعْمَشَ، قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا وَائِلٍ - شَهِدْتُ صِفِّينَ؟ قَالَ: نَعَمْ - فَسَمِعْتُ سَهْلَ بْنَ حُنَيْفٍ، يَقُولُ: «اتَّهَمُوا رَأْيَكُمْ، اتَّهَمُوا رَأْيَكُمْ»

التي تؤخذ منهم من نفع المسلمين .

وفيه : التحذير من ظلمهم وأنه متى وقع ذلك نقضوا العهد فلم يجتب المسلمون منهم شيئاً فتضيق أحوالهم .

وذكر ابن حزم: أن بعض المالكية احتج بقوله في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ منعت العراق درهمها الحديث على أن الأرض المغنومة لأنفسهم ولا تباع وأن المراد بالمنع منع الخراج ورده بأن الحديث ورد في الإنذار بما يكون من سوء العاقبة وأن المسلمين يُمنعون حقوقهم وكذلك وقع والله تعالى أعلم.

18 - باب

(باب) كذا وقع بلا ترجمة عند الجميع وهو كالفصل من الباب السابق وقد مر مثل هذا غير مرة.

(حَدَّثَنَا عَبْدَانُ) قد مر غير مرة أنه لقب واسمه عَبْدُ اللَّهِ قَالَ: (أَخْبَرَنَا أَبُو حَمْزَةَ) بالحاء المهملة وبالنزاي هو مُحَمَّدُ بْنُ مَيْمُونِ السَّكْرِي، (قَالَ: سَمِعْتُ الْأَعْمَشَ) هو سليمان بن مهران (قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا وَائِلٍ) هو شقيق بن سلمة. (شَهِدْتُ) بالخطاب وهمزة الاستفهام محذوفة.

(صِفِّينَ) بكسر الصاد المهملة وتشديد الفاء اسم موضع على الفرات وقع فيه الحرب بين علي ومعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وهي وقعة مشهورة.

(قَالَ: نَعَمْ، فَسَمِعْتُ سَهْلَ بْنَ حُنَيْفٍ) أي: ابن واهب الأنصاري (يَقُولُ: اتَّهَمُوا رَأْيَكُمْ) قَالَ ذَلِكَ يَوْمَ صِفِّينَ وَكَانَ مَعَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ يَعْنِي اتَّهَمُوا رَأْيَكُمْ فِي هَذَا الْقِتَالِ يَعْظُ الْفَرِيقَيْنِ لِأَنَّ كُلَّ فَرِيقٍ مِنْهُمَا يِقَاتِلُ عَلَى رَأْيِ

رَأَيْتُنِي يَوْمَ أَبِي جَنْدَلٍ، وَلَوْ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَرُدَّ أَمْرَ النَّبِيِّ ﷺ لَرَدَدْتُهٗ، وَمَا وَضَعْنَا أَسْيَافَنَا عَلَى عَوَاتِقِنَا لِأَمْرِ يُفْظَعُنَا، إِلَّا أَسْهَلَنَ بِنَا إِلَى أَمْرٍ نَعْرِفُهُ غَيْرَ أَمْرِنَا هَذَا»⁽¹⁾.

يراه واجتهاد يجتهد فَقَالَ لَهُمْ سَهْلٌ : اتهموا رأيكم فإنما تقاتلون في الإسلام إخوانكم برأي رأيتموه وكانوا يتهمون سهلاً بالتقصير في القتال فَقَالَ اتهموا رأيكم فإنني لا أقصر وما كنت مقصراً في الجماعة كما في يوم الحديبية قوله : (رَأَيْتُنِي) أي : رأيت نفسي (يَوْمَ أَبِي جَنْدَلٍ) بفتح الجيم وسكون النون واسمه العاص بن سهل وإنما نسب اليوم إليه ولم يقل يوم الحديبية لأن رده إلى المشركين كان شاقاً على المسلمين وكان ذلك أعظم عليهم من سائر ما جرى عليهم من الأمور .

وكان أَبُو جندل جاء إلى النَّبِيِّ ﷺ من مكة مسلماً وهو يجر قيوده وكان قد عذب في الإسلام فَقَالَ سهيل والده يا مُحَمَّدُ هذا أول ما أقاضيك عليه فرد عليه أبا جندل وهو ينادي أتردونني إلى المشركين وأنا مسلم وترون ما لقيت من العذاب في الله فقام سهيل إلى ابنه بحجر فكسر فمه فغارت نفوس المسلمين يومئذ حتى قَالَ عمر رضي الله تعالى عنه : ألسنا على الحق علام نعطي الدنيا على وزن فعيلة أي : النقيصة والخطئة الخسيصة أي : لِمَ نرد أبا جندل ونقاتل معهم ولا نرضى بهذا الصلح .

(وَلَوْ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَرُدَّ أَمْرَ النَّبِيِّ ﷺ لَرَدَدْتُهٗ) أشار بهذا الكلام إلى جواب الذين اتهموه بالتقصير في القتال يوم صفين فَقَالَ : كيف تنسبونني إلى التقصير فلو كان لي استطاعة على رد أمر النَّبِيِّ ﷺ يوم الحديبية لرددته ولم يكن امتناعي عن القتال يومئذ للتقصير وإنما كان لأجل أمر النَّبِيِّ ﷺ بالصلح .

(وَمَا وَضَعْنَا أَسْيَافَنَا عَلَى عَوَاتِقِنَا) يعني ما جردنا سيوفنا في الله (لِأَمْرِ يُفْظَعُنَا) من أفضع بالفاء والطاء المعجمة والعين المهملة قَالَ ابن فارس : فظع وأفضع لغتان يقال أمر فظيع علينا أي : شديد (إِلَّا) أَسْهَلَتْ ويروى : (أَسْهَلَنَ) بالنون (بِنَا إِلَى أَمْرٍ) أي : أوصلنا إلى أمر سهل (نَعْرِفُهُ غَيْرَ أَمْرِنَا هَذَا) يعني أمر

(1) قال الكرمانى : قوله اتهموا إلخ ، وذلك أن سهلاً كان يتهم بالتقصير في القتال ، فقال : اتهموا =

3182 - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ آدَمَ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ

الْعَزِيزِ، عَنْ أَبِيهِ،

الفتنة التي وقعت بين المسلمين فإنها مشكلة حيث حلت المصيبة وعظمت بقتل المسلمين فنزع السيف أولى من سله في الفتنة.

وتعلق هذا الحديث بالباب المترجم من حيث إنه آل أمر قريش في نقضهم العهد من الغلبة عليهم وقهرهم بفتح مكة فإنه يوضح أن مال الغدر مذموم ومقابل ذلك ممدوح.

والحديث قد أخرجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي الْاِعْتِصَامِ وَالْخُمْسِ وَالتَّفْسِيرِ أَيْضًا وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي الْمَغَازِي وَالتَّسَائِي فِي التَّفْسِيرِ.

(حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ) المعروف بالمسندِي قَالَ: (حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ آدَمَ) قَالَ: (حَدَّثَنَا يَزِيدُ) من الزيادة (ابْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ) الكوفي، (عَنْ أَبِيهِ) عبد العزيز بن سياه بكسر السين المهملة وتخفيف المثناة التحتية وبالهاء وصلًا ووقفًا منصرف وغير منصرف والأصح الانصراف مع أنه أعجمي وكان ليس بعلم عندهم

رأيكم فإني لا أقصر وما كنتُ مقصرًا وقت الحاجة، كما في يوم الحديبية فإني رأيت نفسي يومئذ، بحيث لو قدرت على مخالفة حكم رسول الله ﷺ لقاتلت قتالًا شديدًا لا مزيد عليه، لكن أتوقف اليوم عن القتال لأجل مصلحة المسلمين، اهـ.

وقال الحافظ رحمه الله تعالى في الفتح: وإنما قال سهل لأهل صفين ما قال لما ظهر من أصحاب علي رضي الله عنه كراهية التحكيم، فأعلمهم بما جرى يوم الحديبية من كراهة أكثر الناس للصلح ومع ذلك فأعقب خيرًا كثيرًا، وظهر أن رأي النبي ﷺ في الصلح أتم وأحمد من رأيهم، اهـ.

وقال العيني: قوله اتهموا رأيكم؛ قال ذلك يوم صفين وكان مع علي رضي الله تعالى عنه، يعني اتهموا رأيكم في هذا القتال يعظ الفريقين لأن كل فريق منهما يقاتل على رأي يراه، فقال سهل: اتهموا رأيكم فإنما تقاتلون في الإسلام إخوانكم برأي رأيتموه، وكانوا يتهمون سهلًا بالتقصير في القتال فقال: اتهموا رأيكم فإني لا أقصر وما كنت مقصرًا كما في يوم أبي جندل. وإنما نسب اليوم إليه ولم يقل يوم الحديبية، لأن رده إلى المشركين كان شاقًا على المسلمين وكان ذلك أعظم عليهم من سائر ما جرى عليهم، وكان أبو جندل جاء إلى النبي ﷺ من مكة مسلمًا وهو يجبر قيوده، وكان قد عذّب على الإسلام فردّه النبي ﷺ وهو ينادي: أتردونني إلى المشركين وترون ما لقيت من العذاب في الله، فقام سهل إلى ابنه بحجر فكسر فمه فغارت نفوس المسلمين يومئذ، اهـ.

حَدَّثَنَا حَبِيبُ بْنُ أَبِي ثَابِتٍ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو وَائِلٍ، قَالَ: كُنَّا بِصِفِّينَ، فَقَامَ سَهْلُ بْنُ حَنِيفٍ، فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ اتَّهَمُوا أَنْفُسَكُمْ، فَإِنَّا كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ، وَلَوْ نَرَى قِتَالًا لَقَاتَلْنَا، فَجَاءَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَهُمْ عَلَى الْبَاطِلِ؟ فَقَالَ: «بَلَى». فَقَالَ: أَلَيْسَ قِتَالُنَا فِي الْجَنَّةِ وَقِتَالُهُمْ فِي النَّارِ؟ قَالَ: «بَلَى»، قَالَ: فَعَلَى مَا نُعْطِي الدِّيَّةَ فِي دِينِنَا، أَنْزِجُ وَلَمَّا يَحْكُمِ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ؟ فَقَالَ: «إِنَّ الْخَطَّابِ، إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ، وَلَنْ يُضَيِّعَنِي اللَّهُ أَبَدًا»، فَاَنْطَلَقَ عُمَرُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: إِنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، وَلَنْ يُضَيِّعَهُ اللَّهُ أَبَدًا، فَتَزَلَّتْ سُورَةُ الْفَتْحِ

قَالَ: (حَدَّثَنَا حَبِيبُ بْنُ أَبِي ثَابِتٍ) واسم أبي ثابت دينار الكوفي، (قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو وَائِلٍ) شقيق بن سلمة، (قَالَ: كُنَّا بِصِفِّينَ، فَقَامَ سَهْلُ بْنُ حَنِيفٍ، فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ اتَّهَمُوا أَنْفُسَكُمْ، فَإِنَّا كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ، وَلَوْ نَرَى قِتَالًا لَقَاتَلْنَا، فَجَاءَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَهُمْ عَلَى الْبَاطِلِ؟ فَقَالَ: «بَلَى». فَقَالَ: أَلَيْسَ قِتَالُنَا فِي الْجَنَّةِ وَقِتَالُهُمْ فِي النَّارِ؟ قَالَ: «بَلَى»، قَالَ: فَعَلَى مَا نُعْطِي الدِّيَّةَ) أي: النقيصة (فِي دِينِنَا، أَنْزِجُ وَلَمَّا يَحْكُمِ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ؟ فَقَالَ: يَا «ابْنَ الْخَطَّابِ، إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ، وَلَنْ يُضَيِّعَنِي اللَّهُ أَبَدًا»، فَاَنْطَلَقَ عُمَرُ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (إِلَى أَبِي بَكْرٍ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: إِنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، وَلَنْ يُضَيِّعَهُ اللَّهُ أَبَدًا، فَتَزَلَّتْ سُورَةُ الْفَتْحِ) أي: سورة ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ [الفتح] والمراد بالفتح صلح الحديبية.

وقيل: فتح الروم.

وقيل: فتح بلاد الإسلام بالسيف والسنان.

وقيل: الفتح الحكم والمختار من هذه الأقاويل فتح مكة.

وقيل: فتح الحديبية وهو الصلح الذي وقع فيها بين النَّبِيِّ ﷺ وبين مشركي مكة فإن قلت كيف كان فتحًا وقد أحصروا فنحروا وحلقوا بالحديبية.

فالجواب: أنه كان ذلك قبل تمام الهدنة فلما تمت الهدنة كان فتحًا مبينًا ويؤيده سياق الحديث.

فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى عُمَرَ إِلَى آخِرِهَا، فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْفَتْحَ هُوَ؟
قَالَ: «نَعَمْ».

3183 - حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا حَاتِمٌ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ
أَسْمَاءَ ابْنَةِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَتْ: قَدِمْتُ عَلَى أُمِّي وَهِيَ مُشْرِكَةٌ فِي عَهْدِ
فُرَيْشٍ، إِذْ عَاهَدُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَمُدَّتِهِمْ مَعَ أَبِيهَا، فَاسْتَفْتَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَتْ:
يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أُمِّي قَدِمْتُ عَلَى وَهِيَ رَاغِبَةٌ.....

(فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى عُمَرَ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (إِلَى آخِرِهَا، فَقَالَ عُمَرُ:
يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْفَتْحَ هُوَ؟ قَالَ: «نَعَمْ») وَإِنَّمَا قَالَ سَهْلُ بْنُ حَنِيفٍ لِأَهْلِ صَفِينِ مَا
قَالَ لَمَّا ظَهَرَ مِنْ أَصْحَابِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ كَرَاهَةِ التَّحْكِيمِ فَأَعْلَمَهُمْ بِمَا
جَرَى يَوْمَ الْحَدِيثِ مِنْ كَرَاهَةِ أَكْثَرِ النَّاسِ لِلصَّلَاحِ وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ أَعْقَبَ خَيْرًا كَثِيرًا
وَوُضِعَ أَنْ رَأَى النَّبِيُّ ﷺ فِي الصَّلَاحِ أْتَمَ وَأَحْمَدَ مِنْ رَأْيِهِمْ فِي الْمَنَاجِزَةِ⁽¹⁾.

وتعلق هذا الحديث بالباب مثل تعلق الحديث السابق كما لا يخفى.

(حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ) قَالَ: (حَدَّثَنَا حَاتِمٌ) هُوَ ابْنُ إِسْمَاعِيلَ أَبُو
إِسْمَاعِيلَ الْكُوفِيُّ، (عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَسْمَاءَ ابْنَةِ أَبِي بَكْرٍ
رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا) أَنَّهَا (قَالَتْ: قَدِمْتُ عَلَى) بِتَشْدِيدِ الْيَاءِ (أُمِّي)
وَأَسْمَاهَا قَيْلَةُ بِفَتْحِ الْقَافِ وَسُكُونِ الْمِثْنَةِ التَّحْتِيَّةِ وَاسْمُ أَبِيهَا عَبْدِ الْعَزَى وَأَسْمَاءُ
وَعَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ أَخْتَانِ مِنْ جِهَةِ الْأَبِ فَقَطْ.

(وَهِيَ مُشْرِكَةٌ فِي عَهْدِ فُرَيْشٍ، إِذْ عَاهَدُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَمُدَّتِهِمْ) أَي: الْمَدَّةُ
الَّتِي كَانَتْ مَعِينَةً لِلصَّلَاحِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ (مَعَ أَبِيهَا) عَبْدِ الْعَزَى فَاسْتَفْتَيْتِ
عَلَى صِبْغَةِ الْمُتَكَلِّمِ وَيُرْوَى: (فَاسْتَفْتَيْتِ) عَلَى صِبْغَةِ الْغَيْبَةِ (رَسُولَ اللَّهِ ﷺ)،
فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أُمِّي قَدِمْتُ عَلَى وَهِيَ رَاغِبَةٌ) أَي: فِي أَنْ تَأْخُذَ مِنِّي بَعْضُ
الْمَالِ.

(1) وقال النووي: أراد بهذا الكلام تصبير الناس على الصلح وإعلامهم بأنه يرجى فيما بعده
مصييره إلى الخير وإن كان ظاهره في الابتداء مما تكرهه النفوس كما كان صلح الحديبية، قال
ولم يكن كلام عمر رضي الله عنه وسؤاله المذكور شكًا، بل طلبًا لكشف ما خفي عليه وفيه
فضيلة أبي بكر رضي الله عنه.

أَفَأَصْلُهَا؟ قَالَ: «نَعَمْ صَلِيهَا»⁽¹⁾.

(أَفَأَصْلُهَا؟ قَالَ: «نَعَمْ صَلِيهَا») وتعلق هذا الحديث بما قبله من حديث إن

(1) قال ابن أبي جمرة في البهجة: ظاهر الحديث يدل على جواز صلة الولد لأمه الكافرة. والكلام عليه من وجوه:

الوجه الأول: هل الحديث مقصور على الصلة للأم لا غير أو الصلة جائزة على العموم للمشركون كلهم ظاهر صيغة الحديث في الأم لكن يؤخذ تعديده لغير الأم من غير هذا الحديث وهو قوله عليه السلام: «في كل كبد حراء أجر».

الوجه الثاني: قولها: «قدمت علي أُمِّي» يرد عليه سؤالان:

أحدهما: أن يقال لم قالت قدمت ولم تقل جاءت وما أشبهها من الصيغ.

الثاني: أن يقال لم قالت عليّ ولم تقل إليّ إذ أنهم لا يخصصون الألفاظ بالذكر دون غيرها إلا لمعنى مفيد.

والجواب: عن الأول أنها لو أتت بغيرها من الصيغ لاحتمل اللفظ أن تريد أنها جاءت من سفر أو غير وقدمت ليس فيه احتمال غير القدوم من السفر لأنك إذا قلت فلان قدم أو فلان على فلان لم تذكر من أي موضع كان قدومه علم أنك أردت أنه أتى من سفر ولو قلت فلان جاء أو فلان جاء إلى فلان لم يفهم عنك ما أردت بمجيئه هل من سفر أو غيره حتى تبينه فخصصت تلك الصيغة دون غيرها رفقا للاحتمال.

والجواب: عن السؤال الثاني أن القادم من السفر لا بد وأن يكون معه رحل فيحتاج أن يحطه بموضع فأتت بقولها على لأنه ظرف لتبين أين كان نزول أمها حين قدومها ولو أتت بغيرها من الصيغ لم تقم مقامها في ذلك المعنى.

الوجه الثالث: من البحث المتقدم قولها: «في عهد قريش إذ عاهدوا رسول الله ﷺ» فيه دليل على أن المهادنة بين المسلمين والمشركون جائزة بشرط لأن لا يكون على المسلمين فيه حيف ولا يعطون شيئاً لهم لأن النبي ﷺ قد صالحهم بنص هذا الحديث ولم يصلحهم عليه السلام قط بشيء على المسلمين فيه حيف ولا أعطاهم شيئاً قط وقد قال عليه السلام: «الإسلام يعلو ولا يعلى عليه» فعلى بهذا فإذا كثر العدو بموضع حتى لا يقدرُوا على قتاله فالخروج من الموضع إذ ذاك ولا سبيل إلى الإذعان إليهم في شيء ما إلا بالخدمة وقد قال تعالى: ﴿عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا﴾ [الأعراف: 29].

الوجه الرابع: قولها: «ومدتهم» تعني مدة المهادنة وإنما أتت بذلك لتبين أن قدوم أمها عليها لم يكن حين العهد وإنما كان في أثناء مدته.

الوجه الخامس: قولها: «مع أبيها» يرد عليه سؤال وهو أن يقال ما فائدة ذكرها للأب.

والجواب: عنه أنها إنما قالت ذلك لتزيل ما يتخيل هناك من فقر أمها وحاجتها لأنها قالت في آخر الحديث وهي راغبة والرغبة تحتل أن تكون في المحبة وتحتل أن تكون طلباً للإحسان من أجل الفاقة وهذا الاحتمال الأخير يلحق به من النقص للموصوف به ما لا يخفى فأتت بذكر أبيها معها لتبين أنها لم تطلب هذه الرغبة التي أشرنا إليها أخيراً وإنما أرادت الأولى لأن المرء إذا جاء مع من يكفله ليس بفقر.

عدم الغدر اقتضى جواز صلة القريب ولو كان على غير دينه، والحديث قد مضى في كتاب الهبة في باب الهدنة للمشركين ومضى الكلام فيه.

الوجه السادس: قولها «فاستفتيت رسول الله ﷺ» الكلام على هذا الفصل من وجوه:
الأول: التعليم والسؤال قبل العمل لأنها لم تصل أمها حتى استفتت النبي ﷺ فسألته وتعلمت وحيث علمت.

الثاني: إن الأمر إذا كان العمل به مستصحباً ثم عارضته علة فالتوقف: حتى يتبين بلسان العلم هل يقع بها المنع أو يبقى على بابه لأن الصلة للوالدين تتردد بين الواجب والمندوب بحسب اختلاف الأحوال فلما أن عارض ذلك علة الكفر لم تقدم على العمل حتى تبين لها الأمر على لسان العلم باستفتائها للنبي ﷺ.

الثالث: إن الأصل الدين وهو المعول عليه مع الأقارب والأجانب لأنه يعلم بالضرورة أن الولد يحب والديه المحبة الكلية لكن لم تنظر لأمرها حين أقبلت عليها في شيء حتى سألت هل ذلك لها سائق في الدين أم لا؟ فقدمت الدين على أحب الأشياء إليها وهو المراد بقوله تعالى: ﴿قَدْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسْكَنٌ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ آلِهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ﴾ [التوبة: 24] فهؤلاء رضي الله عنهم ممن فهموا هذه الآية وعملوا بمقتضاها.

الرابع: فيه دليل لأهل الصوفية في كونهم يؤخرون الأعمال في بعض الأوقات حتى يصححوا النية لأنها لم تعمل هذه القربة لأجل ما عارضها حتى استفتت النبي ﷺ لأن تخلص النية بغير شبهة ولا ارتياب اتباعاً لقوله ﷺ: «خير العمل ما تقدمته النية».

الخامس: لقاتل أن يقول لم قالت استفتيت ولم تقل سألت كما قيل عن غيرها في غير هذا الحديث.

والجواب عنه: أن الاستفتاء أخص من السؤال لأنه لا يطلق مستفتياً إلا على من له معرفة بالحكم وبقي عليه بعض إشكال في وارد أو إشكال عرض ويطلق عليه سائلاً إذا لم يكن له معرفة بالحكم ولا بطرف منه ولأجل هذا قال ﷺ: «استفت نفسك وإن أفنأك المفتون» ولا يسوغ أن يقال سل نفسك لأن الاستفتاء تحقيق أحد أمرين أن تعلم أيهما الأصلح بك لمعرفتك بجزئيات أمرك من غيرك ولا يفهم ذلك من قولك سل نفسك.

الوجه السابع: قولها: «يا رسول الله إن أمي قدمت عليّ وهي راغبة أفأصلها» الرغبة قد تقدم الكلام على معناها وهي على ضربين وقد بينها والصلة أيضاً قد ذكرناها وهي على ضربين وهي هنا من القسم المندوب.

الوجه الثامن: قولها: «قال: نعم صليها» فيه دليل على أن النبي ﷺ له أن يحكم باجتهاده وبما يرى من رأيه لأنه عليه السلام أمرها بالصلة لأمرها، من غير أن ينزل عليه وحي فيها أعني الوحي بالواسطة وأما وحي الإلهام فكل كلامه عليه السلام وتصرفه منه تعالى لقوله: ﴿وَمَا يَطُوقُ عَنِ أَمْوَيْتٍ﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴿النجم: 3، 4﴾.

19 - باب المصالحة على ثلاثة أيام، أو وقت معلوم

3184 - حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عُمَانَ بْنِ حَكِيمٍ، حَدَّثَنَا شُرَيْحُ بْنُ مَسْلَمَةَ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ يُونُسَ بْنِ أَبِي إِسْحَاقَ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، قَالَ: حَدَّثَنِي الْبَرَاءُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا أَرَادَ أَنْ يَغْتَمِرَ أَرْسَلَ إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ يَسْتَأْذِنُهُمْ لِيَدْخُلَ مَكَّةَ، فَاشْتَرَطُوا عَلَيْهِ أَنْ لَا يُقِيمَ بِهَا إِلَّا ثَلَاثَ لَيَالٍ، وَلَا يَدْخُلَهَا إِلَّا بِجُلْبَانِ السَّلَاحِ، وَلَا يَدْعُو مِنْهُمْ أَحَدًا، قَالَ: فَأَخَذَ يَكْتُبُ الشَّرْطَ بَيْنَهُمْ عَلَيَّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَكَتَبَ: هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، فَقَالُوا: لَوْ عَلِمْنَا أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ لَمْ نَمْنَعَكَ وَلَبَايَعْنَاكَ، وَلَكِنْ اكْتُبْ: هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، فَقَالَ: «أَنَا وَاللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَأَنَا وَاللَّهِ رَسُولُ اللَّهِ» قَالَ: وَكَانَ لَا يَكْتُبُ، قَالَ: فَقَالَ

19 - باب المصالحة على ثلاثة أيام، أو وقت معلوم

(باب المصالحة على ثلاثة أيام) أي: المصالحة مع المشركين على مدة ثلاثة أيام (أو) المصالحة معهم على (وقت معلوم) سواء كان ثلاثة أيام أو ثلاثة أشهر أو نحو ذلك.

(حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عُمَانَ) أي: (ابن حَكِيم) ابن دينار أبو عبد الله الأزدي الكوفي قَالَ: (حَدَّثَنَا شُرَيْحُ بْنُ مَسْلَمَةَ) بفتح الميم واللام الكوفي قَالَ: (حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ يُونُسَ بْنِ أَبِي إِسْحَاقَ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي) يُونُسَ (عَنْ) أَبِيهِ (أَبِي إِسْحَاقَ) عمرو بن عبد الله الكوفي السبيعي أنه (قَالَ: حَدَّثَنِي الْبَرَاءُ) أي: ابن عازب رضي الله تعالى عنه: (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا أَرَادَ أَنْ يَغْتَمِرَ أَرْسَلَ إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ يَسْتَأْذِنُهُمْ لِيَدْخُلَ مَكَّةَ، فَاشْتَرَطُوا عَلَيْهِ أَنْ لَا يُقِيمَ بِهَا إِلَّا ثَلَاثَ لَيَالٍ، وَلَا يَدْخُلَهَا إِلَّا بِجُلْبَانِ السَّلَاحِ) بضم الجيم وسكون اللام شبه الجراب من الأدم يوضع فيه السيف مغمودًا.

(وَلَا يَدْعُو مِنْهُمْ أَحَدًا، قَالَ: فَأَخَذَ يَكْتُبُ الشَّرْطَ بَيْنَهُمْ عَلَيَّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَكَتَبَ: هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، فَقَالُوا: لَوْ عَلِمْنَا أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ لَمْ نَمْنَعَكَ وَلَبَايَعْنَاكَ، وَلَكِنْ اكْتُبْ: هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، فَقَالَ: «أَنَا وَاللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَأَنَا وَاللَّهِ رَسُولُ اللَّهِ» قَالَ: وَكَانَ لَا يَكْتُبُ، قَالَ: فَقَالَ

لِعَلِيٍّ: «امْحُ رَسُولَ اللَّهِ» فَقَالَ عَلِيٌّ: وَاللَّهِ لَا أَمْحَاهُ أَبَدًا، قَالَ: «فَأَرِنِيهِ»، قَالَ: فَأَرَاهُ إِيَّاهُ فَمَحَاهُ النَّبِيُّ ﷺ بِيَدِهِ، فَلَمَّا دَخَلَ وَمَضَى الْيَوْمُ، أَتَوْا عَلِيًّا، فَقَالُوا: مُرْ صَاحِبَكَ فَلْيَرْتَحِلْ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «نَعَمْ» ثُمَّ ارْتَحَلَ.

20 - بَابُ الْمُؤَادَعَةِ مِنْ غَيْرِ وَقْتٍ

وَقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَفِرُّكُمْ مَا أَفَرَّكُمْ اللَّهُ بِهِ».

21 - بَابُ طَرْحِ جَيْفِ الْمُشْرِكِينَ فِي الْبِئْرِ، وَلَا يُؤْخَذُ لَهُمْ ثَمَنٌ⁽¹⁾

لِعَلِيٍّ: «امْحُ رَسُولَ اللَّهِ» فَقَالَ عَلِيٌّ: وَاللَّهِ لَا أَمْحَاهُ، وَيُرْوَى لَا أَمْحُوهُ وَيُقَالُ مَحَاهُ يَمْحُوهُ وَيَمْحَاهُ وَيَمْحِيهِ ثَلَاثُ لُغَاتٍ.

(أَبَدًا، قَالَ: «فَأَرِنِيهِ»، قَالَ: فَأَرَاهُ إِيَّاهُ فَمَحَاهُ النَّبِيُّ ﷺ بِيَدِهِ، فَلَمَّا دَخَلَ وَمَضَى الْيَوْمُ، أَتَوْا عَلِيًّا، فَقَالُوا: مُرْ صَاحِبَكَ فَلْيَرْتَحِلْ، فَذَكَرَ ذَلِكَ) عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «نَعَمْ» ثُمَّ ارْتَحَلَ) والحديث قد مضى في كتاب الصلح في باب كيف يكتب ومضى الكلام فيه ومطابقته للترجمة في قوله أن لا يقيم إلا ثلاث ليال.

20 - بَابُ الْمُؤَادَعَةِ مِنْ غَيْرِ وَقْتٍ

(باب) جواز (المؤادعة) أي: المتاركة والمصالحة (من غير) تعيين (وقت).
(وَقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَفِرُّكُمْ» عَلَى (مَا أَفَرَّكُمْ اللَّهُ بِهِ) هذا طرف من حديث عبد الله ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في معاملة أهل خيبر وقد مر في كتاب المزارعة في باب إذا قَالَ رَبُّ الْأَرْضِ أَقْرَكَ مَا أَقْرَكَ اللَّهُ وليس في أمر المهادنة حد عند أهل العلم لا يجوز غيره وإنما ذلك راجع إلى رأي الإمام وأهل الرأي بحسب ما هو الأحظ والأحوط للمسلمين.

21 - بَابُ طَرْحِ جَيْفِ الْمُشْرِكِينَ فِي الْبِئْرِ، وَلَا يُؤْخَذُ لَهُمْ ثَمَنٌ

(باب طَرْحِ جَيْفِ الْمُشْرِكِينَ فِي الْبِئْرِ) والجيف بكسر الجيم وفتح المثناة التحتية جمع جيفة (وَلَا يُؤْخَذُ لَهُمْ ثَمَنٌ) أي: لا يجوز أخذ الفداء فيها من

(1) قال المحافظ رحمه الله تعالى: أشار به إلى حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن المشركين =

3185 - حَدَّثَنَا عَبْدَانُ بْنُ عُثْمَانَ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبِي، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَاجِدٌ وَحَوْلَهُ نَاسٌ مِنْ قُرَيْشٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، إِذْ جَاءَ

المشركين إذ كان أصحاب قليب بدر رؤساء مشركي مكة ولو مكن أهلهم من إخراجهم من البئر ودفنهم لبذلوا في ذلك كثير المال وإنما لا يجوز أخذ الثمن فيها لأنها ميتة لا يجوز تملكها ولا أخذ عوض عنها وقد حرم الشارع ثمنها وثنم الأصنام في حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وفي الترمذي من حديث ابن أبي ليلى عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن المشركين أرادوا أن يشتروا جسد رجل من المشركين فأبى عليه الصلاة والسلام أن يبيعهم إياه.

وَقَالَ أَحْمَدُ: لَا يَحْتَجُ بِحَدِيثِ ابْنِ أَبِي لَيْلَى .

وَقَالَ الْبُخَارِيُّ: هُوَ صَدُوقٌ وَلَكِنْ لَا يَعْرِفُ صَحِيحَ حَدِيثِهِ مِنْ سَقِيمِهِ .

وذكر ابن إسحاق في المغازي: أن المشركين سألوا النَّبِيَّ ﷺ أن يبيعهم جسد نوفل بن عبد الله بن المغيرة وكان اقتحم الخندق فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا حَاجَةَ لَنَا بِثَمْنِهِ وَلَا جَسَدِهِ» .

وَقَالَ ابْنُ هِشَامٍ: بَلَّغْنَا عَنِ الزُّهْرِيِّ أَنَّهُمْ بَذَلُوا فِيهِ عَشْرَةَ آلَافٍ .

(حَدَّثَنَا عَبْدَانُ) ويروى عبد الله وهو اسم عبدان (ابنُ عُثْمَانَ) أي: ابن جبلة، (قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبِي) أي: عثمان، (عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ) السبيعي، (عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ) أي: ابن مسعود (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أنه (قَالَ: بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَاجِدٌ وَحَوْلَهُ نَاسٌ مِنْ قُرَيْشٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، إِذْ جَاءَ

= أرادوا أن يشتروا جسد رجل من المشركين فأبى النبي ﷺ أن يبيعهم، أخرجه الترمذي وغيره، وذكر ابن إسحاق في المغازي أن المشركين سألوا النبي ﷺ جسد نوفل بن عبد الله، وكان اقتحم الخندق، فقال النبي ﷺ: «لَا حَاجَةَ لَنَا بِثَمْنِهِ وَلَا جَسَدِهِ»، فقال ابن هشام: بلَّغْنَا عَنِ الزُّهْرِيِّ أَنَّهُمْ بَذَلُوا فِيهِ عَشْرَةَ آلَافٍ، وأخذ من حديث الباب من جهة أن العادة تشهد أن أهل قتل بدر لو فهموا أنه يقبل منهم فداء أجسادهم لبذلوا فيها ما شاء الله، فهذا شاهد لحديث ابن عباس وإن كان إسناده غير قوي، اهـ.

عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ بِسَلَى جَزُورٍ، فَقَدَفَهُ عَلَى ظَهْرِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمْ يَرْفَعْ رَأْسَهُ حَتَّى جَاءَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَامُ، فَأَخَذَتْ مِنْ ظَهْرِهِ، وَدَعَتْ عَلَى مَنْ صَنَعَ ذَلِكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اللَّهُمَّ عَلَيْكَ الْمَلَأُ مِنْ قُرَيْشٍ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ أَبَا جَهْلٍ بْنُ هِشَامٍ، وَعُقْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةَ بْنُ رَبِيعَةَ، وَعُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ، وَأُمَيَّةَ بْنَ خَلْفٍ، أَوْ أَبِيَّ بْنَ خَلْفٍ»، فَلَقَدْ رَأَيْتُهُمْ قُتِلُوا يَوْمَ بَدْرٍ، فَأُلْقُوا فِي بَيْتٍ غَيْرِ أُمَيَّةَ، أَوْ أَبِيَّ، فَإِنَّهُ كَانَ رَجُلًا ضَخْمًا، فَلَمَّا جَرَّوهُ تَقَطَّعَتْ أَوْصَالُهُ قَبْلَ أَنْ يُلْقَى فِي الْبَيْتِ.

عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ بِسَلَى جَزُورٍ) سلا بالسين المهملة وتخفيف اللام مقصوراً هو اللفافة التي يكون فيها الولد في بطن الناقة والجزور المنحور من الإبل.

(فَقَدَفَهُ عَلَى ظَهْرِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمْ يَرْفَعْ رَأْسَهُ حَتَّى جَاءَتْ فَاطِمَةُ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (فَأَخَذَتْ مِنْ ظَهْرِهِ، وَدَعَتْ عَلَى مَنْ صَنَعَ ذَلِكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: اللَّهُمَّ عَلَيْكَ الْمَلَأُ) أي: خذ الجماعة (مِنْ قُرَيْشٍ) وأهلكهم.

(اللَّهُمَّ عَلَيْكَ أَبَا جَهْلٍ بْنُ هِشَامٍ، وَعُقْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةَ بْنُ رَبِيعَةَ، وَعُقْبَةُ ابْنِ أَبِي مُعَيْطٍ، وَأُمَيَّةَ بْنَ خَلْفٍ، أَوْ أَبِيَّ بْنَ خَلْفٍ) شك من الراوي.

(فَلَقَدْ رَأَيْتُهُمْ قُتِلُوا يَوْمَ بَدْرٍ⁽¹⁾)، فَأُلْقُوا فِي بَيْتٍ غَيْرِ أُمَيَّةَ، أَوْ أَبِيَّ، فَإِنَّهُ كَانَ رَجُلًا ضَخْمًا، فَلَمَّا جَرَّوهُ تَقَطَّعَتْ أَوْصَالُهُ قَبْلَ أَنْ يُلْقَى فِي الْبَيْتِ).

والحديث قد مضى بهذا الإسناد في كتاب الطهارة في باب إذا أُلْقِيَ على ظهر المصلي قدر إلى آخره.

وقد مضى شرحه هناك وباقي مزيد لذلك في المغازي إن شاء الله تعالى. ومطابقته للترجمة ظاهرة فإن جيفهم طرحت في البئر والعادة تشهد أن أهل قتلى بدر لو فهموا أنه يقبل منهم فداء أجسادهم لبذلوا فيها ما شاء الله فهذا مشابهة لحديث ابن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وإن كان إسناده غير قوي من جهة ابن أبي ليلى، والله تعالى أعلم.

(1) أي: غير عقبة بن أبي معيط فإنه لم يقتل ببدر بل حُمل أسيراً وقتله رسول الله ﷺ بعد انصرافه من بدر على ثلاثة أميال من المدينة.

22 - باب إِثْمِ الْغَادِرِ لِلْبَرِّ وَالْفَاجِرِ⁽¹⁾

3186، 3187 - حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ سُلَيْمَانَ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، وَعَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «لِكُلِّ غَادِرٍ لَوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قَالَ أَحَدُهُمَا: يُنْصَبُ، وَقَالَ الْآخَرُ: يُرَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يُعْرَفُ بِهِ».

22 - باب إِثْمِ الْغَادِرِ لِلْبَرِّ وَالْفَاجِرِ

(باب إِثْمِ الْغَادِرِ لِلْبَرِّ وَالْفَاجِرِ) أي: للرجل البرّ والرجل الفاجر، والبرّ بفتح الباء الموحدة وتشديد الراء الخير والغادر هو الذي يواعد على أمر ولا يفي به، يقال: غَدَرَ يَغْدِرُ بكسر الدال في المضارع، والغدر مذموم سواء كان من بر لبر أو فاجر أو من فاجر لبر أو فاجر وبين هذه الترجمة والترجمة السابقة بثلاثة أبواب عموم وخصوص.

(حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ) هشام بن عبد الملك الطيالسي قَالَ: (حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ سُلَيْمَانَ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ) شقيق بن سلمة، (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ) أي: ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (وَعَنْ ثَابِتٍ) عَطَفَ على عن سليمان وقائل ذلك هو شُعْبَةُ⁽²⁾. (عَنْ أَنَسٍ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (عَنِ النَّبِيِّ ﷺ) أنه قَالَ: «لِكُلِّ غَادِرٍ لَوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» أي: علم.

(قَالَ أَحَدُهُمَا) أي: أحد الراويين عن عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (يُنْصَبُ) أي: اللواء.

(وَقَالَ الْآخَرُ: يُرَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يُعْرَفُ بِهِ) وإنما قَالَ بلفظ أحدهما وبلفظ الآخر لالتباسه عليه ولا قدح بهذا اللفظ لأن كلتا الروايتين بشرط البُخَارِيِّ واللواء لا يمسكه إلا صاحب جيش الحرب ويكون الناس تبعاً له ومعنى لكل غادر لواء

(1) قال الحافظ: قوله «إِثْمُ الْغَادِرِ لِلْبَرِّ وَالْفَاجِرِ» أي سواء كان من بر لفاجر أو بر، أو من فاجر لبر أو فاجر، وبين هذه الترجمة والترجمة السابقة بثلاثة أبواب عموم وخصوص، اهـ.

قلت وأشار الحافظ بذلك إلى «باب إِثْمِ مَنْ عَاهَدَ ثُمَّ غَدَرَ» ولا يبعد عندي في الفرق بين الترجمتين الإشارة إلى اختلاف نوعية الإثم، ولأجل ذلك ذكر لهذا المعنى عدة أبواب.

(2) بيّنه مسلم في روايته من طريق عبد الرحمن بن مهدي عن شعبة عن ثابت وقد أخرجه الإسماعيلي عن أبي خليفة عن أبي الوليد شيخ البخاري فيه بالإسنادين معاً.

3188 - حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا حَمَّادٌ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «لِكُلِّ غَادِرٍ لَوَاءٌ يُنْصَبُ لِعَدْرَتِهِ».

أي: علامة يشتهر بها في الناس لأن موضع اللواء شهرة مكان الرئيس⁽¹⁾.

وزاد مسلم من طريق غندر عن شُعْبَةَ يَقَالُ هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانٍ وَلَهُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ يَرْفَعُ لَهُ بِقَدْرِ غَدْرَتِهِ وَلَهُ مِنْ حَدِيثِهِ مِنْ وَجْهِ آخَرَ عِنْدَ اسْتِهِ قَالَ ابْنُ الْمُنِيرِ كَأَنَّهُ عَوَمَلَ بِنَقِيضِ قَصْدِهِ لِأَنَّ عَادَةَ اللِّوَاءِ أَنْ يَكُونَ عَلَى الرَّأْسِ فَنُصِبَ عِنْدَ السِّفْلِ زِيَادَةً فِي فَضِيحَتِهِ لِأَنَّ الْأَعْيْنَ غَالِبًا تَمْتَدُّ إِلَى الْأُلُويَةِ فَيَكُونُ ذَلِكَ سَبَبًا لِمُتَدَادِهَا لِتَلْتَمِذُ نَدْبُ لَهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ فَيَزِدُّادُ بِهَا فَضِيحَةً وَمُطَابَقَةً الْحَدِيثِ لِلتَّرْجُمَةِ ظَاهِرَةٌ وَالْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي الْمَغَازِي.

(حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ) قَالَ: (حَدَّثَنَا حَمَّادٌ) أَي: ابْنُ زَيْدٍ، (عَنْ أَيُّوبَ) أَي: السَّخْتِيَانِي (عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) أَنَّهُ (قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «لِكُلِّ غَادِرٍ لَوَاءٌ يُنْصَبُ لِعَدْرَتِهِ» (أَي: بِسَبَبِ غَدْرَتِهِ فِي الدُّنْيَا أَوْ بِقَدْرِ غَدْرَتِهِ كَمَا فِي رَوَايَةِ مُسْلِمٍ.

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ هَذَا خُطَابٌ مِنْهُ لِلْعَرَبِ بِنَحْوِ مَا كَانَتْ تَفْعَلُ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَرْفَعُونَ لِلْوَفَاءِ رَايَةً بِيضَاءً وَلِلْغَدْرِ رَايَةً سُودَاءً لِيَلُومُوا الْغَادِرَ وَيَذْمُوهُ فَاقْتَضَى الْحَدِيثُ وَقُوعَ مِثْلِ ذَلِكَ لِلْغَادِرِ لِيَشْتَهَرَ بِصِفَتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَذْمُوهُ أَهْلُ الْمَوْقِفِ وَأَمَّا الْوَفَاءُ فَلَمْ يَرِدْ فِيهِ شَيْءٌ وَلَا يَبْعَدُ أَنْ يَقَعَ كَذَلِكَ.

وَقَدْ ثَبَتَ لَوَاءُ الْحَمْدِ لِنَبِيِّنَا ﷺ وَقَدْ تَقَدَّمَ تَفْسِيرُ الْغَدْرِ قَرِيبًا وَالْكَلَامُ عَلَى اللِّوَاءِ وَالْفَرْقِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الرَّايَةِ فِي بَابِ مَفْرَدٍ فِي كِتَابِ الْجِهَادِ.

وَفِي الْحَدِيثِ غُلْظُ تَحْرِيمِ الْغَدْرِ لَا سِيَّمَا مِنْ صَاحِبِ الْوِلَايَةِ الْعَامَّةِ لِأَنَّ الْغَدْرَ يَتَعَدَّى ضَرَرَهُ إِلَى خَلْقٍ كَثِيرٍ وَلِأَنَّهُ غَيْرُ مُضْطَرٍّ إِلَى الْغَدْرِ لِقَدْرَتِهِ عَلَى الْوَفَاءِ.

وَقَالَ الْقَاضِي عِيَّاضُ: الْمَشْهُورُ أَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ وَرَدَ فِي ذِمِّ الْإِمَامِ إِذَا غَدَرَ

(1) وَكَانَ الرَّجُلُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا غَدَرَ يَرْفَعُ لَهُ لَوَاءٌ فِي أَيَّامِ الْمَوْسَمِ فَيَعْرِفُهُ النَّاسُ فَيَجْتَنِبُونَهُ قَالَ زَهِيرٌ وَيُنْصَبُ لَكُمْ فِي كُلِّ مَجْمَعَةٍ لَوَاءٌ.

3189 - حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ طَاوُسٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ: «لَا هِجْرَةَ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَبَيَّةٌ وَإِذَا اسْتَنْفَرْتُمْ، فَأَنْفِرُوا»⁽¹⁾.

في عهده لرعيته أو لمقاتلته أو للإمامة التي تقلدها والتزم القيام بها فمتى خان فيها أو ترك الرفق فقد غدر بعهده وقيل المراد نهى الرعية عن الغدر للإمام فلا تخرج عليه ولا تتعرض لمعصيته لما يترتب على ذلك من الفتنة قَالَ: والصحيح الأول.

وَقَالَ الْحَافِظُ الْعَسْقَلَانِيُّ وَتَبِعَهُ الْعَيْنِيُّ: وَلَا أَدْرِي مَا الْمَانِعُ مِنْ حَمْلِ الْخَبَرِ عَلَى أَعْمَ مِنْ ذَلِكَ وَسَيَأْتِي مَزِيدُ بَيَانٍ لَذَلِكَ فِي كِتَابِ الْفَتَنِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى حَيْثُ أوردَ الْمُصَنِّفُ فِيهِ بِأَتَمِّ مِنْ ذَلِكَ وَفِيهِ أَنَّ النَّاسَ يَدْعُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِآبَائِهِمْ لِقَوْلِهِ فِيهِ: «هَذِهِ غَدْرَةُ فَلَانِ بْنِ فَلَانٍ» كَمَا فِي رِوَايَةِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا الْآتِيَةِ فِي الْفَتَنِ.

قال ابن دقيق العيد: وإن ثبت أنهم يدعون بأمهاتهم فقد يقال يخص هذا من العموم وتمسك به قوم في ترك الجهاد مع ولاية الحرب الذين يغدرون كما حكاه الباجي.

ومطابقة الحديث للترجمة ظاهرة أيضًا.

وقد أخرجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي الْفَتَنِ أَيْضًا وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي الْمَغَازِي.

(حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ) الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْمَدِينِيِّ قَالَ: (حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ طَاوُسٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) تَعَالَى (عَنْهُمَا) أَنَّهُ (قَالَ): قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ: لَا هِجْرَةَ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَبَيَّةٌ أَي: قَصْدُ (وَإِذَا اسْتَنْفَرْتُمْ، فَأَنْفِرُوا).

(1) قال الحافظ: وفي تعليق الحديث بالترجمة غموض، قال ابن بطلان: وجهه أنَّ محارم الله عهوده إلى عباده فمن انتهك منها شيئًا كان غادرًا وكان النبي ﷺ لما فتح مكة أمن الناس ثم أخبر أن القتال بمكة حرام فأشار إلى أنهم آمنون من أن يغدر بهم أحد فيما حصل لهم من الأمان، وقال ابن المنير: وجهه أن النص على أن مكة اختصت بالحرمة إلا في الساعة المستثناة لا يختص بالمؤمن البر فيها إذ كل بقعة كذلك، فدل على أنها اختصت بما هو أعم من ذلك، وقال الكرمانى: يمكن أن يؤخذ من قوله: «وإذا استنفرتهم فانفروا»، إذ معناه: لا تغدروا بالأئمة ولا تخالفوهم لأن إيجاب الوفاء بالخروج مستلزم لتحريم الغدر، أو أشار إلى أن النبي ﷺ لم يغدر باستحلال القتال بمكة، بل كان بإحلال الله له ساعة ولولا ذلك لما جاز له، قال الحافظ: =

وَقَالَ يَوْمَ فَتَحَ مَكَّةَ: «إِنَّ هَذَا الْبَلَدَ حَرَّمَهُ اللَّهُ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، فَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَإِنَّهُ لَمْ يَحِلَّ الْقِتَالُ فِيهِ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَلَمْ يَحِلَّ لِي إِلَّا سَاعَةٌ مِنْ نَهَارٍ، فَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، لَا يُعْصَدُ شَوْكُهُ، وَلَا يُنْفَرُ صَيْدُهُ، وَلَا يَلْتَقِطُ لُقْطَتُهُ إِلَّا مِنْ عَرَفْهَا، وَلَا يُخْتَلَى خَلَاهُ» فَقَالَ الْعَبَّاسُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِلَّا الْإِذْخِرَ فَإِنَّهُ لَقَيْنِهِمْ وَلِيَّبُوْتِهِمْ، قَالَ: «إِلَّا الْإِذْخِرَ».

(وَقَالَ يَوْمَ فَتَحَ مَكَّةَ: «إِنَّ هَذَا الْبَلَدَ حَرَّمَهُ اللَّهُ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، فَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَإِنَّهُ لَمْ يَحِلَّ الْقِتَالُ فِيهِ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَلَمْ يَحِلَّ لِي إِلَّا سَاعَةٌ مِنْ نَهَارٍ، فَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، لَا يُعْصَدُ شَوْكُهُ، وَلَا يُنْفَرُ صَيْدُهُ، وَلَا يَلْتَقِطُ لُقْطَتُهُ إِلَّا مِنْ عَرَفْهَا، وَلَا يُخْتَلَى خَلَاهُ) الخلا مقصوراً الرطب من الحشيش.

(فَقَالَ الْعَبَّاسُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِلَّا الْإِذْخِرَ فَإِنَّهُ لَقَيْنِهِمْ) القين الحداد.

(وَلِيَّبُوْتِهِمْ، قَالَ: «إِلَّا الْإِذْخِرَ») وهو نبت طيب الرائحة.

وقد مضى الحديث في كتاب الحج في باب لا يحل القتال بمكة وأُخْرِجَهُ أَيضًا فِي بَابِ لَا يُنْفَرُ صَيْدُ الْحَرَمِ وَمَضَى الْكَلَامُ فِيهِ هُنَاكَ وَفِي تَعْلِقِهِ بِالترجمة نوع غموض.

قَالَ ابْنُ بَطَالٍ: وَجْهُهُ أَنَّ مُحَارِمَ اللَّهِ عَهْدَهُ إِلَى عِبَادِهِ فَمَنْ انْتَهَكَ مِنْهَا شَيْئًا كَانَ غَادِرًا وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ لَمَّا فَتَحَ مَكَّةَ آمَنَ النَّاسُ ثُمَّ أَخْبَرَ أَنَّ الْقِتَالَ بِمَكَّةَ حَرَامٌ فَأَشَارَ إِلَى أَنَّهُمْ آمَنُونَ فِي أَنْ يَغْدِرَ بِهِمْ أَحَدٌ فِيمَا حَصَلَ لَهُمْ مِنَ الْأَمَانِ.

وَقَالَ ابْنُ الْمُنِيرِ: وَجْهُهُ أَنَّ النَّصَّ عَلَى أَنَّ مَكَّةَ اخْتَصَتْ بِالْحَرَمَةِ إِلَّا فِي

ويحتمل أن يكون أشار بذلك إلى ما وقع من سبب الفتح الذي ذكر في الحديث وهو غدر قريش بخزاعة حلفاء النبي ﷺ فكان عاقبة نقض قريش العهد أن غزاهم المسلمون حتى فتحوا مكة واضطروا إلى طلب الأمان وصاروا بعد العز والقوة في غاية الوهن، ولعله أشار بقوله في الترجمة بالبر إلى المسلمين وبالفاجر إلى خزاعة، لأن أكثرهم إذ ذاك لم يكن أسلم بعد، انتهى مختصراً.

وقال العيني: وجه مطابقته للترجمة يمكن أخذه من قوله: «فانفروا» إذ معناه لا تغدروهم، إذ إيجاب الوفاء بالخروج مستلزم لتحريم الغدر ووجه آخر هو أن النبي ﷺ لم يغدر في استحلال القتال بمكة، لأنه كان بإحلال الله تعالى له ساعة ولولا ذلك لما جاز له، اهـ.

وسكت القسطلاني عن بيان المناسبة.

الساعة المستثناة لا يختص بالمؤمن البر فيها إذ كل بقعة كذلك فدل على أنها اختصت بما هو أعم من ذلك.

وَقَالَ الْكِرْمَانِيُّ: يمكن أن يؤخذ من قوله: «فإذا استنفرتهم فانفروا» إذ معناه لا تغدروا بالأئمة ولا تخالفوهم لأن إيجاب الوفاء بالخروج مستلزم لتحريم الغدر أو أشار إلى أن النَّبِيَّ ﷺ لم يغدر باستحلال القتال بمكة بل كان بإحلال الله تعالى له ساعة ولو لا ذلك لما جاز له.

خاتمة:

اشتملت أحاديث فرض الخمس والجزية والموادعة وهي في التحقيق بقايا الجهاد وإنما أفردتها زيادة في الإيضاح كما أفردت العمرة وجزاء الصيد من كتاب الحج من الأحاديث المرفوعة على مائة وستة عشر حديثًا.

المعلق منها سبعة عشر طريقًا والبقية موصول.

المكرر منها فيها وفيما مضى سبعة وستون حديثًا والبقية خالصة وافقه مسلم على تخريجها سوى حديث أنس في صفة نقش الخاتم وحديثه في النعلين وحديثه في القدح وحديث أبي هريرة ما أعطاكم ولا أمنعكم.

وحديث خولة أن رجالاً يخوضون.

وحديث تركة الزبير.

وحديث سؤال هوازن من طريق عمرو بن شعيب.

وحديث إعطاء جابر من تمر خيبر.

وحديث ابن عمر لم يعتمر من الجعرانة.

وحديث عمر فيه.

وحديث ابن عمرو من قتل معاهدًا.

وحديث ابن شهاب فيمن سحر.

وحديث عوف في الملاحم.

وحديث أبي هريرة كيف أنتم إذا لم تجتبوا دينارًا ولا درهماً وفيها من الآثار عن الصحابة فمن بعدهم عشرون أثرًا والله تعالى أعلم بالصواب.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

59 - كِتَابُ بَدْءِ الْخَلْقِ⁽¹⁾

1 - باب مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى:
﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ [الروم: 27]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

59 - كِتَابُ بَدْءِ الْخَلْقِ

(كِتَابُ بَدْءِ الْخَلْقِ) كذا في رواية الأكثر، وسقطت البسملة في رواية أبي زر، وفي رواية النسفي: ذكر بدء الخلق، بدل كتاب بدء الخلق.
وبدء الخلق: بفتح أوله وبالهمز ابتداءه من: بدأت الشيء بدءًا ابتدأت به.
وفي العباب: بدأت بالشيء بدءًا ابتدأت به، وبدأت بالشيء، فعلته ابتداءً، وبدأ الله الخلق وأبدأهم بمعنى، والخلق بمعنى المخلوق.
1 - باب مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى:

﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ [الروم: 27]

(باب مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ﴾) أي: ينشئ المخلوق، ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ أي: ثانيًا بعد هلاكهم للبعث، ﴿وَهُوَ أَهْوَتْ عَلَيْهِ﴾

(1) قال القسطلاني: قال المجد بدأ به كمنع، وابتدأ الشيء فعله ابتداء كابتداء وأبدأ، اهـ.
قال الحافظ رحمه الله: بدء الخلق بفتح أوله وبالهزمة أي: ابتداءه والمراد بالخلق المخلوق، اهـ.
قلت: لما كان صحيح البخاري جامعًا من أنواعه كتب الحديث، والجامع ما يكون فيه الأبواب الثمانية من أبواب الحديث كما تقدم مفصلاً في المقدمة، ومنها التاريخ، شرع من ههنا أبواب التاريخ، وتنتهي إلى كتاب التفسير وليس كتاب المغازي بكتاب مستأنف عندي، بل هو جزء لسيرته ﷺ المبدوءة من قبل ذلك، ولكنها لما كانت أبوابها مبسوطة أفردتها باسم الكتاب ولذلك ذكر بعده «باب حجة الوداع وأبواب مرضه ووفاته ﷺ» فإنها أيضًا من تكملة أحواله ﷺ، وتقدم شيء من ذلك في المقدمة، في الفائدة الثالثة عشرة في مناسبة الترتيب بين الكتب والأبواب.

قَالَ الرَّبِيعُ بْنُ خُثَيْمٍ، وَالْحَسَنُ: «كُلُّ عَلَيْهِ هَيِّنٌ»

أي: والإعادة أسهل عليه من الأصل بالإضافة إلى قدركم والقياس على أصولكم، وإلا فهما عليه سواء، ولذلك قيل: الهاء للخلق وقيل: أهون، بمعنى هين كما سيجيء، وتذكير هو لأهون أو لأن الإعادة بمعنى أن يعيد.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ وَأَبُو الْعَالِيَةِ: الإعادة أهون عليه من البداءة وكل هين عليه وتمام الآية ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ [الروم: 27] أي: الوصف العجيب الشأن كالقدرة العامة والحكمة التامة، ومن فسر به بقوله لا إله إلا الله أراد به الوصف بالوحدانية، ومعنى قوله: الأعلى الذي ليس لغيره أن يساويه أو يدانيه ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يصف به ما فيهما دلالة ونطقاً ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْمِعُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: 44] ﴿وَهُوَ الْغَنِيُّ﴾ القادر الذي لا يعجز عن إبداء ممكن، وإعادته ﴿الْحَكِيمُ﴾: الذي يجري الأفعال على مقتضى حكمته.

(قَالَ الرَّبِيعُ) بفتح الراء ضد الخريف (ابْنُ خُثَيْمٍ) بضم الخاء والمعجمة وفتح المثلثة وسكون المثناة التحتية ابن يزيد من الزيادة ابن عَبْدَ اللَّهِ الثوري الكوفي من التابعين الكبار الورعين القانتين مات سنة بضع وستين.

(وَالْحَسَنُ) هو البصري: («كُلُّ عَلَيْهِ هَيِّنٌ») أي: هما فسرا قوله تعالى: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ بمعنى: كل عليه هين فحملاً لفظ أهون الذي هو أفعل التفضيل بمعنى: هين⁽¹⁾ وتعليق الربيع: وصله الطَّبْرِيُّ من طريق منذر الثوري عنه نحوه.

وتعليق الحسن وصله الطَّبْرِيُّ أَيضاً من طريق قَتَادَةَ عنه ولفظه وإعادته أهون عليه من بدئه وكل على الله تعالى هين وظاهر هذا اللفظ إبقاء صيغة أفعل على بابها وكذا قَالَ مُجَاهِدٌ فِيمَا أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ وَغَيْرِهِ.

وقد ذكر عبد الرزاق في تفسيره عن مَعْمَرٍ عن قَتَادَةَ: أن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ يَقْرؤها وهو عليه هين.

وحكى بعضهم عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن الضمير للمخلوق لأنه

(1) أي: كل من البدء والإعادة عليه هَيِّنٌ يعني أن المراد بقوله: أهون الصفة لا التفضيل كقوله: الله أكبر على قول والحاصل أنه لا تفاوت عند الله بين الإبداء والإعادة كلاهما على السواء في السهولة.

هَيْنٌ وَهَيْنٌ مِثْلُ لَيْنٍ وَلَيْنٍ، وَمَيِّتٌ وَمَيِّتٌ، وَضَيِّقٌ وَضَيِّقٌ. ﴿أَفَعَيْنَا﴾ [ق: 15]:

ابتدئ نطفة ثم علقه ثم مضغه والإعادة ﴿أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: 82] وهو أهون على المخلوق، انتهى.

قال الحافظ العسقلاني: ولا يثبت هذا عن ابن عباس رضي الله عنهما بل هو من تفسير الكلبي كما حكاه الفراء لأنه يقتضي تخصيصه بالحيوان ولأن الضمير الذي بعده وهو قوله: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ [الروم: 27] يصير معطوفاً على غير المذكور قبله قريباً وقد روى ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما بإسناد صحيح في قوله أهون عليه أي: أيسر وقال الزجاج خوطب العباد بما يعقلون لأن عندهم أن البعث أهون من الابتداء فجعله مثلاً وله المثل الأعلى. وأخرج ابن أبي حاتم نحوه عن الضحاك واليه نحا الفراء، والله أعلم.

(هَيْنٌ) بتخفيفها (وَهَيْنٌ) بتشديد الياء (مِثْلُ لَيْنٍ وَلَيْنٍ، وَمَيِّتٌ وَمَيِّتٌ) أشار بهذا إلى أنهما لغتان كما جاء التشديد والتخفيف في الألفاظ التي ذكرها. قَالَ أَبُو عبيدة في تفسير الفرقان في قوله تعالى: ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا﴾ [ق: 11] فهي مخففة بمنزلة هين ولين (وَضَيِّقٌ وَضَيِّقٌ) بالتخفيف فيها والتشديد وسيأتي ذلك أيضاً في تفسير سورة النمل وعن ابن الإعرابي أن العرب تمدح بالهين اللين مخففاً وتذم بهما مثقلاً فالهين بالتخفيف من الهون وهو السكينة والوقار ومنه ﴿يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: 63] وعينه واو بخلاف الهَيْن بالتشديد.

(﴿أَفَعَيْنَا﴾) أشار به إلى قوله تعالى: ﴿أَفَعَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ﴾ [ق: 15] أفعجزنا بالإبداء حتى نعجز عن الإعادة من عيبي بالأمر إذا لم يهتد لوجه علمه وعمله والهمزة فيه للإنكار⁽¹⁾ ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [ق: 15] أي: هم لا ينكرون قدرتنا على الخلق الأول واعترفهم بذلك في طيه الاعتراف بالقدرة على الإعادة (بل هم في لبس) أي: في خلط وشبهة قد لبس عليهم الشيطان وحيرهم ومنه قول علي رضي الله عنه: يا حائر إنه لملبوس عليك اعرف الحق تعرف أهله ولبس الشيطان عليهم تسويله إليهم أن إحياء الموتى أمر خارج عن

(1) والمعنى أننا لم نعجز كما علموا عن الخلق الأول حتى نعجز عن الثاني.

«أَفَاعِيَا عَلَيْنَا حِينَ أَنْشَأَكُمُ وَأَنْشَأَ خَلْقَكُمُ»، ﴿لُغُوبٌ﴾ [فاطر: 35] «النَّصَبُ»،

العادة فتركوا لذلك القياس الصحيح أن من قدر على الإنشاء كان على الإعادة أقدر فإن قيل لم نكر الخلق الجديد أي: المستأنف هلاً عرف كما عرف الخلق الأول؟ فالجواب أنه قصد في تنكيره إلى خلق جديد له شأن عظيم وحال شديدة حق من سمع به أن يهتم به ويخاف ويبحث عنه ولا يقعد على لبس في مثله والحاصل في تنكيره تعظيماً لشأنه وإشعاراً بأنه على وجه غير معتاد ولا متعارف.

(أَفَاعِيَا عَلَيْنَا حِينَ أَنْشَأَكُمُ وَأَنْشَأَ خَلْقَكُمُ) كأنه أراد أن معنى قوله أفعينا استفهام إنكار أي: ما أعجزنا الخلق الأول حين أنشأناكم وأنشأنا خلقكم كأنه عدل عن المتكلم إلى الغيبة إشارة إلى آية أخرى وإلى تفسيره وهو قوله تعالى: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾⁽¹⁾ [النجم: 32] ونقل البُخَارِيُّ بالمعنى حيث قَالَ حين أنشأكم بدل إذ أنشأكم أو هو محذوف في اللفظ واكتفى بالمفسر عن المفسر ويمكن أن يكون العدول لأجل الالتفات وروى الصَّبْرِيُّ من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿أَفَعَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ﴾ [ق: 15] يقول أفاعيا علينا حين أنشأناكم خلقاً جديداً فشكوا في البعث.

(﴿لُغُوبٌ﴾ النَّصَبُ) أشار به إلى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أي: في ستة أوقات أو في مقدار ستة أيام فإن المتعارف زمان طلوع الشمس إلى غروبها ولم يكن حينئذ وفي خلق الأشياء مدرجاً مع القدرة على إيجاده دفعة دليل للاختيار واعتبار للنظار وحث على التأني في الأمور ﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ [ق: 38] من إعياء وتعب وهو رد وتكذيب لليهود فيما زعمته أنه تعالى بدأ خلق العالم يوم الأحد وفرغ منه يوم الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى على العرش.

وقول البُخَارِيُّ: النصب تفسير قوله: ﴿لُغُوبٌ﴾ وهو التعب وزنا ومعنى وهذا تفسير مجاهد أخرجه ابن أبي حاتم وأخرج أيضاً من طريق قتادة قال: أكذب الله اليهود في زعمهم أنه استراح في اليوم السابع فَقَالَ: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ أي:

(1) أي: هو أعلم بأحوالكم منكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم، أي: علم أحوالكم ومصارف أموركم حين ابتدأ خلقكم من التراب بخلق آدم؛ وحيثما صوركم في الأرحام.

﴿أَطْوَارًا﴾ [نوح: 14] «طَوْرًا كَذَا وَطَوْرًا كَذَا، عَدَا طَوْرَهُ أَيْ قَدْرَهُ»⁽¹⁾.

من إعياء وغفل الداوودي الشارح فظن أن النصب في كلام المصنف بسكون الصاد وأنه أراد ضبط اللغوب ثم اعترض عليه بقوله لم أر أحدًا نصب اللام أي: في النقل قَالَ وإنما هو بالنصب الأحمق.

(﴿أَطْوَارًا﴾ طَوْرًا كَذَا وَطَوْرًا كَذَا) أشار به إلى تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نوح: 14] قَالَ تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: 13] ألا تأملون له توقيفًا أي: تعظيمًا لمن عبده وأطاعه فتكونوا على حالة تأملون فيها تعظيمه إياكم ولله بيان للموقر ولو تأخر لكان صلة للموقر أو لا تعتقدون له عظمة فتخافوا عصبانه وإنما عبر عن الاعتقاد بالرجاء التابع لأدنى الظن مبالغة ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نوح: 14] حال مقررة للإنكار من حيث إنها موجبة للرجاء فإنه خلقهم أطوارًا أي: تارات إذ خلقهم أولًا عناصر ثم مركبات تغذي الإنسان ثم أخلاطًا ثم نطفًا ثم علقًا ثم مضغًا ثم عظامًا ولحومًا ثم أنشأهم خلقًا آخر فإنه يدل على أنه يمكن أن يعيدهم تارة أخرى فيعظمهم بالشواب وعلى أنه تعالى عظيم القدرة تام الحكمة.

وقول البُخَارِيِّ طَوْرًا كَذَا وَطَوْرًا كَذَا أي: تارة كذا وتارة كذا تفسير لقوله: ﴿أَطْوَارًا﴾ والمراد بها الأحوال المختلفة واحدها طور بالفتح.

قَالَ ابن الأثير: الأطوار التارات والحدود واحدها طور أي: مرة ملك ومرة هلك ومرة بؤس ومرة نعم وأخرج ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في معنى الأطوار كونه مرة نطفة ومرة علقة إلى آخره وأخرج الطَّبْرِيُّ عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وجماعة نحوه وَقَالَ المراد اختلاف أحوال الإنسان من صحة وسقم وقيل معناه أصنافًا في الألوان واللغات. (عَدَا طَوْرَهُ أَيْ قَدْرَهُ) أي: يقال عدا طوره إذ جاوز قدره وهذا تفسير للطور من

(1) قال الحافظ: قوله «أفعبينا الخ» كأنه أراد أن معنى قوله أفعبينا استفهام إنكار، أي: ما أعجزنا الخلق الأول حين أنشأناكم، وكأنه عدل عن التكلم إلى الغيبة لمراعاة اللفظ الوارد في القرآن في قوله تعالى: ﴿هُوَ أَغْلَى بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ﴾ [النجم: 32] وقد روى الطبري عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿أَفَعَبْنَا بِالْحَيِّ الْأَوَّلِ﴾ [ق: 15] يقول: أفأعيا علينا إنشاؤكم خلقًا جديدًا فتشكوا في البعث، وقال أهل اللغة: عبيت بالامر: إذا لم أعرف وجهه، ومنه العي في الكلام، اهـ.

3190 - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ، أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ، عَنْ جَامِعِ بْنِ شَدَّادٍ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ مُخْرَزٍ، عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: جَاءَ نَفَرٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «يَا بَنِي تَمِيمٍ أَبْشِرُوا» قَالُوا: بَشَرْتَنَا فَأَعْطِنَا، فَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ، فَجَاءَهُ أَهْلُ الْيَمَنِ،

المصنف واعلم أن في عادة المصنف أنه إذا ذكر آية أو حديثاً في الترجمة ونحوها يذكر أيضاً بالتبعية على سبيل الاستطراد ما له أدنى ملاسة بها تكثريراً للفائدة.

(حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ) قَالَ: (أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ) هو الثوري، (عَنْ جَامِعِ بْنِ شَدَّادٍ) بفتح المعجمة وتشديد الدال المهملة الأولى هو أبو صخرة المحاربي الكوفي⁽¹⁾، (عَنْ صَفْوَانَ بْنِ مُخْرَزٍ) بضم الميم على وزن اسم الفاعل من الإحراز المازني البصري⁽²⁾، (عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ) بضم المهملة الأولى وفتح الثانية وبالنون وقد مر في التيمم وأنه كانت الملائكة تسلم عليه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ (قَالَ: جَاءَ نَفَرٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ) أي: عدة رجال منهم من ثلاثة إلى عشرة وكان قدومهم في سنة تسع⁽³⁾ (إِلَى النَّبِيِّ ﷺ)، فَقَالَ: «يَا بَنِي تَمِيمٍ أَبْشِرُوا» أمر بقطع الهمزة من الإفعال من البشارة وأراد بها ما يجازى به المسلمون وما يصير إليه عاقبتهم ويقال بشرهم بما يقتضي دخول الجنة حيث عرفهم أصول العقائد التي هي المبدأ والمعاد وما بينهما.

(قَالُوا: بَشَرْتَنَا) بالتشديد وجاء أيضاً بشرت الرجل أبشره بالضم بمعناه وهو قرئ بهما في القرآن ومن القائلين بهذا الأقرع بن حابس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وكان فيه بعض أخلاق البادية.

(فَأَعْطِنَا) أي: من المال (فَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ) أي: وجه النبي ﷺ إما للأسف عليهم كيف آثروا الدنيا وإما لكونه لم يحضره ما يعطيهم فيتألفهم به. (فَجَاءَهُ أَهْلُ الْيَمَنِ) هم الأشعريون قوم أبي موسى الأشعري.

وَقَالَ ابن كثير: قدوم الأشعريين صحبة أبي موسى الأشعري في صحبة

(1) وقد تقدموا في كتاب العلم وفي رواية أبي عاصم عن سفیان في المغازي حَدَّثَنَا صَفْوَانُ حَدَّثَنَا عمران.

(2) مات سنة أربع وسبعين.

(3) كما سيأتي في المغازي وسيأتي أيضاً فيه من عرف منهم.

فَقَالَ: «يَا أَهْلَ الْيَمَنِ، اقْبَلُوا الْبُشْرَى إِذْ لَمْ يَقْبَلْهَا بَنُو تَمِيمٍ»، قَالُوا: قِيلَنَا، فَأَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ يُحَدِّثُ بَدْءَ الْخَلْقِ وَالْعَرْشِ، فَجَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا عِمْرَانُ رَاحِلَتُكَ تَفَلَّتَتْ، لَيْتَنِي لَمْ أَقُمْ.

3191 - حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ بْنِ غِيَاثٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، حَدَّثَنَا جَامِعُ بْنُ شَدَّادٍ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ

جعفر بن أبي طالب وأصحابه من المهاجرين الذين كانوا بالحبيشة حين فتح رسول الله ﷺ خيبر.

(فَقَالَ: يَا أَهْلَ الْيَمَنِ، اقْبَلُوا) من القبول (الْبُشْرَى) بضم أوله وسكون المعجمة والقصر أي: اقبلوا مني ما يقتضي أن تبشروا أي: إذا أخذتم به بالجنة كالتفقه في الدين والعمل به وحكى القاضي عياض أن في رواية الأصيلي اليسرى بضم المثناة التحتية وسكون السين المهملة قَالَ والصواب هو الأول.

(إِذْ لَمْ يَقْبَلْهَا بَنُو تَمِيمٍ) كلمة إذ ظرف وهو اسم للزمن الماضي ولها استعمالات أحدها أن تكون ظرفاً بمعنى الحين وهو الغالب وهنا كذلك.

وفي رواية أخرى أن لم يقبلها وهو بفتح همزة أن أي: من أجل تركهم لها ويروى بكسر إن.

(قَالُوا: قِيلَنَا، فَأَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ) أي شرع (يُحَدِّثُ) عن (بَدْءِ الْخَلْقِ وَالْعَرْشِ، فَجَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا عِمْرَانُ رَاحِلَتُكَ) الراحلة الناقة التي تصلح لأن ترحل والمركب أيضاً من الإبل ذكراً كان أو أنثى ويجوز فيها الرفع والنصب أما الرفع فعلى الابتداء وأما النصب فعلى تقدير أدرك راحلتك (تَفَلَّتَتْ) أي: تشردت وتشمرت ليتني لم أقم أي: قَالَ عمران: (لَيْتَنِي لَمْ أَقُمْ) من مجلس رسول الله ﷺ حتى لم يفت مني سماع كلامه ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [الأعلى: 17].

ومطابقة الحديث للترجمة في قوله يحدث عن بدء الخلق.

وقد أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي الْمَغَازِي والتوحيد وَأَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي الْمَنَاقِبِ وَالنِّسَائِيُّ فِي التَّفْسِيرِ.

(حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ بْنِ غِيَاثٍ) وقد مر في الغسل قَالَ: (حَدَّثَنَا أَبِي) حفص ابن غياث قَالَ: (حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ) قَالَ: (حَدَّثَنَا جَامِعُ بْنُ شَدَّادٍ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ

مُحَرِّزٍ، أَنَّهُ حَدَّثَهُ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَعَقَلْتُ نَاقَتِي بِالْبَابِ، فَأَتَاهُ نَاسٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ فَقَالَ: «اقْبُلُوا الْبُشْرَى يَا بَنِي تَمِيمٍ»، قَالُوا: قَدْ بَشَّرْتَنَا فَأَعْطِنَا، مَرَّتَيْنِ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ، فَقَالَ: «اقْبُلُوا الْبُشْرَى يَا أَهْلَ الْيَمَنِ، إِذْ لَمْ يَقْبَلْهَا بَنُو تَمِيمٍ»، قَالُوا: قَدْ قَبِلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالُوا: جِئْنَاكَ نَسْأَلُكَ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ؟ قَالَ: «كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ».....

مُحَرِّزٍ، أَنَّهُ حَدَّثَهُ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا) أَنَّهُ (قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَعَقَلْتُ نَاقَتِي بِالْبَابِ، فَأَتَاهُ نَاسٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ فَقَالَ: «اقْبُلُوا الْبُشْرَى يَا بَنِي تَمِيمٍ»، قَالُوا: قَدْ بَشَّرْتَنَا فَأَعْطِنَا، مَرَّتَيْنِ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ، فَقَالَ: «اقْبُلُوا الْبُشْرَى يَا أَهْلَ الْيَمَنِ، إِذْ لَمْ يَقْبَلْهَا بَنُو تَمِيمٍ»، قَالُوا: قَدْ قَبِلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالُوا: جِئْنَاكَ) بكذا رواية الأكثرين بكاف الخطاب وفي رواية الكشميهني: جئنا بلا كاف.

(نَسْأَلُكَ) زاد في التوحيد ونتفقه في الدين (عَنْ هَذَا الْأَمْرِ) أي: الحاضر الموجود ولفظ الأمر يطلق ويراد به المأمور ويراد به الحال والشأن وكأنهم سألوا عن أحوال هذا العالم وهو الظاهر يحتمل أن يكونوا سألوا عن أول جنس المخلوقات فعلى الأول: يقتضي السياق أنه أخبر أن أول شيء خلق منه السماوات والأرض.

وعلى الثاني: يقتضي أن العرش والماء تقدم خلقهما قبل ذلك ووقع في الرواية الأولى يحدث عن بدء الخلق والعرش أي: عن بدء الخلق وحال العرش. (قَالَ: كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ) وفي الرواية الآتية في التوحيد ولم يكن شيء قبله.

وفي رواية غير الْبُخَارِيِّ ولم يكن شيء معه والقصة متحدة فاقتضى ذلك أن الرواية وقعت بالمعنى ويؤيد الأول قوله ﷺ في دعائه في صلاة الليل كما تقدم في حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ» ووقع في هذا الحديث في بعض المواضع كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان وهي زيادة ليست في شيء من كتب الحديث نبه عليه الإمام تقي الدين بن تيمية.

وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ،

(وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ) أي : لم يكن تحته إلا الماء وفيه دليل على أن العرش والماء كانا مخلوقين قبل السموات والأرض فإن قيل بين هذه الجملة وما قبلها منافاة ظاهرة لأن هذه الجملة تدل على وجود العرش والماء والجملة التي قبلها تدل على أنه لم يكن شيء .

فالجواب : أنه من باب الإخبار عن حصول الجملتين مُطْلَقًا والواو بمعنى ثم قَالَ الطيبي هو فصل لأن القديم من لم يسبقه شيء ولم يعارضه في الأولوية لكن أشار بقوله وكان عرشه على الماء إلى أن الماء والعرش كانا مبدأ هذا العالم لكونهما خلقا قبل خلق السموات والأرض ولم يكن تحت العرش إذ ذاك إلا الماء والمراد بقوله كان الله أكون الأزلي وبقوله وكان عرشه الحدوث فإن قيل إذا كان العرش والماء مخلوقين أولاً فأيهما سابق في الخلق فالجواب الماء لما روى أحمد وَالتِّرْمِذِيُّ مَصْحَحًا من حديث أبي رزين العقيلي مرفوعاً أن الماء خلق قبل العرش .

وروى السدي في تفسيره بأسانيد متعددة أن الله تعالى لم يخلق شيئاً مما خلق قبل الماء.

وفي بعض الآثار أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خلق درة بيضاء فنظر إليها نظر اللطف فصارت ماء فإن قيل روى أحمد وَالتِّرْمِذِيُّ مَصْحَحًا من حديث عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعاً أَنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ ثُمَّ قَالَ اكْتُبْ فَجَرَى بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ واختاره الحسن وعطاء ومجاهد وإليه ذهب ابن جرير وابن الجوزي وحكى ابن جرير عن مُحَمَّد بن إِسْحَاق أَنَّهُ قَالَ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى النور والظلمة ثم ميز بينهما فجعل الظلمة ليلاً أسود مظلمًا وجعل النور نهاراً أبيض مبصراً وقيل أول ما خلق الله تعالى نور مُحَمَّد ﷺ فما التوفيق بين هذه الروايات بأن الجواب : أن الأولوية أمر نسبي وكل شيء قيل فيه إنه أول فهو بالنسبة إلى ما بعده فقل أولية القلم بالنسبة إلى ما عدا العرش والماء .

وحكى أَبُو الْعَلَاء الهمداني أن للعلماء قولين في أيهما خلق أولاً العرش أو القلم؟ قَالَ وَالْأَكْثَرُ عَلَى سَبْقِ خَلْقِ الْعَرْشِ واختار ابن جرير ومن تبعه الثاني .

وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلِّ شَيْءٍ، وَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ» فَتَادَى مُنَادٍ: ذَهَبَتْ نَاقَتُكَ يَا ابْنَ الْحُصَيْنِ، فَأَنْطَلَقْتُ، فَإِذَا هِيَ يَقْطَعُ دُونَهَا السَّرَابُ، فَوَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنَّي كُنْتُ تَرَكْتُهَا.

وروى ابن أبي حاتم من طريق سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ خَلَقَ اللَّهُ اللُّوحَ الْمُحْفَظَ لِمَسِيرَةِ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ فَقَالَ لِلْقَلَمِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الْخَلْقَ وَهُوَ عَلَى الْعَرْشِ اكْتُبْ فَقَالَ وَمَا أَكْتُبُ قَالَ عِلْمِي فِي خَلْقِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ذَكَرَهُ فِي تَفْسِيرِ «سَبْحَانَ» فَهَذَا لَوْ صَحَّ لَكَانَ رَافِعًا لِلنِّزَاعِ لَكِنْ فِي إِسْنَادِهِ ابْنُ لَهِيْعَةٍ وَهُوَ ضَعِيفٌ.

(وَكَتَبَ) أَي: قَدَرُ وَأَثْبَتَ (فِي الذِّكْرِ) أَي: فِي مَحَلِّ الذِّكْرِ وَهُوَ اللُّوحُ الْمُحْفَظُ عَنْ وَصُولِ الشَّيَاطِينِ إِلَيْهِ وَهُوَ فَوْقَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ.

(كُلُّ شَيْءٍ) أَي: كُلُّ الْكَائِنَاتِ (وَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ) هَكَذَا جَاءَتْ هَذِهِ الْأُمُورُ الثَّلَاثَةُ مَعْطُوفَةٌ بِالْوَاوِ وَوَقَعَ فِي الرَّوَايَةِ الَّتِي فِي التَّوْحِيدِ: «ثُمَّ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ» وَلَمْ يَقَعْ بِلَفْظِ ثَمَّ إِلَّا فِي ذِكْرِ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَقَدْ رَوَى مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو مَرْفُوعًا أَنَّ اللَّهَ قَدَرَ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ وَهَذَا الْحَدِيثُ يُؤَيِّدُ رَوَايَةَ مَنْ رَوَى «ثُمَّ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ» بِاللَّفْظِ الدَّالِّ عَلَى التَّرْتِيبِ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

(فَتَادَى مُنَادٍ) وَفِي الرَّوَايَةِ الْآخَرَى فَجَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ يَا عِمْرَانُ قَالَ الْحَافِظُ الْعَسْقَلَانِيُّ وَلَمْ أَقِفْ عَلَى اسْمِهِ فِي شَيْءٍ مِنَ الرَّوَايَاتِ.

(ذَهَبَتْ نَاقَتُكَ يَا ابْنَ الْحُصَيْنِ) أَي: انْفَلَتَتْ وَوَقَعَ فِي الرَّوَايَةِ الْأُولَى رَاحِلَتِكَ أَوْ ذَهَبَتْ رَاحِلَتُكَ بِالنَّصْبِ أَوْ بِالرَّفْعِ وَيُؤَيِّدُ الثَّانِي قَوْلُهُ: ذَهَبَتْ نَاقَتُكَ فِي هَذِهِ الرَّوَايَةِ.

(فَأَنْطَلَقْتُ، فَإِذَا هِيَ يَقْطَعُ) بِلَفْظِ الْمَاضِي مِنَ التَّقَطُّعِ (دُونَهَا) أَي: عِنْدَهَا. (السَّرَابُ) بِالرَّفْعِ فَاعِلٌ تَقَطُّعَ وَالسَّرَابُ هُوَ الَّذِي تَرَاهُ نِصْفَ النَّهَارِ كَأَنَّهُ مَاءٌ وَالْمَعْنَى فَإِذَا هِيَ انْتَهَى السَّرَابُ عِنْدَهَا وَقَالَ الْحَافِظُ الْعَسْقَلَانِيُّ أَي: يَحُولُ بَيْنِي وَبَيْنَ رُؤْيَيْهَا وَهُوَ غَيْرُ ظَاهِرٍ.

(فَوَاللَّهِ لَوَدِدْتُ) أَي: تَمَنَيْتُ وَأَحْبَبْتُ (أَنَّي كُنْتُ تَرَكْتُهَا) لَثَلَا يَفُوتُ مِنِّي

3192 - وَرَوَى عِيسَى ، عَنْ رَقَبَةَ ،

سماع كلام رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وفي التوحيد أنها ذهبت ولم أقم يعني أنه قام قبل أن يكمل النَّبِيُّ ﷺ حديثه فتأسف على ما فاتته من ذلك.

وفي الحديث جواز السؤال عن مبدأ الأشياء والبحث عن ذلك وجواز جواب العالم بما يستحضره من ذلك وعليه الكف إن خشي على السائل ما يدخل على معتقده من إيهام أو شك أو تقصير فلا يجيبه وينهاه عن ذلك .
وفيه : ما كانوا عليه من الحرص على تحصيل العلم .

وفيه : أن جنس الزمان ونوعه حادث وأن الله أوجد هذه المخلوقات بعد أن لم تكن لا عن عجز بل مع القدرة.

ومطابقة الحديث للترجمة كمطابقة الحديث السابق إذ هذا طريق آخر لحديث عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(وَرَوَى عِيسَى) هو ابن مُوسَى الْبُخَارِيُّ أَبُو أَحْمَد التَّيْمِيُّ مولا هم يلقب بغنجار بضم الغين المعجمة وسكون النون وبالجيم وبعد الألف راء لقب به لاحمرار خديه كان من أعبد الناس مات سنة سبع أو ست وثمانين ومائة وليس له في الْبُخَارِيِّ إلا هذا الموضع.

(عَنْ رَقَبَةَ) بفتح الراء والقاف وبالموحدة ابن مصقلة بالمهملة والقاف العبدى الكوفي وقد تُبدل الصاد سيناً.

هكذا رواية الأكثرين.

روى عيسى عن رقبة وَقَالَ الجياني : سقط بينه وبين رقبة أَبُو حمزة السكري وهو مُحَمَّد بن ميمون .

وَقَالَ أَبُو مسعود الدمشقي : إنما رواه عيسى يعني ابن مُوسَى عن أبي حمزة السكري عن رقبة .

وَقَالَ الطرفي : سقط أَبُو حمزة من كتاب الفربري وثبت في رواية حماد بن شاكر فعنده عن الْبُخَارِيِّ روى عيسى عن أبي حمزة عن رقبة قَالَ وكذا قَالَ ابن رميح عن الفربري وبذلك جزم أَبُو نعيم في المستخرج وهو يروى الصحيح عن الجرجاني عن الفربري فالاختلاف فيه حينئذ على الفربري وقد وصل هذا الحديث

عَنْ قَيْسِ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ، قَالَ: سَمِعْتُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: قَامَ فِينَا النَّبِيُّ ﷺ مَقَامًا، فَأَخْبَرَنَا عَنْ بَدْءِ الْخَلْقِ، حَتَّى دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ مَنَازِلَهُمْ، وَأَهْلُ النَّارِ مَنَازِلَهُمْ، حَفِظَ ذَلِكَ مَنْ حَفِظَهُ، وَنَسِيَ مَنْ نَسِيَهِ⁽¹⁾.

الطبراني من حديث عيسى المذكور عن أبي حمزة عن رقة في مسند رقة⁽²⁾.
(عَنْ قَيْسِ بْنِ مُسْلِمٍ) لفظ الفاعل في الإسلام، (عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ) وقد مر ذكرهما في الإيمان.

(قَالَ: سَمِعْتُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: قَامَ فِينَا النَّبِيُّ ﷺ مَقَامًا) يعني قام على المنبر بين ذلك ما رواه أحمد ومسلم من حديث أبي زيد الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاةَ الصُّبْحِ وَصَعِدَ الْمُنْبِرَ فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتِ الظُّهْرُ ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّى بِنَا الظُّهْرَ ثُمَّ صَعِدَ الْمُنْبِرَ فَخَطَبَنَا ثُمَّ الْعَصْرَ كَذَلِكَ حَتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ فَحَدَّثَنَا بِمَا كَانَ وَمَا هُوَ كَائِنٌ فَأَعْلَمْنَا أَحْفَظْنَا هَذَا لَفْظَ أَحْمَدَ فَأَفَادَ هَذَا بَيَانَ الْمَقَامَ الْمَذْكُورَ زَمَانًا وَمَكَانًا وَأَنَّهُ كَانَ عَلَى الْمُنْبِرِ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ إِلَى أَنْ غَابَتِ الشَّمْسُ.

(فَأَخْبَرَنَا عَنْ بَدْءِ الْخَلْقِ، حَتَّى دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ مَنَازِلَهُمْ، وَأَهْلُ النَّارِ مَنَازِلَهُمْ حَفِظَ ذَلِكَ مَنْ حَفِظَهُ، وَنَسِيَ مَنْ نَسِيَهِ) كلمة حتى غاية للمبدأ وللإخبار.

(1) ولم ينفرد به عيسى فقد أخرجه أبو نعيم من طريق علي بن الحسن بن شقيق عن أبي حمزة نحوه ولكن إسناده ضعيف.

(2) قال الحافظ: قوله: «حتى دخل أهل الجنة» هي غاية قوله: «أخبرنا» أي: أخبرنا عن مبتدأ الخلق شيئاً بعد شيء، إلى أن انتهى الإخبار عن حال الاستقرار في الجنة والنار، ووضع الماضي موضع المضارع مبالغة للتحقق المستفاد من خبر الصادق وكان السياق يقتضي أن يقول حتى يدخل، ودل ذلك على أنه أخبر في المجلس الواحد بجميع أحوال المخلوقات منذ ابتدأت إلى أن تفنى إلى أن تبعث فشمّل ذلك الإخبار عن المبدأ والمعاش والمعاد، وفي تيسير إيراد ذلك كله في مجلس واحد من خوارق العادة أمر عظيم، ويقرب ذلك مع كون معجزاته لا مرية في كثرتها أنه ﷺ أعطي جوامع الكلم، ومثل هذا من جهة أخرى، ما رواه الترمذي من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال: خرج علينا رسول الله ﷺ وفي يده كتابان، الحديث، ووجه الشبه بينهما أن الأول فيه تيسير القول الكثير من الزمن القليل، وهذا فيه تيسير الجرم الواسع في الظرف الضيق، ولحديث الباب شاهد من حديث حذيفة سيأتي في كتاب القدر، ومن حديث أبي زيد الأنصاري، أخرجه أحمد ومسلم قال: صلى بنا رسول الله ﷺ صَلَاةَ الصُّبْحِ فَصَعِدَ الْمُنْبِرَ فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتِ الظُّهْرُ ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّى بِنَا الظُّهْرَ، ثُمَّ صَعِدَ الْمُنْبِرَ فَخَطَبَنَا، ثُمَّ صَلَّى =

3193 - حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، عَنْ أَبِي أَحْمَدَ،

أَي: أَخْبَرَنَا عَنْ مَبْدَأِ الْخَلْقِ شَيْئًا فَشِئًا إِلَى أَنْ انْتَهَى الْإِخْبَارُ عَنْ حَالِ
الاستقرار في الجنة والاستقرار في النار ووضع الماضي موضع المضارع مبالغة
في التحقق المستفاد من خبر الصادق المصدوق ودل ذلك على أنه أخبر في
المجلس الواحد بجميع أحوال المخلوقات منذ ابتدئت إلى أن انتهت فيشمل
ذلك الإخبار عن المبدأ والمعاش والمعاد وفي إيراد ذلك كله في مجلس واحد
من خوارق العادة أمر عظيم وكيف وقد أعطي جوامع الكلم ومثل ذلك من جهة
أخرى ما رواه الترمذي من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا
قَالَ خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَفِي يَدِهِ كِتَابَانِ فَقَالَ لِلَّذِي فِي يَدِهِ الْيَمْنَى «هَذَا
كِتَابُ مَنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ فِيهِ أَسْمَاءُ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَسْمَاءُ آبَائِهِمْ وَقِبَائِلِهِمْ» ثُمَّ أَجْمَلَ
عَلَى آخِرِهِمْ فَلَا يَزَادُ فِيهِمْ وَلَا يَنْقُصُ مِنْهُمْ أَبَدًا ثُمَّ قَالَ لِلَّذِي فِي شِمَالِهِ مِثْلُهُ فِي
أَهْلِ النَّارِ وَقَالَ فِي آخِرِ الْحَدِيثِ فَقَالَ بِيَدَيْهِ فَبِذِهِمَا ثُمَّ قَالَ «فَرَّغَ رَبُّكُمْ مِنَ الْعِبَادِ
فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ» وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ وَوَجْهُ الشُّبْهِ بَيْنَهُمَا أَنَّ الْأَوَّلَ فِيهِ
تَيْسِيرُ الْقَوْلِ الْكَثِيرِ فِي الزَّمَنِ الْقَلِيلِ وَهَذَا فِيهِ تَيْسِيرُ الْجَرَمِ الْوَاسِعِ فِي الظَّرْفِ
الضَّيْقِ وَظَاهِرُ قَوْلِهِ فَبِذِهِمَا بَعْدَ قَوْلِهِ وَفِي يَدِهِ كِتَابَانِ أَنَّهُمَا كَانَا مَرْتَبَيْنِ لَهُمُ وَاللَّهُ
تَعَالَى أَعْلَمُ⁽¹⁾.

(حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ⁽²⁾ عَنْ أَبِي أَحْمَدَ) مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ
ابْنِ عُمَرَ بْنِ دَرْهَمٍ الْأَزْدِيِّ.

وقيل: الأسدي الزبيري نسبة إلى جده وكان يصوم الدهر مات بالأهواز سنة
ثلاث ومائتين.

= العصر كذلك حتى غابت الشمس فحدثنا بما كان وما هو كائن، فأعلمنا أحفظنا لفظ أحمد،
وأخرجه من حديث أبي سعيد مختصراً أو مطولاً، وأخرجه الترمذي من حديثه مطولاً، وترجم
له باب ما قام به النبي ﷺ مما هو كائن إلى يوم القيامة، ثم ذكر الحافظ له شواهد أخر، ثم قال:
أفاد حديث أبي زيد بيان المقام المذكور زماناً ومكاناً في حديث عمرو أنه كان على المنبر من
أول النهار إلى أن غابت الشمس، انتهى مختصراً.

(1) حفظ ذلك من حفظه ونسبه من نسبه.

(2) هو عبد الله بن محمد بن أبي شيبة وقد مر في الصوم.

عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَرَاهُ يَقُولُ اللَّهُ: شَتَمَنِي ابْنُ آدَمَ، وَمَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَشْتِمَنِي، وَتَكْذِبُنِي وَمَا يَنْبَغِي لَهُ، أَمَا شَتَمَهُ فَقَوْلُهُ: إِنَّ لِي وَلَدًا، وَأَمَا تَكْذِبُهُ فَقَوْلُهُ: لَيْسَ يُعِيدُنِي كَمَا بَدَأَنِي».

3194 - حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ: حَدَّثَنَا مُغِيرَةُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْقُرَشِيُّ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَمَّا قَضَى اللَّهُ الْخَلْقَ

(عَنْ سُفْيَانَ) هو الثوري، (عَنْ أَبِي الزِّنَادِ) بالزاي والنون عَبْدُ اللَّهِ بن ذكوان، (عَنِ الْأَعْرَجِ) عبد الرحمن بن هرمز، (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ) أنه (قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَرَاهُ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: (شَتَمَنِي) بكسر التاء مضارع في الشتم وهو توصيف الشيء بما يقتضي الإضرار والنقص لا سيما فيما يتعلق بالغيرة وإثبات الولد له كذلك لأنه يستلزم الإمكان المتداعي للحدوث وذلك غاية النقص في حق الباري سبحانه وفي رواية: شتمني بلفظ الماضي.

(ابْنُ آدَمَ، وَمَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَشْتِمَنِي وَتَكْذِبُنِي)، وَيُكْذِبُنِي بضم الياء من التكذيب، (وَمَا يَنْبَغِي لَهُ، أَمَا شَتَمَهُ فَقَوْلُهُ: إِنَّ لِي وَلَدًا، وَأَمَا تَكْذِبُهُ فَقَوْلُهُ: لَيْسَ يُعِيدُنِي كَمَا بَدَأَنِي).

ومطابقته للترجمة في قوله ليس يعيدني كما بدأني وهو قول منكري البعث من عباد الأوثان قالوا إن مثل هذا الحديث كلام قدسي أي: نص إلهي في الدرجة الثانية لأن الله تعالى أخبر نبيه ﷺ معناه بالإلهام وأخبر النبي ﷺ عن أمته بعبارة نفسه وقد مر تحقيقه في كتاب الصوم.

(حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ) أي: (ابْنُ سَعِيدٍ) كما في نسخة قَالَ: (حَدَّثَنَا مُغِيرَةُ) بضم الميم وكسرهما (ابْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْقُرَشِيِّ) وقد مر في الاستسقاء.

(عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ) أنه (قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَمَّا قَضَى اللَّهُ الْخَلْقَ) قَالَ الْخَطَّابِيُّ: يريد لما خلق الله الخلق كما في قوله تعالى: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ [فصلت: 12] أي: خلقهن.

كَتَبَ فِي كِتَابِهِ فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ :

وَقَالَ ابْنُ عَرَفَةَ : قَضَاءُ الشَّيْءِ إِحْكَامُهُ وَإِمْضَاؤُهُ وَإِتْقَانُهُ وَالْفَرَاغُ مِنْهُ وَبِهِ سَمِي الْقَاضِي لِأَنَّهُ إِذَا حُكِمَ فَقَدْ فَرِغَ مِمَّا بَيْنَ الْخَصْمَيْنِ .

(كَتَبَ فِي كِتَابِهِ) أَيُ : أَمَرَ الْقَلَمَ أَنْ يَكْتُبَ فِي كِتَابِهِ وَهُوَ اللَّوْحُ الْمَحْفُوظُ وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي حَدِيثِ عِبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَرِيبًا فَقَالَ لِلْقَلَمِ اكْتُبْ فَجَرَى مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ .

قَالَ الْحَافِظُ الْعَسْقَلَانِيُّ : وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِالْكِتَابِ اللَّفْظُ الَّذِي قَضَاهُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَبُكَ أَنَا وَرُسُلِي ﴾ [المجادلة : 21] .

(فَهُوَ) أَيُ : الْكِتَابُ (عِنْدَهُ) وَالْعِنْدِيَّةُ لَيْسَتْ مَكَانِيَّةً بَلْ هِيَ إِشَارَةٌ إِلَى كَمَالِ كَوْنِهِ مَكْنُونًا مَخْفِيًّا عَنِ الْخَلْقِ مَرْفُوعًا عَنْ حِيزِ إِدْرَاكِهِمْ .

(فَوْقَ الْعَرْشِ) قَالَ الْخَطَّابِيُّ قَالَ بَعْضُهُمْ : مَعْنَاهُ دُونَ الْعَرْشِ اسْتِعْظَامًا أَنْ يَكُونَ شَيْءٌ مِنَ الْخَلْقِ فَوْقَ الْعَرْشِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾ [البقرة : 26] أَيُ : فَمَا دُونَهَا أَيُ : أَصْغَرَ مِنْهَا .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : إِنْ لَفْظُ الْفَوْقِ زَائِدٌ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَإِنْ كُنْ فِسَاءً فَوْقَ أُنْتَتَيْنِ ﴾ [النساء : 11] وَالْمُرَادُ اثْنَتَانِ فِصَاعِدًا إِذِ الثَّنَتَانِ تَرْتِثَانِ الثَّلَاثَيْنِ أَيْضًا وَفِي كُلِّ مِنْهُمَا نَظَرٌ : أَمَّا الْأَوَّلُ فَفِيهِ اسْتِعْمَالُ اللَّفْظِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ .

وَأَمَّا الثَّانِي فَفِيهِ فَسَادُ الْمَعْنَى لِأَنَّهُ مَعْنَاهُ يَكُونُ حِينَئِذٍ فَهُوَ عِنْدَهُ الْعَرْشُ وَتَوْضِيحُهُ أَنْ دَعَا الزِّيَادَةَ مَحَلُّهَا مَا إِذَا بَقِيَ الْكَلَامُ مُسْتَقِيمًا مَعَ حَذْفِهَا كَمَا فِي الْآيَةِ وَأَمَّا فِي الْحَدِيثِ فَإِنَّهُ يَبْقَى الْكَلَامُ مَعَ حَذْفِهَا غَيْرَ مُسْتَقِيمٍ إِذْ لَا مَعْنَى لِقَوْلِهِ فَهُوَ عِنْدَهُ الْعَرْشُ وَالْأَحْسَنُ أَنْ يُقَالَ أَرَادَ بِالْكِتَابِ أَحَدَ شَيْئَيْنِ إِمَّا الْقَضَاءَ الَّذِي قَضَاهُ وَأَوْجِبَهُ فَمَعْنَاهُ فَعَلِمَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْقَ الْعَرْشِ لَا يَنْسَخُ وَلَا يُبَدِّلُ قَالَ : ﴿ عَلَّمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ ﴾ [طه : 20] وَأَمَّا اللَّوْحُ الْمَحْفُوظُ الَّذِي فِيهِ ذِكْرُ الْخَلَائِقِ وَأَحْوَالِهِمْ فَمَعْنَاهُ فَذَكَرَهُ أَوْ عَلَّمَهُ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ وَلَا مُحْذُورٌ فِي إِضْمَارِ لَفْظِ الْعِلْمِ أَوْ الذِّكْرِ مَعَ أَنَّهُ لَا مُحْذُورَ أَنْ يَكُونَ كِتَابُ فَوْقَ الْعَرْشِ لِأَنَّ الْعَرْشَ مَخْلُوقٌ وَلَا يَسْتَحِيلُ أَنْ يَمْسَهُ كِتَابُ مَخْلُوقٍ فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ حَمَلَةَ الْعَرْشِ حَامِلُوهُ عَلَى كَوَاهِلِهِمْ فَفِيهِ الْمَمَاسَةُ .

إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي» .

(إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي) أن: ويفتح أن على أنها بدل من كتب وبكسرهما على أنها ابتداء كلام يحكي مضمون الكتاب والظاهر أنه مفعول كتب فإن قيل ما وجه تخصيص هذا بالذكر مع أن القلم كتب كل شيء .

فالجواب: أن فيه من الرجاء الكامل وإظهار أن رحمته وسعت كل شيء بخلاف غيره .

وفي رواية: شعيب عن أبي الزناد في التوحيد سبقت بدل غلبت والمراد من الغضب ليس معناه اللغوي الذي هو غليان دم القلب لا إرادة الانتقام فإنه لا يصح عليه تعالى بل معناه اللغوي الغائي وهو إرادة إيصال العقاب إلى من يقع عليه الغضب فإن قيل صفات الله تعالى قديمة فكيف يتصور سبق بعضها على بعض؟

فالجواب: أن السبق وكذا الغلبة باعتبار التعلق أي تعلق الرحمة سابق غالب على تعلق الغضب لأن الرحمة مقتضى ذاته المقدسة وأما الغضب فإنه متوقف على سابقة عمل من العبد حادث وبهذا التقرير يندفع استشكال من أورد وقوع العذاب قبل الرحمة في بعض المواطن كمن يدخل النار من الموحدين ثم يخرج بالشفاعة أو غيرها على أن الرحمة والغضب من صفات الفعل لا من صفات الذات ولا مانع من تقدم بعض الأفعال على بعض فيكون الإشارة بالرحمة إلى إسكان آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ الجنة أول ما خلق مثلاً ومقابلها ما وقع من إخراجها منها وعلى ذلك استمرت أحوال الأمم يتقدم عليهم التوسع في الرزق وغيره ثم يقع بهم العذاب على كفرهم وفسقهم وأما ما أشكل من أمر من يعذب من الموحدين فالرحمة سابقة في حقهم أيضًا ولولا وجودها لخلدوا أبدًا فتأمل .

وَقَالَ الطَّبِيبِي: سبق الرحمة إشارة إلى أن قسط الخلق منها أكثر من قسطهم من الغضب وأنها تنالهم من غير استحقاق وأن الغضب لا ينالهم إلا باستحقاق فالرحمة تشمل الشخص جنيًا ورضيعًا وفطيمًا وناشئًا قبل أن يصدر منه شيء من الطاعة ولا يلحقه الغضب إلا بعد أن يصدر عنه من الذنوب ما يستحق معه ذلك، والله تعالى أعلم.

2 - بَابُ مَا جَاءَ فِي سَبْعِ أَرْضِينَ

وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ

ومطابقة الحديث للترجمة في قوله لما قضى الله الخلق .
والحديث أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي التَّوْبَةِ وَالنَّسَائِيُّ فِي النُّعُوتِ .

2 - بَابُ مَا جَاءَ فِي سَبْعِ أَرْضِينَ

(بَابُ مَا جَاءَ فِي) فِي بَيَانٍ وَوَصَفٍ (سَبْعِ أَرْضِينَ) .

(وَقَوْلِ اللَّهِ) سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: بِالْجَرِّ عَطْفًا عَلَى قَوْلِهِ سَبْعَ أَرْضِينَ⁽¹⁾

(﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾) مَبْتَدَأٌ وَخَبَرٌ .

(﴿وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾) أَي: وَخَلَقَ مِثْلَهُنَّ فِي الْعَدَدِ مِنَ الْأَرْضِ وَقُرِئَ بِالرَّفْعِ

عَلَى الْإِبْتِدَاءِ وَالْخَبَرِ .

(﴿يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾) أَي: يَجْرِي أَمْرُ اللَّهِ وَقَضَاؤُهُ بَيْنَهُنَّ وَيَنْفُذُ حُكْمَهُ فِيهِنَّ

قِيلَ مَا فِي الْقُرْآنِ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْأَرْضَ سَبْعٌ إِلَّا هَذِهِ الْآيَةُ .

وَقَالَ الدَّادُودِيُّ: فِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الْأَرْضِينَ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ مِثْلُ

السَّمَوَاتِ .

وَحَكَى ابْنُ التِّينِ عَنْ بَعْضِهِمْ: أَنَّ الْأَرْضَ وَاحِدَةٌ قَالَ وَهُوَ مُرَدُّدٌ بِالْقُرْآنِ

وَالسَّنَةِ .

قَالَ الْحَافِظُ الْعَسْقَلَانِيُّ: وَلَعَلَّهُ قَوْلٌ بِالتَّجَاوُرِ وَإِلَّا فَهُوَ صَرِيحٌ فِي الْمَخَالَفَةِ

وَيَدُلُّ الْقَوْلُ الظَّاهِرُ مَا رَوَاهُ ابْنُ جُرَيْرٍ مِنْ طَرِيقِ شُعْبَةَ عَنْ عَمْرِو بْنِ مَرْثَدَةَ عَنْ أَبِي

الضَّحَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَمِنَ الْأَرْضِ

مِثْلَهُنَّ﴾ قَالَ فِي كُلِّ أَرْضٍ مِثْلُ إِبْرَاهِيمَ وَنَحْوِ مَا عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْخَلْقِ هَكَذَا

أَخْرَجَهُ مُخْتَصَرًا وَإِسْنَادُهُ صَحِيحٌ وَأَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ وَابِيهَقِي مِنْ طَرِيقِ عَطَاءِ بْنِ

السَّائِبِ عَنْ أَبِي الضَّحَى مَطْوَلًا وَأَوَّلَهُ أَي: سَبْعُ أَرْضِينَ فِي كُلِّ أَرْضٍ آدَمُ كَأَدَمِكُمْ

وَنُوحٌ كَنُوحِكُمْ وَإِبْرَاهِيمُ كِإِبْرَاهِيمِكُمْ وَعِيسَى كَعِيسَى وَنَبِيٌّ كَنَبِيِّكُمْ .

قَالَ الْبِيهَقِيُّ: إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إِلَّا أَنَّهُ شَاذٌ بِمَرَّةٍ

(1) وَالْآيَةُ فِي آخِرِ سُورَةِ الطَّلَاقِ .

لِعَلَّامُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾ [الطلاق : 12].

لا أعلم لأبي الضحى متابعا⁽¹⁾ وروى ابن أبي حاتم من طريق مُحَمَّد عن مجاهد عن ابن عَبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لو حدثتكم بتفسير هذه الآية لكفرتم وكفركم تكذيبكم بها ومن طريق سَعِيد بن جُبَيْر عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا نحوه وزاد وهن مكتوبات بعضهن على بعض وظاهر قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ يرد أيضًا على أهل الهيئة قولهم أن لا مسافة بين كل أرض وأرض وإن كانت فوقها وأن السابعة صماء لا جوف لها وفي وسطها المركز وهي نقطة مقدرة متوهمة إلى غير ذلك من أقوالهم التي لا برهان عليها وقد روى أحمد وَالتِّرْمِذِيُّ من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ مرفوعاً أن بين كل سماء وسماء خمسمائة عام وأن سمك كل سماء كذلك وأن بين كل أرض وأرض خمسمائة عام وَأَخْرَجَهُ إِسْحَاق بن راهويه والبخاري من حديث أَبِي ذر رضي الله عنه نحوه وسيأتي في آخر الباب في هذا الشرح إن شاء الله تعالى فإن قيل روى أبو داود وَالتِّرْمِذِيُّ من حديث العباس بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعاً بين كل سماء وسماء إحدى أو اثنتان وسبعون سنة.

فالجواب: أنه يجمع بينهما بأن اختلاف المسافة باعتبار بطء السير وسرعته وفي تفسير النسفي أن المراد بقوله سبع أرضين الأقاليم السبعة والدعوة شاملة جميعها وقيل إنها سبع أرضين متصلة بعضها ببعض والحائل بين كل أرض وأرض بحار لا يمكن قطعها ولا الوصول إلى الأرض الأخرى ولا تصل الدعوة إليهم، والله تعالى أعلم.

وليست يقينية ولا من ضروريات الإسلام حتى يكفر بالتردد فيها.

﴿لِعَلَّامُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ (اللام تتعلق

(1) والمعنى على ما قالوا: إنَّ في كل أرض سادة يقومون عليهم مقام آدم ونوح وإبراهيم وعيسى كذا في الكواشي ويدل ذلك على أنَّ في كل أرض سكاناً من خلق الله تعالى عقلاء مميزون والدعوة شاملة لهم وقيل: تختص الدعوة بأهل الأرض العليا ولا تلزم فيمن في غيرها من الأرضين وإن كانوا عقلاء مميزين، وفي مشاهدتهم السماء واستمدادهم الضوء منها قولان: أحدهما: يشاهدون السماء من كل جانب من أرضهم ويستمدون الضياء منها وهذا قول من جعل الأرض مسبوطة، الثاني: أنهم لا يشاهدون السماء وإن الله تعالى خلق لها ضياء بوجه آخر وهو قول من جعل الأرض كرة.

﴿وَالسَّقْفَ الْمَرْفُوعَ﴾ [الطور: 5]: «السَّمَاءُ»، ﴿سَمَكَهَا﴾ [النازعات: 28]: «بِنَاءَهَا»، كَانَ فِيهَا حَيَوَانٌ ﴿أَلْبَبُكَ﴾ [الذاريات: 7]: اسْتَوَاؤُهَا وَحُسْنُهَا،

بخلق أو بقوله يتنزل أو مضمّر يعمهما أي: أعلمتكم بذلك أو أخبرتكم فإن كلا منهما يدل على كمال قدرته وعلمه والأول أقرب وعلمًا تمييز وقيل مصدر من غير لفظ الفعل أي: قد علم كل شيء علمًا والظاهر هو الأول.

(﴿وَالسَّقْفَ الْمَرْفُوعَ﴾ [السَّمَاءُ]⁽¹⁾ هو تفسيره كذا فسرّه مجاهد أَخْرَجَهُ عَبْدُ ابْنِ حَمِيدٍ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ وَغَيْرُهُمَا مِنْ طَرِيقِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ عَنْهُ وَمِنْ طَرِيقِ قَتَادَةَ نَحْوَهُ وَسَيَأْتِي عَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِثْلُهُ فِي بَابِ الْمَلَائِكَةِ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ مِنْ طَرِيقِ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ ﴿وَالسَّقْفَ الْمَرْفُوعَ﴾ [العرش والأول أكثر وسمى السماء سقفا لأنها للأرض كالسقف للبيت وهو يقتضي الرد على مَنْ قَالَ إِنَّ السَّمَاءَ كَرِيَّةٌ لِأَنَّ السَّقْفَ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ لَا يَكُونُ كَرِيًّا فَافْهَمُ.

(﴿سَمَكَهَا﴾ [بِنَاءَهَا] يريد به تفسير قوله تعالى: ﴿رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّيْنَهَا﴾ [النازعات: 28] وهنا لفظ سمكها مرفوع على الابتداء وقوله بناؤها خبره ويجوز بالنصب على الحكاية أي: رفع بنيانها بأن جعل مقدار ارتفاعها من الأرض وذهابها إلى سمت العلور رفيعًا مسيرة خمسمائة عام أو ثخنها الذاهب في العلور رفيعًا وامتداد الشيء إذا أخذ من أسفله إلى أعلاه يسمى سمكًا وإذا أخذ من أعلاه إلى أسفله يسمى عمقًا وتفسير البُخَارِيِّ هذا هو تفسير ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ مِنْ طَرِيقِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ عَنْهُ وَمِنْ طَرِيقِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ مِثْلُهُ وَزَادَ بِغَيْرِ عَمَدٍ وَمِنْ طَرِيقِ قَتَادَةَ مِثْلُهُ وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَسَوَّيْنَهَا﴾ أي: فعدلها أو فجعلها مستوية أو فتممها بما يتم به كمالها من الكواكب والتدوير وغيرها من قولهم سوّى فلان أمره إذا أصلحه.

(﴿أَلْبَبُكَ﴾ [اسْتَوَاؤُهَا وَحُسْنُهَا] أشار بهذا إلى ما في قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُوبِ﴾ [الذاريات: 7] ويجوز في الحبك الرفع على الابتداء وخبره استواؤها ويجوز الجر على الحكاية والتفسير الذي ذكره هو تفسير ابن عباس

(1) بالرفع مبتدأ خبره السماء ويجوز الجر في والسقف المرفوع حكاية عما في سورة الطور فإنه إشارة إلى تفسيره.

﴿وَأَذْنَتْ﴾ [الانشقاق: 2، 5]: «سَمِعَتْ وَأَطَاعَتْ»،

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ مِنْ طَرِيقِ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنْهُ.

وأخرج من طريق سعد الإسكاف عن عكرمة عنه بلفظ ذات الحبك أي: البهاء والجمال غير أنها كالبرد المسلسل ومن طريق علي بن أبي طلحة عنه قَالَ ذات الحبك أي: الخلق الحسن والحبك بضمين جمع حبيكة كطرق وطريقة وزنا ومعنى وقيل واحدها حبك كمثل ومثل وقيل الحبك الطرائق التي ترى في السماء من آثار الغيم وروى الطَّبْرِيُّ عن الضحَّاك نحوه ⁽¹⁾ وقيل هي النجوم أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ عَنِ الْحَسَنِ ⁽²⁾ وروى الطَّبْرِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ الْمُرَادَ بِالسَّمَاءِ هُنَا السَّمَاءُ السَّابِعَةُ.

﴿وَأَذْنَتْ﴾ «سَمِعَتْ وَأَطَاعَتْ» أشار بهذا إلى ما في قوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ ⁽¹⁾ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحَقَّتْ ⁽²⁾ [الانشقاق: 1 - 2] ومعنى سمعها وإطاعتها قبول ما يراد منها وهذا أيضًا تفسير ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ مِنْ طَرِيقِ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنْهُ ﴿وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا﴾ أي: أطاعت ﴿وَحَقَّتْ﴾ أي: حق لها أن تطيع ومن طريق الضحَّاك أذنت لربها أي: سمعت قَالَ النَّسْفِيُّ وَحَقَّقَتْهُ أَنَّهُ مِنْ أذن لشيء إذا أصغى إليه أذنه للاستماع والسماع يستعمل في الإسعاف والإجابة كذلك الإذن أي: أجابت ربها إلى الانشقاق وما أَرَادَهُ مِنْهَا، انتهى.

وحقيقة قوله تعالى: ﴿وَحَقَّتْ﴾ وجعلت حقيقة بالاستماع والانقياد يقال حق بكذا فهو محقق وحقيق والمراد بانشقاقها واللَّه تعالى أعلم. إمَّا انشقاقها بالغمام روي ذلك عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فهو كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَمِ﴾ [الفرقان: 25] أي: بسبب طلوع الغمام منها على ما فسر في سورة الفرقان وأما انشقاقها لهول القيامة كما قَالَ الْفَرَاءُ وَالزَّجَّاجُ كما في قوله: ﴿وَأَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فِي يَوْمِذٍ وَاهِيَةٍ﴾ [الحاقة: 16] ولا منع في أن يكون ذلك بالغمام.

(1) وقد يقال: المراد بالطرائق المحسوسة التي هي مسير الكواكب أو المعقولة التي يسلكها النظار ويتوصل بها إلى المعارف.

(2) فإن النجوم لها طرائق تسير فيها أو أنها تزینها كما يزین الموشى طرائق الوشي.

﴿وَأَلْقَتْ﴾ [الانشقاق: 4] «أَخْرَجَتْ»، ﴿مَا فِيهَا﴾ [الانشقاق: 4] «مِنَ الْمَوْتَى»،
 ﴿وَحَلَّتْ﴾ [الانشقاق: 4]: «عَنْهُمْ»، ﴿طَنَهَا﴾ [الشمس: 6] «دَحَاها»، السَّاهِرَةُ:
 «وَجْهَ الْأَرْضِ، كَانَ فِيهَا الْحَيَوَانُ نَوْمُهُمْ وَسَهْرُهُمْ».

(﴿وَأَلْقَتْ﴾ أَخْرَجَتْ، ﴿مَا فِيهَا﴾ مِنَ الْمَوْتَى، ﴿وَحَلَّتْ﴾: عَنْهُمْ) أشار إلى قوله تعالى بعد قوله: ﴿وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ (٢) وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ (٣) ﴿[الانشقاق: 2 - 3] أي: بسطت بأن تُزال جبالها وأكامها وكل أمة فيها حتى تمتد وتنسبط ويستوي ظهرها من مد الشيء فامتد ﴿وَأَلْقَتْ﴾ أي: طرحت ما فيها من الموتى والكنوز ﴿وَحَلَّتْ﴾: أي: كلفت الخلو أقصى جهدها وخلت غاية الخلو حتى لا يبقى في بطنها شيء.

وتفسير البَحَارِيِّ هذا عند ابن أبي حاتم من طريق مجاهد نحوه ومن طريق سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ أَلْقَتْ ما استودعها الله من عبادته وتخلت عنهم إليه ثم جواب إذا محذوف للتهويل بالإبهام وهو بعث الناس ونحوه أو للاكتفاء بما مر في سورتي التكوير والانفطار أو بدلالة قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسُنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ﴾ [الانشقاق: 6] عليه وتقديره لاقى الإنسان كدحه أي: جهدًا يؤثر فيه من كدحه إذا خدشه أو فملاقيه وقوله: ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسُنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ﴾ اعتراض والكدح إليه السعي إلى لقاء جزائه.

(﴿طَنَهَا﴾ دَحَاها) أشار بذلك إلى ما في قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضُ وَمَا طَنَهَا﴾ (٦) وقد فسره بقوله: دحاها وهو في قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ (٣٠) [النازعات: 30] وهكذا فسره مجاهد أَخْرَجَهُ عنه عبد بن حميد وغيره وأخرج ابن أبي حاتم أيضًا من طريق ابن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا والسدي وغيرهما دحاها أي: بسطها من الدحو وهو البسط يقال دحا يدحو ويدحي أي: بسط ووسع وقيل: معناه البسط يمينًا وشمالًا من لا كل جانب.

(السَّاهِرَةُ: «وَجْهَ الْأَرْضِ، كَانَ فِيهَا الْحَيَوَانُ نَوْمُهُمْ وَسَهْرُهُمْ») أشار بذلك إلى ما في قوله: ﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ (١٤) [النازعات: 14] أي: فإذا هم أحياء على وجه الأرض بعدما كانوا أمواتًا في بطنها والساهرة وجه الأرض سمي بها لأن نوم الخلائق وسهرهم فيه هكذا فسره عكرمة أَخْرَجَهُ ابن أبي حاتم وأخرج

3195 - حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، أَخْبَرَنَا ابْنُ عُليَّةَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْمُبَارَكِ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْحَارِثِ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَكَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَنَاسٍ خُصُومَةٌ فِي أَرْضٍ، فَدَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ فَذَكَرَ لَهَا ذَلِكَ، فَقَالَتْ: يَا أَبَا سَلَمَةَ، اجْتَنِبِ الْأَرْضَ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ ظَلَمَ قِدَ شِبْرِ طَوْقِهِ مِنْ سَبْعِ أَرْضِينَ».

أيضاً من طريق مصعب بن ثابت عن أبي حازم عن سهل بن سعد رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ (١) قَالَ أَرْضٌ بِيضَاءُ عَفْرَاءُ (١) كَالْحَبْرَةِ وَعَنْ ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ الْمُرَادُ بِهَا أَرْضُ الْقِيَامَةِ وَيُقَالُ السَّاهِرَةُ الْأَرْضُ الْبِيضَاءُ الْمُسْتَوِيَّةُ سُمِيتَ بِذَلِكَ لِأَنَّ السَّرَابَ يَجْرِي فِيهَا مِنْ قَوْلِهِمْ عَيْنٌ سَاهِرَةٌ لِتَنِي يَجْرِي مَاؤُهَا وَفِي ضِدِّهَا نَائِمَةٌ أَوْ لِأَنَّ سَالِكَهَا يَسْهَرُ وَلَا يَنَامُ خَوْفًا وَقَالَ النَّسْفِيُّ: قِيلَ هَذِهِ السَّاهِرَةُ جَبَلٌ عِنْدَ بَيْتِ الْمَقْدَسِ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

(حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ) المعروف بابن المديني قَالَ: (أَخْبَرَنَا ابْنُ عُليَّةَ) إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَعُليَّةُ اسْمُ أُمِّهِ وَقَدْ مَرَّ غَيْرَ مَرَّةٍ.

(عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْمُبَارَكِ) أَنَّهُ قَالَ (حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْحَارِثِ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ) بَفَتْحِ الْمَهْمَلَةِ وَاللَّامِ (ابْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ) أَيِ: ابْنِ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(وَكَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَنَاسٍ خُصُومَةٌ فِي أَرْضٍ، فَدَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (فَذَكَرَ لَهَا ذَلِكَ، فَقَالَتْ: يَا أَبَا سَلَمَةَ، اجْتَنِبِ الْأَرْضَ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: مَنْ ظَلَمَ قِدَ شِبْرِ طَوْقِهِ) بِكَسْرِ الْقَافِ وَسُكُونِ الْمَثْنَاءِ التَّحْتِيَّةِ هُوَ الْمَقْدَارُ.

(طَوْقُهُ) عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ وَمَعْنَى التَّطْوِيقِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِ الْأَرْضَ فَتَصِيرَ الْبُقْعَةُ الْمَغْصُوبَةُ مِنْهَا فِي عُنْقِهِ كَالطُّوقِ وَهَذَا أَبْعَدُ مَوْتِهِ أَوْ فِي حَشْرِهِ وَقِيلَ هُوَ أَنْ يَطُوقَ حَمْلَهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَيِ: يَكْلِفُ فَيَكُونُ مِنْ طُوقِ التَّكْلِيفِ لَا مِنْ طُوقِ التَّقْلِيدِ (مِنْ سَبْعِ أَرْضِينَ). وَالْحَدِيثُ قَدْ مَضَى فِي كِتَابِ الْمِظَالِمِ فِي بَابِ إِثْمٍ مِنْ ظَلَمٍ شَيْئًا مِنَ الْأَرْضِ وَقَدْ مَرَّ تَحْقِيقُهُ هُنَاكَ.

(١) العفراء: أرض بيضاء تخلطها حمرة ويقال: الأرض التي أكلت كل ما عليها ولم يبق شيء.

3196 - حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ، عَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ، عَنْ سَالِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ أَخَذَ شَيْئًا مِنَ الْأَرْضِ بِغَيْرِ حَقِّهِ، خُسِفَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى سَبْعِ أَرْضِينَ».

3197 - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ، حَدَّثَنَا أَيُّوبُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ، عَنْ ابْنِ أَبِي بَكْرَةَ، عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الرَّيْمَانُ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ»⁽¹⁾

ومطابقته للترجمة في قوله: من سبع أرضين.

(حَدَّثَنَا بِشْرُ) بكسر الموحدة وسكون المعجمة (ابْنُ مُحَمَّدٍ) مروزي قَالَ: (أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ) هو ابن المبارك المروزي، (عَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ، عَنْ سَالِمٍ) هو ابن عبد الله بن عمر، (عَنْ أَبِيهِ) عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ (قَالَ): قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ أَخَذَ شَيْئًا» وفي رواية شبرًا (مِنَ الْأَرْضِ بِغَيْرِ حَقِّهِ، خُسِفَ بِهِ) على البناء للمفعول (يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى سَبْعِ أَرْضِينَ) والحديث قد مرَّ أيضًا في كتاب المظالم في الباب المذكور آنفًا.

ومطابقته للترجمة ظاهرة.

(حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى) بلفظ المفعول في التثنية قَالَ: (حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ) الثَّقَفِيُّ قَالَ: (حَدَّثَنَا أَيُّوبُ) هو السخيتاني، (عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ، عَنِ ابْنِ أَبِي بَكْرَةَ) هو عبد الرحمن بن نفيع بضم النون وفتح الفاء.

(عَنِ) أَبِيهِ (أَبِي بَكْرَةَ) ابن نفيع بن الحارث الثقفي، (عَنِ النَّبِيِّ ﷺ) أَنَّهُ (قَالَ: الرَّيْمَانُ) هو اسم لقليل الوقت وكثيره وأراد به هنا السنة وذلك أن قوله السنة اثنا عشر شهرًا إلى آخره جملة مستأنفة مبينة للجملة الأولى.

(اسْتَدَارَ) يقال دار يدور واستدار يستدير بمعنى إذا طاف حول الشيء وعاد إلى الموضع الذي ابتداء منه.

(كَهَيْئَتِهِ) الكاف صفة مصدر محذوف أي: استدار استدارة مثل حالته وصفته.

(1) قال الكرمانى: الكاف صفة مصدر محذوف أي: استدار استدارة مثل حالته يوم خلق الله السموات والأرض، والزمان اسم لقليل الوقت وكثيره، وأراد به هنا السنة، اهـ.

يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ،

(يَوْمَ خَلَقَ) اللَّهُ (السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ) فالمعنى أن الزمان في انقسامه إلى الأعوام والأعوام إلى الأشهر عاد إلى أصل الحساب والوضع الذي اختاره الله ووضعه يوم خلق السموات والأرض وذلك أن العرب كانوا يؤخرون المحرم إلى صفر وهو النسيء المذكور في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَلْهَيْتُ زِيَادَةَ فِي الْكَفْرِ﴾ [التوبة: 37] وذلك ليقاتلوا فيه ويفعلون ذلك كل سنة بعد سنة فينتقل المحرم من شهر إلى شهر حتى جعلوه في جميع شهور السنة فلما كانت تلك السنة قد عاد إلى زمنه المخصوص به.

وهكذا في الفتح وزاد زعم يوسف بن عبد الملك في كتابه تفضيل الأزمنة أن هذه المقالة صدرت من النبي ﷺ في شهر مارس وهو آذار بالرومية، وهو برهمات بالقبطية، وفيه يستوي الليل والنهار عند حلول الشمس في برج الحمل، اهـ.

وقال العيني: قوله استدار يقال دار يدور، واستدار يستدير بمعنى إذا طاف حول الشيء وإذا عاد إلى الموضع الذي ابتدأ منه، ومعنى الحديث أن العرب كانوا يؤخرون المحرم إلى صفر، وهو النسيء المذكور في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَلْهَيْتُ زِيَادَةَ فِي الْكَفْرِ﴾ وذلك ليقاتلوا فيه، ويفعلون ذلك في كل سنة فينتقل المحرم من شهر إلى شهر حتى جعلوه في جميع شهور السنة، فلما كانت تلك السنة قد عاد إلى زمنه المخصوص به، وقال بعضهم: إنما أخر النبي ﷺ الحج مع الإمكان ليوافق أهل الحساب فيحج فيه حجة الوداع، اهـ.

وقال القسطلاني: أراد أن الزمان في انقسامه إلى الأعوام والأشهر عاد إلى أصل الحساب، وذلك أن العرب كانوا إذا جاء شهر حرام وهم محاربون أحلوه وحرّموا مكانه شهراً آخر، قيل: أول من أحدث ذلك جنادة بن عوف الكناني، كان يقوم على جمل في الموسم فينادي إن آلتهكم قد أحلت لكم المحرم فأحلوه، ثم ينادي في القابل، إن آلتهكم قد حرمت عليكم المحلل فحرموه، ويفعل ذلك كل سنة بعد سنة فينتقل المحرم من شهر إلى شهر حتى جعلوه في جميع شهور السنة، فلما كانت تلك السنة عاد إلى زمنه المخصوص به، فاقضى الدور أن يكون الحج في ذي الحجة كما شرعه الله، وقول الزمخشري: وقد وافقت حجة الوداع ذا الحجة وكانت حجة أبي بكر قبلها في ذي القعدة، قاله مجاهد، وفيه نظر، إذ كيف تصح حجة أبي بكر وقد وقعت في ذي القعدة، وأنى هذا وقد قال تعالى: ﴿وَأَذِّنْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ﴾ [التوبة: 3] الآية، وإنما نودي بذلك في حجة أبي بكر، فلو لم تكن في ذي الحجة لما قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ﴾ قاله ابن كثير، اهـ.

وقال السندي: قال في المصابيح: لا دليل في الحديث على أن وقوف أبي بكر في ذي الحجة، وإنما يريد بيوم الحج ويوم النحر من أشهر الذي وقف فيه فيصدق، وإن كان وقف في ذي القعدة لأنهم كانوا يقفون فيه وينحرون، فلا يدل قوله ﴿يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ﴾ [التوبة: 3] على أنه كان في ذي الحجة، والصحيح أنه كان في ذي القعدة، اهـ.

السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ، ثَلَاثَةٌ مُتَوَالِيَاتٌ: ذُو الْقَعْدَةِ وَذُو الْحِجَّةِ وَالْمُحَرَّمُ، وَرَجَبُ مُضَرَ، الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ».

(السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ، ثَلَاثَةٌ) أي: ثلاثة أشهر من الأربعة وفي رواية ثلاث بحذف التاء من العدد باعتبار أن الشهر واحد الأشهر بمعنى الليالي فاعتبر لذلك تأنيثه أو باعتبار العدة أو الليلة مع أن العدد الذي لم يذكر معه المميز جاز فيه التذكير والتأنيث.

(مُتَوَالِيَاتٌ: ذُو الْقَعْدَةِ) مرفوع على أنه خبر مبتدأ محذوف بعطف ما بعده عليه أي: ذو القعدة، (وَذُو الْحِجَّةِ وَالْمُحَرَّمُ) وقوله: (وَرَجَبُ مُضَرَ) عطف على قوله: ثلاث لا على قوله والمحرم وإنما أضافه إلى مضر بضم الميم وفتح الضاد المعجمة وبالراء القبيلة المشهورة لأنهم كانوا يحافظون على تحريمه أشد من محافظة سائر العرب ولم يكن يستحله أحد من العرب.

(الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى) بضم الجيم وفتح الدال المهملة مقصورًا.

(وَشَعْبَانَ) إنما وصفه بذلك تأكيدًا وإزاحة للريب الحادث فيه من النسيء قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ النسيء تأخير حرمة شهر إلى شهر آخر كانوا يحلون الشهر الحرام ويحرمون مكانه شهرًا آخر حتى رفضوا تحريم الأشهر الحرم فكانوا يحرمون من شهور العام أربعة أشهر مُطْلَقًا وربما زادوا في السنة فيجعلونها ثلاثة عشر أو أربعة عشر قَالَ والمعنى رجعت الأشهر إلى ما كانت عليه وعاد الحج إلى ذي الحجة وبطل النسيء الذي كان في الجاهلية وقد وافقت حجة الوداع ذا الحجة فكانت حجة أبي بكر رضي الله تعالى عنه قبلها في ذي القعدة قيل وإنما أخر النَّبِيَّ ﷺ الحج مع الإمكان ليوافق أصل الحساب فيحج فيه حجة الوداع والله تعالى أعلم.

وقال الْحَافِظُ الْعَسْقَلَانِيُّ زعم يُوسُفُ بن عبد الملك في كتابه تفضيل الأزمنة أن هذه المقالة صدرت من النَّبِيِّ ﷺ في شهر مارس وهو آذار وهو بالقبطية برهمانه وفيه يستوي الليل والنهار عند حلول الشمس في برج الحمل.

والحديث قد مضى في كتاب العلم والحج ويأتي في المغازي بآتم منه إن شاء الله تعالى.

3198 - حَدَّثَنِي عُبَيْدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ نُفَيْلٍ، أَنَّهُ خَاصَمْتُهُ أَرَوَى فِي حَقِّ رَعَمَتْ أَنَّهُ انْتَقَصَهُ لَهَا إِلَى مَرْوَانَ، فَقَالَ سَعِيدٌ: أَنَا أَنْتَقِصُ مِنْ حَقِّهَا شَيْئًا! أَشْهَدُ لَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ أَخَذَ شِبْرًا مِنَ الْأَرْضِ ظُلْمًا، فَإِنَّهُ يُطَوَّقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ سَبْعِ أَرْضِينَ» قَالَ ابْنُ أَبِي الزُّنَادِ،

ومطابقته للترجمة من حيث أن المذكور فيه وإن كان لفظ الأرض إلا أن المراد سبع أرضين للأحاديث الأخر.

(حَدَّثَنِي) بالافراد (عُبَيْدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ) بتصغير عبد واسمه في الأصل عَبْدُ اللَّهِ الهباري القرشي الكوفي قَالَ: (حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ) حماد بن أسامة، (عَنْ هِشَامِ) ابن عُرْوَةَ بن الزبير، (عَنْ أَبِيهِ) عُرْوَةَ، (عَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ نُفَيْلٍ) بضم النون وفتح الفاء العدوي أحد العشرة المبشرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(أَنَّهُ خَاصَمْتُهُ أَرَوَى) بفتح وسكون الراء وفتح الواو ومقصوداً بنت أبي أويس بالسين المهملة قَالَ ابن الأنير: لم أتحقق أنها صحابية أو تابعة.

(فِي حَقِّ رَعَمَتْ أَنَّهُ انْتَقَصَهُ لَهَا) أي: ادعت أن سعيد بن زيد انتقص ذلك الحق لها أي: انتقصها من حقها في أرض أي: غضبها أرضاً.

(إِلَى مَرْوَانَ) يتعلق بقوله خاصمته أي: ترافعا إلى مروان وهو كان يومئذ والياً على المدينة.

(فَقَالَ سَعِيدٌ: أَنَا أَنْتَقِصُ مِنْ حَقِّهَا شَيْئًا! أَشْهَدُ لَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ أَخَذَ شِبْرًا مِنَ الْأَرْضِ ظُلْمًا، فَإِنَّهُ يُطَوَّقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ سَبْعِ أَرْضِينَ»)

وقد ترك سعيد الحق لها ودعا⁽¹⁾ عليها فاستجاب الله دعاءه وقد مرت القصة في كتاب المظالم ومطابقة الحديث للترجمة ظاهرة.

(قَالَ ابْنُ أَبِي الزُّنَادِ) بكسر الزاي وبالنون هو عبد الرحمن بن عَبْدُ اللَّهِ مفتي بغداد وقد مر في الاستسقاء.

(1) قال سعيد: اللهم إن كانت كاذبة فأعم بصرها واجعل قبرها في دارها، وذكروا أنها عميت وأنها سقطت في بئرها فماتت.

عَنْ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ لِي سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ، دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ.

(عَنْ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ) أَنَّهُ (قَالَ: قَالَ لِي سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ، دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ) وَأَرَادَ الْبُخَارِيُّ بِهَذَا التَّعْلِيلِ بَيَانَ لِقَاءِ عُرْوَةَ سَعِيدًا وَتَصْرِيحَ سَمَاعِهِ مِنْهُ الْحَدِيثَ الْمَذْكُورَ.

وَقَالَ الْحَافِظُ الْعَسْقَلَانِيُّ: وَقَدْ لَقِيَ عُرْوَةَ مِنْهُ هُوَ أَقْدَمُ وَفَاةٍ مِنْ سَعِيدِ كَوَالِدِهِ الزَّبِيرِ وَعَلَى رَضِيَّ اللَّهِ عَنْهُمَا وَتَعَقَّبَهُ الْعَيْنِيُّ بِأَنَّهُ لَا يِلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ مَلَاقَاتِهِ سَعِيدًا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ.

وَأَنْتَ خَيْرٌ بِأَنْ مَرَادَ الْحَافِظِ تَأْيِيدَ مَلَاقَاتِهِ بِذَلِكَ لَا إِثْبَاتَهُ بِهِ كَمَا لَا يَخْفَى.

تتمة لهذا الباب:

اعلم أن العلماء قد اختلفوا في السموات والأرض أيهما خلق أولاً؟ فَقَالَ بعضهم بتقديم خلق الأرض على خلق السموات واستدلوا لذلك بقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾ [البقرة: 29] وبقوله تعالى: ﴿قُلْ أَيْتَكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: 9] إلى قوله: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾ [فصلت: 11] وقد أخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم وأبو الشيخ في العظمة عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ قَالَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾ قَالَ خَلَقَ اللَّهُ الْأَرْضَ قَبْلَ السَّمَاءِ فَلَمَّا خَلَقَ الْأَرْضَ ثَارَ مِنْهَا دُخَانٌ فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ قَالَ خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ بَعْضُهُنَّ فَوْقَ بَعْضٍ وَسَبْعَ أَرْضِينَ بَعْضُهُنَّ تَحْتَ بَعْضٍ وَذَهَبَ الْآخَرُونَ إِلَى تَقْدِيمِ خَلْقِ السَّمَاءِ عَلَى الْأَرْضِ وَمِنْهُمْ الْإِمَامُ الرَّازِيُّ وَالْإِمَامُ الْوَاحِدِيُّ وَاسْتَدَلُّوا بِمَا فِي سُورَةِ النَّازِعَاتِ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءِ بَنَاهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَكَهَا فَسَوَّاهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٢٩﴾ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾﴾ [النازعات: 27 - 30] أَي: بَعْدَ رَفْعِ سَمَكِ السَّمَاءِ وَتَسْوِيطِهَا دَحَا الْأَرْضَ وَبَسْطِهَا وَأَوَّلُوا الْآيَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ بِأَنْ ثُمَّ لِبَيَانِ التَّرَاخِي فِي الرِّتْبَةِ عَلَى أَنْ يَكُونَ الْكَلَامُ مِنْ قِبَلِ التَّرْقِي مِنَ الْأَدْنَى إِلَى الْأَعْلَى فَيَكُونُ الْمَتَأَخِّرُ عَلَى رَتْبَةٍ مِنَ الْمَتَقَدِّمِ أَوْ بِأَنَّهُا لِمَجْرَدِ التَّفَاوُتِ بَيْنَ الْخَلْقَيْنِ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ مَعْنَى التَّرَاخِي أَوْ بِأَنَّهُا

لبيان التراخي في الذكر تنبيهًا على التراخي في الرتبة وأجاب الأولون عن آية النازعات بأن المتقدم على خلق السماء مدحوة خلق الأرض والمتأخر عنه دحو الأرض وكانت إذ خلقها غير مدحوة ويرد عليه أن خلق ما فيها إنما يكون بعد الدحو لا سيما وقد فسر الله تعالى الدحو بقوله: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَهَا﴾ [النازعات: 31] وأجابوا أيضًا بأن قوله: ﴿دَحَّهَا﴾ استئناف والأرض منصوب بفعل مضمر نحو تذكروا وتعرفوا وتدبروا واذكروا الأرض بعد ذلك فعلى هذا يكون قوله بعد ظرف للفعل المضمر لا لقوله: ﴿دَحَّهَا﴾ وتكون كلمة ذلك إشارة إلى المعنى المستفاد من الاستفهام في قوله: ﴿أَلَمْ تَأْتُوا خَلْقًا﴾ لا إلى البناء ورفع السمك والتسوية وإظلام الليل وإبراز الشمس المدلول عليها بالأفعال المذكورة فكأنه قيل تفكروا وتعرفوا أن إعادة خلقكم أشد خلقًا الآية.

ثم استؤنف ف قيل بناها بناءً رفيعاً بلا عمد مشتملاً على عجائب الصنعة وكمال الحكمة فمن قدر على ذلك فهو على إعادتكم أقدر ثم قيل وتعرفوا الأرض وتدبروا أمرها بعد ذلك ثم استؤنف بأن قيل دحاها أي: بسطها ومهداها للسكنى أخرج منها ماءها بتفجير العيون ومرعاها بأن أظهر موضع رعيها فعلى هذا التأويل لا دلالة في الآية على تأخر حصول الأرض وخلق ما فيها عن خلق السماء حتى ينافي قوله ثم استوى إلى السماء هذا.

وأنت خير بما فيه من التكلف قيل والحق أن خلق السماء مقدم على خلق الأرض وحكى الطبري عن قتادة أن السماء خلقت أولاً وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ وقول قَتَادَةَ صحيح إن شاء الله تعالى وهو أن الله تعالى خلق أولاً دخاناً للسماء ثم خلق الأرض ثم استوى إلى السماء وهي دخان فسواها ثم دحا الأرض بعد ذلك.

ومما يدل على أن الدخان خلق أولاً قبل الأرض ما أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الأسماء والصفات من طريق السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب رسول الله ﷺ في قوله

تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: 29] قَالَ: إِنْ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى كَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ وَلَمْ يَخْلُقْ شَيْئًا قَبْلَ الْمَاءِ فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْلُقَ الْخَلْقَ أَخْرَجَ مِنَ الْمَاءِ دَخَانًا فَارْتَفَعَ فَوْقَ الْمَاءِ فَسَمَا عَلَيْهِ فَسَمَا سَمَا ثُمَّ أَيْسَ الْمَاءَ فَجَعَلَهُ أَرْضًا وَاحِدَةً ثُمَّ فَتَقَهَا فَجَعَلَهَا سَبْعَ أَرْضِينَ فِي يَوْمَيْنِ فِي الْأَحَدِ وَالْآثْنَيْنِ فَجَعَلَ الْأَرْضَ ⁽¹⁾ عَلَى الْحَوْتِ وَهُوَ الَّذِي ذَكَرَهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿تَّوَلَّى وَالْقَلَمَ﴾ [القلم: 1] وَالْحَوْتِ فِي الْمَاءِ وَالْمَاءِ عَلَى ظَهَرِ صِفَاةٍ وَالصِفَاةُ ⁽²⁾ عَلَى ظَهَرِ مَلِكٍ وَالْمَلِكِ عَلَى صَخْرَةٍ وَالصَخْرَةِ عَلَى الرِّيحِ وَهِيَ الصَّخْرَةُ الَّتِي ذَكَرَ لِقْمَانَ لَيْسَتْ فِي السَّمَاءِ وَلَا فِي الْأَرْضِ فَتَحَرَّكَ الْحَوْتُ فَاضْطَرَبَ فَتَزَلَزَلَتِ الْأَرْضُ فَأَرَسَى عَلَيْهَا الْجِبَالُ فَقَرَّتْ فَالْجِبَالُ فَقَرَّتْ عَلَى الْأَرْضِ وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوًى أَنْ يَمِيدَ بِكُمْ﴾ [لقمان: 10] وَخَلَقَ الْجِبَالُ وَأَقْوَاتُ أَهْلِهَا وَشَجَرُهَا وَمَا يَنْبَغِي لَهَا فِي يَوْمَيْنِ فِي الثَّلَاثَةِ وَالْأَرْبَعَةِ وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ حَمِّ السَّجْدَةِ: ﴿قُلْ أَيْنَكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ﴾ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿سَوَاءٌ لِلْسَّائِلِينَ﴾ [فصلت: 8 - 10] أَي: هَذَا الْبَيَانُ لِلْسَّائِلِينَ عَنْ مَدَّةِ خَلْقِ الْأَرْضِ وَمَا فِيهَا ﴿ثُمَّ أَسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ وَكَانَ ذَلِكَ الدُّخَانُ مِنْ تَنْفَسِ الْمَاءِ حِينَ تَنْفَسَ فَجَعَلَهَا سَمَاءً وَاحِدَةً ثُمَّ فَتَقَهَا فَجَعَلَهَا سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ الْخَمِيسَ وَالْجُمُعَةَ ⁽³⁾ وَإِنَّمَا سَمِّيَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ لِأَنَّهُ جُمِعَ فِيهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾ [فصلت: 12] قَالَ خَلَقَ فِي كُلِّ سَمَاءٍ خَلْقَهَا مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالْخَلْقِ الَّذِي فِيهَا مِنَ الْبَحَارِ وَجِبَالِ الْبَرِّ وَمَا لَا يَعْلَمُ وَقِيلَ أَوْحَى إِلَى أَهْلِهَا بِأَمْرِهِ «ثُمَّ زَيْنَ السَّمَاءَ الدُّنْيَا» بِالْكَوَاكِبِ فَجَعَلَهَا زِينَةً وَحِفْظًا مِنَ الشَّيَاطِينِ فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْ خَلْقِ مَا أَحَبَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ أَي: اسْتَوَى وَاسْتَوَى

(1) ذَكَرَ أَبُو نَعِيمٍ عَنْ كَعْبِ الْأَحْبَارِ أَنَّ إِبْلِيسَ تَغْلَغَلَ إِلَى الْحَوْتِ الَّذِي ظَهَرَهُ الْأَرْضُ كُلُّهَا فَالْقَى فِي قَلْبِهِ فَقَالَ: بَلْ تَدْرِي مَا عَلَى ظَهْرِكَ يَا لُوتِيَا مِنَ الْأَمِّ وَالشَّجَرِ وَالْدُّوَابِّ وَالنَّاسِ وَالْجِبَالِ؟ لَوْ تَغَضَّبَهُمْ أَلْقَيْتَهُمْ عَنْ ظَهْرِكَ أَجْمَعٌ، قَالَ: فَهَمَّ لُوتِيَا أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ فَبَعَثَ اللَّهُ دَابَّةً فَدَخَلَتْ فِي مَنْخَرِهِ فَعَجَّ إِلَى اللَّهِ مِنْهَا فَخَرَجَتْ، قَالَ كَعْبٌ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهُ لَيَنْظُرُ إِلَيْهَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَنْتَظِرُ إِلَيْهِ إِنْ هَمَّ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ عَادَتْ حَيْثُ كَانَتْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(2) الصِفَاةُ: الْحَجَرُ الصَّلْدُ الضَّخْمُ الَّذِي لَا يَنْبِتُ.

(3) وَقِيلَ: خَلَقَ السَّمَوَاتِ يَوْمَ الْخَمِيسِ وَالْقَمَرِ وَالنَّجْمِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ.

3 - باب: فِي النُّجُومِ

وَقَالَ قَتَادَةُ: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾ [الملك: 5] خَلَقَ هَذِهِ النُّجُومَ لِثَلَاثٍ: جَعَلَهَا زِينَةً لِلسَّمَاءِ، وَرُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ، وَعَلَامَاتٍ يُهْتَدَى بِهَا، فَمَنْ تَأَوَّلَ فِيهَا بَغَيْرِ ذَلِكَ أَخْطَأَ، وَأَضَاعَ نَصِيْبَهُ، وَتَكَلَّفَ مَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ.

أمره وقيل إن الاستواء على العرش صفة الله تعالى بلا كيف منزهاً عن الاستقرار والتمكن والعرشُ الجسم المحيط بسائر الأجسام سمي به لارتفاعه أو للتشبيه بسرير الملك فإن الأمور والتدابير تنزل منه فذلك قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: 54].

وأخرج إسحاق بن راهويه في مسنده والبخاري وأبو الشيخ في العظمة وابن مردويه والبيهقي عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام وغلظ كل سماء مسيرة خمسمائة عام وما بين السماء إلى التي يليها مسيرة خمسمائة عام كذلك إلى السماء السابعة والأرض مثل ذلك وما بين السماء السابعة إلى العرش مثل جميع ذلك فسبحان الله رب العرش العظيم».

3 - باب: فِي النُّجُومِ

(باب) بالتنوين (فِي النُّجُومِ) وَقَالَ قَتَادَةُ: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾ أي: في تفسير هذا النظم الكريم.

(خَلَقَ هَذِهِ النُّجُومَ لِثَلَاثٍ: جَعَلَهَا زِينَةً لِلسَّمَاءِ، وَرُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ، وَعَلَامَاتٍ يُهْتَدَى بِهَا، فَمَنْ تَأَوَّلَ فِيهَا بَغَيْرِ ذَلِكَ أَخْطَأَ، وَأَضَاعَ نَصِيْبَهُ، وَتَكَلَّفَ مَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ) أما جعلها زينة للسماء فقد قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا﴾ أي: أقرب السموات إلى الأرض ﴿بِمَصَابِيحَ﴾ بكواكب مضيئة بالليل إضاءة السرج فيها ولا يمنع ذلك كون بعض الكواكب مركوزة في سموات فوقها إذ التزيين بإظهارها ما عليها والتنكير للتعظيم.

وأما جعلها رجوماً للشياطين فقد قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾ أي: وجعلناها لها.

فائدة:

أخرى هي رجم أعدائكم بانقضاض الشهب المسببة عنها ويقال معناه وجعلناها رجوماً وظنوناً لشياطين الإنس وهم المنجمون والرجوم جمع رجم بالفتح وهو مصدر سُمي به ما يرمم به وأما كونها علامات فقد قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل : 16] أي: بالليل في البراري والبحار. والمراد بالنجم الجنس ويدل عليه قراءة وبالنجم بضميتين وضمة وسكون على الجمع.

وقيل: الثريا والفرقدان وبنات نعش والجدي ولعل الضمير لقريش لأنهم كانوا كثيري الأسفار للتجارة مشهورين بالاهتداء في مسائرهم بالنجوم وإخراج الكلام عن الخطاب وتقديم النجم وإقحام الضمير للتخصيص كأنه قيل وبالنجم خصوصاً هؤلاء خصوصاً يهتدون فالاعتبار بذلك والشكر عليه ألزم لهم وأوجب عليهم.

هذا التعليق وصله عبد بن حميد في تفسيره عن يونس عن سُفْيَانَ عنه وزاد في آخره وأن ناساً جهلة بأمر الله قد أحدثوا في هذه النجوم كهانة من غرس بنجم كذا كان كذا ومن سافر بنجم كذا كان كذا ولعمري ما من النجوم نجم إلا ويولد به الطويل والقصير والأحمر والأبيض والحسن والدميم وما علم هذه النجوم وهذه الدابة وهذا الطائر بشيء من هذا الغيب، انتهى.

وبهذه الزيادة يظهر مناسبة إيراد المصنف ما أورده في تفسير الأشياء التي ذكرها في القرآن وإن كان ذكر بعضها وقع استطراداً والله تعالى أعلم. قال الداوودي: قول قتادة في النجوم حسن إلا قوله أخطأ وأضاع نصيبه فإنه قصر في ذلك بل قائل ذلك كافر. انتهى.

وقال الحافظ العسقلاني: ولم يتعين الكفر في حق من قال ذلك وإنما يكفر نسب الاختراع إلى النجوم وأما من جعلها علامة على حدوث أمر في الأرض فلا وقد تقدم تقرير ذلك وتفصيله في الكلام على حديث زيد بن خالد فيمن قال مطرنا بنوء كذا في باب الاستسقاء وفي كتاب الأنوار لأبي حنيفة المنكر في الذم من النجوم نسبة الأمر إلى الكواكب وأنها هي المؤثرة وأما في نسب التأثير إلى

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿هَشِيمًا﴾ [الكهف: 45]: مُتَغَيِّرًا، وَالْأَبُّ مَا يَأْكُلُ الْأَنْعَامُ.

خالقها وزعم أنه نصبها أعلامًا وصيَّرها آثارًا لما يحدثه فلا جناح عليه وفي ذم النجوم للخطيب البغدادي من حديث إِسْمَاعِيل بن عياش عن البحتري بن عبيد عَنْ أَبِيهِ عن أبي ذر عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مرفوعًا لا تسألوا عن النجوم ومن حديث عُبَيْدِ اللَّهِ بن مُوسَى عن الربيع بن حبيب عن نوفل بن عبد الملك عَنْ أَبِيهِ عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نهاني رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عن النظر في النجوم وعن أَبِي هُرَيْرَةَ وابن مسعود وعائشة وابن عباس رضي الله عنهم نحوه وعن الحسن أن قيسر سأل قس بن ساعدة الأيادي هل نظرت في النجوم؟ قَالَ: نعم نظرت فيما يراد به الهداية ولم أنظر فيما يراد به الكهانة.

فائدة: ذكر ابن دحية في التنوير من طريق أبي عثمان النهدي عن سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ النجوم كلها معلقة كالقناديل من السماء الدنيا كتعليق القناديل في المساجد يعني ليست مركوزة في ثحنها كما زعم الفلاسفة والله تعالى أعلم.

(وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿هَشِيمًا﴾: مُتَغَيِّرًا) أشار بهذا إلى قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ﴾ [الكهف: 45] قَالَ الْحَافِظُ الْعَسْقَلَانِيُّ لم أره عن ابن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا من طريق موصولة لكن ذكره إِسْمَاعِيل بن أبي زياد في تفسيره عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَقَالَ أَبُو عبيدة قوله هَشِيمًا أي: يابسًا متفتتًا وتذروه الرياح أي: تفرقه هذا وقد جرت عادة الْبُخَارِيِّ أنه إذا ذكر آية أو حديثًا في الترجمة ونحو ما يذكر أَيْضًا بالتبعية على سبيل الاستطراد بالراد في ملاسة بها كثيرًا للفائدة.

(وَالْأَبُّ مَا يَأْكُلُ الْأَنْعَامُ) أشار بهذا إلى ما في قوله تعالى: ﴿وَنَكِهَةً وَأَنَا﴾ [عبس: 31] هو تفسير ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَيْضًا وصله ابن أبي حاتم من طريق عاصم بن كليب عَنْ أَبِيهِ عنه قَالَ الْأَبُّ: ما أنبت الأرض مما تأكله الدواب ولا تأكله الناس ومن طريق آخر قَالَ الْأَبُّ: الحشيش ومن طريق عطاء والضحاك الْأَبُّ كل شيء ينبت على وجه الأرض زاد الضحاك إلا الفاكهة.

وروى ابن جرير من طريق إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ أن أبا بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

الْأَنَامُ: الْخَلْقُ، ﴿بَرْزُخٌ﴾ [المؤمنون: 100]: حَاجِبٌ

سئل عن الأب فَقَالَ: أَيَّ سماء تظلني وأَيَّ أرض تقلني إذا قلت في كتاب الله بغير علم وهذا منقطع وعن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ عَرَفْنَا الْفَاكِهَةَ فَمَا الْأَبُ؟ ثُمَّ قَالَ إِنَّ هَذَا لَهُوَ التَّكْلِفُ⁽¹⁾ وَهُوَ صَحِيحٌ عَنْهُ أَخْرَجَهُ عَبْدُ بْنُ حَمِيدٍ مِنْ طَرِيقٍ صَحِيحَةٍ عَنْ أَنَسٍ عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَسَيَأْتِي بَيَانُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ الْإِعْتَصَامِ.

و(الْأَنَامُ: الْخَلْقُ) أشار بهذا إلى ما في قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ وَصَعَهَا﴾ أَي: خَفَضَهَا مَدْحُوَةً ﴿لِلْأَنَامِ﴾ [الرحمن: 10] وفسر الأنام بقوله الخلق وهو تفسير ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا⁽²⁾ أَيْضًا رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ مِنْ طَرِيقٍ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ عَنْهُ فِي الْآيَةِ الْمَذْكُورَةِ وَالْمُرَادُ بِالْخَلْقِ الْمَخْلُوقُ وَرَوَى مِنْ طَرِيقٍ سَمَّاكَ عَنْ عِكْرَمَةَ عَنْهُ قَالَ الْأَنَامُ النَّاسُ وَمِنْ طَرِيقٍ الْحَسَنُ قَالَ الْجَنُّ وَالْإِنْسُ وَعَنْ الشَّعْبِيِّ هُوَ كُلُّ ذِي رُوحٍ.

(﴿بَرْزُخٌ﴾: حَاجِبٌ) بِالْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ فِي قَوْلِ الْأَكْثَرِينَ.

وفي رواية المستملية والكشميهني: حَاجِزٌ بِالزَّايِ مَوْضِعُ الْبَاءِ مِنْ حِجْزٍ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ إِذَا حَالَ بَيْنَهُمَا وَهَذَا إِشَارَةٌ إِلَى مَا فِي قَوْلِهِ: ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزُخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾ [الرحمن: 20] فَسَرَهُ بِقَوْلِهِ حَاجِبٌ وَهَذَا أَيْضًا تَفْسِيرُ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾ [الرحمن: 19] أَرْسَلَهُمَا مِنْ مَرَجَتِ الدَّابَّةُ إِذَا أَرْسَلَتْهَا وَالْمَعْنَى أَرْسَلَ الْبَحْرَ الْمِلْحَ وَالْبَحْرَ الْعَذْبَ يَلْتَقِيَانِ يَتَجَاوِرَانِ وَيَتَمَاسُ سَطَوَحُهُمَا قَلِيلٌ كَدَجَلَةٍ تَدْخُلُ الْبَحْرَ فَتَشْقَهُ فَتَجْرِي فِي خِلَالِ فِرَاسِخٍ لَا يَتَغَيَّرُ طَعْمُهَا أَوْ بَحْرِي فَارِسٍ وَالرُّومُ يَلْتَقِيَانِ فِي الْمَحِيطِ لِأَنَّهُمَا خَلِيجَانِ يَتَشَعْبَانِ مِنْ بَيْنَهُمَا بَرْزُخٌ حَاجِزٌ مِنْ قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى أَوْ مِنَ الْأَرْضِ لَا يَبْغِيَانِ لَا يَبْغِي أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ بِالْمَمَازَجَةِ وَإِبْطَالِ الْخَاصِيَةِ أَوْ لَا يَتَجَاوِزَانِ حَدِيَهُمَا بِإِغْرَاقٍ مَا بَيْنَهُمَا.

(1) وما عليك يا ابن أم عمر أن لا تدري ما الأب؟ ثم قال: اتبعوا ما تبين لكم من هذا الكتاب وما لا فدعوه به فإن قلت فهذا أثبت النهي عن تتبع معاني القرآن والبحث عن مشكلاته. قلت لم يذهب إلى ذلك ولكن كان القوم أكبر همتهم عاكفة على العمل وكان التشاغل بشيء من العلم لا يعمل به تكلفا عندهم فأراد أن الآية مسوقة في الامتنان على الإنسان بطعامه واستدعاء شكره وقد علم من فحوى الآية أن الأب بعض ما أنبت للإنسان متاعا له ولأنعامه فعليك بما هو أهم من النهوض بالشكر على ما تبين لك ولا تشاغل عنه بطلب معنى الآية، كذا في الكشف.

(2) وصله ابن أبي حاتم من الوجه المذكور.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿أَلْفَاً﴾ [النبا: 16]: مُلْتَفَّةٌ، وَالْغُلْبُ: الْمُلْتَفَّةُ ﴿فِرَاشًا﴾ [البقرة: 22]: مِهَادًا: كَقَوْلِهِ ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ [البقرة: 36]، ﴿نَكِدًا﴾ [الأعراف: 58]: قَلِيلًا.

(وَقَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿أَلْفَاً﴾: مُلْتَفَّةٌ، وَالْغُلْبُ: الْمُلْتَفَّةُ) أشار بهذا إلى ما روي عن مجاهد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَنَّتِ الْأَفَاً﴾ [النبا: 16] أي: ملتفة وصله عبد بن حميد من طريق ابن أبي نجيع قَالَ وَجَنَاتُ الْأَفَاً قَالَ مُلْتَفَةٌ أَيْ: مُلْتَفَةٌ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ وَأَلْفَاً جَمْعُ لَفٍ وَقِيلَ جَمْعُ لَفِيفٍ وَعَنِ الْكَسَائِي أَنَّهُ جَمْعُ الْجَمْعِ⁽¹⁾ وَقَالَ الطَّبْرِيُّ: وَاخْتَلَفَ أَهْلُ اللُّغَةِ فِي وَاحِدِ الْأَلْفَاً فَيُقَالُ بَعْضُ نَحَاةِ الْبَصْرِ: لَفٌ، وَقَالَ بَعْضُ نَحَاةِ الْكُوفَةِ: لَفٌ وَلَفِيفٌ.

وعن الطَّبْرِيِّ: اللَّفُّ جَمْعُ لَفِيفَةٍ وَهِيَ الْغَلِيظَةُ وَلَيْسَ الْإِلْتِفَافُ مِنَ الْغَلْظِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ يُرَادَ أَنَّهُ غَلْظٌ بِالْإِلْتِفَافِ وَقَوْلُهُ: وَالْغُلْبُ الْمُلْتَفَةُ إِنْشَاءٌ إِلَى مَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَحَدَّائِقُ غُلْبًا﴾ [عبس: 30] أَخْرَجَهُ عَبْدُ بْنُ حَمِيدٍ مِنْ طَرِيقِ ابْنِ أَبِي نَجِيْعٍ أَيْضًا عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ وَحَدَّائِقُ غُلْبًا أَيْ: مُلْتَفَةٌ.

وروى ابن أبي حاتم من طريق عاصم بن كليب عَنْ أَبِيهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا الْحَدَائِقُ مَا التَفَتْ وَالْغُلْبُ مَا غَلِظَ وَمِنْ طَرِيقِ عِكْرَمَةَ عَنِ الْغُلْبِ شَجَرٌ بِالْجَبَلِ لَا يَحْمِلُ يَسْتَظِلُّ بِهِ.

وقيل: هي جمع غلباء وهي الغليظة الطويلة من الشجر وصف به الحدائق لتكاثرها وكثرة أشجارها أو لأنها ذات أشجار غلاظ.

(﴿فِرَاشًا﴾: مِهَادًا: كَقَوْلِهِ ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾) أشار بهذا إلى ما في قوله: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾ وفسره بقوله: ﴿مِهَادًا﴾ وبه فسرهُ قَتَادَةُ وَالرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ وصله الطَّبْرِيُّ عَنْهُمَا وَقَوْلُهُ كَقَوْلِهِ: ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ أَيْ: كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ مَوْقِعٌ قَرَارٌ وَهُوَ بِمَعْنَى الْمِهَادِ. ﴿نَكِدًا﴾: قَلِيلًا) أشار بهذا إلى ما في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي خَبَثَ لَا يُخْرِجُ إِلَّا نَكِدًا﴾ [الأعراف: 58] وصله الطَّبْرِيُّ مِنْ طَرِيقِ السَّيِّدِ قَالَ لَا يُخْرِجُ إِلَّا نَكِدًا

(1) قيل إنه جمع لُفٍّ جمع لفاء كخضراء وخُضِرَ وأخضر.

(2) أي: لا يخرج إلا نكدًا قليلًا عديم النفع، ونصب نكدًا على الحال، وتقدير الكلام والذي خبث لا يخرج نباته إلا نكدًا فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه فصار مرفوعًا مستترًا.

4 - بَابُ صِفَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ بِحُسْبَانٍ

﴿بِحُسْبَانٍ﴾ قَالَ مُجَاهِدٌ: «كَحُسْبَانِ الرَّحَى» وَقَالَ غَيْرُهُ: بِحِسَابٍ وَمَنَازِلَ لَا يَغْدُوَانِهَا، «حُسْبَانٌ: جَمَاعَةُ حِسَابٍ⁽¹⁾، مِثْلُ شَهَابٍ وَشُهْبَانٍ»

قَالَ: النكد الشيء القليل الذي لا ينفع وأخرج ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ هذا مثل ضرب للكافر كالبلد السبخة المالحة التي لا تخرج منها البركة.

4 - بَابُ صِفَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ بِحُسْبَانٍ

(بَابُ صِفَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ بِحُسْبَانٍ قَالَ مُجَاهِدٌ: كَحُسْبَانِ الرَّحَى) وصله الفريابي في تفسيره من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد ومراده أنهما يجريان بحساب معلوم كجري الرحي يعني على حساب الحركة الرحوية الدورية وعلى وضعها.

(وَقَالَ غَيْرُهُ) أي: غير مجاهد في تفسير الآية المذكورة.

(بِحِسَابٍ وَمَنَازِلَ لَا يَغْدُوَانِهَا) أي: لا يتجاوزان المنازل وصله عبد بن حميد من طريق أبي مالك وهو الغفاري وروى الطَّبْرِيُّ والحري عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا نحوه بإسناد صحيح ومعناه يجريان بحساب معلوم مقدّر في بروجهما ومنازلهما ويتسق أي: ينتظم بذلك أمور الكائنات السفلية وتختلف الفصول الأربعة والأوقات وتعلم السنون والحساب.

(حُسْبَانٌ: جَمَاعَةُ حِسَابٍ مِثْلُ شَهَابٍ وَشُهْبَانٍ) يعني: أن حسان جمع حساب كشهبان جمع شهاب وهذا قول أبي عبيدة في المجاز.

وَقَالَ الإِسْمَاعِيلِيُّ: من جعله من الحساب احتمل الجمع واحتمل المصدر تقول حسبْتُ حسبًا وحسابًا يعني الحسان قد يكون مصدرًا مثل الغفران والكفران والرجحان والنقصان وقد يكون جمع الحساب مثل الشهبان والركبان

(1) قال الحافظ: يعني أن حسان جماعة الحساب كشهبان جمع شهاب، وهذا قول أبي عبيدة في المجاز، وقال الإسماعيلي من جعله من الحساب احتمل الجمع واحتمل المصدر، اهـ.
قال العيني: الحسان قد يكون مصدرًا مثل الغفران والنقصان وغيرهما وقد يكون جمع الحساب مثل الشهبان والركبان وغيرهما، اهـ.

﴿مُحَنَّا﴾ [النازعات: 29]: «ضَوْوُهَا»، ﴿أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾ [يس: 40] «لَا يَسْتُرُ ضَوْءُ أَحَدِهِمَا ضَوْءَ الْآخَرِ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُمَا ذَلِكَ» ﴿سَابِقُ النَّهَارِ﴾ [يس: 40]: «يَتَطَلَّبَانِ، حَيْثَانِ»،

والقضبان والرهبان وهو في الحساب بالفتح في الماضي ومن الظن بالكسر فيه.
 ﴿مُحَنَّا﴾: ضَوْوُهَا) أشار بهذا إلى قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ وَحُحَهَا﴾ (1)
 [الشمس: 1] وفسر الضحى بالضوء وصله عبد بن حميد من طريق بن أبي نجيح عن مجاهد قَالَ: ﴿وَالشَّمْسُ وَحُحَهَا﴾ (1) قَالَ: ضَوْوُهَا.
 وَقَالَ الإسماعيلي: يريد أن الضحى يقع في صدر النهار وعنده تشتد إضاءة الشمس.

وروى ابن أبي حاتم من طريق قتادة والضحاك قَالَ: ضحاها النهار.
 وفي تفسير النسفي: والشمس وضحاها إذا أشرقت وقام سلطانها ولذلك قيل وقت الضحى وكان وجهه شمس الضحى وقيل: الضحوة ارتفاع النهار والضحى فوق ذلك والضحاء بالفتح والمد إذا امتد النهار وكاد ينتصف.
 ﴿أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾ لَا يَسْتُرُ ضَوْءُ أَحَدِهِمَا ضَوْءَ الْآخَرِ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُمَا ذَلِكَ) أشار بهذا إلى قوله تعالى: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا آيِلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾ [يس: 40] وصله الفريابي في تفسيره من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد بتمامه قَالَ الضحاك معناه لا يزول الليل من قبل مجيء النهار وَقَالَ الداودي أي: لا يأتي الليل في غير وقته.

وقوله: ﴿سَابِقُ النَّهَارِ﴾: يَتَطَلَّبَانِ، حَيْثَانِ) أي: سريعين وَقَالَ تعالى: ﴿يَطْلُبُهُ حَيْثُ﴾ [الأعراف: 54] أي: سريعا إشارة إلى تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا آيِلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾ قَالَ تعالى: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا﴾ أي: يفتح لها ويتسهل أن تدرك القمر في سرعة سيره فإن ذلك يخل بتكون النبات وتعيش الحيوان أو في آثاره ومنافعه أو مكانه بالنزول إلى محله أو سلطانه فتطمس نوره وإيلاء حرف النفي الشمس للدلالة على أنها مسخرة لا يتيسر لها إلا ما أريد بها ولا الليل سابق النهار يسبقه فيفوته ولكن يعاقبه أي: لا يدرك سواد الليل ضوء النهار فيغلبه على ضوءه.

﴿سَلَخُ﴾ [يس: 37]: «تُخْرِجُ أَحَدَهُمَا مِنَ الْآخِرِ وَتُجْرِي كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا»،

فالمراد من السبق هنا: الغلبة والمعنى أنهما لا يزالان يتعاقبان ولا يجتمعان إلا عند إبطال الله تعالى هذا التأليف وتطلع الشمس في مغربها ويجمع معها القمر وذلك من أشراط الساعة وقيل المراد بهما آيتاهما وهما النيران وبالسبق سبق القمر إلى سلطان الشمس فيكون عكسا للأول وتبديل الإدراك بالسبق لأنه الملائم لسرعة سيره وكل أي وكلهم والتنوين عوض عن المضاف إليه والضمير للشمس والأقمار فإن اختلاف الأحوال يوجب تعددًا ما في الذات أو إلى الكواكب فإن ذكرهما مشعر بها في فلك يسبحون يسيرون فيه بانسباط أي: كل واحد في فلكه يسير ويدور بالانسباط لا زاحم له كمن يسبح في البحر قبل الأفلاك كثيرة مختلفة في السير يقطع الشمس فلكها كل سنة مرة والقمر يقطع في ثمانية وعشرين يومًا مرة.

وقيل: الفلك واحد وجريهما مختلف وهو خلاف الظاهر والله تعالى أعلم.
(﴿سَلَخُ﴾: يُخْرِجُ أَحَدَهُمَا مِنَ الْآخِرِ وَتُجْرِي كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا) وصله الفريابي من طريق ابن أبي نجيع أيضًا بلفظ يخرج أحدهما من الآخر ويجري كل واحد منهما وهو إشارة إلى تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَيَّاهُ لَّهُمْ آيَاتٌ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ﴾ [يس: 37] أي: نزله ونكشف عن مكانه ﴿فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾ أي: داخلون في الظلام.

والسلخ: الإخراج يقال: سلخت الشاة من الإهاب والشاة مسلوخة والمعنى أخرجنا النهار من الليل إخراجًا لم يبق معه شيء فاستعير السلخ لإزالة الضوء وكشفه عن مكان الليل وملقى ظله.

وقوله: نخرج أحدهما من الآخر ونجري كل واحد منهما بالنون على باقي رواية ولما كان السلخ إخراج النهار من الليل وبالعكس أيضًا.
عمم البخاري فقال بلفظ: أحدهما من الآخر.

وإعراب الآية الكريمة أن الليل مبتدأ ونسلخ منه النهار خبره والعجالة خبر آية أو قوله: ﴿سَلَخُ﴾ صفة الليل إذ لم يرد به معين والليل الخبر أو المبتدأ والآية خبره أو قوله: ﴿سَلَخُ﴾ استئناف لبيان كون الليل آية، والله تعالى أعلم.

﴿وَاهِيَةً﴾ [الحاقة: 16]: «وَهِيَهَا تَشْقُقُهَا»⁽¹⁾، ﴿أَرْجَائِهَا﴾ [الحاقة: 17]: «مَا لَمْ يَنْشَقَّ مِنْهَا، فَهُمْ عَلَى حَافَتَيْهَا، كَقَوْلِكَ: عَلَى أَرْجَاءِ الْبَيْتِ».

﴿وَاهِيَةً﴾: وَهِيَهَا تَشْقُقُهَا) أشار بهذا إلى قوله تعالى: ﴿وَأَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ [الحاقة: 16] وفسر الوهي بالتشقيق وهذا قول الفراء وروى الطَّبْرِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَاهِيَةً مَتَمَزَّةٌ ضَعِيفَةٌ وَقِيلَ ضَعِيفَةٌ مُسْتَرَحِيَةٌ.

﴿أَرْجَائِهَا﴾ مَا لَمْ يَنْشَقَّ مِنْهَا، فَهُمْ عَلَى حَافَتَيْهَا، كَقَوْلِكَ: عَلَى أَرْجَاءِ الْبَيْتِ) أشار بهذا إلى قوله تعالى: ﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا﴾ [الحاقة: 17] وفسر الأرجاء بقوله ما لم ينشق منها ثم نوره بقوله فهم على حافتيها إشارة إلى أن الأرجاء جمع الرجا مقصوراً وهو بمعنى الحافة والرجوان حافتا البيت.

ووقع في رواية غير الكشميهني: فهو على حافتيها وكأنه أفرد الضمير باعتبار لفظ الملك وجمع باعتبار الجنس.

وروى عبد بن حميد عن قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا﴾ أَي: عَلَى حَافَاتِ السَّمَاءِ.

وروى الطَّبْرِيُّ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيْبِ مِثْلَهُ وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَلَى حَافَاتِ الدُّنْيَا وَصَوَّبَ الْأَوَّلَ وَأَخْرَجَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ وَالْمَلِكُ عَلَى

(1) وقال العيني: قوله وهىها تشققها أشار بهذا إلى قوله تعالى: ﴿وَأَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ [الحاقة: 16] وفسر الوهي بالتشقيق هذا قول الفراء، وروى الطبري عن ابن عباس رضي الله عنهما واهية متمزقة ضعيفة، وقوله: ﴿أَرْجَائِهَا﴾ إلخ أشار بهذا إلى قوله تعالى: ﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا﴾ أَي: عَلَى حَافَاتِ السَّمَاءِ، وعن سعيد بن المسيب مثله، وعن سعيد بن جبير على حافات الدنيا، قال الحافظ: وصوب الأول، وعن ابن عباس: قال الملك على حافات السماء حين تنشق، اهـ.

قال الرازي في تفسيره: المعنى أن السماء إذا انشقت عدلت الملائكة عن مواضع الشق إلى جوانب السماء، فإن قيل الملائكة يموتون في الصفحة الأولى، فالجواب من وجهين: الأول: أنهم يقفون لحظة على أرجاء السماء، ثم يموتون في الصعقة الأولى.

الثاني: أن المراد الذين استثناهم الله في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ [الأعراف: 188]، اهـ. وفي الجمل قوله: ﴿عَلَى أَرْجَائِهَا﴾ أَي: واقفون على أطرافها التي لم تسقط لخراب مساكنهم منها بالتشقق والانفطار، ووقوفهم هنالك لينتظروا أمر الله لهم لينزلوا فيحيطوا بالأرض ومن عليها، اهـ.

﴿وَأَغْطَشَ﴾ [النازعات: 29] وَ﴿جَنَّ﴾ [الأنعام: 76]: «أَظْلَمَ» وَقَالَ الْحَسَنُ: ﴿كُورَتْ﴾ [التكوير: 1]: «تُكَوِّرُ حَتَّى يَذْهَبَ ضَوْوُهَا»،

حافات السماء حين تشقق قَالَ القاضي: ولعله تمثيل لخراب السماء بخراب البنيان وانضواء أهلها إلى أطرافها وحواليها وإن كان على ظاهره فلعل هلاك الملائكة أثر ذلك، انتهى.

قوله: ولعله تمثيل إلى آخره جواب عما عسى أن يقال الملائكة يموتون عند النفخة الأولى لقوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَبَقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ فِي يَوْمٍ يُنْظَرُونَ﴾ [الزمر: 68] فكيف يكون الملك على أرجائها يعني أنه ليس على الحقيقة فلا مخالفة وقوله وإن كان على ظاهره يريد أن وقوفهم لحظة على أرجائها وموتهم بعدها لا ينافي التعقيب المدلول عليه بالفاء.

(﴿وَأَغْطَشَ﴾ وَ﴿جَنَّ﴾: أَظْلَمَ) أشار بقوله أغطش إلى قوله تعالى: ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا﴾ [النازعات: 29] وبقوله: وَ﴿جَنَّ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ أَيْلٌ﴾ [الأنعام: 76] وفسرهما بقوله أظلم فالأول: تفسير قَتَادَةَ أَخْرَجَهُ عَبْدُ بْنُ حَمِيدٍ مِنْ طَرِيقِهِ قَالَ قَوْلُهُ أَغْطَشَ لَيْلَهَا أَيُّ: أَظْلَمَ لَيْلَهَا وَقَدْ تَوَقَّفَ فِيهِ الْإِسْمَاعِيلِيُّ فَقَالَ مَعْنَى أَغْطَشَ لَيْلَهَا جَعَلَهُ مَظْلَمًا وَأَمَّا أَغْطَشَ الْغَيْرَ الْمَتَعَدِي فَهُوَ صَحِيحٌ وَلَكِنْ الْمَعْرُوفُ أَظْلَمَ الْوَقْتُ جَاءَتْ ظِلْمَتُهُ وَأَظْلَمْنَا وَقَعْنَا فِي ظِلْمَةٍ وَقَالَ الْحَافِظُ الْعَسْقَلَانِيُّ لَمْ يَرِدِ الْبُخَارِيُّ الْقَاصِرُ لِأَنَّهُ فِي نَفْسِ الْآيَةِ مُتَعَدٍ وَإِنَّمَا أَرَادَ تَفْسِيرَ قَوْلِهِ: ﴿وَأَغْطَشَ﴾ فَقَطْ هَذَا وَفِيهِ نَظَرٌ وَأَمَّا الثَّانِي: فَهُوَ تَفْسِيرُ أَبِي عُبَيْدَةَ قَالَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ أَيْلٌ﴾ أَيُّ: غَطَى عَلَيْهِ وَأَظْلَمَ قَوْلُهُ: (وَقَالَ الْحَسَنُ) هُوَ الْبَصْرِيُّ: (﴿كُورَتْ﴾): «تُكَوِّرُ حَتَّى يَذْهَبَ ضَوْوُهَا» أَشَارَ بِهَذَا إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير: 1].

قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: مَعْنَى كُورَتْ تُكَوِّرُ حَتَّى يَذْهَبَ ضَوْوُهَا وَصَلَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ مِنْ طَرِيقِ أَبِي رَجَاءٍ عَنْهُ وَكَأَنَّ هَذَا كَانَ يَقُولُهُ قَبْلَ أَنْ يَسْمَعَ حَدِيثَ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْآتِي ذَكَرَهُ فِي هَذَا الْبَابِ وَإِلَّا فَمَعْنَى التَّكْوِيرِ اللَّفُّ تَقُولُ كُورَتْ الْعِمَامَةُ تَكْوِيرًا إِذَا لَفَفْتَهَا وَالتَّكْوِيرُ أَيْضًا الْجَمْعُ تَقُولُ كُورَتْ إِذَا

﴿وَأَلِيلَ وَمَا وَسَقَ﴾ [الانشقاق: 17]: «جَمَعَ مِنْ دَابَّةٍ»، ﴿أَسَقَ﴾ [الانشقاق: 18]: «اسْتَوَى»، ﴿بُرُوجًا﴾ [الحجر: 16]: «مَنَازِلَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ»،

جمعته وقد أخرج الطَّبْرِيُّ من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إذا الشمس كورت يقول أظلمت ومن طريق الربيع بن خثيم قَالَ: كورت أي: رمي بها ومن طريق أبي يَحْيَى عن مجاهد كورت قَالَ اضمحلت.

قَالَ الطَّبْرِيُّ: التكوير في الأصل الجمع وعلى هذا فالمراد أنها تلف ويرمى بها فيذهب ضوءها.

وَقَالَ القاضي: إذا الشمس كورت لفت من كورت العمامة إذا لففتها بمعنى رفعت لأن الثوب إذا أريد رفعه لُفَّ أو لف ضوءها فذهب انبساطه في الآفاق وزال أثره أو أُلْقِيَتْ عن فلکها من ظعنه فكوره إذا ألقاه مجتمعاً والتركيب للإدارة والجمع. انتهى.

﴿وَأَلِيلَ وَمَا وَسَقَ﴾ [١٧] جَمَعَ مِنْ دَابَّةٍ وصله عبد بن حميد من طريق مبارك ابن فضالة عن الحسن نحوه قَالَ القاضي: والليل وما وسق وما جمعه وستره من الدواب وغيرها.

﴿أَسَقَ﴾: استَوَى أشار به إلى قوله تعالى: ﴿وَالْقَمَرَ إِذَا اسْتَقَ﴾ [الانشقاق: 18] فسرهُ بقوله استوى وصله عبد بن حميد أيضاً من طريق منصور عنه وأصل اتسق أو تسق قلبت الواو تاء وأدغمت التاء في التاء قَالَ القاضي في تفسيره: اجتمع وتم بدرًا.

﴿بُرُوجًا﴾: مَنَازِلَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ أشار به إلى قوله تعالى: ﴿نَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾ [الفرقان: 61] وفسر البروج بمنازل الشمس والقمر وروى الطَّبْرِيُّ من طريق مجاهد قَالَ البروج الكواكب ومن طريق أبي صالح قَالَ هي النجوم الكبار وقيل هي قصور في السماء رواه عبد بن حميد من طريق يَحْيَى بن رافع ومن طريق قَتَادَةَ قَالَ: هي قصور على أبواب السماء فيها الحرس.

وعند أهل الهيئة البروج غير المنازل فالبروج اثنا عشر والمنازل ثمانية وعشرون فكل برج عبارة عن منزلتين وثلاث منها وبهذا يحصل الجواب عما قيل كيف فسر البروج بالمنازل والبروج اثنا عشر والمنازل ثمانية وعشرون أو المراد

﴿الْحُرُورُ﴾ [فاطر: 21]: «بِالنَّهَارِ مَعَ الشَّمْسِ». وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَرُؤْبَةُ: «الْحُرُورُ بِاللَّيْلِ، وَالسَّمُومُ بِالنَّهَارِ»

بالمنازل معناها اللغوي لا التي عليه أهل التنجيم.

وَقَالَ الْقَاضِي فِي تَفْسِيرِهِ: يَعْنِي الْبُرُوجُ الْإِثْنِي عَشَرَ سَمِيَتْ بِهِ وَهِيَ الْقُصُورُ الْعَالِيَةُ لِأَنَّهَا لِلْكَوَاكِبِ السَّيَّارَةِ كَالْمَنَازِلِ لِسَكَانِهَا وَاشْتِقَاقُهُ مِنَ التَّبَرُّجِ لظَهْرِهِ.

﴿الْحُرُورُ﴾: بِالنَّهَارِ مَعَ الشَّمْسِ أَشَارَ بِهَذَا إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا الظُّلُّ وَلَا الْحُرُورُ﴾ [فاطر: 21] وَفَسَّرَ الْحُرُورَ بِأَنَّهُ يَكُونُ بِالنَّهَارِ مَعَ الشَّمْسِ كَذَا رَوَى عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ.

وَقَالَ الْفَرَاءُ: الْحُرُورُ الْحَرُّ الدَّائِمُ لَيْلًا كَانَ أَوْ نَهَارًا وَالسَّمُومُ بِالنَّهَارِ خَاصَّةً. (وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَرُؤْبَةُ) بَضَمَ الرَّاءُ هُوَ ابْنُ الْعِجَاجِ وَاسْمُهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رُؤْبَةَ بْنِ لَبِيدٍ بْنُ صَخْرٍ بْنُ كَنْيَفٍ بْنُ عَمِيرَةَ بْنِ حَيٍّ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ بْنُ سَعْدِ التَّمِيمِيِّ السَّعْدِيِّ مِنْ سَعْدِ تَمِيمِ الْبَصْرِيِّ هُوَ وَأَبُوهُ رَاجِزَانِ مَشْهُورَانِ عَالِمَانِ بِاللُّغَةِ وَهُمَا مِنَ الطَّبَقَةِ التَّاسِعَةِ مِنْ رِجَالِ الْإِسْلَامِ.

﴿الْحُرُورُ بِاللَّيْلِ، وَالسَّمُومُ بِالنَّهَارِ﴾ قَالَ الْحَافِظُ الْعَسْقَلَانِيُّ: أَمَّا قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَلَمْ أَرَهُ مَوْصُولًا وَأَمَّا قَوْلُ رُؤْبَةَ فَذَكَرَهُ أَبُو عُبَيْدٍ عَنْهُ فِي الْمَجَازِ.

وَقَالَ السَّيِّدِي الْمَرَادُ بِالظِّلِّ وَالْحُرُورِ فِي الْآيَةِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْهُ.

وَقَالَ الْقَاضِي فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ [فاطر: 19] الْكَافِرُ وَالْمُؤْمِنُ وَقِيلَ هُمَا مِثْلَانِ لِلصَّنَمِ وَلِلَّهِ عِزٌّ وَجَلٌّ: ﴿وَلَا الظُّلُمْتُ وَلَا النُّورُ﴾ [الباطل ولا الحق] ﴿وَلَا الظُّلُّ وَلَا الْحُرُورُ﴾ [ولا الثواب ولا العقاب ولا لتأكيد نفي الاستواء وتكريرها على الشقين لمزيد التأكيد والحُرُورُ فَعُولٌ مِنَ الْحَرِّ غَلَبَ عَلَى السَّمُومِ وَقِيلَ السَّمُومُ مَا يَهْبُ نَهَارًا وَالْحُرُورُ مَا يَهْبُ لَيْلًا ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾ [فاطر: 22] تَمَثِيلٌ آخَرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ أَبْلَغَ مِنَ الْأَوَّلِ وَلِذَلِكَ كَرَّرَ الْفِعْلَ وَقِيلَ لِلْعُلَمَاءِ وَالْجُهَالِ.

يُقَالُ: ﴿يُولِجُ﴾ [الحج: 61]: «يُكَوِّرُ»، ﴿وَلِجَةً﴾ [التوبة: 16] «كُلُّ شَيْءٍ أَدْخَلْتُهُ فِي شَيْءٍ»⁽¹⁾.

(يُقَالُ: ﴿يُولِجُ﴾: يُكَوِّرُ) أشار به إلى قوله تعالى: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ [الحج: 61] وفسره بقوله: يكور.

قَالَ الْحَافِظُ الْعَسْقَلَانِيُّ: يكور كذا يعني بالراء في رواية أبي ذر ورأيت في رواية ابن شويه يكون بنون وهو الأشبه.

وتعقبه الْعَيْنِيُّ: بأن الأشبه بالراء لأن معنى يكور يلف النهار في الليل.

وَقَالَ أَبُو عبيدة: يولج أي: ينقص من الليل فيزيد في النهار وكذلك النهار.

وروى عبد بن حميد من طريق مجاهد قَالَ ما نقص من أحدهما دخل في الآخر يتقاصان ذلك في الساعات ومن طريق قَتَادَةَ نحوه قَالَ: يولج ليل الصيف في نهاره أي: يدخل ويدخل نهار الشتاء في ليله.

(﴿وَلِجَةً﴾ كُلُّ شَيْءٍ أَدْخَلْتُهُ فِي شَيْءٍ) أشار بهذا إلى لفظ وليجة المذكور في قوله تعالى: ﴿أَمَرَ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَةً﴾ [التوبة: 16] وقد فسر وليجة بقوله كل شيء أدخلته في شيء وهذا قول أبو عبيدة قَالَ في قوله: ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَةً﴾ كل شيء أدخلته في شيء ليس منه والمعنى لم يتخذوا أولياء ليسوا من المسلمين ومعنى الآية، والله تعالى أعلم.

﴿أَمَرَ حَسِبْتُمْ﴾ أيها المؤمنون فهو خطاب للمؤمنين حين كره بعضهم القتال وقيل للمنافقين وأم منقطعة ومعنى الهمة فيها التويخ على الحسابان ﴿أَنْ تُتْرَكُوا﴾ أي: يترككم الله مهملين لا يختبركم بأمور يظهر فيها أهل العزم والصدق من الكاذب ولهذا قَالَ تعالى: ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ﴾ [التوبة: 16] أي: ولم يتبين الخلف منكم وهم الذين جاهدوا من غيرهم نفى العلم وأراد به

(1) قال العيني: أشار بهذا إلى لفظ وليجة المذكور في قوله تعالى: ﴿أَمَرَ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَةً﴾ [التوبة: 16]، قال المفسرون: الوليجة الخيانة، وقيل الخديعة وقيل البطانة من غير المسلمين، وهو أن يتخذ الرجل من المسلمين دخیلاً من المشركين، يفشون إليهم أسرارهم، قال ابن قتيبة: كل شيء أدخلته في شيء ليس منه فإنه وليجة، انتهى مختصراً.

3199 - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لَا بِي ذَرٍّ حِينَ غَرَبَتِ الشَّمْسُ: «تَدْرِي أَيْنَ تَذْهَبُ؟»، قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّهَا تَذْهَبُ حَتَّى تَسْجُدَ تَحْتَ الْعَرْشِ،

نفي المعلوم للمبالغة فإن كان كالبر بان عليه من حيث إن تعلق العلم به مستلزم لوقوعه ﴿وَلَوْ يَتَخَذُوا﴾ عطف على جاهدوا داخل في الصلة ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ﴾ أي: بطانة ودخيلة يوالونهم ويفشون إليهم أسرارهم قيل البطانة من غير المسلمين وهو أن يتخذ الرجل من المسلمين دخيلاً من المشركين يفشي إليه أسرارهم.

وقيل: الوليعة الخيانة والخديعة.

وَقَالَ ابْنُ قَتَيْبَةَ: كُلُّ شَيْءٍ أَدْخَلْتَهُ فِي شَيْءٍ لَيْسَ مِنْهُ فَإِنَّهُ وَلِجَنَّةٍ وَمَا فِي لَمَّا مِنْ مَعْنَى التَّوَقُّعِ مِنْهُ عَلَى أَنْ تَبِينَ ذَلِكَ مَتَوَقَّعٌ ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: 16] يعلم غرضكم منه وهو كالمزيج لما يتوهم من ظاهر قوله ولما يعلم الله.

واعلم أن الألفاظ التي ذكرها في قوله قَالَ مجاهد إلى الحديث ليست بمذكورة في بعض النسخ، وفي بعض النسخ وجد بعد هذه الألفاظ وتفا سيرها.

(حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ) قَالَ: (حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ) أي: إِبْرَاهِيمَ بن يزيد من الزيادة بن شريك التَّيْمِيِّ الكوفي، (عَنْ أَبِيهِ) يزيد بن شريك بن طارق التَّيْمِيِّ الكوفي، (عَنْ أَبِي ذَرٍّ) جندب بن جنادة الغفاري وقد اختلف في اسمه واسم أبيه اختلافاً كثيراً أشهرها ذلك.

(قَالَ:) قَالَ رَسُولُ اللَّهِ وفي رواية: (قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لَا بِي ذَرٍّ حِينَ غَرَبَتِ الشَّمْسُ: «تَدْرِي أَيْنَ تَذْهَبُ؟» الغرض من هذا الاستفهام إعلانه بذلك.

(قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنَّهَا تَذْهَبُ حَتَّى تَسْجُدَ تَحْتَ الْعَرْشِ) فإن قيل المراد في سجودها إذ لا جبهة له والانقياد حاصل دائماً في الجواب أن الغرض تشبيهه بالساجد عند الغروب فإن قيل إنها ترى أنها تغيب في الأرض وقد أخبر الله تعالى أنها تغرب في عين حمئة أي: ذات حمأة من حمئت البئر إذا صارت ذات حمأة وهي ماء مخلوط بالطين فأين هي من العرش.

فَتَسْتَأْذِنُ فَيُؤْذِنُ لَهَا

فالجواب: أن الأرضين السبع في ضرب المثال كقطب رحي والعرش لعظم ذاته كالرحى فأينما سجدت الشمس تحت العرش وذلك مستقرها وفي العيون. روى أبو ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ ﷺ قَالَ: «إِنَّهَا تَغْرِبُ فِي عَيْنِ حَمْثَةٍ» أي: حارة⁽¹⁾ ولا تنافي بينهما لجواز أن تكون العين جامعة للوصفين.

وفي رواية: في عين الله الحامئة لولا بزغها من أمر الله لأحرقت الأرض من البزغ وهو الإغراب وقيل إنه مجاز إذ يمتنع غروبها في العين حقيقة لأنه أعظم من الدنيا خمسين مرة وقيل بمائة وعشرين مرة والقمر بثمانين وإنما ذلك في رأي العين كراكب البحر ولذا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَدَهَا تَقْرُبُ﴾ [الكهف: 86] ولم يقل كانت تغرب.

قَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ: أنكر قوم سجودها وهو صحيح ممكن وتأوله قوم على ما هي عليه من التسخير الدائم ولا مانع أن تخرج عن مجراها فتسجد ثم ترجع. وَقَالَ الْعَيْنِيُّ: هؤلاء قوم من الملاحدة أنكروا ما أخبر به النَّبِيُّ ﷺ وثبت عنه بوجه صحيح ولا مانع في قدرة الله تعالى أن يمكن كل شيء من الحيوان والجمادات أن تسجد له.

وَقَالَ الْحَافِظُ الْعَسْقَلَانِيُّ: إن أراد يعني ابن العربي بالخروج الوقوف فواضح وإلا فلا دليل على الخروج ويحتمل أن يكون المراد بالسجود من هو موكل بها من الملائكة أو تسجد بصورة الحال فيكون عبارة عن الزيادة في الانقياد والخضوع في ذلك الحين.

وتعقبه الْعَيْنِيُّ: بأن الاحتمال الأول غير ناشئ عن دليل فلا معتبر به وهو أيضًا مخالف لظاهر الحديث وعدول عن الحقيقة وقيل المراد من قوله تحت العرش أي: تحت القهر والسلطان وفيه أنه لماذا الهرب من ظاهر الكلام وحقيقته مع أن السموات والأرضين وغيرهما من العالم تحت العرش فإذا سجدت الشمس في أي موضع قدره الله عز وجل يصح أن يقال سجدت تحت العرش، والله تعالى أعلم.

(فَتَسْتَأْذِنُ فَيُؤْذِنُ لَهَا) واستئذناها هذا لأجل الطلوع من المشرق على عاداتها.

(1) وكذلك قرأ ابن عامر وحمزة والنسائي وأبو بكر.

وَيُوشِكُ أَنْ تَسْجُدَ، فَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا، وَتَسْتَأْذِنُ فَلَا يُؤْذَنُ لَهَا يُقَالُ لَهَا: ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَظْلُعُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا

(وَيُوشِكُ) بكسر الشين من أفعال المقاربة وهي على أنواع منها ما وضع للدلالة على قرب الشيء وهو ثلاثة كاد وكرب وأوشك كما عرف في موضعه فعلى هذا معنى ويوشك ويقرب (أَنْ تَسْجُدَ) وقد قرر في موضعه أن أفعال المقاربة ملازمة لصيغة الماضي إلا أربعة ألفاظ فاستعمل لها مضارع أيضًا منها أوشك. (فَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا) يعني لا يؤذن لها.

(وَتَسْتَأْذِنُ) أي: بالسير إلى مطلعها، (فَلَا يُؤْذَنُ لَهَا يُقَالُ لَهَا: ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَظْلُعُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَذَلِكَ) أي: تضمن قوله فإنها تذهب إلى آخره (قَوْلُهُ تَعَالَى) أي: مضمون قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ يعني إلى مستقر لها⁽¹⁾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لَا تَبْلُغُ مُسْتَقَرَّهَا حَتَّى تَرْجِعَ إِلَى مَنَازِلِهَا وَقَالَ قَتَادَةُ إِلَى وَقْتٍ وَأَجَلَ لَهَا لَا تَعْدُوهُ وَقِيلَ إِلَى انْتِهَاءِ أَمْرِهَا عِنْدَ انْقِضَاءِ الدُّنْيَا وَقِيلَ إِلَى أَبْعَدِ مَنَازِلِهَا فِي الْغُرُوبِ وَقِيلَ لِحَدِّهَا مِنْ مَسِيرِهَا كُلِّ يَوْمٍ فِي مَرَأَى عَيُونِنَا وَهُوَ الْمَغْرِبُ وَقِيلَ مُسْتَقَرَّهَا أَجْلُهَا الَّذِي أَقْرَأَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَمْرَهَا فِي جَرِيهَا فَاسْتَقَرَّتْ عَلَيْهِ وَهُوَ آخِرُ السَّنَةِ وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إِنَّهُ قَرَأَ لَا مُسْتَقَرَّ لَهَا أَي: لَا قَرَارَ وَلَا سَكُونَ فَإِنَّهَا مُتَحَرِّكَةٌ عَلَى ذَلِكَ الْجَرِيِّ دَائِمًا وَقُرِئَ أَيْضًا لَا مُسْتَقَرَّ بِالرَّفْعِ عَلَى أَنْ لَا بِمَعْنَى لَيْسَ وَقَالَ الْقَاضِي فِي تَفْسِيرِهِ لِمُسْتَقَرَّ لَهَا أَي: لِحَدِّ مَعِينٍ يَنْتَهِي إِلَيْهِ دَوْرُهَا فَشَبَّهَ بِمُسْتَقَرِّ الْمَسَافِرِ إِذَا قَطَعَ مَسِيرَهُ يَرِيدُ بِذَلِكَ أَنَّهَا تَقْطَعُ فَلِكُلِّهَا كُلِّ سَنَةٍ مَرَّةً فَعَلَى هَذَا يَكُونُ الْمُسْتَقَرُّ اسْمَ مَكَانٍ وَقَالَ أَيْضًا أَوْ لِكَبِدِ السَّمَاءِ (أَي: وَسَطُهَا) فَإِنْ حَرَكُهَا فِيهِ تَوَحَّدَ أَبْطَأَ بِحَيْثُ يَظُنُّ أَنَّ لَهَا وَقْفَةً. قَالَ: وَالشَّمْسُ تَجْرِي لَهَا فِي الْجَوِّ تَدْوِيمٌ فَعَلَى هَذَا أَيْضًا هُوَ اسْمُ مَكَانٍ أَوْ لَا اسْتِقْرَارَهَا عَلَى نَهْجٍ مُخْصُوصٍ وَعَلَى هَذَا يَكُونُ مُصَدَّرًا مِيمِيًّا.

وقال أيضًا: أو لمنتهى مقدر لكل يوم من المشارق والمغارب فإن لها في دورها ثلاثمائة وستين مشرقًا ومغربًا تطلع كل يوم من مطلع وتغرب في مغرب ثم

(1) فمستقرها على هذا الحديث تحت العرش أو الوقت الذي يستمر طلوعها من المشرق على عاداتها إليه.

ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٢٨﴾ [يس : 38].

لا تعود إليهما إلى العام القابل فعلى هذا هو اسم مكان أيضًا⁽¹⁾.
 ﴿ذَلِكَ﴾ أي : ذلك الجري على هذا التقدير المتضمن للحكم التي يكل
 الفطن عن إحصائها واستخراجها وتحرير الأفهام في استنباطها.
 ﴿تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ﴾ الغالب بقدرته على كل مقدور.

﴿الْعَلِيمِ﴾ المحيط علمه بكل معلوم فإن قيل ظاهر الحديث أنها هي التي
 تسير وتجري وَقَالَ أصحاب الهيئة إن الشمس مرصعة مركوزة في ثخن فلکها
 فذلك يقتضي أن الذي يسير هو الفلك فالجواب أنه لا اعتبار لقول أصحاب
 الهيئة عند مصادمته كلام الرسول ﷺ فإن كلام الرسول هو الحق بلا مرية
 وكلامهم حدس وتخمين وقد عرفت أنه لا مانع في قدرة الله تعالى أن تخرج
 الشمس من مجراها وتذهب إلى تحت العرش فتسجد ثم ترجع فإن قيل وقد قَالَ
 الله تعالى : ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس : 40] ، أي : يدورون.

فالجواب : أنه لا يستلزم ذلك أن تكون مركوزة في ثخنها ودورانها في
 فلکها لا يستلزم منع سجودها في أي موضع أَرَادَهُ الله تعالى وقد روى مسلم
 عن أبي ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى :
 ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ قَالَ مُسْتَقَرُّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ هَذَا فَلَا نُنْكِرُ أَنْ
 يَكُونَ لَهَا اسْتِقْرَارٌ تَحْتَ الْعَرْشِ مِنْ حَيْثُ لَا نَدْرِكُهُ وَلَا نَسْتَأْهِلُهُ وَإِنَّمَا أَخْبَرَنَا
 بِمَا هُوَ غَيْبٌ فَلَا نَكْذِبُهُ وَلَا نَكِيفُهُ إِذْ عَلِمْنَا لَا يَحِيطُ بِهِ وَاللهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

ومطابقة الحديث للترجمة من حيث إن المذكور فيه من جملة صفات
 الشمس التي تعرض لها وأما ما قاله الحافظ العسقلاني من أن الغرض منه بيان
 سير الشمس في كل يوم وليلة فقد تعقبه العيني بأن ذلك ليس بموجه وأنت خبير
 بأن كونه موجهًا أيضًا ظاهر.

والحديث قد أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي التفسير والتوحيد أيضًا وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي
 الإيمان وأبو داود في الحروف وَالتِّرْمِذِيُّ فِي الْفِتَنِ وَالتفسير وَالنسائي في
 التفسير.

(1) وقال أيضًا أو لمتقطع جريها عند خراب العالم فعلى هذا هو اسم مكان.

تتمة:

وفي حقائق الأزهار في شرح مشارق الأنوار في شرح قوله ﷺ من باب قبل طلوع الشمس من مغربها تاب الله عنه وكيفية طلوع الشمس من مغربها فهي ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إذا غربت الشمس رفع بها إلى السماء السابعة في سرعة طيران الملائكة ونحس تحت العرش فتستأذن من أين تؤمر بالطلوع أمن مغربها أم من مطلعها؟ فتكسى ضوءها ثم ينطلق بها ما بين السماء السابعة وبين أسفل درجات الجنان في سرعة طيران الملائكة فتتحدر من سماء إلى سماء فإذا وصلت إلى هذه السماء فذلك حين ما ينفجر الصبح ولا تزال كذلك حتى أتى الوقت فحينئذ تكثر المعاصي في الأرض ويذهب المعروف فلا يأمر به أحد وينتشر المنكر فلا ينهى عنه أحد فإذا فعلوا ذلك حبست الشمس مقدار ليلة تحت العرش كلما سجدت واستأذنت ربها من أين تطلع لم يجئ إليها جواب حتى يوافيها القمر فيسجد معها ويستأذن فلا يرجع إليه جواب حتى يحبس مقدار ثلاث ليال فلا يعرف مقدار طول تلك الليلة إلا المتهمجون في الأرض وهم يومئذ عصابة قليلة في كل بلدة من بلاد المسلمين في هوان من الناس وذلة من أنفسهم فينام أحدهم تلك الليلة قدر ما كان ينام قبلها من الليالي ثم يقوم فيتوضأ ويدخل مصلاه ويصلي ورده فلا يصبح قدر ما كان يصبح كل ليلة فينكر ذلك ويخرج وينظر إلى السماء فإذا هو بالليل مكانه فينكر ذلك ويظن فيها الظنون فيقول أخففت قراءتي وقصرت صلاتي أم قمت قبل حين ثم يقوم فيعود إلى مصلاه فيصلي نحو صلاته ثم ينظر فلا يرى الصبح فيخرج أيضًا فإذا هو بالليل مكانه فيزيده ذلك إنكارا ويخالطه الخوف ثم يقول لعلي قصرت صلاتي أم خففت قراءتي أم قمت في أول الليل ثم يعود وهو خائف لما يتوقع من هول تلك الليلة فيقوم فيصلي أيضًا مثل ورده كل ليلة قبل ذلك ثم ينظر فلا يرى الصبح فيشفق عند ذلك شفقة المؤمن العارف لما كان يحذر فيستخفه الخوف ثم ينادي بعضهم بعضًا «وهم كانوا قبل ذلك يتعارفون ويتواصلون فيجتمع المتهمجون من أهل كل بلدة في تلك الليلة في مسجد من مساجدهم ويجأرون

إلى الله تعالى بالبكاء والصراخ بقية تلك الليلة فإذا ما تم لها مقدار ثلاث ليال أرسل الله تعالى إليها جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ فيقول: إن الرب تبارك وتعالى يأمركما أن ترجعا إلى مغاربكما فتطلعا منه وأنه لا ضوء لكما ولا نور قَالَ فيبكيان عند ذلك وَجَلًّا من الله عز وجل وخوف يوم القيامة بكاء يسمعه أهل السموات ومن دونها وأهل سرادقات العرش ومن فوقها فيكون جميعًا لبكائهما من خوف الموت والقيامة فيرجع الشمس والقمر يطلعان من مغربهما قَالَ فينبما المتهجدون يبكون ويتضرعون إلى الله تعالى والغافلون في غفلاتهم فإذا نادى مناد ألا إن الشمس والقمر قد طلعا من المغرب فينظر الناس فإذا هم بهما أسودان لا ضوء للشمس ولا نور للقمر فذلك قوله تعالى: ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ [القيامة: 9] فيرتفعان كذلك مثل البعيرين تنازع كل واحد منهما صاحبه فيصرخ أهل الدنيا وتذهل الأمهات عن أولادها فتشتغل كل نفس بما أتاها فأما الصالحون والأبرار فإنه ينفعه بكاؤهم يومئذ ويكتب ذلك عبادة وأما الفاسقون والفجار فلا ينفعهم بكاؤهم ويكتب ذلك عليهم حسرة فإذا بلغ الشمس والقمر سرّة السماء وهي منتصفها جاءهما جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ فأخذ بقرونهما فردهما إلى المغرب فلا يغربهما من مغاربهما ولكن يغربهما من باب التوبة فَقَالَ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وما باب التوبة فَقَالَ يا عمر خلق الله بابًا للتوبة خلف المغرب له مصراعان من ذهب مكللان من الدر والجواهر ما بين المصراع إلى المصراع الأخير أربعون سنة للراكب المسرع فذلك الباب مفتوح منذ خلق تعالى خلقه إلى صبيحة تلك الليلة عند طلوع الشمس والقمر من مغاربهما ولم يتب عبد من عباد الله تعالى توبة نصوحًا منذ خلق الله تعالى آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى ذلك اليوم إلا ولجت تلك التوبة في ذلك الباب ثم ترتفع إلى الله تعالى فَقَالَ معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وما النصوح؟ قَالَ أن يندم المذنّب على الذنب الذي أصاب فيعذر إلى الله تعالى ثم لا يعود إليه قَالَ فيغربهما جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ من ذلك الباب ثم يرد المصراعين فإذا أغلق باب التوبة لم يقبل للعبد بعد ذلك توبة ثم يطلعان على الناس ويغربان كما كانا قبل ذلك يطلعان ويغربان وأما الناس فإنهم رأوا ما رأوا من فظاعة تلك الليلة

3200 - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ الْمُخْتَارِ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ الدَّانَاجُ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ مُكْوَرَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وعظمها فيلتحون على الدنيا حتى يجروا فيها الأنهار ويغرسوا فيها الأشجار وبينوا البنيان وأما الدنيا فلو نتج رجل مهرًا لم يركبه حتى تقوم الساعة من لدن طلوع من الشمس من مغربها إلى أن ينفخ في الصور.

(حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ) قَالَ: (حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ الْمُخْتَارِ) ضد المكره وقد مر في الصلاة قَالَ: (حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ) هو ابن فيروز (الدَّانَاجُ) بالدال المهملة وتخفيف النون وفي آخره جيم لقبه وهو معرب دانا بمعنى العالم وهو بصري تابعي صغير. (قَالَ: حَدَّثَنِي) بالافراد (أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ) ذكر البزار أنه لم يرو عن أبي سلمة بن عبد الرحمن غير هذا الحديث.

(عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ) أَنَّهُ (قَالَ: «الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ مُكْوَرَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»): أي: مطويان ذاهبًا الضوء وَقَالَ ابن الأثير أي: يلفان ويجمعان.

وفي رواية كعب الأحبار: يجاء بالشمس والقمر ثورين يكوران في النار يوم القيامة أي: يلفان ويلقيان في النار والرواية ثورين بالثاء المثلثة كأنهما يمسخان. وَقَالَ ابن الأثير: وقد روي بالنون وهو تصحيف وَقَالَ الطَّبْرِيُّ بإسناده عن عكرمة عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي تَكْذِيبِ كَعْبٍ فِي قَوْلِهِ هَذِهِ يَهُودِيَةٌ يَرِيدُ إِدْخَالَهَا فِي الْإِسْلَامِ اللَّهُ أَكْرَمُ وَأَجَلُ مِنْ أَنْ يَعْذِبَ عَلَى طَاعَتِهِ أَلَمْ تَر إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ﴾ [إبراهيم: 33] يعني دوامهما في طاعته فكيف يعذب عبيدين أثنى الله عليهما، انتهى.

قيل: قد روي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَنْسَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَيْضًا مِثْلَ مَا رَوَى عَنْ كَعْبٍ أَمَّا حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَدْ قَالَ الْخَطَّابِيُّ: وَرَوَى فِي هَذَا الْحَدِيثِ زِيَادَةً لَمْ يَذْكُرْهَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ وَهِيَ مَا حَدَّثَنَا ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ حَدَّثَنَا عَبَّاسٌ حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ الْمُخْتَارِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ الدَّانَاجِ شَهِدَتْ أَبَا سَلَمَةَ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ

3201 - حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سُلَيْمَانَ، حَدَّثَنِي ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عَمْرُو، أَنَّ

عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ
 ثوران يكوران في النار يوم القيامة» .

قَالَ الْحَسَنُ: وما ذنبهما قَالَ أَبُو سلمة: أنا أحدثك عن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وأنت تقول ما ذنبهما فسكت الحسن قَالَ البزار: لا يروى هذا الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ.

وأما ما روي عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقد رواه أَبُو داود الطيالسي في مسنده عن يزيد الرقاشي عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعاً أَنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ثوران عقيران في النار وذكره أَبُو مسعود الدمشقي في الأطراف في بعض نسخه موهمًا أَنَّ ذَلِكَ فِي الصَّحِيحِ وَذَكَرَ ابْنُ وَهْبٍ فِي كِتَابِ الْأَهْوَالِ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ أَنَّهُ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ۚ﴾ [القيامة: 9] قَالَ: يَجْمَعَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ يَقْذَفَانِ فِي النَّارِ فَيَكُونُ نَارًا لِلَّهِ الْكَبِيرِ وَلَا بِنِ ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا نَحْوَهُ مَوْقُوفًا أَيْضًا.

وَقَالَ الْخَطَّابِيُّ: لَيْسَ الْمُرَادُ بِكُونِهِمَا فِي النَّارِ تَعْذِيبُهُمَا بِذَلِكَ وَلَكِنَّهُ تَبَكِيتُ لِمَنْ كَانَ يَعْبُدُهُمَا فِي الدُّنْيَا لِيَعْلَمُوا أَنَّ عِبَادَتَهُمَا كَانَتْ بَاطِلَةً وَقِيلَ إِنَّهُمَا خُلِقَا مِنَ النَّارِ فَأُعِيدَا فِيهَا وَيُرَدُّ هَذَا الْقَوْلُ مَا رَوَى عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا تَكَلَّمَ رَبُّنَا بِكَلِمَتَيْنِ صَيَّرَ إِحْدَاهُمَا شَمْسًا وَالْأُخْرَى قَمَرًا وَكِلَاهُمَا مِنَ النُّورِ وَيُعَادَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى الْجَنَّةِ.

وَقَالَ الْإِسْمَاعِيلِيُّ: لَا يُلْزَمُ مِنْ جَعْلِهِمَا فِي النَّارِ تَعْذِيبُهُمَا فَإِنَّ لِلَّهِ فِي النَّارِ مَلَائِكَةً وَغَيْرَهَا لِتَكُونَ لِأَهْلِ النَّارِ عَذَابًا وَآلَةً مِنْ آلَاتِ الْعَذَابِ وَمَا شَاءَ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ فَلَا تَكُونُ هِيَ مَعَذِبَةً.

ومطابقة الحديث للترجمة ظاهرة لأن تكوّر الشمس والقمر من صفاتهما.
 (حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سُلَيْمَانَ) أَي: ابْنُ يَحْيَى أَبُو سَعِيدٍ الْجَعْفِيُّ الْكُوفِيُّ سَكَنَ مِصْرَ وَمَاتَ بِهَا سَنَةَ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ وَمِائَتَيْنِ وَهُوَ مِنْ أَفْرَادِهِ.
 قَالَ: (حَدَّثَنِي ابْنُ وَهْبٍ) هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ الْمِصْرِيُّ.
 (قَالَ: أَخْبَرَنِي عَمْرُو) هُوَ ابْنُ الْحَارِثِ الْمِصْرِيُّ، (أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ

الْقَاسِمِ، حَدَّثَهُ عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ كَانَ يُخْبِرُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَا يَخْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، وَلَكِنَّهُمَا آيَاتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمَا فَصَلُّوا».

3202 - حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي أُوَيْسٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَاتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَا يَخْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ فَادْكُرُوا اللَّهَ».

3203 - حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ عُقَيْلٍ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عُزْرَةُ، أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَخْبَرَتْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ خَسَفَتِ الشَّمْسُ، قَامَ فَكَبَّرَ وَقَرَأَ

الْقَاسِمِ، حَدَّثَهُ عَنْ أَبِيهِ) الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا أَنَّهُ كَانَ يُخْبِرُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَا يَخْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، وَلَكِنَّهُمَا آيَاتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمَا فَصَلُّوا») أَي: صَلَاةُ الْكُسُوفِ وَالْحَدِيثُ قَدْ مَضَى فِي أَوَّلِ أَبْوَابِ الْكُسُوفِ.

ومطابقته للترجمة من حيث إن الكسوف الذي يعرض للشمس والخسوف الذي يعرض للقمر في صفاتهما.

(حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي أُوَيْسٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي مَالِكٌ) الْإِمَامُ، (عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا) أَنَّهُ (قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَاتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَا يَخْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ فَادْكُرُوا اللَّهَ») وَالْحَدِيثُ بَاتِمَ وَأَطُولُ مِنْهُ فِي بَابِ صَلَاةِ الْكُسُوفِ.

ومطابقته للترجمة مثل السابق.

(حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ) قَالَ: (حَدَّثَنَا اللَّيْثُ) أَي: ابْنُ سَعْدٍ، (عَنْ عُقَيْلٍ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ) الزُّهْرِيِّ أَنَّهُ (قَالَ: أَخْبَرَنِي) بِالْإِفْرَادِ (عُزْرَةُ، أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا، أَخْبَرَتْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ خَسَفَتِ الشَّمْسُ قَامَ فَكَبَّرَ وَقَرَأَ

قِرَاءَةً طَوِيلَةً، ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: «سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ»، وَقَامَ كَمَا هُوَ، فَقَرَأَ قِرَاءَةً طَوِيلَةً، وَهِيَ أَدْنَى مِنَ الْقِرَاءَةِ الْأُولَى، ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا، وَهِيَ أَدْنَى مِنَ الرَّكْعَةِ الْأُولَى، ثُمَّ سَجَدَ سُجُودًا طَوِيلًا، ثُمَّ فَعَلَ فِي الرَّكْعَةِ الْآخِرَةِ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ سَلَّمَ وَقَدْ تَجَلَّتِ الشَّمْسُ، فَخَطَبَ النَّاسَ، فَقَالَ فِي كُسُوفِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ: «إِنَّهُمَا آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَا يَخْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمَا فَافْرَعُوا إِلَى الصَّلَاةِ».

3204 - حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا يَحْيَى، عَنْ إِسْمَاعِيلَ، قَالَ: حَدَّثَنِي قَيْسٌ، عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، وَلَكِنَّهُمَا آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمَا فَصَلُّوا».

قِرَاءَةً طَوِيلَةً، ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: «سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ»، وَقَامَ كَمَا هُوَ، فَقَرَأَ قِرَاءَةً طَوِيلَةً، وَهِيَ أَدْنَى مِنَ الْقِرَاءَةِ الْأُولَى، ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا، وَهِيَ أَدْنَى مِنَ الرَّكْعَةِ الْأُولَى، ثُمَّ سَجَدَ سُجُودًا طَوِيلًا، ثُمَّ فَعَلَ فِي الرَّكْعَةِ الْآخِرَةِ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ سَلَّمَ وَقَدْ تَجَلَّتِ الشَّمْسُ، فَخَطَبَ النَّاسَ، فَقَالَ فِي كُسُوفِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ: «إِنَّهُمَا آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَا يَخْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمَا فَافْرَعُوا) أَي: التَّجَنُّوا (إِلَى الصَّلَاةِ) وَذَكَرَ اللَّهُ.

والحديث قد مضى في باب هل يقول كسفت الشمس أو خسفت .
ومطابقته للترجمة ما قبله.

(حَدَّثَنِي) بِالْإِفْرَادِ (مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى) قَالَ: (حَدَّثَنَا يَحْيَى) هُوَ ابْنُ سَعِيدِ الْقَطَانِ، (عَنْ إِسْمَاعِيلَ) هُوَ ابْنُ أَبِي خَالِدٍ الْأَحْمَسِيِّ الْبَجَلِيُّ مَوْلَاهُمُ الْكُوفِيُّ أَنَّهُ (قَالَ: حَدَّثَنِي قَيْسٌ) هُوَ ابْنُ أَبِي حَازِمٍ وَاسْمُ أَبِي حَازِمٍ عَوْفُ الْأَحْمَسِيِّ الْبَجَلِيُّ، (عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ) هُوَ عَقْبَةُ بْنُ عَمْرِو الْبَدْرِيِّ وَقَالَ الْكِرْمَانِيُّ: وَفِي بَعْضِهَا ابْنُ مَسْعُودٍ بَلَفْظُ الْإِبْنِ بَدَلِ الْأَبِ وَهَذَا وَإِنْ كَانَ صَحِيحًا مِنْ جِهَةِ أَنْ قَيْسُ بْنُ أَبِي حَازِمٍ يَرَوِي عَنْهُ أَيْضًا لَكِنِ الرَّوَايَاتُ مُتَعَاذَةٌ عَلَى أَنَّ الْحَدِيثَ فِي مَسَانِيدِ عَقْبَةَ لَا عَبْدَ اللَّهِ.

(عَنِ النَّبِيِّ ﷺ) أَنَّهُ (قَالَ: «الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، وَلَكِنَّهُمَا آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمَا فَصَلُّوا») وَالْحَدِيثُ قَدْ مَضَى

5 - بَابُ مَا جَاءَ فِي قَوْلِهِ:

﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ﴾ (نُشْرًا) ﴿بَيْنَ يَدَيَّ رَحْمَتِي﴾ [الفرقان: 48]
 ﴿قَاصِفًا﴾ [الإسراء: 69]: «تَقْصِفُ كُلَّ شَيْءٍ»، ﴿لَوْحٍ﴾⁽¹⁾ [الحجر: 22]:
 «مَلَاقِحٌ مُلْقِحَةٌ»،

في باب لا تكسف الشمس لموت أحد ولا لحياته.

5 - بَابُ مَا جَاءَ فِي قَوْلِهِ:

﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ﴾ (نُشْرًا) ﴿بَيْنَ يَدَيَّ رَحْمَتِي﴾ [الفرقان: 48]
 (باب ما جاء في قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ﴾ نُشْرًا) بضمّتين جمع
 نُشُور، بمعنى نَاشِر، وقرأ ابن عامر بإسكان الشين المعجمة على التخفيف
 وحمزة والكسائي نُشْرًا بفتح النون على أنه مصدر في موقع الحال، وعاصم:
 بُشْرًا بالموحدة وإسكان الشين، وهو تخفيف بشر جمع بَشِير، وقد قرئ به أيضًا
 وبُشْرًا بفتح الموحدة مصدر بُشْرُهُ بمعنى بَاشِرَاتٍ أو بِشَارَةٍ وبُشْرَى.
 ﴿بَيْنَ يَدَيَّ رَحْمَتِي﴾) قدام رحمته يعني المطر فإن الصبا تثير السحاب
 والشمال يجمعه والجنوب تدره والدبور تفرقه.

﴿قَاصِفًا﴾: تَقْصِفُ كُلَّ شَيْءٍ) أشار به إلى تفسير لفظ قاصفًا في قوله
 تعالى: ﴿فَنُزِّلَ عَلَيْكُمْ مِّنَ الرِّيحِ﴾ [الإسراء: 69] وفسره بقوله تقصف كل
 شيء يعني تأتي عليه قال أبو عبيدة: هي التي تقصف كل شيء أي: تحطم وروى
 الطَّبْرِيُّ من طريق ابن جريج قَالَ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا الْقَاصِفُ الَّتِي
 تَقْصِفُ هَكَذَا رَوَاهُ مَنْقُطًا لِأَنَّ ابْنَ جَرِيرٍ لَمْ يَدْرِكْ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا
 وَمَعْنَى تَقْصِفُ وَتَحْطُمُ أَي: تَكْسِرُ.

﴿لَوْحٍ﴾: مَلَاقِحٌ مُلْقِحَةٌ) أشار به إلى لفظ لواحق في قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا

(1) قال الحافظ: قوله ﴿لَوْحٍ﴾ ملاقح: يريد أن أصل لواحق ملاقح وواحداه ملقحة وهو قول
 أبي عبيدة وفاقًا لابن إسحاق وأنكره غيرهما قالوا لواحق جمع لاقحة ولاقح، وقال الفراء:
 فإن قيل الريح ملقحة لأنها تلعق الشجر فكيف قيل لها لواحق فالجواب على وجهين أن تجعل
 الريح هي التي تلعق بمرورها على التراب والماء فيكون فيها اللقاح فيقال ريح لاقح كما يقال
 ماء ملاقح، ويؤيده وصف ريح العذاب بأنها عقيم، ثانيهما: أن وصفها باللقح لكون اللقح =

الرَّيْحَ لَوَاقِحَ ﴿[الحجر : 22] وفسره بقوله ملقحة وأشار به إلى أن واحدها ملقحة وهو من النواذر يقال ألحق الفحل الناقة والريح السحاب ورياح لواقح .

وَقَالَ ابن السكيت : اللواقح الحوامل وعن أبي عبيدة أن اللواقح جمع ملقحة وملقح مثل ما قَالَ البُخَارِيُّ وكذا قَالَ ابن أبي إسحاق وأنكره غيرهم قالوا لواقح جمع لاقحة ولاقح .

وَقَالَ الفراء : فإن قيل الريح ملقحة لأنها تلقح الشجر كيف قيل لها لواقح؟ فالجواب على وجهين :

أحدهما : أن يجعل الريح هي التي تلقح بمرورها على التراب والماء فيكون فيها اللقاح فيقال ريح لاقح كما يقال ماء لاقح ويؤيده وصف ريح العذاب بأنها عقيم .

ثانيهما : أن وصفها باللقح لكون اللقح يقع فيها كما تقول ليل نائم .
وَقَالَ الطَّبْرِيُّ : الصواب أنها لاقحة من وجه لأن لقحها طمها الماء ولقاحها تحميلها في السحاب ثم أخرج من طريق قوي عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : يرسل الله الرياح فتحمل الماء فتلقح السحاب وتمريه فتدر كما تدر اللقحة ثم يمطر .

وَقَالَ ابن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : تلقح الرياح والشجر والسحاب وتمريه

يقع فيها كما تقول ليل نائم ، وقال الطبري : الصواب أنها لاقحة من وجه ملقحة من وجه لأن لقحها حملها الماء ولقاحها عملها في السحاب ، ثم أخرج من طريق قوي عن ابن مسعود قال : يرسل الله الرياح فتحمل الماء فتلقح السحاب وتمر به فتدر كما تدر اللقحة ثم تمطر ، وقال الأزهري : جعل الريح لاقحة لأنها تقل السحاب وتصرفه ثم تمر به فتسندره والعرب تقول للريح الجنوب لاقح وحامل ، وللشمال حائل وعقيم ، اهـ .

وقال العيني : قال ابن السكيت اللواقح الحوامل ، وعن أبي عبيدة : الملاقح جمع ملقحة وملقح مثل ما قال البخاري ، وأنكره غيره فقال جمع لاقحة ولاقح على النسب أي : ذات لقاح ، اهـ .

وقال القسطلاني : قال أبو عبيدة لواقح ملاقح واحدها ملقحة ثم حذفت منه الزوائد وأنكره غيره وقال هو بعيد جدًا لأن حذف الزوائد في مثل هذا باب الشعر ، قال ولكنه لواقح جمع لاقحة ولاقح بلا خلاف ، اهـ .

﴿إِعْصَارٌ﴾ [البقرة: 266]: «رِيحٌ عَاصِفٌ تَهْبُ مِنْ الْأَرْضِ إِلَى السَّمَاءِ كَعُمُودٍ فِيهِ نَارٌ»، ﴿صِرٌّ﴾ [آل عمران: 117]: «بَرْدٌ»، (نُشْرًا): «مُتَفَرِّقَةٌ».

وقيل لاقح ولاقحة على النسب، أي: ذات اللقاح.

وَقَالَ الْأَزْهَرِيُّ: جعل الريح لاقحًا لأنها تفل السحاب وتصرفه ثم تمر به فتستدره والعرب تقول للجنوب لاقح وحامل وللشمال حائل وعقيم.

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ رَضِيٍّ اللَّهُ عَنْهُمَا: الرياح ثمانية:

أربع عذاب، وأربع رحمة فالرحمة: الناشرات والذاريات والمرسلات والمبشرات.

وأما العذاب فالعاصف والقاصف وهما في البحر والصرصر والعقيم وهما في البر.

وَقَالَ الْقَاضِي فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيْحَ لَوَفِّحَ﴾ حوامل شبه الريح التي جاءت بخير من إنشاء سحاب ماطر بالحامل كما شبه ما لا يكون كذلك بالعقيم أو ملقحات للشجر والسحاب ونظيره الطوائح بمعنى المطيحات في قوله ومختبط مما تطيح الطوائح إعصار.

(﴿إِعْصَارٌ﴾: رِيحٌ عَاصِفٌ تَهْبُ مِنْ الْأَرْضِ إِلَى السَّمَاءِ كَعُمُودٍ فِيهِ نَارٌ) أشار بهذا إلى تفسير لفظ إعصار في قوله تعالى: ﴿فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ﴾ [البقرة: 266] وهو تفسير أبي عبيدة بلفظه وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا هي الريح الشديدة.

وروى الطَّبْرِيُّ عن السدي قَالَ الإِعْصَارُ الرِّيحُ وَالنَّارُ السُّمُومُ وَعَنِ الضَّحَّاكِ قَالَ الإِعْصَارُ رِيحٌ فِيهَا بَرْدٌ شَدِيدٌ وَقِيلَ رِيحٌ عَاصِفٌ فِيهَا سُمُومٌ وَقِيلَ هِيَ الَّتِي يَسْمِيهَا النَّاسُ الزُّوبِعَةَ وَتَفْسِيرُ أَبُو عُبَيْدَةَ هُوَ الْأَظْهَرُ لِقَوْلِهِ فِيهِ نَارٌ وَالْعَاصِفُ ذَاتُ عَصْفٍ أَيْ: شَدِيدَةُ الْهَوْبِ.

(﴿صِرٌّ﴾: بَرْدٌ) أشار به إلى تفسير لفظ صر في قوله تعالى: ﴿رِيحٌ فِيهَا صِرٌّ﴾ [آل عمران: 117] قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: الصر شدة البرد.

(نُشْرًا: مُتَفَرِّقَةٌ) أشار إلى تفسير قوله: نُشْرًا في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي

3205 - حَدَّثَنَا آدَمُ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنِ الْحَكَمِ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «نُصِرْتُ بِالصَّبَا، وَأُهْلِكْتُ عَادٌ بِالدَّبُورِ».

3206 - حَدَّثَنَا مَكِّي بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ،

أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ» [الفرقان: 48] الذي وضعه ترجمة ففسره بقوله متفرقة وهو مقتضى كلام أبي عبيدة فإنه قَالَ قوله نشرًا أي: من كل مهب وجانب وناحية.

(حَدَّثَنَا آدَمُ) هو ابن أبي اياس قَالَ: (حَدَّثَنَا شُعْبَةُ) أي: ابن الحجاج، (عَنِ الْحَكَمِ) بفتحين هو ابن عتيبة، (عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ) أنه (قَالَ: «نُصِرْتُ بِالصَّبَا، وَأُهْلِكْتُ عَادٌ بِالدَّبُورِ») الصبا بفتح المهملة وتخفيف الموحدة مقصور هي الريح الشرقية والدبور بفتح أوله وتخفيف الموحدة المضمومة مقابلها وهي الغربية يشير ﷺ إلى قوله تعالى في قصة الأحزاب: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [الأحزاب: 9].

روي أن الأحزاب لما حاصروا المدينة يوم الخندق هبت الصبا شديدة فقلعت خيامهم وألقى الله في قلوبهم الرعب فانهمزموا.

وروى الشافعي بإسناد فيه انقطاع أن النبي ﷺ قَالَ: «نصرت بالصبا» وكانت عذابًا من كان قبلنا.

وقيل: إن الصبا هي التي حملت ريح قميص يوسف إلى يعقوب عليهما السلام قبل أن يصل إليه.

قَالَ ابن بطال في هذا الحديث: تفضيل بعض المخلوقات على بعض وفيه إخبار المرء عن نفسه بما فضله الله به على سبيل التحديث بالنعمة لا على الفخر وفيه الإخبار عن الأمم الماضية وإهلاكها.

وقد مضى الحديث في الاستسقاء في باب قول النبي ﷺ نصرت بالصبا ومطابقته للترجمة ظاهرة لأنه يتضمن ريح الرحمة.

(حَدَّثَنَا مَكِّي بْنُ إِبْرَاهِيمَ) ابن بشر بن فرقد الحنظلي البلخي ولفظ مكّي على صورة النسبة إلى مكة اسمه وليس هو منسوبًا إلى مكة قَالَ: (حَدَّثَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ) هو عبد الملك بن عبد العزيز جريج بضم الجيم الأولى.

عَنْ عَطَاءٍ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ، إِذَا رَأَى مَخِيلَةً فِي السَّمَاءِ، أَقْبَلَ وَأَدْبَرَ، وَدَخَلَ وَخَرَجَ، وَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ، فَإِذَا أَمْطَرَتِ السَّمَاءُ سُرِّيَ عَنْهُ، فَعَرَفْتُهُ عَائِشَةُ ذَلِكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا أَذْرِي لَعَلَّهُ كَمَا قَالَ قَوْمٌ»: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ﴾ [الأحقاف: 24] الْآيَةَ.

(عَنْ عَطَاءٍ) هو ابن أبي رباح (عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا) أنها (قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ، إِذَا رَأَى مَخِيلَةً) بفتح الميم وكسر الخاء المعجمة بعدها تحثانية ساكنة هي السحابة التي يخال فيها المطر.

(فِي السَّمَاءِ، أَقْبَلَ وَأَدْبَرَ، وَدَخَلَ وَخَرَجَ، وَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ) خوفاً أن يصيب أمته عقوبة ذنب العامة كما أصاب الذين ﴿قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرٌ﴾ الْآيَةَ [الأحقاف: 24] فَإِنْ قِيلَ كَيْفَ يَخْشَى النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَعْذِبَ الْقَوْمَ وَهُوَ فِيهِمْ مَعَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا كُنَّا اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال: 33].

فالجواب: أن الآية نزلت بعد هذه القصة ويتعين الحمل على ذلك لأن الآية دلت على كرامة الرسول ﷺ ورفعة منزلته عند الله حيث لا يعذب أمته وهو فيهم ولا يعذبهم أيضاً وهم يستغفرون بعد ذهابه ﷺ فلا يتخيل انحطاط درجته أصلاً.

وقد استنبط الصوفية من ذلك أن الإيمان الذي في القلوب أيضاً يمنع من تعذيب أبدانهم كما كان وجوده فيهم مانعاً منه.

(إِذَا أَمْطَرَتِ السَّمَاءُ سُرِّيَ عَنْهُ) على صيغة المجهول من التسمية أي: كشف عنه ما خالطه من الوجمل يقال سررت الثوب وسريته إذا خلعته وسريت الجبل عن الفرس إذا نزعته عنه والتشديد للمبالغة.

(فَعَرَفْتُهُ) من التعريف (عَائِشَةُ ذَلِكَ) أي: ما كان عرض له، (فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا أَذْرِي لَعَلَّهُ كَمَا قَالَ قَوْمٌ»: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ﴾) و(الآيَةَ) في سورة الأحقاف في قصة قوم هود عَلَيْهِ السَّلَام قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾ في الضمير وجهان:

أحدهما: يرجع إلى قول ما تعدنا في الآية السابقة.

وثانيهما : أنه مبهم فسرره قوله عارضاً وعلى الأول إما حال وإما تمييز ومعنى ﴿عَارِضًا﴾ سحاباً عرض في أفق السماء⁽¹⁾ ﴿قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطَرًا﴾ أي : يأتينا بالمطر ﴿بَلْ هُوَ﴾ أي : قال هود عليه السلام ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ﴾ من العذاب وقتلتم : ﴿فَأَنَّا يَمَّا تَعِدْنَا إِن كُنتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ﴾ .

قريء : قل بل بزيادة قل ريح هي ريح ويجوز أن يكون بدلها فيها عذاب أليم الجملة صفة ريح وكذا قوله تدمر تهلك كل شيء من نفوسهم وأموالهم بأمر ربها إذ لا يوجدنا بصفة حركة ولا قابضة سكون إلا بمشيئته تعالى : ﴿فَأَصْبَحُوا لَا يَرَىٰ إِلَّا مَسَكِنَهُمْ﴾ أي : فجاءتهم الريح فدمرتهم فأصبحوا بحيث لوحضرت بلادهم لا ترى إلا مساكنهم .

وقرأ عاصم وحمزة : لا ترى إلا مساكنهم بالياء المضمومة ورفع مساكنهم ﴿كَذٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ روي أن هوداً عليه السلام لما أحس بالريح اعتزل بالمؤمنين في الحظيرة وجاءت الريح فأملت الأحقاف على الكفرة وكانوا تحتها سبع ليال وثمانية أيام ثم كشف عنهم واحتملتهم وقذفتهم في البحر .

والأحقاف : جمع حقف وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء من احقوقف الشيء إذا اعوج وكان عاد قوم هود يسكنون بين رمال مشرفة على البحر من اليمن .

وفي الحديث تذكير ما يذهل المرء عنه مما وقع للأمم الخالية والتحذير من السير في سبيلهم خشية من وقوع مثل ما أصابهم وفيه شفقة ﷺ على أمته ورأفته بهم كما وصفه الله تعالى بقوله : ﴿يَا مُؤْمِنِينَ رَءَوْفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة : 128] .

ومطابقته للترجمة من حيث أنه يشتمل على ذكر الريح والمطر .
والحديث أخرجه الترمذي في التفسير وكذا النسائي فيه .

(1) مستقبل أوديتهم : متوجه أوديتهم والإضافة فيه لفظية وكذا في قوله .

6 - باب ذِكْرِ الْمَلَائِكَةِ⁽¹⁾

6 - باب ذِكْرِ الْمَلَائِكَةِ

(باب ذِكْرِ الْمَلَائِكَةِ) جمع مَلَأَك على الأصل، فإن الأصل في مَفْعَل أن يجمع على مَفَاعِل نحو مطالع نظيرها الشَّمَائِل، فإنه جمع شَمَال بالهمزة والتاء

(1) قال الحافظ: الملائكة جمع ملك يفتح اللام فليل مخفف من مالك وقيل مشتق من الألوكة وهي الرسالة وهذا قول سيبويه والجمهور، وأصله لأك، وقيل أصلح الملك بفتح ثم سكون وهو الأخذ بالقوة وحينئذ لا مدخل للميم فيه، وأصل وزنه مفعول فتركت الهمزة لكثرة الاستعمال وظهرت في الجمع وزيدت الهاء إما للمبالغة وإما لتأنيث الجمع، وجمع على القلب وإلا لليل مالكة، وعن أبي عبيدة الميم في الملك أصلية ووزنه فعل كأسد هو من الملك بالفتح وسكون اللام وهو الأخذ بقوة، وعلى هذا فوزن ملائكة فعائلة، قال جمهور أهل الكلام من المسلمين: الملائكة أجسام لطيفة أعطيت قدرة على التشكل بأشكال مختلفة ومسكنها السماوات، وأبطل من قال إنها الكواكب أو أنها الأنفس الخيرة التي فارقت أجسادها وغير ذلك من الأقوال التي لا يوجد في الأدلة السمعية شيء منها، وقد جاء في صفة الملائكة وكثرتهم أحاديث ذكر بعضها الحافظ ثم قال: وفي هذا وما ورد من القرآن رد على من أنكر وجود الملائكة من الملاحدة، وقدم المصنف ذكر الملائكة على الأنبياء لا لكونهم أفضل عنده بل لتقدمهم في الخلق ولسبق ذكرهم في القرآن في عدة آيات كقوله تعالى: ﴿كُلُّ عَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ﴾ [البقرة: 285] وغير ذلك من الآيات، وقد وقع في حديث جابر الطويل عند مسلم في صفة الحج: «ابدؤوا بما بدأ الله تعالى به» ولأنهم وسائط بين الله وبين الرسل في تبليغ الوحي والشرائع فناسب أن يقدم الكلام فيهم على الأنبياء ولا يلزم من ذلك أن يكونوا أفضل من الأنبياء، وقد ذكرت مسألة تفضيل الملائكة في كتاب التوحيد عند شرح حديث «ذكرته في ملا خير منه» ومن أدلة كثرتهم ما يأتي في حديث الإسراء أن البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون، انتهى مختصراً.

قال القسطلاني: الملائكة جمع ملاك على الأصل كالشمائل جمع شمأل والتاء لتأنيث الجمع وتركت الهمزة في المفرد للاستئغال، وهو مقلوب مالك من الألوكة وهي الرسالة لأنهم وسائط بين الله وبين الناس فهم رسل الله أو كالرسل إليهم، واختلف العقلاء في حقيقتهم بعد اتفاقهم على أنهم ذوات موجودة قائمة بأنفسها، فذهب أكثر المسلمين إلى أنهم أجسام لطيفة قادرة على التشكل بأشكال مختلفة مستدلين بأن الرسل كانوا يرونهم كذلك، وقال طائفة من النصارى هي النفوس الفاضلة البشرية المفارقة للأبدان، وزعم الحكماء أنها جواهر مجردة مخالفة للنفوس الناطقة في الحقيقة منقسمة إلى قسمين:

قسم شأنهم الاستغراق في معرفة الحق والتزهد عن الاشتغال بغيره كما وصفهم في محكم التنزيل فقال: ﴿يَسْبُحُونَ لَيْلًا وَنَهَارًا لَا يَفْترُونَ﴾ [الأنبياء: 20] وهم العلويون والملائكة المقربون. =

لتأنيث الجمع وفي المفصل لتأكيد معنى الجمع وكان المراد ما قيل إنه للمبالغة كعلامة وهو مقلوب مَأْلَك ثم بعد القلب المكاني ، صار مَلَأَك فنقلت حركة الهمزة إلى اللام وحذفت تخفيفاً لكثرة الاستعمال فلما جمع رَدَّت الهمزة المحذوفة لأن التفسير يرد الأشياء إلى أصولها واشتقاقه من الألوكة وهي الرسالة لأنهم وسائط بين الله وبين الناس فهم رسل الله في إفاضة ما يحتاجون إليهم في معاشهم ومعادهم لحفظهم بالليل والنهار ورفع أعمالهم اليومية والليلية وغيرهما أو كالرسل إليهم لتوسط الأنبياء بينهم وبين الناس وهذا قول سيبويه والجمهور وجمع على القلب وإلا لقليل مالكة وذهب بعضهم إلى أن الميم في ملاك أصلية والهمزة زائدة فهو على هذا مشتق من الملك بضم اللام وفتحها وتسميتهم بالملائكة لفرط قوتهم قالوا إن جميع متصرفات (م ل ك) دائرة مع معنى القوة والشدة كالمَلَك والملِك وهذا قول أبي عبيدة وعلى هذا فوزن ملائكة فعائلة ويؤيده أنهم جوزوا في جمعه أَمْلَأك وأَفْعَال لا يكون جمعاً لما في أوله ميم زائدة.

واختلف العقلاء في حقيقتهم بعد اتفاقهم على أنهم ذوات موجودة قائمة بأنفسها فذهب أكثر المسلمين إلى أنهم أجسام لطيفة قادرة على التشكل بأشكال مختلفة مستدلين بأن الرسل عليهم السلام كانوا يرونهم كذلك .

وقالت طائفة من النصارى : هي النفوس الفاضلة البشرية المفارقة للأبدان فإنهم زعموا أنَّ النفوس المفارقة للأبدان إن كانت خيرة صافية فهي الملائكة وإن كانت خبيثة كدرة فهي الشياطين وقالت الفلاسفة إنها جواهر مجردة مخالفة للنفوس الناطقة في الحقيقة ويقال جوهر بسيط ذو نطق وعقل تقدس عن ظلمة

⁼ وقسم يدبر الأمر من السماء إلى الأرض على ما سبق به القضاء وجرى به القلم «لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون» وهم المدبرات أمراً فمنهم سماوية ومنهم أرضية، فهم بالنسبة إلى ما هيأهم الله له أقسام، فمنهم حملة العرش، ومنهم كروبيون الذين هم حولي العرش وهم أشرف الملائكة مع حملة العرش وهم الملائكة المقربون منهم جبريل وميكائيل وإسرافيل إلى آخر ما بسط من أنواعهم.

الشهوة وكدورة الغضب وهم منقسمون⁽¹⁾ إلى قسمين :

قسم شأنهم الاستغراق في معرفة الحق والتبرؤ عن الاشتغال بغيره كما وصفهم في محكم تنزيله فَقَالَ : ﴿يُسَيِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء : 20] وهم العليون والملائكة المقربون .

وقسم يدبر الأمر من السماء إلى الأرض على ما سبق به القضاء وجرى به العلم الإلهي لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وهم المدبرات أمراً فمنهم سماوية ومنهم أرضية طعامهم التسبيح وشرابهم التقديس وأنسهم بذكر الله تعالى خلقوا على صور مختلفة وأقدار متفاوتة لإصلاح مصنوعاته وإسكان سماواته وقد جاء في صفة الملائكة وكثرتهم أحاديث منها ما أخرجه مُسْلِمٌ عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مرفوعاً خلقت الملائكة من نور وخلق الجان وهو أبو الجن .

وَقَالَ الضحّاك : هو إبليس من مارج وهو لهب مع دخان وقيل : بدونه من نار وخلق آدم مما وصف لكم أي : من التراب يعني أن التراب هو الجزء الغالب وقيل من العناصر الأربعة وذلك لأن الله تعالى قَالَ : ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ [الحج : 5] وَقَالَ تعالى : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾ [الأنبياء : 12] والمؤمنون : 12 والطين لا يحصل بلا ماء وَقَالَ : ﴿مِنْ صَلَاسِلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ﴾ [الحجر : 26] والحمأ المسنون هو المتغير المنتن ولا يكون ذلك إلا بمخالطة الهواء وَقَالَ : ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلَاسِلٍ كَالْفَخَّارِ﴾ [الرحمن : 14] والفخار لا يكون بلا نار ومنها ما أخرجه الترمذي وابن ماجة والبخاري من

(1) قالوا الملائكة أنواع : لا يحصي عددهم إلا الله تعالى وساداتهم الأكابر أربعة : جبرائيل وميكائيل وعزرائيل وإسرافيل ، ومنهم الروح قال تعالى : ﴿يَوْمَ يَفُوقُ الرُّوحُ﴾ [النبا : 38] ومنهم الحفظة ومنهم الملائكة الموكلون بالقطر والنبات والرياح والسحاب ومنهم ملائكة القبور ومنهم سياحون في الأرض يتبعون مجالس الذكر ومنهم كروبيون وروحانيون وحاقون ومقربون ومنهم ملائكة قذف الشياطين بالشهاب ومنهم حملة العرش ومنهم موكلون بصخرة بيت المقدس ومنهم موكلون بتصوير النطف ومنهم ملائكة يبلغون السلام إلى النبي ﷺ من أمته ومنهم من يشهد الحروب مع المجاهدين ومنهم من يسمون بالزبانية ومنهم من يغرسون أشجار الجنة ومنهم من يصيغون حلى أهل الجنة ومنهم من نصفه ثلج ونصفه نار .

وَقَالَ أَنَسٌ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ، لِلنَّبِيِّ ﷺ: إِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، عَدُّ
 الْيَهُودَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ.....

حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعاً أظن السماء وحق لها أن تئط ما فيها
 موضع أربع أصابع إلا وعليه ملك ساجد أو راکع ومنها ما أخرجه الطبراني من
 حديث جابر مرفوعاً ما في السموات السبع موضع قدم ولا شبر ولا كف إلا وفيه
 ملك قائم أو راکع أو ساجد وللطبري نحوه من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وقد روي أَيْضًا: أن بني آدم عشر الجن وهما عشر حيوانات البر والكل عشر
 الطيور والكل عشر حيوانات البحار وهؤلاء كلهم عشر ملائكة الأرض الموكلين
 وهؤلاء كلهم عشر ملائكة السماء الدنيا وكل هؤلاء عشر ملائكة السماء الثانية
 وهكذا إلى السماء السابعة ثم كل أولئك في مقابلة ملائكة الكرسي⁽¹⁾ نزر قليل ثم
 جميع هؤلاء عشر ملائكة سرادق واحد من سرادقات العرش التي عددها ستمائة
 ألف طول كل سرادق وعرضه وسمكه إذا قوبلت به السماوات والأرض وما
 فيهما وما بينهما لا يكون لها عنده قدر محسوس وما منه من مقدار شبر إلا وفيه
 ملك ساجد أو راکع أو قائم لهم زجل بالتسبيح والتقديس ثم كل هؤلاء في مقابلة
 الملائكة الذين يحومون حول العرش كالقطرة في البحر ثم ملائكة اللوح الذين
 هم أشياخ إسرافيل عَلَيْهِ السَّلَامُ والملائكة الذين هم جنود جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ لا
 يحصي أجناسهم ولا مدة أعمارهم ولا كيفيات عباداتهم إلا باريهم العليم الخبير
 على ما قَالَ تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: 31] كذا في تفسير أبي
 السعود وفي ذلك رد على من أنكر وجود الملائكة من الملاحدة.

(وَقَالَ أَنَسٌ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ) بتخفيف اللام الإسرائيلي
 اليوسفي الخزرجي المدني مات سنة ثلاث وأربعين.

(إِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، عَدُّ الْيَهُودَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ) وهذا التعليق قطعة من
 حديث وصله الأُبَخَارِيُّ في كتاب الهجرة عن مُحَمَّد بن سلام عن مروان بن معاوية

(1) الكرسي جسم بين يدي العرش محيط بالسموات السبع لقوله ﷺ: «ما السموات السبع والأرضون السبع مع الكرسي إلا كحلقة في فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة» ولعله الفلك المشهور بفلك البروج وهو في الأصل اسم لما يقعد عليه مقعد القاعد وكأنه منسوب إلى الكرسي وهو المَلْبَد.

عن حميد عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وسيأتي إن شاء الله تعالى وقال تعالى : ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾ [البقرة: 97] نزل في عَبْدَ اللَّهِ بن صوريا من أحبار فدك حاج رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ كَيْفَ نَوْمُكَ فَقَدْ أُخْبِرْنَا عَنْ نَوْمِ النَّبِيِّ ﷺ الَّذِي يَجِيءُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ فَقَالَ ﷺ : «تنام عيناوي ولا ينام قلبي» قَالَ : صدقت يا مُحَمَّدُ فأخبرني عن الولد أمن الرجل يكون أم من المرأة فَقَالَ ﷺ : «أما العظام والعصب والعروق فمن الرجل وأما اللحم والدم والظفر والشعر فمن المرأة» فَقَالَ : صدقت يا مُحَمَّدُ فما بال الولد يشبه أعمامه ليس من شبه أخواله فيه شيء أو يشبه أخواله وليس من شبه أعمامه فيه شيء؟ فَقَالَ ﷺ : «أيهما غلب ماؤه ماء صاحبه كان أشبه له» قَالَ : صدقت يا محمد وسأله عن الطعام الذي حرم إسرائيل على نفسه وقد ذكر في التوراة أن النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ يخبر عنه فَقَالَ ﷺ : «إن يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ مرض⁽¹⁾ مرضًا شديدًا فطال سقمه فنذر إن شفاه الله تعالى من سقمه ليحرم من على نفسه أحب الطعام والشراب إليه» وكان أحب الطعام إليه لحم الإبل وأحب الشراب إليه ألبانها فحرمهما على نفسه فَقَالَ صدقت يا مُحَمَّدُ قَالَ بقيت خصلة إن قلتها آمنت بك أي ملك يأتيك بالوحي؟ فَقَالَ جبريل فَقَالَ ذَلِكَ عدونا ولو كان غيره لآمنا بك عادانا مرارًا وأشدها أنه أنزل على نبينا أن بيت المقدس سيخرجه بخت نصر فبعثنا من يقتله فلقية ببابل غلامًا مسكينًا فدفع عنه جبريل وَقَالَ إن كان ربكم أمره بهلاككم فلا يسلطكم عليه وإلا فبم تقتلونهم؟ وقيل دخل عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مدراس اليهود يومًا فسألهم عن جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدًا على أسرارنا وإنه صاحب كل خسف وعذاب وميكائيل صاحب الخصب والسلام فَقَالَ لَهُمْ وما منزلتهما من الله تعالى قالوا جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وبينهما عداوة فَقَالَ فَإِنْ كَانَ كَمَا تَقُولُونَ فليسا بعدوين ولأنتم أكفر من الحمير ومن كان عدوًّا لأحدهما فهو عدو الله ثم رجع عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فوجد جبريل قد سبق بالوحي فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «لقد وافقك ربك يا عمر» هذا وقوله لأنتم أكفر من الحمير أي : أبله وأجهل فإنه قيل إنه مثل يضرب للبليد

(1) قيل : هو عرق النسا.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿لَنَحْنُ الصَّافُونَ﴾ [165] [الصفات: 165] الملائكة.

لأن الحمار مثل في البلادة وتعرف النعم يحتاج إلى فطنة والكفر لما كان نتيجة الجهل والبلادة ولازمهما صح أن يكنى به عنهما وقيل الحمار يعلفه صاحبه ويضربه برجله وذلك كفران وفي المثل أكفر من حمير وهو رجل من عاد يقال له حمير أو حمار بن مؤيلع من عاد وكان له واد طوله مسيرة يوم في عرض أربعة فراسخ لم يكن في بلاد العرب أخصب منه فخرج بنوه يتصيدون فأصابتهم صاعقة فهلكوا، فكفر وقال لا أعبد من فعل هذا ودعا قومه إلى الكفر ومن عصاه منهم قتله فأهلكه الله وأخرب واديه فضرب به المثل، فإنه نزل البارز الأول لجبريل والثاني للقرآن وإضماره غير مذكور يدل على فخامة شأنه كأنه لتعينه وفرط شهرته لم يحتاج إلى سبق ذكره على قلبك فإنه القابل الأول للوحي ومحل الفهم والحفظ وكان حقه على قلبي لكنه جاء على حكاية كلام الله تعالى كأنه قَالَ قُلْ مَا تَكَلَّمْتُ بِهِ بِإِذْنِ اللَّهِ بِأَمْرِهِ وَتَسِيرِهِ حال من فاعل نزل أي: مأذوناً من الله تعالى: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: 97] أحوال من مفعوله والظاهر أن جواب الشرط فإنه نزل والمعنى من عادى منهم جبريل فقد خلع ربة الإنصاف أو كفر بما معه من الكتاب بمعاداته إياه لنزوله بالوحي عليك لأنه نزل كتاباً مصدقاً للكتب المتقدمة فحذف الجواب وأقيم علته مقامه أو من عاداه فالسبب في عداوته أنه نزل عليك وقيل محذوف مثل فليمت غيظاً أو فهو عدو لي وأنا عدوه له كما قال: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 98] أراد بعداوة الله مخالفته عناداً أو معاداة المقربين من عبادته وصدر الكلام بذكره تفخيماً لشأنهم كقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ﴾ [التوبة: 62] وأفرد الملكان بالذكر لفضلهما كأنهما من جنس آخر والتنبيه على أن معاداة الواحد والكل سواء في الكفر واستجلاب العداوة من الله تعالى وأن من عادى أحدهم فكأنه عادى الجميع إذ الموجب لمحبتهم وعداوتهم على الحقيقة واحد ولأن الحاجة كانت فيهما ووضع الظاهر موضع المضمحل للدلالة على أنه تعالى عاداهم لكفرهم وأن عداوة الملائكة والرسل كفر، والله تعالى أعلم.

(وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ﴿لَنَحْنُ الصَّافُونَ﴾ الملائكة) وصله

عبد الرزاق من طريق سماك عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما ورواه الطبراني عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً ما في السماء موضع قدم إلا عليه ملك قائم أو ساجد فذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ﴾ [الصافات: 165].

وروي أيضاً: عن مُحَمَّد بن سعد حدثني أبي قَالَ: حدثني عمي قَالَ حدثني أبي عَنْ أَبِيهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بزيادة الملائكة صافون تسبح الله عز وجل قَالَ تعالى: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾ [الصافات: 164] حكاية اعتراف الملائكة بالعبودية للرد على عبدتهم والمعنى وما منا أحد إلا له مقام معلوم في المعرفة والعبادة والانتهاه إلى أمر الله تعالى في تدبير العالم وإصلاح مصنوعاته وإنا لنحن الصافون في أداء الطاعة ومنازل الخدمة وإنا لنحن المسبحون المنزهون لله تعالى عما لا يليق به ولعل الأول إشارة إلى درجاتهم في الطاعات وهذا في المعارف.

واعلم أن البُخَارِيَّ رَحِمَهُ اللَّهُ ذكر في هذا الباب أحاديث كثيرة تزيد على ثلاثين حديثاً وهو من نوادر ما وقع في هذا الكتاب أعني كثرة ما فيه من الأحاديث فإن عاداته غالباً أن يفصل الأحاديث بالتراجم ولم يصنع ذلك هنا.

وقد اشتملت أحاديث الباب على ذكر بعض من اشتهر من الملائكة كجبريل .

ووقع ذكره في أكثر أحاديثه وميكائيل وهو في حديث سمرة وحده والملك الموكل بتصوير ابن آدم ومالك خازن النار وملك الجبال والملائكة الذين في كل سماء والملائكة الذين ينزلون في السحاب والملائكة الذين يدخلون البيت المعمور والملائكة الذين يكتبون الناس يوم الجمعة وخزنة الجنة والملائكة الذين يتعاقبون وورد ذكر الملائكة على العموم في كونهم لا يدخلون بيتاً فيه تصاوير وأنهم يؤمنون على قراءة المصلي ويقولون ربنا ولك الحمد ويدعون لمنتظر الصلاة ويلعنون من هاجرت فراش زوجها فأما جبريل عليه السلام فقد وصفه الله تعالى بأنه روح القدس وبأنه الروح الأمين وبأنه رسول كريم ذو قوة مكين مطاع أمين .

وسياتي في التفسير أن معناه عَبْدُ اللَّهِ وهو وإن كان سريانياً لكنه وقع فيه

موافقة من حيث المعنى للغة العرب لأن الجبر هو إصلاح ما وهى وجبريل عليه السلام موكل بالوحي الذي يحصل به الإصلاح وقد قيل إنه عربي وإنه مشتق من جبروت الله تعالى واستبعد للاتفاق على منع صرفه.

وروى الطبري عن أبي العالية قال: جبريل عليه السلام من الكروبيين وهم سادة الملائكة وروى الطبراني من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لجبريل عليه السلام: «على أي شيء أنت؟» قال على الريح والجنود فقال: «وعلى أي شيء ميكائيل؟» قال على النبات والقطر قال: «وعلى أي شيء ملك الموت؟» قال على قبض الأرواح الحديث وفي إسناده محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى وقد ضعف لسوء حفظه ولم يترك.

وروى الترمذي من حديث أبي سعيد مرفوعاً: وزيري من أهل السماء جبريل وميكائيل قيل إن خلق جبريل كان قبل خلق آدم عليه السلام وهو مقتضى عموم قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ [البقرة: 34] وفي التفسير أنه يموت قبل ملك الموت بعد فناء العالم، والله تعالى أعلم.

وأما ميكائيل عليه السلام فروى الطبراني عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لجبريل عليه السلام ما لي لم أر ميكائيل ضاحكاً؟ قال ما ضحك منذ خلقت النار وأما ملك التصوير فقال الحافظ العسقلاني: لم أقف على اسمه وأما مالك خازن النار فيأتي ذكره في تفسير سورة الزخرف إن شاء الله تعالى وأما ملك الجبال فقال الحافظ العسقلاني لم أقف على اسمه ومن مشاهير الملائكة إسرافيل عليه السلام ولم يقع له ذكر في أحاديث الباب.

وقد روى النقاش أنه أول من سجد من الملائكة فجوزي بولاية اللوح المحفوظ وروى الطبراني من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أنه الذي نزل على النبي ﷺ فخبره بين أن يكون نبياً عبداً أو نبياً ملكاً فأشار إليه جبريل عليه السلام أن تواضع فاختر أن يكون نبياً عبداً.

وروى أحمد والترمذي عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى جبهته وانتظر أن يؤذن له» الحديث.

3207 - حَدَّثَنَا هُدْبَةُ بْنُ خَالِدٍ، حَدَّثَنَا هَمَّامٌ، عَنْ قَتَادَةَ، وَقَالَ لِي خَلِيفَةُ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ، حَدَّثَنَا سَعِيدٌ، وَهَشَامٌ، قَالَا: حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «بَيْنَا أَنَا عِنْدَ الْبَيْتِ بَيْنَ النَّائِمِ، وَالْيَقْظَانِ.....»

وفي كتاب العظمة لأبي الشَّيْخ عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه ذكر الملائكة فَقَالَ منهم الأمناء على وحيه والحفظة لعباده والسدنة لجنانه والثابتة في الأرض السفلى أقدامهم المارقة من السماء العليا أعناقهم الخارجة من الأقطار أكتافهم الماسة لقوائم العرش أكتافهم. انتهى والله على كل شيء قدير.

(حَدَّثَنَا هُدْبَةُ) بضم الهاء وسكون الدال وبالباء الموحدة (ابنُ خَالِدٍ) أي: ابن أبي الأسود القيسي البصري ويقال هدا ب وقد مر في الصلاة قَالَ: (حَدَّثَنَا هَمَّامٌ) هو ابن يَحْيَى بن دينار العوزي بفتح العين المهملة وسكون الواو وبالذال المعجمة وقد مرَّ في الموضوع.

(عَنْ قَتَادَةَ) أي: ابن دعامه البصري (ح) تحويل من إسناد إلى آخر.
(وَقَالَ لِي خَلِيفَةُ) هو ابن خياط أَبُو عمرو العصفري⁽¹⁾، (حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ) يزيد في الزيادة وزريع مصغر زرع بمعنى الحرث قَالَ: (حَدَّثَنَا سَعِيدٌ) هو ابن أبي عروبة واسم أبي عروبة مهران الشكري، (وَهَشَامٌ) هو ابن أبي عَبْدِ اللَّهِ الدستوائي.

(قَالَا: حَدَّثَنَا قَتَادَةُ) قَالَ: (حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ) رضي الله تعالى عنه (عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ) الْأَنْصَارِيِّ رضي الله تعالى عنه أنه قال: (قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: بَيْنَا أَنَا عِنْدَ الْبَيْتِ) أي: الكعبة وقد مر في أول كتاب الصلاة في رواية أبي ذر أنه قَالَ فرج عن سقف بيتي والتوفيق بينهما هو أن الأصح كان له ﷺ معراجان أو دخل بيته ثم عرج.

(بَيْنَ النَّائِمِ، وَالْيَقْظَانِ) وظاهر حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي مضى في أول كتاب الصلاة أنه كان في اليقظة إذ هو مقتضى الإطلاق وهو المطابق لما في

(1) الحافظ وقد مرَّ في باب الميت يسمع خفق نعالهم وإنما ذكره بلفظ قال ولم يقل حدثني إشعاراً بأنه سمع منه عند المذاكرة لا على طريق التحميل والتبليغ.

مسند الإمام أحمد عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه كان في اليقظة رآه بعينه وقد صح عن رواية شريك عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كما ذكره البُخَارِيُّ في التوحيد أو آخر الكتاب إنه كان نائمًا فوجه التوفيق أنه اختلف العلماء في تعدد الإسراء فإن قلنا بالتعدد مرتين أو أكثر فلا إشكال فيه وإن لم نقل به فالحق أنه كان في اليقظة بجسده لأنه قد أنكرته قريش وإنما ينكر إذا كان في اليقظة إذ الرؤيا لا تنكر ولو بأبعد منه وَقَالَ القاضي عياض اختلفوا في الإسراء إلى السموات فقليل إنه كان في المنام والحق الذي عليه الجمهور أنه أسري بجسده فإن قيل بين النائم واليقظان يدل على أنه رؤيا نوم فالجواب لا حجة فيه إذ قد يكون ذلك حالة أول وصول الملك إليه وليس فيه ما يدل على كونه نائمًا في القصة كلها .

وَقَالَ الْحَافِظُ : عبد الحق في الجمع بين الصحيحين وما روى شريك عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه كان نائمًا فهي زيادة مجهولة وقد روى الحفاظ المتقنون والأئمة المشهورون كابن شهاب وثابت البناني وقتادة عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فلم يأت أحد منهم بها وشريك ليس بالحافظ عند أهل الحديث .

وَقَالَ الْعَيْنِيُّ : اختلفوا في الإسراء فيه على ثلاث مقالات فذهبت طائفة إلى أنه كان في المنام مع اتفاقهم أن رؤيا الأنبياء عليهم السلام وحي وحق وإلى هذا ذهب معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وحاكي عن الحسن والمشهور عنه خلافه واحتجوا في ذلك بما روي عن عائشة رضي الله تعالى عنها ما فقد جسد رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وبقوله : «بينا أنا نائم» ويقول أنس وهو نائم في المسجد الحرام وذكر القصة وَقَالَ في آخرها : «فاستيقظت وأنا بالمسجد الحرام» وذهب معظم السلف إلى أنه كان بجسده وفي اليقظة وهذا هو الحق وهو قول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فيما صححه الحاكم وعدد في الشفاء عشرين نفسا قَالَ بذلك من الصحابة والتابعين وأتباعهم وهو قول أكثر المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمفسرين والمتكلمين وذهبت طائفة إلى أن الإسراء بالجسد يقظة إلى بيت المقدس وإلى السماء بالروح والصحيح الحق كما مر أنه أسري بالجسد والروح في القصة كلها يقظة وعليه يدل قوله تعالى : ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ [الإسراء : 1] إذ لو كان منامًا لقال

- وَذَكَرَ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ -، فَأُتِيَتْ بِطُسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ، مُلِئَتْ حِكْمَةً وَإِيمَانًا، فَشُقَّ مِنَ النَّخْرِ إِلَى مَرَاقٍ الْبُطْنِ،

بروح عبده ولم يقل بعبده ولا يعدل عن الظاهر والحقيقة إلى التأويل إلا عند الاستحالة وليس في الإسراء بجسده وحال يقظته استحالة فليتأمل.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: هِيَ رُؤْيَا عَيْنٍ رَأَاهَا لَا رُؤْيَا مَنَامٍ وَأَمَّا قَوْلُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مَا فَقَدَ جَسَدَهُ فَلَمْ تَحْدِثْ بِهِ عَنْ مَشَاهِدَةٍ لِأَنَّهَا لَمْ تَكُنْ حِينَئِذٍ زَوْجَةً وَلَا فِي سَنٍ مِنْ يَضْبُطُ وَلَعَلَّهَا لَمْ تَكُنْ وَلَدَتْ فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ تَكُونُ قَدْ حَدِثْتَ بِذَلِكَ عَنْ غَيْرِهَا فَلَا يَرْجَحُ خَبَرُهَا عَلَى خَبَرِ غَيْرِهَا وَقَدْ عَرَفْتَ أَنَّ مَا رَوَاهُ شَرِيكَ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ نَائِمًا فَهُوَ زِيَادَةٌ مَجْهُولَةٌ.

(وَذَكَرَ) أَيِ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ)⁽¹⁾ وَقَالَ الْكِرْمَانِيُّ: وَذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثَةَ رِجَالٍ وَهُمْ الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ تَصَوَّرُوا بِصُورَةِ الْإِنْسَانِ.

(فَأُتِيَتْ) عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ (بِطُسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ، مُلِئَتْ) كَذَا فِي رِوَايَةِ الْكَشْمِيرِيِّ⁽²⁾ وَفِي رِوَايَةِ الْأَكْثَرِ مَلَأَنَ وَالتَّذْكِيرُ وَالتَّأْنِيثُ بِاعْتِبَارِ الطُّسْتِ لِأَنَّهَا مُؤَنَّثَةٌ وَوُجِدَ بِخَطِّ الدِّمِيَاطِيِّ مَلِئَتْ بِضَمِّ الْمِيمِ عَلَى لَفْظِ الْفِعْلِ الْمَاضِي فَعَلَى هَذَا لَا تَغَايِرَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَوْلِهِ مَلَأَنَ فِي التَّذْكِيرِ وَجَمَعَ طُسْتٌ بِفَتْحِ الطَّاءِ الْمَهْمَلَةِ وَسَكُونِ السِّينِ الْمَهْمَلَةِ بِفَتْحِ الطَّاءِ طُسُوسٌ وَجَاءَ بِكسْرِ الطَّاءِ أَيْضًا.

ويقال: طس بتشديد السين.

(حِكْمَةً وَإِيمَانًا) قَالَ الْكِرْمَانِيُّ: هُمَا مَعْنِيَانِ وَالْإِفْرَاقُ صِفَةُ الْأَجْسَامِ وَأَجَابَ بِأَنَّهُ كَانَ فِي الطُّسْتِ شَيْءٌ يَحْصُلُ بِهِ كَمَالُ الْإِيمَانِ وَالْحِكْمَةِ وَزِيَادَتُهُمَا فَمُسَمًّى إِيْمَانًا وَحِكْمَةً لِكَوْنِهِ سَبَبًا لَهُمَا.

وَقَالَ الطَّبِيبِيُّ: لَعَلَّهُ مِنْ بَابِ التَّمْثِيلِ أَوْ تَمَثَّلَ لَهُ الْمَعْنَانِي كَمَا تَمَثَّلَ لَهُ أَرْوَاحُ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بِالْأَصْوَرِ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا.

(فَشُقَّ مِنَ النَّخْرِ إِلَى مَرَاقٍ الْبُطْنِ) النَّخْرُ الصَّدْرُ وَالْمَرَاقُ بِفَتْحِ الْمِيمِ وَتَخْفِيفِ

(1) وهذا مختصر أوضحته رواية مسلم من طريق سعيد عن قتادة بلفظ إذ سمعت قائلاً يقول أحد الثلاثة بين الرجلين فأتيت فانطلقوا بي وقد ثبت أن المراد بالرجلين: حمزة وجعفر فإن النبي ﷺ كان نائماً بينهما وفي رواية الأصيلي وأبي الوقت وذكر يعني رجلاً بين الرجلين.

(2) بفتح الميم وسكون اللام وفتح الهمة مقصور مؤنث ملأن.

ثُمَّ غُسِلَ الْبَطْنُ بِمَاءٍ زَمْزَمَ، ثُمَّ مُلِئَ حِكْمَةً وَإِيمَانًا، وَأُتِيَتْ بِدَابَّةٍ أَبْيَضَ، دُونَ الْبَغْلِ وَفَوْقَ الْحِمَارِ: الْبَرَّاقُ،

الراء وتشديد القاف ما سفّل من البطن ورق من جلده وأصله مراقق وسميت بذلك لأنها موضع رقة الجلد وهو جمع مرقق.

(ثُمَّ غُسِلَ الْبَطْنُ بِمَاءٍ زَمْزَمَ، ثُمَّ مُلِئَ حِكْمَةً وَإِيمَانًا) قَالَ الطَّبِيبُ: ما ذكر من شق الصدر واستخراج القلب وما يجري مجراه فإن السبيل في ذلك التسليم دون التعرض بصرفه إلى وجهه يقول متكلف ادعاء للتوفيق بين المنقول والمعقول تبرؤاً مما يتوهم أنه محال ونحن بحمد الله تعالى لا نرى العدول عن الحقيقة إلى المجاز في خبر الصادق عن الأمر المحال به على القدرة واعلم أن هذا الشق غير الشق الذي كان في صغره فعلم أن الشق كان مرتين.

(وَأُتِيَتْ) على البناء للمفعول (بِدَابَّةٍ أَبْيَضَ) إنما قَالَ أبيض ولم يقل بيضاء لأنه أعاده على المعنى أي: مركوب أو براق.

(دُونَ الْبَغْلِ وَفَوْقَ الْحِمَارِ: الْبَرَّاقُ) مرفوع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي: هو براق ويجوز الجر على أنه بدل من دابة.

والبراق: اسم للدابة التي ركبها رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تلك الليلة.

وَقَالَ ابن دريد: اشتقاقه من البرق إن شاء الله تعالى لسرعته وقيل سمي به لشدة صفائه وتألؤ لونه ويقال شاة برقاء إذا كان خلال صوفها طاقات سود فيحتمل التشبيه به لكونه ذا لونين وذكر ابن أبي خالدة في كتاب الاحتفال في أسماء الخيل وصفاتها أن البراق ليس بذكر ولا أنثى ووجهه كوجه الإنسان وجسده كجسد الفرس وقوائمه كقوائم الثور وذنبه كذنب الغزال.

وَقَالَ ابن إسحاق: البراق دابة أبيض وفي فخذه جناحان يحفر بهما رجله يضع حافره في منتهى طرفه.

وَقَالَ الزبيدي في مختصر العين وصاحب التحرير: هي دابة كانت الأنبياء عليهم السلام يركبونها.

وَقَالَ الطَّبِيبُ: وهذا الذي قاله يحتاج إلى نقل صحيح ثم قَالَ لعلمهم حسبوا ذلك من قوله في حديث آخر فربطته بالحلقة التي يربط بها الأنبياء أي: ربطت البراق بالحلقة التي يربط بها الأنبياء البراق وأظهر منه حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

فَانْطَلَقْتُ مَعَ جِبْرِيلَ حَتَّى أَتَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟

في حديث آخر قول جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ للبراق فما ركبك أحد أكرم على الله منه. وعن قَتَادَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لما أراد الركوب على البراق شمس فوضع جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ يده على معرفته ثم قَالَ أَلَا تَسْتَحْيِي يَا بَرَاقُ مِمَّا تَصْنَعُ فَوَاللَّهِ مَا رَكِبَكَ عَبْدٌ لِلَّهِ قَبْلَ مُحَمَّدٍ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ مِنْهُ قَالَ فَاسْتَحْيِي حَتَّى أَرْفُضَ عِرْقًا ثُمَّ قَرَّ حَتَّى رَكِبَهُ.

وَقَالَ ابْنُ بَطَالٍ: فِي سَبَبِ نَفْرَةِ الْبَرَاقِ بَعْدَ عَهْدِهِ بِالْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَهُوَ طَوَّلُ الْفَتْرَةِ بَيْنَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمُحَمَّدٍ ﷺ وَقَالَ غَيْرُهُ قَالَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِمُحَمَّدٍ ﷺ حِينَ شَمَسَ بِهِ الْبَرَاقُ لَعَلَّكَ يَا مُحَمَّدُ مَسَسْتَ الصَّفْرَاءَ الْيَوْمَ يَعْنِي الذَّهَبَ فَأَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهُ مَا مَسَّهَا إِلَّا أَنَّهُ مَرَّ بِهَا فَقَالَ: تَبًّا لِمَنْ يَعْبُدُكَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ فَمَا شَمَسَ إِلَّا لِذَلِكَ ذَكَرَهُ السَّهِيلِيُّ.

وَقَالَ الْعَيْنِيُّ: أَنَّهُ سَمِعَ مِنْ بَعْضِ مَشَايخِهِ الثَّقَاتِ أَنَّهُ إِنَّمَا شَمَسَ لِيَعْدَ لَهُ الرَّسُولُ ﷺ بِالرَّكُوبِ عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَلَمَّا وَعِدَ لَهُ ذَلِكَ قَرَّ وَفِي صَحِيحِ ابْنِ حَبَانَ أَنَّ جِبْرَائِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَمَلَهُ ﷺ عَلَى الْبَرَاقِ رَدِيفًا لَهُ ثُمَّ رَجَعَا وَلَمْ يَصِلْ فِيهِ أَيْ: فِي بَيْتِ الْمَقْدَسِ وَلَوْ صَلَّى لَكَانَتْ سَنَةٌ وَهُوَ مِنْ أَطْرَافِ مَا يَسْتَدِلُّ بِهِ عَلَى الْإِرْدَادِ وَفِي حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَغَيْرِهِ أَنَّهُ صَلَّى وَأَنْكَرَ ذَلِكَ حَذِيفَةُ وَقَالَ وَاللَّهِ مَا زَالَا عَنْ ظَهْرِ الْبَرَاقِ حَتَّى رَجَعَا وَأَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ حَدِيثَ الْإِسْرَاءِ مِنْ حَدِيثِ شَدَادِ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَفِيهِ أَنَّهُ صَلَّى تِلْكَ اللَّيْلَةَ بَيْتَ لَحْمٍ.

(فَانْطَلَقْتُ مَعَ جِبْرِيلَ حَتَّى أَتَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا) لَمْ يَذْكُرْ فِيهِ مَجِيئَهُ إِلَى الْقُدْسِ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ [الْإِسْرَاءُ: 1] ذَكَرَ الْمَفْسُورُونَ وَأَهْلُ السَّيْرِ أَنَّهُ لَمَّا رَكِبَ الْبَرَاقَ أَتَى إِلَى بَيْتِ الْمَقْدَسِ وَمَعَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلَمَّا فَرَّغَ أَمْرَهُ فِيهِ نَصَبَ لَهُ الْمِعْرَاجَ وَهُوَ السَّلْمُ فَصَعِدَ فِيهِ إِلَى السَّمَاءِ وَلَمْ يَكُنِ الصُّعُودُ عَلَى الْبَرَاقِ كَمَا يَتَوَهَّمُهُ بَعْضُ النَّاسِ بَلْ كَانَ الْبَرَاقُ مَرْبُوطًا عَلَى بَابِ مَسْجِدِ بَيْتِ الْمَقْدَسِ حَتَّى يَرْجِعَ عَلَيْهِ إِلَى مَكَّةَ.

(قِيلَ: مَنْ هَذَا؟) وَفِي رِوَايَةِ أَبِي ذَرٍّ الَّتِي مَضَتْ فِي أَوَّلِ الْكِتَابِ فَلَمَّا جِئْتُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا قَالَ جِبْرِيلُ لِحَازَنِ السَّمَاءِ: افْتَحْ فَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ لِلْسَّمَوَاتِ

قَالَ جِبْرِيلُ: قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، وَلِنَعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَأَتَيْتُ عَلَى آدَمَ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ،

أبوابا وحفظة موكلين بها.

(قَالَ جِبْرِيلُ) يعني: قَالَ: أنا جبريل وفيه إثبات الاستئذان وأنه ينبغي أن يقول أنا زيد مثلاً.

(قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ) أي: قَالَ جبريل معي مُحَمَّدٌ والظاهر أن القائل في قوله قيل في هذه المواضع خزان أبواب السموات.

(قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟) الواو للعطف وحرف الاستفهام مقدر أي: أطلب وأرسل إليه وفي رواية أخرى وقد بعث إليه للإسراء وصعود السموات قَالَ الطيبي وليس مراده الاستفهام عن أصل البعثة والرسالة فإن ذلك لا يخفى عليهم إلى هذه المدة هذا هو الصحيح وقيل معناه أوحى إليه وبعث نبياً والأول أظهر لأن أمر نبوته كان مشهوراً في عالم الملكوت لا يكاد يخفى على خزان السموات وحراسها وقيل كان سؤالهم للاستعجاب بما أنعم الله عليه أو للاستبشار بعروجه إذ كان من البين عندهم أن أحداً من البشر لا يترقى إلى أسباب السموات من غير أن يأذن الله له ويأمر ملائكته بإصعاده وأن جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ لا يصعد بمن لم يرسل إليه ولا يفتح له أبواب السموات.

(قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ) أي: بمحمد ﷺ ومعناه لقي رحباً وسعة وقيل معناه رحب الله به مرحباً فجعل مرحباً موضع الترحيب فعلى الأول انتصابه على المفعولية وعلى الثاني على المصدرية.

(وَلِنَعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ) المخصوص بالمدح وفيه تقديم وتأخير تقديره جاء فلنعم المجيء مجيئه قَالَ المالكي فيه شاهد على الاستغناء بالصلة عن الموصول في باب نعم لأنها تحتاج إلى فاعل هو المجيء وإلى مخصص بمعناه وهو مبتدأ مخبر عنه بنعم وفاعلها وهو في هذا الكلام وشبهه موصول أو موصوف والتقدير نعم المجيء الذي جاء أو نعم المجيء جاء وكونه موصولاً أجود لأنه مخبر عنه وكون المخبر عنه معرفة أولى من كونه نكرة.

(فَأَتَيْتُ عَلَى آدَمَ) عليه السلام (فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ) وفي رواية: وأمر بالتسليم

فَقَالَ: مَرْحَبًا بِكَ مِنْ ابْنِ وَنَبِيِّ، فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ، قِيلَ مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ، قِيلَ: أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، وَلِنَعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَأَتَيْتُ عَلَى عِيسَى، وَيَحْيَى فَقَالَا: مَرْحَبًا بِكَ مِنْ أَخِ وَنَبِيِّ، فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ الثَّالِثَةَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قِيلَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟ قِيلَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، وَلِنَعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَأَتَيْتُ يُوسُفَ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ قَالَ: مَرْحَبًا بِكَ مِنْ أَخِ وَنَبِيِّ، فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ الرَّابِعَةَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟ قِيلَ مُحَمَّدٌ ﷺ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قِيلَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ وَلِنَعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَأَتَيْتُ عَلَى إِدْرِيسَ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ،

عليهم أي: على الأنبياء عليهم السلام الذين لقيهم في السموات وعلى خزان السموات وحراسها لأنه كان عابراً عليهم وكان في حكم القيام وكانوا في حكم القعود والقائم يسلم على القاعد وإن كان أفضل منه.

(فَقَالَ: مَرْحَبًا بِكَ مِنْ ابْنِ وَنَبِيِّ) وكل واحد من النبوة والنبوة ظاهر.

(فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ، قِيلَ مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِائِيلُ، قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ، قِيلَ: أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟) وروى: أرسل إليه بدون لفظ وقد (قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، وَلِنَعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَأَتَيْتُ عَلَى عِيسَى، وَيَحْيَى) عليهما السلام (فَقَالَا: مَرْحَبًا بِكَ مِنْ أَخِ وَنَبِيِّ، فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ الثَّالِثَةَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قِيلَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟ قِيلَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، وَلِنَعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَأَتَيْتُ عَلَى (يُوسُفَ) عَلَيْهِ السَّلَامُ، (فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ قَالَ: مَرْحَبًا بِكَ مِنْ أَخِ وَنَبِيِّ، فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ الرَّابِعَةَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟ قِيلَ مُحَمَّدٌ ﷺ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قِيلَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ وَلِنَعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَأَتَيْتُ عَلَى إِدْرِيسَ) عَلَيْهِ السَّلَامُ، (فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ) وكان في السماء الرابعة قيل وهذا معنى قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ (مريم: 57) قاله أبو سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقيل: معناه رفعناه في المنزلة والرتبة.

وقيل: المراد من قوله ورفعناه مكاناً علياً الجنة فإن قيل إذا كان في الجنة فكيف لقيه في السماء الرابعة.

فَقَالَ: مَرْحَبًا بِكَ مِنْ أَخٍ وَنَبِيِّ، فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ الْخَامِسَةَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قِيلَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ وَلِنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَأَتَيْنَا عَلَى هَارُونَ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِكَ مِنْ أَخٍ وَنَبِيِّ، فَأَتَيْنَا عَلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قِيلَ جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟ قِيلَ: مُحَمَّدٌ ﷺ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ مَرْحَبًا بِهِ وَلِنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَأَتَيْتُ عَلَى مُوسَى فَسَلَّمْتُ، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِكَ مِنْ أَخٍ وَنَبِيِّ، فَلَمَّا جَاوَزْتُ بَكَى، فَقِيلَ: مَا أَبْكَاكُ؟ قَالَ: يَا رَبِّ هَذَا الْغُلَامُ الَّذِي بَعَثَ بَعْدِي يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِهِ أَفْضَلُ مِمَّا يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتِي،

فالجواب: أنه لما أخبر بعروجه ﷺ إلى السموات وما فوقها استأذن ربه في ملاقاته فاستقبله فكان اجتماعه به في السماء الرابعة اتفاقاً لا قصداً.

(فَقَالَ: مَرْحَبًا بِكَ مِنْ أَخٍ وَنَبِيِّ) فإن قيل: كيف قال إدريس عليه السلام من أخ وهو جد لنوح عليه السلام فكان المناسب أن يقول من ابن.

فالجواب: أنه عليه السلام لعله قاله تلطفاً وتادباً والأنبياء أخوة.

(فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ الْخَامِسَةَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قِيلَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ وَلِنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَأَتَيْنَا عَلَى هَارُونَ) عَلَيْهِ السَّلَامُ، (فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِكَ مِنْ أَخٍ وَنَبِيِّ، فَأَتَيْنَا عَلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قِيلَ جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟ قِيلَ: مُحَمَّدٌ ﷺ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ مَرْحَبًا بِهِ وَلِنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَأَتَيْتُ عَلَى مُوسَى) عَلَيْهِ السَّلَامُ، (فَسَلَّمْتُ) عَلَيْهِ، (فَقَالَ: مَرْحَبًا بِكَ مِنْ أَخٍ وَنَبِيِّ، فَلَمَّا جَاوَزْتُ بَكَى، فَقِيلَ: مَا أَبْكَاكُ؟ قَالَ: يَا رَبِّ هَذَا الْغُلَامُ الَّذِي بَعَثَ بَعْدِي يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِهِ أَفْضَلُ مِمَّا يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتِي) قالوا: كان بكاءه عليه السلام لأجل الرقة لقومه والشفقة عليهم حيث لم ينتفعوا بمتابعته انتفاع هذه الأمة بمتابعتهم نبيهم ولم يبلغ سوادهم مبلغ سوادهم ولا ينبغي إلا أن يحمل على هذا الوجه وما يضاهي ذلك فإن الحسد في ذلك العالم منزوع عن عوام المؤمنين فضلاً عن اختاره الله لرسالته واصطفاه لمكالمته وأما قوله هذا الغلام فلم يرد به موسى عليه السلام استصغار شأنه فإن الغلام قد يطلق ويراد به القوي الطري

فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ السَّابِعَةَ، قِيلَ مَنْ هَذَا؟ قِيلَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ مَنْ مَعَكَ؟ قِيلَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ، مَرْحَبًا بِهِ وَلَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَأَتَيْتُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِكَ مِنْ ابْنِ وَنِيِّي، فَرَفَعَ لِي الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ،

الشاب والمراد منه استقصار مدته مع استكثار فضائله وأتمه أتم سوادًا من أمته .
وَقَالَ الْخَطَّابِيُّ : قوله : الغلام ليس على معنى الإزراء والاستصغار لشأنه إنما هو على تعظيم منة الله تعالى عليه مما أناله من النعمة وأتحفه من الكرامة من غير طول عمر أفناه مجتهدًا في طاعته وقد تسمي العرب الرجل المستجمع السن غلامًا ما دام فيه بقية من القوة وذلك في لغتهم مشهورة.

فائدة:

البكاء يكون على ضروب مرة من الحزن والألم ومرة من الاستنكار أو التعجب وأخرى من سرور أو طرب.

(فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ السَّابِعَةَ، قِيلَ مَنْ هَذَا؟ قِيلَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ مَنْ مَعَكَ؟ قِيلَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ، مَرْحَبًا بِهِ وَلَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَأَتَيْتُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ) عَلَيْهِ السَّلَامُ، (فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِكَ مِنْ ابْنِ وَنِيِّي) فَإِنْ قِيلَ: قد مر في الصلاة أن إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ في السادسة فما التوفيق بينهما .

فالجواب: أن يقال إنه لعله وجد في السادسة ثم ارتقى هو أيضًا إلى السابعة وكذلك اختلف في مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ هل هو في السادسة أو السابعة والكلام فيه كالکلام في هذا والله تعالى أعلم.

(فَرَفَعَ لِي الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ) أَي: كشف لي وقرب مني والرفع التقريب والعرض .

وَقَالَ التَّوْرِبَشْتِيُّ : الرفع تقريبك الشيء وقد قيل في قوله : ﴿وَفُتِحَ مَرْوَعَةٌ﴾ [الواقعة: 34] أي: مقربة لهم وكأنه أراد أن البيت المعمور ظهر له كل الظهور وكذلك سدره المنتهى استبينت له كل الاستبانة حتى اطلع عليها كل الاطلاع بمثابة الشيء المقرب إليه وفي معناه رفع لي بيت المقدس والبيت المعمور بيت في السماء حيال الكعبة اسمه الضراح بضم الضاد المعجمة وتخفيف الراء وبالحاء

فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ، فَقَالَ: هَذَا الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ يُصَلِّي فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، إِذَا خَرَجُوا لَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ، وَرُفِعَتْ لِي سِدْرَةُ الْمُتَنَهَّى،

المهملة وعمرانه كثرة غاشيته من الملائكة.

(فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ، فَقَالَ: هَذَا الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ يُصَلِّي فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، إِذَا خَرَجُوا لَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ) ويروى: لم يعيدوا (آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ) روي آخر: بالرفع والنصب أما النصب على الظرف وأما الرفع فعلى تقدير ذلك آخر ما عليهم من دخوله قَالَ صاحب المطالع: الرفع أجود.

وفي رواية قَتَادَةَ عن الحسن عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّهُ رَأَى الْبَيْتَ الْمَعْمُورَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَعُودُونَ فِيهِ.

وقد روى إسحاق في مسنده والطبري وغير واحد من طريق خالد بن عرعة عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّهُ سَأَلَ عَنِ السَّقْفِ الْمَرْفُوعِ قَالَ السَّمَاءُ وَعَنِ الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ قَالَ بَيْتٌ فِي السَّمَاءِ بِحَيَالِ الْبَيْتِ حَرَمَتِهِ فِي السَّمَاءِ كَحَرَمَةِ هَذَا فِي الْأَرْضِ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ وَلَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ.

وفي رواية للطبري: أَنَّ السَّائِلَ عَنْ ذَلِكَ هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْكَوَاءِ وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا نَحْوَهُ وَزَادَ وَهُوَ عَلَى مِثْلِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ لَوْ سَقَطَ لَسَقَطَ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا نَحْوَهُ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ وَهُوَ عِنْدَ الْفَاكِهِي فِي كِتَابِ مَكَّةَ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ عَنْهُ لَكِنْ مَوْقُوفًا عَلَيْهِ.

وروى ابن مردويه أيضًا وابن أبي حاتم من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا نَحْوَ حَدِيثِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَزَادَ فِي السَّمَاءِ نَهْرٌ يَقَالُ لَهُ نَهْرُ الْحَيَوَانِ يَدْخُلُهُ جِبْرِيلُ كُلَّ يَوْمٍ فَيَنْغَمِسُ ثُمَّ يَخْرُجُ فَيَنْتَفِضُ فَيَخْرُجُ عَنْهُ سَبْعُونَ أَلْفَ قَطْرَةٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مِنْ كُلِّ قَطْرَةٍ مَلَكًا فَهُمْ الَّذِينَ يَصْلُونَ فِيهِ ثُمَّ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ وَإِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ.

(وَرُفِعَتْ لِي سِدْرَةُ الْمُتَنَهَّى) ويروى المنتهى بالألف واللام والسدرة شجرة النبق سميت بها لأن علم الملائكة ينتهي إليها ولم يجاوزها أحد إلا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وحكي عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِنَّمَا سُمِيتَ بِذَلِكَ لَكُنْهََا يَنْتَهِي إِلَيْهَا مَا يَهْبِطُ مِنْ فَوْقِهَا وَمَا يَصْعَدُ مِنْ تَحْتِهَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى.

فَإِذَا نَبَقَهَا كَأَنَّهُ قِلَالٌ هَجَرَ وَوَرَقَهَا، كَأَنَّهُ آذَانُ الْقُيُولِ فِي أَصْلِهَا أَرْبَعَةٌ أَنْهَارٍ نَهْرَانِ بَاطِنَانِ، وَنَهْرَانِ ظَاهِرَانِ، فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ، فَقَالَ: أَمَّا الْبَاطِنَانِ: فَفِي الْجَنَّةِ، وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ: النَّيْلُ وَالْفُرَاتُ،

(فَإِذَا نَبَقَهَا) إِذَا لِلْمَفْجَأَةِ وَالنَّبَقِ بَفَتْحِ النُّونِ وَكَسْرِ الْمُوَحَّدَةِ وَسُكُونِهَا حَمَلُ السِّدْرِ وَالْوَاحِدِ نَبْقَةً وَنَبْقَةً.

(كَأَنَّهُ قِلَالٌ هَجَرَ) الْقِلَالُ: جَمْعُ قَلَةٍ.

وَقَالَ ابْنُ التِّينِ: الْقَلَةُ مَا يَسَعُ مَائَتِي رَطلٍ وَخَمْسِينَ رَطلًا بِالرَّطَلِ الْبَغْدَادِيِّ وَالْأَصْحَحُ عِنْدَ الشَّافِعِيَّةِ مَا يَسَعُ خَمْسَمِائَةَ رَطلٍ.

وَقَالَ الْخَطَّابِيُّ: الْقِلَالُ الْجَرَارُ وَهِيَ مَعْرُوفَةٌ عِنْدَ الْمُخَاطَبِينَ مَعْلُومَةُ الْقَدْرِ. وَقَالَ ابْنُ فَارَسٍ: الْقَلَةُ مَا أَقْلَهُ الْإِنْسَانُ مِنْ جَرَةٍ أَوْجِبَ قَالَ: وَلَيْسَ فِي ذَلِكَ عِنْدَ أَهْلِ اللُّغَةِ حَدٌّ مَحْدُودٌ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَ فِي الْحَدِيثِ تَفْسِيرٌ فَيَجِبُ أَنْ يَسْلَمَ وَعِبَارَةٌ الْهَرَوِيُّ الْقَلَةُ مَا يَأْخُذُ مَزَادَةً مِنَ الْمَاءِ سَمِيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا تَقِلُّ أَيُّ: تَرْفَعُ⁽¹⁾ وَهَجَرَ بَفَتْحِ الْهَاءِ وَالْجِيمِ وَآخِرُهُ رَاءٌ: بِلَدَةٍ لَا تَنْصَرِفُ لِلْعِلْمِيَّةِ وَالتَّأْنِيثِ.

وَفِي الْمَطَالَعِ هَجَرَ مَدِينَةُ بِالْيَمَنِ هِيَ قَاعِدَةُ الْبَحْرَيْنِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْبَحْرَيْنِ عَشْرَ مَرَاحِلٍ وَيُقَالُ: الْهَجَرَ أَيْضًا بِالْأَلْفِ وَاللَّامِ.

(وَوَرَقَهَا، كَأَنَّهُ آذَانُ الْقُيُولِ) هُوَ جَمْعُ فِيلٍ وَهُوَ الْحَيَوَانُ الْمَعْرُوفُ. (فِي أَصْلِهَا أَرْبَعَةٌ أَنْهَارٍ) جَمْعُ نَهْرٍ بَفَتْحِ الْهَاءِ وَسُكُونِهَا (نَهْرَانِ بَاطِنَانِ) قَالَ مُقَاتِلٌ: هُمَا السَّلْسِيلُ وَالْكُوثرُ، (وَنَهْرَانِ ظَاهِرَانِ) وَقَدْ بَيْنَهُمَا فِي الْحَدِيثِ. (فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ، فَقَالَ: أَمَّا الْبَاطِنَانِ: فَفِي الْجَنَّةِ، وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ: النَّيْلُ وَالْفُرَاتُ) هُمَا يَخْرُجَانِ مِنْ أَصْلِهَا ثُمَّ يَسِيرَانِ حَيْثُ أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى ثُمَّ يَخْرُجَانِ مِنَ الْأَرْضِ وَيَجْرِيَانِ فِيهَا.

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا: أَنَّ جَمِيعَ الْمِيَاهِ مِنْ تَحْتِ صَخْرَةِ بَيْتِ الْمَقْدَسِ وَمِنْ هُنَاكَ تَتَفَرَّقُ فِي الدُّنْيَا.

أَمَّا النَّيْلُ: فَمَبْدُؤُهُ مِنْ جِبَالِ الْقَمَرِ بَضْمِ الْقَافِ وَسُكُونِ الْمِيمِ، وَقِيلَ: بَفَتْحِ

(1) وَقَالَ الْكُرْمَانِيُّ هِيَ جَرَةٌ عَظِيمَةٌ تَسَعُ قَرَبَتَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ.

ثُمَّ فُرِضَتْ عَلَيَّ خَمْسُونَ صَلَاةً، فَأَقْبَلْتُ حَتَّى جِئْتُ مُوسَى، فَقَالَ: مَا صَنَعْتَ؟
 قُلْتُ: فُرِضَتْ عَلَيَّ خَمْسُونَ صَلَاةً، قَالَ: أَنَا أَعْلَمُ بِالنَّاسِ مِنْكَ، عَالَجْتُ بَنِي
 إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمُعَالَجَةِ، وَإِنَّ أَمَّتَكَ لَا تُطِيقُ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ، فَسَلُهُ، فَارْجَعْتُ،
 فَسَأَلْتُهُ، فَجَعَلَهَا أَرْبَعِينَ،

الميم تشبيهاً بالقمر في بياضه .

وقيل : ينبع من اثني عشر عيناً هناك ويجري في ثلاثة أشهر في العمران إلى
 أن يجيء إلى مصر فيفترق عند قرية يقال لها : شطنوف فيمر الغربي منه على رشيد
 وينصب في البحر الملح وأما الشرقي فيفترق أيضاً فرقتين عند جوجر فتمر الغربية
 منهما على دمياط من غربيها وينصب في البحر الملح والشرقي منها يمر على
 أشمون طناح فينصب هناك في بحيرة شرقي دمياط يقال لها : بحيرة تنيس وبحيرة
 دمياط .

وأما الفرات : فأصله من أطراف أرمينية قريب من قاليقلا ثم يمر على بلاد
 الروم بأرض ملطية ثم على شمشياط وقلعة الروم والبيرة وجسر منيح وبالس
 وجعبر والركة والرحبة وقرقيسا وعانة والحديثة وهيت والأنبار ثم يمر بالطفوف
 ثم بالحلة ثم بالكوفة وينتهي إلى البطايح وينصب في البحر الشرقي قالوا ومقدار
 جريانها على وجه الأرض أربعمائة فرسخ .

وَقَالَ الْكِرْمَانِيُّ: أما الفرات فهو الذي في العراق والنيل هو الذي في مصر.
 (ثُمَّ فُرِضَتْ عَلَيَّ خَمْسُونَ صَلَاةً، فَأَقْبَلْتُ حَتَّى جِئْتُ مُوسَى) عَلَيْهِ
 السَّلَامُ، (فَقَالَ: مَا صَنَعْتَ؟ قُلْتُ: فُرِضَتْ عَلَيَّ خَمْسُونَ صَلَاةً، قَالَ: أَنَا
 أَعْلَمُ بِالنَّاسِ مِنْكَ، عَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمُعَالَجَةِ) أَي: مارستهم
 ولقيت منهم الشدة فيما أردت منهم من الطاعة .

والمعالجة مثل المزاولة والمجادلة، (وَإِنَّ أَمَّتَكَ لَا تُطِيقُ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ،
 فَسَلُهُ) أصله فاسأله لأنه أمر من السؤال فنقلت حركة الهمزة إلى السين فحذفت
 تخفيفاً واستغنى عن همزة الوصل فحذفت فصار فسله والمعنى فارجع إلى
 الموضوع الذي ناجيت فيه ربك .

(فَرَجَعْتُ، فَسَأَلْتُهُ، فَجَعَلَهَا أَرْبَعِينَ) أَي: فجعل الفريضة التي قدرها أربعين

ثُمَّ مِثْلُهُ، ثُمَّ ثَلَاثِينَ، ثُمَّ مِثْلُهُ فَجَعَلَ عَشْرِينَ، ثُمَّ مِثْلُهُ فَجَعَلَ عَشْرًا، فَأَتَيْتُ مُوسَى، فَقَالَ: مِثْلُهُ، فَجَعَلَهَا خَمْسًا، فَأَتَيْتُ مُوسَى فَقَالَ: مَا صَنَعْتَ؟ قُلْتُ: جَعَلَهَا خَمْسًا، فَقَالَ مِثْلُهُ، قُلْتُ: سَلَّمْتُ بِخَيْرٍ، فَتَوَدَّعَ إِنِّي قَدْ أَمْضَيْتُ فَرِيضَتِي، وَخَفَّفْتُ عَنْ عِبَادِي، وَأَجْزِي الْحَسَنَةَ عَشْرًا،

صلاة، (ثُمَّ مِثْلُهُ) أي: ثم قال موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مثله، (ثُمَّ ثَلَاثِينَ) أي: ثم جعلها ثلاثين صلاة، (ثُمَّ مِثْلُهُ) أي: ثم قال موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مثله، (فَجَعَلَ عَشْرِينَ، ثُمَّ مِثْلُهُ فَجَعَلَ عَشْرًا، فَأَتَيْتُ مُوسَى، فَقَالَ: مِثْلُهُ، فَجَعَلَهَا خَمْسًا) أي: خمس صلوات، (فَأَتَيْتُ مُوسَى فَقَالَ: مَا صَنَعْتَ؟) ويروى: زيادة فيما رجعت وهذه هي المراجعة الأخيرة.

(قُلْتُ: جَعَلَهَا خَمْسًا، فَقَالَ مِثْلُهُ) أي: فَقَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: مثل ما قَالَ قَبْلَهُ مِنَ الْمَرَاJعة وسؤال التخفيف عن الخمس.

(قُلْتُ: سَلَّمْتُ بِخَيْرٍ) ويروى: قد سلمت بزيادة كلمة قد وهو من التسليم يعني سلمت له ما جعله من خمس صلوات فلم يبق لي مراجعة لأني استحييت من ربي من تعدد المراجعة كما مضى في حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي أول كتاب الصلاة من قوله ارجع إلى ربك قلت: استحييت من ربي.

(فَتَوَدَّعَ) أي: فجاء النداء من قبل الله تعالى (إِنِّي قَدْ أَمْضَيْتُ فَرِيضَتِي) أي: أنفذت فريضتي بخمس صلوات، (وَخَفَّفْتُ عَنْ عِبَادِي) من خمسين إلى خمس، (وَأَجْزِي الْحَسَنَةَ عَشْرًا) فيحصل ثواب خمسين صلاة لكل صلاة ثواب عشر صلوات فإن قيل: كيف جازت هذه المراجعة منه ﷺ في باب الصلاة وكذا من مُوسَى عليه الصلاة والسلام.

فالجواب: أنهما عرفا أن الأمر الأول غير واجب حتمًا ولو كان واجبًا حتمًا لا يقبل التخفيف ولم يراجعا.

وفيه: جواز النسخ قبل التمكن من الفعل.

ومطابقة الحديث للترجمة ظاهرة لأن فيه جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو من الكروبيين وهم سادة الملائكة.

وقد أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ مَقْطَعًا فِي أَرْبعة مواضع بعضها في بدء الخلق،

وَقَالَ هَمَّامٌ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنِ الْحَسَنِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ «فِي الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ»⁽¹⁾.

وبعضها في الأنبياء وأُخْرِجَهُ مُسْلِمٌ فِي الْإِيمَانِ وَالتَّرْمِذِيُّ فِي التَّفْسِيرِ وَالنَّسَائِيُّ فِي الصَّلَاةِ.

(وَقَالَ هَمَّامٌ) هو ابن يَحْيَى الذي مضى في رواية الحديث المذكور الذي روى عنه هذبة في السند الأول، (عَنْ قَتَادَةَ، عَنِ الْحَسَنِ) أي: البصري، (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ) أشار بهذا إلى أن

(1) قال ابن أبي جمرة في البهجة: ظاهر الحديث يدل على الإسراء بذات محمد المباركة وفرض الصلاة بغير واسطة.

والكلام عليه من وجوه:

الوجه الأول: قوله عليه السلام: «بيننا أنا عند البيت بين الناس واليقظان» فيه دليل على جواز النوم في الحرم لكن هل ذلك جائز مطلقاً أو لا يكون إلا لعله الظاهر أنه لعله لأنه يعارضه قوله عليه السلام: «إنما المساجد لما بنيت له» والعلة في نومه عليه السلام في الحرم ظاهرة من وجوه:

فمنها: أن البيت قل أن يخلو من الطائف به فقد يكون عليه السلام أتى إلى الحرم فوجد الناس يطوفون فقعد ينتظر فراغ الناس ثم يدخل في الطواف فغلبته عيناه.

ومنها: أن يكون عليه السلام قد يشاهد البيت لأن مشاهدته من المرغب فيه والمندوب إليه. منها: أن يكون عليه السلام قد طاف وتعب من الطواف فقعد قليلاً يستريح من التعب المتقدم ولكي تجم النفس إلى عبادة أخرى وإذا كان النوم بهذه النية فهو طاعة والطاعات سائغ إيقاعها في الحرم يشهد لما قلناه من أن النوم يكون طاعة إذا صحبته تلك النية قصد معاذ وأبي موسى رضي الله عنهما حيث سأل أحدهما الآخر عن قراءة القرآن فقال المسؤول أقرؤه قائماً وقاعداً ومضطجعاً وأفوقه تفويقاً ولا أنام وقال الآخر أما أنا فأقوم وأنام وأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي فلم يسلم أحدهما فترافعا إلى النبي ﷺ فقال عليه السلام للذي كان يفوقه تفويقاً «هو أفقه منك» يعني الذي كان يحتسب نومه كقيامه وهذا نص في أن النوم إذا كان بالنية التي ذكرنا فهو طاعة والطاعات سائغة هناك ومن هذا الباب أجاز العلماء نوم المعتكف في المسجد لأنه غلبة وعون على الطاعة ومنعوه للغير ولهم حجة فيما نحن بسبيله على ما ذهبوا إليه.

الوجه الثاني: فيه دليل على تحري النبي ﷺ للصدق في المقال وأنه لا يترك الحقيقة ويرجع إلى المجاز إلا لأمر لا بد منه في الكلام لأنه من كان بين النائم واليقظان يسوغ أن يطلق عليه في اللغة نائماً ويسوغ أن يطلق عليه يقظاناً لكن ذلك على المجاز ولو قال يقظاناً لكان نطق بالحقيقة أو قاربها لأنه عليه السلام قلبه في نومه كما هو في يقظته يشهد لذلك قوله عليه السلام: «ننام عينا ولا ينام قلبي» فلم يبق نومه عليه السلام إلا في الجوارح الظاهرة ثم الجوارح في هذه المرة لم يكن النوم قد تسلط عليها والظاهر كان كالمتيقظ والباطن متيقظ =

هُمَا مَّا فَصَلَ فِي سِيَاقَةِ قِصَّةِ الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ عَنْ قِصَّةِ الْإِسْرَاءِ وَرَوَى أَصْلَ الْحَدِيثِ

عليه السلام كل حال لكن عدل عليه السلام عن ذكر اليقظة ليبين الأمر على ما كان عليه رفعا للمجاز.

الوجه الثالث: قوله: «وذكر بين الرجلين» يريد أنه كان مضطجعا بين رجلين. وفي هذا دليل على تواضعه عليه السلام وحسن خلقه إذ أنه في الفضل حيث هو ولكنه كان يضطجع مع الناس ويقعد معهم ولم يجعل لنفسه المكرمة مزية عليهم. الوجه الرابع: فيه دليل على جواز النوم جماعة في موضع واحد لكن يشترك في ذلك أن يكون لكل واحد منهم ما يستر به جسده عن صاحبه.

الوجه الخامس: قوله عليه السلام: «فأتيت بطست من ذهب مليء بحكمة إيمانًا» الطست هو إناء يعمل في الغالب من نحاس وهو مبسوط القاع معطوف الأطراف إلى ظاهره يتخذها الناس في غسل أيديهم في الغالب.

الوجه السادس: فيه دليل على فضيلة هذا الإناء إذ أنه أتى به للنبي ﷺ وخصص به دون غيره. الوجه السابع: لقائل أن يقول لم أتى له عليه السلام بالطست من ذهب والذهب في شريعته عليه السلام محرم.

والجواب: أن تحريم الذهب إنما هو لأجل الاستمتاع به في هذه الدار وأما في الآخرة فهو للمؤمنين خالصا لقوله عليه السلام: «هو لهم في الدنيا وهو لنا في الآخرة» ثم إن الاستمتاع بهذا الطست لم يحصل منه عليه السلام وإنما كان غيره هو السائق له والمتناول لما كان فيه وضعه في القلب المبارك فسوقان الطست من هناك وكونه كان من ذهب دال على ترفيع المقام فانتفى التعارض بدليل ما قررناه.

الوجه الثامن: فيه دليل على أن الإيمان والحكمة جواهر محسوسات لا معاني لأنه عليه السلام قال عن الطست إنه أتى به مملوءا بحكمة وإيمانًا ولا يقع الخطاب إلا على ما يفهم ويعرف والمعاني ليس لها أجسام حتى تملأ الإناء يمتلئ الإناء بالأجسام والجواهر وهذا نص من الشارع عليه السلام بخلاف ما ذهب إليه المتكلمون في قولهم بأن الإيمان والحكمة أعراض والجمع بين الحديث وما ذهبوا إليه هو أن حقيقة أعيان المخلوقات التي ليس للحواس إليها إدراك ولا من النبوة بها إخبار أن الإخبار عن حقيقتها غير حقيقة وإنما هو غلبة الظن لأن للعقل بالإجماع من أهل العقل المؤيدين بالتوفيق حذا يقف عنده ولا يتسلط فيما عدا ذلك ولا يقدر أن يصل إليه فهذا وما أشبهه منها لأنهم تكلموا على ما ظهر لهم من الأعراض الصادرة عن هذه الجواهر التي ذكر الشارع عليه السلام في الحديث ولم يكن للعقل قدرة أن يصل إلى هذه الحقيقة التي أخبر بها عليه السلام فيكون الجمع بينهما أن يقال ما قاله المتكلمون حق لأنه الصادر عن الجوهر وهو الذي يدرك بالعقل والحقيقة هي ما ذكره عليه السلام في الحديث ولهذا نظائر كثيرة بين المتكلمين وآثار النبوة ويقع الجمع بينهما على الأسلوب الذي قررناه وما أشبهه وقد نشير لشيء من ذلك ليتنبه لما عداه فمثل ذلك الموت كيف أخبر عليه السلام في الحديث أنه يؤتى به يوم القيامة كبشًا أملح فيذهب بين الجنة والنار =

عن قَتَادَةَ عن أنس وقصة البيت المعمور عن قَتَادَةَ عن الحسن البصري عن أبي

بعد ما يعرض لأهل تلك الدارين فيعرفونه ومثل ذلك أيضًا الأذكار والتلاوة لأن ما ظهر منها هنا معاين وتوجد يوم القيامة جواهر محسوسات لأنها توزن في الميزان ولا يوزن في الميزان إلا الجواهر.

الوجه التاسع : فيه دليل لأهل الصوفية وأصحاب المعاملات والتحقيق لأنهم يقولون إنهم يرون قلوبهم وقلوب إخوانهم وإيمانهم وإيمان إخوانهم بأعين بصائرهم جواهر محسوسات فمنه من يعاين إيمانه مثل المصباح ومنهم من يعاينه مثل الشمعة ومنهم من يعاينه مثل المشعل وهو أقواها ويقولون بأنه لا يكون المحقق محققاً حتى يعاين باطن قلبه بعين بصيرته كما يعاين كفه بعين بصره فيعرف الزيادة فيه من التقصان وكذلك أيضاً يقولون في الحكمة بأنهم يعاينونها بأعين بصائرهم تتابع من جوانب أفئدتهم كما تتابع عيون الماء على اختلافها فبعضها ينبع نبعا يسيرا وبعضها ينبع نبعا كثيرا فمن قوي منهم إيمانه وكثرت حكمته لا يطيق السكوت لأنه يتنعم بذلك تلك الحكم كما يتنعم صاحب الغذاء بحسن الغذاء وربما إذا اشتد عليهم الحال ومنعوا من الكلام كان ذلك سببا لموتهم حتى لقد حكى عن بعضهم أنه كان إذا جاءه الحال وهو في مجلس شيخه لا يطيق السكوت فيغلب عليه الحال فيتكلم فكلّمه شيخه في ذلك وأمره بالسكوت فلما أن ورد عليه الحال بعد ذلك لم يطق الكلام لأجل نهي الشيخ عنه فتحمل ذلك فمات من حينه يؤيد ما قررناه عنهم أولا ويوضحه قوله عز وجل : ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ [النور : 35] نقل صاحب التحصيل في مختصره عن العلماء أنهم قالوا إن الضمير عائد على المؤمن تقديره مثل نور المؤمن كمشكاة والمشكاة هي الحديدة التي في وسط القنديل فقالوا المشكاة مثل لصدر المؤمن والزجاجة قلبه والمصباح إيمانه ونقل أيضا عن العلماء في معنى قوله تعالى : ﴿يَعْلَمُونَ أَنَّ النَّاسَ لَبِئْسَ خَلْقًا كَانُوا كَافِرِينَ﴾ [البقرة : 102] إن الذين يعلمون الناس السحر ببابل إذا أتاهم من يريد تعلم سحرهم يقولون له إنما فتنه فلا تكفر فإن أبيت أن يتعلم قال له أتت هذا الرماد قبل فيه فإذا بال في ذلك الرماد خرج منه نور يسطع إلى السماء وهو الإيمان وخرج من الرماد دخان أسود يدخل في أذنيه وهو الكفر فإذا أخبرهما بما رآه علماء فهذه الآي بظواهرها ومعانيها مع نص الحديث الذي نحن بسبيله حجة لأهل التحقيق والمكاشفات فيما نقلناه عنهم وقد حكى عن بعض الفضلاء منهم رحمه الله في حكاية بطول كتبها هنا أنه قدر عليه بأنه تنصر ثم عاد بعد ذلك إلى الإسلام وحسن حاله أكثر مما كان أولا فكان يقول إنه رأى أولا قبل كفره طائرا أخضر قد خرج من فمه فمضد خرج منه لم يتلفت إلى الإيمان ولم يرجع إليه وكان إذا ذكر بالإسلام ويوعظ يقول أعلم كل ذلك ولم يجد سبيلا إلى الرجوع فلما تلافاه الله تعالى بعفوه وإفضاله فإذا بالطائر الأخضر قد أتاه فدخل في حلقه فإذا هو قد رجع له الإيمان وانشرح صدره بالحكمة واتسع يؤيد ما قالوه وما شاهدوه قول عليه السلام : «من أخلص لله أربعين صباحا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه» وهم قد عاينوا ينابيع الحكمة كيف هي على ما نقلناه عنهم =

هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَمَّا سَعِيدُ بْنُ أَبِي عَرُوبَةَ وَهْشَامُ الدُّسْتَوَائِيُّ اللَّذَانِ مُضِيَا فِي

وعاينوا حقيقة الإيمان كما وصفنا رزقنا الله من الهدى والنور ما رزقهم وألحقنا في الدنيا والآخرة بهم بمنه إنه ولي كريم هذا ما تضمنه اعتقاد أهل التحقيق وما يتضمنه أحوالهم. وأما إيماننا في الفقه فظاهر مذهب الشافعي رحمه الله موافق لأهل الكلام لأن أصحابه ينقلون عنه أن الإيمان يزيد موافقة منه لما ذكر الله عز وجل في كتابه ويقولون بأن النقص لا يمكن فيه لأنه على زعمهم عرض والنقص في العرض ذهابه وأما أبو حنيفة رحمه الله فيقول بأنه لا يزيد ولا ينقص وظاهر مذهب مالك رحمه الله موافق لأهل الحقيقة فيما قررناه عنهم لأن أصحابه ينقلون عنه أن الإيمان عنده يزيد وينقص وقد مثله بعض أصحابه بماء العين يزيد مرة وينقص أخرى ولم يعدم الماء من العين وهذا هو الحق الذي لا خفاء فيه بدليل ما قررناه من الآي والأحاديث وما شاهدته أهل التحقيق عياناً ولأنه عليه السلام قد قال: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن» الحديث بكماله وجاء من طريق آخر قال فيه إن الإيمان يخرج منه حين الفعل فيبقى على رأسه كالظلة ولو كان عرضاً لم يتأت أن يقوم بنفسه حتى أنه يبقى كالظلة على رأسه هذا ما تضمنه البحث في حقيقة الإيمان ما هو على طريقة أهل الفقه وأهل التحقيق مع أنه ليس أحد الوجهين أعني هل يكون الإيمان جوهرًا أو عرضًا بالنسبة إلى القدرة من طريق المستحيل ولهذا كان الصحابة والسلف والصدر الأول رضي الله عنهم لم يتكلموا في هذا ولا في أمثاله لأن المقصود منا الذي لأجله أنزلت علينا الكتب وأرسلت لنا الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام إنما التصديق الخالص والعمل الصالح الشغل بهذين الأمرين أولى بل هو الواجب ويجب الإضراب عن الشغل بغيرهما لأن الاشتغال بغيرهما شغل عنهما وذلك سبب إلى ترك ما أريد منا لكن لما تشاغل قوم بالأخذ في هذا وأشباهه وأطلقوا أن الأمر كما ظهر لهم من علم العقل على زعمهم حتى صار الأمر عندهم أن من لم يعتقد مثل اعتقادهم منسوب إلى المذاهب الفاسدة فاحتجنا لأجل هذه العلة أن نبين مذهب أهل التحقيق والتوفيق ومذهب الصحابة والسلف رضوان الله عليهم بنص الكتاب والسنة كما ذكرناه قبل لكي يتبين بذلك الحق من الباطل والضعيف من القوي فإن اعترض معترض لتخصيص لفظ الحديث من طريق علم العقل فقد سقط بحثه فلا يعاب به لأنه قد قدمنا في الأحاديث المتقدمة قول فقهاء الدين وأئمتهم أن عموم القرآن يخص بالقرآن واختلفوا أهل يخصص عموم القرآن بالسنة المتواترة أم لا على قولين لم يختلفوا أن القرآن لا يخصص بإخبار الأحاد وكذلك اتفقوا على أن عموم الحديث يخصص بالحديث واختلفوا هل يخصص بإجماع جل الصحابة أم لا على قولين ذلك اختلف مالك والشافعي رحمهما الله في عمل أهل المدينة إذا وجد الحديث بخلافه فقال مالك رحمه الله أهل المدينة أهل دار الهجرة ومجمع جل الصحابة العارفين بأحكام الله وسنة نبيه عليه السلام فلم يتركوا العمل بحديث إلا وقد صح عندهم نسخه ولم يبلغنا نحن ذلك وأبى الشافعي رحمه الله ذلك وأخذ بمقتضى الحديث وأما تخصيص لفظ الحديث بنظر غير الصحابة ورأيه فلا يجوز بالإجماع لأن الحكم لقول الشارع عليه السلام لا لغيره لكن قد يسوغ الجمع بين ما ذهب إليه المتكلمون وبين ما ذهب إليه أهل =

الطريق الثاني للحديث المذكور فإنهما قد أدرجا قصة البيت المعمور في حديث أنس رضي الله عنه وقال الحافظ العسقلاني والصواب رواية همام وهي موصولة

= التحقيق بمعنى لطيف وهو أنه لما نظر أهل العقل إلى الآي والأحاديث بنفس الدعوى وحصروا قدرة القادر بمقتضى دليل عقلهم جاء لأجل هذه الدعوى في عين البصيرة ضعف فلم يروا شيئاً فرجعوا إلى مقتضى ما دل عليه عقلهم فقالوا الإيمان عرض وغطى عليهم إذ ذاك مفهوم ما احتوى عليه قوله عليه السلام: «إيمان المؤمن نور يتوقد في صدره» ولما نظر أهل التحقيق بخالص الصدق والتصديق وتعظيم القدرة وإجلال القادر رأوا النور فقالوا الإيمان نور والتصديق عرضه فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل يؤيد هذا ويوضحه أعني ما ذكرناه من الجمع بين المذهبين ما حكى عن بعض الفضلاء من أئمة التحقيق أنه كشف له عن شيء من آثار القدرة فنظر إليها عياناً فأدركه الخجل لعظيم ما رأى فأخذ في التذلل والاعتذار لكونه يرى أن ليست نفسه لذلك أهلاً فخطب بأن قيل له عملت على الحق فأريت الحقيقة وعملوا على التأويل فعملوا بحسب ما عملوا وعند الله تجتمع الخصوم ولأن الحقيقة في الأمور كلها لقول الشارع عليه السلام وقول غيره في ذلك رد وليس يمكن أخذ جميع الأمور بمجرد العقل لا بالحاضرة منها ولا بالغائبة ومن ادعى ذلك فهو منه جهل لأنه لو كان ذلك كذلك لكان فيه مشاركة للربوبية وهو باطل لأنه لا يتفرد بالغيوب إلا علامها وبذلك تصح الوجدانية فقلد أيها السامع أي الطرق شئت فقد أوضحت لك الطرق والله يرشدنا وإياك بمنه.

تنبيه: لقائل أن يقول لم رأى عليه السلام مزيد الإيمان ولم ير الإيمان الذي كان عنده أولاً لأن الأنبياء والرسل عليهم السلام أقوى إيماناً من جميع المؤمنين؟ والجواب: عنه أن نفس رؤية المزيد فيها من الحكمة وجوه: (فمنها): رؤية حقيقة الإيمان والحكمة جواهر حتى يتحققها على ما هي عليه وهذه مزية له عليه السلام خص بها. ومنها: أن المعاينة لذلك بشارة برفع المنزلة.

ومنها: أن بنفس الرؤية لذلك يزيد الإيمان قوة حساً ومعنى فالحسي هو وضعه في القلب والمعنوي هو ما يحصل من قوة الإيمان بسبب تحقيق رؤية المزيد.

ومنها: أنه عليه السلام لما أن كان في هذه الدار كان أقواهم إيماناً بحسب ما هو إيمان أهل الأرض فلم يحتاج لرؤيته لقوة ما عنده من التصديق ولما إن شاء الله الإسراء به إلى العالم العلوي وهم أقوى إيماناً من هذا العالم وهم مشاهدون لأشياء لا يشاهدها أهل هذا العالم فعل ذلك للنبي ﷺ حتى حصل له الإيمان بالتصديق والمشاهدة وزيد له فيه بالحس والمعنى حتى كان أعلى ذلك العالم إيماناً لذلك قوله تعالى: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ [النجم: 17 - 18] ولم يقع الثبات مع معاينة تلك الآيات الكبار إلا ما قوي عنده من الإيمان والحكمة فكان عليه السلام جديرًا بما خص به من الثناء والمدحة وأوجه كثيرة من هذه المعاني تتعدد وفيما أشرنا إليه كفاية.

3208 - حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ الرَّبِيعِ، حَدَّثَنَا أَبُو الْأَحْوَصِ، عَنِ الْأَعْمَشِ،

هنا عن هذبة عنه ووهم من زعم أنها معلقة فقد روى الحسن عن سُفْيَانَ في مسنده الحديث بطوله عن هذبة فاقتصر الحديث إلى قوله فرفع لي البيت المعمور .
 قَالَ قَتَادَةَ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّهُ رَأَى الْبَيْتَ المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ولا يعودون فيه وَأَخْرَجَهُ الْإِسْمَاعِيلِيُّ عن الحسن بن سُفْيَانَ وَأَبِي يَعْلَى وَالبُغْوِيُّ وَغير واحد كلهم عن هذبة مفصلاً وعرف بذلك مراد الْبُخَارِيِّ بقوله في البيت وأخرج الطَّبْرِيُّ من حديث سعيد بن أَبِي عُرُوبَةَ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ ذَكَرْنَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الْبَيْتُ المعمور مسجد في السماء بحذاء الكعبة لو خر لخر عليها يدخله كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا منه لم يعودوا» وهذا وما قبله يشعر بأن قَتَادَةَ كان يدرج قصة البيت المعمور في حديث أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وتارة يفصلها وحين يفصلها تارة يذكر سندها وتارة يبهمه هذا.

وظاهر ذلك أنه تعليق وإن قَالَ الْحَافِظُ الْعَسْقَلَانِيُّ: إن رواية همام موصولة هنا عن هذبة عنه ووهم من زعم أنها معلقة فإن إخراج غيره إياه موصولاً لا يستلزم أن يكون ما أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ بصورة التعليق أن يكون موصولاً وهذا ظاهر لا يخفى ثم إن قوله في هذا التعليق عن الحسن عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فيه أنه قَالَ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ لم يصح للحسن سماع من أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقليل ليحيى قد جاء في بعض الأحاديث قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ قَالَ لَيْسَ بِشَيْءٍ وَقَالَ الْكِرْمَانِيُّ الْحَسَنُ هُنَا رَوَى عَنْهُ بَلْفَظٍ عَنْ يَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ بِالْوَاسِطَةِ.

(حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ الرَّبِيعِ) ضد الخريف أي: ابن سليمان البجلي الكوفي يعرف بالبوراني بضم الموحدة وسكون الواو وبالراء⁽¹⁾

وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ: كُنْتُ أَحْسِبُ الْحَسَنَ مَكْسُورَ الْعُنُقِ لَانْحِنَائِهِ حَتَّى إِنَّهُ لَا يَنْظُرُ إِلَى السَّمَاءِ حَيَاءً مِنَ اللَّهِ تَعَالَى قَالَ: (حَدَّثَنَا أَبُو الْأَحْوَصِ) هُوَ سَلَامٌ بِالتَّشْدِيدِ ابْنُ سَلِيمٍ الْحَنْفِيُّ مَوْلَى بَنِي حَنْفِيَةَ الْكُوفِيِّ، (عَنِ الْأَعْمَشِ) سَلِيمَانُ بْنُ مِهْرَانَ،

(1) قال له ابن المبارك ما حرفتك؟ قال أنا بوراني في غلمان يصنعون البواري جمع باري بمعنى البورياء، وهو معرب. قال لو لم يكن لك صناعة ما صحبتني.

عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهَبٍ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ، قَالَ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عِلْقَةً مِثْلَ ذَلِكَ،

(عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهَبٍ) هو أبو سليمان الهمداني الكوفي خرج إلى النبي ﷺ فقبض النبي ﷺ وهو في الطريق أنه قَالَ: (قَالَ عَبْدُ اللَّهِ) ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ) أي: في قوله وفيما يأتيه من الوحي بل هو الصادق قبل النبوة أيضًا لما كان مشهورًا فيما بينهم بمحمد الأمين (الْمَصْدُوقُ) يعني أن الله تعالى صدقه في وعده وَقَالَ الْكِرْمَانِيُّ المصدوق أي: من جهة جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ أو المصدق يعني بتشديد الدال المفتوحة⁽¹⁾

وَقَالَ الطَّبِيبِي: الأولى أن تجعل هذه الجملة اعتراضية لا حالية لتعم الأحوال كلها وأن يكون من عادته ودأبه ذلك فما أحسن موقعه هنا.

(قَالَ: إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ)⁽²⁾ فِي بَطْنِ أُمِّهِ) على البناء للمفعول قالوا معنى الجمع أن النطفة إذا وقعت في الرحم وأراد الله أن يخلق منها بشرًا طارت في أطراف المرأة تحت كل شعرة وظفر فيمكث أربعين ليلة ثم ينزل دمًا في الرحم فذلك جمعها⁽³⁾ (أَرْبَعِينَ يَوْمًا) هذه الأربعون هي الأربعون التي تجري النطفة فيها في أطراف المرأة ثم تصير دمًا⁽⁴⁾، (ثُمَّ يَكُونُ عِلْقَةً مِثْلَ ذَلِكَ) أي: مثل الأول أربعين يومًا والعلقة الدم الغليظ الجامد وهذا في الأربعين الثاني الذي

(1) يقال: صدقه زيد راست باو، وقال عليّ للنبي ﷺ في حديث الإفك سل الجارية تصدقك ويقال: صديقك من صدقك لا من صدقك فقول من قال إن الجمع بينهما تأكيد ضعيف.

(2) أي: خلق أي مادة بقوة أبدانهم وأعضائهم وحواسهم ويعرفون أنها كلها عطايا وهدايا بل على وجه العارية موجودة عندهم لينظروا في حدوثهم كما قال الله: ﴿فَيَنْظُرُ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ [الطارق: 5] وفي الحديث: من عرف نفسه فقد عرف ربه.

(3) وهذا المعنى هو المروي عن ابن مسعود رضي الله عنه والصحابة أعلم الناس بتفسير ما سمعوه وأحقهم بتأويله وأكثرهم احتياطًا فليس لمن بعدهم أن يردّ عليهم. وقيل معنى الجمع: أن يقرر ويحرز في رحمها، ويجوز أن يراد بالجمع مكث النطفة في الرحم.

(4) وقال الصوفية بخصوصية الأربعين لموافقة تخمير طينة آدم عليه السلام. وميقات موسى عليه السلام. ثم إنه يعجن النطفة بتراب قبره كما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿مِمَّنَّا خَلَقْتَكُمْ﴾ [طه: 55] أن الملك يأخذ من تراب مدفنه فيبدد بأعلى النطفة ولكونه سلالة من الطين جاء مختلف الألوان. والاختلاق حسب اختلاف أجزاء الطين بل بحسب اختلاف المركبات من الطين فيه النملة والفأرة، وشهوة العصفور، وغضب الفهد، وكبر النمر ونجد الكلب، وشرة =

ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكًا فَيُؤَمِّرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، وَيُقَالُ لَهُ: اكْتُبْ عَمَلَهُ، وَرِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَشَقِيَّ أَوْ سَعِيدٌ،

أشار إليه بقوله: (ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً) وهي قطعة من اللحم قدر ما يمزغ وهذا في الأربعين الثالث أشار إليه بقوله (مِثْلَ ذَلِكَ) يعني مثل الثاني أربعين يومًا فإن قيل إن الله تعالى قادر على أن يخلقه في لمحة فما الحكمة في هذا المقدار.

فالجواب: أن فيه حكمًا وفوائد منها أنه لو خلقه دفعة واحدة لشق على الأم لأنها لم تكن معتادة بذلك وربما تهلك فجعل أولًا نطفة لتعتاد بها مدة ثم تكون علقة وهلم جرا إلى الولادة ومنها إظهار قدرة الله تعالى ونعمته ليعبدوه ويشكروا له حيث قلبهم في تلك الأطوار إلى كونهم إنسانًا حسن الصورة متحليًا بالعقل والشهادة متزيينًا بالفهم والفتانة ومنها إرشاد الناس وتنبيههم على كمال قدرته على الحشر والنشر لأن من قدر على خلق الإنسان من ماء مهين ثم من علقه ثم من مضغه مهية لنفخ الروح فيه يقدر على صيرورته ترابًا ونفخ الروح فيه وحشره في المحشر للحساب والجزاء وهو على كل شيء قدير⁽¹⁾.

(ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكًا) أي: بعد انتهاء الأربعين الثالث يبعث الله مَلَكًا، (فَيُؤَمِّرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ) بكتبها وهي قوله.

(وَيُقَالُ لَهُ) أي: للملك المرسل: (اَكْتُبْ عَمَلَهُ، وَرِزْقَهُ⁽²⁾، وَأَجَلَهُ) أي: مدة عمره أو منتهى عمره، (وَشَقِيَّ أَوْ سَعِيدٌ) وكل ذلك بما اقتضت حكمته وسبقت كلمته⁽³⁾ وقوله شقي أو سعيد كان مقتضى الظاهر أن يقال وسعادته

= الخنزير، وحقد الحية، وغير ذلك من ذمائم الصفات، وفيه شجاعة الأسد وسخاوة الديك وقناعة البوم، وحلم الجمل، وتواضع الهرة، ووفاء الكلب، وبكور الغراب، وهمة البازي ونحوها من محاسن الأخلاق.

(1) ومنها تعليم العباد في تدريج الأمور وعدم تعجيلهم فيها ومنها: تنبيههم وتفهمهم أصلهم وفرعهم فلا يغتروا.

(2) يعني أنه قليل أو كثير حلال أو حرام.

(3) فمن وجد مستعدًا لقبول الحق واتباعه ورآه أهلاً للخير وأسباب الصلاح متوجهًا إليه أثبتته في عداد السعداء ومن وجده متجافياً قاسي القلب متأبياً عن الحق أثبتته في ديوان الأشقياء وكتب ما يتوقع منه من الشرور والمعاصي هذا إذا لم يعلم من حاله ما يقتضي تغيير ذلك، وإن علم من ذلك شيئاً كتب له عمله فإن ملاك العمل خواتيمه.

ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ،

وشقاوته فعدل حكاية لصورة ما يكتبه لأنه يكتب شقي أو سعيد.

(ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ) أي: بعد كتابة الملك هذه الأربعة ينفخ فيه الروح.

وفي صحيح مسلم أن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً ثم يكون في ذلك علة مثل ذلك ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات الحديث فهذا يدل على أن كتب هذه الأربعة بعد نفخ الروح ولفظ البُخَارِيُّ يدل على أن ذلك قبل نفخ الروح لأن في لفظه ثم ينفخ فيه الروح وكلمة ثم تقتضي تأخير كتب الملك هذه الأمور إلى ما بعد الأربعين الثالث.

وَقَالَ النَّوَوِيُّ: والأحاديث الباقية تقتضي الكتب عقيب الأربعين الأولى ثم أجاب عن ذلك بقوله إن قوله ثم يبعث إليه الملك فيؤذن له فيكتب معطوف على قوله يجمع في بطن أمه لا بما قبله وهو قوله ثم يكون مضغة مثله ويكون قوله ثم يكون علة مثله ثم يكون مضغة مثله معترضاً بين المعطوف والمعطوف عليه وذلك جائز موجود في كلام العرب بل في القرآن والحديث الصحيح⁽¹⁾

وَقَالَ الْقَاضِي وَغَيْرُهُ: والمراد بإرسال الملك في هذه الأشياء أمره بها والتصرف فيها بهذه الأفعال وإلا فقد صرح في الحديث بأنه يوكل بالرحم وأنه يقول يا رب هذه النطفة يا رب هذه علة وقال القاضي وقوله في الحديث الذي روي عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وإذا أراد أن يخلق خلقاً قَالَ يا رب أذكر أم أنثى شقي أم سعيد لا يخالف ما قدمناه ولا يلزم منه أن يقول ذلك بعد المضغة بل هو ابتداء كلام وإخبار عن حالة أخرى فأخبر أولاً بحال الملك مع النطفة ثم أخبر أن الله تعالى إذا أراد أن يخلق النطفة علة كان كذا وكذا⁽²⁾ فإن قيل قد وقع في رواية يرسل الملك بعد مائة وعشرين يوماً وفي رواية ثم يدخل الملك على النطفة بعدما تستقر في الرحم بأربعين أو خمس وأربعين ليلة فيقول يا رب أشقي أم سعيد وفي رواية إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكاً فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها وفي رواية حذيفة بن أسيد أن النطفة تقع في

(1) وينقدح منه التوفيق أيضاً بين رواية البخاري ورواية مسلم فتأمل.

(2) وهو الذي يسبق إليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة أو النار.

الرحم أربعين ليلة ثم يتصور عليها الملك .
وفي رواية : أن ملكًا موكلًا بالرحم إذا أراد الله أن يخلق شيئًا يأذن له لبضع وأربعين ليلة وذكر الحديث .
وفي رواية أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أن الله قد وكل بالرحم ملكا فيقول أي رب نطفة أي رب علقة أي رب مضغة فما وجه الجمع بين هذه الروايات ؟
فالجواب : أن للملك مراعاة لحال النطفة وأنه يقول يا رب هذه نطفة هذه علقة هذه مضغة في أوقاتها وكل وقت يقول فيه ما صارت إليه ولتصرفه وكلامه أوقات أحدها حين يخلقها الله نطفة ثم ينقلها علقة وهو أول علم الملك بأنه ولد لأنه ليس كل نطفة تصير ولدًا وذلك عقيب الأربعين الأولى فحينئذ يكتب رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته ثم للملك تصرف آخر في وقت آخر وهو تصويره وخلق سمعه وبصره وجلده ولحمه وعظمه وكونه ذكرًا أو أنثى وذلك إنما يكون في الأربعين الثالث وهي مدة المضغة وقبل انقضاء هذه الأربعين وقبل نفخ الروح فيه لأن نفخ الروح لا يكون إلا بعد تمام صورته فإن قيل قد روي إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكًا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظمها ثم قَالَ يا رب أذكر أم أنثى فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك ثم يقول يا رب أجله فيقول ربك ما شاء ويكتب⁽¹⁾ الملك وذكر رزقه .

(1) وقيل المراد بكتبه هذه الأشياء إظهارها للملك وإلا فقضاؤها سابق على ذلك، وقال مجاهد: يكتب هذه الكلمات في ورقة وتعلق في عنقه بحيث لا يراها الناس، قال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَبْعَهُ فِي عُنُقِهِ﴾ [الإسراء: 13] قال أهل المعاني: أراد بالطائر ما قضى عليه أنه عامله وهو صائر إليه من سعادة أو شقاوة، وخص العنق لأنه موضع القلادة والأطواق وهو كناية عن الذمة، فكأن هذه الأشياء في ذمته أن يفعلها ولا يقدر أن ينفك عنها، وقيل يؤمر بكتابة الأحكام المقدرة له على جبهته أو بطن كفه. وذلك كله بعد أن كانت مكتوبة في اللوح المحفوظ ما يليق به من الأعمال، والأعمار والأرزاق، والسعادة والشقاوة، ثم السعادة مع معاونة الأمور الإلهية للإنسان على نيل الخيرات وتضادها الشقاوة وهي: إما قلبية أو بدنية أو ما حول البدن، فالقلبية هي المعارف والحكم والكمالات العلمية والعملية والبدنية الصحة والقوة واللذات الجسمانية وما حول البدن من الأموال والأسباب وقدم الشقاوة ليعلم أن الشر كالخير من عند الله تعالى، وتقديره ردًا على الثنوية المثبتين شريكًا فاعلاً للشر لأنهم طلبوا الحكمة في أفعال الله وقالوا: مدبر العالم لو كان واحدًا لم يخصص هذا بأنواع الخيرات =

فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ لَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ إِلَّا ذِرَاعٌ،

فالجواب: أنه ليس هذا على ظاهره ولا يصح حمله على ظاهره بل المراد بقوله فصورها وخلق سمعها إلى آخره أنه يكتب ذلك ثم يفعل في وقت آخر لأن التصوير عقيب الأربعين الأولى غير موجود في العادة وإنما يقع في الأربعين الثالثة وهي مدة المضغة كما قَالَ اللَّهُ تبارك تعالي: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ۝١٢﴾ [المؤمنون: 12] إلى قوله: ﴿لِحَمَآءٍ﴾ [المؤمنون: 14] ثم يكون للملك فيه تصرف آخر وهو وقت نفخ الروح عقيب الأربعين الثالثة حين يكمل له أربعة أشهر.

(فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ لَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ إِلَّا ذِرَاعٌ) حتى هي الناصبة وما نافية ولفظ يكون منصوب بأن مقدرة بعد حتى أو بحتى وما غير كافة لها من العمل والمراد بالذراع التمثيل للقرب إلى الدخول أي: ما يبقى بينه وبين أن يدخلها إلا كمن بقي بينه وبين موضع من الأرض من الذراع⁽¹⁾.

والصحة والغنى وذلك بأصناف الشرور، فردَّ عليهم الرب بقوله: ﴿لَا يَسْتُلْ عَنَّا يَفْعَلُ﴾ [الأنبياء: 23] وتحقيق هذا المقام أن يقال: إن لله تعالى صفتي لطف وقهر، والحكمة تقتضي أن يكون الملك سيما ملك الملوك كذلك إذ كل منهما من أوصاف الكمال، ولا يقوم أحدهما مقام الآخر، ولا يتحقق كل منهما إلا بوجود الآخر، كما لا تستبين اللذة إلا بالألم، وبضدها تتبين الأشياء. ولا بد لكل منهما من مظهر فالسعداء وأعمالهم مظهر اللطف وفائدة بعثة الأنبياء عليهم السلام وإنزال الكتب ترجع إليهم ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَّن يَخْشَاهَا ۝١٥﴾ [النازعات: 45] كما أن فائدة نور الشمس لأهل البصر والأشقياء وأفعالهم مظاهر القهر وفائدة البعثة لهم إلزام الحجة عليهم ﴿إِنَّمَا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۝١٦﴾ [النساء: 165] وهي في الحقيقة نص عليهم بالشقاوة نستعيد بالله منها.

ففي الحديث تنبيه على أن السالك ينبغي أن لا يغتر بالأعمال الحسنة ويجتنب العجب والتكبر والأخلاق السيئة. ويكون بين الخوف والرجاء، ومسلما بالرضى تحت القضاء، وكذا إذا صدرت منه الأعمال السيئة فلا ييأس من روح الله فإنها إذا بدت عين للعناية ألحقت الآخرة بالسابقة وكذا الحال بالنسبة إلى الغير في الأعمال فلا يحكم لأحد بأنه من أهل الجنة والدرجات، وإن عمل ما عمل من الطاعات، أو ظهر عليه من خوارق العادات، ولا يجوز في حق أحد بأنه من أهل النار والعقوبات، ولو صدر منه جميع السيئات والمظالم والتبعات فإن العبرة بخواتم الحالات ولا يطلع عليها غير عالم الغيب والشهادات.

(1) وفي رواية مسلم فوالذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار إلخ فزاد قوله فوالذي لا إله غيره وقدم عمل أهل النار على عمل أهل الجنة.

فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ كِتَابُهُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، وَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ»⁽¹⁾.

(فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ كِتَابُهُ) الفاء فيه للتعقيب يدل على حصول السبق بلا مهلة ضمّن يسبق معنى يغلب أي: يغلب عليه الكتاب وما قدر عليه سابقاً بلا مهلة.

(فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ) أي: فعند ذلك يعمل بعمل أهل النار من الكفر والمعاصي فيدخلها ففيه حذف.

(وَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ) أي: بأن يستغفر ويتوب: فيدخلها قَالَ الخطابي فيه أن ظاهر

(1) قال ابن أبي جمرة في البهجة: ظاهر الحديث يدل على حكيمين: أحدهما إظهار قدرة الله تعالى في جميع خلق بني آدم في بطون أمهاتهم على نحو ما ذكر في الحديث الآخر سبق القدر في الخلق بما شاء الله وإظهار ذلك عند الموت. والكلام عليه من وجوه:

منها: أن قدرة القادر لا يحجبها شيء من الأشياء يؤخذ ذلك من قوله عليه الصلاة والسلام: «يجمع خلق أحدكم» ولم يجعل لذلك علة الجماع لأن المرء يجمع أهله مراراً ولا يكون بينهما مولود حتى يشاء ذلك القادر سبحانه ومعنى الجمع هنا هو استقرار الماء الذي هو من اجتماع ماء الرجل وماء المرأة في الرحم لأن الشيء الكثيف إذا بقي وطال زمانه كان أصلح له ولذلك لما خلق الله عز وجل الأرض والسماء خلق الأرض والسماء خلق الأرض أولاً ثم عمد إلى السماء وترك الأرض بغير فتق لأنها كثيفة وإبقاء الكثيف بمقتضى الحكمة حسن فيه وزيادة معنوية فلما أن خلق عز وجل السماء فتقها من حينها وقدر فيها أمورها لأن السماء من العالم اللطيف والشيء اللطيف لا يحمل البقاء ثم بعد ذلك فتق الأرض لما أن حسنت الصنعة فيها بإبقائها تختمر في ذلك اليومين بيان ذلك من كتابه عز وجل قوله تعالى: ﴿قُلْ أَيْنَكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٩) ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَامًا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلنَّاسِ لِيَوْمَ﴾ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ أَيْنِمَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ فَفَضَّلْنَهُمْ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ﴿فَصُلَّتْ: 9 - 12﴾ وقال في آية أخرى: ﴿إِنَّمَا أَشَدُّ خَلْقًا أَوْ أَسْمَاءً بَنَكَهَا﴾ (٧) رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا ﴿١٧﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضَمَكَهَا ﴿٢٦﴾ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٢١﴾ [النازعات: 27 - 31] فذكر في الآية الأولى أن خلق الأرض كان قبل السماء وذكر في الآية الأخرى أن دحي الأرض كان بعد خلق السماء وفتقها ويحصل الجمع بينهما بالمعنى الذي ذكرناه ولو شاء عز وجل أن يقول للكل كونوا في لحظة واحدة لكانوا ولكن لم يشأ الحكيم ذلك لا لعجز تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً وإنما ذلك ليظهر من سر الحكمة ما أبديناه ومن عظيم القدرة ما قرئناه وكذلك فعل بآدم عليه الصلاة والسلام حين خلقه عجن التراب بالماء وبقي زماناً حتى أتت وصار حمأً مسنوناً ثم صورته وبقي جسداً بلا روح ما شاء الله تعالى ثم نفخ فيه الروح فصار خلقاً آخر =

الأعمال من الحسنات والسيئات أمارات وليست بموجبات وأن مصير الأمور في

فتبارك الله أحسن الخالقين وقوله: «ثم يكون علة مثل ذلك» أي: أربعين يوماً. وفيه: دليل على عظيم قدرة الله تعالى كيف يبقى دم أربعين يوماً ولا يتغير ثم في ساعة واحدة يصير علة ثم يبقى علة أربعين يوماً أيضاً لا يتغير ثم من حينه يعود مضغة والمضغة قطعة لحم تمضغ.

وإشارة أخرى: أن الأشياء الرطبة إذا بقيت تغيرت وهذا الماء يبقى ذلك القدر من الزمان ثم يزداد صلابة بعد صلابة ضد ما جرت به العوائد فدل بهذا أن التأثير في الأشياء بالقدرة لا بغيرها مثال ذلك ما أخبر به عز وجل في كتابه العزيز حين قال له: ﴿فَأَنْظِرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ أي: لم يتغير لأن الطعام والشراب جرت العادة أنه إذا بقي يسيراً من الزمان يلحقه التغير والفساد وهذا عصير عنبه وفاكهته باقية مائة عام ولم يتغير عن حالها والعظام التي فيها اليبوسة والصلابة تغيرت فلما تبين له ما أشير به إليه: ﴿قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: 259].

وقوله: «ثم يبعث الله ملكاً ويؤمر بأربع كلمات ويقال له اكتب عمله ووزقه وأجله وشقي أو سعيد».

هنا بحث: هل الأربع كلمات شيء آخر خلاف الأربع المذكورة بعد احتمال الوجهين معا والأظهر والله أعلم أنها مفسرة لذلك المجمع بل دليل أن الحديث جاء على طريق الإخبار عن علم الغيب كي يعلم الأمر على ما هو عليه فيعتبر فلو كانت تلك الأربع كلمات خلاف الأربع المذكورة بعد لكان عليه الصلاة والسلام يخبر بأي نوع هي هل هي مما لا تعلم أو هي مما تعلم أو يذكرها في موضع آخر ما ذكر عليه الصلاة والسلام في نفس التصوير لأنه سكت عنه هنا وذكر في موضع آخر وقد تقدم الكلام عليه بما فيه كفايته.

وقوله عليه السلام: «ثم ينفخ فيه الروح» فيه بحث وهو أن يقال هل هو على ظاهر اللفظ أن الروح لا تكون إلا بعد النفخ فيكون النفخ سبباً له كما كان الماء سبباً للفقارة أو يكون مع النفخ بالجعل احتمال الوجهين معا والظاهر أنه يكون بالنفخ وأن النفخ سبب له كما كان المال سبباً للتجارة بدليل قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ فِيَّامٍ يَنْظُرُونَ﴾ [الزمر: 68] فجاء رجوع لأن الأرواح إلى الأجساد آخر بالنفخ كما كان أولاً بالنفخ وكله إن المنى كان أولاً سبباً للفقارة كذلك ينزل المطر مثل مني الرجال أربعين يوماً ينبت به أجساد العالم لتصويره وبعده يكون نفخ الأرواح ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ يُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا﴾ [الأنبياء: 104] وبدليل ما ذكر عن عيسى عليه الصلاة والسلام أنه كان من نفخ جبريل عليه السلام في جنب أمه.

وفي هذا دليل على نفوذ الحكم بحسب ما اقتضته المشيئة لا تبديل فيه فليشكر صاحب الخير الذي من به عليه فلعله تعالى يديمه له وليضرع صاحب الشر لعل الكريم الحنان يحوله عنه وهذه التي قطعت رقاب الرجال مع ما هم من حسن الحال من الله علينا بحسن الخاتمة بفضل.

العاقبة إلى ما سبق به القضاء وجرى به القدر وروى ابن حبان في صحيحه من

وقوله عليه السلام: «إِنَّ الرجلَ منكم ليعمل حتى ما يكون بينه وبين الجنة إلا ذراع فيسبق عليه كتابه فيعمل بعمل أهل النار ويعمل حتى ما يكون بينه وبين النار إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة» فيه بحث هل هذه الأعمال المذكورة على حقيقتها في الظاهر أعني أن الحسن فيها مقبول ثم لا ينفع أو ليس وكونه أيضًا ذكر الطرفين أصحاب الجنة وأصحاب النار ولم يذكر الذين خلطوا الخير والشر وذكر أيضًا الذين تبدل أعمالهم من الخير إلى ضده وعكسه ولم يذكر الذين يدومون على الحالة الواحدة من الخير وضده. والجواب: عن الأول احتمال الوجهين معًا فعلى:

الوجه الأول: وهو أن يكون العمل مقبولًا ثم لا ينفع فالدليل لصحة هذا الوجه قوله تعالى: ﴿لَنْ أَشْرَكَكَ لِيَحِطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: 65] فدل أن العمل كان مقبولًا ثم لما أن جاء الشرك أزاله ولم يتنفع به.

وأما الوجه الثاني: فالدليل عليه من قول عمر رضي الله عنه حين قال له ابنه عبد الله هنيئًا لك يا أبت تصدقت اليوم بدينار فقال له والله يا بني لو عملت أن الله قبل مني حسنة واحدة ما كان عندي شيء أحب إلى من الموت فدل بهذا أنه لا يقبل العمل إلا ممن سبقت له السعادة إما كلية أو بقضية ويقع الجمع بين هذين الوجهين بأن تقوم تكلم عمر رضي الله عنه على حقيقة الأمر وجاءت الآية على ظاهر الحكمة لأن عامل الخير في هذه الدار قد رأيناه فعل ما أمر به وقد وعد على ذلك الفعل بالخير فتحكم له بظاهر الأمر حتمًا فإذا جاءت العاقبة بضده قلنا حبط ذلك الخير الذي كان «ومثل ذلك» ثمر الشجرة يكون في رؤية العين حسنًا وفي الغيب جائحة لا علم لنا بها فإذا أتت على تلك الثمرة ذهب ذلك الخير الذي كان ظهر بها فجاء هنا كلام الشارع عليه الصلاة والسلام على مقتضى الحكمة وأما كونه عليه الصلاة والسلام ذكر الطرفين ولم يذكر مخطط العمل لأن هذا هو موضع التخويف الذي هو تبديل الحال إلى حال آخر لأن المخطط قد بان بنفسه فلا يحتاج إلى ذكره ولذلك تركه عليه الصلاة والسلام ذكر الذين يدومون على الحالة الواحدة وفيما نحن بسبيله دليل على ظهور الأشياء على حقائقها وأما الدليل على ظهورها فلكونه لا يخرج من هذه الدار حتى يشهد له عمله من أي الدارين هو وأما إخفاؤه فهو كون العمل من الخير والشر دائمًا ولا يقطع لصاحبه بمقتضاه حتى إلى الموت وهو وقت يسير جدًا تظهر الحقيقة عنده كما أخبر عليه الصلاة والسلام بقوله قدر ذراع فكل عامل لا يهنا قرار لجهله بحاله وفيه أيضًا.

بحث آخر: في قوله عليه الصلاة والسلام ذراع هل هي كناية عن المساحة في تلك الدار أو كناية عن قرب الأجل احتمال الوجهين معًا والأظهر أنها كناية عن قرب الأجل بدليل قوله عليه الصلاة والسلام في غير هذا الحديث «إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ عَبْدِهِ مَا لَمْ يَغْرُرْ» يعني بالغررة بلوغ الروح إلى الحلقوم وهو الذي بقي له ويخرج من الجسد قدر الشبر وفقه هذا الحديث الخوف من هذا الأمر الخطير والاستعداد له وإطالة الرغبة إلى المولى العظيم لعله يتعطف على العبد المسكين جعلنا الله ممن يعطف عليه وأحسن خلاصنا بمنه إنه ولي حميد والحمد رب العالمين.

3209 - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ، أَخْبَرَنَا مَخْلَدٌ، أَخْبَرَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ، عَنْ نَافِعٍ، قَالَ: قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَتَابَعَهُ أَبُو عَاصِمٍ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَبْدَ نَادَى جِبْرِيلُ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأُحِبُّهُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأُحِبُّهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يَوْضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ».

حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعاً فرغ الله إلى كل عبد من خمس من رزقه وأجله وعمله وأثره ومضجعه يعني قبره فإنه مضجعه على الدوام ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [لقمان: 34].

والحديث قد مضى في كتاب الحيض.

ومطابقته للترجمة في قوله ثم يبعث الله ملكاً وفي الترجمة ذكر الملائكة. وقد أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي الْقَدَرِ وَالتَّوْحِيدِ أَيْضًا وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي الْقَدَرِ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ فِي الْقَدَرِ أَيْضًا وَابْنُ مَاجَةَ فِي السَّنَةِ.

(حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ) بتشديد اللام وقد مر في الإيمان قَالَ: (أَخْبَرَنَا مَخْلَدٌ) بفتح الميم واللام وسكون الخاء المعجمة: هو ابن يزيد من الزيادة وقد مر في الجمعة قَالَ: (أَخْبَرَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ) هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج.

(قَالَ: أَخْبَرَنِي) بالإنفراد (مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ، عَنْ نَافِعٍ) أنه (قَالَ: قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَتَابَعَهُ) أي: تابع مَخْلَدًا فِي رَوَايَةِ هَذَا الْحَدِيثِ (أَبُو عَاصِمٍ) الضحاك بن مخلد النبيل، (عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ) أنه (قَالَ: أَخْبَرَنِي مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ) أنه (قَالَ: «إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَبْدَ نَادَى جِبْرِيلُ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأُحِبُّهُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأُحِبُّهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يَوْضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ»)) يعني عند أكثر من يعرفه من المؤمنين ويبقى له ذكر صالح.

وَقَالَ الْكِرْمَانِيُّ: أَيُّ يَلْقَى فِي قُلُوبِ أَهْلِهَا مَحَبَّتَهُ مَا دَحِينَ لَهُ مَثْنِينَ عَلَيْهِ

3210 - حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ،

ويدين إيصال الخير إليه ويستفاد منه أن كل من هو محبوب القلوب فهو محبوب الله بحكم عكس القضية.

وَقَالَ الطوفي: ذكر البُخَارِيُّ الحب في كتابه ولم يذكر البغض وهو ثابت في رواية غيره وإذا أبغض عبدًا نادى جبريل: إني أبغض فلانًا فأبغضه قَالَ: فيبغضه جبريل ثم ينادي في أهل السماء أن الله يبغض فلانًا فأبغضوه فيبغضوه ثم يوضع له البغض في الأرض قَالَ الْعَيْنِيُّ: وقد أَخْرَجَهُ الإسماعيلي من طريق روح بن عباد عن ابن جريج.

ومطابقة الحديث للترجمة في قوله نادى جبريل.

فائدة:

أورد البُخَارِيُّ هذا الحديث من طريقين أحدهما موصول وهو إلى قوله وتابعه والثاني معلق وهو من قوله وتابعه أَبُو عاصم وقد وصله في الأدب عن عمرو بن علي عن أبي عاصم وساقه على لفظه هناك.

قَالَ الْحَافِظُ الْعَسْقَلَانِيُّ: وهو أحد المواضع التي يستدل بها على أنه قد يعلق عن بعض مشايخه ما هو عنده بواسطة لأن أبا عاصم من شيوخه.

(حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ) هو محمد بن يَحْيَى الذهلي قاله الغساني وكذا الجبائي وَقَالَ أَبُو ذر بعد أن ساقه مُحَمَّدٌ هذا هو البُخَارِيُّ وقال الحافظ العسقلاني وهذا هو الأرجح عندي فإن الإسماعيلي وأبا نعيم لم يجدا الحديث من غير رواية البُخَارِيِّ وأخرجاه عنه ولو كان عند غير البُخَارِيِّ لما ضاق عليهما مخرجه، انتهى.

وتعقبه الْعَيْنِيُّ: بأن عدم وجدان الإسماعيلي وأبي نعيم الحديث لا يستلزم أن يكون مُحَمَّدٌ هذا هو البُخَارِيُّ وهذا ظاهر لا يخفى على أحد ولم يجز للبخاري عادة بأن يذكر اسمه قبل شيخه بقوله حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ قد وذكر في رجال الصحيحين فيمن اسمه مُحَمَّدٌ، محمد بن يَحْيَى بن عَبْدِ اللَّهِ بن خالد بن فارس بن ذؤيب أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الذهلي النيسابوري في فصل أفراد البُخَارِيِّ وقيل روى عنه البُخَارِيُّ في قريب من ثلاثين موضعًا ولم يقل حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ بن يَحْيَى الذهلي

حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي مَرْيَمَ، أَخْبَرَنَا اللَّيْثُ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَنْزِلُ فِي الْعَنَانِ: وَهُوَ السَّحَابُ، فَتَذْكُرُ الْأَمْرَ قُضِيَ فِي السَّمَاءِ، فَتَسْتَرْقُ الشَّيَاطِينُ السَّمْعَ فَتَسْمَعُهُ، فَتُوحِيهِ إِلَى الْكُهَّانِ، فَيَكْذِبُونَ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ»⁽¹⁾.

مصرحاً بل يقول حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ وَلَا يَزِيدُ عَلَيْهِ وَيَقُولُ مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ يَنْسِبُهُ إِلَى جَدِّهِ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

(حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي مَرْيَمَ) هُوَ سَعِيدُ بْنُ مُحَمَّدَ بْنِ الْحَكَمِ قَالَ: (أَخْبَرَنَا اللَّيْثُ) أَي: ابْنُ سَعْدٍ قَالَ: (أَخْبَرَنَا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ) هُوَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ، وَاسْمُ أَبِي جَعْفَرٍ يَسَارُ الْقُرَشِيُّ، (عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ) هُوَ أَبُو الْأَسْوَدِ، (عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَنْزِلُ فِي الْعَنَانِ) بَفَتْحِ الْعَيْنِ الْمَهْمَلَةِ وَتَخْفِيفِ النُّونِ الْأُولَى وَقَدْ فَسَّرَهُ بِقَوْلِهِ: (وَهُوَ السَّحَابُ) وَهَذَا التَّفْسِيرُ مِنْ بَعْضِ الرِّوَاةِ أَدْرَجَهُ فِي الْخَبَرِ وَوَاحِدُ الْعَنَانِ كَسَحَابَةٍ.

(فَتَذْكُرُ) أَي: الْمَلَائِكَةُ (الْأَمْرَ قُضِيَ فِي السَّمَاءِ) أَي: الْأَمْرَ الَّذِي قُضِيَ فِي السَّمَاءِ وَجُودًا وَعَدَمًا.

(فَتَسْتَرْقُ الشَّيَاطِينُ) تَفْتَعِلُ مِنَ السَّرْقَةِ أَي: تَسْمَعُ سَرْقَةً يُقَالُ اسْتَرْقَ السَّمْعَ أَي: سَمِعَ مُسْتَخْفِيًا.

(السَّمْعَ فَتَسْمَعُهُ، فَتُوحِيهِ إِلَى الْكُهَّانِ) بِضَمِّ الْكَافِ وَتَشْدِيدِ الْهَاءِ جَمَعَ كَاهِنٌ وَهُوَ الَّذِي يَتَعَاطَى الْإِخْبَارَ عَنِ الْكَائِنَاتِ فِي مُسْتَقْبَلِ الزَّمَانِ وَيَدْعَى مَعْرِفَةَ الْأَسْرَارِ.

(فَيَكْذِبُونَ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ).

(1) قَالَ ابْنُ أَبِي جَمْرَةَ فِي الْبَهْجَةِ: ظَاهِرُ الْحَدِيثِ يَدُلُّ عَلَى خَمْسَةِ أَحْكَامٍ: نَزُولُ الْمَلَائِكَةِ فِي السَّحَابِ، وَتَحَدَّثُهُمْ بِمَا قُضِيَ فِي السَّمَاءِ مِنَ الْأَمْرِ، وَاسْتِرْقَاقُ الشَّيَاطِينِ بِمَا يَتَكَلَّمُ بِهِ الْمَلَائِكَةُ، وَإِلْقَاءُ الشَّيَاطِينِ إِلَى الْكُهَّانِ مَا سَمِعَتْ، وَكَذِبُ الشَّيَاطِينِ بِمَا لَمْ تَسْمَعْ، وَإِلْقَاءُ كَذِبِهِمْ إِلَى الْكُهَّانِ أَيْضًا.

مطابقته للترجمة في قوله إن الملائكة تنزل في العنان.

والكلام عليه من وجوه:

منها: أن يقال ما معنى قوله قضى في السماء والكيفية في ذلك أما من الحديث فليس فيه دليل على ذلك وقد جاء في حديث آخر ما معناه أن الله تعالى إذا أطلع من أراد من ملائكته على كلامه القديم الأزلي الذي هو صفة ذاته الجليلة تضرب الملائكة بأجنحتها ويخرون سجداً من الهيبة فإذا قضى الحكم رفعت الملائكة رؤوسها وقالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير فتخبر أهل السماء السابعة للذين دونهم والذين دونهم كذلك للذين دونهم حتى إلى سماء الدنيا ويقون يتحدثون به وفي هذا من الفقه أن كلام العبيد بما يتكلم به المولى جل جلاله عبادة وإن كان المتكلم بذلك الأمر ليس هو مخاطباً به وفيه أن أهل العلم العلوي يعرفون جزئيات هذا العالم الأرضي لأنهم إذا تكلموا بالأمر الذي تحدث فيه فقد عرفوا جزئياته.

فيه دليل: على تيسير فهم كلام مولانا سبحانه على الملائكة وأنهم يفهمونه بلغاتنا على اختلافها يؤخذ ذلك من أن الشياطين إذا سمعته وألقته إلى الكهان وألقاه الكهان إلى الناس وهو على لغتهم كل قوم بلغتهم على ما تقدم من مرور الأزمنة وبذلك فهموه. وفيه: دليل على ما ذكرناه أولاً من أن كلام الله سبحانه ميسر بلغتنا متلو حقاً كما هو غير حرف ولا صوت وأن الكيفية في ذلك مجهولة لا علم لأحد بها إلا الحكيم سبحانه وتعالى. وفيه دليل: على فضيلة العالم العلوي على هذا العالم يؤخذ ذلك من كونهم هم الذين يتلقون أمر مولانا جل جلاله أولاً.

وفيه دليل: على انفصال السحاب من السماء يؤخذ ذلك من قوله عليه الصلاة والسلام ينزل لأن النزول لا يكون إلا من شيء منفصل عن شيء.

وفيه دليل: على كذب الكهان وأنه لا يجوز أن يصدقوا يؤخذ ذلك من أنهم يكذبون ما يشاؤون ويصدقون في واحدة فالحكم للغالب.

وهنا بحث: لم قال أولاً العنان ثم قال وهي السحاب؟

والجواب: أنه يقال لكل شيء اعترض بين شيئين عنه فلما اعترضت السحاب بين السماء والأرض قال العنان فلما كان هذا لفظاً يدل على أشياء كثيرة خصصه عليه الصلاة والسلام بقوله وهو السحاب رفقا للإلباس وهذا من فصيح الكلام قوله قضى في السماء أي: أنه قد ذكر أهل السماء أنه أنفذ الأمر فلما أن كان ليس فيه رجوع أخبر عنه بأنه قد كان وقضى. ولوجه آخر: وهو أن العرب تخبر بصيغة الماضي وتعني به المستقبل والمستقبل وتعني به الماضي.

وفيه دليل: على قدرة الشياطين على الكذب يؤخذ ذلك من قوله ﷺ: «فيكذبون معها من عند أنفسهم مائة كذبة» ولا تكون الكذبات إلا مما يشاء كل ذلك الأمر حتى يكون خروج ذلك الحق الذي سمعوه سبباً إلى تصديق كذبهم لأنه إذا كان الكذب الذي كذبوه عن خلاف ذلك الحق بالحكمة لا يكون عليه دليل قوي في تصديقهم عند كهانهم.

وفيه: دليل على أن الخبر لا يؤخذ إلا من أهله ولا يكون خبراً إلا إذا كان على هذا الوجه وإلا =

3211 - حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ شِهَابٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، وَالْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، كَانَ عَلَى كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْمَسْجِدِ الْمَلَائِكَةُ، يَكْتُبُونَ الْأَوَّلَ فَلَاوَلَّ، فَإِذَا جَلَسَ الْإِمَامُ طَوَّأُوا الصُّحُفَ، وَجَاوُوا يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ».

(حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ) هو أحمد بن عبد الله بن يونس اليربوعي الكوفي قَالَ: (حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ) أي: ابن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزُّهْرِيُّ القرشي المدني قَالَ: (حَدَّثَنَا ابْنُ شِهَابٍ) مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ الزُّهْرِيُّ، (عَنْ أَبِي سَلَمَةَ) هو ابن عبد الرحمن بن عوف.

(وَالْأَعْرَجُ) بفتح الهمزة والغين المعجمة وتشديد الراء اسمه سلمان أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الجهني مولا هم المدني كذا وقع في رواية الأكثرين.

ووقع في رواية الكشميهني الأعرج بالعين المهملة وبالجميم في آخره والأول أشهر وأرجح نعم أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ من وجه آخر عن الزُّهْرِيِّ عن الأعرج وحده⁽¹⁾. (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ) أَنَّهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، كَانَ عَلَى كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْمَسْجِدِ الْمَلَائِكَةُ، يَكْتُبُونَ الْأَوَّلَ فَلَاوَلَّ، فَإِذَا جَلَسَ الْإِمَامُ طَوَّأُوا الصُّحُفَ، وَجَاوُوا يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ» والحديث قد مضى في كتاب الجمعة في باب الاستماع إلى الخطبة بأتم منه ومعنى الكلام فيه هناك ومطابقته للترجمة في قوله ملائكة.

⁼ فهو ضرر كله يؤخذ ذلك من أن الأمر الذي تكلمت به الملائكة خير كله فلما سمعته الشياطين وألقته إلى الكهان وزادوا معه الكذب عاد ضرراً لأنه لا يجوز تصديق الكهان وإن أخبروا بذلك الحق فمن صدق ذلك الحق ثم عمل محرماً فعاد عليه منه ضرر مقطوع به ولو أخذه من أهله لكان خيراً حقاً وما يشبه ذلك العلوم الشرعية إذا أخذت من أهل البدع والأهواء عادت ضرراً لأنه لا يخلو أن يدسوا فيها أو في بعضها من ذلك السم شيئاً ما فعاد من أجل ذلك العلم الذي يؤخذ منهم الجهل خير منه لأنه أسلم وقد قال ﷺ: «إِنْ مِنَ الْعِلْمِ لَجَهْلٌ» وكذلك كان السلف رضوان الله عليهم لا يأخذون العلم إلا عنه وفيه الدين والفضل وقد حدثني بعض شيوخي أنه كان في زمانه سيد عالم وكان في وقته بدعي فجاء ذلك البدعي يوماً فرغب من ذلك السيد أن يقرأ عليه آية من كتاب الله تعالى فامتنع من ذلك ولم يفعل فقبل له في ذلك فقال لم يأت بتلك الآية إلا وقد دبر في مكيدة فليس طلبه ذلك تعلماً فلا أفعل فاحتاط بدينه وذلك الأولى والأحسن.

(1) كذا قال الحافظ العسقلاني وقال الغساني الحديث مشهور بالأعرج وهو الصحيح لا الأعرج.

3212 - حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، حَدَّثَنَا الزُّهْرِيُّ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، قَالَ: مَرَّ عُمَرُ فِي الْمَسْجِدِ وَحَسَّانُ يُنْشِدُ فَقَالَ: كُنْتُ أُنْشِدُ فِيهِ، وَفِيهِ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْكَ، ثُمَّ التَفَتَ إِلَى أَبِي هُرَيْرَةَ، فَقَالَ: أَنْشِدْكَ بِاللَّهِ، أَسَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «أَجِبْ عَنِّي، اللَّهُمَّ أَيِّدْهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ؟» قَالَ: نَعَمْ.

3213 - حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ عُمَرَ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ عَدِيِّ بْنِ ثَابِتٍ، عَنِ الْبَرَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِحَسَّانَ: «أَهْجُهُمْ - أَوْ هَاجَهُمْ وَجَبْرِيلُ مَعَكَ».

(حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ) المعروف بابن المديني قَالَ: (حَدَّثَنَا سُفْيَانُ) هو ابن عيينة قَالَ: (حَدَّثَنَا الزُّهْرِيُّ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ) أنه (قَالَ: مَرَّ عُمَرُ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (فِي الْمَسْجِدِ) أَي: فِي الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ (وَحَسَّانُ) هو ابن ثابت الأنصاري عاش مائة وعشرين سنة وهو إن كان من الحسن فمنصرف وإن كان من الحس فغير منصرف.

(يُنْشِدُ) والجملة حالية.

(فَقَالَ: كُنْتُ أُنْشِدُ فِيهِ، وَفِيهِ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْكَ، ثُمَّ التَفَتَ إِلَى أَبِي هُرَيْرَةَ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (فَقَالَ: أَنْشِدْكَ بِاللَّهِ، أَسَمِعْتَ) الهمزة فيه للاستفهام على سبيل الاستخبار (رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: أَجِبْ عَنِّي) أَي: قل جواب هجو الكفار عن جهتي، (اللَّهُمَّ أَيِّدْهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ) وهو جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(قَالَ) أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (نَعَمْ) والحديث قد مضى في باب الشعر في المسجد.

ومطابقته للترجمة في قوله بروح القدس فإنه جبريل عليه السلام.

(حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ عُمَرَ) قَالَ: أَخْبَرَنَا وَيْرُوى: (حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ عَدِيِّ بْنِ ثَابِتٍ، عَنِ الْبَرَاءِ) أَي: ابن عازب (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أنه (قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِحَسَّانَ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (أَهْجُهُمْ، أَوْ هَاجَهُمْ) شكك الراوي فيه والأول أمر من هجا يهجو هجواً والثاني أمر من المهاجاة ومعناه جازهم بهجوهم.

(وَجَبْرِيلُ مَعَكَ) يعني يؤيدك ويعينك عليه وقوله قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لحسان يقتضي أنه من مسند البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ولكن أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ عَنْ حَسَّانَ.

3214 - وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ، أَخْبَرَنَا وَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، قَالَ: سَمِعْتُ حُمَيْدَ بْنَ هِلَالٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى غُبَارٍ سَاطِعٍ فِي سِكَّةِ بَنِي غَنَمٍ» زَادَ مُوسَى، مَوْكِبَ جَبْرِيلَ.

ومطابقته للترجمة في قوله وجبريل معك.

وقد أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي الْأَدَبِ وَالْمَغَازِي أَيْضًا وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي الْفَضَائِلِ وَالنَّسَائِيُّ فِي الْقَضَاءِ وَالْمَنَاقِبِ.

حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ التَّبُودَكِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ هُوَ ابْنُ حَازِمٍ أَبُو النَّصْرِ الْأَزْدِيُّ الْبَصْرِيُّ ح.

(وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ) هُوَ ابْنُ رَاهُوِيَه قَالَ: (أَخْبَرَنَا وَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ) قَالَ: (حَدَّثَنَا أَبِي) جَرِيرُ بْنُ حَازِمٍ، (قَالَ: سَمِعْتُ حُمَيْدَ بْنَ هِلَالٍ) الْعَدَوِيُّ أَبُو النَّصْرِ الْبَصْرِيُّ، (عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أَنَّهُ (قَالَ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى غُبَارٍ سَاطِعٍ فِي سِكَّةٍ) بِكَسْرِ السِّينِ الْمَهْمَلَةِ وَتَشْدِيدِ الْكَافِ بِمَعْنَى الزَّقَاقِ.

(بَنِي غَنَمٍ) بِفَتْحِ الْغَيْنِ الْمَعْجَمَةِ وَسُكُونِ النُّونِ بَطْنٌ مِنَ الْخَزَرِجِ وَهُمْ مِنْ وَلَدِ غَنَمِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّجَارِ مِنْهُمْ أَبُو أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَآخَرُونَ.

وَقَالَ الْحَافِظُ الْعَسْقَلَانِيُّ: وَوَهُمْ مِنْ زَعَمَ أَنَّ الْمُرَادَ بِهِمْ بَنُو غَنَمٍ حَيٍّ مِنْ بَنِي تَغْلِبَ بِفَتْحِ الْمُثَنَاءِ الْفَوْقِيَّةِ وَسُكُونِ الْغَيْنِ الْمَعْجَمَةِ وَكَسْرِ اللَّامِ فَإِنَّ أَوَّلَكُمْ لَمْ يَكُونُوا يَوْمئِذٍ بِالْمَدِينَةِ. انْتَهَى.

وَأَرَادَ بِهَذَا الْحَطَّ عَلَى الْكِرْمَانِيِّ فَإِنَّ الْقَائِلَ بِهِ هُوَ الْكِرْمَانِيُّ.

(زَادَ مُوسَى) هُوَ ابْنُ إِسْمَاعِيلَ الْمَذْكُورُ وَأَرَادَ بِهَذَا أَنَّ مُوسَى رَوَى هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ جَرِيرِ بْنِ حَازِمٍ بِإِسْنَادِ الْمَذْكُورِ؛ وَزَادَ فِي الْمَتْنِ هَذِهِ الزِّيَادَةُ وَقَدْ أَوْصَلَهَا الْبُخَارِيُّ فِي الْمَغَازِي عَنْهُ.

(مَوْكِبَ جَبْرِيلَ) قَالَ الْكِرْمَانِيُّ: هُوَ مَنْصُوبٌ بِنَزْعِ الْخَافِضِ.

وَقَالَ الْعَيْنِيُّ: الْأَوَّلَى أَنْ يُقَالَ مَنْصُوبٌ بِفَعْلٍ مُحذُوفٍ تَقْدِيرُهُ هَذَا مَوْكِبَ جَبْرِيلَ.

وَقَالَ ابْنُ التِّينِ: الْأَحْسَنُ أَنْ يَكُونَ مَجْرُورًا عَلَى أَنَّهُ بَدَلٌ مِنْ لَفْظِ غُبَارٍ.

3215 - حَدَّثَنَا قُرُوءٌ، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ؟ قَالَ: «كُلُّ ذَلِكَ يَأْتِينِي الْمَلَكُ أَحْيَانًا فِي مِثْلِ صَلَصَلَةِ الْجَرَسِ، فَيَقْصِمُ عَنِّي، وَقَدْ وَعَيْتُ مَا قَالَ، وَهُوَ أَشَدُّ عَلَيَّ، وَيَتَمَثَّلُ لِي الْمَلَكُ أَحْيَانًا رَجُلًا فَيَكَلِّمُنِي، فَأَعْيِي مَا يَقُولُ»⁽¹⁾.

وَقَالَ الْحَافِظُ الْعَسْقَلَانِيُّ: يَجُوزُ فِيهِ الْحَرَكَاتُ الثَّلَاثُ.
وَقَالَ الْكِرْمَانِيُّ: الْمَوْكِبُ بِالْوَاوِ وَهُوَ نَوْعٌ مِنَ السَّيْرِ وَيُقَالُ لِلْقَوْمِ الرُّكُوبِ عَلَى الْإِبِلِ لِلزَّيْنَةِ مَوْكِبٌ وَكَذَلِكَ جَمَاعَةُ الْفَرَسَانِ.
وَقَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ: الْمَوْكِبُ جَمَاعَةٌ مِنْ رُكَّابٍ يَسِيرُونَ بِرَفْقٍ وَهُمْ أَيْضًا الْقَوْمُ الرُّكُوبُ لِلزَّيْنَةِ وَالتَّنَزُّهِ وَذَكَرَهُ فِي بَابِ وَكَبٍ فَدَلَ عَلَى أَنَّ الْمِيمَ زَائِدَةٌ وَكَذَلِكَ ذَكَرَهُ الْجَوْهَرِيُّ وَيُرْوَى مَرْكَبٌ بِالرَّاءِ بَدَلِ الْوَاوِ.

ومطابقته للترجمة في قوله: موكب جبريل عليه السلام.
(حَدَّثَنَا قُرُوءٌ) بفتح الفاء وسكون الراء ابن أبي المغراء أبو القاسم الكندري الكوفي وهو من أفرادهِ وقد مر في الجنائز قال: (حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ) بلفظ الفاعل من الإسهار بالمهملة وقد مر في باب مباشرة الحائض.
(عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ) عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، (عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ؟ قَالَ: كُلُّ ذَلِكَ يَأْتِينِي الْمَلَكُ أَحْيَانًا فِي مِثْلِ صَلَصَلَةِ الْجَرَسِ، فَيَقْصِمُ) بالفاء أي: يقطع (عَنِّي، وَقَدْ وَعَيْتُ) أي: حفظت (مَا قَالَ، وَهُوَ أَشَدُّ عَلَيَّ، وَيَتَمَثَّلُ لِي الْمَلَكُ أَحْيَانًا رَجُلًا فَيَكَلِّمُنِي، فَأَعْيِي مَا يَقُولُ) والحديث قد مرَّ في أول الكتاب.

(1) قال ابن أبي جمره في البهجة: ظاهر الحديث يدل على أن الوحي للنبي ﷺ على صفتين لا ثالث لهما وهما المذكورتان في الحديث.
والكلام عليه من وجوه:

منها: النَّدْبُ إِلَى السُّؤَالِ عَنْ كُلِّ مَا هُوَ مُتَعَلِّقٌ بِالْإِيمَانِ وَإِنْ كَانَ غَيْرَ مُكَلِّفِينَ بِذَلِكَ يُؤْخَذُ ذَلِكَ مِنْ سُّؤَالِ السَّائِلِ لِسَيِّدِنَا ﷺ عَنْ كَيْفِيَّةِ مَجِيئِ الْوَحْيِ إِلَيْهِ فَجَاوَبَهُ ﷺ عَنْ ذَلِكَ وَلَمْ يَقُلْ لَهُ فِي ذَلِكَ شَيْئًا وَنَحْنُ لَمْ نَتَعَبَّدْ بِعِلْمِ ذَلِكَ لَكِنْ لَمَّا أَنَّ كَانَ مِمَّا يَقْوَى بِهِ الْإِيمَانُ نَدَبَ إِلَى السُّؤَالِ عَنْهُ.

وفيه: دليل على ما أعطي الله عز وجل الملائكة من القدرة على التطوير في صورهم يتطورون =

ومطابقته للترجمة في قوله يأتي الملك.

كيف شاؤوا يؤخذ ذلك من قوله عليه الصلاة والسلام: «يأتيني الملك أحياناً مثل صلصلة الجرس» وجاء من طريق آخر على الصفاء التي هي الحجارة يعني أن كلامه مثل صلصلة الجرس وهو على صورته لم يتغير عنها ومرة أخرى يأتي ذلك الملك ويتمثل على صورة رجل قيل كان يتمثل على صورة دحية الكلبي وكان أجمل العرب بعد سيدنا ﷺ.

وفيه: دليل على ما فضل به سيدنا ﷺ من القوة في باطنه لكونه عليه الصلاة والسلام يأتيه الوحي على هذه الشدة والقوة فثبت حتى يعي ما يقال له.

وفيه: دليل على عظيم قدرة الله تعالى يؤخذ من ذلك من كون الملك يأتي في مثل صلصلة الجرس ويلحق سيدنا ﷺ من ذلك الشدة العظيمة حتى إنه يأتيه في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه لينقط عرقاً ومع ذلك من يكون بجنبه لا يسمع من ذلك شيئاً.

وفيه: دليل على أنه ينبغي أن يكون الرسول فيه أو إليه نسبة من آثار مرسله أو المرسل إليه أحدهما أو هما معاً يؤخذ ذلك من كون الملك يأتي أحياناً في مثل صلصلة الجرس وهذه حالة إعظام وإرهاب تناسب ما يصدر من آثار المرسل وإن كان لا شبه ولا مثال لكن نسبة ما من الإعظام والإرهاب ليكون أثر من صفة المرسل على رسوله وقد قال العلماء ينظر قدر عقل الملك في رسوله الذي يبعث ونوابه لأن الحكيم العارف لا يبعث إلا من يكون فيه أهلية بحسب الشيء المتوجه فيه والمرة الأخرى يأتي مثل المرسل إليه وهو حين يتمثل الملك رجلاً فيخاطب الملك سيدنا ﷺ ويكلمه فحصلت له نسبة ما من نسبة الخلقة ولذلك قال عليه الصلاة والسلام في الأولى «وهو أشده علي» وأخبر بما يقاسي فيه من الشدة فدل أن الوجه الآخر لا شدة فيه ولا ثقل.

لكن هنا بحث لطيف: وهو أن في الوجهين على الملك المرسل أثر ما من صفة المرسل جل جلاله فالمرء الواحدة أثر ما من الإعظام والإرهاب والثانية أثر ما من اللطف والرحمة والإناس وفي هذا من الحكمة أنه لما أن جاءت النبوة بوضعين وهما الإنذار ومقابلة التخويف بصفة التعظيم والإجلال والبشارة ومقابلتها التعطف بصفة الرحمة والإناس فجاءت الوساطة على مقتضى هذين الوضعين لتتقوى تانك الصفتان عند سيدنا ﷺ ومما يقوي ما أشرنا إليه أنه لما كان شهر رمضان شهر خير ورحمة كان جبريل عليه الصلاة والسلام يلقي سيدنا ﷺ كل ليلة رمضان يدارسه القرآن كما جاء الحديث بعده فلرسول الله ﷺ حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة فلم يأت في شهر الخير إلا على صفة الإناس والخير والرحمة وتدریس القرآن لأنه لا شيء أكثر رحمة من تدریس القرآن إذ بكل حرف لمن يعلم بم رفع وبم نصب سبعمائة حسنة فبانت حكمة الحكيم بما تعبد به هذه الأمة وفضله العميم عليها جعلنا الله من خيرها بمنه في الدارين وهذا فيه دليل لقول من قال إنما الصوفي كخمار بين دنين من أيهما شرب سكر وطرب فإن شرب من خمر التخويف والتعظيم سكر خوفاً وتمايل حزناً وإن شرب من خمر الرجا سكر فرحاً وتمايل سروراً وطرباً فإن مزجها خرج من مقام الحال إلى حد التمييز والتكليف.

3216 - حَدَّثَنَا آدَمُ، حَدَّثَنَا شَيْبَانُ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: «مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، دَعَتْهُ خَزَنَةُ الْجَنَّةِ، أَيُّ فُلٍّ هَلَمْ» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: ذَاكَ الَّذِي لَا تَوَى عَلَيْهِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ».

3217 - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا هِشَامٌ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ لَهَا: «يَا عَائِشَةُ هَذَا جِبْرِيلُ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ»، فَقَالَتْ: وَعَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ،

(حَدَّثَنَا آدَمُ) هو ابن أبي إياس قَالَ: (حَدَّثَنَا شَيْبَانُ) قَالَ: (حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أَنَّهُ (قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ) أَي: درهمين أو دينارين (فِي سَبِيلِ اللَّهِ، دَعَتْهُ خَزَنَةُ الْجَنَّةِ، أَيُّ فُلٍّ) أَي: يا فلان وهو بضم الفاء وفتح اللام وبضمها كذا قَالَ الْكِرْمَانِيُّ: وقيل: هو ليس ترخيماً لأنه لا يقال إلا بسكون اللام ولو كان ترخيماً لفتحوها أو ضموها.

(هَلَمْ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (ذَاكَ الَّذِي لَا تَوَى) بفتح المثناة الفوقية والواو أي: لا هلاك (عَلَيْهِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ»)) والحديث مضى في كتاب الجهاد في باب فضل النفقة.

ومطابقته للترجمة في قوله خزنة الجنة فإنهم الملائكة.

(حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ) قَالَ: (حَدَّثَنَا هِشَامٌ) هو ابن يُوْسُف الصنعاني اليماني قاضيا قَالَ: (أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ) هو ابن راشد، (عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ لَهَا: يَا عَائِشَةُ) ويروى: يا عائش بالترخيم فيجوز في الشين الضم والفتح (هَذَا جِبْرِيلُ يَقْرَأُ) من الثلاثي (عَلَيْكَ السَّلَامُ) وروى يقرئك السلام بضم الياء من المزيد فيه.

(فَقَالَتْ: وَعَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ) فزادت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في الرد على سلام جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ بقولها ورحمة الله وبركاته وهي سنة قاله ابن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وكان ابنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يقول في ابتداء السلام وفي رده سواء السلام عليكم.

تَرَى مَا لَا أَرَى، تُرِيدُ النَّبِيَّ ﷺ.

3218 - حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ، حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ دَرٍّ، ح قَالَ:

(تَرَى مَا لَا أَرَى، تُرِيدُ النَّبِيَّ ﷺ).

وفي الحديث منقبة عظيمة لعائشة فإن قيل: هلا واجهها جبريل عليه السلام كما واجه مريم عليها السلام فالجواب أنه لما قدر وجود عيسى عليه السلام من غير أب نصب جبريل ليعلمها بكونه قبل كونه لتعلم أنه يكون بالقدرة فتسكن في زمن الحمل ثم بعث إليها عند الولادة لكونها في وحدة فَقَالَ: ﴿أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبِّكِ تَحَاكِ سَرِيًّا﴾ [مريم: 24] فكان خطاب الملك لها في الحاليتين لتسكن ولا تنزعج وجواب آخر أن مريم عليها السلام كانت خالية من زوج فواجهها بالخطاب وأم المؤمنين احترمت لمكان سيد الأمة كما احترم الشارع قصر عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي رآه في المنام خوفاً من الغيرة وهذا أبلغ في فضل عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لأنه إذا احترمها جبريل عليه السلام الذي لا شهوة له حفظاً لقلب زوجها سيد الأمة كان عما قيل فيها في الإفك أبعد وجواب آخر أنه خاطب مريم عليها السلام لكونها نبية على قول وعائشة ليست كذلك.

وفيه: أن النَّبِيَّ ﷺ يرى الملك ولا يراه من معه⁽¹⁾

وقيل: فيه جواز سلام الأجنبي على الأجنبية إذا لم يخش ترتب مفسدة والأولى تركه في هذا المقام.

ومطابقة الحديث للترجمة في قوله هذا جبريل.

وقد أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي الْأَسْتِذَانِ وَالْأَدَبِ وَالرِّقَاقِ وَفَضْلِ عَائِشَةَ أَيْضًا وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي الْفَضَائِلِ وَالتَّرْمِذِيُّ فِي الْمَنَاقِبِ وَالتَّسَائِي فِي عَشْرَةِ نِسَاءٍ وَفِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ.

(حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ) بضم النون الفضل بن دكين قَالَ: (حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ دَرٍّ) بفتح الذال المعجمة وتشديد الراء وقد تقدم في التيمم.

(ح) تحويل من سند إلى آخر.

(1) والرواية حالة خلقها الله تعالى في الحي فلا يلزم من حضور المرئي واجتماع سائر الشرائط، الرواية كما لا يلزم من عدمها عدمها قاله الكرمانلي.

حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ عُمَرَ بْنِ ذَرٍّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِجَبْرِيلَ: «أَلَا تَزُورُنَا أَكْثَرَ مِمَّا تَزُورُنَا؟»، قَالَ: فَتَزَلْتُ: «وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا» [مريم: 64] الْآيَةَ.

(حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ جَعْفَرٍ) ابْنُ أَعِينٍ أَبُو زَكْرِيَا الْبُخَارِيُّ الْبَيْكَنْدِيُّ وَهُوَ مِنْ أَفْرَادِهِ قَالَ: (حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ عُمَرَ بْنِ ذَرٍّ⁽¹⁾ عَنْ أَبِيهِ) ذَرُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْهَمْدَانِيُّ الْكُوفِيُّ، (عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) أَنَّهُ (قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِجَبْرِيلَ: أَلَا تَزُورُنَا) كَلِمَةٌ أَلَا هُنَا لِلْعَرَضِ وَالتَّحْضِيضِ وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ لِلتَّمْنِي.

(أَكْثَرَ مِمَّا تَزُورُنَا؟، قَالَ: فَتَزَلْتُ) أَي: نَزَلَتِ الْآيَةُ الَّتِي أُولَاهَا: «وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ» (وَذَلِكَ حِكَايَةُ قَوْلِ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ اسْتَبْطَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ) لَمَّا سُئِلَ عَنْ قِصَّةِ أَصْحَابِ الْكَهْفِ وَذِي الْقُرْنَيْنِ وَالرُّوحِ⁽²⁾ وَلَمْ يَدْرَ مَا يَجِيبُ وَرَجَا أَنْ يُوْحَى إِلَيْهِ فِيهِ فَقَالَ: ائْتُونِي غَدًا أَخْبِرْكُمْ وَلَمْ يَسْتَنْ فَاذْبُطاً عَلَيْهِ الْوَحْيُ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا وَقِيلَ أَرْبَعِينَ وَشَقَّ عَلَيْهِ ذَلِكَ كَذَبْتَهُ قَرِيشٌ وَقَالُوا وَدَعَهُ رَبَّهُ وَقَلَاهُ ثُمَّ نَزَلَ بَيَانُ ذَلِكَ وَالتَّنْزِيلُ النُّزُولُ عَلَى مَهْلٍ لِأَنَّهُ مَطَاوِعُ نَزْلٍ يَطْلُقُ نَزْلٌ وَهُوَ يَدُلُّ عَلَى التَّدْرِيجِ وَقَدْ يَطْلُقُ بِمَعْنَى النُّزُولِ مُطْلَقًا كَمَا يَطْلُقُ بِمَعْنَى أَنْزَلَ وَالْمَعْنَى وَمَا نَزَلَ وَقَتًا غَبَّ وَقَتٌ إِلَّا بِأَمْرِ اللَّهِ عَلَى مَا يَقْتَضِيهِ حُكْمَتُهُ (لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا) وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَهُوَ مَا نَحْنُ فِيهِ مِنَ الْأَمَاكِنِ أَوِ الْأَحْيَانِ لَا نَنْتَقِلُ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ أَوْ لَا نَنْزِلُ فِي زَمَانٍ دُونَ زَمَانٍ إِلَّا بِأَمْرِهِ وَمَشِئَتِهِ «وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا» [مريم: 64] تَارِكًا لَكَ أَي: مَا كَانَ عَدَمُ النُّزُولِ إِلَّا لِعَدَمِ الْأَمْرِ بِهِ وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ عَنْ تَرْكِ اللَّهِ تَعَالَى لَكَ وَتَوَدِيعِهِ إِيَّاكَ كَمَا زَعَمَتِ الْكُفْرَةُ وَإِنَّمَا كَانَ لِحُكْمَةِ رَأَاهُ فِيهِ. وَمُطَابَقَةُ الْحَدِيثِ لِلتَّرْجُمَةِ فِي قَوْلِهِ لَجَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَدْ أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي التَّفْسِيرِ وَالتَّوْحِيدِ أَيْضًا وَأَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي التَّفْسِيرِ وَقَالَ حَدِيثٌ حَسَنٌ وَأَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ فِي التَّفْسِيرِ أَيْضًا.

(1) بفتح المعجمة وتشديد الراء مات سنة خمس وخمسين ومائة.

(2) وقد قالت اليهود لقريش سلوه عنها فسألوه.

3219 - حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، قَالَ: حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ، عَنْ يُونُسَ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «أَقْرَأَنِي جِبْرِيلُ عَلَى حَرْفٍ، فَلَمْ أَزَلْ أَسْتَزِيدُهُ حَتَّى انْتَهَى إِلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ».

(حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ) هو ابن أبي أويس (قَالَ: حَدَّثَنِي) بالإفراد (سُلَيْمَانُ) هو ابن بلال (عَنْ يُونُسَ) أي: ابن يزيد (عَنْ ابْنِ شِهَابٍ) الزُّهْرِيِّ، (عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: أَقْرَأَنِي جِبْرِيلُ عَلَى حَرْفٍ) أي: على لغة وقيل الحرف الإعراب وقيل الكيفيات الأدائية من الفتح والإمالة والترقيق والتفخيم والقصر والمد والقصر والإدغام والإخفاء وغير ذلك من وجوه الأداء.

(فَلَمْ أَزَلْ أَسْتَزِيدُهُ) أي: أطلب منه الزيادة على حرف واحد وفي رواية وكان ميكائيل عن شماله فنظر ﷺ إلى ميكائيل كالمستشير فلم يزل يشير إليه استزده حتى قَالَ سبعة أحرف كلها شاف كاف فهذا قيل إن المراء في القرآن كفر وأنه لا ينبغي أن يقول أحد لبعض القرآن ليس هو هكذا ولا يقال إن بعض القرآن خير من بعض.

(حَتَّى انْتَهَى إِلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ) أي: سبع لغات من لغات العرب وأنها مفرقة في القرآن فبعضه بلغة قريش وبعضه بلغة هذيل وبعضه بلغة هوازن وبعضه بلغة اليمن وليس معناه أن يكون في الحرف الواحد سبعة أوجه وإن جاء في القرآن ما قد قرئ بسبعة وعشرة ومما يبين ذلك قول ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنِّي قَدْ سَمِعْتُ الْقُرَاءَ فَوَجَدْتُهُمْ مُتَقَارِبِينَ فَاقْرَأُوا كَمَا عَلِمْتُمْ إِنَّمَا هُوَ كَقَوْلِ أَحَدِكُمْ هَلُمَّ وَتَعَالِ وَأَقْبِلْ لَكِنْ يَشْتَرِطُ التَّوَاتُرُ فِي الْقِرَاءَةِ فَكُلْ لَفْظَةً لَمْ تَتَوَاتَرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فَلَا تَكُونَ مِنَ الْقُرْآنِ.

قَالَ ابن حجر: قول النَّبِيِّ ﷺ ستة لعنتهم ولعنهم الله وكل نبي، يجاب الزائد في كتاب الله أَنَّ الزائد في كتاب الله هو زائد لفظة لم تتواتر عن النَّبِيِّ ﷺ زاعما قرآنيها لحرمة القراءة بالشواذ، وإن صحت عنه ﷺ لأنها حينئذ في حكم الخبر لا القرآن فلا تذكر إلا لبيان تفسير أو زيادة حكم فمن

3220 - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُقَاتِلٍ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ، أَخْبَرَنَا يُونُسُ، عَنِ الزُّهْرِيِّ،

قَالَ: حَدَّثَنِي

أتى بها على أنها قرآن مع اعترافه بأن القرآن لا يثبت إلا بالتواتر كما عليه عامة العلماء صدق عليه أنه زاد في كتاب الله فيشملة اللعن لفسقه بل كفره إن استباح مطلق الزيادة في القرآن فإن قيل ما السر في وجوب نقل القرآن إلينا على سبيل التواتر بخلاف نقل الأحاديث مع أن كليهما وحي؟ قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَطَّقُ عَنِ الْمَوْتِ ۖ إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: 3 - 4] غاية ما في الباب أن القرآن وحي متلو.

فالجواب: أما أولاً: فهو أن نظم القرآن معجز باقٍ على وجه كل زمان دائر على كل لسان في كل مكان فاقتضى ذلك أن يختص نقله إلينا بطريق التواتر حسماً لمادة الشبهة والارتباب قال ﷺ: «دع ما يربك إلى ما لا يربك» ولتكون معجزة النبي ﷺ تبقى على وجه العيان يشار إليها بالبنان وليكون برهاناً على حقيقة خيار الأديان وتبياناً لبقاء هذه الأمة المشرفة إلى آخر الزمان بخلاف متن الحديث فإنه ليس كذلك.

وأما ثانياً: فهو أن نظم القرآن نصب عين الجنان وورد اللسان في كل زمان فيكون العناية به أتم والاهتمام به أهم.

وأما ثالثاً: فهو أن النقل بالمعنى لا يجوز فيه محافظة على إبقاء إعجاز نظمه المتين.

ويجوز في الحديث توسعة وتيسيراً ولهذا توحّد طريق نقل القرآن وتعدد طرق نقل الحديث إلينا، والله تعالى أعلم وأحكم كذا ذكره محيي الدين الكافيجي في كتاب التيسير في قواعد علم التفسير.

ومطابقة الحديث للترجمة في قوله أقراني جبريل.

وقد أخرجهُ البُخَارِيُّ في فضائل القرآن أَيْضًا وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ في الصلاة.

(حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُقَاتِلٍ) قَالَ: (أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ) هو ابن المبارك قَالَ:

(أَخْبَرَنَا يُونُسُ) هو ابن يزيد، (عَنِ الزُّهْرِيِّ) ابن شهاب أنه (قَالَ: حَدَّثَنِي)

عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ،

بالإفراد (عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) أنه (قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ) أي: أسخاهم وأكرمهم بالخير مالا وحالا في بذل المال والجاه ومن بذل العلم والخلق فكان يسمح بالموجود لكونه مطبوعا على الجود مستغنيا عن الفانيات بالباقيات الصالحات مقبل على مولاه معرضا عما سواه فكان إذا وجد جاد وإذا أحسن أعاد وإن لم يجد وعد ولم يخلف الميعاد وكان يجود على كلِّ أحد بما يسدُّ خلته ويشفي غلته فأجود أفعل تفضيل من الجود وهو إعطاء ما ينبغي لمن ينبغي على ما ينبغي ولما كان نفسه أشرف الأنفس كانت أخلاقه أفضل أخلاق الخلائق فيكون أجود الناس ولعل ذكر الناس لكونه فردا منهم فلا مفهوم له عند من قَالَ به.

(وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ) ذكر ابن الحاجب في أماليه لرفع أجود خمسة أوجه وخرّج ابن مالك الرفع من ثلاثة أوجه والنصب من وجهين فلنكتف بواحد منها وهو أن أجود مرفوع على أنه أن يكون اسم كان وخبره محذوف حذفًا واجبًا إذ هو نحو أخطب ما يكون الأمير قائمًا وما مصدرية ومعناه أجود أكوانه.

وفيه: تجوّز حيث جعل كونه ﷺ أجود مبالغة كما في قولك نهاره صائم وفي رمضان في محل الحال واقع موقع الخبر الذي هو حاصل فمعناه كان أجود أكوانه أنه حاصلًا في رمضان⁽¹⁾ وجمع المصدر لأن أفعل التفضيل لا يضاف إلى المفرد.

وفي حديث سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعا: إن الله جواد يحب الجود أخرجه الترمذي وزيد في رواية الترمذي في هذا الحديث هنا قوله حتى ينسلخ أي: يتم رمضان.

والمعنى أن زيادة جوده كانت تستمر في جميع أوقات رمضان إلى أن

(1) كذا قالوا والظاهر أن التقدير كان أجود أكوانه كونه في رمضان.

وَكَانَ جِبْرِيلُ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ، فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ،

ينسلخ فحينئذ يرجع إلى أصل الجود الزائد على جود الناس جميعاً وإنما كان يظهر منه ﷺ آثار الجود في رمضان حين يلقاه جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ أكثر مما يظهر منه في غيره؛ لأنَّ رمضان موسم الخيرات إذ فيه الصوم الذي قَالَ تعالى في حقه: «الصوم لي وأنا أجزي به».

وفيه: ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر فلا جرم يتضاعف فيه ثواب الصدقة والخير وكذلك سائر العبادات حتى إن الله تعالى يعطي النافلة ثواب الفريضة والفريضة ثواب سبعين فريضة كما ورد في الخبر وعن الزُّهْرِيِّ تسبيحة في رمضان خير من سبعين في غيره.

وقد جاء في الحديث أنه يعتق فيه كل يوم ألف ألف عتيق من النار.

والحاصل: أن الله تعالى يتفضل على عباده في ذلك الشهر ما لا يتفضل على عباده في ذلك الشهر ما لا يتفضل عليهم في غيره من الأوقات وكان ﷺ متخلِّقاً بأخلاق ربه وأما ملاقاته جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ ففيها زيادة ترقية في المقامات وزيادة اطلاعه على علوم الله سبحانه لا سيما عند مدارسته القرآن معه مع نزوله كل ليلة كما يفيد قوله.

(وَكَانَ جِبْرِيلُ يَلْقَاهُ) أَي: النَّبِيُّ ﷺ (فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ، فَيُدَارِسُهُ) من المدارس من الدرس وهو القراءة على سرعة قدرة عليها من درست الكتاب أدرسه كأنك تجعل الكتاب الذي تقرأه مذكلاً لأن أصل الدرس الوطء والتذليل قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَدَرَّسُوا مَا فِيهِ﴾ [الأعراف: 169] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [الأعراف: 79] وادرس الكتاب ودرّس الكتب تدريساً مشدداً للمبالغة ومنه تدرّس مثل درسه من المدرسة أي: يعارض ويقارئ جبريل النَّبِيَّ ﷺ (الْقُرْآنَ) بالنصب على أنه مفعول ثانٍ للمدارسة إذ الفعل المتعدي إذا نقل إلى باب المفاعلة يصير متعدياً إلى اثنين نحو جاذبته الثوب.

والمعنى كان النَّبِيُّ ﷺ وجبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ يتناوبان في قراءة القرآن كما هو عادة القراء بأن يقرأ هذا عشرًا والآخر عشرًا.

وقد قيل: إن الأصل المعتاد قراءة جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ وسماعه ﷺ وكذا قراءته ﷺ وسماع أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وهكذا طريقة المحدثين من السلف وأما الخلف فاخترأوا أن التلميذ يقرأ والشيخ يسمعه لعدم القابلية الكاملة للمتأخرين ولا يبعد أن يقال إنما كان ﷺ وجبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ يتناوبان في القراءة ليكون كل من القراءة والسماع سنة في أمته ﷺ.

وقيل: إن الحكمة في تلك المدارس أن يتقرر عنده ويرسخ أتم رسوخ فلا ينساه فكان إنجاز لوعده تعالى لرسوله ﷺ حيث قَالَ: ﴿سَنُقَرِّكَ فَلَا تَنْسَى﴾ ﴿٦﴾ [الأعلى: 6].

ومن جملة الإقراء مدارس جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ وقيل الحكمة فيها الحث على تجويد لفظه وتصحيح إخراج الحروف من مخارجها وإعطاء حقوقها من صفاتها ليكون سنة في حق الأمة وأصلاً لمدارس التلامذة مع الشيوخ في القراءة والله تعالى أعلم.

وخص الليل من رمضان بالمدارس لأن ليله أفضل من نهاره لا سيما للقراءة فإن المقصود من التلاوة الحضور والفهم والتدبر قَالَ تعالى: ﴿كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾ [ص: 29] والليل مظنة ذلك لما في النهار من الشواغل الدينية والعوارض الدنيوية ويدل عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾ ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾ [المزمل: 6 - 7].

(1) ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ﴾ أي: أنَّ النفس التي تنشأ من مضجعها إلى العبادة من نشأ من مكانه إذا نهض أو قيام الليل على أنَّ الناشئة مصدر كالقافية من نشأ إذا قام أو العبادة التي تنشأ بالليل أي: تحدث أو ساعات الليل لأنها تحدث واحدة بعد أخرى أو ساعاتها الأولى من نشأت إذا ابتدأت ﴿هِيَ أَشَدُّ وَطْأً﴾ أي: كلفة أو ثبات قدم من ناشئة النهار. وقرأ أبو عمرو وابن عامر وطاء أي: مواطأة القلب اللسان الكائنين للناشئة أن فسرت الناشئة بالنفس أو فيها أن فسرت بالأوجه الباقية ﴿وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾ وأسدّ مقالاً وأثبت قراءة لحضور القلب وهدوؤ الأصوات إن لك في النهار سبْحًا طَوِيلًا تَقَلَّبًا في مهامك واشتغلاً بها فعليك بالتهجد فإن مناجاة الحق تستدعي فراغاً.

فَلَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ أَجُودُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ»⁽¹⁾.

(فَلَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ) الفاء للسببية واللام لام الابتداء زيدت على المبتدأ تأكيداً وهي جواب قسم مقدر.

(أَجُودُ) خبر المبتدأ (بِالْخَيْرِ) أي: ببذل جميع أنواع الخير بحسب اختلاف حاجات الناس.

(مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ) حيث لا التفات لها إلى أشياء تمر عليها ولا تعتدُّ بها

(1) قال ابن أبي جمرة في البهجة: ظاهر الحديث الشهادة لسيدنا محمد ﷺ بالتقدم في الخير والحق وزيادته عليه الصلاة والسلام في الخير في رمضان حين يدارسه جبريل عليه الصلاة والسلام القرآن.

والكلام عليه من وجوه:

منها: أن فيه دليلاً على تعظيم شهر رمضان يؤخذ ذلك من كثرة نزول جبريل عليه الصلاة والسلام فيه لتدريس القرآن ليس إلا ونزول القرآن هو أكبر الرحمات وأعم البركات التي خصت به هذه الأمة.

وفيه: دليل على أن تعظيم الأزمنة التي عظمها الله تعالى أو الأمكنة إنما هو بزيادة العبادة فيها يؤخذ ذلك من فعل جبريل عليه الصلاة والسلام مع النبي ﷺ الذي كان في كل ليلة يدارسه القرآن وما ذاك إلا لينبه الأمة على كيفية التعظيم له وقد قال عليه الصلاة والسلام: «فِيمَنْ قَامَهُ إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» وقال: «فَإِنْ شَتَمَكَ أَوْ سَبَكَ فَقُلْ إِنِّي صَائِمٌ إِنِّي صَائِمٌ» أو كما قال عليه الصلاة والسلام وقد قال الله عز وجل في حق الأشهر الحرم تعظيماً لها: ﴿مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ أَلَدِينُ الْقِيمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾ [التوبة: 36] وعدم الظلم يتضمن الإحسان وهو زيادة العبادة.

وفيه: دليل على أن تلاوة القرآن توجب زيادة الخير لأن الفعل هو ثمرة التلاوة فإن تلا ولم يفعل كان كشجرة بلا ثمر وكذلك كان ﷺ إذا كان في تهجده إذا مر بآية رحمة سأل وإذا مر بآية عذاب استجار وإذا مر بآية تنزيه سبح وعظم حتى يحصل له حال مما هو ذاكر له لأن هذه هي أوصاف العبودية وكذلك ينبغي في حديثه ﷺ لأنه عليه الصلاة والسلام قال: «تَرَكْتُ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا كِتَابُ اللَّهِ وَعِترتي أهل بيتي» وعترته أهل بيته هم الذين يروون عنه ما قاله لقوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرَنَّ مَا بُشَلَّى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ عَائِدَتِ اللَّهِ﴾ [الأحزاب: 34].

وفيه: دليل على تذكُّر القرض في الخير وإن كان يعلمه يؤخذ ذلك من تدريس جبريل عليه الصلاة والسلام لسيدنا ﷺ عليه القرآن كل ليلة من رمضان وسيدنا ﷺ يعلم ما في ذلك وهو حافظ للقرآن وذلك هو الذي ينفع فيه الموعظة والتذكُّر لأن الله عز وجل يقول: ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ﴾ [غافر: 13] وقال عز وجل في ضده: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ أَلْمُزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾ [البقرة: 206].

حين تمرُّ عليها والمرسلة بفتح السين بمعنى المطلقة وقيل يعني أنه أجود منها في

وفيه : دليل على أن ليل رمضان أفضل من نهاره يؤخذ ذلك من أن جبريل عليه السلام لم يكن يأتي لرسول ﷺ إلا بالليل وفي مجيئه له ليلاً إشارة إلى أن التلاوة المقصود منها الحضور والفهم لأن الليل فيه أشياء تعين على ذلك.

منها التفرغ من جميع الأشغال ولذلك قال مولانا سبحانه : ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾ [المزمل : 6] وفيه أن النفس قد ذهب عنها مجاهدة الصوم وتعبه فكان أجمع لها لأنها بالنهار مشغولة بما يحمله من مجاهدة الصوم وما جعل الله لرجل من قلابين في جوفه وإن كان سيدنا ﷺ حاضراً في كل وقت لكن هذا تشريع لأتمته ومن أجل هذا النوع كره مالك رحمه الله القراءة على القبور لأننا مكلفون بأن نتفكر فيما قيل لهم وماذا لقوا ونحن مكلفون بالتدبر في القرآن بينهما في الزمن الفرد محال فآل الأمر إلا إسقاط أحد الأمرين.

وفيه : دليل على جواز المثال لفهم عن المتكلم ما قصده يؤخذ ذلك من أنه لما قال الصحابي عن سيدنا ﷺ أنه كان أجود الناس فماذا بقي له أن يعبر به عن كيفية زيادته في أفعال الخير فعبر بالريح لأن الريح المرسلة إذا جرت دامت ولم ينقطع وعبر عن خير سيدنا ﷺ أنه كان أكثر من الريح لأن الريح قد تسكن وقتاً ما والمرسل منها دائماً ألا يفتر مدة إرساله ومما يقوي ذلك أنه عليه الصلاة والسلام كان في العشر الآخر من رمضان يشد المئزر ويقول لأهله اطبوا الفراش وهذا عند الزمان الذي يلحق الناس فيه الضعف وهو آخر الشهر فكان عليه الصلاة والسلام يزيد في التعب إذ ذاك حتى يترك النوم مرة واحدة ولا ذاك إلا لقوة الباعث على الخير حتى يخرج منه عن أوصاف البشرية.

وفي هذا : دليل لأهل السلوك الذين يقولون بالهمم تنال المقامات لا بالأبدان وفيه من الفقه أنه من أراد زيادة الخير فلينظر في الأسباب المقوية للعزائم يأتيه العون ولا يأخذ الأمور من خارج وينظر إلى الأشياخ ليس إلا فإنه إن فعل لحقه الفتور والعجز الذي هو وصف البشرية ولهذا أشار ﷺ بقوله : «طوبى لمن جعل همه همّاً واحداً» لأنه إذا جعل همه همّاً واحداً وهو هم الآخرة ذهب عنه أوصاف البشرية وطلبها لحظوظها وخفت عليه العبادة وجاءه العون من حيث لا يحتسب.

وفيه : دليل على فضل الصحابة رضوان الله عليهم وكثرة نباهتهم يؤخذ ذلك من قول الراوي من الريح المرسلة لأن الريح المرسلة هي ريح الخير لأن الله عز وجل يقول : ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوْفِجَ﴾ [الحجر : 22] وقال تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ [الأعراف : 57] وقال عز وجل في الريح الذي هي نعمة : ﴿رِيحٌ فِيهَا بَشْرٌ صَبَأَتْ حَرَثَ قَوٍّ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَنَّهُ﴾ [آل عمران : 117] وقال عز وجل في قوم عاد : ﴿الرِّيحُ الَّتِي نَقَمَ﴾ [الذاريات : 41] وقال تعالى ريح صرصر فنعتها بالصفة المهلكة فحيث ما وجدت ذكر الرياح مجملة أو نكرة تجدها منعوتة بالإرسال ليس إلا فهي خير والصد تجدها مفردة بما يدل على المخوفات كما ذكرنا آنفاً ويترتب على ذلك من الفقه أن لا يمثل الخير إلا بخير مثله وكذلك على الضد ولا يعكس الأمر في ذلك والله الموفق.

عموم النفع والإسراع فيه كما تعم الرياح المرسلة جميع ما تهب عليه وقيل هي التي أرسلت بالبشرى بين يدي رحمته سبحانه أي: المطر وذلك لشمول روحها وعموم نفعها كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ وقال تعالى: ﴿وَالْمُرْسَلَتِ عُرْفًا﴾ أي: الرياح المرسلات للمعروف على أحد التفاسير فاللام في الرياح على الأول للجنس وعلى الثاني للعهد.

وحاصله: أنه شبه نشر جوده بالخير في العباد بنشر الرياح القطر في البلاد وشتان ما بين الأثرين فأحدهما يحيي القلب بعد موته والآخر يحيي الأرض بعد موتها كما أفاده الكَرْمَانِي ولا شك أن الثاني تابع للأول مسخر له فلذا قَالَ أجود من الرياح المرسلة على أن الغالب عليها أن تأتي بالمطر وربما تخلو عنه وهو ﷺ لا ينفك عن العطاء والجود بل جوده مع ذلك مستمر لا يعتريه ضعف وفتور على أن إسناد الجود إليه ﷺ حقيقة وإلى الرياح المرسلة مجاز نزلت منزلة من جاد ففرق بينهما وجملة الكلام في مقام المرام أنه فضل.

أولاً: جوده على جميع أفراد الإنسان.

وثانياً: جوده في رمضان على جوده في سائر الأزمان.

وثالثاً: عند لقاء جبريل ومدارسة القرآن فإنه حينئذ كان أجود مما يتصور في الأذهان وما ذاك إلا لإتيان أفضل ملائكة الرحمن إلى أفضل سامع بأفضل كلام من أفضل متكلم في أفضل الزمان بل في أفضل المكان أيضاً.

وفي الحديث بيان أن فضيلة الزمان وملاقاة صلحاء الإخوان لهما مزية للعبادة وتحسين⁽¹⁾ الأخلاق والإتقان وفيه ندب إكثار الجود والحث عليه في كل

(1) قالوا: إن الإحسان إلى من يستحق الإحسان دون من يستحق القهر والتعزير ولذا قالوا: الحكمة تقتضي أن يكون الملك سيما ملك الملوك ذا صفتي لطف وقهر إذ كل منهما من أوصاف الكمال ولا يقوم أحدهما مقام الآخر ولا يتحقق كل منهما إلا بوجود الآخر كما لا تستبين اللذة إلا بالألم ولا بد لكل منهما من مظهر، فالسعداء وأعمالهم مظهر اللطف والأشقياء وأعمالهم مظهر القهر فكذلك العلماء العاملون والصلحاء ينبغي أن تكون مظاهر لطف الملك، والأشقياء والفاسق مظاهر قهره، وقد قيل:

وضع الندى في موضع السيف بالعلی مضرّ كوضع السيف في موضع الندى

الأوقات ومزيد الإنفاق في رمضان على المحتاجين والتوسعة على العيال والأقارب والمحبين وكذا عند ملاقة الصالحين وعقب مفارقتهم شكر النعمة الاجتماع بهم وكذا عند مدارس القرآن وفيه أيضًا زيارة الصلحاء وأهل الفضل ومجالستهم وتكرار زياراتهم ومواصلتها إذا كان المزور لا يكره ذلك وفيه أن صحبة الصالحين مؤثرة في دين الرجل وعمله ولذلك قالوا لقاء أهل الخير عمارة القلوب وفيه استحباب إكثار قراءة القرآن لا سيما في رمضان وفيه أن قراءة رمضان أفضل من التسبيح وسائر الأذكار إذ لو كان ذلك أفضل أو مساويًا لها لما خصًا القراءة عند الاجتماع في رمضان.

وقد روي عنه عليه السلام أفضل عبادة أمتي قراءة القرآن.

فائدة:

روى الشيخان عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان أعقل الناس وأشجع الناس وأجود الناس يعني على هذا القياس وقيل اقتصراره على الثلث في جوامع الكلم فإنها أمهات الأخلاق إذ لا يخلو كل إنسان من ثلاث قوى:

العقلية: وكمالها النطق بالحكمة.

والغضبية: وكمالها الشجاعة.

والشهوية: وكمالها الجود لكن في الجامع الصغير برواية الشيخين والترمذي وابن ماجه عن أنس رضي الله عنه كان أحسن الناس وأعقل الناس الحديث.

وبرواية مسلم كان أحسن الناس خلقًا وفي حديث ضعيف أنا أجود بني آدم وأجودهم بعدي رجل علم علمًا فنشره ورجل جاهد بنفسه في سبيل الله ثم إنه كان من جوده ﷺ أنه يبذل المال في سبيل الله ويؤثر الفقراء والمحتاجين على نفسه وأولاده فيعطي إعطاء يعجز عنه الملوك والأغنياء ويعيش في نفسه عيش الفقراء فربما كان يمر الشهران عليه ولم توقد في بيته نار وربما ربط الحجر على بطنه الشريف من شدة الجوع ومع هذا كان له قوة كاملة في الجماع مع أنه كان متبصرًا في أمره مع كثرة نسائه وقد أتاه سبي فشكت إليه فاطمة رضي الله عنها ما

تلقاه من الرحي أو الخدمة وطلبت منه خادماً يكفيها المؤنة فأمرها أن تستعين عند نومها بالتسبيح والتحميد والتكبير من كل ثلاثاً وثلاثين إلا في الأخير فتزيد واحداً تكملة للمائة وَقَالَ : لا أعطيك وأدع أهل الصفة تطوي بطونهم من الجوع وكسته امرأة بُرْدَة فلبسها محتاجاً إليها فسأله فيها بعض أصحابه فأعطاه إياها رواء البُخَارِيِّ واستنبط منه الصوفية جواز استدعاء المريد من الشَّيْخ خرقه التصوف وما يذكره بعضهم أن الحسن البصري لبسها من علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فباطل مع أن الحسن لم يسمع من علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ذكره ابن حجر المكي وَقَالَ أَيُّضاً نعم لبسها وألبسها جمع منهم تشبهاً بالقوم وتبركاً بطريقهم إذ ورد لبسهم لها مع الصحبة المتصلة إلى جميل بن زياد وهو صحب علياً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اتفاقاً وفي بعض الطرق اتصالها بأويس القرني وهو قد اجتمع بعمر وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وكثير منهم يكتفي بمجرد الصحبة وتلقين الذكر وهو الذي أثرناه عن العارفين والله تعالى أعلم.

وأما أمره في الشجاعة فقد صرع جمعا منهم ابن الأسود الجمحي وكان يقف على جلد البقر ويجاذب أطرافه عشرة لينزعوه من تحت قدميه فيتفرز الجلد ولم يتزحزح عنه ومنهم ركانة حيث صرعه ثلاث مرات متواليات لشرطه أنه إن صرعه أسلم ورحم الله صاحب البردة حيث عبر عن جوده بالزبدة في قوله :

فإن من جودك الدنيا وضررتها ومن علومك علم اللوح والقلم

وفي رواية مسلم أنه : ﷺ ما سئل شيئاً إلا أعطاه فجاءه رجل فأعطاه غنما بين جبلين فرجع إلى قومه فَقَالَ يا قوم أسلموا فإن محمداً يعطي عطاء من لا يخشى الفقر .

وروى الترمذي : أنه حمل إليه تسعون ألف درهم فوضعت على حصير ثم قام إليها فقسمها فما رد سائلاً حتى فرغ منها وجاءت امرأة يوم حنين أنشدته شعراً تذكره به أيام رضاعته في هوازن فرد عليها ما قيمته خمسمائة ألف ألف قَالَ ابن دحية وهذا نهاية الرد الذي لم يسمع بمثله من غاية الجود.

وفي صحيح البُخَارِيِّ : أنه أتى بمال البحرين فأمر بصبه في المسجد وكان

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ بِهَذَا الْإِسْنَادِ نَحْوَهُ.

وَرَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ، وَفَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُهُ الْقُرْآنَ».

أكثر مال أتى به فخرج إلى المسجد ولم يلتفت إليه فلما قضى الصلاة جاء فجلس إليه فما كان يرى أحداً إلا أعطاه إذ جاءه العباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فسأله فَقَالَ له خذ فحشى في ثوبه ثم ذهب يقله فلم يستطع فَقَالَ يا رَسُولَ اللَّهِ مر بعضهم يرفعه إلي فَقَالَ: «لا» فَقَالَ ارفعه أنت عليَّ فَقَالَ: «لا» فنثر منه ثم ذهب يقله فلم يستطع فَقَالَ كالأول فَقَالَ لا ثم نثر منه ثم احتمله فأتبعه ﷺ بصره عجباً من حرصه فما قام ﷺ ومنها درهم أقول هذا في الدنيا وأما في دار الآخرة فقد وعد ﷺ ببذل شفاعته لأمته خصوصاً أهل الكبائر قَالَ ﷺ: «شفاعتي لأهل الكبائر في أمتي» وقد قَالَ العارف الرومي في المثنوي:

گفت پغمبر گه روز رستخز	گگذارم مجرمان را اشک رز
من شفع عاصان باشم به جان	تا رهانمشان زاشگنجه گران
عاصان و اهل گبائر را به جهد	وارهانم از عقاب نقص عهد
وز حمم هجرشان دوردهم	پس بحق وصلشان بر گف نهم
هر نباخواست چراز خدا	من شفاعت خواستم روز جزا

ومطابقة الحديث للترجمة في قوله جبريل في الموضوعين وقد أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي أَوَّلِ الْكِتَابِ أَيْضًا.

(وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ) هو ابن المبارك أَنَّهُ قَالَ: (حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ بِهَذَا الْإِسْنَادِ نَحْوَهُ) وهو موصول عن مُحَمَّد بن مقاتل وكان ابن المبارك كان يفصل الرواية فيه عن شيخه أحدهما يُؤْنَس والآخر مَعْمَر وقد تقدم نظير ذلك في بدء الوحي.

(وَرَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ، وَفَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) تعالى (عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ): أَنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُهُ الْقُرْآنَ) أما رواية أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فوصلها الْبُخَارِيُّ في فضائل القرآن وسيأتي إن شاء الله تعالى.

وأما رواية فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فوصلها في علامات النبوة وسيأتي إن شاء الله تعالى هناك أَيْضًا.

3221 - حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ، حَدَّثَنَا لَيْثٌ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَخْرَجَ الْعَصْرَ شَيْئًا، فَقَالَ لَهُ عُرْوَةُ: أَمَا إِنَّ جَبْرِيلَ قَدْ نَزَلَ فَصَلَّى أَمَامَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ عُمَرُ: اْعْلَمْ مَا تَقُولُ يَا عُرْوَةُ، قَالَ: سَمِعْتُ بَشِيرَ بْنَ أَبِي مَسْعُودٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا مَسْعُودٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «نَزَلَ جَبْرِيلُ فَأَمَّنِي، فَصَلَّيْتُ مَعَهُ، ثُمَّ صَلَّيْتُ مَعَهُ، ثُمَّ صَلَّيْتُ مَعَهُ، ثُمَّ صَلَّيْتُ مَعَهُ» يَحْسُبُ بِأَصَابِعِهِ خَمْسَ صَلَوَاتٍ.

(حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ) هو ابن سعيد قَالَ: (حَدَّثَنَا لَيْثٌ) أي: ابن سعد، (عَنِ ابْنِ شِهَابٍ) الزُّهْرِيِّ (أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ) الخليفة المشهور (أَخْرَجَ الْعَصْرَ شَيْئًا) أي: شَيْئًا من التأخير، (فَقَالَ لَهُ عُرْوَةُ) أي: ابن الزبير: (أَمَا إِنَّ جَبْرِيلَ قَدْ نَزَلَ فَصَلَّى أَمَامَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ) بفتح الهمزة أي: قدامه.

وحكى ابن مالك: أنه روي بالكسر بمعنى الإمام الذي يؤم الناس واستشكله بأن أمام لكونه مضافًا إلى المعرفة معرفة والموضع موضع الحال فوجب جعله نكرة بالتأويل.

وأنت خير بأن الرواية الصحيحة أنه بفتح الهمزة منصوب على الظرفية.

(فَقَالَ عُمَرُ: اْعْلَمْ مَا تَقُولُ يَا عُرْوَةُ⁽¹⁾) قَالَ⁽²⁾: سَمِعْتُ بَشِيرَ بْنَ أَبِي مَسْعُودٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا مَسْعُودٍ⁽³⁾ هو عقبة بن عمرو البصري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «نَزَلَ جَبْرِيلُ فَأَمَّنِي، فَصَلَّيْتُ مَعَهُ، ثُمَّ صَلَّيْتُ مَعَهُ، ثُمَّ صَلَّيْتُ مَعَهُ، ثُمَّ صَلَّيْتُ مَعَهُ» يَحْسُبُ) بضم السين من الحساب لا من الحسابان.

(بِأَصَابِعِهِ خَمْسَ صَلَوَاتٍ)⁽⁴⁾ وهذا الحديث قد مر في باب مواقيت الصلاة

(1) واعلم بصيغة الأمر تنبيه من عمر بن عبد العزيز لعروة على إنكاره إياه أي: تأمل ما تقول فلعله بلغك عن غير تثبت.

(2) أي عروة يعني لما أنكر عمر بن عبد العزيز ما حدثه عروة به من إمامة جبريل عليه السلام للنبي ﷺ في هذه الأوقات استثبت عروة فيه فقال عروة.

(3) بفتح الموحدة وكسر الشين المعجمة.

(4) وكان ذلك صبيحة الليلة التي فرضت فيها الصلوات وهي ليلة الإسراء. وقد روى نافع بن جبير وغيره أنه لما أصبح النبي ﷺ من الليلة التي أسري به لم يَرَ إِلَّا جبريل عليه السلام نزل حين زَاغَتِ الشَّمْسُ فأمر فصيح بأصحابه الصلاة جامعة فاجتمعوا فصلى النبي ﷺ بالناس، وفي =

3222 - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «قَالَ لِي جَبْرِيلُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِكَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، أَوْ لَمْ يَدْخُلِ النَّارَ»، قَالَ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: «وَأِنْ».

3223 - حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ،

لكن بعبارات مختلفة وقد مر الكلام فيه هناك مستوفى ومطابقته للترجمة ظاهرة.
(حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ) قَالَ: (حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ) هو مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَدِيٍّ بفتح المهملة الأولى وكسر الثانية القسملي وقد مر في الغسل.

(عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ) الغفاري (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أَنَّهُ (قَالَ): قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ويروى: (قَالَ النَّبِيُّ ﷺ): قَالَ لِي جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: (مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِكَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، أَوْ لَمْ يَدْخُلِ النَّارَ) قَالَ الخطابي: فيه إثبات دخول ونفي دخول وكل واحد منهما متميز عن الآخر بوصف أو وقت والمعنى أن مات على التوحيد فإن مصيره إلى الجنة وإن ناله قبل ذلك من العقوبة ما ناله وأما لفظ لم يدخل النار فمعناه لم يدخل دخول تخليدي ويجب التأويل بمثله جمعاً بين الآيات والأحاديث.

(قَالَ) ﷺ: (وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: «وَأِنْ» أي جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَإِنْ فيه دليل على جواز حذف فعل الشرط والاكتفاء بحروفه.

قَالَ ابْنُ مَالِكٍ: وفيه نظر لأنه يبين بالرواية الأخرى أن هذا من تصرف بعض الرواة.

والحديث قد مضى في كتاب الاستئذان في باب أداء الديون مضموناً إلى شيء آخر وقد مر الكلام فيه.
ومطابقته للترجمة ظاهرة.

(حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ) الحكم بن نافع قَالَ: (أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ) قَالَ: (حَدَّثَنَا) ويروى: أَخْبَرَنَا (أَبُو الزِّنَادِ) بالزاي والنون عَبْدُ اللَّهِ بن ذكوان، (عَنِ الْأَعْرَجِ)

= الحديث جواز دخول العلماء على الأمراء وإنكارهم عليهم ما يخالف السنة ومنها استئذان العالم فيما يستغربه السامع والرجوع عند التنازع إلى السنة.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الْمَلَائِكَةُ يَتَعَاقِبُونَ مَلَائِكَةَ بِاللَّيْلِ، وَمَلَائِكَةَ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ، وَالْعَصْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ، فَيَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ، فَيَقُولُ: كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟، فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ يُصَلُّونَ، وَأَتَيْنَاهُمْ يُصَلُّونَ».

عبد الرحمن بن هرمز، (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أَنَّهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (الْمَلَائِكَةُ) مَبْتَدَأُ خَبَرِهِ (يَتَعَاقِبُونَ) أَي: يَأْتِي بَعْضُهُمْ عَقِيبَ بَعْضٍ بِحَيْثُ إِذَا نَزَلَتْ طَائِفَةٌ صَدَرَتْ الْأُخْرَى وَقَوْلُهُ: (مَلَائِكَةُ بِاللَّيْلِ، وَمَلَائِكَةُ بِالنَّهَارِ) يُوْضِحُ مَعْنَى التَّعَاقُبِ، (وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ، وَالْعَصْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ، فَيَسْأَلُهُمْ) أَي: اللَّهُ تَعَالَى، (وَهُوَ أَعْلَمُ، فَيَقُولُ: كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ يُصَلُّونَ) وَيُرْوَى وَهُمْ يَصَلُّونَ وَالْجُمْلَةُ حَالِيَةٌ فِي الْوَجْهِينَ.

(وَأَتَيْنَاهُمْ يُصَلُّونَ) وَيُرْوَى وَهُمْ⁽¹⁾ يَصَلُّونَ وَهُوَ كَالْأَوَّلِ وَهَؤُلَاءِ الْمَلَائِكَةُ هُمْ غَيْرُ الْحَفِظَةِ عَلَى الصَّحِيحِ فَسْؤَالُهُ لَهُمْ إِنَّمَا هُوَ عَلَى جِهَةِ التَّوْبِيخِ لِمَنْ قَالَ: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ [البقرة: 30] وَأَنَّهُ أَظْهَرَ لَهُمْ مَا سَبَقَ فِي عِلْمِهِ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

قال القرطبي: وهذه حكمة اجتماعهم في هاتين الصلاتين.

ويحتمل أن يكون سؤاله لهم استدعاء لشهادتهم ولذلك قالوا: أتيناهم وهم يصلون، وهذا من حفي لطفه وجميل ستره إذ لم يطلعهم إلا على حال عبادتهم ولم يطلعهم على حالة شهواتهم ومن يشبهها، انتهى.

وهذا يفيد أنهم غير الحفظة لأنهم يطلعون على أحوالهم كلها.

والحديث قد مضى في أوائل الصلاة في باب فضل صلاة العصر وقد مر الكلام فيه مستوفى.

ومطابقته للترجمة ظاهرة.

(1) وقد وقع في صحيح ابن خزيمة من طريق الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه في آخر هذا الحديث: فاغفر لهم يوم الدين.

7 - باب: إِذَا قَالَ أَحَدُكُمْ: آمِينَ وَالْمَلَائِكَةُ فِي السَّمَاءِ،
فَوَافَقَتْ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ⁽¹⁾

7 - باب: إِذَا قَالَ أَحَدُكُمْ: آمِينَ وَالْمَلَائِكَةُ فِي السَّمَاءِ،
فَوَافَقَتْ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ

(باب) بالتنوين (إِذَا قَالَ أَحَدُكُمْ: آمِينَ) ممدود ومقصود معناه استجب.
(وَالْمَلَائِكَةُ فِي السَّمَاءِ، آمِينَ فَوَافَقَتْ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى،⁽²⁾ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ) قيل: ليس لذكر هذا الباب هنا وجه لأن جميع أحاديث هذا الباب في ذكر الملائكة وهي متعلقة بالباب السابق فأشكل أمر الترجمة⁽³⁾ جدًا وقد سقط لفظ باب في رواية أبي ذر فحذف الإشكال لكن لو قَالَ وبهذا الإسناد أو وبه قَالَ أو نحو ذلك لزال الإشكال.

(1) قال الكاندهلوي: أشكل زيادة لفظ الباب ههنا قديمًا وحديثًا، واخترع شيخ مشايخنا الشاه ولي الله الدهلوي نور الله مرقده لهذا الباب أصلًا برأسه إذ قال في الأصل إن لفظ الباب قد يكتب مكان قول المحدثين بهذا الإسناد كما يكتبون (ح) كما تقدم البسط في ذلك في الأصل السابع من أصول التراجع في المقدمة وتقدم فيه كلام الحافظ، وما اختاره هذا العبد الضعيف وهو أن هذا الباب ليس بمثبت، بل هو مثبت للترجمة السابقة، ثم رأيت السندي مال إلى ذلك إذ قال: لعل مراده أن من جملة الأدلة على وجود الملائكة هذا الباب، أي: ما ذكر فيه وما يتعلق به من الأحاديث فلم يأت بالباب ليذكر أحاديثه والله تعالى أعلم. نعم ذكر بعض أحاديثه ليستدل به على وجود الملائكة فيما بعد أيضًا في جملة سائر الأحاديث لهذا المطلوب، اهـ.
وقال العيني: قالوا ليس لذكر هذا الباب ههنا وجه، لأن جميع أحاديث هذا الباب في ذكر الملائكة وهو متصل بالباب السابق ولذا لا يوجد في كثير من النسخ، وكذا لم يقع في رواية أبي ذر ذكر هذا الباب، اهـ.

وقال الكرمانى: هذا الباب لم يوجد في بعض النسخ وهو أولى، إذ لا تعلق لها به فالظاهر أنه بالسند السابق عن أبي اليمان عن شعيب عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة ومن جملة ترجمة الملائكة، وقد ساق الإسماعيلي حديث «يتعاقبون إلخ» ثم قال: وبهذا الإسناد إذا قال أحدكم آمين، فلو قال البخاري وبهذا الإسناد أو وبه لزال الإشكال، اهـ.

وقال صاحب الفيض: هذا الباب غريب في سلسلة ذكر الملائكة إلا أنه أدخله في إضعاف ذكرهم لفائدة، وهي أنهم موكلون على قول آمين أيضًا، اهـ.

(2) أي إحدى كلمتي آمين الأخرى.

(3) إذ لا تعليق للأحاديث التي تتلوها بها فصارت مترجمة بغير حديث.

3224 - حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ، أَخْبَرَنَا مَخْلَدٌ، أَخْبَرَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أُمَيَّةَ، أَنَّ نَافِعًا، حَدَّثَهُ أَنَّ الْقَاسِمَ بْنَ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَهُ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: حَشَوْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَسَادَةً فِيهَا تَمَائِيلٌ كَأَنَّهَا نُمُرُقَةٌ، فَجَاءَ فَقَامَ بَيْنَ الْبَابَيْنِ

وقد صنع ذلك الإسماعيلي حيث ساق حديث يتعاقبون فلما فرغ قَالَ وبهذا الإسناد إذا قَالَ أحدكم وظهر بهذا أن هذا الحديث وما بعده من الأحاديث بقية ترجمة ذكر الملائكة ثم إن هذه الترجمة أخذها من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ إِذَا قَالَ الْإِمَامُ: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ فَقُولُوا: آمِينَ فَإِنَّهُ مِنْ وَافِقٍ قَوْلُهُ قَوْلِ الْمَلَائِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي صَالِحٍ عَنْهُ.

وروى ابن ماجه من حديث سعيد بن المسيب عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا أَمَّنَ الْإِمَامُ فَأَمِنُوا فَإِنَّ مَنْ وَافَقَ تَأْمِينَهُ تَأْمِنَ الْمَلَائِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ».

(حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ) هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ بِاللَّامِ الْمَشْدُودَةِ قَالَ: (أَخْبَرَنَا مَخْلَدٌ) هُوَ ابْنُ يَزِيدَ قَالَ: (أَخْبَرَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ) هُوَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنُ جُرَيْجٍ وَمَضَى أَنْفًا هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةُ عَلَى نَسْقٍ وَاحِدٍ.

(عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أُمَيَّةَ) بضم الهمزة وفتح الميم وتشديد المثناة التحتية ابن عمرو بن سعيد بن العاص الأموي القرشي المكي.

(أَنَّ نَافِعًا، حَدَّثَهُ أَنَّ الْقَاسِمَ بْنَ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَهُ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا) أَنَّهَا (قَالَتْ: حَشَوْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَسَادَةً) بكسر الواو وهي المخدة وجمعها وسائد (فِيهَا تَمَائِيلٌ) جمع تمثال وهو وإن كان في الأصل للصورة مُطْلَقًا لَكِنِ الْمَرَادُ مِنْهُ هُنَا صُورَةُ الْحَيَوَانَ (كَأَنَّهَا نُمُرُقَةٌ) قَالَ الْكِرْمَانِيُّ وَالْعَيْنِيُّ: وَلَفْظُ كَأَنَّهَا نُمُرُقَةٌ لِلرَّوَايَةِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَالنَّمْرُقَةُ بِضَمِّ النُّونِ وَالرَّاءِ وَبِكْسَرِهَا وَبِغَيْرِ يَاءٍ.

قَالَ الْجَوْهَرِيُّ: النَّمْرُقُ وَالنَّمْرُقَةُ وَسَادَةٌ صَغِيرَةٌ وَرَبْمَا سَمَوْا الطَّنْفَسَةَ الَّتِي فَوْقَ الرَّحْلِ نَمْرُقَةٌ كَمَا رَوَى عَنْ أَبِي عُبَيْدٍ وَيَجْمَعُ عَلَى نَمَارِقٍ. (فَجَاءَ فَقَامَ بَيْنَ الْبَابَيْنِ) وَيُرْوَى بَيْنَ النَّاسِ وَهُوَ غَيْرُ ظَاهِرٍ.

وَجَعَلَ يَتَغَيَّرُ وَجْهُهُ، فَقُلْتُ: مَا لَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «مَا بَالُ هَذِهِ الْوِسَادَةِ؟»، قَالَتْ: وَسَادَةٌ جَعَلْتُهَا لَكَ لِتَضْطَجِعَ عَلَيْهَا، قَالَ: «أَمَّا عَلِمْتُ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ لَا تَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ صُورَةٌ، وَأَنَّ مَنْ صَنَعَ الصُّورَةَ يُعَذَّبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقُولُ: أَحْبُوا مَا خَلَقْتُمْ».

3225 - حَدَّثَنَا ابْنُ مُقَاتِلٍ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّهُ سَمِعَ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا طَلْحَةَ،

(وَجَعَلَ يَتَغَيَّرُ وَجْهُهُ) جعل من أفعال المقاربة وهي على ثلاثة أقسام: منها ما وضع للدلالة على الشروع وهي طفق وجعل وعلق وأخذ ويعملن عمل كان إلا أنه يجب أن يكون خبره جملة وهنا كذلك.

(فَقُلْتُ: مَا لَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟) ويروى فقالت ما لنا يعني ما فعلنا حتى تغير وجهك الكريم؟ (قَالَ: «مَا بَالُ هَذِهِ الْوِسَادَةِ؟» أي: ما شأنها فيها تماثيل.

(قَالَتْ: وَسَادَةٌ جَعَلْتُهَا لَكَ لِتَضْطَجِعَ عَلَيْهَا، قَالَ: أَمَّا عَلِمْتُ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ لَا تَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ صُورَةٌ، وَأَنَّ مَنْ صَنَعَ الصُّورَةَ يُعَذَّبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقُولُ) أي: يقول الله عز وجل ويروى: فيقال: (أَحْبُوا) بفتح الهمزة (مَا خَلَقْتُمْ) أي: صورتم وقدرتم أي: اجعلوه ذا روح وهو أو تعجيز فإن قيل الصورة في الوسادة ونحوها مما يمتنن ليست بحرام.

فالجواب: نعم لكن تمنع دخول الملائكة على أن بعضهم قالوا النهي في الصورة على العموم والحديث قد مر في كتاب البيوع في باب التجارة فيما يكره لبسه للرجال والنساء.

ومطابقته للترجمة في قوله أن الملائكة فتذكر.

(حَدَّثَنَا ابْنُ مُقَاتِلٍ) هو مُحَمَّدُ بْنُ مِقَاتِلٍ المروزي المجاور بمكة، وهو من أفرادهِ قَالَ: (أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ) هو ابن المبارك المروزي قَالَ: (أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ) هو ابن راشد، (عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّهُ سَمِعَ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا طَلْحَةَ) هو زيد بن سهل الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ الدارقطني وافق مَعْمَرُ ابنا عن الزُّهْرِيِّ جماعة وخالفهم الأَوْزَاعِيُّ فرواه عن الزُّهْرِيِّ عن عُبَيْدِ اللَّهِ عن أَبِي طَلْحَةَ ولم يذكر ابن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ والقول قول من أثبتته قَالَ: ورواه سالم أَبُو النضر عن عُبَيْدِ اللَّهِ نحو رواية

يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ، وَلَا صُورَةٌ تَمَاطِيلٌ».

الأَوْزَاعِيُّ وَقَالَ الْحَافِظُ الْعَسْقَلَانِيُّ: هو عند التِّرْمِذِيِّ وَالنَّسَائِيِّ من طريق أبي النضر عن عُبيد الله بن عبد الله قَالَ دخلت على أبي طلحة الحديث. وأخرج النَّسَائِيُّ رواية الأَوْزَاعِيِّ فَأُثْبِتَ ابْنُ عَبَّاسٍ تَارَةً وَأَسْقَطَهُ أُخْرَى وَرَجَحَ رَوَايَةَ مَنْ أَثْبَتَهُ. انتهى.

ورواية التِّرْمِذِيِّ هَكَذَا حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ مُوسَى الْأَنْصَارِيُّ حَدَّثَنَا عَنْ ثَنَا مَالِكٍ عَنْ أَبِي النُّضَرِ عَنْ عُبيدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَتَبَةَ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى أَبِي طَلْحَةَ الْأَنْصَارِيِّ يَعُودُهُ فَوَجَدَ عِنْدَهُ سَهْلَ بْنَ حَنِيفٍ قَالَ فِدَعَا أَبُو طَلْحَةَ إِنْسَانًا يَنْزِعُ نَمَطًا تَحْتَهُ فَقَالَ لَهُ سَهْلٌ لَمْ تَنْزِعْهُ قَالَ لَأَنْ فِيهِ تَصَاوِيرٌ وَقَالَ فِيهَا النَّبِيُّ ﷺ مَا قَدْ عَلِمْتَ قَالَ سَهْلٌ أَوْ لَمْ يَقُلْ «إِلَّا مَا كَانَ رَقْمًا فِي ثَوْبٍ» فَقَالَ بَلَى وَلَكِنَّهُ أَطِيبَ لِنَفْسِي هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

وفي رواية مالك: هذه ما يقتضي الاتصال بين عُبيد الله بن عبد الله بن عتبة وبين أبي طلحة فإنه دخل عليه وسمعه منه وهكذا في رواية مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ سَالِمِ أَبِي النُّضَرِ عَنْهُ عِنْدَ النَّسَائِيِّ.

وفي رواية: الستة ما خلا أبا داود ومن رواية الزُّهْرِيِّ أَيْضًا إِدْخَالَ ابْنِ عَبَّاسٍ بَيْنَ عُبيدِ اللَّهِ وَبَيْنَ أَبِي طَلْحَةَ فَهَلِ الْحُكْمُ لِلرَّوَايَةِ الزَّائِدَةِ أَوْ لِلرَّوَايَةِ النَّاقِصَةِ فَاخْتَارَ ابْنُ الصَّلَاحِ الْحُكْمَ لِلنَّاقِصَةِ لِأَنَّهُ مَصْرُوحٌ فِيهَا بِالاتِّصَالِ وَاخْتَارَ النَّسَائِيُّ الزَّائِدَةَ لِأَنَّهُ رَوَى كُلِّيهِمَا وَرَجَحَ الزَّائِدَةَ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

(يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ، وَلَا صُورَةٌ تَمَاطِيلٌ»)⁽¹⁾ قَالَ ابْنُ التِّينِ: يَرِيدُ كَلْبَ دَارٍ قَالَ: وَأَرَادَ بِالْمَلَائِكَةِ غَيْرَ الْحَفَظَةِ.

وكذا قَالَ النَّوَوِيُّ: إِنْ هُوَ لَا هُمْ الَّذِينَ يَطُوفُونَ بِالرَّحْمَةِ وَالتَّبَرُّكِ وَالِاسْتِغْفَارِ بِخِلَافِ الْحَفَظَةِ.

وَقَالَ الْخَطَّابِيُّ: إِنَّمَا لَمْ تَدْخُلْ فِي بَيْتٍ إِذَا كَانَ فِيهِ شَيْءٌ مِنْ هَذِهِ مِمَّا يَحْرَمُ اقْتِنَاؤُهُ مِنَ الْكِلَابِ وَالصُّوَرِ وَأَمَّا مَا لَيْسَ بِحَرَامٍ مِنْ كَلْبِ الصَّيْدِ أَوْ الزَّرْعِ أَوْ

(1) إِذَا مِنْ إِضَافَةِ الْعَامِ إِلَى الْخَاصِّ.

3226 - حَدَّثَنَا أَحْمَدُ،

الماشية ومن الصور التي تمتهن في البسط والوسائد وغيرهما فلا يمتنع دخول الملائكة بسببه .

وَقَالَ النَّوَوِيُّ: الأظهر أنه عام في كل كلب وكل صورة ثم إنه قيل سبب المنع من دخول الملائكة كونها معصية فاحشة وكونها مضاهاة لخلق الله تعالى وفيها ما يعبد من دون الله وامتناعهم من الدخول في بيت فيه كلب لكثرة أكله النجاسات وأن بعضها يسمى شيطاناً والملائكة ضد لهم ولقبح رائحة الكلب والملائكة يكرهون الرائحة الكريهة ولأنه نهى عن اتخاذها مما لم يؤذن فيه فعوقب متخذها بحرمان دخول الملائكة بيته وصلواتهم فيه واستغفارها له وتبريكنهم عليه ودفعهم أذى الشيطان عنه .

وَقَالَ الْعَيْنِيُّ: كل ما ذكر في الكلب لا يشفي العليل ولا يروي الغليل والخنزير أسوأ حالاً من الكلب مع أنه ما ورد فيه شيء وفي النجاسة هو أنجس منه لأنه نجس العين بالنص بخلاف الكلب فإن في نجاسة عينه خلافاً والله تعالى أعلم . ومطابقة الحديث للترجمة غنية عن البيان .

وقد أخرج البُخَارِيُّ في اللباس أيضاً وأخرجهُ مُسْلِمٌ في اللباس وَالتِّرْمِذِيُّ في الاستئذان وَالنَّسَائِيُّ في الصيد والزينة وابن ماجة في اللباس .

(حَدَّثَنَا أَحْمَدُ) هو ابن صالح المصري كما جزم به أبو نعيم .

وَقَالَ الْكِرْمَانِيُّ: هو ابن صالح المصري أو ابن عيسى التستري .

وذكر في رجال الصحيحين أحمد غير منسوب يحدث عن عَبْدِ اللَّهِ بن وهب المصري حدث عنه البُخَارِيُّ في غير موضع من الجامع واختلفوا في أحمد هذا فَقَالَ قوم: إنه أحمد بن عبد الرحمن ابن أخي ابن وهب وَقَالَ آخرون: إنه أحمد ابن صالح أو أحمد بن عيسى .

وَقَالَ أَبُو أحمد الحَافِظ النيسابوري أحمد عن ابن وهب هو ابن أخي وهب وَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بن منده كلما قَالَ البُخَارِيُّ في الجامع حَدَّثَنَا أحمد عن ابن وهب فهو ابن صالح المصري ولم يخرج البُخَارِيُّ عن أحمد بن عبد الرحمن في الصحيح شيئاً وإذا حدث عن أحمد ابن عيسى نُسبه .

حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنَا عَمْرُو، أَنَّ بُكَيْرَ بْنَ الْأَشَّجِ حَدَّثَهُ، أَنَّ بُسْرَ بْنَ سَعِيدٍ حَدَّثَهُ، أَنَّ زَيْدَ بْنَ خَالِدٍ الْجُهَنِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَدَّثَهُ، وَمَعَ بُسْرِ بْنِ سَعِيدٍ عُبَيْدُ اللَّهِ الْخَوْلَانِيُّ الَّذِي كَانَ فِي حِجْرِ مَيْمُونَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ، حَدَّثَهُمَا زَيْدُ ابْنِ خَالِدٍ، أَنَّ أَبَا طَلْحَةَ حَدَّثَهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ صُورَةٌ» قَالَ بُسْرٌ: فَمَرَضَ زَيْدُ بْنُ خَالِدٍ فَعُدَّنَاهُ، فَإِذَا نَحْنُ فِي بَيْتِهِ بِسْتَرٍ فِيهِ تَصَاوِيرُ، فَقُلْتُ لِعُبَيْدِ اللَّهِ الْخَوْلَانِيِّ: أَلَمْ يُحَدِّثْنَا فِي التَّصَاوِيرِ؟ فَقَالَ: إِنَّهُ قَالَ: «إِلَّا رَقْمٌ فِي ثَوْبٍ» أَلَا سَمِعْتَهُ؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: بَلَى قَدْ ذَكَرَهُ.

(حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ) هو عَبْدُ اللَّهِ بن وهب المصري قَالَ: (أَخْبَرَنَا عَمْرُو) بفتح العين، (أَنَّ بُكَيْرَ) بضم الموحدة مصغر بكر (ابْنَ الْأَشَّجِ) بالشين المعجمة وتشديد الجيم وقد مر في الموضوع.

(حَدَّثَهُ، أَنَّ بُسْرَ بْنَ سَعِيدٍ) بضم الموحدة وسكون السين المهملة مولى الحضرمي من أهل المدينة.

(حَدَّثَهُ، أَنَّ زَيْدَ بْنَ خَالِدٍ الْجُهَنِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) هو من مشاهير الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، (حَدَّثَهُ، وَمَعَ بُسْرِ بْنِ سَعِيدٍ عُبَيْدُ اللَّهِ) بصيغة التصغير (الْخَوْلَانِيُّ) هو عُبَيْدُ اللَّهِ بن الأسود ويقال ابن الأسد (الَّذِي كَانَ فِي حِجْرِ مَيْمُونَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ)، حَدَّثَهُمَا زَيْدُ بْنُ خَالِدٍ، أَنَّ أَبَا طَلْحَةَ حَدَّثَهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ صُورَةٌ» قَالَ بُسْرٌ: فَمَرَضَ زَيْدُ بْنُ خَالِدٍ فَعُدَّنَاهُ، فَإِذَا نَحْنُ فِي بَيْتِهِ بِسْتَرٍ فِيهِ تَصَاوِيرُ، فَقُلْتُ لِعُبَيْدِ اللَّهِ الْخَوْلَانِيِّ: أَلَمْ يُحَدِّثْنَا فِي التَّصَاوِيرِ؟ فَقَالَ: إِنَّهُ قَالَ: «إِلَّا رَقْمٌ فِي ثَوْبٍ» أصل الرقم الكتابة والصورة غير الرقم.

وَقَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ: الرِّقْمُ النِّقْشُ وَالْوَشْمُ (أَلَا سَمِعْتَهُ؟) كلمة ألا بفتح الهمزة وتخفيف اللام ومعناها ههنا الاستفهام عن النفي.

(قُلْتُ: لَا) أي: لم أسمع، (قَالَ: بَلَى) سمعته (قَدْ ذَكَرَهُ) وفي نسخة فذكره أي الحديث.

وكذا وقع في نسخة الْعَيْنِيِّ والحديث أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي الْلبَاسِ أَيْضًا وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ فِيهِ وَالتَّسَائِي فِي الزينة.

3227 - حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سُلَيْمَانَ، قَالَ: حَدَّثَنِي ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عُمَرُ، عَنْ سَالِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: وَعَدَ النَّبِيُّ ﷺ جَبْرِيلُ فَقَالَ: «إِنَّا لَا نَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ صُورَةٌ وَلَا كَلْبٌ».

3228 - حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ سُمَيٍّ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «إِذَا قَالَ الْإِمَامُ سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، فَقُولُوا: اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ قَوْلُهُ قَوْلَ الْمَلَائِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ».

(حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سُلَيْمَانَ) هو سعيد الجعفي الكوفي سكن مصر (قَالَ: حَدَّثَنِي) بالإنفراد (ابْنُ وَهْبٍ) هو عَبْدُ اللَّهِ بن وهب (قَالَ: حَدَّثَنِي) بالإنفراد أيضًا عمرو بفتح العين وبالواو كذا في رواية الأكثرين وظن بعضهم: أنه عمرو بن الحارث وهو خطأ لأنه لم يدرك سالمًا والصواب (عُمَرُ) بضم العين وبغير واو وهو عمر بن مُحَمَّد بن زيد بن عَبْدُ اللَّهِ بن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وكذا ثبت في رواية الكشميهني وكذا وقع في اللباس عن يَحْيَى بن سليمان بهذا الإسناد. (عَنْ سَالِمٍ، عَنْ أَبِيهِ) عَبْدُ اللَّهِ بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه (قَالَ: وَعَدَ النَّبِيُّ ﷺ جَبْرِيلُ) بالرفع فاعل وعد والنبي بالنصب مفعوله يعني أن جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ وعد النَّبِيُّ ﷺ أن ينزل فلم ينزل فسأله رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عن السبب، (فَقَالَ: «إِنَّا لَا نَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ صُورَةٌ وَلَا كَلْبٌ»)) كذا أورده هنا مختصرًا وساقه في اللباس بتمامه وإنما قَالَ ذلك جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ لما روي أن جرّوا ميتًا كان تحت سريره.

(حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ) هو ابن أبي أويس، (قَالَ: حَدَّثَنِي) بالإنفراد (مَالِكٌ) الإمام، (عَنْ سُمَيٍّ) بضم السين المهملة وفتح الميم وتشديد المثناة التحتية مولى أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة، (عَنْ أَبِي صَالِحٍ) هو عَبْدُ اللَّهِ بن ذكوان، (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «إِذَا قَالَ الْإِمَامُ سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، فَقُولُوا: اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ قَوْلَ الْمَلَائِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»)) واستدل بهذا الحديث على أن الإمام لا يقول ربنا لك الحمد وهو قول مالك وأبي حنيفة، وقال الشافعي

- 3229 - حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُنْذِرِ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُلَيْحٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ هِلَالِ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي عَمْرَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ فِي صَلَاةٍ مَا دَامَتِ الصَّلَاةُ تَحْسِبُهُ، وَالْمَلَائِكَةُ تَقُولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ مَا لَمْ يَقُمْ مِنْ صَلَاتِهِ أَوْ يُحَدِّثْ».
- 3230 - حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ عَمْرِو، عَنْ عَطَاءٍ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ يَعْلَى، عَنْ أَبِيهِ.....

وأحمد أبو يوسف ومحمد إن الإمام يجمعها فعند رفعه من الركوع يقول: سمع الله لمن حمده، وفي حال اعتداله: يقول ربنا لك الحمد أو اللهم ربنا لك الحمد أو اللهم ربنا ولك الحمد⁽¹⁾ والحديث مضى في كتاب الصلاة في باب فضل اللهم ربنا ولك الحمد وقد مر الكلام فيه هناك مستوفى.

(حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُنْذِرِ بلفظ الفاعل من الإنذار قَالَ: (حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُلَيْحٍ) بضم الفاء وفتح اللام وبالمهمله⁽²⁾ آخِرُهُ قَالَ: (حَدَّثَنَا أَبِي) أي: فليح وهو لقبه واسمه عبد الملك غلب عليه لقبه، (عَنْ هِلَالِ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي عَمْرَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: إِنَّ أَحَدَكُمْ فِي صَلَاةٍ مَا دَامَتِ الصَّلَاةُ تَحْسِبُهُ، وَالْمَلَائِكَةُ تَقُولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ مَا لَمْ يَقُمْ مِنْ صَلَاتِهِ) أي: من موضع صلاته (أَوْ يُحَدِّثُ) أي: أو ما لم يحدث أو المعنى ما لم يفعل شيئاً خلاف السنة والحديث قد مر في كتاب الصلاة في باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفي باب الحدث في المسجد.

(حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ) هو ابن المديني قَالَ: (حَدَّثَنَا سُفْيَانُ) أي: ابن عيينة، (عَنْ عَمْرِو) هو ابن دينار، (عَنْ عَطَاءٍ) أي: ابن أبي رباح، (عَنْ صَفْوَانَ ابْنِ يَعْلَى، عَنْ أَبِيهِ) يعلى بفتح المثناة التحتية وسكون العين المهمله وفتح اللام

(1) قال النووي لا ترجيح لأحدها، وقال دقيق العيد إثبات الواو دال على معنى زائد لأنه يكون التقدير: ربنا استجب ولك الحمد فيشمل معنى الدعاء ومعنى الخبر انتهى، وهذا بناء على أن الواو عاطفة لا حالية. وقال الأثرم سمعت أحمد يثبت الواو في ربنا ولك الحمد ويقول: ثبت فيه عدة أحاديث.

(2) وفي بعض النسخ ابن أفلح قال العسقلاني وهو تصحيف.

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ عَلَى الْمِنْبَرِ ﴿وَنَادَا يَمْلِكُ﴾ [الزخرف: 77]
قَالَ: سُفْيَانُ: فِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ وَنَادَا يَا مَالٍ.

3231 - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي يُونُسُ،
عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عُرْوَةُ، أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ،
حَدَّثَتْهُ أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمٍ أُحُدٍ، قَالَ: «لَقَدْ
لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكَ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي

وبالقصر هو ابن أمية بضم الهمزة التميمي ويعرف بابن أمية وهي أمه ويقال جدته.
(رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أَنَّهُ (قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ عَلَى الْمِنْبَرِ ﴿وَنَادَا يَمْلِكُ﴾)
كذا في رواية الكشميهني ووقع في رواية غيره: يا مال وهو مرخم مالك وجاز في
مثله الكسر والضم ومالك هذا هو خازن النار.

(قَالَ: سُفْيَانُ) هو ابن عيينة: (فِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ) أَي: ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ (وَنَادَا يَا مَالٍ) يعني بغير كاف على الترخيم وهي قراءة شاذة.
ومطابقة الحديث للترجمة في قوله يا مالك فإنه خازن النار وهو من
الملائكة.

وقد أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صِفَةِ النَّارِ وَالتَّفْسِيرِ أَيْضًا وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي الصَّلَاةِ
وَأَبُو دَاوُدَ فِي الْحُرُوفِ.

(حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ) التَّنِيسِيُّ قَالَ: (أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ) هُوَ عَبْدُ اللَّهِ
ابن وهب (قَالَ: أَخْبَرَنِي) بِالْإِفْرَادِ (يُونُسُ) هُوَ ابْنُ يَزِيدَ الْأَيْلِيُّ، (عَنِ ابْنِ
شِهَابٍ) الزُّهْرِيِّ أَنَّهُ (قَالَ: حَدَّثَنِي) بِالْإِفْرَادِ (عُرْوَةُ) أَي: ابْنُ الزُّبَيْرِ، (أَنَّ عَائِشَةَ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ، حَدَّثَتْهُ أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ
كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمٍ أُحُدٍ) هُوَ يَوْمُ غَزْوَةِ أُحُدٍ كَانَتْ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ مِنَ الْهَجْرَةِ.

(قَالَ) أَي: النَّبِيُّ ﷺ: (لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكَ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ
مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ) هِيَ الَّتِي تَنْسَبُ إِلَيْهَا جَمْرَةُ الْعَقَبَةِ وَهِيَ بِمَنَى (إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي)
أَي: حِينَ عَرَضْتُ نَفْسِي وَكَانَ ذَلِكَ فِي شَوَالٍ فِي سَنَةِ عَشْرٍ مِنَ الْبَعْثِ وَأَنَّهُ كَانَ
بَعْدَ مَوْتِ أَبِي طَالِبٍ وَخَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ذَكَرَ مُوسَى بْنُ عَقَبَةَ فِي الْمَغَازِي عَنْ
ابْنِ شِهَابٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا مَاتَ أَبُو طَالِبٍ تَوَجَّهَ إِلَى الطَّائِفِ رَجَاءً أَنِ يُوَوِّهَ

عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كَلَالٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي،

فعمد إلى ثلاثة نفر من ثقيف وهم ساداتهم وهم إخوة عبد ياليل وحبیب ومسعود بنو عمرو فعرض عليهم نفسه وشكا إليهم ما انتهك منه قومه فردوا عليه أقبح رد ورضخوه بالأحجار حتى أدموا رجله.

(عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ) بالمشاة التحتية وكسر اللام وسكون الياء التحتية وآخره لام غير منصرف.

(ابْنِ عَبْدِ كَلَالٍ) بضم الكاف وتخفيف اللام وآخره لام واسم عبد ياليل كنانة بكسر الكاف وبالنونين ويقال مسعود والأكثر على أنه أسلم بعد انصراف رَسُولَ اللَّهِ ﷺ من قتال الطائف (1).

وفي الجمهرة للكلي: عبد ياليل بن عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن عنترة ابن عوف بن ثقيف ثم المذكور هنا أنه ﷺ عرض نفسه على ابن عبد ياليل والذي في المغازي أن الذي كلمه هو عبد ياليل نفسه وعند أهل النسب أن عبد كلال أخوه لا أبوه وكان ابن عبد ياليل من أكابر أهل الطائف وأشرفهم من ثقيف.

وقد روى عبد بن حميد في تفسيره من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقُرَيْتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: 31] قَالَ نزلت في عتبة بن ربيعة وابن عبد ياليل الثقفي ومن طريق قتادة قَالَ هما الوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود رواه ابن أبي حاتم من وجه آخر عن مجاهد وَقَالَ فيه يعني كنانة وروى الطبري من طريق السدي قَالَ هما الوليد بن المغيرة وكنانة بن عبد ياليل بن عمرو بن عمير عظيم أهل الطائف وعن ابن سعد كانت إقامة النَّبِيِّ ﷺ بالطائف عشرة أيام.

وذكر موسى بن عقبة وابن إسحاق أن كنانة بن عبد ياليل وفد مع وفد الطائف سنة عشر فأسلموا وذكره ابن عبد الله في الصحابة كذلك لكن ذكر المدائني أن الوفد أسلموا إلا كنانة فخرج إلى الروم ومات بها بعد ذلك، والله تعالى أعلم.

(فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي) متعلق بقوله فانطلقت أي: على الجهة المواجهة لي.

(1) وله أخ أعمى له ذكر في السيرة في قذف النجوم عند المبعث النبوي.

فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظْلَتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جَبْرِيلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ، ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنَّ شِئْتَ أَنْ أُطِيقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبِينَ؟

(فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ) بلفظ جمع الثعلب الحيوان المشهور وهو موضع بقرب مكة .

وَقَالَ النَّوَوِيُّ: هو ميقات أهل نجد ويقال له: قرن المنازل أيضًا وهو على يوم وليلة من مكة .

والقرن في الأصل: كل جبل صغير منقطع من جبل كبير وحكى القاضي عياض أن بعض الرواة ذكره بفتح الراء وَقَالَ الْحَافِظُ الْعَسْقَلَانِيُّ وهو غلط .

وحكى القابسي: أن من سكن الراء أراد الجبل المشرف على الموضع ومن فتحها أراد الطريق التي يتفرق منه فإنه موضع فيه طرق متفرقة.

(فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظْلَتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جَبْرِيلُ) عَلَيْهِ السَّلَامُ (فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ) وهو الملك الذي سخر الله له الجبال وجعل أمرها بيده. (لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ، ذَلِكَ) قوله ذلك مبتدأ وخبره محذوف تقديره كما علمت أو كما سمعت أو كما قَالَ جَبْرِيلُ.

(فِيمَا شِئْتَ) كلمة استفهامية كذا في رواية الكشميهني ووقع في رواية أبي ذر عن شيخه فيما شئت وقد روى الطبراني عن مقدم بن داود عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يُوسُفَ شَيْخِ الْبُخَارِيِّ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إِلَيْكَ وَأَنَا مَلِكُ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ فِيمَا شِئْتَ، (إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطِيقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبِينَ؟) وجزاء إن محذوف تقديره لفعلت ذلك .

والأخشبان بالخاء والشين المعجمتين: هما جبلا مكة أبو قبيس والذي يقابله قيقعان .

وَقَالَ الصَّغَانِيُّ: بل هو الجبل الأحمر الذي يشرف على قيقعان ووهم من

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ، لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»⁽¹⁾.

3232 - حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ،

قَالَ: هُوَ ثَوْرٌ وَسَمِيَ بِذَلِكَ لِصَلَابَتِهِمَا وَغُلْظِ حَجَارَتِهِمَا يُقَالُ رَجُلٌ أَخْشَبُ إِذَا كَانَ صَلْبُ الْعِظَامِ عَارِي اللَّحْمِ وَالْمَرَادُ بِإِطْبَاقِهِمَا أَنْ يَلْتَقِيَا عَلَى مَنْ بِمَكَّةَ فَيَصِيرَا كَطَبْقٍ وَاحِدٍ عَلَيْهِمَا.

(فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: بَلْ أَرْجُو) كَذَا فِي رِوَايَةِ الْأَكْثَرِينَ، وَفِي رِوَايَةِ الْكَشْمِيهَنِيِّ: أَنَا أَرْجُو (أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ) مِنَ الْإِخْرَاجِ (مَنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ) فِي مَحَلِّ النَّصَبِ عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ يُخْرِجُ أَيُّ: يُوْحِدُ اللَّهَ فِي عِبَادَتِهِ (وَحْدَهُ، لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا) وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ بَيَانُ شَفَقَةِ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى قَوْمِهِ وَمَزِيدُ صَبْرِهِ عَلَى آذَاهُمْ وَحِلْمِهِ وَهُوَ مُوَافِقٌ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَأْتِ بِآيَةٍ لَتَكُنَّ مِنْكُمْ آيَةٌ وَيَوْمَ أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107]. ومطابقته للترجمة ظاهرة.

وَقَدْ أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي التَّوْحِيدِ أَيْضًا وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي الْمَغَازِي وَالنَّسَائِيُّ فِي النُّعُوتِ.

(حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ) أَيُّ: ابْنُ سَعِيدٍ قَالَ: (حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ) بَفَتْحِ الْعَيْنِ الْمَهْمَلَةِ

(1) قَالَ الْعَيْنِيُّ: قَوْلُهُ: «عَلَى وَجْهِهِ» مُتَعَلِّقٌ بِقَوْلِهِ انْطَلَقْتُ أَيُّ: عَلَى الْجِهَةِ الْمَوَاجِهَةِ لِي، أَه. وَقَالَ الْقِسْطَلَانِيُّ: وَقَالَ الطَّبِيبِيُّ أَيُّ انْطَلَقْتُ حِيرَانٌ هَائِمًا لَا أَدْرِي أَيْنَ أَتَوَجَّهُ مِنْ شِدَّةِ ذَلِكَ «فَلَمْ أَسْتَفِقْ» مِمَّا أَنَا فِيهِ مِنَ الْغَمِّ، أَه.

قَالَ الْحَافِظُ: ذَكَرَ مُوسَى بْنُ عَقِبَةَ فِي الْمَغَازِي عَنْ ابْنِ شَهَابٍ أَنَّهُ ﷺ لَمَّا مَاتَ أَبُو طَالِبٍ تَوَجَّهُ إِلَى الطَّائِفِ رَجَاءً أَنْ يُوْوَهُ فَعَمِدَ إِلَى ثَلَاثَةِ نَفَرٍ مِنْ ثَقِيفٍ وَهُمْ سَادَاتُهُمْ وَهُمْ إِخْوَةُ عَبْدِ الْبَلِيلِ وَحَبِيبٍ وَمَسْعُودِ بْنِ عَمْرِو فَعَرَضَ عَلَيْهِمْ نَفْسَهُ وَشَكَا إِلَيْهِمْ مَا انْتَهَكَ مِنْهُ مِنْ قَوْمِهِ فَرَدُّوا عَلَيْهِ أَقْبَحَ رَدٍّ، وَكَذَا ذَكَرَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ بِغَيْرِ إِسْنَادٍ مَطْوُولًا، وَذَكَرَ ابْنُ سَعْدٍ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ فِي شَوَالِ سَنَةِ عَشَرَ مِنَ الْمَبْعَثِ، وَأَنَّهُ كَانَ بَعْدَ مَوْتِ أَبِي طَالِبٍ وَخَدِيجَةَ، أَه.

وَحَكَى الْعَيْنِيُّ عَنْ ابْنِ سَعْدٍ: كَانَتْ إِقَامَةُ النَّبِيِّ ﷺ فِي الطَّائِفِ عَشْرَةَ أَيَّامٍ، أَه. قَالَ السَّنَدِيُّ: بَعْدَ الْكَلَامِ الطَّوِيلِ عَلَى إِعْرَابِ يَوْمِ الْعَقْبَةِ هُوَ مُشْكَلٌ جَدًّا، لِأَنَّ يَوْمَ الْعَقْبَةِ فِي مَنْى وَعَرْضِهِ ﷺ كَانَ بِالطَّائِفِ، وَالْأَقْرَبُ أَنْ يُقَالَ إِذْ عَرَضَتْ بَدَلٌ مِنْ يَوْمِ الْعَقْبَةِ بِتَقْدِيرِ قَرَبِ يَوْمِ الْعَقْبَةِ أَوْ بِوَسَاطَةِ الْقَرَبِ اعْتَبِرَ الْوَقْتُ وَاحِدًا وَيَحْتَمِلُ عَلَى بَعْدِ أَنْ يَكُونَ الْمَرَادُ بِالْعَقْبَةِ عَقْبَةُ الطَّائِفِ، انْتَهَى مَلْخَصًا.

حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ الشَّيْبَانِيُّ، قَالَ: سَأَلْتُ زُرَّ بْنَ حُبَيْشٍ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ ⑨ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ⑩ ﴿[النجم: 9 - 10] قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ مَسْعُودٍ: أَنَّهُ «رَأَى جِبْرِيلَ، لَهُ سِتْمَاءَةٌ جَنَاحَ».

3233 - حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ عُمَرَ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنِ عَلْقَمَةَ، عَنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ ⑪ ﴿[النجم: 18]، قَالَ: «رَأَى رَفْرَفًا أَخْضَرَ سَدَّ أَفْقَ السَّمَاءِ» ①.

الوضاح بن عبد الله اليشكري قَالَ: (حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ الشَّيْبَانِيُّ) واسمه فيروز ابن أبي سليمان الكوفي، (قَالَ: سَأَلْتُ زُرَّ) بكسر الزاي وتشديد الراء (ابْنَ حُبَيْشٍ) بضم الحاء المهملة وفتح الموحدة وسكون المثناة التحتية وآخره شين معجمة الأسدي الكوفي مات سنة اثنتين وثمانين.

(عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ﴾) أي: قدر قوسين (أَوْ أَدْنَى) ⑨ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ⑩ قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ مَسْعُودٍ) أي: عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ويروى: قَالَ لي ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (أَنَّهُ رَأَى جِبْرِيلَ، لَهُ سِتْمَاءَةٌ جَنَاحَ) وسيجيء الكلام في هذا الحديث في سورة النجم إن شاء الله تعالى. (حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ عُمَرَ) الحوضي قَالَ: (حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنِ الْأَعْمَشِ) سليمان ابن مهران، (عَنِ إِبْرَاهِيمَ) النخعي، (عَنِ عَلْقَمَةَ) أي: ابن يزيد، (عَنِ عَبْدِ اللَّهِ) هو ابن مسعود (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أنه قَالَ: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ ⑪ قَالَ) أي: في تفسيره: (رَأَى رَفْرَفًا أَخْضَرَ) الرفرف هو ثياب خضر تبسط ويحمل أن يراد بالرفرف أجنحة جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ بسطها كما تبسط الثياب قاله الخطابي. (سَدَّ أَفْقَ السَّمَاءِ) سد أفق السماء أي: أطرافها.

(1) قال الكرمانى: الرفرف هو ثياب خضر، ويحتمل أن يراد بالرفرف أجنحة الملائكة جبرائيل يسطها كما تبسط الثياب، اهـ.

وقال الحافظ: قال الكرمانى تبعاً للخطابى: يحتمل أن يكون جبريل بسط أجنحته كما يبسط الثوب وهذا لا يخفى بعده، اهـ.

وقال القسطلانى: قوله: «رفرفاً» أي: بساطاً، وعند النسائى والحاكم من حديث ابن مسعود: «أبصر نبي الله ﷺ جبريل عليه السلام على رفرف قد ملأ ما بين السماء والأرض» اهـ.

وقد أخرج البخاري في التفسير عن ابن مسعود: «لقد رأى من آيات ربه الكبرى» قال رأى =

قيل: ما رأى جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ أحد من الأنبياء في صورته غير نبينا

رُفْرَفًا أخضر قد سد الأفق، قال الحافظ: هذا ظاهره يغير التفسير السابق أنه رأى جبريل، ولكن يوضح المراد ما أخرجه النسائي والحاكم فذكر الحديث المذكور ثم قال: فيجتمع بين الحديثين أن الموصوف جبريل والصفة التي كان عليها، وقد وقع عند الإسماعيلي والنسائي عن عبد الله أنه رأى جبريل له ستمائة جناح قد سد الأفق، والمراد أن الذي سد الأفق الرُفْرَف الذي فيه جبريل فنسب جبريل إلى سد الأفق مجازًا، وفي رواية أحمد والترمذي وصححها من طريق عبد الرحمن بن يزيد عن ابن مسعود: «رأى جبريل في حلة من رُفْرَف قد ملأ ما بين السماء والأرض» وبهذه الرواية يعرف المراد بالرُفْرَف وأنه حلة، ويؤيده قوله تعالى: ﴿مُتَكِّينَ عَلَى رَعَفٍ﴾ [الرحمن: 76] وأصل الرُفْرَف ما كان الديباج رقيقًا حسن الصنعة ثم اشتهر استعماله في الستر، وكل ما فضل من شيء فعطف وثنى فهو رُفْرَف، ويقال رُفْرَف الطائر بجناحيه إذا بسطهما، وقال بعض الشراح: يحتمل أن يكون جبريل بسط أجنحته فصارت تشبه الرُفْرَف، كذا قال، والرواية التي أوردتها توضح المراد، اهـ.

ثم لا يذهب عليك أنهم اختلفوا هنا في مسألة شهيرة وهي اختلافهم في رؤية النبي ﷺ ربه تعالى عز اسمه، بسط الكلام عليها الحافظ في الفتح في تفسير سورة النجم وأكثر في ذكر الروايات الواردة فيها، وقال: قد اختلف السلف في رؤية النبي ﷺ ربه فذهبت عائشة وابن مسعود إلى إنكارها واختلف عن أبي ذر وذهب جماعة إلى إثباتها، وحكى عبد الرزاق عن الحسن أنه حلف أن محمدًا رأى ربه، وأخرج ابن خزيمة عن عروة بن الزبير إثباتها، وكان يشتد عليه إذا ذكر له إنكار عائشة، وبه قال سائر أصحاب ابن عباس وجزم به كعب الأحبار والزهري وآخرون وهو قول الأشعري وغالب أتباعه، ثم اختلفوا هل رآه بعينه أو بقلبه، وعن أحمد كالقولين وجاءت عن ابن عباس أخبار مطلقة وأخرى مقيدة فيجب حمل مطلقها على مقيدها فمن ذلك ما أخرجه النسائي بإسناد صحيح وصححه الحاكم أيضًا عن ابن عباس، قال: «أتعجبون أن تكون الخلقة لإبراهيم عليه السلام» والكلام لموسى عليه السلام والرؤية لمحمد ﷺ، وأخرج مسلم عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ ١١ ﴿أَفَتُنْكِرُونَ عَلَىٰ مَا بَرَأَ ١٢ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ١٣﴾ [النجم: 11 - 13] قال: رأى ربه بفؤاده مرتين، وأصرح من ذلك ما أخرجه ابن مردويه عن ابن عباس: لم يره رسول الله ﷺ بعينه إنما رآه بقلبه، وعلى هذا فيمكن الجمع بين إثبات ابن عباس ونفي عائشة بأن يحمل نفيها على رؤية البصر، والمراد برؤية الفؤاد رؤية القلب لا مجرد حصول العلم، لأنه ﷺ كان عالمًا بالله على الدوام، بل مراد من أثبت له أنه رآه بقلبه أن الرؤية التي حصلت له خلقت في قلبه كما يخلق الرؤية بالعين لغيره، والرؤية لا يشترط لها شيء مخصوص عقلاً ولو جرت العادة بخلقها في العين، ورجح القرطبي في المفهم قول الوقف في هذه المسألة وعزاه لجماعة من المحققين، وقواه بأنه ليس في الباب دليل قاطع، وغاية ما استدلل به للطائفتين ظواهر متعارضة قابلة للتأويل وليست المسألة من العمليات فيكتفى فيها بالأدلة الظنية وإنما هي من المعتقدات فلا يكتفى فيها إلا بالدليل القطعي، وجنح ابن خزيمة في كتاب التوحيد إلى ترجيح الإثبات وأطنب في الاستدلال، اهـ ملخصًا.

3234 - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيُّ، عَنِ ابْنِ عَوْنٍ، أَنْبَأَنَا الْقَاسِمُ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «مَنْ رَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ، وَلَكِنْ قَدْ رَأَى جِبْرِيلَ فِي صُورَتِهِ وَخَلَقَهُ سَادًّا مَا بَيْنَ الْأَفْقِ».

مُحَمَّدٌ ﷺ رآه مرتين مرة في السماء ومرة في الأرض قَالَ تعالى: ﴿فَاسْتَوَى﴾ أي فاستقام على صورته الحقيقية التي خلقها الله تعالى عليه: ﴿وَهُوَ بِالْأَفْقِ الْأَعْلَى﴾ [النجم: 7] أي: أفق السماء وَقَالَ تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ [النجم: 13] أي: مرة أخرى وهي فعلة من النزول أقيمت مقام المرة ونصبت نصبها إشعارًا بأن الرؤية في هذه المرة كانت أيضًا بنزول ودنو عند سدره المنتهى. روي مرفوعًا أنها في السماء السابعة والحديث أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ في التفسير أيضًا وَأَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ أيضًا فيه. ومطابقته للترجمة ظاهرة.

(حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ) شيخه من أفرادهِ قَالَ: (حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيُّ) هو مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمَثْنَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَنَسِ بْنِ مَالِكِ الْأَنْصَارِيِّ البصري، (عَنِ ابْنِ عَوْنٍ) بفتح المهملة وبالنون بن عون بن أرطبان أَبُو عون المزني البصري أَنَّهُ قَالَ: (أَنْبَأَنَا الْقَاسِمُ) هو ابن مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، (عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا) أَنَّهُ قَالَتْ: مَنْ رَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ) أي: دخل في أمر عظيم أو مفعوله محذوف، (وَلَكِنْ قَدْ رَأَى جِبْرِيلَ فِي صُورَتِهِ) أي: في هيئته وحقيقته (وَخَلَقَهُ) أي: وخلقته التي خلق عليها (سَادًّا مَا بَيْنَ الْأَفْقِ) نصب على الحالية من جبريل أي: مطابقًا بين أفق السماء.

وَقَالَ أَحْمَدُ بِإِسْنَادِهِ عَنْ أَبِي وَائِلٍ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: رَأَى

وذكر الشيخ قدس سره المسألة في الكوكب في موضعين في سورة الأنعام وفي سورة النجم وقال: لا يبعد الجمع بين المذهبين بأن رؤيته وقعت بقوة قلبه الشريف وقد حلت في بصره، إذا فمن قال: برؤيته بقلبه صدق كمن قال برؤيته ببصرته، وقال في موضع آخر: فمن أثبت أثبت بزيادة في الباصرة والنافي نفى بإدراك هذا الإبصار حال كونها على هيئتها، وإرجاع كلمات أصحاب الفرقين إلى ما قلنا سهل، اهـ.

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جبريل في صورته وله ستمائة جناح كل جناح منها قد سد الأفق يسقط من جناحه من التهاويل والدر والياقوت ما الله به عليم والتهاويل الألوان المختلفة .

وَقَالَ ابْنُ الْكَلْبِيِّ : سَأَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جبريل أن يأتيه في صورته التي خلقه الله عليها فَقَالَ لَهُ : « لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تُثَبِّتَ » فَقَالَ بَلَى فظهر له في ستمائة جناح سد الأفق جناح منها فشهد رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَمْرًا عَظِيمًا فَصَعِقَ وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴾ ﴿١٧١﴾ وقد ثبت أن جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ كان يأتي النَّبِيَّ ﷺ في صورة دحية الكلبي وتارة كان يأتي في صورة أعرابي وراه مرتين في صورته التي خلق عليها مرة منهبطًا من السماء إلى الأرض ومرة عند سدره المنتهى كما مرَّ آنفًا .

وجبريل هو : أمين الوحي وخازن القدس ويقال له الروح الأمين وروح القدس والناموس الأكبر وطاووس الملائكة ومعنى جبر عبد وإيل اسم من أسماء الله تعالى فمعناه عَبْدُ اللَّهِ وفيه أربع عشرة لغة وقد ذكر الْعَيْنِيُّ في التاريخ الكبير في فضل خلق الملائكة .

واعلم أن إنكار عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا الرؤية لم تذكرها رواية إذ لو كان معها رواية فيه لذكرته وإنما اعتمدت على الاستنباط من الآيات وهو مشهور قول ابن مسعود وعن أَبِي هُرَيْرَةَ مثلها وعن ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ رَأَاهُ بَعِينَهُ رَوَى ذَلِكَ عَنْهُ بِطَرَقٍ وَرَوَى ابْنُ مَرْدُويه في تفسيره عن الضحاك وعكرمة عنه في حديث طويل وفيه فلما أكرمني ربي برويته بأن أثبت بصري في قلبي أجد بصري بنورية نور العرش وروى اللالكائي من حديث حماد بن سلمة عن قَتَادَةَ عن عكرمة عن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مَرْفُوعًا رَأَيْتُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ وَمِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : رَأَيْتُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ الْحَدِيثَ .

وذكر ابن إسحاق أن ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أُرْسِلَ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يسأله هل رأى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ربه فَقَالَ نعم والأشهر عنه أَنَّهُ رَأَاهُ بَعِينَهُ وَرَوَى عَنْهُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى اخْتَصَّ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِالْكَلامِ وإبراهيم

3235 - حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، حَدَّثَنَا زَكَرِيَاءُ بْنُ أَبِي زَائِدَةَ، عَنِ ابْنِ الْأَشْوَعِ،

عليه الصلاة والسلام بالخلة ومحمداً ﷺ بالرؤية .

وَقَالَ الماوردي : قيل : إن الله قسم كلامه ورؤيته بين مُحَمَّدٍ ﷺ وبين مُوسَى عليه الصلاة والسلام فرآه مُحَمَّدٌ ﷺ مرتين وكلمه مُوسَى عليه الصلاة والسلام مرتين وحكى أَبُو الفتح الرازي وأبو الليث السمرقندي هذه الحكاية عن كعب . وحكى عبد الرزاق عن الحسن أنه كان يحلف بالله لقد رأى مُحَمَّدَ ربه .

وحكى النقاش عن أحمد أنا أقول بحديث ابن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بعينه رآه حتى انقطع نفس أحمد وَقَالَ الأشعري وجماعة من أصحابه إنه رآه ببصره وعيني رأسه وَقَالَ : كل آية أوتيتها نبي من الأنبياء فقد أوتي مثلها نبينا ﷺ وخص من بينهم بتفضيل الرؤية فإن قلت قَالَ اللَّهُ تعالى : ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام : 103] وَقَالَ : ﴿لَنْ تَرِنِّي﴾ [الأعراف : 143] .

فالجواب : أن المراد بالإدراك الإحاطة ونفي الإحاطة لا يستلزم نفي نفس الرؤية وعن ابن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لا يحيط به ونحن نقول به . وقيل : لا تدركه أبصار الكفار .

وقيل : لا تدركه الأبصار وإنما يدركه المبصرون وليس في الشرع دليل قاطع على استحالة الرؤية ولا امتناعها إذ كل موجود فرويته جائزة غير مستحيلة وأما قوله : ﴿لَنْ تَرِنِّي﴾ فمعناه في الدنيا وذكر القاضي أَبُو بكر أن مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ رَأَى رَبَّهُ فلذلك صعد وأن الجبل رأى ربه فلذلك صار ﴿دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾ استنبط من قوله تعالى : ﴿وَلَكِنْ أَنْظِرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنَّ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِّي﴾ ثم قال : ﴿فَلَمَّا بَلَغَ لَبَّيْ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ [الأعراف : 143] فرآه الجبل فصار دكاً ورآه مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فصعد ، والله تعالى أعلم .

(حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ) هو أَبُو أحمد البُخَارِيُّ البيكندي جزم به أَبُو علي الجبائي قَالَ : (حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ) حماد بن أسامة قَالَ : (حَدَّثَنَا زَكَرِيَاءُ بْنُ أَبِي زَائِدَةَ) من الزيادة ، (عَنِ ابْنِ الْأَشْوَعِ) بفتح الهمزة وسكون الشين المعجمة وفتح الواو وفي آخره عين مهملة على وزن أحمد هو سعيد بن عمرو بن أشوع نسب إلى جده ،

عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: قُلْتُ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فَأَيْنَ قَوْلُهُ: ﴿ثُمَّ دَنَا فَدَلَّكَ﴾ (٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى (٩) [النجم: 8 - 9] قَالَتْ: «ذَاكَ جِبْرِيلُ كَانَ بِأَتْيِهِ فِي صُورَةِ الرَّجُلِ، وَإِنَّهُ أَنَا هَذِهِ الْمَرَّةَ فِي صُورَتِهِ الَّتِي هِيَ صُورَتُهُ فَسَدَّ الْأَفْقَ».

3236 - حَدَّثَنَا مُوسَى، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، حَدَّثَنَا أَبُو رَجَاءٍ، عَنْ سَمُرَةَ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتْيَانِي قَالَا: الَّذِي يُوقِدُ النَّارَ مَالِكُ خَازِنُ النَّارِ، وَأَنَا جِبْرِيلُ وَهَذَا مِيكَائِيلُ».

(عَنِ الشَّعْبِيِّ) عامر بن شراحيل، (عَنْ مَسْرُوقٍ) أَنَّهُ (قَالَ: قُلْتُ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فَأَيْنَ قَوْلُهُ: ﴿ثُمَّ دَنَا فَدَلَّكَ﴾ (٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى (٩)) ومعنى الفاء في قوله فأين إذا أنكرت رؤيته فما معنى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَدَلَّكَ﴾ (٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى (٩).

(قَالَتْ: ذَاكَ جِبْرِيلُ) تعني أن المراد به قربه منه ﷺ ولما ورد أن يقال كان ملاقة جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ لَهُ ﷺ دائماً فما وجه التخصيص بذلك أجابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بقولها: (كَانَ بِأَتْيِهِ فِي صُورَةِ الرَّجُلِ) تارة في صورة دحية الكلبي وتارة في صورة أعرابي، (وَإِنَّهُ أَنَا هَذِهِ الْمَرَّةَ فِي صُورَتِهِ الَّتِي هِيَ صُورَتُهُ) الخليفة التي خلق عليها، (فَسَدَّ الْأَفْقَ) وقد مر آنفاً أَنَّهُ ﷺ لم يره في تلك الصورة الخلقية إلا مرتين. (حَدَّثَنَا مُوسَى) هو ابن إِسْمَاعِيلَ التَّبُودَكِيِّ قَالَ: (حَدَّثَنَا جَرِيرٌ) بفتح الجيم هو ابن حازم قَالَ: (حَدَّثَنَا أَبُو رَجَاءٍ) ضد الخوف هو عمر بن ملحان.

ويقال: عمران بن ملحان.

ويقال: ابن تيم.

ويقال: ابن عَبْدِ اللَّهِ العطاردي البصري أدرك زمن النَّبِيِّ ﷺ ولم يره وأسلم بعد الفتح وأتى عليه مائة وعشرون سنة وقيل أكثر من ذلك.

(عَنْ سَمُرَةَ) بفتح السين المهملة وضم الميم ابن جندب وقد مر في الحيز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ (قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتْيَانِي قَالَا: الَّذِي يُوقِدُ النَّارَ مَالِكُ خَازِنُ النَّارِ، وَأَنَا جِبْرِيلُ وَهَذَا مِيكَائِيلُ» (١٠) والحدث قد مضى في كتاب الجنائز في باب مجرد بعد باب ما قيل في أولاد المشركين مطوَّلاً بهذا الإسناد.

3237 - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ فَأَبَتْ فَبَاتَ غَضْبَانَ عَلَيْهَا، لَعَنَتُهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ» تَابَعَهُ أَبُو حَمْزَةَ، وَابْنُ دَاوُدَ، وَأَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ (1).

(حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ) قَالَ: (حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ) الوضاح الشكري، (عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ) بالحاء المهملة والزاي سلمان الأشجعي.
(عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أَنَّهُ (قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ): «إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ فَأَبَتْ فَبَاتَ غَضْبَانَ عَلَيْهَا، لَعَنَتُهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ» والحديث أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي النِّكَاحِ أَيْضًا وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِيهِ أَيْضًا وَكَذَا أَبُو دَاوُدَ وَأَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ فِي الْمَلَائِكَةِ.

(تَابَعَهُ) أَي: تَابَعَ أَبُو عَوَانَةَ شُعْبَةَ أَي: ابْنُ الْحَجَّاجِ، (أَبُو حَمْزَةَ) بِالْمُهْمَلَةِ وَالزَّيْ هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ مَيْمُونٍ السَّكْرِيُّ، (وَابْنُ دَاوُدَ) هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ دَاوُدَ الْهَمْدَانِيُّ الْخَرِيبِيُّ بَضَمَ الْخَاءِ الْمَعْجَمَةَ وَفَتَحَ الرَّاءَ وَبِالْمَوْحِدَةِ مُصَغَّرًا، (وَأَبُو مُعَاوِيَةَ) هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ حَازِمٍ بِالْمَعْجَمَتَيْنِ، (عَنِ الْأَعْمَشِ) أَمَّا مُتَابَعَةُ شُعْبَةَ فَوَصَلَهَا

(1) قَالَ ابْنُ أَبِي جَمْرَةَ فِي الْبَهْجَةِ: ظَاهِرُ الْحَدِيثِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمَرْأَةَ إِذَا لَمْ تَجِبْ زَوْجَهَا إِذَا دَعَاها إِلَى فِرَاشِهِ وَغَضِبَ عَلَيْهَا لَعَنَتُهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ، وَالْكَلَامُ عَلَيْهِ مِنْ وَجْهِ: مِنْهَا: قَوْلُهُ: إِلَى فِرَاشِهِ هَلْ هُوَ عَلَى ظَاهِرِهِ أَوْ هُوَ مِنَ الْكِنَايَةِ عَنِ الْجَمَاعِ أَنَّهُ كِنَايَةٌ عَلَى الْجَمَاعِ وَيَقْوِي ذَلِكَ قَوْلُهُ ﷺ فِي حَدِيثٍ آخَرَ: «الْوَلَدُ لِلْفَرَّاشِ» أَي: لِلَّذِي يَكُونُ وَطْنَهُ فِي الْفَرَّاشِ. وَفِيهِ: دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْمُسْتَحْسَنَ فِي الشَّرْعِ الْكِنَايَةُ عَنِ الْأَشْيَاءِ الْمُسْتَقْبَحَةِ وَهَذَا فِيهِ مَوْجُودٌ كَثِيرٌ مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَنْ لِيَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَاسٌ لِهِنَّ﴾ [البقرة: 187] وَمَا أَشْبَهَهُ وَهُوَ كَثِيرٌ وَهَلْ هَذَا فِي اللَّيْلِ لَا غَيْرَ أَوْ يَكُونُ ذَلِكَ سَوَاءً مَتَى دَعَاها إِلَى حَاجَتِهِ الْمَعْلُومَةِ بَيْنَهُمَا فِي اللَّيْلِ أَوْ النَّهَارِ فَمَنْعَتُهُ كَانَ الْأَمْرُ عَلَى حَدِّ وَاحِدٍ فِي اللَّعْنَةِ لَهَا ظَاهِرُ الْحَدِيثِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ اللَّعْنََةَ مَخْتَصَةٌ بِامْتِنَاعِهَا لَيْلًا وَذَلِكَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ لِتَأْكِدِ ذَلِكَ الشَّانِ فِي اللَّيْلِ وَقُوَّةِ الْبَاعِثِ عَلَيْهِ وَبِالنَّهَارِ قَدْ تَجِبَ عَلَيْهَا مُسَاعَدَتُهُ وَلَا يَجُوزُ لَهَا امْتِنَاعُهَا مِنْهُ إِلَّا أَنَّهُ لَا يَتَأَكَّدُ الْأَمْرُ حَتَّى تَلْعَنَهَا الْمَلَائِكَةُ وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ كَانَ الشَّارِعَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَقُولُ ذَلِكَ فِي النَّهَارِ أَيْضًا وَقَدْ يَقَالُ إِنَّ الشَّارِعَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِنَّمَا خَصَّ اللَّيْلَ بِالذِّكْرِ دُونَ النَّهَارِ لِأَنَّ الْمِظَنَّةَ فِي الْغَالِبِ لِذَلِكَ الشَّانِ فِذَا وَقَعَ ذَلِكَ فِي النَّهَارِ فَلَا فَرْقَ بَلْ يَكُونُ النَّهَارُ أَكْثَرُ فِي النَّهْيِ لِمَا وَرَدَ عَنْهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَقُولُ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ امْرَأَةً تَعْجَبُ فَلْيَأْتِ أَهْلَهُ» وَمَعْلُومٌ أَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ خَوْفُ الْفِتْنَةِ أَنَّ يَقَعُ لَا يُمْكِنُ الْإِحْتِرَازُ مِنْهَا إِلَّا بِوُقُوعِ ذَلِكَ الشَّانِ فِي وَقْتِهِ ذَلِكَ خَشْيَةً عَلَى نَفْسِهِ وَاحْتِرَازًا لِدِينِهِ =

الْبُخَارِيُّ فِي النِّكَاحِ فِي بَابِ إِذَا بَاتَتِ الْمَرْأَةُ مَهَاجِرَةً فَرَّاشَ زَوْجِهَا فَقَالَ حَدَّثَنَا

فيكون على هذا فيه النهار أبلغ في الزجر والنهي والله أعلم وهل الملائكة التي تلعنها هم الحفظة أو غيرهم احتمل غير أن فيه دليلاً على قبول دعاء الملائكة من خير كان أو شر ولولا ذلك ما خوف سيدنا ﷺ به وفيه بالضمن الإرشاد إلى مساعدة الزوجة زوجها في مرضاته وقد جاء هذا نصاً منه عليه الصلاة والسلام وهو قوله ﷺ: «جهاد المرأة حسن التبعل».

وفيه: دليل على أن الصبر عن شهوة الجماع على الرجال أضعف بما هو على النساء يؤخذ ذلك من حض الشارع عليه الصلاة والسلام بهذه على مساعدة الرجال على ذلك لقوة صبرهن ولولا ذلك لكان الأمر بالعكس.

وفيه: دليل على أن أقوى التشويشات على الرجل في دينه داعية النكاح ولأجل ذلك حض الشارع عليه الصلاة والسلام النساء على مساعدة الرجال في ذلك وقال عليه الصلاة والسلام: «من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء» ولم يقل ذلك للنساء وهل من شرط غضبه أن يكون دائماً الليل كله أو بنفس الغضب وجبت اللعنة احتمل لأن العرب قد تسمي الكل بالبعض والبعض بالكل فاحتمل قوله بات أي: ليلته كلها واحتمل أن يكون بات أي: عند أخذه في المبيت وهو ذلك الزمان اليسير هو الأظهر والله أعلم لأن النوم ما يبقى معه غضب ولا غيره.

وهنا بحث: لم علق لعنة الملائكة لها بالوصفين وهما امتناعها وغضبه.

والجواب: والله أعلم قد يكون دعاؤه لها من وجه منها التطيب لقلبها لا رغبة فيها وقد يكون في حقها لأنه يرى منها ما يدل على رغبتها في ذلك الشأن أو لحظ نفسه وليس له ذلك الباعث القوي وقد يكون لذلك الباعث القوي فذلك هو الذي يوجب الغضب فمن أجل الاحتمالات قرنه ﷺ بالغضب فتحتمل المرأة على هذا أن تعرف الوقت الذي يكون فيه الغضب من زوجها فتساعده وإن جهلت فالمساعدة لها أولى وهذا كله مع عدم الأعذار فإن كانت هناك أعذار فأصحاب الأعذار لهم حكم خاص إلا أنه يشترط أن يكون العذر شرعياً وإلا فليس بعذر.

وفيه: دليل على ترك المنهيات وإن لم يكن فيها حد من الحدود لأن الخطر فيها كبير يؤخذ ذلك من كون هذا الموضع لا حد فيه والأمر فيه أخطر لأن لعنة الملائكة ما تعرف أين تبلغ ولذلك قال ﷺ وما نهيتكم فلا تقربوا.

وفيه: دليل لأهل الصوفية الذين يقولون اترك ما عندك لما عند أخيك فسدوا الطريق إلى حظوظ النفس مرة واحدة لأنهم رأوا أكثر المهلكات منها.

وهنا إشارة لطيفة: فكما مولاك لا يترك لك حقاً من حقوقك إلا جعل لك من يقوم به وإن لم تطلبه فمن المروءة أن توفي أنت حقوقه وهو قد طلبها منك أنظر من غضبة واحدة منك على عدم مساعدتك على شهوة من شهواتك جعل عز وجل الملائكة الكرام الليل كله تلعن مانعك من شهواتك لا رعى الله من لا يلاحظ الإحسان ولا يعرف قدر الاهتمام لما اهتم بك وبحقوقك وهو الغني عنك أضعت حقه أنت المحتاج إليه ما أقبح الجفاء مع كثرة الاحتياج منك إليه وكثرة الإحسان منه إليك لكن الجهل عمي.

3238 - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ، أَخْبَرَنَا اللَّيْثُ، قَالَ: حَدَّثَنِي عُقَيْلٌ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا سَلَمَةَ، قَالَ: أَخْبَرَنِي جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: «ثُمَّ فُتِرَ عَنِّي الْوَحْيُ فِتْرَةً، فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي، سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ، فَرَفَعْتُ بَصْرِي قِبَلَ السَّمَاءِ،

مُحَمَّدُ بْنُ بَشَارٍ حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ عَنْ شُعْبَةَ عَنْ سُلَيْمَانَ عَنْ أَبِي حَازِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى آخِرِهِ نَحْوَهُ سَوَاءً .

وأما متابعة أبو حمزة فلم يذكرها شراح البخاري.

وأما متابعة ابن داود فوصلها مسدد في مسنده الكبير .

وأما متابعة أبي معاوية فوصلها مسلم والنسائي فقال مسلم حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو كَرِيبٍ قَالَا حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ وَحَدَّثَنِي أَبُو سَعِيدٍ الْأَشْجَعُ قَالَ حَدَّثَنَا وَكَيْعٌ وَحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَاللَّفْظُ لَهُ قَالَ حَدَّثَنَا جَرِيرٌ كُلُّهُمْ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ أَبِي حَازِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ» إِلَى آخِرِهِ نَحْوَهُ غَيْرَ قَوْلِهِ فَلَمْ تَأْتِهِ مَوْضِعُ فَأَبَتْ فِي رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ.

(حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ) التَّنِيسِيُّ قَالَ: (أَخْبَرَنَا اللَّيْثُ) أَي: ابْنُ سَعْدٍ، (قَالَ: حَدَّثَنِي) بِالْإِفْرَادِ (عُقَيْلٌ) بضم العين أي: ابْنُ خَالِدٍ، (عَنِ ابْنِ شِهَابٍ) الزُّهْرِيِّ أَنَّهُ (قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا سَلَمَةَ) أَي: ابْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، (قَالَ: أَخْبَرَنِي جَابِرُ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: ثُمَّ فُتِرَ عَنِّي الْوَحْيُ فِتْرَةً⁽¹⁾ فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي، سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ، فَرَفَعْتُ بَصْرِي قِبَلَ السَّمَاءِ)

(1) ومدة فترة الوحي كانت ثلاث سنين كما في تاريخ أحمد ومدة الرؤيا كانت ستة أشهر فابتداء النبوة بالرؤيا وقع في شهر مولده وابتداء وحي اليقظة ابتداء في رمضان يوم الإثنين لسبع عشرة خلت منه.

(2) عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت: أول ما بدئ به رسول الله ﷺ الرؤيا الصالحة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حُبِبَ إليه الخلاء. وكان يخلو بغار حراء وهو جبل بينه وبين مكة ثلاثة أميال عن يسار الذهاب إلى منى له قلة مشرفة فيتحنن فيه هو التعبد الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزوّد لذلك ثم يرجع إلى خديجة رضي الله عنها فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال: اقرأ «قلت ما أنا بقارئ، قال فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ قل ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثانية ثم أرسلني فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثالثة ثم =

فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ، قَاعِدٌ عَلَى كُرْسِيِّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَجُئْتُ مِنْهُ، حَتَّى هَوَيْتُ إِلَى الْأَرْضِ، فَجِئْتُ أَهْلِي فَقُلْتُ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَدْيَنِيُّ﴾ [المدرثر: 1] إِلَى ﴿فَاهْجُرْ﴾، قَالَ أَبُو سَلَمَةَ: وَالرَّجُزُ: الْأَوْثَانُ.

3239 - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ، وَقَالَ لِي خَلِيفَةُ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ، حَدَّثَنَا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ،

بكسر القاف وفتح الموحدة أي: جهة السماء.

(فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ، قَاعِدٌ عَلَى كُرْسِيِّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَجُئْتُ مِنْهُ) بضم الجيم وكسر الهمزة وسكون المثلثة على البناء للمفعول من جَأْتُ أي: رعبت وخفت وفيه لغة أخرى جثت بمثلثتين بمعناه.

(حَتَّى هَوَيْتُ) أي: سقطت (إِلَى الْأَرْضِ، فَجِئْتُ أَهْلِي فَقُلْتُ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَدْيَنِيُّ﴾ إِلَى ﴿فَاهْجُرْ﴾) وفي رواية: إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَالرَّجَزَ فَاهْجُرْ﴾.

(قَالَ أَبُو سَلَمَةَ: وَالرَّجُزُ: الْأَوْثَانُ) هذا تفسير منه بأن المراد من الرجز في قوله تعالى: ﴿وَالرَّجَزَ فَاهْجُرْ﴾ الأوثان: وهو جمع وثن وهو ما له جثة من خشب أو حجر أو فضة أو جوهر وكانت العرب تنصبها وتعبدها.

والحديث قد مر بشرحه مستوفى في أول الكتاب في بدء الوحي.

(حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ) قَالَ: (حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ) ⁽¹⁾ قَالَ: (حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ قَتَادَةَ، وَقَالَ لِي خَلِيفَةُ) هو ابن خياط هو شيخ البُخَارِيِّ: (حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ) مصغر زرع قَالَ: (حَدَّثَنَا سَعِيدٌ) هو ابن أبي عروبة، (عَنْ قَتَادَةَ) أشار بهذا إلى أنه جمع بين روايتي شُعْبَةَ بن الحجاج عن قَتَادَةَ وسعيد بن أبي عروبة عن قَتَادَةَ أيضًا وساق الحديث على لفظ سعيد بن أبي عروبة.

(عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ) بالعين المهملة واسمه رفيع بضم الراء وفتح الفاء وسكون

⁼ أرسلني فقال: ﴿أَفَرَأَى بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [1] خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿2﴾ أَفَرَأَى ذَرْبَكَ الْكَافِرِ ﴿3﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿4﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿5﴾ [العلق: 1 - 5].

(1) بضم الغين وسكون النون لقب محمد بن جعفر أبي عبد الله البصري صاحب الكرايسي.

حَدَّثَنَا ابْنُ عَمٍّ نَبِيِّكُمْ يَعْنِي ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي مُوسَى رَجُلًا آدَمَ طَوَالًا جَعْدًا، كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنْوَةَ،»

المثناة التحتية وآخره عين مهملة الرياحي بكسر الراء وفتح المثناة التحتية وبالحاء المهملة البصري وفي الرواة أَبُو الْعَالِيَةِ الْآخَرُ أَيُّضًا يروي عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا واسمه مختلف فيه وشهرته بالبراء بفتح الموحدة وتشديد الراء وكان ييري النبل وهو أَيُّضًا بصري.

(حَدَّثَنَا ابْنُ عَمٍّ نَبِيِّكُمْ يَعْنِي ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ) أَنَّهُ (قَالَ: رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي مُوسَى رَجُلًا آدَمَ) من الأدمة وهي في الناس السمرة الشديدة وقيل هو من أدمة الأرض وهي لونها وبه سمي آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ والأدمة في الإبل البياض مع سواد المقلتين يقال بغير آدم وناقة آدمى.

(طَوَالًا) بضم الطاء المهملة وتخفيف الواو ومعناه طويل (جَعْدًا) أي: غير سبط الشعر.

وَقَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ: الجعد في صفات يكون مدحًا وذمًا فالمدح معناه شديد الخلق أو يكون جعد الشعر وهو ضد السبط لأن السبوطه أكثر في شعور العجم وأما الذم فهو القصير المتردد الخلق.

وَقَالَ الدَّائِدِيُّ: لا أرى جعدًا محفوظًا لأن الطوال لا يوصف بالجعودة. وَقَالَ ابْنُ التِّينِ: هذا كلام غير صحيح لأن الطول لا ينافي الجعودة بل يكون الطويل جعدًا وسبطًا.

(كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنْوَةَ) بفتح الشين المعجمة وضم النون وسكون الواو وفتح الهمزة قيل هو من قحطان.

وَقَالَ الْكِرْمَانِيُّ: شَنْوَةُ اسم قبيلة بطن من الأزد طوال القامات.

وَقَالَ ابْنُ هِشَامٍ: شَنْوَةُ هو عَبْدُ اللَّهِ بن كعب بن عَبْدُ اللَّهِ بن مالك بن نضر ابن الأزد وإنما قيل أزد شَنْوَةُ لَشَنَانٍ كان بينهم وهو البغض والنسبة إليه شَنْوِيُّ ووجه تشبيهه مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ برجال شَنْوَةَ في الطول والسمرة.

وَرَأَيْتُ عِيسَى رَجُلًا مَرْبُوعًا، مَرْبُوعَ الْخَلْقِ إِلَى الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ، سَبِطَ الرَّأْسِ،
وَرَأَيْتُ مَالِكًا خَازِنَ النَّارِ، وَالدَّجَالَ فِي آيَاتٍ أَرَاهُنَّ اللَّهُ إِنِّيَأَهُ: ﴿فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِّنْ
لِّقَائِهِ﴾ [السجدة: 23]، قَالَ أَنَسٌ، وَأَبُو بَكْرَةَ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «تَحْرُسُ الْمَلَائِكَةُ
الْمَدِينَةَ مِنَ الدَّجَالِ».

(وَرَأَيْتُ عِيسَى رَجُلًا مَرْبُوعًا) أي: لا قصيرًا ولا طويلًا، (مَرْبُوعَ الْخَلْقِ)
بفتح الخاء أي: معتدل الخلقة مائلاً، (إِلَى الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ، سَبِطَ الرَّأْسِ)
بكسر الموحدة وسكونها مسترسل الشعر.

وَقَالَ النَّوَوِيُّ: فَتَحَهَا وَكَسَرَهَا لِغَتَانِ مَشْهُورَتَانِ وَيَجُوزُ إِسْكَانُهَا مَعَ كَسْرِ
السَّيْنِ وَمَعَ فَتْحِهَا عَلَى التَّخْفِيفِ كَمَا فِي الْكَتْفِ وَقَالَ: وَأَمَّا الْجَعُودَةُ فِي صِفَةِ
مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَالْأَوْلَى أَنْ يَحْمَلَ عَلَى جَعُودَةِ الْجِسْمِ وَهِيَ اكْتِنَازُهُ وَاجْتِمَاعُهُ
لَا جَعُودَةُ الشَّعْرِ لِأَنَّهُ جَاءَ فِي رِوَايَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ رَجُلٌ الشَّعْرُ.

(وَرَأَيْتُ مَالِكًا خَازِنَ النَّارِ، وَالدَّجَالَ) بالنصب أي: ورأيت الدجال (في)
آيَاتٍ) أي: في علامات أخرى (أَرَاهُنَّ) أي: تلك الآيات (اللَّهُ إِنِّيَأَهُ) أي:
النَّبِيِّ ﷺ.

(﴿فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ﴾) بكسر الميم أي: الشك (﴿مِّنْ لِّقَائِهِ﴾) قَالَ النَّوَوِيُّ:
هَذَا اسْتِشْهَادٌ مِنْ بَعْضِ الرُّوَاةِ عَلَى أَنَّهُ ﷺ لَقِيَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَقَالَ الْكِرْمَانِيُّ: الظَّاهِرُ أَنَّهُ كَلَامُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالضَّمِيرُ رَاجِعٌ إِلَى
الدَّجَالِ وَالخَطَابُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ.

(قَالَ أَنَسٌ، وَأَبُو بَكْرَةَ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (عَنِ النَّبِيِّ ﷺ): «تَحْرُسُ الْمَلَائِكَةُ
الْمَدِينَةَ مِنَ الدَّجَالِ» أما تعليق أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَدْ وَصَلَهُ الْبُخَارِيُّ فِي
أَوَاخِرِ الْحَجِّ فِي فَضْلِ الْمَدِينَةِ فِي بَابِ لَا يَدْخُلُ الدَّجَالُ الْمَدِينَةَ.

وَأما تعليق أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَدْ وَصَلَهُ أَيْضًا فِي هَذَا الْبَابِ.

وَالْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي أَحَادِيثِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أَيْضًا
وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي الْإِيمَانِ.

وَأما مطابقة تلك الأحاديث للترجمة فظاهرة.

8 - باب مَا جَاءَ فِي صِفَةِ الْجَنَّةِ وَأَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ

قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: ﴿مُطَهَّرَةٌ﴾: «مِنَ الْحَيْضِ، وَالْبَوْلِ، وَالْبُزَاقِ»، ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا﴾: «أَتُوا بِشَيْءٍ ثُمَّ أَتُوا بِآخَرَ»، ﴿قَالُوا هَذَا الَّذِي رَزَقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾: «أَتَيْنَا مِنْ قَبْلُ»،

8 - باب مَا جَاءَ فِي صِفَةِ الْجَنَّةِ وَأَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ

(باب مَا جَاءَ فِي) الإخبار (صِفَةِ الْجَنَّةِ وَأَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ) أي: موجودة الآن وهذا رد على المعتزلة حيث قالوا إنها لا توجد إلا يوم القيامة وكذلك قالوا في النار إنها تخلق يوم القيامة.

وأما أهل السنة فقد قالوا الجنة والنار مخلوقتان اليوم والجنة في الأصل: البستان من الشجر المتكاثف المظلّ بالتفاف أغصانه والتركيب دائر على معنى الستر وكأنها لتكاثفها وتظللها سميت الجنة التي هي المرة من جنة إذا ستره كأنها سترة واحدة لفرط التفافها، وسميت دار الثواب جنة لما فيها من الجنان.

(قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ) هو رفيع الرياحي وقد ذكر في الباب الذي قبله.

(﴿مُطَهَّرَةٌ﴾: «مِنَ الْحَيْضِ، وَالْبَوْلِ، وَالْبُزَاقِ») وأشار بذلك إلى تفسير لفظ مطهرة في قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ [البقرة: 25] وقد وصله ابن أبي حاتم من رواية مجاهد وزاد ومن المني والولد.

وفي رواية قَتَادَةَ مِنَ الْأَذَى وَالْإِثْمِ وَرَوَى هَذَا عَنْ قَتَادَةَ مُوصُولًا عَنْ أَبِي نَضْرَةَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا.

قَالَ الْحَافِظُ الْعَسْقَلَانِيُّ: ولا يصح إسناده وأخرج الطَّبْرِيُّ نحو ذلك عن عطاء وأتم منه⁽¹⁾ ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا﴾: «أَتُوا بِشَيْءٍ ثُمَّ أَتُوا بِآخَرَ» ﴿قَالُوا هَذَا الَّذِي رَزَقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ أوتينا من قبل أشار بقوله: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رَزَقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَنُوتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا﴾ [البقرة: 25] فقلوه أوتوا بشيء ثم أوتوا بآخر أي: بشمر آخر واستفيد التكرار من لفظ كلما فإذا أوتوا بآخر قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وفسره بقوله: («أَتَيْنَا مِنْ قَبْلُ»).

(1) وقال القاضي مطهرة مما يستقذر من النساء ويذم من أحوالهن كالحيض والدرن ودنس الطبع وسوء الخلق فإن التطهر يستعمل في الأجسام والأخلاق والأفعال.

﴿وَأَتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا﴾ [البقرة: 25]: «يُشَبِّهُ بَعْضُهُ بَعْضًا وَيَخْتَلِفُ فِي الطُّعُومِ»

قَالَ ابن التين: هو من أوتيته إذا أعطيته وهكذا رواية الأكثرين ووقع في رواية الكشميهني: أتينا من أتيته بالقصر يعني جثته.

وَقَالَ ابن التين: والصواب هو الأول وفي القبلية وجهان:

أحدهما: ما رواه السدي في تفسيره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وعن مرة عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وعن ناس من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ﴿قَالُوا هَذَا الَّذِي رَزَقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ قالوا: إنهم أوتوا بالثمرة في الجنة فلما نظروا إليها قالوا هذا الذي رزقنا من قبل في دار الدنيا وهكذا قَالَ قَتَادَةُ وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم قالوا ما دلت عليه الآية من عموم قولهم ذلك في كل ما رزقوه فيدخل في ذلك أول رزق رزقوه فيتعين أن لا يكون قبله إلا ما كان في الدنيا والآخرة ما قاله عكرمة: ﴿قَالُوا هَذَا الَّذِي رَزَقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ قال ما معناه مثل الذي كان بالأمس وهكذا قَالَ الربيع بن أنس قَالَ مجاهد: يقولون ما أشبهه به ويختلف في الطعوم.

(﴿وَأَتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا﴾ «يُشَبِّهُ بَعْضُهُ بَعْضًا وَيَخْتَلِفُ فِي الطُّعُومِ») فسر قوله تعالى: ﴿﴿وَأَتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا﴾﴾ بقوله: «يشبه بعضه بعضًا»⁽¹⁾ وهكذا قَالَ أَبُو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالبة ولكنه قَالَ في الطعم بالإنفراد وهو أَيْضًا رواية في الصحيح وَقَالَ ابن أبي حاتم حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا سعيد بن سليمان حَدَّثَنَا عامر بن يساف عن يَحْيَى بن أبي كثير قَالَ عشب الجنة الزعفران وكثبانها المسك ويطوف عليهم الولدان بالفواكه ويأكلونها ثم يوتون بمثلها فيقول لهم أهل الجنة هذا الذي آتيتمونا آنفًا به فيقول لهم الولدان كلوا فإن اللون واحد والطعم مختلف وهو قوله تعالى: ﴿﴿وَأَتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا﴾﴾.

وَقَالَ ابن جرير في تفسيره بإسناده عن السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قوله تعالى: ﴿﴿مُتَشَبِهًا﴾﴾ يعني في اللون

(1) وقد يقال روي أَنَّهُ ﷺ قال: «الذي نفس محمد بيده إِنَّ الرجل من أهل الجنة ليتناول الثمرة ليأكلها فما هي واصله إلى فيه حتى يبدل الله تعالى مكانها مثلها» فلعلهم إذا رأوها على الهيئة الأولى قالوا ذلك، والله تعالى أعلم.

﴿قُطُوفُهَا﴾: «يَقْطُطُونَ كَيْفَ شَاؤُوا» ﴿دَانِيَةٌ﴾ [الحاقة: 23]: «قَرِيبَةٌ» ﴿الْأَرَائِكُ﴾ [الكهف: 31]: «السَّرُرُ». وَقَالَ الْحَسَنُ: «النَّضْرَةُ فِي الْوُجُوهِ وَالسَّرُورُ فِي الْقَلْبِ»

والمرأى وليس يشبه في الطعم وَقَالَ عكرمة: ﴿وَأَتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا﴾ يشبه ثمر الدنيا غير أن ثمر الجنة أطيب وَقَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ أَبِي ظَبْيَانَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: لَا يَشْبَهُ شَيْءٌ مِمَّا فِي الْجَنَّةِ مَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا فِي الْأَسْمَاءِ وَفِي رِوَايَةٍ لَيْسَ فِي الدُّنْيَا مِمَّا فِي الْجَنَّةِ إِلَّا الْأَسْمَاءُ رَوَاهُ ابْنُ جُرَيْرٍ مِنْ رِوَايَةِ الثَّوْرِيِّ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي مُعَاوِيَةَ كِلَاهُمَا عَنْ الْأَعْمَشِ بِهِ وَقَالَ الْحَسَنُ: مَعْنَى قَوْلِهِ تَشَابَهَ خِيَارًا لَا رَدَاءَ فِيهِ.

﴿قُطُوفُهَا﴾: «يَقْطُطُونَ كَيْفَ شَاؤُوا» ﴿دَانِيَةٌ﴾: «قَرِيبَةٌ» قَالَ الْكِرْمَانِيُّ كَيْفَ فُسِّرَ «الْقُطُوفُ» يَقْطُطُونَ قُلْتُ جَعَلَ قُطُوفُهَا دَانِيَةً جُمْلَةً حَالِيَةً وَأَخَذَ لِزَمْعِهَا أَمَّا قَوْلُهُ: يَقْطُطُونَ كَيْفَ شَاؤُوا فَرَوَاهُ عَبْدُ بْنُ حَمِيدٍ مِنْ طَرِيقِ إِسْرَائِيلَ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنْ الْبَرَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ ﴿٢٣﴾ [الحاقة: 23] يَتَنَاوَلُ مِنْهَا حَيْثُ شَاءَ وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿دَانِيَةٌ﴾ قَرِيبَةٌ فَرَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ مِنْ طَرِيقِ الثَّوْرِيِّ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنِ الْبَرَاءِ أَيْضًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَمِنْ طَرِيقِ قَتَادَةَ قَالَ دَنَتْ فَلَا يَرِدُ أَيْدِيهِمْ عَنْهَا بَعْدَ وَلَا شَوْكٌ.

﴿الْأَرَائِكُ﴾: (السَّرُرُ) أَشَارَ بِهِ إِلَى الْأَرَائِكِ فِي قَوْلِهِ: ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ [الكهف: 13] وَفَسَّرَهَا بِقَوْلِهِ السَّرْرُ وَكَذَا فَسَّرَهُ عَبْدُ بْنُ حَمِيدٍ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ مِنْ طَرِيقِ حَصِينٍ عَنْ مُجَاهِدٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ الْأَرَائِكُ السَّرْرُ فِي الْحِجَالِ وَمِنْ طَرِيقِ مَنْصُورٍ عَنْ مُجَاهِدٍ نَحْوَهُ وَلَمْ يَذْكُرْ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَالْأَرَائِكُ جَمْعُ أَرِيكَةٍ.

قَالَ ابْنُ فَارَسٍ: الْأَرِيكَةُ الْحِجْلَةُ عَلَى السَّرِيرِ لَا تَكُونُ إِلَّا كَذَا وَعَنْ ثَعْلَبٍ الْأَرِيكَةُ لَا تَكُونُ إِلَّا سَرِيرًا مُتَخَذًا فِي قُبَّةٍ عَلَيْهِ شَوَارٌ⁽¹⁾ وَمَخْدَةٌ قُلْتُ: وَالشَّوَارُ بَضْمُ الشَّيْنِ الْمَعْجَمَةُ.

وَتَخْفِيفُ الْوَاوِ مَتَاعُ الْبَيْتِ وَالْحِجْلَةُ بِالتَّحْرِيكِ بَيْتٌ لَهُ قُبَّةٌ يَسْتَرُ بِالشَّيَابِ وَيَكُونُ لَهُ أَزْرَارٌ كِبَارٌ.

(وَقَالَ الْحَسَنُ) أَيُّ: الْبَصْرِيُّ: (النَّضْرَةُ فِي الْوُجُوهِ وَالسَّرُورُ فِي الْقَلْبِ) أَشَارَ

(1) الشَّوَارُ: مَتَاعُ الْبَيْتِ، وَالشَّوَارُ الْبِلَاسُ وَالْهَيْئَةُ.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿سَلْسِيلاً﴾ [الإنسان: 18]: «حَدِيدَةُ الْجَرِيَّةِ»،

بهذا إلى تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَنَّهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ [الإنسان: 11] وأوله ﴿فَوَقَّهُمْ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ﴾ [الإنسان: 11] أي: بقي الله الأبرار شر ذلك اليوم الذي يخافونه من شدائده ولقاهم أعطاهم بدل عبوس الفجار وحزنهم نضرة في الوجوه وهي أثر النعمة وحسن اللون والبهاء وسروراً في القلوب وأثر الحسن رواه عبد بن حميد من طريق مبارك بن فضالة عنه.

(وَقَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿سَلْسِيلاً﴾: حَدِيدَةُ الْجَرِيَّةِ) أشار بذلك إلى تفسير قوله تعالى: ﴿عَيْنًا فِيهَا شَمْنٌ سَلْسِيلاً﴾ [الإنسان: 18] وقوله: ﴿عَيْنًا﴾ بدل من قوله: ﴿زَنْجِيلاً﴾ فيما قبله⁽¹⁾ وقوله: فيها أي: في الجنة.

وَقَالَ الزَّجَاجُ: أي: يسقون عينا فيها تسمى سلسبيلاً لسلاسة انحدارها في الحلق وسهولة مساغها.

وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ ومقاتل بن حبان: سميت سلسبيلاً لأنها تسيل عليهم في الطرق وفي منازلهم تنبع من أصل العرش من جنة عدن إلى أهل الجنان والسلسيل في اللغة وصف لما كان في غاية السلاسة يقال شراب سلسيل وسلسل وسلسال وقد زبدت البياء فيه حتى صار خماسياً ودل على غاية السلاسة وأثر مجاهد هذا وصله سعيد بن منصور وعبد بن حميد بإسنادهما عنه وقوله حديدة بفتح المهملة وكسر الدال المهملة الأولى أي: قوية أي: قوية الجرية وشديدتها والجرية بمعنى الجريان.

وَقَالَ الْقَاضِي عِيَّاضُ: رواها القابسي جريدة بالجيم والراء بدل الحاء والدال المهملتين وفسرها باللينة قَالَ والذي رواه لا يعرف وإنما فسر السلسيل بالسهلة اللينة الجرية. انتهى.

يشير بذلك إلى تفسير قَتَادَةَ رواه عبد بن حميد عنه قَالَ في قوله تعالى: ﴿عَيْنًا فِيهَا شَمْنٌ سَلْسِيلاً﴾ قَالَ: سلسلة لهم يصرفونها حيث شاؤوا وقد روى عبد بن

(1) في قوله تعالى: ﴿وَشُقُورَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ رِزَاقُهَا زَنْجِيلاً﴾ [الإنسان: 17] أي: ما يشبه الزنجبيل في الطعم، وكانت العرب يستلذون الشراب الممزوج به وإنما أبدله منه لينفي عنه لدغ الزنجبيل ويصفها بنقيضه.

﴿غَوْلٌ﴾: «وَجَعُ الْبَطْنِ»، ﴿يُنْزِفُونَ﴾ [الصفات: 47]: «لَا تَذْهَبُ عُقُولُهُمْ». وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿دِهَاقًا﴾ [النبأ: 34]: «مُمْتَلِئًا»،

حميد أيضًا عن مجاهد قَالَ تجري شبيه السلسيل وهذا يؤيد رواية الأصل أنه أراد قوة الجري.

قَالَ الْحَافِظُ الْعَسْقَلَانِيُّ: والذي يظهر أنهما لم يتواردا على نحو واحد بل أراد مجاهد صفة جري العين وأراد قَتَادَةُ صفة الماء.

وروى ابن أبي حاتم عن عكرمة قَالَ: السلسيل اسم العين المذكورة وهو ظاهر الآية ولكن استبعد لوقوع الصرف فيه وفي الاستبعاد نظر وأبعد منه زعم أنه كلام مفصول من فعل أمر ومفعول⁽¹⁾.

﴿غَوْلٌ﴾ وَجَعُ الْبَطْنِ أشار به إلى تفسير قوله تعالى: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ وفسره بوجع البطن وهذا التفسير مروى عن مجاهد رواه عبد بن حميد وعن ابن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وقَتَادَةُ صداع⁽²⁾.

﴿يُنْزِفُونَ﴾ لَا تَذْهَبُ عُقُولُهُمْ أشار به إلى تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزِفُونَ﴾ وفسر ينزفون بقوله: «لَا تَذْهَبُ عُقُولُهُمْ عند شرب خمر الجنة» وهذا التفسير مروى عن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وغيره وقرئ ينزفون بكسر الزاي وفيه قولان:

أحدهما: من أنزف الرجل إذا نفذ شرابه.

والآخر: يقال أنزف إذا سكر وأما نzf إذا ذهب عقله من الشرب فمسموع مشهور⁽³⁾.

﴿وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ﴾ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿دِهَاقًا﴾ مُمْتَلِئًا أشار به إلى تفسير قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا دِهَاقًا﴾ [النبأ: 34] وفسر الدهاق بقوله: (مُمْتَلِئًا) يقال: أدهق الحوض ملأه وقد وصله عبد بن حميد من طريق عكرمة عنه قَالَ الْكَأَسُ الدهاق الممتلئة المتتابعة وروى الطَّبْرِيُّ عن أبي كريب حَدَّثَنَا مروان بن يَحْيَى عن

(1) أي: سل سبيلاً فسميت به كتاباً شراً لأنه لا يشرب منها إلا من سال إليها سبيلاً بالعمل الصالح.

(2) أي: كما في خمر الدنيا إذ فيها خمار وصداع وهو من غاله يغوله إذا أفسده.

(3) وإذا فسر الغول بالغائلة يكون إفراذه بالنفي بعده وعطفه على ما يعمه لأنه من عظم فساده كأنه جنس برأسه.

﴿وَكُؤَاعِبَ﴾ [النبا: 33]: «نَوَاهِد» الرَّحِيقُ: «الْحَمْرُ». التَّسْنِيمُ: «يَعْلُو شَرَابَ أَهْلِ الْجَنَّةِ»،

مسلم بن فسطاس قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لَغْلَامُهُ اسْقَنِي دِهَاقًا قَالَ فَجَاءَ بِهَا الْغَلَامُ مَلَأَى فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا هَذَا الدِّهَاقُ وَرَوَى أَيْضًا عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿وَكُؤَاعِبَ دِهَاقًا﴾ ﴿٢٦﴾ مَلَى.

(﴿وَكُؤَاعِبَ﴾: نَوَاهِد⁽¹⁾) أَشَارَ بِهِ إِلَى تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكُؤَاعِبَ أَنْزَابًا﴾ ﴿٣٢﴾ [النبا: 33] وَفَسَّرَ كُؤَاعِبَ بِقَوْلِهِ: «نَوَاهِد» وَهَذَا التَّفْسِيرُ مَرْوِيٌّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ مِنْ طَرِيقِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ عَنْهُ وَالنَّوَاهِدُ جَمْعُ نَاهِدٍ وَهِيَ الَّتِي بَدَأَ نَهْدُهَا يُقَالُ نَهْدٌ شَدِيدٌ إِذَا ارْتَفَعَ عَنِ الصَّدْرِ وَصَارَ لَهُ حُجْمٌ وَالْأَنْزَابُ جَمْعُ تَرْبٍ بِالْكَسْرِ وَهُوَ الْقَرْنُ وَالْمِثْلُ.

(الرَّحِيقُ: الْحَمْرُ) أَشَارَ بِهِ إِلَى تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿رَحِيقٍ مَخْتُومٍ﴾ وَفَسَّرَ الرَّحِيقَ بِالْخَمْرِ وَهَذَا التَّفْسِيرُ وَصَلَهُ الطَّبْرِيُّ عَنْ طَرِيقِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿رَحِيقٍ مَخْتُومٍ﴾ قَالَ الْخَمْرُ خَتَمَ بِالْمَسْكِ.

وَقِيلَ: الرَّحِيقُ⁽²⁾ الْخَالِصُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: يَشْرَبُهَا أَهْلُ الْجَنَّةِ صَرَفًا.

(التَّسْنِيمُ: يَعْلُو شَرَابَ أَهْلِ الْجَنَّةِ) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ﴾ ﴿٢٧﴾⁽³⁾ [المطففين: 27] وَفَسَّرَهُ بِقَوْلِهِ: «يَعْلُو شَرَابَ أَهْلِ الْجَنَّةِ».

(1) ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ [النبا: 31] فَوْزًا أَوْ مَوْضِعَ فَوْزٍ ﴿حَقَائِقَ وَأَعْنَابًا﴾ [النبا: 32] بِسَاتِينَ فِيهَا أَنْوَاعَ الْأَشْجَارِ الْمَثْمُرةِ بَدَلٍ مِنْ مَفَازٍ أَوْ بَدَلِ الْإِشْتِمَالِ أَوْ الْبَعْضِ ﴿وَكُؤَاعِبَ﴾ نِسَاءً فَلَكْتَ ثَدْيَهُنَّ ﴿وَكُؤَاعِبَ﴾ لَدَاتُ أَيٍّ: مَسْتَوِيَاتٌ فِي الْمِيلَادِ ﴿وَكُؤَاعِبَ دِهَاقًا﴾ ﴿٢٦﴾ مَلَأَنَ وَأَدْهَقَ الْحَوْضَ مَلَأَهُ. (2) يَسْقُونَ مِنْ رَحِيقٍ: شَرَابٍ خَالِصٍ مَخْتُومٍ خَتَمَهُ مَسْكٌ: أَيٍّ: مَخْتُومٌ أَوَانِيهِ بِالْمَسْكِ مَكَانَ الطِّينِ، وَلَعَلَّهُ تَمَثِيلٌ لِنَفَاسَتِهِ أَوْ الَّذِي لَهُ خَتَامٌ أَيٍّ: مَقْطَعٌ هُوَ رَائِحَةٌ.

(3) وَمَزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ عِلْمٌ لِعَيْنٍ بَعَيْنُهَا سُمِّيَتْ تَسْنِيمًا لِارْتِفَاعِ مَكَانِهَا أَوْ رَفْعَةِ شَرَابِهَا ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُتَّقُونَ﴾ [المطففين: 28] فَإِنَّهُمْ يَشْرَبُونَهَا صَرَفًا لِأَنَّهُمْ لَمْ يَشْتَغَلُوا بِغَيْرِ اللَّهِ وَيَمَزُجُ الْمَدْحُ أَوْ الْحَالُ مِنْ تَسْنِيمٍ وَالْبَاءُ فِيهَا تَضْمِينٌ مَعْنَى الْإِلْتِذَازِ أَيٍّ: مِلْتَذِينَ بِهَا، وَقِيلَ زَائِدَةٌ، وَقِيلَ بِمَعْنَى مَنْ.

﴿خَتَمُهُ﴾: «طِينُهُ» ﴿مِسْكٌ﴾ [المطففين: 26]، ﴿فَيَاضَتَانِ﴾ [الرحمن: 66]: «فَيَاضَتَانِ»، يُقَالُ: ﴿مَوْضُونَةٌ﴾ [الواقعة: 15]: مَنَسُوجَةٌ، مِنْهُ وَضِينُ النَّاقَةِ،

وهذا التفسير وصله عبد بن حميد بإسناد صحيح عن سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ التَّسْنِيمُ يَعْلُو شَرَابَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَهُوَ صَرَفٌ لِلْمَقْرِبِينَ وَيَمِزُجُ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ.

وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ: التَّسْنِيمُ اسْمُ مَاءٍ فِي الْجَنَّةِ سَمِيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ جَرَى فَوْقَ الْغُرَفِ وَالْقُصُورِ.

(﴿خَتَمُهُ﴾: «طِينُهُ» ﴿مِسْكٌ﴾ أشار بذلك إلى تفسير قوله تعالى: ﴿رَجِيقٌ مَخْتُومٌ﴾ ﴿١٥﴾ خَتَمُهُ مِسْكٌ [المطففين: 25 - 26] وفسر قوله ختامه بقوله طينه وهذا التفسير وصله ابن أبي حاتم من طريق مجاهد في قوله تعالى: ﴿خَتَمُهُ مِسْكٌ﴾ قَالَ: طِينُهُ مِسْكٌ وَمِنْ طَرِيقِ أَبِي الدَّرْدَاءِ فِي قَوْلِهِ خَتَامُهُ مِسْكٌ قَالَ: هُوَ شَرَابٌ أَبْيَضٌ مِثْلُ الْفُضَّةِ يَخْتُمُونَ بِهِ آخِرَ شَرَابِهِمْ وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ وَإِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ خَتَامُهُ آخِرُ طَعْمِهِ.

(﴿فَيَاضَتَانِ﴾: فَيَاضَتَانِ) أشار به إلى تفسير قوله تعالى: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ﴾ ﴿٦٦﴾ فَيَاضَتَانِ) وفسر قوله: ﴿فَيَاضَتَانِ﴾ [الرحمن: 66] بقوله فياضتان أي: فوارتان بالماء روي ذلك عن ابن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وصله ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عنه والنضخ المعجمة في اللغة أكثر من المهملة.

(يُقَالُ: ﴿مَوْضُونَةٌ﴾: مَنَسُوجَةٌ، مِنْهُ وَضِينُ النَّاقَةِ) أشار به إلى تفسير قوله تعالى: ﴿سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ﴾ [الواقعة: 15] وفسر الموضونة: بالمنسوجة أي: المنسوجة بالذهب.

وقيل: بالجواهر والياقيات ومنه وضين الناقة وهو البطان وإنما سمت العرب وضين الناقة وضيناً لأنه منسوج.

وَقَالَ أَبُو عبيدة في المجاز في قوله: ﴿عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ﴾ ﴿١٥﴾ متداخلة كما يوصل حلق الدرع بعضها في بعض مضاعفة قَالَ: والوضين البطان وهو كالحزام للسرّج إذا نسج بعضه على بعض مضاعفاً وهو وضين في موضع موزون.

وروى ابن أبي حاتم من طريق الضحاك في قوله موضونة قَالَ: التوضين

وَالْكُوبُ: مَا لَا أُذْنَ لَهُ وَلَا عُرْوَةَ، وَالْأَبَارِيقُ: ذَوَاتُ الْأَذَانِ وَالْعُرَا.

﴿عُرْبًا﴾ [الواقعة: 37]: «مُثْقَلَةٌ»، وَاحِدُهَا عَرُوبٌ، مِثْلُ صَبُورٍ وَصَبِيرٍ،

التشبيك والنسج تقول وسطها مشبك منسوج ومن طريق عكرمة في قوله موضونة قَالَ مشبكة بالدر والياقوت.

(وَالْكُوبُ: مَا لَا أُذْنَ لَهُ وَلَا عُرْوَةَ، وَالْأَبَارِيقُ: ذَوَاتُ الْأَذَانِ وَالْعُرَا) أشار بهذا إلى تفسير قوله تعالى: ﴿يَا كُوبٍ وَأَبَارِيقُ﴾ [الواقعة: 18] وفسره بقوله والكوب ما لا أذن له ولا عُرْوَةَ وقيل الكوب المستدير لا عرى له ويجمع على أكواب ويجمع الأكواب على أكواب والأباريق جمع إبريق على وزن إفعيل أو فعيل وما ذكره البُخَارِيُّ هو قول الفراء سواء روى عبد بن حميد من طريق قَتَادَةَ قَالَ الكوب⁽¹⁾ دون الإبريق ليس له عُرْوَةٌ.

(﴿عُرْبًا﴾: مُثْقَلَةٌ، وَاحِدُهَا عَرُوبٌ، مِثْلُ صَبُورٍ وَصَبِيرٍ) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا﴾ ﴿عُرْبًا﴾ [الواقعة: 36 - 37] وقوله مثقلة أي: مضمومة الراء وقرئ بإسكان الراء أَيْضًا قَالَ الْحَافِظُ الْعَسْقَلَانِيُّ مرادهم بالثقل الضم وبالتخفيف الإسكان وقوله واحدها عروب مثل صبور وصبر أي: على وزنه وهذا قول الفراء وحكي عن الأعمش قَالَ كنت أسمعهم يقولون عربًا بالتخفيف وهو وهو كالرسل والرسل فالتخفيف في لغة تميم ويكن قَالَ الفراء والوجه التثني لأن كل فعول أو فاعيل أو فعال جمع على هذا المثال فهو مثقل مذكراً كان أو مؤنثاً وذكر النسفي في تفسيره في قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا﴾ ﴿عُذَارَى﴾ عرباً عواشق محبيات إلى أزواجهن جمع عروب.

وَقَالَ الحسن: العروب الملقاة.

وَقَالَ عكرمة: غنجة.

وَقَالَ ابن زيد: الشكلة.

(1) ﴿يَلُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَنٌ مُّخْلِذُونَ﴾ ﴿٧٧﴾ مبقون أبداً على هيئة الولدان وطراوتهم ﴿يَا كُوبٍ وَأَبَارِيقُ﴾ حال الشرب وغيره؛ والكوب: إناء لا عروة له، ولا خرطوم والإبريق: إناء له ذلك، ﴿وَكَأْسٍ مِّنْ مَّيْنٍ﴾ من خمر ﴿لَّا يَصْذَعُونَ عَلَيْهَا﴾: بخمار ﴿وَلَا يُزِفُونَ﴾ ولا تنزف عقولهم أو لا ينفذ شرابهم، ﴿وَفَكَهَأُوا مِمَّا تَخْتارُونَ﴾ ﴿٢٢﴾ أي: يختارون، ﴿وَلَقَدْ طَئِرَ مِمَّا يَنْتَهُونَ﴾ ﴿٢١﴾ [الواقعة: 17 - 21] يتمنون.

يُسَمِّيَهَا أَهْلُ مَكَّةَ الْعَرَبَةِ، وَأَهْلُ الْمَدِينَةِ الْغَنَجَةِ، وَأَهْلُ الْعِرَاقِ الشَّكِلَةَ وَقَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿رَوْحٌ﴾ [الواقعة: 89]: جَنَّةٌ وَرَخَاءٌ، وَالرَّيْحَانُ: الرُّزْقُ،

وعن زيد بن حارثة حسان الكلام.

وقيل: حسنة الفعل وجزم الفراء بأن العروب الغنجة والأكثر على أنها هي المتحبة إلى الزوج الحسنة التبعل.

(يُسَمِّيَهَا أَهْلُ مَكَّةَ الْعَرَبَةِ) بفتح العين وكسر الراء وفتح الباء وجزم الفراء بأنها الغنجة كما تقدم وأَخْرَجَهُ ابن أبي حاتم عن عكرمة كذلك وأخرج الطبري من طريق تميم بن حذلم في قوله تعالى: ﴿عُرْبًا﴾ قَالَ الْعَرَبَةُ الْحَسَنَةُ: التَّبَعْلُ كَانَتِ الْعَرَبُ تَقُولُ إِذَا كَانَتِ الْمَرْأَةُ حَسَنَةً التَّبَعْلُ إِنَّهَا لَعَرَبَةٌ.

ومن طريق عبد الله بن عبيد بن عمير المكي قَالَ: الْعَرَبَةُ الَّتِي تَشْتَهِي زَوْجَهَا لَا تَرَى أَنَّ الرَّجُلَ يَقُولُ لِلنَّاقَةِ إِنَّهَا لَعَرَبَةٌ.

(وَأَهْلُ الْمَدِينَةِ الْغَنَجَةُ) بفتح الغين المعجمة وكسر النون وبالجيم من الغنج وهو التكرس والتدلل في المرأة وقد غنجت وتغنجت.

(وَأَهْلُ الْعِرَاقِ الشَّكِلَةَ) بفتح الشين المعجمة وكسر الكاف ذات الدل وقد روى ابن أبي حاتم من طريق زيد بن أسلم قَالَ الْعَرُوبُ الْحَسَنَةُ الْكَلَامُ وَمِنْ طَرِيقِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ مَرْفُوعًا الْعَرَبُ كَلَامُهُنَّ عَرَبِيٌّ وَهُوَ ضَعِيفٌ مُنْقَطِعٌ. (وَقَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿رَوْحٌ﴾: جَنَّةٌ وَرَخَاءٌ، وَالرَّيْحَانُ: الرُّزْقُ) أشار بهذا إلى تفسير قوله تعالى: ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ﴾ [الواقعة: 89] وفسر مجاهد روحا بجنة ورخاء وفسر الريحان بالرزق.

وَقَالَ الْفَرِيَابِيُّ: حَدَّثَنَا وَرْقَاءُ عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَرَوْحٌ﴾ قَالَ جَنَّةٌ ﴿وَرَيْحَانٌ﴾ قَالَ رَزَقٌ وَأَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي الشَّعْبِ مِنْ طَرِيقِ آدَمَ عَنْ وَرْقَاءَ بِسَنَدِهِ بَلْفَظٍ ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ قَالَ: الرُّوحُ جَنَّةٌ وَرَخَاءٌ وَالرَّيْحَانُ الرُّزْقُ. وقيل: روح طيب ونسيم.

وقيل: الاستراحة ومن قرأ بضم الراء أراد الحياة التي لا موت معها⁽¹⁾ وعن الحسن الريحان ريحاننا هذا.

(1) وقيل: المراد الرحمة لأنها كالسبب لحياة المرحوم بالحياة الدائمة.

وَالْمَنْضُودُ: الْمَوْزُ، وَالْمَخْضُودُ: الْمَوْقَرُّ حَمَلًا، وَيُقَالُ أَيْضًا: لَا شَوْكَ لَهُ،

(وَالْمَنْضُودُ: الْمَوْزُ) وقيل المراد الرحمة لأنها كالسبب لحياة المرحوم بالحياة الدائمة.

(وَالْمَخْضُودُ: الْمَوْقَرُّ حَمَلًا، وَيُقَالُ أَيْضًا: لَا شَوْكَ لَهُ) أشار إلى تفسير قوله تعالى: ﴿فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ ۝ ٢٨ وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ ۝ ٢٩﴾ [الواقعة: 28 - 29] وفسر قوله: ﴿وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ ۝ ٢٩﴾ بأنه الموز.

وَقَالَ الْقَاضِي عِيَاضُ: وَقَعَ هُنَا تَخْلِيْطُ وَالصَّوَابُ: وَالطَّلْحُ الْمَوْزُ وَالْمَنْضُودُ⁽¹⁾ الْمَوْقَرُّ حَمَلًا الَّذِي نَضَدُ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ مِنْ كَثَرَةِ حَمَلِهِ.

قال العيني: واستصوب بعضهم ما قاله البُخَارِيُّ وفي ضمنه رد على القاضي عياض والصواب ما قاله القاضي عياض لأن المنضود ليس اسم الموز وإنما هو صفة الطلح.

وَقَالَ النَّسْفِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ: طَلَحَ شَجَرُ مَوْزٍ وَعَنِ السَّدِيِّ شَجَرٌ يَشْبَهُ طَلْحَ الدُّنْيَا وَلَكِنْ لَهُ ثَمَرٌ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، وَقَالَ النَّسْفِيُّ أَيْضًا: حَكِيَ أَنَّ رَجُلًا قَرَأَ عِنْدَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ﴿وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ ۝ ٢٩﴾ فَقَالَ عَلِيٌّ وَمَا شَأْنُ الطَّلْحِ إِنَّمَا هُوَ طَلْعٌ مَنْضُودٌ ثُمَّ قَرَأَ ﴿طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾ [الشعراء: 148] فَقِيلَ إِنَّهَا فِي الْمَصْحَفِ بِالْحَاءِ أَفْلَا

(1) ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ۝ ٧٧﴾ وجملة ما أصحاب اليمين استفهامية خبر للمبتدأ بإقامة الظاهر مقام الاستفهام. ومعناه التعجب من أصحاب اليمين ﴿فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ ۝ ٢٨﴾ لا شوك فيه، خضد الشوك إذا قطعه أو مثني أعضائه من كثرة حمله من خضد الغصن إذا ثناه وهو رطب، ﴿وَطَلْحٍ﴾ وشجر موز أو أم غيلان وله أنوار كثيرة طيبة الرائحة ﴿مَنْضُودٍ﴾ نضد حمله من أسفله إلى أعلاه، ﴿وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ ۝ ٢٩﴾ منبسط لا يتقلص، ﴿وَمَا مَسْكُوبٍ ۝ ٢١﴾ يسكب لهم أين ما شاءوا وكيف شاءوا بلا تعب أو مصبوب سائل، ﴿وَفَكَهْمٍ كَثِيرٍ ۝ ٢٢﴾ كثيرة الأجناس ﴿لَا مَقْطُوعَةٍ﴾: لا تنقطع في وقت، ﴿وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ لا تُمنع من تناولها بوجه، ﴿وَفَرَشٍ مَّرْفُوعَةٍ ۝ ٢٣﴾ رفيدة القدر أو منضدة مرتفعة وقيل الفرش النساء وارتفاعها أنها على الأرائك ويدل عليه قوله: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنثَاءً ۝ ٢٥﴾ أي: ابتدأنهن ابتداءً جديدًا من غير ولادة إبداء أو إعادة وفي الحديث هن اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز شمسًا رمصًا جعلهن الله بعد الكبر أترابًا على ميلاد واحد كلما أنهن أزواجهن وجدوهن أبكارًا والشمطاء التي يباض شعرها يخالط بسوادها والرمضاء التي يجتمع الوسخ في موفها، ﴿فَجَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا ۝ ٢٦﴾ عُرُبًا متحبيات إلى أزواجهن، ﴿أَتْرَابًا﴾ فإن كلهن بنات ثلاث وثلاثين وكذا أزواجهن ﴿لَا صَحْبَ الْيَمِينِ ۝ ٢٨﴾ [الواقعة: 27 - 38] متعلق بإنشاء أو جعلنا أو صفة لأبكارًا أو خبر المحذوف مثل هن.

وَالْعُرْبُ: الْمُحَبِّبَاتُ إِلَى أَزْوَاجِهِنَّ،

نحولها فَقَالَ إن القرآن لا يهاج اليوم ولا يحول وعن الحسن ليس الطلح بالموز ولكنه شجر له ظل بارد طيب .

وَقَالَ الفراء وأبو عبيدة: الطلح عند العرب شجر عظام لها شوك.

وقيل: هو شجر أم غيلان وله نور كثير طيب الرائحة وعلى كل تقدير فالمنضود صفة وليس باسم ومعناه متراكم قد نضد بالحمل من أسفله إلى أعلاه فليست له ساق بارزة .

وقال مسروق: أشجار الجنة من عروقتها إلى افتنانها ثمر كله انتهى.

أقول: قَالَ الفريابي والبيهقي عن مجاهد في قوله وطلح منضود قَالَ الموز المتراكم والسدر المنضود الموقر حملاً ويقال أَيْضًا لا شوك له وذلك لأنهم كانوا يعجبون بوج وظلاله من طلح وسدر ولفظ وَجَّ بفتح الواو وتشديد الجيم بالطائف والظاهر في ذلك أن قوله الموز المتراكم تسير للطلح المنضود لا للمنضود فقط .

وأما قوله الموز حملاً فهو تفسير للمنضود في قوله تعالى: ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾ لا تفسير للمنضود في عبارة البُخَارِيِّ فكان القاضي عياض لم يقف على أثر مجاهد فَقَالَ الذي وقع في البُخَارِيِّ تخليط .

والصواب: والطلح الموز والمنضود الموقر حملاً الذي نضد بعضه على بعض من كثرة حمله نعم الأظهر في العبارة أن يقال والطلح المنضود والموز المتراكم والمنضود الموقر حملاً .

وقد نقل الطَّبْرِيُّ القولين عن جمع من العلماء بأسانيده إليهم فنقل الأول عن مجاهد والضحاك وسعيد بن جبير ونقل الثاني عن ابن عَبَّاس وقتادة وعكرمة وقسامة بن زهير وغيرهم وكان القاضي عياض استبعد تفسير الخضد بالثقل لأن الخضد في اللغة القطع وقد نقل أهل اللغة أن الخضد أَيْضًا الشني وعليه يحمل التأويل الأول أي: أنه من كثرة حمله انشئ فظهر بذلك أن الذي وقع في البُخَارِيِّ صحيح أَيْضًا لا تخليط فافهم.

(وَالْعُرْبُ: الْمُحَبِّبَاتُ إِلَى أَزْوَاجِهِنَّ) كَذَا أَخْرَجَهُ عبد بن حميد والطبراني

وَيُقَالُ ﴿مَسْكُوبٌ﴾ [الواقعة: 31]: جَارٍ، ﴿وَفُشِّ مَرْفُوعَةٌ﴾ ﴿٢٤﴾ [الواقعة: 34]:
بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ، ﴿لَوَا﴾: بَاطِلًا، ﴿تَأْتِيًا﴾ [الواقعة: 25]: كَذِبًا، ﴿أَفَنَانٍ﴾
[الرحمن: 48]: أَغْصَانٌ،

والطبري وغيرهم من طريق مجاهد وغيره ورواه الفريابي من وجه آخر عن مجاهد
قَالَ الْعَرَبُ الْعَوَاشِقُ وَأَخْرَجَ الطَّبْرِيُّ نَحْوَهُ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ مَرْفُوعًا.

(وَيُقَالُ ﴿مَسْكُوبٌ﴾: جَارٍ) أشار به إلى ما في قوله تعالى: ﴿وَمَاءٌ
مَّسْكُوبٌ﴾ ﴿٢٤﴾ وفسره بقوله جار وقد وصله الفريابي عن مجاهد وأراد به أنه
قوي الجري كأنه يسكب سكباً⁽¹⁾.

(﴿وَفُشِّ مَرْفُوعَةٌ﴾ ﴿٢٤﴾: بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ) أشار به إلى ما في قوله تعالى:
﴿وَفَنَكِهِ كَثِيرٌ﴾ ﴿٢٢﴾ لَا مَقْطُوعَةٌ وَلَا مَمْنُوعَةٌ ﴿٢٣﴾ وَفُشِّ مَرْفُوعَةٌ ﴿٢٤﴾ [الواقعة: 32 - 34].

وفسر قوله مرفوعة بقوله بعضها فوق بعض وقد وصله الفريابي عن مجاهد
أَيْضًا وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ فِي الْمَجَازِ الْمَرْفُوعَةُ الْعَالِيَةُ يُقَالُ بِنَاءٌ مَرْفُوعٌ أَي: عَالٍ
وَرَوَى ابْنُ حَبَانَ وَالتِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي قَوْلِهِ
تَعَالَى: ﴿وَفُشِّ مَرْفُوعَةٌ﴾ ﴿٢٤﴾ قَالَ ارْتِفَاعُهَا مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ.

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: مَعْنَاهُ أَنَّ الْفَرْشَ فِي الدَّرَجَةِ وَهَذَا الْقَدْرُ ارْتِفَاعُ الدَّرَجَةِ قَالَ
وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِالْفَرْشِ الْمَرْفُوعَةِ النِّسَاءُ الْمُرْتَفِعَاتُ الْقَدْرَ لِحَسَنِهِنَّ وَجَمَالِهِنَّ.

(﴿لَوَا﴾: بَاطِلًا، ﴿تَأْتِيًا﴾: كَذِبًا) أشار به إلى ما في قوله تعالى: ﴿لَا
يَسْمَعُونَ فِيهَا لَوًّا وَلَا تَأْتِيًا﴾ ﴿٢٥﴾ [الواقعة: 25] وفسر اللغو بالباطل والتأثيم⁽²⁾
بالكذب وقد وصله أيضاً الفريابي عن مجاهد كذلك.

(﴿أَفَنَانٍ﴾: أَغْصَانٌ) أشار به إلى ما في قوله تعالى: ﴿ذَوَاتًا أَفَنَانٍ﴾ ﴿٤٨﴾
[الرحمن: 48] وفسر الأفنان بالأغصان وكذا فسر عكرمة وفي تفسير النسفي
الأفنان جمع فنن وهو من قولهم أفنن فلان في حديثه إذا أخذ في فنون وعن
مجاهد أفنان أغصان واحدها فنن⁽³⁾ وعن عكرمة ظل الأغصان على الحيطان.

(1) وقيل المسكوب الجاري الذي لا يتقطع جريانه وقيل الجاري في غير الأخدود.

(2) ويقال التأثيم نسبة إلى الإثم أي: لا يقال لهم أئثمتم.

(3) وصد ذلك الطبري عنه.

﴿وَحَيَّ الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ [الرحمن: 54]: مَا يُجْتَنَى قَرِيبٌ، ﴿مُدْهَامَتَانِ﴾ ﴿٦٦﴾ [الرحمن: 64]: «سَوْدَاوَانٍ مِنَ الرَّيِّ».

3240 - حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ

وعن الحسن: ذواتا أفنان ذواتا ظلال وخص الأفنان بالذكر لأنها الغصنة التي تتشعب من فروع الشجرة لأنها التي تورق وتثمر فمنها تمتد الظلال ومنها تجتنى الثمار وعن الضحاك يعني أفنان ألوان من الفواكه وواحدها فن كما مر.

﴿وَحَيَّ الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾: مَا يُجْتَنَى قَرِيبٌ منها أشار به إلى ما في قوله تعالى: ﴿مُسْكِينٍ عَلَى فُرْشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَرْقٍ وَحَيَّ الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ ﴿٥٤﴾ وفسر جنى بما يجتنى ودان بقوله قريب منها⁽¹⁾ وصل ذلك الطبري عن مجاهد وفي تفسير النسفي وجنى الجنتين ثمرها دان قريب يناله القائم والقاعد والنائم⁽²⁾.

﴿مُدْهَامَتَانِ﴾ ﴿٦٦﴾: سَوْدَاوَانٍ مِنَ الرَّيِّ أشار به إلى ما في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ ﴿٦٦﴾ فَيَأْتِيءُ الْآءَ رَيِّكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٦٦﴾ ﴿مُدْهَامَتَانِ﴾ ﴿٦٦﴾ [الرحمن: 62 - 64] يعني ومن دون⁽³⁾ الجنتين الأوليين الموعودتين ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾ [الرحمن: 46] أخريان ﴿مُدْهَامَتَانِ﴾ ﴿٦٦﴾ وفسرها بقوله سوداوان من الري وكذا روى مجاهد ووصله الفريابي عنه.

وَقَالَ الْفَرَاءُ: مدهامتان يعني خضراوان إلى السواد من الري وعن عطية كادت أن تكون سوداوين من شدة الري وهما خضراوان وفي تفسير النسفي مدهامتان ناعمتان سوداوتان من ريهما وشدة خضرتهما لأن الخضرة إذا اشتدت قربت إلى السواد والدهمة السواد الغالب.

(حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ) قَالَ: (حَدَّثَنَا اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ

(1) قيل هاتان الجنتان لمن دون الخائفتين المقربين من أصحاب اليمين.

(2) أي: المضطجع.

(3) ومن دونهما أي: ومن بينك الجنتين الموعودتين لمن خاف مقام ربه أي: موقفه الذي يقف فيه العباد للحساب أو قيامه على أحواله أي: حفظه لها من قام عليه إذا راقبه مدهامتان خضراوان تضربان إلى السواد من شدة الخضرة وفيه إشعار بأن الغالب على هاتين الجنتين النبات والرياح المنبسطة؛ على وجه الأرض وعلى الأولين الأشجار والفواكه على ما بينهما من التفاوت.

ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمْ، فَإِنَّهُ يُعْرَضُ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ، فَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ»⁽¹⁾.

ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) أَنَّهُ (قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمْ، فَإِنَّهُ يُعْرَضُ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ، فَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ») يَعْنِي فَإِنْ كَانَ مِنْ

(1) قال ابن أبي جمرة في البهجة: ظاهر الحديث الإخبار بأنه من مات منا يعرض عليه مقعده أي: موضعه بالغداة والعشي من الجنة والنار، والكلام عليه من وجوه:

منها: قوله عليه الصلاة والسلام: «أحدكم» هل يعني من جنس ابن آدم كلهم المؤمن وغيره أو يعني المؤمنين احتمل الوجهين معًا لكن الأظهر أنه للجنس جميعًا بدليل قوله تعالى في آل فرعون: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [غافر: 46].

وفيه بحث: وهو أن يقال كيف قال عليه الصلاة والسلام بالغداة والعشي في هذه الدار كما قال تعالى: ﴿وَلَمْ يَرْفُفْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: 62] قال العلماء قدر ما بين الغداة والعشي في دار الدنيا.

وفيه بحث: آخر وهو أن يقال ما معنى يعرضون هل هو بمعنى الدخول أو بمعنى الرؤية احتمل الوجهين معًا لأنهم يقولون عرضت العود على النار أي: أدخلته فيها ويقولون عرضت الشيء على الرجل أي: أريته إياه ومنه قولهم عرض القوم على السلطان أي: أبصرهم وعرفهم لكن الأظهر أنه من أريته بدليل قوله عليه الصلاة والسلام في حديث آخر أن الميت إذا مات فتحت له كوة إلى الجنة وكوة إلى النار فإن كان مؤمنًا قيل له من هذا عافاك الله يعنون الله وهذا وعدك الله يا ولي الله يعنون الجنة ثم تسد عنه الكوة التي إلى النار وتبقى التي إلى الجنة وإن كان غير مؤمن فبالضد وهنا أيضًا.

بحث آخر: وهو من الذي يعرض عليه فعلى قول من يقول الروح والنفس شيء واحد يكون على الأرواح وعلى قول من يقول إن الروح خلاف النفس فيكون على الأرواح أو يكون على النفس أو على الأجساد أو على المجموع احتمل لكن الأظهر أنه على الأرواح فإن الأبدان لا تعذب مع أرواحها مجتمعة بعد سؤال القبر إلى يوم القيامة بدليل ما جاء في آل فرعون وهو أن أرواحهم في أجواف طيور سود تعرض على النار غدوة وعشية وقد ذكر بعض الناس الذين يقولون إن النفس شيء وإن الروح شيء ثان إن النفس هي التي تبقى في القبر مع الجسد وإنها من العالم الذي لا يعني أنها هي التي تنتعم في القبر أو تتعذب وأن الروح تلحقه مما هي فيه نسبة ما وهي في موضعه من عليين أو من سجين وأنه لا يكون عذابهما معًا إلا في يوم القيامة أو نعيمهما أيضًا والقدرة صالحة وفيه.

بحث آخر: إذا قلنا إنه للجنس للمؤمن وغيره هل هو على العموم أو ليس الظاهر أنه ليس على العموم بدليل قوله تعالى في الشهداء: ﴿أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْفَقُونَ﴾ [آل عمران: 169] ويقول =

أهل⁽¹⁾ الجنة فيعرض عليه مقعده من مقاعد أهل الجنة وكذا قوله وإن كان

سيدنا ﷺ فيهم: «إن أرواحهم في حواصل طيور خضر تأكل من شجر الجنة وتشرب من أنهارها» فمن هو دائم في الجنة فكيف يعرض عليها غدوة وعشية فيكون عاماً فيما عدا الشهداء لكن يرد على هذا قوله عليه الصلاة والسلام: «نسمه المؤمن طائر أبيض معلق في شجر الجنة حتى يردها الله تعالى إلى أجسادها يوم القيامة» فمن يكون في شجر الجنة فكيف يعرض على مقعده بالغدوة والعشي.

فالجواب: أنه قد يمكن الجمع بينهما من وجوه:

منها: أنه قد أخبر ﷺ عن الشهداء أنهم سبعة ما عدا القتل في سبيل الله ووصف عليه الصلاة والسلام الذين قتلوا في سبيل الله بأن أرواحهم في أجواف طيور خضر فقد يكون باقي الشهداء السبعة أرواحهم تعلق في شجرة الجنة ويكون الفرق بينهم وبين الذين قتلوا في الجهاد الأكل والشرب لا غير والفرق بينهم وبين غيرهم من المؤمنين دوام المقام في الجنة وغيرهم من المؤمنين يعرضون عليها غدوة وعشية لأن هذه الأخبار كلها صحاح والأخبار لا يدخلها نسخ واحتمل.

وجه آخر: وهو أن الأرواح هي التي تعلق في شجر الجنة وأن النفوس هي التي يعرض عليها مقعدها غدوة وعشية واحتمل أن تعلق الأرواح بشجر الجنة وليس يكون لها تصرف في الجنة إلا غدوة وعشية تنظر لمنزلها وترها فيزداد بذلك سرورها والقدرة الصالحة ويبقى البحث في المخلط المسكين كيف حاله فالله أعلم أنه قد يكون له نصيب من هذا وقد تقدم الكلام عليه في حديث عذاب القبر بما فيه كفاية فأغنى عن إعادته.

وفيه: دليل على عظيم قدرة الله تعالى يؤخذ ذلك من هذا الإخبار بهذا النبأ العظيم وكيف هذا التصرف العجيب.

ويترتب عليه من الفقه الإيمان به والتفكير فيما نحن إليه صائرون والأهبة لذلك ولذلك قال ﷺ: «كفى بالموت واعظاً» لأنه إذا فكر في الموت وفيما بعده من الأنباء وشبهها حصل له فيه من الوعظ ما فيه كفاية لمن له عقل أو ألقى السمع وهو شهيد ومما يشبه ما نحن بسبيله أنه رغب بعض الإخوان من أخ له في الله مشغول بعبادة مولاه أن يقوم له بمعيشته فأنعم له في ذلك فأناه بقدر سويق فلما أتاها غدوة ليأخذ القدح وجده كما كان فخاف أنه اتهمه من طريق الكسب فجعل بين له وجوه كسبه فقال له والله يا أخي ما مر ذلك بيالي ولكن كلما أخذت القدح لأن أشرب تذكرت قوله تعالى: ﴿يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسَبِّغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَحِيَّتٍ مِنْ رَبِّهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [إبراهيم: 17] فلم أقدر أن أشربه حتى أصبحت على حالي فأنظر رضي الله عنه ورضي عنا بهم كيف حالهم وفكرتهم هؤلاء الذين فهموا عن الله وعن رسوله ﷺ وليس غيرهم ممن ادعى الفهم فهم يا من مات ليس كل من قاد الجياد يسومها ولا كل من أجرى يقال له مجرى كلا بل هي دعاوى وحجج عليه لا من الله علينا بما به من على أهل الخصوص والتوفيق بفضل.

(1) وقال الطيبي يجوز أن يكون المعنى إن كان من أهل الجنة فيستبشر بما لا يكتنه كنهه لأن هذا =

3241 - حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ، حَدَّثَنَا سَلْمُ بْنُ زَرِيرٍ، حَدَّثَنَا أَبُو رَجَاءٍ، عَنْ عِمْرَانَ

ابْنِ حُصَيْنٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «اطَّلَعْتُ فِي الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ.....

من أهل النار فلا اتحاد الشرط والخبراء.

والحديث قد مضى في كتاب الجنائز في باب الميت يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي⁽¹⁾ وقد مضى الكلام فيه هناك مستوفى وقد ذكر البُخَارِيُّ في هذا الباب خمسة عشر حديثاً كلها مطابق للترجمة في ذكر الجنة ووصفها فلا حاجة إلى ذكر وجه المطابقة في كل منها على حدة.

(حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ) هشام بن عبد الملك الطيالسي قَالَ: (حَدَّثَنَا سَلْمُ) بفتح السين المهملة وسكون اللام.

(ابْنُ زَرِيرٍ) بفتح الزاي وكسر الراء الأولى العطاردي البصري قَالَ: (حَدَّثَنَا أَبُو رَجَاءٍ) ضد الخوف واسمه عمران بن ملحان العطاردي البصري أَيْضًا أدرك زمان النَّبِيِّ ﷺ وأسلم بعد فتح مكة ولم ير النَّبِيَّ ﷺ ولم يهاجر إليه، بلغ مائة وثلاثين سنة.

(عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: ااطَّلَعْتُ فِي الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ

المنزلة طليعة تبشير السعادة الكبرى لأنَّ الشرط والجزاء إذا اتحدا دللاً على الفخامة.

(1) قال ابن التين يحتمل أن يراد بالغداة والعشي غدوة واحدة وعشية واحدة يكون العرض فيهما ويحتمل أن يراد كل غدوة وكل عشي وذلك لا يكون إلا بأن يكون الإحياء لجزء منه فإننا نشاهد الميت قد فني وذلك يمنع الإحياء جميعه وإعادة جسمه ولا يمتنع أن تعاد الحياة في جزء أو أجزاء منه ويصح مخاطبته والعرض عليه انتهى.

وقال القرطبي: يجوز أن يكون هذا العرض على الروح فقط ويجوز أن يكون عليه مع جزء من البدن قال وهذا في حق المؤمن والكافر واضح.

فأما المؤمن المخلط فمحتمل في حقه أَيْضًا لأنه يدخل الجنة بالآخرة ولو بعد حين ثم هو مخصوص بغير الشهداء.

وقيل يحتمل أن يقال: إن فائدة العرض في حقهم تبشير أرواحهم باستقرارها في الجنة مقترنه بأجسادها فإن فيه قدرًا زائدًا على ما هي فيه الآن.

قال ابن عبد البر: قال بعضهم يدلُّ ذلك على أنَّ الأرواح على أفنية القبور قال والمعنى عندي أنها لا تفارق الأفنية بل هي كما قال مالك أنه بلغه أنَّ الأرواح تسرح حيث شاءت، وقال العيني: كونها تسرح حيث شاءت لا يمنع كونها على الأفنية لأنها تسرح ثم تأوي إلى القبر، وعن مجاهد: الأرواح على القبور سبعة أيام من يوم دفن الميت لا تفارق والله أعلم.

أَهْلِهَا الْفُقَرَاءُ، وَاطَّلَعْتُ فِي النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ»⁽¹⁾.

أَهْلِهَا الْفُقَرَاءُ، وَاطَّلَعْتُ فِي النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ) والحديث أَخْرَجَهُ

- (1) قال ابن أبي جمرة في البهجة: ظاهر الحديث الإخبار بأن أكثر أهل الجنة الفقراء وأن أكثر أهل النار النساء، والكلام عليه من وجوه:
- منها: الكلام على هؤلاء الفقراء وهل هم كل من هو عديم لا مال له أو هو بشرط زائد على ذلك.
- ومنها: الكلام في النساء أيضًا هل ذلك لعلة تعقل أو أي نساء كن:
- ومنها: هل رؤيته عليه الصلاة والسلام الدارين حقيقة أو هو من قبيل التمثيل؟
- فأما الجواب: عن الفقراء هل ذلك محمول عليه السلام كل من كان عديمًا من المال فليس الحديث على عمومته بدليل ما جاء عنه عليه الصلاة والسلام في حق وصف الفقراء الذين لهم المزية على الأغنياء في قوله عليه الصلاة والسلام: «إن الفقراء يدخلون الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم وهو خمسمائة عام من أعوام الدنيا» فقام إليه فقير فقال يا رسول الله أنا منهم قال له «ألك ثوبان إذا غسلت الواحد ليست الآخر» قال نعم قال: «لست منهم» فقام ثان فقال يا رسول الله أنا منهم وليس كمن تقدم أن ليس له إلا ثوب واحد فقال له: «ألك غذاء وعشاء؟» قال نعم قال: «لست منهم» فقال ثالث فقال أنا منهم وليس كمن تقدم قال: «ألك بيت تأوي إليه» قال نعم قال: «لست منهم» فقام رابع فقال أنا منهم وليس كمن تقدم فقال: «أنصبح وتمسي وأنت راض عن الله؟» قال نعم قال: «أنت منهم» أو كما قال عليه الصلاة والسلام وقد قال ﷺ: «ليس الغنى بكثرة العرض وإنما الغنى غنى النفس» وكذلك يلزم في الفقير من طريق النظر إذا كان الفقير لا يقوم بما فرض عليه فكيف يدخل الجنة وقد قال ﷺ: «أول ما يحاسب به العبد الصلاة فإن قبلت منه نظر في سائر عمله وإن لم تقبل منه ألقى في النار» أو كما قال عليه الصلاة والسلام: «فإذا كان فقراء تاركين للصلاة فكيف يدخلون الجنة حتى يكونوا من أكثر أهلها؟» فدل بهذه الأحاديث أن الحديث ليس على عمومته من جميع الفقراء وإنما يكون معناه أن المؤمنين الذين يأتون ما أمروا به أكثرهم فقراء وكذلك جاء أن أول أتباع الرسل عليهم الصلاة والسلام هم الفقراء لأن الأغنياء تمنعهم من الإجابة كثرة حطام الدنيا والاشتغال بها وإن دخلوا في الإسلام قل ما يخلصون أنفسهم من كثرة ما يترتب عليهم من الحقوق إلا من أيده الله تعالى منهم بمعونته والفقراء أقل مؤنة وأرق أفئدة فيحق أن يكونوا أكثر أهل الجنة وقد روي عن الحسن البصري أنه وقعت نار في البصرة فأخذ مصحفًا له وخرج وقال لهم يا أهل البصرة فازمخفون ما لي في بلدكم غير هذا يعني مصحفه يشير لهم إلى هذا المعنى لأنه بقله دنياه نجا من نار البصرة بنفسه وبكل ما معه فكذلك في الدار الآخرة وأنتم يا أصحاب الأثقال والحطام كما وحلتكم هنا بأنفسكم ولا تقدرون على التخليص من نار البصرة فكيف بكم في الدار الآخرة؟ وقد قالت عائشة رضي الله عنها لعبد الرحمن بن عوف سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنك تدخل الجنة حيًّا» وكان عبد الرحمن رضي الله عنه حيث كان من أهل الفضل إلا أنه كان أغنى أهل عصره فكثرة المال توجب كثرة الحساب وكثرة الحساب تبطئ بصاحبه عن الجنة وإن كان يخلص فلما سمع ذلك منها وكان قد أتمته ثمانون بغيرًا من الشام بالمتاع وهي والغلمان الذين كانوا أتوا بها وما كان عليها الكل له فقال رضي الله عنه هي في سبيل الله بكل ما عليها والذين =

الْبُخَارِيُّ أَيْضًا فِي الرِّقَاقِ وَالنِّكَاحِ وَأَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي صِفَةِ جَهَنَّمَ وَالنِّسَائِيُّ فِي عَشْرَةِ النِّسَاءِ وَفِي الرِّقَاقِ .

وفيه : الاختلاف على أبي رجاء فإن مسلمًا رواه من حديث الثَّقَفِيِّ عن أيوب عن أبي رجاء عن ابن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ومن حديث أبي الأشهب عن أبي رجاء عن ابن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ التِّرْمِذِيُّ وكلا الإسنادين ليس فيهما مقال يحتمل أن يكون أبو رجاء سمع منهما جميعًا .

ورواه البُخَارِيُّ فِي النِّكَاحِ من حديث عوف عن أبي رجاء وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ وقد روى غير عوف أَيْضًا هذا الحديث عن أبي رجاء عن عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

ورواه النَّسَائِيُّ من حديث يزيد بن عَبْدِ اللَّهِ ومحمد بن عَبْدِ اللَّهِ وهو متابع

أَتَوْهَا بِهَا «عَلَى أَنْ أَدْخَلَهَا مِثْيَا» .

وفيه دليل : على أن أكثر الصالحين الفقراء يؤخذ ذلك من قوله عليه الصلاة والسلام : «أكثر أهلها الفقراء» .

وفيه دليل : على أن الغالب على الأغنياء عدم التوفيق يؤخذ ذلك من كونهم قليلين في الجنة . وفيه دليل : للزاهدين الذين رفضوا الدنيا لكون حرامها عذابًا وحلالها حسابًا فلا راحة فيها لصاحبها يؤخذ ذلك من أن أكثر أهل الجنة الفقراء .

وأما الجواب : عن النساء وكونهم أكثر أهل النار فقد بين ﷺ علة ذلك في غير هذا الحديث بقوله عليه الصلاة والسلام يكفرن العشير ويكفرن الإحسان لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله ثم رأت منك شيئًا قالت ما رأيت منك خيرا قط .

وفيه دليل : على أن الأعمال سبب لدخول الجنة أو النار لأنه ﷺ قد أشار إلى أن عليه دخول الجنة بالفقر والنار بكفر العشير وقد قال عز وجل : ﴿ مَا كَسَبْتُمْ ﴾ [البقرة : 134] ﴿ يَبَا أَسْتَفْتُمْ ﴾ [الحاقة : 24] والآي والأحاديث في ذلك كثيرة وفيه بالضمن التحريض على حسن العمل والنهي عن سيئه وأما قولنا هل رآهم حسًا أو تمثيلًا احتمل الوجهين معًا والقدرة صالحة لهما .

وفيه دليل : لأهل السنة الذين يقولون بأن الجنة والنار مخلوقتان حسًا موجودتان يؤخذ ذلك من جعله ﷺ لكل واحد منهما أهلًا من بني آدم محسوسين ولا يستقرون إلا في محسوس أيضًا .

وفيه دليل : على أن الخير والصالح في الرجال أكثر من النساء يؤخذ ذلك من أن أكثر أهل النار النساء وهذا الحديث منه ﷺ تسلية للفقراء حتى يطيب لهم حالهم فإنه إذا كانت تلك الدار المباركة هم أكثر أهلها ارتاحت نفوسهم لذلك فما أرفقه عليه الصلاة والسلام بأمته وأكثر إيناسه لهم فجزاه الله عنا خير جزاء بمنه والحمد لله رب العالمين .

3242 - حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، قَالَ: حَدَّثَنِي عُقَيْلٌ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، إِذْ قَالَ: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ»

لأبي رجاء عن عمران رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ولفظه أقل ساكني الجنة النساء وفي لفظة عامة أهل النار النساء وفي النسائي من حديث عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعاً لا يدخل الجنة النساء إلا كعدد هذا الغراب مع هذه الغربان.

وفي الأخبار للالكائي من حديث عبد الرحمن بن شبل مرفوعاً: إن الفساق هم أهل النار ثم فسرههم بالنساء قالوا يا رَسُولَ اللَّهِ ألسن أمهاتنا وأخواتنا وبناتنا قَالَ بلى ولكن إذا أعطين لم يشكرن وإذا ابتلين لم يصبرن.
وَقَالَ المهلب: إنما استحق النساء النار لكفرهن العشير.

وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ: إنما كان النساء أقل ساكني الجنة لما يغلب عليهن الهوى والميل إلى عاجل زينة الدنيا لنقصان عقولهن فيضعفن عن عمل الآخرة والتأهب لها لميلهن إلى الدنيا والتزين بها وأكثرهن معرضات عن الآخرة سريعات الانخداع لراغبيهن عن المعرضين عن الدين عسيرات الاستجابة لمن يدعوهن إلى الآخرة وأعمالها وأما الفقراء فلما كانوا فاقد المآل الذي يتوسل به إلى المعاصي فازوا بالسبق فإن قلت فقد ظهر فضل الفقر فلم استعاذ منه رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

فالجواب: إنما استعاذ من شر فتنته كما استعاذ من شر فتنة الغنى فإن قيل ليس في الجنة عذب ولكل رجل زوجان فكيف يستقيم وصفهن بالقلة في الجنة وبالكثرة في النار.

فالجواب: أنه ذكر الحكيم الترمذي وغيره أن المراد بكون النساء أكثر أهل النار كونهن كذلك قبل الشفاعة فيهن وأما بعد الشفاعة فيكن أكثر أهل الجنة لما أن لكل رجل زوجين والله تعالى اعلم.

(حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ) قَالَ: (حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، قَالَ: حَدَّثَنِي) بالافراد (عُقَيْلٌ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ) الزُّهْرِيِّ أَنَّهُ (قَالَ: أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، إِذْ قَالَ: بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ

رَأَيْتُنِي فِي الْجَنَّةِ، فَإِذَا امْرَأَةٌ تَتَوَضَّأُ إِلَى جَانِبِ قَصْرِ فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا الْقَصْرُ؟ فَقَالُوا: لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَذَكَرْتُ غَيْرَتَهُ فَوَلَّيْتُ مُدْبِرًا، فَبَكَى عُمَرُ وَقَالَ: أَعَلَيْكَ أَغَارُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟».

رَأَيْتُنِي (أَي: رَأَيْتُ نَفْسِي) فِي الْجَنَّةِ، فَإِذَا امْرَأَةٌ) كلمة إذا للمفاجأة.
(تَتَوَضَّأُ) قَالَ الْكِرْمَانِيُّ تَتَوَضَّأُ مِنَ الْوُضْءِ وَهِيَ الْحَسَنُ وَالنِّظَافَةُ وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْوُضْءِ.

وَقَالَ الْخَطَّابِيُّ: إِذَا امْرَأَةٌ شَوْهَاءٌ وَإِنَّمَا أَسْقَطَ الْكَاتِبُ مِنْهُ بَعْضَ الْحُرُوفِ فَصَارَ يَتَوَضَّأُ لِاتِّبَاسِ ذَلِكَ فِي الْخَطِّ لِأَنَّهُ لَا عَمَلَ فِي الْجَنَّةِ لَا وَضْءَ وَلَا غَيْرَهُ وَالشَّوْهَاءُ بِالشَّيْنِ الْمَعْجَمَةُ.

قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: هِيَ الْمَرْأَةُ الْحَسَنَاءُ وَالشَّوْهَاءُ وَاسِعَةُ الْفَمِ وَالصَّغِيرَةُ الْفَمِ.
وَقَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ: الشَّوْهَاءُ الْقَبِيحَةُ.

وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ فَرَسَ شَوْهَاءَ صِفَةً مَحْمُودَةً وَيُقَالُ يَرَادُ بِهَا سَعَةٌ أَشْدَاقُهَا وَرَدَّ عَلَيْهِ الْقُرْطُبِيُّ وَقَالَ الرُّوَايَةُ الصَّحِيحَةُ تَتَوَضَّأُ وَوَضْءُ هَذِهِ الْمَرْأَةِ إِنَّمَا هُوَ لَتَزْدَادَ حَسَنًا وَنُورًا لَا أَنَّهَا تَزِيلُ وَسَخًا وَلَا قَدْرًا إِذِ الْجَنَّةُ مَنَزْهَةٌ عَنِ الْقَدْرِ.

وَقَالَ ابْنُ التِّينِ: وَذَكَرَ عَنِ الشَّيْخِ أَبِي الْحَسَنِ أَنَّهُ قَالَ هَذَا فِيهِ أَنَّ الْوُضْءَ مُوَصَّلٌ إِلَى هَذَا الْقَصْرِ وَالنَّعِيمِ.

(إِلَى جَانِبِ قَصْرِ فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا الْقَصْرُ؟ فَقَالُوا: لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَذَكَرْتُ غَيْرَتَهُ) بَفَتْحِ الْغَيْنِ الْمَعْجَمَةُ مُصَدِّرُ غَارِ الرَّجُلِ عَلَى أَهْلِهِ مِنْ فُلَانٍ وَهِيَ الْحَمِيَّةُ وَالْأَنْفَةُ يُقَالُ رَجُلٌ غَيُورٌ وَامْرَأَةٌ غَيُورٌ وَجَاءَ امْرَأَةٌ غِيْرَاءَ وَصِيغَةُ غَيُورٍ لِلْمَبَالَعَةِ.

(فَوَلَّيْتُ مُدْبِرًا، فَبَكَى عُمَرُ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (وَقَالَ: أَعَلَيْكَ أَغَارُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟) وَقَدْ أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ هَذَا الْحَدِيثَ أَيْضًا فِي فَضْلِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَيْضًا وَأَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَةَ أَيْضًا وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «رَأَيْتُ فِي الْجَنَّةِ قَصْرًا مِنْ ذَهَبٍ فَقُلْتُ لِمَنْ هَذَا قَالَ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ» قَالَ وَمَعْنَى هَذَا الْحَدِيثِ أَنِّي دَخَلْتُ الْبَارِحَةَ الْجَنَّةَ يَعْنِي رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ كَأَنِّي دَخَلْتُ الْجَنَّةَ هَكَذَا رَوَى فِي بَعْضِ طُرُقِ هَذَا الْحَدِيثِ.

3243 - حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ مِنْهَالٍ، حَدَّثَنَا هَمَّامٌ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَمْرَانَ الْجَوْنِيَّ، يُحَدِّثُ عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ الْأَشْعَرِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الْخِيْمَةُ دُرَّةٌ، مُجَوَّفَةٌ طَوْلُهَا فِي السَّمَاءِ ثَلَاثُونَ مِثْلًا، فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ مِنْهَا لِلْمُؤْمِنِ أَهْلٌ لَا يَرَاهُمُ الْآخَرُونَ»،

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: رؤيا الأنبياء حق⁽¹⁾ وقد روى أحمد من حديث معاذ رضي الله عنه قال إن عمر من أهل الجنة وذلك أن النبي ﷺ كان ما رأى في يقظته ومنامه سواء وأنه قال: بينا أنا في الجنة إذ رأيت فيها جارية فقلت لمن هذه فقيل: لعمر بن الخطاب.

(حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ مِنْهَالٍ) بتشديد الميم هو ابن يحيى أبي دينار البصري.
(قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَمْرَانَ) هو عبد الملك بن حبيب (الْجَوْنِيَّ) بفتح الجيم وسكون الواو وبالنون.

(يُحَدِّثُ عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ الْأَشْعَرِيِّ) واسم أبي بكر عمرو مات في ولاية خالد بن عبد الله وكان أكبر من أخيه ابن بُرْدَةَ.
(عَنْ أَبِيهِ) عَبْدُ اللَّهِ بْنُ قَيْسٍ الْأَشْعَرِيِّ (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: الْخِيْمَةُ) بيت مربع من بيوت الأعراب⁽²⁾.

(دُرَّةٌ، مُجَوَّفَةٌ) كذا في رواية الأكثرين ووقع في رواية السرخسي والمستملي در مجوف طوله ويروى من لؤلؤ ومجوفة بالفاء.

وفي رواية السمرقندي: بالباء الموحدة وهي المثقوبة التي قطع داخلها⁽³⁾.
(طَوْلُهَا فِي السَّمَاءِ ثَلَاثُونَ مِثْلًا) والميل ثلث الفرسخ (فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ مِنْهَا لِلْمُؤْمِنِ أَهْلٌ لَا يَرَاهُمُ الْآخَرُونَ) وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما: الخيمة درة مجوفة فرسخ في فرسخ لها أربعة آلاف مصراع من ذهب.

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه: الخيمة لؤلؤة واحدة لها سبعون بابًا.
وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ: يعلم من هذا الحديث أن نوع النساء المشتملة على الحور

(1) ومن ثمة أعمل حكم غيرة عمر رضي الله عنه حتى امتنع من دخول القصر.

(2) وهي إشارة إلى قوله تعالى: «حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْبُيُوتِ» [الرحمن: 72].

(3) ووجهه أن المقصود معنى الخيمة: وهو البيت المذكور أو الشيء الساتر.

قَالَ: أَبُو عَبْدِ الصَّمَدِ، وَالْحَارِثُ بْنُ عُبَيْدٍ، عَنْ أَبِي عِمْرَانَ سِتُونٌ مِيلًا.

3244 - حَدَّثَنَا الْحُمَيْدِيُّ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ

أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَالَ اللَّهُ «أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ،»

والآدميات في الجنة أكثر من نوع رجال بني آدم.

(قَالَ: أَبُو عَبْدِ الصَّمَدِ) هو عبد العزيز بن عبد الصمد القمي البصري مات

سنة سبع وثمانين ومائة.

(وَالْحَارِثُ بْنُ عُبَيْدٍ) أَبُو قدامة بضم القاف الأيادي بفتح الهمزة وتخفيف

المثناة التحتية وبالดาล المهملة يعني أن هذين رويا هذا الحديث.

(عَنْ أَبِي عِمْرَانَ) فَقَالَا: (سِتُونٌ مِيلًا) بدل قول همام ثلاثون ميلًا وتعليق

أبي عبد الصمد وصله البُخَارِيُّ في تفسير سورة الرحمن وتعليق الحارث وصله مسلم ولفظه إن للعبد في الجنة لخيمة من لؤلؤة مجوفة طولها ستون ميلًا.

(حَدَّثَنَا الْحُمَيْدِيُّ) قد تكرر ذكره وهو عَبْدُ اللَّهِ بن الزبير بن عيسى قَالَ:

(حَدَّثَنَا سُفْيَانُ) هو ابن عيينة قَالَ: (حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ) بالزاي والنون عَبْدُ اللَّهِ بن

ذكوان: (عَنِ الْأَعْرَجِ) عبد الرحمن بن هرمز، (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)

أَنَّهُ (قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: قَالَ اللَّهُ: «أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ» قِيلَ: إِنَّهُ

يدل على وجود الجنة لأن الإعداد غالبًا لا يكون إلا لشيء حاصل.

(مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ) كلمة ما هنا إما موصولة أو موصوفة وعين نكرة وقعت في

سياق النفي فأفاد الاستغراق والمعنى ما لم ير عين من العيون وهو من قبيل قوله:

﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حِمِيمٍ وَلَا شَفِيعٌ يُطَاعُ﴾ [غافر: 18] وقد أطلال الْعَيْنِي فِي هَذَا

فَقَالَ: فيحمل على نفي الرؤية والعين معا أو نفي الرؤية فحسب أي: لا رؤية ولا

عين أو لا رؤية وعلى الأول الغرض منه نفي العين وإنما ضمت إليه الرؤية ليؤذن

بأن انتفاء الموصوف أمر محقق لا نزاع فيه وبلغ في تحقيقه إلى أن صار كالشاهد

على نفي الصفة وعكسه. انتهى فليتأمل.

(وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ) هو كالأول، (وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ) هو من باب قوله

تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذَرَتُهُمْ﴾ [غافر: 52] وقوله على لاحب لا يهتدى

فَاقْرَؤُوا إِن شِئْتُمْ : ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة : 17] .

بمناره أي : لا قلب ولا خطر أو لا خطور فجعل انتفاء الصفة دليلاً على انتفاء الذات أي : إذا لم يحصل ثمرة القلب وهو الخطور فلا قلب كقوله تعالى : ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِّمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق : 37] فإن قلت لم خص البشر هنا دون القرينتين السابقتين .

فالجواب : أن يقال لأنهم هم الذين ينتفعون بما أعد لهم ويهتمون بشأنه ويخطرونه ببالهم بخلاف الملائكة .

(فَاقْرَؤُوا إِن شِئْتُمْ ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾) قَالَ الداودي هو من قول أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ورد عليه ابن التين وَقَالَ الظاهر خلافه وأنه من قوله ﷺ ثم الحديث كالتفصيل للآية فإنها نفت العلم والحديث نفى طرق حصوله قَالَ الرَّمْخُسَرِيُّ قوله تعالى : ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ أي : لا تعلم النفوس كلهن ولا نفس واحدة منهن ولا ملك مقرب ولا نبي مرسل أي : نوع عظيم من الثواب ادخر الله تعالى لأولئك وأخفاه عن جميع خلائقه لا يعلمه إلا هو مما تقر به عيونهم ولا مزيد على هذه العدة ولا مطمح وراءها انتهى .

ويقال أقر الله عينك ومعناه أبرد الله تعالى دمعته لأن دمعة الفرح باردة حكاه الأصمعي وَقَالَ غيره بلغك الله أمنيته حتى ترضى به نفسك فلا تستشرف إلى غيره فعلى هذا فالمراد بالصالحين في الحديث ما وصفهم الله تعالى في القرآن بأنهم الذين إذا ذكروا أو وعظوا بأيات الله .

﴿خَرُّوا سُجَّدًا﴾ [السجدة : 15] خوفًا من عذابه ﴿وَسَبَّحُوا﴾ أي : نزهوه عما لا يليق كالعجز عن البعث ﴿بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ أي : حامدين له شكرا على ما وفقهم للإسلام وآتاهم الهدى ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ عن الإيمان والطاعة كما يفعل من يصير مستكبرا ﴿لَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ﴾ [السجدة : 16] أي : ترتفع وتتنحى ﴿عَنِ الْمَصَاجِعِ﴾ أي : الفرش ومواضع النوم ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ أي : داعين إياه ﴿خَوْفًا﴾ من سخطه ﴿وَطَمَعًا﴾ في رحمته ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ في وجوه الخير وعن النَّبِيِّ ﷺ إذا جمع الله الأولين والآخرين جاء مناد ينادي بصوت يسمع الخلائق كلهم سيعلم أهل الجمع اليوم من أولى بالكرم ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانت

3245 - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُقَاتِلٍ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَلْجُ الْجَنَّةَ صُورَتُهُمْ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، لَا يَبْصُقُونَ فِيهَا، وَلَا يَمْتَخِطُونَ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ،

تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانوا يحمدون الله في السراء والضراء فيقومون وهم قليل فيسرحون جميعاً إلى الجنة ثم يحاسب سائر الناس وقيل كان ناس من الصحابة يصلون المغرب إلى العشاء فنزلت فيهم، والله تعالى أعلم.

اللَّهُمَّ اجعلنا منهم ثم قوله تعالى في آخر الآية المذكورة في الحديث: ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: 17] أي: جوزوا جزاءً وأخفى للجزاء فإن إخفائه لعلو شأنه وقيل هذا القوم أخفوا أعمالهم فأخفى الله ثوابهم جزاءً وفاً. (حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُقَاتِلٍ) قَالَ: (أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ) هو ابن المبارك قَالَ: (أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أنه (قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوَّلُ زُمْرَةٍ) أي: جماعة (تَلْجُ الْجَنَّةَ) أي: تدخل من ولج يلج ولوجاً (صُورَتُهُمْ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ) أي: في الإضاءة وسيأتي في الرقاق بلفظ يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً تضيء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر ويجيء هنا في الرواية الثانية والذين على آثارهم كأشد كوكب إضاءة⁽¹⁾.

(لَا يَبْصُقُونَ فِيهَا) من البصاق، (وَلَا يَمْتَخِطُونَ) من المخاط، (وَلَا يَتَغَوَّطُونَ) من الغائط وهو كناية عن الخارج من السبيلين جميعاً وزاد في صفة آدم لا يبولون ولا يتفلون ويأتي في الرواية الثانية ولا يسقمون⁽²⁾.

وفي رواية مسلم من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يأكل أهل الجنة ويشربون ولا يبولون ولا يتغوطون طعامهم ذلك جشاء كريح المسك وفي رواية النَّسَائِيِّ من حديث زيد بن أرقم قَالَ جاء رجل من أهل الكتاب فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ يَا أَبَا الْقَاسِمِ تَزْعُمُ أَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ قَالَ: نعم إن أحدكم ليعطى قوة مائة

(1) وزاد مسلم في رواية أخرى: ثم هم بعد ذلك منازل.

(2) وقد اشتمل ذلك على نفي جميع صفات النقص عنهم.

آتَيْتُهُمْ فِيهَا الذَّهَبُ، أَمْشَاطُهُمْ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَمَجَامِرُهُمُ الْأُلُوءَةُ،

رجل في الأكل والشرب والجماع قَالَ الذي يأكل ويشرب تكون له الحاجة⁽¹⁾ وليس في الجنة أذى قَالَ ﷺ: «يكون حاجة أحدهم رشحا يفيض من جلودهم كرشح المسك»⁽²⁾

وَقَالَ الطَّبْرِيُّ: السائل ثعلبة بن الحارث.

وَقَالَ ابن الجوزي: لما كانت أغذية أهل الجنة في غاية اللطافة والاعتدال لم يكن فيها أذى ولا فضلة تستقدر بل يتولد عن تلك الأغذية أطيب ريح وأحسنه. (آتَيْتُهُمْ فِيهَا الذَّهَبُ) وفي الرواية الآتية والفضة وَقَالَ في الأمشاط الذهب فقط فكأنه اكتفى في الموضوعين بذكر أحدهما عن الآخر فإنه يحتمل أن يكون الصنفان لكل منهما ويحتمل أن يكون أحد الصنفين لبعضهم والآخر للبعض الآخر ويؤيده حديث أبي موسى مرفوعاً جنتان من ذهب آتيتهما وما فيهما الحديث متفق عليه ويؤيد الأول ما أخرجه الطبراني بإسناد قوي عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً أن أدنى أهل الجنة درجة لمن يقوم على رأسه عشرة آلاف خادم بيد كل واحد صحفتان واحدة من ذهب والأخرى من فضة الحديث.

(أَمْشَاطُهُمْ) جمع مشط مثلث الميم والأفصح ضمها، (مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَمَجَامِرُهُمْ) جمع مجمرة وهي المبخرة سميت مجمرة لأنها يوضع فيها الجمر ليفوح به ما يوضع فيها من البخور وقوله مجامرهم مبتدأ خبره قوله.

(الْأُلُوءَةُ) بفتح الهمزة ويجوز ضمها وبضم اللام وتشديد الواو وقد روي بكسر اللام أَيْضًا وحكى ابن التين كسر الهمزة وتخفيف الواو والهمزة أصلية.

وقيل: زائدة أراها فارسية عربت وهي العود الذي يتبخر به ويفهم منه أن مجامرهم نفس العود ولكن في الرواية الثانية ووقود مجامرهم الألوة فعلى هذا يكون المضاف هنا محذوفاً.

وقال الكِرْمَانِيُّ: في الجنة نفس المجرمة هي العود وإلا فمجامر الدنيا أَيْضًا كذلك.

(1) قوله أليس له الحاجة، وفي رواية يكون له الحاجة.

(2) قوله كرشح المسك، ويروى كريح المسك.

وَرَشَحَهُمُ الْمِسْكُ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ،

وَقَالَ الطَّبِيبُ: المجامر جمع مجمرة بكسر الميم وهو الذي يوضع النار فيه للبخور وبالضم هو الذي يتبخر به وأخذ له الجمر ثم قَالَ: والمراد في الحديث هو الأول وفائدة الإضافة أن الألوّة هي الوقود نفسه بخلاف المتعارف فإن وقودهم غير الألوّة.

وَقَالَ الْكِرْمَانِيُّ: المجامر جمع والألوّة مفرد فلا مطابقة بين المبتدأ والخبر وأجاب بأن الألوّة جنس فإن قيل إن رائحة العود إنما تفوح بوضعه في النار والجنة لا نار فيها فالجواب أنه يحتمل أن يشتعل بغير نار وإنما سميت مجمرة باعتبار ما كان في الأصل ويحتمل أن يكون بنار لا ضرر فيها ولا إحراق ولا دخان وقيل تفوح بغير اشتعال ومثل ذلك ما أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعاً إن الرجل في الجنة ليشتهي الطير فيخر بين يديه مشوياً⁽¹⁾ وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ قد يقال أي حاجة لهم إلى المشط وهم مرد وشعورهم لا تشنج⁽²⁾ وأي حاجة لهم إلى البخور وريحهم أطيب من المسك قَالَ ويجاب بأن نعيم أهل الجنة من أكل وشرب وكسوة وطيب ليس عن ألم جوع أو ظمأ أو عري أو تنن وإنما هي لذات مترادفة ونعم متوالية والحكمة في ذلك أنهم ينعمون بنوع ما كانوا يتنعمون به في الدنيا وَقَالَ النَّوَوِيُّ مذهب أهل السنة أن تنعم أهل الجنة على هيئة تنعم أهل الدنيا إلا ما بينهما من التفاوت في اللذات ودل الكتاب والسنة على أن نعيمهم لا انقطاع له.

(وَرَشَحَهُمُ الْمِسْكُ) أي: عرقهم كالمسك في طيب الرائحة، (وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ) أي: من نساء الدنيا فقد روى أحمد من وجه آخر عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعاً في صفة أدنى أهل الجنة منزلة وأن له من الحور العين اثنتين وسبعين زوجة سوى أزواجه من الدنيا وفي حديث أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن مسلم في صفة أدنى أهل الجنة ثم يدخل عليه زوجاته والذي يظهر أن المراد أن أقل ما لكل واحد منهم زوجتان.

(1) وفيه الاحتمال المذكور.

(2) أي: لا تنقبض.

يُرَى مُخٌ سَوْقِهِمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ مِنَ الْحُسْنِ،

وَقَالَ الطَّبِيُّ: الظاهر أن التثنية يعني في قوله زوجتان للتكرير لا للتحديد.
﴿ثُمَّ أَتِجِعَ أَبْصَرَ كَرَيْنٍ﴾ [الملك: 4] وقد جاء أن للواحد من أهل الجنة العدد الكثير من الحور العين وقيل يجوز أن يكون ذلك نحو لبيك وسعديك فإن المراد تلبية بعد تلبية وليس المراد نفس التثنية ويمكن أن يكون ذلك باعتبار الصنفين نحو زوجة طويلة وزوجة قصيرة أو إحداهما كبيرة والأخرى صغيرة، والله تعالى أعلم.

وقال الحافظ العسقلاني استدل أبو هريرة رضي الله عنه بهذا الحديث على أن النساء في الجنة أكثر من الرجال كما أخرجه مسلم من طريق ابن سيرين عنه وهو واضح لكن يعارضه قوله ﷺ في حديث الكسوف المتقدم: «رأيتكن أكثر أهل النار» ويجب بأنه لا يلزم من أكثريتهن في النار ففي أكثريتهن في الجنة لكن يشكل على ذلك قوله ﷺ في الحديث الآخر: «اطلعت في الجنة فرأيت أقل ساكنيها النساء» لكن يحتمل أن يكون ذلك في أول الأمر قبل خروج العصاة من النار بالشفاة كما مر ويحتمل أن يكون الراوي رواه بالمعنى الذي فهمه من أن كونهن أكثر ساكني النار يلزم منه أن يكن أقل ساكني الجنة وليس ذلك بلازم كما لا يخفى فاهم.

فائدة:

قَالَ النَّوَوِيُّ كَذَا وَقَعَ زَوْجَتَانِ بِنَاءِ التَّأْنِيثِ وَهِيَ لُغَةٌ كَثُرَتْ فِي الْحَدِيثِ وَالْأَشْهُرُ خِلَافُهَا وَبِهِ جَاءَ الْقُرْآنُ وَذَكَرَ أَبُو حَاتِمٍ السَّجِسْتَانِيُّ أَنَّ الْأَصْمَعِيَّ كَانَ يَنْكُرُ زَوْجَةً وَيَقُولُ إِنَّمَا هِيَ زَوْجٌ قَالَ فَأَنْشَدَنَا قَوْلَ الْفَرَزْدَقِ:

وَأَنَّ الَّذِي يَسْعَى لِيُفْسِدَ زَوْجَتِي لَسَاعٍ إِلَى أَسَدِ الشَّرِّ يَسْتَبِيلُهَا
قَالَ فَسَكَتَ ثُمَّ ذَكَرَ لَهُ شَوَاهِدَ أُخْرَى.

(يُرَى مُخٌ سَوْقِهِمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ مِنَ الْحُسْنِ) وفي الرواية الثالثة من وراء العظم واللحم والمخ بضم الميم وتشديد الخاء المعجمة ما في داخل العظم والمراد به وصفها بالصفاء البالغ وإن ما في داخل العظم لا يستتر بالعظم واللحم والجلد وفي رواية الترمذي ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة حتى يرى

لا اِخْتِلَافَ بَيْنَهُمْ وَلَا تَبَاغُضَ، قُلُوبُهُمْ قَلْبٌ وَاحِدٌ، يُسَبِّحُونَ اللَّهَ بُكْرَةً وَعَشِيًّا»⁽¹⁾.

مخها وفي رواية أحمد من رواية أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ينظر وجهه في خدها أصفى من المرأة من الحسن يجوز أن تكون للتعليل وأن تكون بيانية.

(لا اِخْتِلَافَ بَيْنَهُمْ) أي: بين أهل الجنة، (وَلَا تَبَاغُضَ) لصفاء قلوبهم ونظافتها من الكدورات.

(قُلُوبُهُمْ) مرفوع على الابتداء وخبره قوله.

(قَلْبٌ وَاحِدٌ) بالإضافة في رواية الأكثرين وللمستملي بالتونين ورفع واحد على أنه صفة لقلب وهو من التشبيه الذي حذفت أدواته للمبالغة أي: كقلب رجل واحد وقد فسرهُ بقوله: «لا تحاسد فيهم ولا اختلاف» أي: أن قلوبهم طاهرة عن الأخلاق المذمومة.

(يُسَبِّحُونَ اللَّهَ بُكْرَةً وَعَشِيًّا) وسيجيء تفسيرها في آخر الرواية الآتية أي:

(1) قال ابن أبي جمرة في البهجة: ظاهر الحديث الإخبار بحسن أول زمرة يدخلون الجنة وما لهم من النظافة وحسن أزواجهم والزمرة الجماعة.
والكلام عليه من وجوه:

منها: لم شبه عليه الصلاة والسلام صورهم بصورة القمر ليلة البدر وذلك لأنه أجمل شيء في هذه الدار ولو كان شيء في هذه الدار أتم جمال منه لشبههم به؟

وفيه بحث: وهو لم قال عليه الصلاة والسلام صورتهم ولم يقل وجوههم؟

والجواب: أنه عليه الصلاة والسلام ما أراد من تمثيل صورتهم بصورة البدر أنهم مثله ليس إلا وإنما القمر هو نور وليلة البدر يكمل نوره فيكون معنى التشبيه أنهم نوريون في أتم ما يكون من النور بدليل قوله ﷺ: «لو أن رجلاً من أهل الجنة اطلع فبدا سواره لطمس ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم» وقال عليه الصلاة والسلام: «لو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت إلى أهل الأرض لأضاءت الدنيا وما فيها ولملأت ما بينهما ريحاً ولنصفها» يعني خمارها خير من الدنيا وما فيها «فإذا كان سواره يطمس ضوء الشمس فكيف يكون وجهه مثل البدر» هذا مستحيل فبان ما أشرنا إليه أنه عليه الصلاة والسلام ما أراد إلا تمام نورهم بحسب نور تلك الدار فكذلك شبه عليه الصلاة والسلام بالصورة ولم يذكر الوجه ولا شيئاً من الحواس كما مثل مولانا جل جلاله فرشهم فقال: ﴿بَطَانَتُنَا مِنْ إِسْتَرْقٍ﴾ [الرحمن: 54] الذي هو أعلى ما في هذه الدار ولم يخبرنا عن الوجوه لأنه ليس في هذه الدار شيء يشبهها.

وفيه دليل: على أن حسن الخلقة من جملة النعم وفيه أيضاً ما يقوي ما قلناه لأنه إذا كانت زوجاته يرى من إحداهن مخ الساق منها الذي هو داخل العظم من وراء الجلد ومن وراء =

مقدارهما قَالَ الْقُرْطُبِيُّ هذا التسبيح ليس عن تكليف وإلزام وقد فسره جابر رَضِيَ

سبعين حلة فكيف يكون وجهها فيرى الساق منها أجمل من القمر هنا فكيف الوجه.
وهنا بحث: لم قال عليه الصلاة والسلام زوجتان وقد قال ﷺ: «إِنْ أَقْلَ أَهْلَ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةٌ يَكُونُ لَهُ اثْنَتَانِ وَسَبْعُونَ زَوْجَةً وَثَمَانُونَ أَلْفَ خَادِمٍ» فإذا كان أقلهم منزلة باثنتين وسبعين فكيف بأعلاهم.

والجواب: واللّه أعلم أن حسن هاتين الزوجتين هو أعلى حسن الجنة المقربون يشربون من عين التسنيم ويمزج به شراب الغير كما أخبر الحق جل جلاله بقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مِنْ تَسْنِيمٍ عَيْنًا يُشْرَبُ بِهَا الْمَرْغُوبُ﴾ [المطففين: 27 - 28] حتى يكون له التفضيل في كل شيء في الجمال والأزواج والشراب وكذلك الفواكه كما أخبر بقوله تعالى: ﴿وَفِي كَهْزَبٍ مِمَّا يَنْخَرِجُونَ﴾ [الواقعة: 20] وقال تعالى في أصحاب اليمين: ﴿وَفِي كَهْزَبٍ كَثِيرَةٍ﴾ [الواقعة: 32] ففي مثل هذا فليتنافس المتنافسون وقد ذكر عن بعض المتعبدین أنه رأى بعض إخوانه قد أجهد نفسه في العبادة فأخذ ينديه إلى الرفق قليلاً فقال له أقدر لأنني رأيت فيما يرى النائم حورية من حور العين لها حسن وجمال فقلت لها لمن أنت فقالت لك وأنا أحبك وأخاف أن تقتر في العبادة فأفوتك فعاهدتها أن لا أفتر حتى يجمع الله بيننا فلا يمكنني نكث العهد وقوله عليه الصلاة والسلام: «لَا يَبْصِقُونَ فِيهَا وَلَا يَتَمَخَّطُونَ وَلَا يَغْطُطُونَ» إعلام منه عليه الصلاة والسلام بتنزيه تلك الدار عن الفضلات المستندرة وعن النجاسات بخلاف هذه.

وفيه دليل: على عظيم قدرة الله تعالى يؤخذ ذلك من كون أهل تلك الدار ليس لهم غائط ولا بول ولا فضلة مستندرة مع كثرة أكلهم لأنه قد أخبر ﷺ: «أَنَّهُ يُؤْتَى لِلْمُؤْمِنِ بِغِذَائِهِ فِي مَائِدَةٍ يَكُونُ عَلَيْهَا أَلْفُ زَبْدِيَّةٍ مِنَ الْفَضَّةِ فِي كُلِّ زَبْدِيَّةٍ لَوْنٌ لَا يَشْبَهُ غَيْرَهُ» يعني في الطعم أو كما قال عليه الصلاة والسلام: «يَأْكُلُ مِنْ آخِرِهَا مِثْلَ مَا يَأْكُلُ مِنْ أَوَّلِهَا وَهَذَا إِذَا أَكَلَ زِيَادَةً بِسِيرَةٍ تَخَمَّتْ مَعْدَتُهُ وَكَثُرَتْ فَضْلَاتُهُ فَهَذَا أَدْلُ دَلِيلٍ عَلَى عَظِيمِ الْقُدْرَةِ وَأَنَّ الْأَشْيَاءَ هِيَ بِمَقْتَضَى الْإِرَادَةِ لَا بِالْعَادَةِ وَلَا بِاللَّازِمِ وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «أَتَيْتُهُمْ فِيهَا الذَّهَبُ» إخبار بالتمتع هناك بالذهب وهو هنا محرم وقد قال عليه الصلاة والسلام في حق الكفار: «هُوَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَهُوَ لَنَا فِي الْآخِرَةِ» يعني أواني الذهب وفي إخباره عليه الصلاة والسلام بهذا أدل دليل على سعة رحمة الله تعالى وغناه عن جميع خلقه يؤخذ ذلك من كونه عز وجل قد أعطى الكفار هنا أن يستمتعوا بأواني الذهب والفضة مع كفرهم حتى لا يحرموا منه بالكلية وكذلك جعل عز وجل لهم حظاً من النعيم في هذه الدار.

وفيه أيضاً دليل: لأهل الصوفية الذين يقولون إن أسماء الله عز وجل كلها لا بد أن يظهر من كل اسم أثر في العبادة يدل عليه فمن أسمائه عز وجل الرحمن فأعطي من مدلول هذا الاسم نسبة للكفار في هذه الدار ومن أسمائه عز المنتقم فنال المؤمنون من مدلول هذا الاسم ما يلحقهم في هذه الدار من التشويشات كل بحسب ما شاء الله تعالى وما قسم.

وهنا بحث: وهو أن يقال ما حاجتهم لاتخاذ الأمشاط وهم ليس معهم قدر ولا هوام ولا شيء يؤذيهم؟

اللَّهُ عَنْهُ فِي حَدِيثِهِ عِنْدَ مُسْلِمٍ بِقَوْلِهِ يَلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ والتَّكْبِيرَ كما يَلْهَمُونَ النَّفْسَ وَوَجْهَ التَّشْبِيهِ أَنَّ نَفْسَ الْإِنْسَانِ لَا كَلْفَةَ عَلَيْهِ فِيهِ وَلَا بَدْلَ لَهُ مِنْهُ فَجَعَلَ تَنْفُسَهُمْ تَسْبِيحًا وَسَبِّبَهُ أَنْ قُلُوبَهُمْ تَنْوَرُ بِمَعْرِفَةِ الرَّبِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَامْتَلَأَتْ بِحَبِّهِ وَمِنْ أَحَبِّ شَيْئًا أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِهِ فَإِنْ قِيلَ لَا بَكْرَةَ وَلَا عَشِيَّةَ إِذْ لَا طُلُوعَ وَلَا غُرُوبَ فَالْجَوَابُ أَنَّ الْمُرَادَ مِنْهُ مَقْدَارُهُمَا كَمَا سَبَقَتْ الْإِشَارَةُ إِلَيْهِ بَلِ الْمُرَادُ مِنْهُمَا الدَّوَامُ فَإِنَّهُمْ دَائِمًا يَتَلَذَّذُونَ بِهِ كَذَا قَالَ الْكِرْمَانِيُّ، وَاعْتَرَضَ عَلَيْهِ الْعَيْنِيُّ بِأَنَّهُمْ إِذَا تَلَذَّذُوا بِهِ دَائِمًا يَبْقَى قَوْلُهُ بِكْرَةَ وَعَشِيًّا بَلَا فَائِدَةَ وَالظَّاهِرُ أَنَّ تَسْبِيحَهُمْ يَكُونُ فِي هَذَيْنِ

فالجواب: إنه قد يكون اتخاذها على جهة التمتع والترفة لأنها مما يزيد بها الحسن أنه لم يكن هناك قدر ولا هوام تؤذي.

وفيه دليل: على كمال نعيم تلك الدار وقوله عليه الصلاة والسلام: «ومجامرهم الألوة» فيه دليل على فضل هذا العود الذي منه مجامر أهل الجنة وهو أيضًا مثل ما تقدم في الأمشاط لأن اتخاذهم المجامر لغير ضرورة بل هي من جملة الترفه وقوله عليه الصلاة والسلام: «ورشحهم المسك» الكلام عليه مثل الكلام على صورتهم صورة البدر لأنه أجل المشمومات في هذه الدار ومما يبين ذلك ما ذكره قبل من قوله عليه الصلاة والسلام: «ولملأت ما بينهما ريحًا» فأين هذا من المسك؟ لكن يكون نسبة المثال أن عرقهم من أجل طيب تلك الدار كما أن المسك هنا من أجل الطيب في هذه الدار.

وقوله عليه الصلاة والسلام: «لا اختلاف بينهم ولا تباغض» إلى آخر الحديث فيه من الفقه إن من أكمل النعيم إنفاق العيال لأنه من جملة سرور النفس ولذلك كان بعض السادة إذا رأى تغيرًا في خلق أهله قال زلة وقعت مني فيرجع مخافى النفس حتى يجد تلك الغفلة التي وقعت منه لأنه لا يكون مع الرضى والاستقامة تشويش.

وفيه دليل: على توافق شهواتهم يؤخذ ذلك من قوله عليه الصلاة والسلام: «قلوبهم قلب واحد».

وفيه دليل: على أن سبب الافتراق في هذه الدار ما في القلوب من التباغض والضغائن فلما طهرت هناك القلوب ما أخبر جل جلاله في كتابه بقوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ﴾ [الحجر: 47] جاء الود والسرور التام.

وفيه دليل: على أن حال أهل تلك الدار على حالتين تسبيح لله تعالى مرة وتنعم أخرى يؤخذ ذلك من كونه عليه الصلاة والسلام أخبر عن تسبيحهم في الزمان بقدر ما أخبر مولانا جل جلاله عن قدره في أكلهم بقوله عز وجل: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: 62] وقد جاء أنهم يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس فصح لهم نعيم دائم مختلف الوجوه جعلنا الله منهم بفضلهم وصلى الله على سيدنا محمد الكريم وآله.

3246 - حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَالَّذِينَ عَلَى إِثْرِهِمْ كَأَشَدُّ كَوْكَبٍ إِضَاءَةً، قُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، لَا اخْتِلَافَ بَيْنَهُمْ وَلَا تَبَاغُضَ، لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ، كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا يَرَى مُخَّ سَاقِهَا مِنْ وَرَاءِ لَحْمِهَا مِنَ الْحُسْنِ، يُسَبِّحُونَ اللَّهَ بُكْرَةً وَعَشِيًّا، لَا يَسْقَمُونَ، وَلَا يَمْتَحِطُونَ، وَلَا يَبْصُقُونَ، آتِيَهُمُ الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ، وَأَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ،

الوقتین فإن قيل کیف يعرفون هذين الوقتین بلا لیل ولا نهار هنا قلت قد قيل إن تحت العرش ستارة معلقة تطوی وتنشر على يد ملک فإذا طواها يعلمون أنهم لو كانوا في الدنيا كان هذا الوقت نهاراً وإذا أسبلها يعلمون أنهم لو كانوا في الدنيا كان هذا الوقت لیلاً وانتصاب بكرة وعشیاً على الظرفية.

(حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ) الحكم بن نافع قَالَ: (أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ) قَالَ: (حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ) عَبْدُ اللَّهِ بْنُ ذَكْوَانَ، (عَنِ الْأَعْرَجِ) عبد الرحمن بن هرمز، (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَالَّذِينَ عَلَى إِثْرِهِمْ) بكسر الهمزة وسكون الثاء المثناة وفتحتها أيضاً أي: الذين يدخلون الجنة عقيب الأولین أو الذين يدخلون بعدهم.

(كَأَشَدُّ كَوْكَبٍ إِضَاءَةً) وإنما أفرد المضاف إليه ليفيد الاستغراق في هذا النوع من الكوكب يعني إذا انقضت كوكباً كوكباً رأيتهم كأشد ضياء وإضاءة والفرق بين هذا وبين التركيب السابق أن الوجه في الثاني هو الإضاءة فقط وفي الأول الهيئة والحسن والضوء كما إذا قلت إن زيداً على صورة الأسد أي: في هيئته وجراءته وهذا التشبيه قريب من الاستعارة المكنية.

(قُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، لَا اخْتِلَافَ بَيْنَهُمْ وَلَا تَبَاغُضَ، لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ، كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا يَرَى مُخَّ سَاقِهَا مِنْ وَرَاءِ لَحْمِهَا مِنَ الْحُسْنِ، يُسَبِّحُونَ اللَّهَ بُكْرَةً وَعَشِيًّا، لَا يَسْقَمُونَ، وَلَا يَمْتَحِطُونَ، وَلَا يَبْصُقُونَ، آتِيَهُمُ الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ، وَأَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ) وفي الحديث السابق قَالَ: آتِيَهُمُ الذَّهَبُ وهنا زاد الفضة وفي الأمشاط ذكر بعكس ذلك فكأنه اكتفى في الموضوعين بذكر أحدهما كما مر ويحتمل أن يكون ذكر الذهب بيان حال الزمرة الأولى وذكر الفضة بيان

وَقُوْدُ مَجَاهِرِهِمِ الْأَلْوَةُ - قَالَ أَبُو الْيَمَانِ: يَعْنِي الْعُودَ -، وَرَشَحُهُمُ الْمِسْكُ» وَقَالَ مُجَاهِدٌ: الْإِنْكَارُ: أَوَّلُ الْفَجْرِ، وَالْعَشِيُّ: مِثْلُ الشَّمْسِ إِلَى أَنْ - تَرَاهُ - تَغْرُبَ.

3247 - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الْمُقَدَّمِيُّ، حَدَّثَنَا فَضِيلُ بْنُ سُلَيْمَانَ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «لِيَدْخُلَنَّ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا، أَوْ سَبْعُمِائَةِ أَلْفٍ،

حال الزمرة الثانية فآتية الزمرة الأولى من الذهب لشرفهم وآتية الزمرة الثانية من الفضة فتتفاوت فتفاوت الأواني بحسب تفاوت أصحابها وأما الأمشاط فلا تفاوت بينهم فيها فلم يذكر الفضة هنا ولما علم ثمة أن أمشاط الزمرة الأولى قد تكون الفضة فغيرهم بالطريق الأولى، والله تعالى أعلم.

(وَوَقُوْدُ مَجَاهِرِهِمِ الْأَلْوَةُ) قد مر الكلام فيه في الحديث السابق.

(قَالَ أَبُو الْيَمَانِ يَعْنِي الْعُودَ -، وَرَشَحُهُمُ الْمِسْكُ وَقَالَ مُجَاهِدٌ: الْإِنْكَارُ: أَوَّلُ الْفَجْرِ، وَالْعَشِيُّ: مِثْلُ الشَّمْسِ إِلَى أَنْ تَرَاهُ) أَرَاهُ: بضم الهمزة أي: أظنه وهي جملة معترضة بين قوله إلى أن وقوله: (تَغْرُبَ) وكان الْبُخَارِيُّ شك في لفظ تغرب فأدخل قبلها أراه يعني أن مبدأ العشي معلوم وآخره مظنون وتغرب منصوب بأن وتعليق مجاهد هذا وصله عبد بن حميد والطبري وغيرهما من طريق ابن أبي نجيج عن مجاهد بلفظ إلى أن تغيب.

وَقَالَ الطَّبْرِيُّ الْإِبْكَارُ: مصدر تقول أبكر فلان في حاجته يبكر إِبْكَارًا إذا خرج من بين طلوع الفجر إلى وقت الضحى وأما العشي فمن بعد الزوال قَالَ الشاعر:

فَلَا الظِّلُّ مِنْ بَرْدِ الضُّحَى تَسْتَطِيعُهُ وَلَا الْفَيْءُ مِنْ بَرْدِ الْعَشِيِّ يَذُوقُ

قَالَ: والفيء يكون عند زوال الشمس ويتناهى بمغيبها.

(حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الْمُقَدَّمِيُّ) بفتح الدال قَالَ: (حَدَّثَنَا فَضِيلُ بْنُ سُلَيْمَانَ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ) بالحاء المهملة والزاي اسمه سلمة بن دينار، (عَنْ سَهْلِ ابْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ) أنه (قَالَ: لِيَدْخُلَنَّ) بفتح اللام للتأكيد وهو أيضًا مؤكد بالنون الثقيلة (مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا، أَوْ سَبْعُمِائَةِ أَلْفٍ) شك من الراوي كذا قاله ابن التين.

وفي حديث مسلم عن عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعاً : «يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب» .

وفي حديث الترمذي عن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعاً : «وعندي ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفاً لا حساب عليهم ولا عذاب مع كل ألف سبعون ألفاً وثلاث حثيات من حثيات ربي عز وجل» وَقَالَ : غريب .

وفي حديث البزار من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بلفظ : «مع كل واحد من السبعين ألفاً سبعون ألفاً» .

وفي كتاب الشفاعة للقاضي إِسْمَاعِيل من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعاً : «أن الله وعدني أن يدخل الجنة من أمتي أربعمائة ألف» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ زِدْنَا فَقَالَ وهكذا فَقَالَ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حسبك يا أبا بكر فَقَالَ دعني يا عمر وما عليك أن يدخلنا الله الجنة كلنا قَالَ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إن شاء الله أدخل خلقه الجنة بحثية واحدة فَقَالَ ﷺ : «صدق عمر» .

وروى الكلاباذي من حديث عبد العزيز اليماني عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت : فقدت رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ذات يوم فاتبعته فإذا هو في مشربة يصلي فرأيت على رأسه ثلاثة أنوار فلما قضى صلاته قَالَ : «من هذه؟» قلت عَائِشَةُ فَقَالَ : «هل رأيت الأنوار؟» قلت نعم قَالَ : «إن آت أتاني من ربي عز وجل فبشرني أن الله عز وجل يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفاً بغير حساب ولا عذاب ثم أتاني في اليوم الثاني آت من ربي فبشرني أن الله تعالى يدخل من أمتي مكان كل واحد من السبعين ألفاً سبعين ألفاً بغير حساب ولا عذاب ثم أتاني في اليوم الثالث آت من ربي فبشرني أن الله تعالى يدخل من أمتي مكان كل واحد من السبعين ألفاً المضاعفة سبعين ألفاً بغير حساب ولا عذاب فقلت يا ربي لا يبلغ هذا أمتي قَالَ يكملون من الأعراب ممن لا يصوم ولا يصلي» ثم قَالَ الكلاباذي اختلف الناس في الأمة من هم فَقَالَ قوم أهل الملة .

وَقَالَ آخرون : كل مبعوث إليه ولزمته الحجة بالدعوة وهؤلاء يختلف أحوالهم فمنهم : من بعث إليه ودعي فلم يجب كأهل الأديان من أهل الكتاب

لَا يَدْخُلُ أَوْلَهُمْ حَتَّى يَدْخُلَ آخِرُهُمْ، وَجُوهُهُمْ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ».

3248 - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْجُعْفِيُّ، حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا شَيْبَانُ، عَنْ قَتَادَةَ، حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أَهْدَيْ لِلنَّبِيِّ ﷺ جُبَّةً سُنْدُسٍ وَكَانَ يَنْهَى عَنِ الْحَرِيرِ فَعَجِبَ النَّاسُ مِنْهَا فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَمَنَادِيلُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فِي الْجَنَّةِ أَحْسَنُ مِنْ هَذَا».

وسائر المشركين فهؤلاء لا يدخلون الجنة أبداً.

ومنهم: من دعي فأجاب ولم يتبع من جهة استعمال ما لزمه بالإجابة فهو مؤمن بإجابته إلى ما دعي من التوحيد والرسالة وإن لم يستعمل ما أمر به تشاغلاً عنه وخلاعة ومجوناً فهؤلاء من أمة الدعوة والإجابة وليسوا من أمة الاتباع.

ومنهم: من أجاب إلى ما دعي واستعمل ما أمر به فهؤلاء من أمة الدعوة والإجابة والاتباع وهؤلاء الأعراب يجوز أن يكونوا من أمة مُحَمَّدٍ ﷺ من طريق الإجابة إيماناً بالله وبرسوله ولم يستعملوا ما لزمهم بالإجابة⁽¹⁾ والله هو الموفق. (لَا يَدْخُلُ أَوْلَهُمْ حَتَّى يَدْخُلَ آخِرُهُمْ) أَيضاً حَتَّى يَدْخُلَ أَوْلَهُمْ وَإِلَّا لَمْ يَكُنِ الْآخِرَ آخِرًا فَيَلْزِمُ الدُّورَ فَالْجَوَابُ أَنَّ هَذَا دُورٌ مَعِيَةٌ وَإِنَّمَا الْمَمْتَنَعُ دُورُ التَّقَدُّمِ وَالْمَقْصُودُ أَنَّهُمْ يَدْخُلُونَ كُلَّهُمْ مَعَ صَفًا وَاحِدًا.

(وَجُوهُهُمْ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ) جملة اسمية وقعت حال بلا واو.

(حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْجُعْفِيُّ) هو المعروف بالمسندي وهو من أفرادهِ قَالَ: (حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ مُحَمَّدٍ) هو أَبُو مُحَمَّدٍ الْمُؤَدَّبُ الْبَغْدَادِيُّ مَاتَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَمِائَتَيْنِ قَالَ: (حَدَّثَنَا شَيْبَانُ) هو ابْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّحْوِيِّ وَكَانَ مُؤَدِّبًا لِبْنِي دَاوُدَ ابْنَ عَلِيٍّ أَصْلَهُ بَصْرِيٌّ وَسَكَنَ الْكُوفَةَ (عَنْ قَتَادَةَ) أَنَّهُ قَالَ: (حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أَنَّهُ قَالَ: أَهْدَيْ لِلنَّبِيِّ ﷺ جُبَّةً سُنْدُسٍ وَكَانَ يَنْهَى عَنِ الْحَرِيرِ فَعَجِبَ النَّاسُ مِنْهَا فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَمَنَادِيلُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فِي الْجَنَّةِ أَحْسَنُ مِنْ هَذَا» والحديث قد مضى في كتاب الهبة في باب قبول الهدية من المشركين ومر الكلام فيه هناك.

(1) فهؤلاء ليسوا من أمة على معنى الاتباع ومعنى يكملون من الأعراب يعني من هؤلاء الذين آمنوا بالله وبرسوله ولم يستعملوا ما لزمهم بالإجابة.

3249 - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ سُفْيَانَ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو إِسْحَاقَ، قَالَ: سَمِعْتُ الْبَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: أَتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، بِثَوْبٍ مِنْ حَرِيرٍ فَجَعَلُوا يَعْجَبُونَ مِنْ حُسْنِهِ وَلِينِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَمَنَادِيلُ سَعْدِ ابْنِ مُعَاذٍ فِي الْجَنَّةِ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا».

3250 - حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَوْضِعُ سَوْطٍ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا».

3251 - حَدَّثَنَا رَوْحُ بْنُ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ، حَدَّثَنَا

(حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ) قَالَ: (حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ سُفْيَانَ) أَي: الثوري أنه (قَالَ: حَدَّثَنِي) بالافراد (أَبُو إِسْحَاقَ) السبيعي، (قَالَ: سَمِعْتُ الْبَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، بِثَوْبٍ مِنْ حَرِيرٍ فَجَعَلُوا يَعْجَبُونَ مِنْ حُسْنِهِ وَلِينِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَمَنَادِيلُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فِي الْجَنَّةِ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا) أَي: أشرف وقدم الحديث بالإسناد في باب قبول الهدية من المشركين وعقب حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بهذا الحديث لأن في حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَعَجِبَ النَّاسُ مِنْهَا وفي هذا الحديث تفسير له حيث وقع فيه: فجعلوا يعجبون في حسنه ولينه.

(حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ) المعروف بابن المديني قَالَ: (حَدَّثَنَا سُفْيَانُ) هو ابن عيينة (عَنْ أَبِي حَازِمٍ) سلمة بن دينار، (عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه (قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَوْضِعُ سَوْطٍ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا» قَالَ الداوودي: يعني في الحسن والبهجة وَقَالَ غيره: يعني أنه دائم لا يفنى فكان أفضل مما يفنى فإن قيل لم خص السوط بالذكر؟

فالجواب: قلت إن من شأن الراكب إذا أراد النزول في منزل أن يلقي سوطه قبل أن ينزل معلماً بذلك المكان الذي يريده لئلا يسبقه إليه أحد.

(حَدَّثَنَا رَوْحُ) بفتح الراء وبإهمال الحاء (ابْنُ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ) ⁽¹⁾ قَالَ: (حَدَّثَنَا

(1) أبو الحسن وهو بصري هذلي مشهور مقرئ وليس له في البخاري سوى هذا الحديث الواحد.

يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ، حَدَّثَنَا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ، حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَشَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ لَا يَقْطَعُهَا»⁽¹⁾.

يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ (مَصْغَرُ زُرْعٍ) قَالَ: (حَدَّثَنَا سَعِيدٌ) هُوَ ابْنُ أَبِي عَرُوبَةَ، (عَنْ قَتَادَةَ) أَنَّهُ قَالَ: (حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ) أَنَّهُ (قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَشَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ لَا يَقْطَعُهَا»)) وَالْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ

(1) قَالَ ابْنُ أَبِي جَمْرَةَ فِي الْبَهْجَةِ: ظَاهَرُ الْحَدِيثِ الْإِخْبَارُ بِحَسَنِ ثَمَرِ الْجَنَّةِ إِذَا كَانَ الرَّاكِبُ يَسِيرُ فِي ظِلِّ الشَّجَرَةِ الْوَاحِدَةِ مِائَةَ عَامٍ يَقْطَعُهَا لِأَنَّهُ كَلِمَا أَكْثَرَ ظِلَّ الشَّجَرَةِ عَظُمَ حَسْنُهَا. وَالْكَلَامُ عَلَيْهِ مِنْ وَجْهِ:

مِنْهَا: أَنْ يُقَالَ مَا فَائِدَةُ الْإِخْبَارِ بِهَذَا وَمَا يَتَرْتَبُ عَلَيْهِ مِنَ الْفَقْهِ أَمْ فَائِدَةُ الْإِخْبَارِ فِيهِ وَجْهُ:
مِنْهَا: الدَّلَالَةُ عَلَى عَظِيمِ قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى لِأَنَّهُ خَلَقَهُ عَزَّ وَجَلَّ لِتِلْكَ الشَّجَرَةِ عَلَى ذَلِكَ الْقَدْرِ بَلَا مَعَالِجَةٍ حَدِّ دَالٍ عَلَى الْقُدْرَةِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي لَيْسَ كَمِثْلِهَا شَيْءٌ.
وَفِيهِ دَلِيلٌ: عَلَى إِطْلَاعِهِ ﷺ عَلَى أُمُورِ الْآخِرَةِ فَهِيَ تَقْوِيمِيَّةٌ عَلَى الدَّلَالَةِ عَلَى رَفْعِ زَلَّتِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عِنْدَ مَلِكِ الدَّارَيْنِ وَفِيهِ تَشْوِيقُ السَّامِعِ إِذَا كَانَ مِنْ أَهْلِ التَّصَدِيقِ لَتَرْغِيبٍ لَهُ فِي الْعَمَلِ عَلَيْهَا.

وَيَتَرْتَبُ عَلَيْهِ مِنَ الْفَقْهِ قُوَّةُ الْإِيمَانِ وَهُوَ أَعْلَى الْمَرَاتِبِ فَإِنَّهُ إِذَا صَدَقَ الصَّادِقُ ﷺ فِيمَا بِهِ أَخْبَرَ عَظُمَ قَدْرُ الْقَادِرِ فِي قَلْبِهِ وَذَلِكَ قُوَّةٌ فِي الْإِيمَانِ وَلَا تَبْلُغُ مَا لَأَنَّ زِيَادَةَ ذُرَّةٍ فِي الْإِيمَانِ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِ الدَّهْرِ لِأَنَّ الْمَوْلَى جَلَّ جَلَالُهُ قَدْ مَدَحَهُمْ بِذَلِكَ حَيْثُ قَالَ: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة: 3].
وَهُنَا بَحْثٌ: وَهُوَ أَنْ يُقَالَ لَمْ ذَكَرْ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الشَّجَرَةَ نَكْرَةً لَمْ يَعْرِفْهَا. وَالْجَوَابُ: أَنَّهُ لَمَّا كَانَ الْمَقْصُودُ مَا ذَكَرْنَا أَوَّلًا مِنَ الْفَائِدَةِ عَلَى اخْتِلَافِهَا كَانَ مِنَ الْحِكْمَةِ تَنْكِيرُهَا أَمَّا فِي الشَّأْنِ بِدَلِيلٍ أَنَّ شَهَوَاتِ النَّاسِ فِي الثَّمَارِ الْمَعِينَةِ مُخْتَلِفَةٌ مِثْلُ ذَلِكَ قَدْ يَكُونُ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَحِبُّ شَجَرَةَ التِّينِ وَلَا يَحِبُّ شَجَرَةَ الْجُوزِ وَبِالْعَكْسِ فَقَدْ كَانَ يَحْصُلُ لِبَعْضِ النَّاسِ زَهَادَةٌ تِلْكَ الشَّجَرَةِ فَكَانَ التَّنْكِيرُ أَوَّلَى وَفِي ذَلِكَ دَلَالَةٌ عَلَى مَا مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ عَلَى سَيِّدِنَا ﷺ مِنْ تَمَامِ الْمَعْرِفَةِ بِالْأَشْيَاءِ وَحَسَنِ إِرْشَادِهِ لِأَمْتِهِ وَحَسَنِ سِيَاسَتِهِ فِي شَأْنِهِمْ كُلِّهِ.

وَفِيهِ دَلِيلٌ: عَلَى أَنَّ مَشْيَ الرَّاكِبِ فِي الْغَالِبِ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِ وَلِذَلِكَ مِثْلُ بِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. وَهُنَا بَحْثٌ: أَيْضًا وَهُوَ أَنْ يُقَالَ لَمْ قَالَ لِلرَّاكِبِ وَلَمْ يَبَيِّنْ أَيَّ رَاكِبٍ هُوَ وَمَا الْمَرْكُوبُ أَنَّ الْمَرْكُوبَاتِ تَخْتَلِفُ فِي الْأَجْنَاسِ مِثْلُ الْخَيْلِ وَالْحَمِيرِ وَالْإِبِلِ وَكُلِّ جَنْسٍ مِنْهَا يَخْتَلِفُ فِي السَّرْعَةِ وَالْإِبْطَاءِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا.

الْجَوَابُ: هُنَا كَالْجَوَابِ عَلَى الشَّجَرَةِ سِوَاءٍ وَقَدْ يَحْتَمِلُ وَجْهًا آخَرَ هُوَ أَنْ يُؤْخَذَ بِالْوَسْطِ مِنْ ذَلِكَ حَتَّى يَكُونَ فِيهِ طَرِيقٌ بِمَعْرِفَةِ قَدْرِهَا.

وَفِيهِ دَلِيلٌ: عَلَى ارْتِفَاعِ هَذِهِ الشَّجَرَةِ وَعَظَمِهَا لِأَنَّ مَا يَكُونُ ظِلُّهَا ذَلِكَ الْقَدْرَ يَكُونُ ارْتِفَاعُهَا كَثْرَةً مِنْ ذَلِكَ وَجَاءَ أَنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا اشْتَهَى مِنْ جَنِيِّ ثَمَرَةٍ مَا هُوَ فِي أَعْلَى الشَّجَرَةِ أَنْ يَتَدَانَى لَهُ حَتَّى =

3252 - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ، حَدَّثَنَا فُلَيْحُ بْنُ سُلَيْمَانَ، حَدَّثَنَا هِلَالُ بْنُ عَلِيٍّ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي عَمْرَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَشَجَرَةً يَسِيرُ الرَّائِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ سَنَةٍ، وَاقْرَءُوا إِنَّ شِئْئَكُمْ: ﴿وَوَظِلِّ مَذْذُورٍ﴾ [الواقعة: 30].

التِّرْمِذِيُّ مِنْ طَرِيقِ مَعْمَرٍ عَنْ قَتَادَةَ وَزَادَ فِي آخِرِهِ وَإِنْ شِئْتُمْ فَاقْرَءُوا: ﴿وَوَظِلِّ مَذْذُورٍ﴾ [الواقعة: 30].

(حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ) بكسر المهملة وتخفيف النون الأولى وقد مر في العلم قَالَ: (حَدَّثَنَا فُلَيْحُ بْنُ سُلَيْمَانَ) قَالَ: (حَدَّثَنَا هِلَالُ بْنُ عَلِيٍّ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي عَمْرَةَ) بفتح المهملة، (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ) أَنَّهُ (قَالَ: إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَشَجَرَةً يَسِيرُ الرَّائِبُ فِي ظِلِّهَا) أَي: راحتها ونعيمها من قولهم عن ظليل وقيل معناه ناحيتها كما يقال أنا في ظلك أي: في ناحيتك وكفك وأشار بذلك إلى امتدادها.

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: إِنَّمَا احتيج إلى هذا التأويل لأن الظل في عرف أهل الدنيا ما بقي حر الشمس وأذاها وليس في الجنة شمس ولا أذى وإنما هي أنوار متوالية لا حر فيها ولا قربل لذات متوالية ونعم متتابعة.

(مِائَةَ سَنَةٍ، وَاقْرَءُوا إِنَّ شِئْئَكُمْ: ﴿وَوَظِلِّ مَذْذُورٍ﴾) قَالَ الْخَطَّابِيُّ: الشجرة المذكورة يقال إنها طوبى وكذا قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ.

وروى ابن عبد البر من حديث عتبة بن عبد السلمي مرفوعاً: شجرة طوبى تشبه الجوزة قَالَ رجل: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا عَظَمَ أَصْلُهَا قَالَ: لَوْ دَخَلْتَ جَذْعَةَ مَا أَحْطَت بِأَصْلِهَا حَتَّى تَنْكَسِرَ قَوْتَهَا هَرَمًا.

وروى ابن وهب من حديث شهر بن حوشب عن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: طوبى شجرة في الجنة ليس فيها دار إلا وفيها غصن منها ولا طير حسن ولا ثمرة إلا وهي فيها.

وروى ابن أبي حاتم وابن أبي الدنيا في صفة الجنة عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ

يأخذه بيده والمؤمن على أي حالة كان عند اشتهاه ذلك من قيام أو قعود أو اضطجاع فسيحان من هذه قدرته وإبداع حكمته جعلنا الله ممن جعله من سكانها بلا محنة إنه ولي حميد.

3253 - وَلَقَابُ قَوْسٍ أَحَدِكُمْ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ أَوْ تَغْرُبُ».

3254 - حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُنْذِرِ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُلَيْحٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ هِلَالٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي عَمْرَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ «أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَالَّذِينَ عَلَى آثَارِهِمْ كَأَحْسَنِ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً، قُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، لَا تَبَاغُضَ بَيْنَهُمْ وَلَا تَحَاسُدٌ، لِكُلِّ امْرِئٍ زَوْجَتَانِ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، يُرَى مِثْلُ سَوْقَيْهِ مِنْ وَرَاءِ الْعِظَمِ وَاللَّحْمِ».

عَنْهُمَا قَالَ: الظل الممدود شجرة في الجنة على ساق قدر ما يسير الراكب المجد في ظلها مائة عام من كل نواحيها فيخرج أهل الجنة يتحدثون في ظلها فيشتهي بعضهم اللهو فيرسل الله ريحاً فيحرك تلك الشجرة بكل لهو كان في الدنيا.

(وَلَقَابُ قَوْسٍ أَحَدِكُمْ) اللام فيه مفتوحة للتأكيد القاب والقيب كالقاد والقيد بمعنى القدر وعينه واو.

(فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ أَوْ تَغْرُبُ) وقوله: ولقاب قوس أحدكم إلى آخره تقدم في الجهاد.

(حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُنْذِرِ) أَبُو إِسْحَاقَ الْحِزَامِيُّ قَالَ: (حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُلَيْحٍ) قَالَ: (حَدَّثَنَا أَبِي) هو فليح بن سليمان بن أبي المغيرة، (عَنْ هِلَالٍ) أَي: ابْنِ عَلِيٍّ، (عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي عَمْرَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ) أَنَّهُ قَالَ: (أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَالَّذِينَ عَلَى آثَارِهِمْ كَأَحْسَنِ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ) فِيهِ لُغَاتٌ ضَمَّ الدَّالَ وَتَشْدِيدَ الرَّاءِ وَالْمَثْنَةَ التَّحْتِيَّةَ بِلَا هَمْزٍ وَالثَّانِيَةَ بِالْهَمْزِ وَالثَّلَاثَةَ بِكَسْرِ الدَّالِ مَهْمُوزًا أَيْضًا وَهُوَ الْكَوْكَبُ الْعَظِيمُ الْبَرَقَ وَسُمِّيَ بِهِ لِبَيَاضِهِ كَالدَّرِ.

وقيل: لضوئه وقيل لشبهه بالدر في كونه أرفع النجوم كما أن الدر أرفع الجواهر (فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً، قُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، لَا تَبَاغُضَ بَيْنَهُمْ وَلَا تَحَاسُدٌ، لِكُلِّ امْرِئٍ زَوْجَتَانِ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، يُرَى مِثْلُ سَوْقَيْهِ مِنْ وَرَاءِ الْعِظَمِ وَاللَّحْمِ).

3255 - حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ مِنْهَالٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، قَالَ عَدِيُّ بْنُ ثَابِتٍ: أَخْبَرَنِي قَالَ: سَمِعْتُ الْبَرَاءَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: لَمَّا مَاتَ إِبْرَاهِيمُ قَالَ: «إِنَّ لَهُ مُرْضِعًا فِي الْجَنَّةِ».

3256 - حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: حَدَّثَنِي مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ سُلَيْمٍ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،

وهذا الحديث قد أخرج في هذا الباب من طرق ثلاثة عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهذا هو الثالث.

(حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ مِنْهَالٍ) قَالَ: (حَدَّثَنَا شُعْبَةُ) أَي: ابْنُ الْحَجَّاجِ، (قَالَ) عَدِيُّ بْنُ ثَابِتٍ: أَخْبَرَنِي قَالَ: سَمِعْتُ الْبَرَاءَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: لَمَّا مَاتَ إِبْرَاهِيمُ قَالَ: «إِنَّ لَهُ مُرْضِعًا فِي الْجَنَّةِ») إنما قَالَ مُرْضِعًا وَلَمْ يَقُلْ مُرْضِعَةٌ لِأَنَّ الْمُرَادَ الَّتِي مِنْ شَأْنِهَا الْإِرْضَاعُ أَعَمُّ مِنْ أَنْ يَكُونَ فِي حَالَةِ الْإِرْضَاعِ وَالْحَدِيثُ قَدْ مَرَّ فِي كِتَابِ الْجَنَائِزِ فِي بَابِ مَا قِيلَ فِي أَوْلَادِ الْمُسْلِمِينَ.

(حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ) أَي: ابْنُ يَحْيَى أَبُو الْقَاسِمِ الْقُرَشِيُّ الْعَامِرِيُّ الْأَوْسِيُّ الْمَدِينِيُّ (قَالَ: حَدَّثَنِي مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ سُلَيْمٍ) بِضَمِّ السِّينِ وَفَتْحِ اللَّامِ الْمَدِينِيِّ.

وعند مسلم في رواية ابن وهب عن مالك أَخْبَرَنِي صَفْوَانُ وَوَهْمُ أَيُّوبَ بْنِ سُؤْدِ فَرَوَاهُ عَنْ مَالِكٍ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ بِدَلِّ صَفْوَانَ ذَكَرَهُ الدَّارِقُطْنِيُّ فِي الْغَرَائِبِ. (عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) وَفِي رِوَايَةِ فُلَيْحٍ عَنْ هَلَالِ بْنِ عَلِيٍّ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ ابْنُ خُزَيْمَةَ وَنَقَلَ الدَّارِقُطْنِيُّ فِي الْغَرَائِبِ عَنْ الذَّهَلِيِّ أَنَّهُ قَالَ: لَسْتُ أَرْفَعُ حَدِيثَ فُلَيْحٍ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ عَطَاءُ بْنُ يَسَارٍ حَدَّثَ بِهِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. انْتَهَى.

وقد رَوَاهُ أَيُّوبُ بْنُ سُؤْدِ عَنْ مَالِكٍ فَقَالَ عَنْ أَبِي حَازِمٍ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ذَكَرَهُ الدَّارِقُطْنِيُّ فِي الْغَرَائِبِ وَقَالَ: إِنَّهُ وَهْمٌ فِيهِ أَيْضًا. قَالَ الْحَافِظُ الْعَسْقَلَانِيُّ وَلَكِنْ لَهُ أَصْلٌ مِنْ حَدِيثِ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عِنْدَ مُسْلِمٍ.

عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَتَرَاءُونَ أَهْلَ الْغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ، كَمَا يَتَرَاءُونَ الْكَوْكَبَ الدَّرِّيَّ الْغَائِرَ فِي الْأَفْقِ،

(عَنِ النَّبِيِّ ﷺ) أَنَّهُ (قَالَ: إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَتَرَاءُونَ) عَلَى وَزْنِ يَتَفَاعَلُونَ مِنْ بَابِ التَّفَاعُلِ أَي: يَرُونَ وَيَنْظُرُونَ وَفِيهِ مَعْنَى التَّكَلُّفِ كَمَا فِي قَوْلِ أَبِي الْبَحْتَرِيِّ تَرَاءَيْنَا الْهَلَالَ أَي: تَكَلَّفْنَا النَّظَرَ إِلَيْهِ هَلْ نَرَاهُ أَمْ لَا وَفِي رَوَايَةِ مُسْلِمٍ يَرُونَ وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ بَابَ التَّفَاعُلِ هُنَا لَيْسَ عَلَى بَابِهِ.

(أَهْلُ الْغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ) وَالْغُرَفُ بِضَمِّ الْغَيْنِ الْمَعْجَمَةُ وَفَتْحُ الرَّاءِ جَمْعُ غُرْفَةٍ وَهِيَ الْعُلْيَا وَالْمَعْنَى أَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ تَتَفَاوَتُ مَنَازِلُهُمْ بِحَسَبِ دَرَجَاتِهِمْ فِي الْفَضْلِ حَتَّى إِنَّ الدَّرَجَاتِ الْعُلَى لِيَرَاهُمْ مِنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْهُمْ كَالنَّجُومِ كَمَا بَيَّنَّ فِي الْحَدِيثِ بِقَوْلِهِ التَّفَاضُلُ بَيْنَهُمْ.

(كَمَا يَتَرَاءُونَ الْكَوْكَبَ الدَّرِّيَّ) قَدْ تَقَدَّمَ أَنَّهُ هُوَ النَّجْمُ الشَّدِيدُ الْإِضَاءَةِ وَقَالَ الْفَرَاءُ النَّجْمُ الْعَظِيمُ الْمَقْدَارُ وَقَدْ تَقَدَّمَ أَيْضًا أَنَّ فِيهِ لُغَاتٌ ضَمَّ الدَّالَ وَكَسَرَ الرَّاءَ الْمَشْدُودَةَ بَعْدَهَا تَحْتَانِيَّةٌ ثَقِيلَةٌ وَقَدْ تَسَكَّنَ وَبَعْدَهَا هَمْزَةٌ وَمَدٌّ وَقَدْ تَكْسَرُ أَوَّلُهُ عَلَى الْحَالِينَ فَتَلْكَ أَرْبَعُ لُغَاتٍ ثُمَّ قِيلَ: إِنَّ الْمَعْنَى مُخْتَلَفٌ، فَبِالْتَّشْدِيدِ كَأَنَّهُ مَنَسُوبٌ إِلَى الدَّرِّ لِبَيَاضِهِ وَضِيَائِهِ وَبِالْهَمْزِ كَأَنَّهُ مَأْخُوذٌ مِنْ دَرٍّ أَي: دَفَعَ لَانْدِفَاعِهِ عِنْدَ طُلُوعِهِ وَنَقَلَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ عَنِ الْكَسَائِيِّ تَثْلِيثَ الدَّالِ قَالَ فَبِالضَّمِّ نِسْبَةٌ إِلَى الدَّرِّ وَبِالْكَسْرِ الْجَارِي وَبِالْفَتْحِ الدَّافِعُ.

(الْغَائِرَ) كَذَا لِلْأَكْثَرِ وَفِي رَوَايَةِ الْأَكْثَرِينَ وَفِي رَوَايَةِ الْمُوطَأِ الْغَائِرَ بِالتَّحْتَانِيَّةِ بَدَلَ الْمَوْحِدَةِ قَالَ الْقَاضِي عِيَّاضُ كَأَنَّهُ الدَّخَلُ فِي الْغُرُوبِ وَمَعْنَى الْغَائِرِ بِالْمَوْحِدَةِ الذَّاهِبُ وَهُوَ مِنَ الْأَضْدَادِ وَيُقَالُ غَبَرَ بِمَعْنَى ذَهَبَ وَبِمَعْنَى بَقِيَ.

وَفِي رَوَايَةِ التِّرْمِذِيِّ: الْغَارِبُ وَفِي رَوَايَةِ الْأَصِيلِيِّ بِالْمَهْمَلَةِ وَالزَّاي قَالَ الْقَاضِي عِيَّاضُ مَعْنَاهُ: الَّذِي يَبْعُدُ لِلْغُرُوبِ.

وَقِيلَ: مَعْنَاهُ الْغَائِبُ وَلَكِنْ لَا يَحْسُنُ هُنَا لِأَنَّ الْمُرَادَ أَنَّ بَعْدَهُ عَنِ الْأَرْضِ كَبَعْدِ غُرْفِ الْجَنَّةِ عَنْ رَبْضِهَا فِي رَأْيِ الْعَيْنِ وَالرَّوَايَةُ الْأُولَى هِيَ الْمَشْهُورَةُ.

(فِي الْأَفْقِ) قَالَ الْحَافِظُ الْعُسْقَلَانِيُّ: الْمُرَادُ بِالْأَفْقِ السَّمَاءُ يَعْنِي وَإِنْ كَانَ فِي الْأَصْلِ بِمَعْنَى أَطْرَافِ السَّمَاءِ وَلَيْتَ شِعْرِي مَا الْمَانِعُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِالْأَفْقِ أَطْرَافَ السَّمَاءِ كَمَا يَفِيدُهُ قَوْلُهُ.

مَنْ الْمَشْرِقِ أَوْ الْمَغْرِبِ، لِيَتَفَاضَلَ مَا بَيْنَهُمْ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ تِلْكَ مَنَازِلُ الْأَنْبِيَاءِ لَا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ؟ قَالَ: «بَلَى وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، رِجَالٌ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ».

(مَنْ الْمَشْرِقِ أَوْ الْمَغْرِبِ) فَإِنْ قِيلَ: هَلْ فِي السَّمَاءِ أَيُّ: فِي كِبْدِهَا وَمَا فَائِدَةُ ذِكْرِ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ.

فالجواب: أنه لو قيل في السماء كان القصد الأول بيان الرفعة ويلزم منه البعد وأما إذا قيل: في الأفق من المشرق أو المغرب فيكون القصد الأول بيان البعد ويلزم منه الرفعة⁽¹⁾ فَإِنْ قِيلَ: إِذَا كَانَ الْغَايِرُ بِالتَّحْتَانِيَةِ كَيْفَ يَصِحُّ قَوْلُهُ مِنَ الْمَشْرِقِ لِأَنَّ الْكَوَاكِبَ إِنَّمَا تَغُورُ فِي الْمَغْرِبِ خَاصَّةً.

فالجواب: أنه من قبيل قوله متقلداً سيفاً ورمحاً وعلفته تبناً وماءً بارداً أَيُّ: طَالَعًا فِي الْأَفَقِ مَعَ الْمَشْرِقِ وَغَائِرًا فِي الْمَغْرِبِ. وفي رواية مسلم: من الأفق من المشرق أو المغرب.

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: مِنَ الْأُولَى: لَا بَتْدَاءَ الْغَايَةِ، وَمِنَ الثَّانِيَةِ: مَبِينَةٌ لَهَا وَقَدْ قِيلَ: إِنَّهَا تَرُدُّ لَانْتِهَاءِ الْغَايَةِ أَيْضًا قَالَ: وَهُوَ خُرُوجٌ عَنْ أَصْلِهَا وَلَيْسَ مَعْرُوفًا عِنْدَ أَكْثَرِ النُّحَوِيِّينَ قَالَ وَوَقَعَ فِي نَسْخِ الْبُخَارِيِّ إِلَى الْمَشْرِقِ وَهُوَ أَوْضَحُ.

وَوَقَعَ فِي رِوَايَةِ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ عِنْدَ مُسْلِمٍ: كَمَا تَرَاءَوْنَ الْكَوَاكِبَ الدَّرِي فِي الْأَفَقِ الشَّرْقِيِّ أَوْ الْغَرْبِيِّ وَاسْتَشْكَلَهُ ابْنُ التِّينِ وَقَالَ: إِنَّمَا تَغُورُ فِي الْمَغْرِبِ خَاصَّةً فَكَيْفَ وَقَعَ ذِكْرُ الْمَشْرِقِ وَقَدْ عَرَفْتَ أَنَّهُ إِنَّمَا يَشْكُلُ هَذَا عَلَى رِوَايَةِ الْغَايِرِ بِالتَّحْتَانِيَةِ وَأَمَّا بِالْمَوْحِدَةِ فَالْغَايِرُ يُطْلَقُ عَلَى الْمَاضِي وَالْبَاقِي فَلَا إِشْكَالَ وَقَدْ عَرَفْتَ انْدِفَاعَهُ عَلَى الرِّوَايَةِ الْأُولَى أَيْضًا.

(لِيَتَفَاضَلَ مَا بَيْنَهُمْ) أَيُّ: فِي الدَّرَجَاتِ.

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ تِلْكَ مَنَازِلُ الْأَنْبِيَاءِ لَا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ؟ قَالَ: «بَلَى وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، رِجَالٌ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ» قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: بَلَى

(1) قال الطيبي: فإن قلت ما فائدة التقييد بالدري ثم بالغارب في الأفق؟ قلت الإيذان بأنه من باب التمثيل الذي وجهه منتزع من عدة أمور متوهمة في المشبه شبه رؤية الرائي في الجنة أصحاب الغرف برؤية الرائي الكوكب المستضيء الباقي في الجانب الشرقي أو الغربي في الاستضاءة مع البعد، فلو قيل: الغائر لم يصح لأن الإشراق يفوت عند الغور إلا أن يقدر المشرق على الغور.

حرف جواب وتصديق والسياق يقتضي أن يكون الجواب بالإضراب عن الأول وإيجاب الثاني فلعلها كانت بل فغيرت ببلَى وقوله رجال خبر مبتدأ محذوف تقديره هم رجال أي : تلك المنازل منازل رجال آمنوا .

وحكى ابن التين : أن في رواية أبي ذر بل بدل بلى ويمكن توجيه بلى بأن التقدير نعم هي منازل الأنبياء بإيجاب الله تعالى لهم ذلك ولكن قد يفضل الله تعالى على عباده بالوصول إلى تلك المنازل وإن لم يكونوا من الأنبياء .

وقال ابن التين : يحتمل أن تكون بلى جواب النفي في قولهم لا يبلغها غيرهم فكأنه قَالَ بلى يبلغها رجال غيرهم وقوله آمنوا بالله أي : حق إيمانهم وصدقوا المرسلين أي : حق تصديقهم وإلا لكان كل من آمن بالله وصدق رسله وصل إلى تلك الدرجة وليس كذلك ويحتمل أن يكون التكرير في قوله رجال يشير إلى ناس مخصوصين موصوفين بالصفة المذكورة ولا يلزم أن يكون كل من وصف بها كذلك لا احتمال أن يكون لمن بلغ تلك المنازل صفة أخرى وكأنه سكت عن الصفة التي اقتضت لهم ذلك والسرفيه أنه قد يبلغها من له عمل مخصوص ومن لا عمل له كان بلوغها إنما هو برحمة الله تعالى وقد وقع للترمذي من وجه آخر عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَإِن أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لَمَنْهُم .

وروى الترمذي أَيضًا عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا : أن في الجنة لغرفًا يرى ظهورها من بطونها ، وبطونها من ظهورها فَقَالَ أعرابي : لمن هي يا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ : هي لمن أَلَانَ الكلام وأدام الصيام وصلى بالليل والناس نيام .

وَقَالَ ابن التين : قيل إن المعنى أنهم يبلغون درجات الأنبياء .

وَقَالَ الداوودي : يعني أنهم يبلغون هذه المنازل التي وصف وأما منازل الأنبياء فإنها فوق ذلك .

قَالَ الْحَافِظُ الْعَسْقَلَانِيُّ : وقع في حديث أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند أحمد وَالتِّرْمِذِيِّ قَالَ : بلى والذي نفسي بيده وأقوام آمنوا بالله ورسوله .

هكذا فيه بزيادة الواو العاطفة ففسد تأويل الداوودي ويحتمل أن يقال إن الغرف المذكورة لهذه الأمة وأما من دونهم فهم الموحدون من غيرهم أو أصحاب الغرف الذين دخلوا الجنة من أول وهلة ومن دونهم من دخل

9 - باب صِفَةِ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ (1)

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجَنَّةِ»

بالشفاعة ويؤيد الذي قبله قوله في صفتهم هم الذين آمنوا بالله وصدقوا المرسلين وتصديق جميع المرسلين إنما يتحقق لأمة مُحَمَّدٍ ﷺ بخلاف من قبلهم من الأمم فإنهم وإن كان فيهم من صدق بمن سيجيء من بعده من الرسل فهو بطريق التوقع لا بطريق التوسع، والله تعالى أعلم.

9 - باب صِفَةِ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ

(باب صِفَةِ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ) قال الْحَافِظُ الْعَسْقَلَانِيُّ: هكذا ترجم بالصفة ولعله أراد بالصفة العدد أو التسمية فإنه أورد فيه حديث سهل ابن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في الجنة ثمانية أبواب وفيها باب يسمى الريان، انتهى.
وتعقبه الْعَيْنِيُّ: ذكر الصفة وإرادة العدد فيه ما فيه لأن العدد اسم.

قَالَ الْجَوْهَرِيُّ: عددت الشيء عدا أحصيته والاسم العدد والعديد والصفة خارجة عن ذات الشيء وأما ذكر الصفة وإرادة التسمية فتعسف لأنه لا نكتة فيه في العدول عن التسمية إلى الصفة، انتهى.

وأنت خبير بأن ما ذكره من التزييف ضعيف جداً فإن الكون ثمانية صفة لأبواب الجنة وكذا الكون باب من أبوابها مسمى بالريان صفة له كما لا يخفى وأما ما قاله من أن الذي يظهر أن ذكر أبواب الجنة واقع في محله لأن في الباب ذكر ثمانية وذكر الصفة إشارة إلى قوله الريان فمآله إلى ما ذكره الْحَافِظُ الْعَسْقَلَانِيُّ أيضاً.

(وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجَنَّةِ») وهذا التعليق رواه

(1) قال الكاندهلوي: اعلم: أولاً: أن الإمام البخاري ترجم بقوله باب صفة أبواب الجنة، قال الحافظ: هكذا ترجم بالصفة، ولعله أراد بالصفة العدد أو التسمية، فإنه أورد فيه حديث سهل مرفوعاً «في الجنة ثمانية أبواب» وقال فيه: قال النبي ﷺ: «من أنفق زوجين في سبيل الله» وأشار بهذا إلى حديث أسنده في الصيام وفي الجهاد من حديث أبي هريرة وفيه: «فمن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة» الحديث، وقوله «فيه عبادة» كأنه يشير إلى ما وصله في ذكر عيسى من أحاديث الأنبياء عن =

الْبُخَارِيُّ مَوْصُولًا فِي كِتَابِ الصِّيَامِ فِي بَابِ الرِّيَانِ لِلصَّائِمِينَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ

عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ: «من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل» زاد في رواية أخرى: «من أبواب الجنة الثمانية أيها شاء» انتهى باختصار وزيادة. تعقب العيني على قول الحافظ: لعله أراد بالصفة العدد أو التسمية فقال: هذا تخمين لا وجه له، أما ذكر الصفة وإرادة العدد ففيه ما فيه، والذي يظهر لي أن ذكره الصفة إشارة إلى قوله: «الريان» لأنه صفة للباب، انتهى مختصرًا. وثانيًا: أن الإمام البخاري أورد في الباب حديث سهل «في الجنة ثمانية أبواب» الحديث، قال الحافظ: قد وردت هذه العدة لأبواب الجنة في عدة أحاديث:

منها: حديث الباب، ومنها حديث أبي هريرة المعلق في الباب.
ومنها: حديث عبادة المعلق فيه أيضًا، وعن عمر رضي الله عنه عند أحمد وأصحاب السنن، وعن عتبة بن عبد عند الترمذي وابن ماجة، اهـ.

قلت: حديث عتبة سيأتي قريبًا عن الدر برواية أحمد، وحديث عمر رضي الله عنه أخرجه مسلم أيضًا بلفظ: «ما منكم من أحد يتوضأ فيسبغ الوضوء ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبد ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء» اهـ.

وقال السيوطي في الدر: أخرج النسائي والحاكم وابن حبان عن أبي هريرة وأبي سعيد مرفوعًا: «ما من عبد يصلي الصلوات الخمس ويصوم رمضان ويخرج الزكاة ويجتنب الكبائر السبع إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يوم القيامة»، وأخرج أحمد وابن جرير والبيهقي عن عقبة بن عبد الله السلمي مرفوعًا: «ما من عبد يموت له ثلاثة من الولد لم يبلغ الحنث إلا تلقوه من أبواب الجنة الثمانية من أيها شاء دخل»، اهـ.

وذكر الشيخ ابن القيم في «حادي الأرواح» في حديث لقيط بن عامر الطويل المرفوع: «إن للجنة ثمانية أبواب» الحديث، وقال الحافظ في حديث الإنفاق: وقع في الحديث ذكر أربعة أبواب من أبواب الجنة وبقي من الأركان الحج فله باب بلا شك، وأما الثلاثة الأخرى فمنها: «باب الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس» رواه أحمد عن الحسن مرسلاً: «إن لله بابًا في الجنة لا يدخله إلا من عفا عن مظلمة».

ومنها: «الباب الأيمن وهو باب المتوكلين، الذي يدخل منه من لا حساب عليه ولا عذاب» وأما الثالث فلعله باب الذكر، فإن عند الترمذي ما يؤول إليه، ويحتمل أن يكون باب العلم، وقد روي عن أبي هريرة: «لكل عامل باب من أبواب الجنة يدعى منه بذلك العمل» أخرجه أحمد وابن أبي شيبه بإسناد صحيح، ويحتمل أن يكون المراد بالأبواب التي يدعى منها أبواب من داخل أبواب الجنة الأصلية لأن الأعمال الصالحة أكثر عددًا من ثمانية، انتهى بتغير.

وقال ابن رسلان في شرح أبي داود: وقال ابن القيم أبواب الجنة لا تنحصر في الثمانية، كما دلت عليه الأحاديث، اهـ.

وقال القاري: روى الحاكم عن أبي هريرة مرفوعًا «إن للجنة بابًا يقال له باب الضحى، فإذا =

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَنْفَقَ زَوْجِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» وَمَضَى

كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَادَى مَنْادٍ أَيْنَ الَّذِينَ كَانُوا يَدَاوِمُونَ عَلَى صَلَاةِ الضُّحَى؟ هَذَا بِابِكُمْ فَادْخُلُوهُ» وَجَاءَ فِي حَدِيثٍ آخَرَ بَابُ التَّوْبَةِ وَبَابُ الْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَبَابُ الرَّاغِبِينَ، وَجَاءَ فِي حَدِيثِ الْمُسْبِينَ أَلْفًا أَنَّهُمْ يَدْخُلُونَ مِنْ بَابِ الْأَيْمَنِ، قَالَ عِيَّاضُ: وَلَعَلَّهُ الثَّامِنُ، أَهـ. وَقَالَ السُّيُوطِيُّ فِي الدَّرَجَاتِ: أَخْرَجَ أَبُو يَعْلَى وَالطَّبْرَانِيُّ وَالْحَاكِمُ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لِلْجَنَّةِ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابٍ سَبْعَةٌ مَغْلُوقَةٌ وَبَابٌ مَفْتُوحٌ لِلتَّوْبَةِ حَتَّى تَطْلُقَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا» وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «لِلْجَنَّةِ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابٍ بَابٌ لِلْمُصَلِّينَ وَبَابٌ لِلصَّائِمِينَ وَبَابٌ لِلْحَاجِّينَ وَبَابٌ لِلْمُعْتَمِرِينَ وَبَابٌ لِلْمُجَاهِدِينَ وَبَابٌ لِلذَّاكِرِينَ وَبَابٌ لِلشَّاكِرِينَ» وَأَخْرَجَ الْبَزَّازُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعًا: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ دَعَى الْإِنْسَانُ بِأَكْبَرِ عَمَلِهِ، فَإِذَا كَانَتِ الصَّلَاةُ أَفْضَلَ دَعَى بِهَا، وَإِنْ كَانَ صِيَامُهُ أَفْضَلَ دَعَى بِهِ» الْحَدِيثُ.

وَقَالَ الشَّيْخُ ابْنُ الْقَيِّمِ فِي حَادِي الْأَرْوَاحِ: لَمَّا كَانَتِ الْجَنَاتُ دَرَجَاتٍ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ كَانَتِ أَبْوَابُهَا كَذَلِكَ، وَبَابُ الْجَنَّةِ الْعَالِيَةِ فَوْقَ بَابِ الْجَنَّةِ الَّتِي تَحْتَهَا، وَكَلِمَا عَلَتِ الْجَنَّةُ اتَّسَعَتْ فَعَالِيهَا أَرْفَعُ مِمَّا دُونَهُ وَسَعَةُ الْبَابِ بِحَسَبِ وَسْعَةِ الْجَنَّةِ. وَلَعَلَّ هَذَا وَجْهَ الْاِخْتِلَافِ الَّذِي جَاءَ فِي مَسَافَةِ مَا بَيْنَ مَصْرَاعِي الْبَابِ، فَإِنَّ أَبْوَابَهَا بَعْضُهَا أَعْلَى مِنْ بَعْضٍ، وَلِهَذَا الْأَمَةُ بَابٌ مُخْتَصٌّ بِهِمْ يَدْخُلُونَ مِنْهُ دُونَ سَائِرِ الْأُمَمِ كَمَا فِي الْمُسْنَدِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «بَابُ أُمَّتِي الَّذِي يَدْخُلُونَ مِنْهُ الْجَنَّةَ عَرْضُ مَسِيرَةِ الرَّائِكِ ثَلَاثًا، ثُمَّ إِنَّهُمْ لِيُضْغَطُونَ حَتَّى تَكَادَ مَنَاكِبُهُمْ تَزُولُ» وَفِيهِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَتَانِي جِبْرِيلُ فَأَخَذَ بِيَدِي فَأَرَانِي بَابَ الْجَنَّةِ الَّذِي يَدْخُلُ مِنْهُ أُمَّتِي» الْحَدِيثُ، انْتَهَى مُخْتَصَرًا.

قُلْتُ: وَالْمَعْرُوفُ فِي الرِّوَايَاتِ أَنَّ لِلْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، فَإِذَا كَانَ لِكُلِّ دَرَجَةٍ بَابٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ، وَقَدْ وَرَدَ أَيْضًا فِي فَضْلِ قَارِئِ الْقُرْآنِ: «إِنْ مَنَزَلَتْكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَأُ بِهَا». قَالَ الشَّيْخُ فِي الْكَوْكَبِ: وَلَمَّا كَانَتِ دَرَجَاتُ الْجَنَانِ كَأَعْدَادِ آيَاتِ الْقُرْآنِ، كَانَ الْقَارِئُ لَتَمَامِ كَلَامِ اللَّهِ السِّحَانُ رَاقِيًا عَلَى أَقْصَى الدَّرَجَاتِ، وَفَضْلُ الدَّرَجَاتِ فِيمَا بَيْنَهَا فِي كُلِّ دَرَجَةٍ كَتَفَاوُتُ مَا فِي سَائِرِ الدَّرَجَاتِ فِيمَا بَيْنَهَا فَلَا يَتَوَهَّمُ تَسْوِي الْقَارِئِ بِالْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَغَيْرِهِمْ، أَهـ. وَبَسْطُ فِي هَامِشِهِ بَعْضَ الْكَلَامِ عَلَى ذَلِكَ، وَفِي دَقَائِقِ الْأَخْبَارِ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لِلْجَنَانِ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابٍ مِنْ ذَهَبٍ مَرْصُوعٍ بِالْجَوْهَرِ مَكْتُوبٌ عَلَى الْبَابِ الْأَوَّلِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَهُوَ بَابُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ وَالشَّهَدَاءِ وَالْأَسْخِيَاءِ.

وَالْبَابُ الثَّانِي: بَابُ الْمُصَلِّينَ الَّذِينَ يَحْسِنُونَ الْوُضُوءَ وَأَرْكَانَ الصَّلَاةِ.

وَالْبَابُ الثَّلَاثُ: بَابُ الْمَزْكِينَ بِطَبِيبِ أَنْفُسِهِمْ.

وَالْبَابُ الرَّابِعُ: بَابُ الْأَمْرَيْنِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهِيَيْنِ عَنِ الْمُنْكَرِ.

وَالْبَابُ الْخَامِسُ: بَابُ مَنْ يَقْطَعُ نَفْسَهُ عَنِ الشَّهَوَاتِ وَيَمْنَعُهَا عَنِ الْهَوَى.

وَالْبَابُ السَّادِسُ: بَابُ الْحِجَاجِ وَالْمُعْتَمِرِينَ.

وَالْبَابُ السَّابِعُ: بَابُ الْمُجَاهِدِينَ.

وَالْبَابُ الثَّامِنُ: بَابُ الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يَغْضُونَ أَبْصَارَهُمْ عَنِ الْمَحَارِمِ وَيَعْمَلُونَ الْخَيْرَاتِ مِنْ بَرٍ =

الكلام فيه هناك وفي الجهاد أَيضًا من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وفيه فمن

الوالدين وصلة الأرحام وغير ذلك، وهي ثماني جنات:

أولها: دار الجلال وهي من لؤلؤ أبيض.

وثانيها: دار السلام وهي من ياقوت أحمر.

وثالثها: جنة المأوى وهي من زبرجد أخضر.

ورابعها: جنة الخلد وهي من مرجان أحمر وأصفر.

وخامسها: جنة عدن وهي من درة بيضاء.

وسادسها: جنة الفردوس وهي من ذهب أحمر.

وسابعها: جنة عدن وهي من درة بيضاء.

وثامنها: دار القرار وهي من ذهب أحمر وهي قصبة الجنان، وهي مشرفة على الجنان كلها إلى آخر ما بسط من أوصافها وأنهارها، قلت: ولا بد من حمل هذه الأبواب الكثيرة على أبواب من داخل أبواب الجنة الأصلية كما تقدم في كلام الحافظ، وبه جزم مشايخي عند الدرس، وقال الشيخ قدس سره في الكوكب في حديث من أنفق زوجين قوله: «نودي من أبواب الجنة، أي من أبواب الصدقة كلها»، فن الصدقة مشتمل على أبواب شتى، وكذلك باب الصوم، وليس المعنى أنه يدعى من سائر كبار أبواب الجنة، ولذلك سأل أبو بكر هل يدعى أحد من كبار أبواب الجنة كلها إلى آخر ما أفاده الشيخ، وبسط في هامشه في توضيح كلام الشيخ وفيه: وعلى هذا لا يشكل ما ورد من الروايات الأخر من التخصيص كما في صوم البخاري برواية سهل مرفوعًا: «إن في الجنة بابًا يقال له الريان، يدخل منه الصائمون لا يدخل منه أحد غيرهم» الحديث، إلى آخر ما فيه وبسط الكلام على ذلك في الأوجز بما لا مزيد عليه، وفيه برواية جرير وغيره عن ابن عمر مرفوعًا «إن في الجنة قصرًا يقال له عدن له خمسة آلاف باب».

وفي رواية قرأ عمر رضي الله عنه على المنبر: «جنات عدن» فقال أيها الناس هل تدرون ما جنات عدن؟ قصر في الجنة له عشرة آلاف باب، وعن ابن عباس قال: أخص أهل الجنة منزلًا يوم القيامة له قصر من درة جوفاء فيها سبعة آلاف غرفة لكل غرفة سبعون ألف باب وغير ذلك من الروايات، فلا بد للجمع بينها من الحمل على أبواب صغار وكبار؛ قال ابن العربي في العارضة: الذين يدعون من أبواب الجنة الثمانية، أربعة:

الأول: «من أنفق زوجين في سبيل الله» وهو متفق عليه.

الثاني: «من قال هذا الذكر» وهو في صحيح مسلم، قلت: وهو حديث عمر رضي الله عنه: «من توضع فأحسن الوضوء ثم قال أشهد أن لا إله إلا الله» الحديث.

الثالث: «من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله وأن عيسى رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه»: أخرجه البخاري.

الرابع: «من مات يؤمن بالله واليوم الآخر» أخرجه أحمد بن حنبل بسنده إلى عقبه بن عامر قال: حدثني عمر أن رسول الله ﷺ قال: «من مات يؤمن بالله واليوم الآخر قيل له ادخل من أي أبواب الجنة الثمانية شئت»، انتهى.

فِيهِ عِبَادَةٌ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

3257 - حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُطَرِّفٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو حَازِمٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «فِي الْجَنَّةِ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابٍ، فِيهَا بَابٌ يُسَمَّى الرِّيَّانَ، لَا يَدْخُلُهُ إِلَّا الصَّائِمُونَ».

كان من أهل الجهاد ودعي من باب الجهاد.

(فِيهِ عِبَادَةٌ) أي: في هذا الباب حديث عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأشار به إلى ما وصله هو في ذكر عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من أحاديث الأنبياء عليهم السلام من طريق جنادة بن أبي أمية عن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (عَنِ النَّبِيِّ ﷺ) قَالَ من شهد أن لا إله إلا الله الحديث وفيه أدخله الله من أبواب الجنة الثمانية أيها شاء وروى الطبراني في معجمه من حديث ابن سلام عن أبي أمامة عن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ولفظه عليكم بالجهاد في سبيل الله فإنه باب من أبواب الجنة يذهب الله به الهم والغم.

(حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ) قَالَ: (حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُطَرِّفٍ) بضم الميم وفتح الطاء المهملة وكسر الراء المشددة وقد مر في الصلاة (قَالَ: حَدَّثَنِي) بالإنفراد (أَبُو حَازِمٍ) سلمة بن دينار، (عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، (عَنِ النَّبِيِّ ﷺ) قَالَ) إن (فِي الْجَنَّةِ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابٍ، فِيهَا بَابٌ يُسَمَّى الرِّيَّانَ) أصله الرويان فأبدلت الواو ياء ثم أدغمت الياء في الياء وهو ضد العطشان من رويت من الماء بالكسر أروى ريا وريا وروي مثل رضي أَيْضًا ورويت الحديث بالفتح رواية.

(لَا يَدْخُلُهُ إِلَّا الصَّائِمُونَ) مجازاة لهم لما كان يصيبهم من العطش من صيامهم⁽¹⁾ وقد وقع حديث سهل هذا مقدمًا على الحديثين المعلقين في رواية أبي ذر وقد وردت هذه العدة لأبواب الجنة في عدة أحاديث وعند التِّرْمِذِيِّ وابن ماجه من حديث عتبة بن عبد الله في صفة أبواب الجنة أن ما بين المصراعين مسيرة أربعين سنة.

ومطابقة الحديث للترجمة في قوله ثمانية أبواب على ما عرفت.

(1) وقيل إنما سُمِّيَ هذا الباب الريان لأنَّ الصائمين الذين كابدوا العطش في الدنيا إذا دخلوا من هذا الباب إلى الجنة يشربون من النهر الذي فيه فَيَرَوُونَ فلا يحصل لهم الظمُّ بعد ذلك.

10 - بَابُ صِفَةِ النَّارِ، وَأَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ

(عَسَاقًا) يُقَالُ: غَسَقَتْ عَيْنُهُ وَيَغْسِقُ الْجُرْحُ، وَكَأَنَّ الْغَسَاقَ وَالْغَسْقَ وَاجِدٌ،

10 - بَابُ صِفَةِ النَّارِ، وَأَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ

(بَابُ صِفَةِ النَّارِ) يعني جهنم، (وَأَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ) موجودة الآن كما أن الجنة كذلك وفيه رد على المعتزلة.

((عَسَاقًا) يُقَالُ: غَسَقَتْ عَيْنُهُ وَيَغْسِقُ الْجُرْحُ، وَكَأَنَّ الْغَسَاقَ وَالْغَسْقَ وَاجِدٌ) أشار بهذا إلى تفسير قوله تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا﴾ [النبأ: 24] أي: في جهنم ﴿بَرْدًا﴾ ينفع من حرها⁽¹⁾ ﴿وَلَا شَرَابًا﴾ يشربونه تلذذاً ﴿إِلَّا حَمِيمًا﴾ أي: ماء حار قد انتهى حره ﴿وَعَسَاقًا﴾ أي: ما يغسق ويسيل من صديدهم وقيل الزمهرير وهو مستثنى من البرد إلا أنه آخر ليوافق رؤوس الآي وقوله: غسقت عينه ويغسق الجرح مأخوذ من كلام أبي عبيدة فإنه قال في قوله تعالى: ﴿إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَاقًا﴾ [النبأ: 25] الحميم الماء الحار والغساق ما همى وسال، يقال: غَسَقَتْ من العين ومن الجرح، ويقال: غَسَقَتْ عَيْنُهُ تَغْسِقُ أي: تسيل.

وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ: غَسَقَتْ عَيْنُهُ إِذَا أَظْلَمَتْ، وَغَسَقَ الْجُرْحُ، إِذَا سَالَ مِنْهُ مَاءٌ أَصْفَرٌ، وَيُقَالُ: الْغَسَاقُ: الْمَاءُ الْبَارِدُ الْمُنْتَنُ، يَخْفَفُ وَيَشْدَدُ، وَقِيلَ: الْغَسَاقُ الْبَارِدُ الَّذِي يَحْرِقُ بَبْرَدِهِ، كَمَا يَحْرِقُ النَّارُ بِحَرِّهِ، وَرَوَى ذَلِكَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَمَجَاهِدٍ وَأَبِي الْعَالِيَةِ وَالْمَرَادُ فِي الْآيَةِ مَا سَالَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ مِنَ الصَّدِيدِ رَوَاهُ الطَّبْرِيُّ مِنْ قَوْلِ قَتَادَةَ وَمِنْ قَوْلِ إِبْرَاهِيمَ وَعَطِيَّةِ بْنِ سَعْدٍ وَغَيْرِهِمْ وَقِيلَ: مِنْ دُمُوعِهِمْ أَخْرَجَهُ أَيْضًا مِنْ قَوْلِ عِكْرَمَةَ وَغَيْرِهِ.

وَقَالَ ابْنُ دَرِيدٍ: هُوَ صَدِيدُهُمْ تَصْهَرُهُمُ النَّارُ فَيَجْتَمِعُ صَدِيدُهُمْ فِي حِيَاضٍ فَيَسْقُونَهُ.

وَقَالَ ابْنُ فَارَسٍ: الْغَسَاقُ مَا يَقْطُرُ مِنْ جُلُودِ أَهْلِ النَّارِ، وَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ الْهَرَوِيُّ مَنْ قَرَأَهُ بِالتَّشْدِيدِ أَرَادَ السَّائِلَ وَمَنْ قَرَأَهُ بِالتَّخْفِيفِ أَرَادَ الْبَارِدَ⁽²⁾ وَعِنْدَ

(1) وَيُرْوَحُهُمْ وَيَنْقَسُ عَنْهُمْ حَرُّ النَّارِ أَوْ النَّوْمُ عَلَى لُغَةِ هَذِيلٍ وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ مَنَعَ الْبَرْدُ الْبَرْدَ أَي: النَّوْمُ.

(2) وَقِيلَ الْغَسَاقُ النَّتْنُ.

﴿غَسِّلِينَ﴾ [الحاقة: 36] كُلُّ شَيْءٍ غَسَلْتَهُ فَخَرَجَ مِنْهُ شَيْءٌ فَهُوَ غَسِّلِينَ، فَعَلِينَ مِنْ
الْغَسْلِ مِنَ الْجُرْحِ وَالذَّبْرِ.

التِّرْمِذِيُّ والْحَاكِمُ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا لَوْ أَنَّ دَلُومًا مِنْ غَسَاقٍ
يَهْرَاقُ إِلَى الدُّنْيَا لَأَنْتَنَ أَهْلُ الدُّنْيَا وَأَخْرَجَ الطَّبْرِيُّ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مَوْقُوفًا الْغَسَاقُ الْقَيْحُ الْغَلِيظُ لَوْ أَنَّ قَطْرَةً مِنْهُ تَهْرَاقُ بِالْمَغْرِبِ
لَأَنْتَنَ أَهْلُ الْمَشْرِقِ وَقَوْلُهُ وَكَأَنَّ الْغَسَاقَ وَالْغَسَقُ وَاحِدٌ كَذَا فِي رِوَايَةِ الْأَكْثَرِينَ
الْغَسَقُ بَفَتْحَتَيْنِ، وَفِي رِوَايَةِ أَبِي ذَرٍّ، الْغَسِيقُ عَلَى وَزْنِ (فَعِيلٍ) وَقَدْ تَرَدَّدَ الْبُخَارِيُّ
فِي كَوْنِ الْغَسَاقِ وَالْغَسَقِ وَاحِدًا وَلَيْسَ بِوَاحِدٍ، فَإِنَّ الْغَسَاقَ بِمَعْنَى مَا ذَكَرَهُ
وَالْغَسَقُ الظُّلْمَةُ، يُقَالُ: غَسَقَ يَغْسِقُ غُسُوقًا فَهُوَ غَاسِقٌ إِذَا أَظْلَمَ وَأَغْسَقَ مِثْلُهُ.

قَالَ الطَّبْرِيُّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ [الفلق: 3]
الْغَاسِقُ: اللَّيْلُ إِذَا لَبَسَ الْأَشْيَاءَ وَغَطَّاهَا وَإِنَّمَا أُريدُ بِذَلِكَ هُجُومُهُ عَلَى الْأَشْيَاءِ
هُجُومَ السَّيْلِ وَكَأَنَّ الْمُرَادَ بِالْآيَةِ السَّائِلَ مِنَ الصَّيْدِ الْجَامِعِ بَيْنَ شِدَّةِ الْبَرْدِ وَشِدَّةِ
الْحَرِّ وَبِهَذَا تَجْتَمِعُ الْأَقْوَالُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِحَقِيقَةِ الْحَالِ.

﴿غَسِّلِينَ﴾ كُلُّ شَيْءٍ غَسَلْتَهُ فَخَرَجَ مِنْهُ شَيْءٌ فَهُوَ غَسِّلِينَ، فَعَلِينَ مِنَ الْغَسْلِ
مِنَ الْجُرْحِ وَالذَّبْرِ أَشَارَ بِهِ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسِّلِينَ﴾ [الحاقة: 36]
وَقَدْ فَسَّرَهُ بِقَوْلِهِ: كُلُّ شَيْءٍ إِلَى آخِرِهِ وَهَكَذَا قَالَ أَبِي عُبَيْدَةَ
فِي الْمَجَازِ وَقَدْ رَوَى الطَّبْرِيُّ مِنْ طَرِيقِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ الْغَسِّلِينَ صَدِيدُ أَهْلِ النَّارِ وَقَوْلُهُ فَعَلِينَ أَيُّ: وَزْنُ غَسِّلِينَ
فَعَلِينَ وَالنُّونُ وَالْيَاءُ فِيهِ زَائِدَتَانِ وَقَوْلُهُ وَالذَّبْرُ بَفَتْحٍ الْمَوْحِدَةُ هُوَ مَا يَصِيبُ الْإِبِلَ
مِنَ الْجَرَاحَاتِ فَإِنْ قِيلَ بَيْنَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ لَكُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾ [الغاشية: 6]
وَبَيْنَ هَذِهِ الْآيَةِ يَتَوَهَّمُ الْمَنَافَاةُ بِحَسَبِ الظَّاهِرِ فَكَيْفَ يَجْمَعُ بَيْنَهُمَا.

فَالْجَوَابُ: أَنَّ الضَّرِيعَ مِنَ الْغَسِّلِينَ هَكَذَا قِيلَ فِيهِ أَنَّهُ يَرُدُّهُ مَا سَيَأْتِي فِي
التَّفْسِيرِ أَنَّ الضَّرِيعَ نَبَاتٌ وَهُوَ يَبْيَسُ الشَّبْرُوقُ وَهُوَ شَوْكُ يَرْعَاهُ الْإِبِلُ مَا دَامَ رَطْبًا
فَإِذَا بَيَسَ تَحَامَتَهُ فَإِنَّهُ سَمٌ قَاتِلٌ وَقِيلَ شَجَرَةٌ نَارِيَّةٌ يَشْبَهُ الضَّرِيعَ وَيُقَالُ لَعْلُهُ طَعَامٌ
طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ النَّارِ وَالْغَسِّلِينَ وَكَذَا الزَّقُومُ طَعَامٌ غَيْرُهُمْ مِنْهُمْ⁽¹⁾ أَوْ الْمُرَادُ

(1) بِحَسَبِ اسْتِحْقَاقِهِمْ فَبَعْضُهُمْ يُجَازَوْنَ بِهَذَا أَوْ بَعْضُهُمْ بِذَلِكَ.

وَقَالَ عِكْرِمَةُ: ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: 98]: «حَطَبُ الْحَبَشِيَّةِ» وَقَالَ غَيْرُهُ: ﴿حَاصِبًا﴾ [الإسراء: 68]: الرِّيحُ الْعَاصِفُ، وَالْحَاصِبُ مَا تَرْمِي بِهِ الرِّيحُ، وَمِنْهُ ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾: يُرْمَى بِهِ فِي جَهَنَّمَ هُمْ حَصَبُهَا، وَيُقَالُ: حَصَبٌ فِي الْأَرْضِ ذَهَبٌ، وَالْحَصَبُ مُشْتَقٌّ مِنْ حَصَبَاءِ الْحَجَارَةِ،

طعامهم مما يتحاماه الإبل وتعافه لضره وعدم نفعه والله تعالى أعلم.

(وَقَالَ عِكْرِمَةُ: ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾: حَطَبُ الْحَبَشِيَّةِ) وصله ابن أبي حاتم من طريق عبد الملك بن أبجر سمعت عكرمة بهذا وأخرجه ابن أبي عاصم عن أبي سعيد الأشج حَدَّثَنَا وَكِيعٌ عَنْ سُفْيَانَ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ أَبَجَرَ سَمِعْتُ عَكْرِمَةَ وَرَوَى الطَّبْرِيُّ عَنْ مُجَاهِدٍ مِثْلَهُ لَكِنْ لَمْ يَقُلْ بِالْحَبَشِيَّةِ وَقَالَ: إِنِّي عَرَفْتُ إِنْ كَانَ أَرَادَ بِهَا إِنِّهَا حَبَشِيَّةُ الْأَصْلِ سَمِعْتُهَا الْعَرَبُ فَتَكَلَّمْتُ بِهَا فَصَارَتْ حِينَئِذٍ عَرَبِيَّةً وَإِلَّا فَلَيْسَ فِي الْقُرْآنِ غَيْرُ الْعَرَبِيَّةِ.

وَقَالَ الْخَلِيلُ: حَصَبٌ مَا هِيَ لِلْوُقُودِ مِنَ الْحَطَبِ فَإِنْ لَمْ يَتَهَيَّأَ لِذَلِكَ فَلَيْسَ بِحَصَبٍ وَرَوَى الْفَرَاءُ عَنْ عَلِيٍّ وَعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُمَا قَرَأَا بِالطَّاءِ.

وَرَوَى الطَّبْرِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ: قَرَأَهَا بِالضَّادِ الْمَعْجَمَةِ قَالَ وَكَأَنَّهُ أَرَادَ أَنَّهُمُ الَّذِينَ تَسْجُرُ بِهِمُ النَّارُ لِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ هِيَجَتْ بِهِ النَّارُ فَهُوَ حَصَبٌ لَهَا وَقَدْ أَشَارَ الْبُخَارِيُّ بِذَلِكَ إِلَى تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: 98].

(وَقَالَ غَيْرُهُ: ﴿حَاصِبًا﴾: الرِّيحُ الْعَاصِفُ) أَي: قَالَ غَيْرُ عَكْرِمَةَ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا⁽¹⁾﴾ [الملك: 17] هُوَ الرِّيحُ الْعَاصِفُ الشَّدِيدُ⁽²⁾ وَكَذَا فَسَرَهُ أَبُو عُبَيْدَةَ.

(وَالْحَاصِبُ مَا تَرْمِي بِهِ الرِّيحُ، وَمِنْهُ ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾: يُرْمَى بِهِ فِي جَهَنَّمَ هُمْ حَصَبُهَا) أَي: أَهْلُ النَّارِ حَصَبُ جَهَنَّمَ.

(وَيُقَالُ: حَصَبٌ فِي الْأَرْضِ ذَهَبٌ، وَالْحَصَبُ مُشْتَقٌّ) أَي: مَا خُودَ (مِنْ حَصَبَاءِ الْحَجَارَةِ) وَهِيَ الْحَصَى قَالَ الْجَوْهَرِيُّ الْحَصَبَاءُ الْحَصَى وَحَصَبَتِ الرَّجُلَ

(1) أَوْ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا﴾ [القمر: 34].

(2) تَحَصَبَهُ وَالتِّي تَثِيرُ الْحَصَبَاءَ.

﴿صَكِيدٍ﴾ [إبراهيم: 16]: قَبِيحٌ وَدَمٌ، ﴿خَبَتْ﴾ [الإسراء: 97]: طَفِئَتْ، ﴿تُورُونَ﴾ [الواقعة: 71]: تَسْتَخْرِجُونَ، أَوْرَيْتُ أَوْقَدْتُ، ﴿لِلْمُقَوِّينَ﴾ [الواقعة: 73]: لِلْمُسَافِرِينَ، وَالْقِيَّ الْقَفْرُ.....

أحصبه بالكسر أي: رميته بالحجارة وقد روى الطَّبْرِيُّ عن ابن جريج في قوله تعالى: ﴿أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ قَالَ مطر الحجارة.

(﴿صَكِيدٍ﴾: قَبِيحٌ وَدَمٌ) أشار به إلى ما في قوله تعالى: ﴿وَيُسْقَى مِنْ مَّاءٍ صَكِيدٍ﴾ [إبراهيم: 16] وفسره بالقبيح والدم وكذا فسرهُ أَبُو عبيدة.

(﴿خَبَتْ﴾: طَفِئَتْ) أشار به إلى ما في قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: 97] وفسره بقوله طَفِئَتْ بفتح الطاء وكسر الفاء يقال طَفِئَتْ النار تطفأ تطفؤا وهو من باب علم يعلم من المهموز وانطفأت وأنا أطفأتها.

وَقَالَ أَبُو عبيدة: يقولون إذا سكنت النار لهبها وعلا الجمر رماد خبت فإن طفى معظم الجمر قالوا خمدت وإن طفى كلها قالوا همدت ولا شك أن نار جهنم لا تطفأ أخرج الطَّبْرِيُّ من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ﴾ قَالَ طَفِئَتْ ومن طريق علي بن أبي طلحة عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا سكنت ومثله قَالَ أَبُو عبيدة ورجحه.

(﴿تُورُونَ﴾: تَسْتَخْرِجُونَ، أَوْرَيْتُ أَوْقَدْتُ) أشار به إلى قوله تعالى: ﴿أَفْرَأَيْتُمْ أَتَارَ أَلْتِي تُورُونَ﴾ (٧١) [الواقعة: 71] وفسرها بقوله تستخرجون من أوريت قَالَ وأكثر ما يقال وریت من وری الزند يرى بالفتح في الماضي والكسر في المستقبل ورى إذا خرجت ناره، وفيه لغة أخرى: وری يری بالكسر فيهما أوريته أنا وكذلك وريته تورية وأصل تورون توريون فاعل فصار تورون على وزن تفعون.

﴿لِلْمُقَوِّينَ﴾: لِلْمُسَافِرِينَ، وَالْقِيَّ الْقَفْرُ) أشار به إلى ما في قوله تعالى: ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرَةً وَنَمَّا لِلْمُقَوِّينَ﴾ (٧٢) [الواقعة: 73] وفسر المقوين بقوله للمسافرين واشتقاقه من أقوى الرجل إذا نزل المنزل، ألقوا بالمد والقصر وهو القفر ومنزل قواء أي: موضع لا أنيس فيه ولا أحد.

وروى الطَّبْرِيُّ من طريق علي بن أبي طلحة عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا للمقوين للمسافرين ومن طريق الضحاك وقتادة مثله ومن طريق مجاهد قَالَ

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ⁽¹⁾: ﴿صِرْطُ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: 23]: ﴿سَوَاءُ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: 55]

للمقوين أي: المستمتعين المسافر والحاضر وَقَالَ الفراء قوله تعالى: ﴿وَمَتَّعَا لِّلْمُقْوِينَ﴾ أي: منفعة للمسافرين إذا نزلوا بالأرض ويقال المقوي من لا زاد له وقيل: المقوي الذي له مال.

وقيل: المقوي الذي أصحابه وأهله أقوياء.

وقيل: هو من معه دابة والقيّ بكسر القاف وتشديد الياء وفسره بقوله القفر بفتح القاف وسكون الفاء وفي آخره راء وهي مفازة لا نبات فيها ولا ماء ويجمع على قفار ورجح البخاري هذا.

وَقَالَ القاضي في تفسيره: ﴿تَخَنُّ جَعَلْنَهَا﴾ أي: جعلنا نار الزناد ﴿تَذَكُّرَةً﴾ تبصرة في أمر البعث كما مر في سورة يس يريد قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا﴾ [يس: 80] أو في الظلام أو تذكير أو نموذجاً لنار جهنم ﴿وَمَتَّعَا﴾ ومنفعة ﴿لِّلْمُقْوِينَ﴾ الذين ينزلون القواد وهي القفر أو للذين خلت بطونهم أو مزادهم من الطعام من أقوت الدار إذا خلت من ساكنيها.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ﴿صِرْطُ الْجَحِيمِ﴾: ﴿سَوَاءُ الْجَحِيمِ﴾

(1) قال العيني: أشار به إلى ما في قوله تعالى: ﴿فَأَهْدُوهُمْ إِلَى صِرْطِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: 23] وروى الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿فَأَطْلَعَ فَرَّأَهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: 55] قال في وسط الجحيم، وعن طريق قتادة والحسن مثله، اهـ. واكتفى الحافظ رحمه الله على ما قال العيني من قوله: وروى الطبري إلخ، وقال القسطلاني: «قال ابن عباس رضي الله عنه» فيما ذكره الطبري ﴿صِرْطُ الْجَحِيمِ﴾ أي: ﴿سَوَاءُ الْجَحِيمِ﴾ ووسط الجحيم، اهـ.

وكلام الشيخ قدس سره مبني على كلام الشراح، إذ جعلوا سواء الجحيم تفسير قوله صراط الجحيم ولذا قال قدس سره أي: الطريق المستوي، يعني أنه صفة للطريق المحذوف، وما أفاده مبني على ما في النسخ البخاري التي بأيدينا بلفظ: ﴿صِرْطُ الْجَحِيمِ﴾: ﴿سَوَاءُ الْجَحِيمِ﴾ والأوجه عند هذا العبد الضعيف أنه وقع سقوط نسخ البخاري، ولا يبعد أن يكون بياض بعد قوله: ﴿صِرْطُ الْجَحِيمِ﴾ فهما آيتان أولاهما قوله تعالى: ﴿فَأَهْدُوهُمْ إِلَى صِرْطِ الْجَحِيمِ﴾ وتفسيره «طريق الجحيم» فقد قال السيوطي في الدر: أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿فَأَهْدُوهُمْ﴾ قال: دلوهم إلى صراط الجحيم، قال: طريق النار، والثانية قوله تعالى: ﴿فَأَطْلَعَ فَرَّأَهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ فسر ابن عباس رضي الله عنه بوسط الجحيم كما تقدم في كلام الشراح، وفي الدر أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿سَوَاءُ الْجَحِيمِ﴾ قال: وسط الجحيم.

«وَوَسَطَ الْجَحِيمِ»، ﴿لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾ [الصفات: 67]: «يُخْلَطُ طَعَامُهُمْ وَيُسَاطُ بِالْحَمِيمِ»، ﴿زَفِيرٌ وَشَهِيْقٌ﴾ [هود: 106]: «صَوْتُ شَدِيدٌ، وَصَوْتُ ضَعِيفٌ»⁽¹⁾، ﴿وَرَدَا﴾ [مريم: 86]: «عَطَاشًا»،

وَوَسَطَ الْجَحِيمِ) أشار به إلى ما في قوله تعالى: ﴿فَأَهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ [الصفات: 23] وروى الطَّبْرِيُّ من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قوله تعالى: ﴿فَاطْلَعَ فَرَّاهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ [الصفات: 55] قَالَ في وسط الجحيم ومن طريق قَتَادَةَ والحسن مثله.

﴿لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾: يُخْلَطُ طَعَامُهُمْ وَيُسَاطُ بِالْحَمِيمِ) أشار به إلى ما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾ [الصفات: 67] وفسره بقوله يخلط ثم⁽²⁾ الشوب الخلط قَالَ أَبُو عبيدة تقول العرب كل شيء خلطته بغيره فهو شوب وقوله بساط على البناء للمفعول أي: يخلط ومنه المسواط وهو الخشبة التي يجول بها ما فيه التخليط وهو بالسين المهملة.

﴿زَفِيرٌ وَشَهِيْقٌ﴾: صَوْتُ شَدِيدٌ، وَصَوْتُ ضَعِيفٌ) أشار به إلى ما في قوله تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيْقٌ﴾ [هود: 106] وفسر الزفير بالصوت الشديد والشهيق بالصوت الضعيف وهكذا فسر ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ وابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ومن طريق أبي العالِية قَالَ الزفير في الحلق والشهيق في الصدر ومن طريق قَتَادَةَ هو كصوت الحمار أوله زفير وآخره شهيق وَقَالَ الداوودي الشهيق هو الذي يبقى بعد الصوت الشديد من الحمار.

﴿وَرَدَا﴾: عَطَاشًا) أشار به إلى ما في قوله تعالى: ﴿وَسَوْقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ

(1) قال الحافظ: هو تفسير ابن عباس أخرجه الطبري وابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عنه ومن طريق أبي العالِية قال الزفير في الحلق والشهيق في الصدر، ومن طريق قَتَادَةَ قال هو كصوت الحمار أوله زفير وآخره شهيق، وقال الداوودي: الشهيق هو الذي يبقى بعد الصوت الشديد من الحمار، اهـ. وهذا الأخير هو الذي أفاده الشيخ، وهكذا في العيني وقال أشار به إلى ما في قوله تعالى: ﴿فَقِيَ النَّارَ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيْقٌ﴾ [هود: 106].

(2) روى الطبري من طريق السدي قال في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾ [الصفات: 67].

﴿عَيَّا﴾ [مريم: 59]: «خُسْرَانًا»

وَرَدًا ﴿٨٦﴾ [مريم: 86] وفسر الورد بالعطاش وكذا روي عن ابن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وروي عن مجاهد ورَدًا منقطعة أعناقهم من الظمأ .

وَقَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ : الورد مصدر ورد والتقدير عندهم ذوي ورد ويحكى أنه يقال للواردين الماء ورد، ويقال : ورد بمعنى ورا د كما يقال قوم زور بمعنى زوار قيل : وهذا ينافي العطش لكن لا يلزم من الورد على الماء الوصول إلى تناوله وسيأتي في حديث الشفاعة أنهم يشكون العطش فيرفع لهم جهنم سراب ماء فيقال ألا تردون فيردونها فيتساقطون فيها والآية في أواخر سورة مريم قَالَ تَعَالَى : ﴿يَوْمَ تَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ﴾ [مريم: 85] أي : نجمعهم إلى الرحمن أي : إلى ربهم الذي غمرهم برحمته ﴿وَقَدًّا﴾ وافدين عليه كما يفد الوفاة على الملوك منتظرين لكرامتهم وإنعامهم ﴿وَسَوْفَ الْمُجْرِمِينَ﴾ كما يساق البهائم إلى جهنم ﴿وَرَدًّا﴾ أي : عطاشاً فإن من يرد الماء لا يرده إلا لعطش أو كالدواب التي ترد الماء .

(﴿عَيَّا﴾ : خُسْرَانًا) أشار بهذا إلى ما في قوله تعالى : ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: 59] وفسر الغي بالخسران⁽¹⁾ وعن ابن مسعود الغي واد في جهنم بعيد القعر حيث الطعم أَخْرَجَهُ ابن أبي حاتم أَيْضًا من طريق أبي عبيدة عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قيل هو واد في جهنم تستعيد منه أوديتها والآية في سورة مريم أَيْضًا قَالَ تَعَالَى : ﴿خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ [الأعراف: 169] أي : من بعد الذين أنعم الله عليهم من أنبياء الله وأوليائه أي : عقبهم وجاء بعدهم ﴿خَلَفٌ﴾ عقبه سوء يقال خلف صدق بالفتح وخلف سوء بالسكون ﴿أَضَاعُوا الصَّلَاةَ﴾ تركوها أو أخروها عن وقتها ﴿وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ﴾ كشرب الخمر واستحلال نكاح الأخت من الأب والانهماك في المعاصي وعن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ واتبعوا الشهوات من بني الشديد وركب المنظور ولبس المشهور وأراد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من قوله من بني الشديد من بني البناء المرتفع المتين ومن قوله وركب المنظور من ركب الفرس والبغل لا للجهد بل لأجل ما ينظر إليه للافتخار والخيلاء ومن قوله ولبس المشهور اللباس الفاخر والذي ينظر إليه ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ أي : خسراناً

(1) أخرجه ابن أبي حاتم.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ ﴿يُسْجَرُونَ﴾ [غافر: 72]: «تُوقَدُ بِهِمُ النَّارُ»، ﴿وَنَحَّاسٌ﴾ [الرحمن: 35]: «الضُّفْرُ، يُصَبُّ عَلَى رُؤُوسِهِمْ». يُقَالُ ﴿ذُوقُوا﴾ [آل عمران: 181]: «بَاشِرُوا وَجَرَّبُوا، وَلَيْسَ هَذَا مِنْ ذُوقِ الْفَمِ»،

وهلاكًا وضلالًا عن طريق الجنة وقد فسر بالشر أيضًا كما في قول الشاعر:
فَمَنْ يَلْقَ خَيْرًا يَحْمَدُ النَّاسُ أَمْرَهُ وَمَنْ يَغْوِ لَا يَعْدُمُ عَلَى الْغَيِّ لَائِمًا
أو المعنى فسوف يلقون جزاء غيهم كقوله تعالى: ﴿يَلْقَى أَثَامًا﴾ [الفرقان: 68]، والله تعالى أعلم.

(وَقَالَ مُجَاهِدٌ ﴿يُسْجَرُونَ﴾: تُوقَدُ بِهِمُ النَّارُ) أشار بهذا إلى ما في قوله تعالى: ﴿فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ [غافر: 72] وفسره بقوله: توقد بهم النار كأنهم يصيرون وقودًا للنار كذا في رواية أبي ذر.

وفي رواية الأكثرين: توقد لهم وهو واضح وكذا أَخْرَجَهُ عبد بن حميد من طريق ابن أبي نجیح عن مجاهد.

(﴿وَنَحَّاسٌ﴾: الضُّفْرُ، يُصَبُّ عَلَى رُؤُوسِهِمْ) أشار بهذا إلى ما في قوله تعالى: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوَاظٌ مِّنْ نَّارٍ وَنَحَّاسٌ﴾ [الرحمن: 35] وفسر (النحاس بالصفير يصب على رؤوس) أهل النار من الكفار وأخرج عبد بن حميد من طريق منصور عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوَاظٌ مِّنْ نَّارٍ وَنَحَّاسٌ﴾ قَالَ قِطْعَةٌ مِنْ نَارِ حَمراء ونحاس قَالَ يَذَابُ الصَّفِيرُ فَيَصَبُّ عَلَى رُؤُوسِهِمْ وَقَالَ الْعَيْنِيُّ: الصَّفِيرُ بِالضَّمِّ النَّحَاسُ الْجِيدُ الَّذِي يَعْمَلُ مِنْهُ الْآنِيَّةُ، وَقِيلَ النَّحَاسُ الدِّخَانُ قَالَ الْأَعَشِيُّ يَضِيءُ كَضَوْءِ سِرَاجِ السَّلِيطِ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ فِيهِ نَحَاسًا.

(يُقَالُ ﴿ذُوقُوا﴾: بَاشِرُوا وَجَرَّبُوا، وَلَيْسَ هَذَا مِنْ ذُوقِ الْفَمِ) أشار بهذا إلى ما في قوله تعالى: ﴿وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [آل عمران: 181] وفسره بقوله باشروا إلى آخره وغرضه أن الذوق هنا بمعنى المباشرة والتجربة لا بمعنى ذوق الفم وهذا من المجاز أن يستعمل الذوق وهو مما يتعلق بالأجسام في المعاني كما في قوله تعالى: ﴿فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهمْ﴾ [التغابن: 5].

وَقَالَ الْحَافِظُ الْعَسْقَلَانِيُّ: لَمْ أَرْ هَذَا لغير المصنف وهو كما قيل والذوق يطلق ويراد به حقيقته وهو ذوق الفم ويطلق ويراد به الذوق المعنوي وهو الإدراك

﴿مَارِجٌ﴾ [الرحمن : 15]: «خَالِصٌ مِنَ النَّارِ، مَرَجَ الْأَمِيرُ رَعِيَّتَهُ إِذَا خَلَّاهُمْ يَغْدُو بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ»، ﴿مَرِيجٌ﴾ [ق : 5]: «مُلْتَبِسٌ، مَرِجَ أَمْرُ النَّاسِ اخْتَلَطَ»، ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾

وهو المراد في قوله تعالى: ﴿ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [العنكبوت : 55] وقوله: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان : 49] وقوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ﴾ [الأنفال : 14] وكذلك في قوله تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ﴾ [الدخان : 56] قَالَ وبلغني عن بعض علماء العصر أنه فسر هـا بمعنى التخيل وجعل الاستثناء متصلاً وهو دقيق وروى ابن أبي حاتم من حديث أبي برزة الأسلمي مرفوعاً والطبري من حديث عَبْدِ اللَّهِ بن عمرو موقوفاً لم ينزل على أهل النار آية أشد من هذه الآية: ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ [النبا : 30].

(﴿مَارِجٌ﴾: خَالِصٌ مِنَ النَّارِ) أشار به إلى ما في قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنَ مَارِجٍ مِّنْ نَّارٍ﴾ [الرحمن : 15] وفسره بقوله خالص من النار وروى الطَّبْرِيُّ من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنَ مَارِجٍ مِّنْ نَّارٍ﴾ [15] قَالَ من خالص النار ومن طريق الضحاك عن ابن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ خلقت الجن من مارج وهو لسان النار الذي يكون في طرفها إذا التهب وَقَالَ الفراء المارج نار دون الحجاب ويرى جو السماء منها ومنها هذه الصواعق.

(مَرَجَ الْأَمِيرُ رَعِيَّتَهُ إِذَا خَلَّاهُمْ يَغْدُو بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ) يعني تركهم حتى يظلم بعضهم بعضاً.

(﴿مَرِيجٌ﴾: مُلْتَبِسٌ) أشار به إلى قوله تعالى: ﴿فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ﴾ [ق : 5] وفسره بقوله ملتبس أي: مختلط⁽¹⁾ ومنه قولهم: (مَرِجَ أَمْرُ النَّاسِ اخْتَلَطَ) وهو بكسر الراء وأما مرج بالفتح فمعناه ترك وخلي ومنه قوله تعالى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ [19] يَتَّخِذُ بَرْجٌ لَّا يَتَّيَّانِ [20 - 19] [الرحمن : 19 - 20] أي: خلاهما لا يلتبس

(1) وفي رواية الكشميهني أمر منتشر هو تصحيف كذا قال الحافظ العسقلاني وقال أبو عبيدة في قوله تعالى: ﴿فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ﴾ قال مختلف وروى الطبري عن ابن عباس رضي الله عنهما فهم في أمر مريج قال: مختلف ومن طريق سعيد بن جبير ومجاهد قال: يلتبس ومن طريق قتادة قال: من ترك الحق مرج عليه رأيه والتبس عليه دينه.

[الرحمن: 19]: «مَرَجْتَ دَابَّتَكَ تَرَكْتَهَا»⁽¹⁾.

أحدهما بالآخر وفي تفسير النسفي يعني أرسل البحرين العذب والملح متجاورين يلتقيان لا فصل بين المائين في مرأى العين بينهما برزخ حاجز وحائل من قدرة الله تعالى وحكمته لا يبغيان لا يتجاوزان حديهما ولا يبغي أحدهما على الآخر بالمازجة ولا يختلطان ولا يتغيران وَقَالَ قَتَادَةُ لا يطغيان على الناس بالغرق ومنه قولهم أَيْضًا.

(«مَرَجْتَ دَابَّتَكَ تَرَكْتَهَا») قَالَ أَبُو عبيدة في قوله تعالى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾^(١٩) هو كقولك مرجت دابتك إذا نزلت عنها وتركتها⁽²⁾ وَقَالَ الفراء

(1) قال العيني: أشار بقوله: «مارج» إلى ما في قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِّنْ نَّارٍ﴾^(١٥) ثم فسره بقوله: «خالص» من النار، وروى الطبري من طريق على بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِّنْ نَّارٍ﴾^(١٥) قال من خالص النار، ومن طريق الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنه قال: خلقت الجان من مارج من نار، هو لسان النار الذي يكون في طرفها إذا التهب، وقوله: «مرج الأمير رعيته» يعني تركهم حتى يظلم بعضهم بعضًا، وقوله: ﴿مَرِيجٌ﴾ أشار به إلى ما في قوله تعالى: ﴿فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾ وفسره بقوله ملتبس، ومنه قولهم مرج أمر الناس بكسر الراء إذا اختلط، وأما مرج بالفتح فمعناه ترك وخلي، ومنه قوله تعالى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾^(١٩) أي: خلاهما لا يلتبس أحدهما بالآخر، وقوله مرجت دابتك بفتح الراء معناه تركتها، اهـ.

وعلم من ذلك أن الإمام البخاري أشار بهذا الكلام إلى تفسير ثلاث آيات: الأولى: ما في سورة الرحمن وهي المقصودة بالذكر ههنا لمناسبة جهنم.

وأما الآيتان الأخريان: فهما قوله تعالى: ﴿فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾ في سورة ق، وقوله تعالى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾^(١٩) في سورة الرحمن، فذكرهما لمناسبة لفظ المرج، وقوله «مرج الأمير» متعلق بالآية الثانية، قال الحافظ رحمه الله تعالى: قال أبو عبيدة في قوله تعالى: ﴿فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾، أي مختلط يقال: «مرج أمر الناس» أي اختلط وأهمل، وروى الطبري عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾ قال: مختلف، وقال أبو عبيدة في قوله تعالى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾ هو كقولك: مرجت دابتك خلبيت عنها وتركتها، وروى الطبري من طريق على بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنه قال: المراد بالبحرين ههنا بحر السماء والأرض يلتقيان كل عام، ومن طريق سعيد بن جبير وابن أبيزى مثله، ومن طريق قتادة والحسن هما بحرا فارس والروم، قال الطبري: والأول أولى، لأنه سبحانه وتعالى قال بعد ذلك: ﴿يَخْرُجُ مِنْهَا الْوُثُوءُ وَالْمَرْجَاتُ﴾^(٢٢) [الرحمن: 22] وإنما يخرج اللؤلؤ من أصداف بحر الأرض عن قطر السماء، قال الحافظ: وفي هذا دفع لمن جزم بأن المراد بهما البحر الحلو والبحر الملك وجعل قوله منهما من مجاز التغليب، انتهى مختصرًا.

(2) وفي الصحاح مرجت الدابة أمرجها بالضم مرجًا إذا أرسلتها ترعى.

3258 - حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ مُهَاجِرِ أَبِي الْحَسَنِ، قَالَ: سَمِعْتُ زَيْدَ بْنَ وَهْبٍ، يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ فِي سَفَرٍ فَقَالَ: «أَبْرِدْ» ثُمَّ قَالَ: «أَبْرِدْ» حَتَّى فَاءَ الْفَيْءِ، يَعْنِي لِلتَّلْوْلِ ثُمَّ قَالَ: «أَبْرِدُوا بِالصَّلَاةِ، فَإِنَّ شِدَّةَ.....

﴿مَرْجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْقِيَانِ﴾ ١٩ ﴿﴾ أَرْسَلَهُمَا ثُمَّ يَلْتَقِيَانِ بَعْدَ وَرَوَى الطَّبْرِيُّ مِنْ طَرِيقِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ الْمَرَادُ بِالْبَحْرَيْنِ هُنَا بَحْرُ السَّمَاءِ وَبَحْرُ الْأَرْضِ يَلْتَقِيَانِ كُلَّ عَامٍ (١) وَمِنْ طَرِيقِ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ وَابْنِ أَبِي مَثَلَةَ وَمِنْ طَرِيقِ الْحَسَنِ مَرْجَ الْبَحْرَيْنِ يَعْنِي بَحْرَ الرُّومِ وَبَحْرَ الْهِنْدِ وَمِنْ طَرِيقِ قَتَادَةَ وَكَذَا عَنِ الْحَسَنِ أَيْضًا بَحْرَ فَارَسَ وَالرُّومَ بَيْنَهُمَا بَرَزَخٌ وَهِيَ الْجَزَائِرُ قَالَ الطَّبْرِيُّ وَهُوَ الْأُولَى لِأَنَّهُ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى قَالَ بَعْدَ ذَلِكَ: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّوْلُؤُ وَالْمَرْحَاتُ﴾ ٢٢ ﴿﴾ وَأَمَّا يَخْرُجُ اللَّوْلُؤُ مِنْ أَصْدَافِ بَحْرِ الْأَرْضِ عَنْ قَطْرِ السَّمَاءِ.

قَالَ الْحَافِظُ الْعَسْقَلَانِيُّ: وَفِي هَذَا دَفْعٌ لِمَنْ جَزَمَ بِأَنَّ الْمَرَادَ بِهِمَا الْبَحْرَ الْحَلَوَّ وَالْبَحْرَ الْمَلْحَ وَجَعَلَ قَوْلَهُ مِنْهُمَا مِنْ مَجَازِ التَّغْلِيْبِ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

(تَنْبِيْهُ) وَاعْلَمْ أَنَّ النَّسْفِيَّ لَمْ يَرَوْهُ هَذِهِ اللَّغَاتُ وَلَمْ يَوْجَدْ فِي نَسْخَتِهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ وَأَمْثَالُ هَذِهِ مِمَّا سَمِعَهُ الْفَرَبْرِيَّ عَنِ الْبُخَارِيِّ عِنْدَ سَمَاعِ الْكِتَابِ فَالْحَقُّ هُوَ بِهِ وَالْأُولَى بَوْضَعُ هَذَا الْجَامِعِ عَدَمُهَا لَا وَجُودُهَا إِذْ مَوْضُوعُهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ جِهَةِ أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ وَأَحْوَالِهِ فَيَنْبَغِي أَنْ لَا يَتَجَاوَزَ الْبَحْثُ عَنْ ذَلِكَ.

(حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ) هُوَ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الطَّيَالِسِيُّ قَالَ: (حَدَّثَنَا شُعْبَةُ) أَيُّ: ابْنِ الْحَجَّاجِ، (عَنْ مُهَاجِرٍ) بِلَفْظِ اسْمِ الْفَاعِلِ مِنْ هَاجِرٍ (أَبِي الْحَسَنِ) الصَّائِغُ يَعِدُ فِي الْكُوفِيِّينَ، (قَالَ: سَمِعْتُ زَيْدَ بْنَ وَهْبٍ) هُوَ أَبُو سُلَيْمَانَ الْهَمْدَانِيُّ الْكُوفِيُّ خَرَجَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَبِضَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ فِي الطَّرِيقِ.

(يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا ذَرٍّ) هُوَ جَنْدَبُ بْنُ جَنَادَةَ الْغَفَارِيُّ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ فِي سَفَرٍ فَقَالَ: «أَبْرِدْ» ثُمَّ قَالَ: «أَبْرِدْ» حَتَّى فَاءَ الْفَيْءِ، يَعْنِي لِلتَّلْوْلِ) يَعْنِي حَتَّى وَقَعَ الظِّلُّ تَحْتَ التَّلْوْلِ، (ثُمَّ قَالَ: «أَبْرِدُوا بِالصَّلَاةِ، فَإِنَّ شِدَّةَ

الْحَرِّ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ».

3259 - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ ذَكْوَانَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ، «أَبْرِدُوا بِالصَّلَاةِ فَإِنَّ شِدَّةَ الْحَرِّ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ».

3260 - حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو سَلَمَةَ ابْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اشْتَكَيْتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا فَقَالَتْ: رَبِّ أَكُلَ بَعْضِي بَعْضًا، فَأَذِنَ لَهَا بِنَفْسَيْنِ: نَفْسٍ فِي الشِّتَاءِ وَنَفْسٍ فِي الصَّيْفِ، فَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الْحَرِّ، وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الرَّمْهِيرِ».

الْحَرِّ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ»⁽¹⁾ والحديث قد مضى في كتاب الصلاة في باب الإبراد بالظهر ومطابقته للترجمة في قوله من فيح جهنم.

(حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ) قَالَ: (حَدَّثَنَا سُفْيَانُ) هو ابن عيينة، (عَنِ الْأَعْمَشِ) سليمان بن مهران، (عَنْ ذَكْوَانَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أَنَّهُ قَالَ: (قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ، «أَبْرِدُوا بِالصَّلَاةِ فَإِنَّ شِدَّةَ الْحَرِّ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ») وقد مر الحديث في الباب الذي ذكر ومطابقته للترجمة كسابقه.

(حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ) قَالَ: (أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ) أَنَّهُ (قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اشْتَكَيْتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا فَقَالَتْ: رَبِّ أَكُلَ بَعْضِي بَعْضًا، فَأَذِنَ لَهَا بِنَفْسَيْنِ: نَفْسٍ فِي الشِّتَاءِ وَنَفْسٍ فِي الصَّيْفِ، فَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الْحَرِّ، وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الرَّمْهِيرِ»).

والحديث قد مضى في الصلاة في الباب المذكور أيضًا.

وفيه: دلالة على أن الله خلق فيها إدراكًا ونطقًا وقيل إن الجنة والنار أسمع

(1) قال الخطابي الإبراد أن تفيء الأفياء وينكسر وهج الحر ويسمى ذلك بردًا بالإضافة إلى حرّ الظهيرة وفيح جهنم سطوع حرها وارتفاع لهبها، ويحتمل أن يراد به التمثيل فيشبه بحر جهنم حذرهم أذاه وضرره يقول: كما تحذرون فيح جهنم فاحذروا حرّ الظهيرة وأذاها قال ابن الأعرابي: الظل ما نسخته الشمس، والفيء ما نسخ الشمس، وقال القزاز: الفيء رجوع الظل من جانب المشرق إلى جانب المغرب والتلول جمع تلّ بفتح المثناة الفوقية وتشديد اللام وهو كل ما اجتمع على الأرض لا يظهر لها ظل إلا إذا ذهب أكثر وقت الظهر.

3261 - حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا أَبُو عَامِرٍ، حَدَّثَنَا هَمَّامٌ، عَنْ أَبِي جَمْرَةَ الضُّبَعِيِّ، قَالَ: كُنْتُ أَجَالِسُ ابْنَ عَبَّاسٍ بِمَكَّةَ فَأَخَذَنِي الْحُمَّى، فَقَالَ: أَبْرِذْهَا عَنْكَ بِمَاءٍ زَمْزَمَ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «الْحُمَّى مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ فَأَبْرِذُوهَا بِالْمَاءِ» أَوْ قَالَ: «بِمَاءِ زَمْزَمَ» - شَكَ هَمَّامٌ -.

المخلوقات وأن الجنة إذا سألها عبد أمنت على دعائه والنار إذا استجار منها أحد أمنت على دعائه⁽¹⁾.

ومطابقته للترجمة في قوله اشتكت النار فإن المراد منه جهنم وليس المراد نفس النار لأن جهنم فيها النار وفيها الزمهرير وهو البرد الشديد ولفظ جهنم يشملهما وغير ذلك من أنواع العذاب⁽²⁾ أعادنا الله من ذلك برحمته.

(حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ) هو المسندي قَالَ: (حَدَّثَنَا أَبُو عَامِرٍ) عبد الملك، هُوَ الْعَقْدِيُّ بفتح العين المهملة والقاف قَالَ: (حَدَّثَنَا هَمَّامٌ) بالتشديد هو ابن يَحْيَى البصري، (عَنْ أَبِي جَمْرَةَ) بالجيم والراء نصر بن عمران (الضُّبَعِيُّ) بضم الضاد المعجمة وفتح الموحدة أنه (قَالَ: كُنْتُ أَجَالِسُ ابْنَ عَبَّاسٍ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (بِمَكَّةَ فَأَخَذَنِي الْحُمَّى، فَقَالَ أَبْرِذْهَا عَنْكَ بِمَاءٍ زَمْزَمَ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: الْحُمَّى مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ) وفيح جهنم سطوع حرها قاله الليث ويقال فاحت القدر إذا غلت وأصله واوي.

(فَأَبْرِذُوهَا بِالْمَاءِ أَوْ قَالَ: «بِمَاءِ زَمْزَمَ» - شَكَ هَمَّامٌ -) وهذا من الطب النبوي الذي لا يشك في حصول الشفاء به وكلام الطبيب الذي يخالف هذا وأمثاله لغو فلا يلتفت إليه.

(1) وقد ورد أن النار تخاطب المؤمن بقولها: جُزْ يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي، وإلى ذلك أي: إلى كون اشتكاء النار بطريق الحقيقة ذهب القاضي عياض والقرطبي والنووي والتوربشتي وابن المنير إلى صلاحية القدرة لذلك، ورجح البيضاوي حمله على المجاز فقال: مجاز عن كثرتها وغليناها وأكل بعضها بعضاً مجاز عن ازدحام أجزائها بحيث يضيق عليها مكانها فيسمى كل جزء في إقناء الجزء الآخر والاستيلاء على مكانه وتنفسها مجاز عن خروج ما يبرز منها وتلبيها، وقال ابن عبد البر: لعلا القولين وجه ونظائر والأول أرجح.

(2) قيل إن أمور هذا العالم وآثاره انموذج ذلك العالم فكما جعل مستطابات الدنيا أشباه نعيم الجنان ليميلوا إليها كذلك جعل الشدائد أنموذجاً لأحوال الجحيم ليزيد خوفهم مما وجد من السموم المهلك فمن حرها وما وجد من الصراصر المجدمة فمن بردها، والله أعلم.

3262 - حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ عَبَّاسٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبَّادَةَ بْنِ رِفَاعَةَ، قَالَ: أَخْبَرَنِي رَافِعُ بْنُ خَدِيجٍ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «الْحُمَّى مِنْ قَوْرِ جَهَنَّمَ فَأَبْرِدُوهَا عَنْكُمْ بِالْمَاءِ»⁽¹⁾.

والحديث قد أخرجَهُ النَّسَائِيُّ فِي الطَّب.

ومطابقته للترجمة ظاهرة.

(حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ عَبَّاسٍ) بالموحدة المشددة وبالمهملة أَبُو عثمان البصري قَالَ: (حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ) أَي: ابن مهدي قَالَ: (حَدَّثَنَا سُفْيَانُ) هو الثوري يروي، (عَنْ أَبِيهِ) سعيد بن مسروق، (عَنْ عَبَّادَةَ) بفتح العين المهملة وبالباء الموحدة المخففة وبعد الألف مثناة تحتية (ابن رِفَاعَةَ) بكسر الراء وتخفيف الفاء وبالعين المهملة أنه (قَالَ: أَخْبَرَنِي رَافِعُ) بالفاء (ابن خَدِيج) بفتح الخاء المعجمة وكسر الدال المهملة الأوسي الأنصاري الحارثي، (قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: الْحُمَّى مِنْ قَوْرِ جَهَنَّمَ) أَي: من شدة حره وفار أَي: جاش. (فَأَبْرِدُوهَا عَنْكُمْ بِالْمَاءِ) ومطابقته للترجمة من قوله من فور جهنم.

(1) قال ابن أبي جمرة في البهجة: ظاهر الحديث الإخبار بأن الحمى من جهنم والأمر بإبرادها عنا بالماء.

والكلام عليه من وجوه:

منها: أن يقال هل هذا على العموم في الحميات كلها أم لا لأن منها ما هي باردة ومنها حامية سخنة وهل معنى إبرادها هو ما يعلم من هذه الصيغة بالعادة وهو ضد الحر أو يكون معناها أزيلوها فيكون هذا على جهة التداوي وكيف يكون الإبراد بالماء هل من الخارج أو من الباطن أو مجموعهما والجواب عن الأول وهو هل هذا على العموم في الحميات كلها أو في السخنة منها.

فالجواب: أن هذا الإخبار منه عليه الصلاة والسلام هو على طريق الشفقة منه والرحمة من الله تعالى فينبغي أن يؤخذ على أتم المحتملات لأنه أبلغ في الفائدة والذي يدل عليه حقيقة اللفظ والوجه الآخر وإن كان محتملاً فليس بالقوي لأنه يحتاج إلى تقدير ضمير في الكلام وحمل الكلام على ظاهره أولى من إدخال ضمير فهي سيما إذا لم يكن هناك معارض فكيف إذا كانت الفائدة أكثر ومما يصدق هذا الوجه قوله عليه الصلاة والسلام: «إنها من فور جهنم» وقد جاء في الحديث: «إن النار اشتكت إلى ربها فقالت يا رب أكل بعضي بعضاً فأذن لي بنفسين في كل عام نفس في الشتاء ونفس في الصيف» فما كان من شدة الحر فمئتها وما كان من شدة البرد فمئتها فعلى هذا فجميع الحميات على اختلافها هي من جهنم فينبغي تبريدها بالماء لكن لمن يكون له =

وقد أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي الطَّبِّ وَكَذَا أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ فِيهِ.

تصديق بالحديث كما قال مولانا جل جلاله في العسل: ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِّثَانِيٍّ﴾ [النحل: 69] وكان ابن عباس رضي الله عنه إذا رمدت عيناه يكتحل به ويتلو الآية فيبرأ وكان ابن عمر رضي الله عنه إذا طلع له نبت يطيله به ويتلو الآية فيبرأ وقد جاء بعض المتأخرين واستعمله على تلك النية فجعل له فيه الشفاء لكل شيء والحديث المأثور الذي جاء فيه قوله ﷺ: «صدق الله وكذب بطن أخيك» في رجل اشتكى له عليه الصلاة والسلام جريان بطن أخيه فقال له عليه الصلاة والسلام: «اسقه عسلاً» ففعل ثم أتاه بعد ذلك يشكو له أن الأمر على حاله فقال: «اسقه عسلاً» ثم أتاه الثالثة أو الرابعة كذلك ثم شفي به قال عليه الصلاة والسلام: «صدق الله وكذب بطن أخيك» ومثل ذلك قوله عليه الصلاة والسلام في الحبة السوداء «شفاء من كل داء إلا السام» الباب في هذا كله واحد فأهل التوفيق والتحقيق أخذوها كلها على العموم فوجدوها كذلك والأخبار في ذلك عنهم كثيرة ومما يقوي طريقهم المبارك قوله جل جلاله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107] فينبغي أن تبقى الرحمة على عمومها لأنها من أرحم الراحمين للضعفاء المساكين وهو عز وجل يعلم ضعفهم واحتياجهم.

وأما الجواب: على قوله أبردوها فيحتمل الوجهين على انفرادهما واحتمل مجموعهما وهو الأظهر للعلة التي قدمناها آنفاً لأنه من باب الرحمة فينبغي أخذ أتم الوجوه وهو جمع الوجهين معا فيحصل له التبريد على بابه والشفاء بمقتضى ما فصلناه أولاً وهو الحق الذي لا ينبغي أن يشك فيه وأما كيف يكون الإبراد بها هل من الخارج أو ضده أو المجموع فقد جاءت الصفة عنه عليه الصلاة والسلام وهي حين حم في مرضه الذي توفي فيه ﷺ فقال: «خذوا لي ماء من سبع قرب لم تحل بعد واسكبوه بعد علي» فدل بقول عليه الصلاة والسلام أن التبريد الذي هو التداوي هذه صفته لأن استعماله في الباطن صاحب الحمى بالعادة يفعله في الغالب منهم لا يقدر على الصبر منه.

وفيه: دليل على عظيم قدرة الله تعالى يؤخذ ذلك من قوله عليه الصلاة والسلام: «إنها من فور جهنم» وقد أخرج إلى هذه الدار منها ما ذكر في الحديث الذي استشهدنا به من الحر الشديد والبرد الشديد وقد جاء أن الحمى حظ كل مؤمن من النار ويظهر في ذلك من الحكمة على مقتضى هذه الحديث الذي ذكرناه أنها على المؤمن تحلة القسم إذ هي حظه من النار وأنها للكافر تعجيل نقمة مما أعد له هناك وفي قوله عليه الصلاة والسلام: «فأبردوها عنكم بالماء» دليل على أن الحكمة تقتضي مداواة الشيء بضده ما يكون حاراً تكون مداواته بالبارد والبارد بالحر ووافق في ذلك قول الأطباء في التجربة سواء بسواء.

وهنا بحث: وهو أن الصادق ﷺ قد أخبر هنا أن الحمى من فور جهنم والأطباء يقولون إنها صادرة من أخلاط في البدن فهل يكون هذا من قبيل التعارض أو يمكن الجمع بينهما الذي يظهر والله أعلم أن الجمع يمكن بينهما بوجه وذلك أن الأطباء تكلموا على ما رأوه بالتجربة مع مرور الأزمنة وهي مقتضى الحكمة وأخبر الصادق عليه الصلاة والسلام بما هو الحق بحسب القدرة فتكون تلك الحمى التي هي من فور جهنم إذا أرسلت على من شاء الله تعالى =

3263 - حَدَّثَنَا مَالِكُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ، حَدَّثَنَا هِشَامٌ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «الْحُمَّى مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ فَأَبْرِدُوهَا بِالْمَاءِ».

3264 - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، عَنْ يَحْيَى، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ، قَالَ: حَدَّثَنِي نَافِعٌ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «الْحُمَّى مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ فَأَبْرِدُوهَا بِالْمَاءِ».

(حَدَّثَنَا مَالِكُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ) قَالَ: (حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ) قَالَ: (حَدَّثَنَا هِشَامٌ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ) أَنَّهُ (قَالَ: الْحُمَّى مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ فَأَبْرِدُوهَا بِالْمَاءِ).

(حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، عَنْ يَحْيَى) هُوَ ابْنُ سَعِيدِ الْقَطَانِ، (عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ) أَنَّهُ (قَالَ: حَدَّثَنِي نَافِعٌ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ) أَنَّهُ (قَالَ: الْحُمَّى مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ فَأَبْرِدُوهَا بِالْمَاءِ) وَفِي هَذَا الْبَابِ رَوَى أَبُو نَعِيمٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ حَزِيفَةَ عَنْ عَمَتِهِ فَاطِمَةَ قَالَتْ عَدْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَقَدْ حَمَ فَا مَرٍ بِسَقَاءٍ يَلْعُقُ عَلَى شَجَرَةٍ ثُمَّ اضْطَجَعَ بِجَنْبِهِ فَجَعَلَ يَقْطُرُ الْمَاءُ عَلَى فُؤَادِهِ فَقُلْتُ ادْعِ اللَّهَ أَنْ يَكْشِفَ عَنْكَ فَقَالَ: «إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ بَلَاءَ الْأَنْبِيَاءِ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ».

وَعَنْ طَارِقِ بْنِ شَهَابٍ: سَمِعْتُ أَسَامَةَ يَقُولُ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اِئْتَنِي فِي وَجْهِ الصَّبْحِ بِمَاءٍ أَصْبَهُ عَلَيْهِ لَعَلِّي أَجِدُ خَفَافًا فَأُخْرِجَ إِلَى الصَّلَاةِ». وَرَوَى الْأَنْصَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ الْحَسَنِ الْمَكِّيِّ عَنِ الْحَسَنِ عَنْ سَمُرَةَ مَرْفُوعًا: «الْحُمَّى قِطْعَةٌ مِنَ النَّارِ إِذَا حَمَ دَعَا بِغُرْفَةٍ مِنْ مَاءٍ فَأَفْرَغَهَا عَلَى قَرْنِهِ فَاغْتَسَلَ»

من عباده فسد مزاجه وتحركت تلك الأخلاط التي أبصرها الأطباء فأخبروا أن تلك هي الحمى وسموها أسماء عديدة مثل المطبقة والحارة والربع والغب وغير ذلك من أسمائها بحسب ما هو منصوص في كتبهم وجاء هذا مثل فعلهم مع القليل تراهم كثيرا ما يسألونه هل يطيب له الطعام أم لا فإذا ذكر لهم أنه يطيب له الطعام فرحوا بذلك وبشروه بإمكان الصحة وإن المرض قد ذهب وقد جاء عن الصادق ﷺ أن الله سبحانه وتعالى وكل بالطعام ملكا وبالشراب ملكا فإذا شاء الله مرض العبد أمر عز وجل ملك الطعام وملك الشراب أن يزيلا عن العبد طيب الشراب وطيب الطعام فيكون عند ذلك بقدرة الله تعالى مرض العبد فإذا أراد الله عز وجل برأه أمر ذلك الملكين أن يردا عليه طيب الطعام والشراب فيكون عند ذلك بفضل الله وقدرته عافية المريض فلما رأى الأطباء تلك العلامة بدوام التجربة دالة على عافية العليل نسبوها إلى نجح طبهم وتأثير أدويتهم ففرحوا بذلك فسبحان من أعطي بعظيم قدرته بديع حكمته جعلنا الله ممن عافاه في الدنيا والآخرة بمته.

3265 - حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي أُوَيْسٍ، قَالَ حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «نَارُكُمْ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ»، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً.....

وصححه الحاكم، وروى ابن ماجه من حديث الحسن عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعاً: «الحمى كير من كير جهنم فنحوها عنكم بالماء البارد».

وروى الطحاوي من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعاً: «إذا حم أحدكم فليستن عليه الماء البارد من السحر ثلاثاً» وصححه الحاكم.

ومطابقة الحديث للترجمة ظاهرة، وقد أخرجهُ مُسْلِمٌ في الطب أيضاً.

(حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي أُوَيْسٍ قَالَ: حَدَّثَنِي بِالْأَفْرَادِ (مَالِكٌ) الْإِمَامُ، (عَنْ أَبِي الزِّنَادِ) عَبْدِ اللَّهِ بْنِ ذَكْوَانَ، (عَنِ الْأَعْرَجِ) عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ هُرْمَزٍ، (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: نَارُكُمْ) مبتدأ خبره قوله: (جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ) وفي رواية أحمد من مائة جزء والجمع بينهما أن الحكم للزائد⁽¹⁾

وروى ابن ماجه من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعاً: ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم ولولا أنها أطفئت بالماء مرتين ما انتفعتم به وإنها لتدعو الله عز وجل أن لا يعيدها فيها وذكر ابن عيينة في جامعه من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا هذه النار قد ضرب بها البحر سبع مرات ولولا ذلك ما انتفع بها أحد وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ضرب بها البحر عشر مرات وسئل ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أيضاً عن نار الدنيا مم خلقت قال من نار جهنم غير أنها طفت بالماء سبعين مرة ولولا ذلك ما قربت لأنها من نار جهنم ومعنى قوله جزء من سبعين جزءاً أنه لو جمع كل ما في الوجود من النار التي يوقدها الآدميون لكانت جزءاً من أجزاء نار جهنم التي هي سبعون جزءاً كل جزء أشد منه.

(قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً) إن هذه مخففة من الثقيلة⁽²⁾ والمعنى

(1) أو المراد المبالغة في الكثرة لا العدد الخاص وزاد الترمذي من حديث أبي سعيد رضي الله عنه لكل جزء منها حرّها.

(2) عند البصريين وهذه اللام بين أن النافية وأن المخففة من الثقيلة.

قَالَ: «فُضِّلَتْ عَلَيْهِنَّ بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا كُلُّهُنَّ مِثْلَ حَرِّهَا»⁽¹⁾.

أن نار الدنيا كانت كافية لتعذيب الجهنميين وهي عند الكوفيين بمعنى ما واللام بمعنى إلا تقديره عندهم ما كانت إلا كافئة.

(قَالَ) أي: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (فُضِّلَتْ) أي: نار جهنم عَلَيْهَا أي: على نار الدنيا وبيروى: (عَلَيْهِنَّ بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا كُلُّهُنَّ مِثْلَ حَرِّهَا) أي:

(1) قال ابن أبي جمرة في البهجة: ظاهر الحديث الإخبار بعظيم قوة حر جهنم وإن هذه النار جزء من سبعين جزءاً منها، والكلام عليه من وجوه:

منها: الكلام في معنى قوله عليه الصلاة والسلام أنها جزء منها هل المراد أن جميع نار الدنيا من أولها إلى آخرها هي جزء منها أو الجزء الذي أخرج للدنيا منها أو نفس الحرارة التي خلقت لها.

والجواب: والله الموفق للصواب أما صيغة اللفظ فيحتمل الثلاثة وجوه على حد سواء وأما إذا نظرنا من طريق الفائدة فيبطل اثنان ويصح الوجه الواحد لأنه إذا قلنا إنها جميع نار الدنيا من أولها إلى آخرها فهذا لا نعلمه ولا لنا طريق إليه فكيف نجعل لنا مثلاً بما لا نعرفه فهذا لا تقضيه الحكمة ولا يعرف من فصاحة العرب وكذلك الكلام على الوجه الآخر الذي هو مقدار الجزء الذي أخرج للدنيا منها فما بقي يصح إلا قدر الحرارة التي لها فإن هذا المقدار نعرفه بتحقيق الإخبار فعلى هذا يكون التمثيل بها فائدة وقد جاء عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «لو أن أهل النار وجدوا مثل ناركم هذه لقالوا فيها» وقد جاء أن هذه النار تستعيز بالله تعالى أن تعاد إلى تلك النار.

وفيه دليل: على أن من حسن الكلام أن يقدم المعلوم في التمثيل ثم الإخبار عن المجهول الغائب إذا أريد التعريف بحقيقته يؤخذ ذلك من قوله عليه الصلاة والسلام: «ناركم» فقدمها في الذكر على الأخرى ليعرف قدر عظمها وفيه من الحكمة أن الفائدة تسبق للذهن به.

وفيه دليل: على عظيم قدرة الله تعالى يؤخذ ذلك من كون هذه النار وتلك نار الاسم واحد وبينهما في الحرارة هذا التفاوت العظيم.

وفيه دليل: على ترك التلفظ بالكلام الذي فيه الفائدة إذ هناك ما يدل عليه يؤخذ ذلك من قول الصحابة رضي الله عنهم إن كانت لكافية ولم يذكروا فيماذا للعلم به وهو العذاب وما يمتحن به من أنواع العذاب بها لأن النار في الغالب لهذا خلقت.

وفيه دليل: على مراجعة المفضل للفاضل يؤخذ ذلك من قول الصحابة رضي الله عنهم للنبي ﷺ إن كانت لكافية.

وهنا بحث: وهو أنه قد تقدم في غير ما موضع من الكتاب أن الصحابة رضي الله عنهم لا يتكلمون إلا بما فيه فائدة فكيف كان كلامهم هنا في شيء قد فرغ من خلقه بمقتضى حكمة الحكيم فيشبه هذا تحصيل حاصل.

والجواب: أن جوابهم بهذه الصيغة كان لفوائد فمنها أن يكون ذلك منهم طعماً لعله ﷺ =

كما فضلت عليها في المقدار والعدد بتسعة وستين جزءًا فضلت عليها في

يجابوهم على ذلك في حق إخوانهم بأمر خاص من التخفيف يؤيد ذلك فعلهم مع ﷺ في غير ما موضع مما يشبه هذا منها حين أخبرهم كيف يقال يوم القيامة لآدم عليه الصلاة والسلام أخرج بعث النار من بنيك فيقول يا رب وما بعث النار فيقال له تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة فبكت الصحابة رضي الله عنهم عند ذلك فقال عليه الصلاة والسلام: «من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد منكم إلى الجنة» فعند ذلك زال عنهم ما كان أصابهم من الرعب وكذلك حين تلا عليهم قوله تعالى: ﴿يَوْمَ كَانَ يُقَادَرُ لَهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: 4] فقالوا ما أطوله من يوم وأخبرهم عليه الصلاة والسلام أنه يخفف على المؤمن حتى يكون عنده قدر ما يقع فيه الصلاة المكتوبة أو ما قال عليه الصلاة والسلام فزال عنهم ما كانوا وجدوا بقولهم في هذا الجواب على عاداتهم المباركة المفيدة وفيه أيضًا أنه عليه الصلاة والسلام أفادهم بقوله فضلت عليها بتسعة وستين جزءًا كلهن مثل حرها فأفاد جوابه عليه الصلاة والسلام لهم أن هذه النار ليست من تلك ردًا على من زعم أنها منها.

وفيه دليل: على إضافة الشيء لمن يتصرف فيه وإن كان لا يملكه يؤخذ ذلك من قوله عليه الصلاة والسلام ناركم فأضافها إليهم وهي ليست لأن عين جوهرها لا يمكن ملكه إلا للذي خلقه غير أن إنما نملك الشيء الذي يستخرجها منه وهو لا يدوم لأنه ساعة وعادت رمادًا ومما يزيد ذلك قول مولانا جل جلاله: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ أَشَرُّ أَشْأَتُمْ شَجَرَةً أَمْرًا تَحْتُ الْمُنْتَشُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [الواقعة: 71 - 72] فتلك الشجرة وهي التي تخرج من الزند عند القدح به من يملكها أو كيف يقدر أحد على حبسها.

وفيه من الفائدة: أن حرارة تلك النار كلها على حد واحد يعارضنا في هذا الوجه ما جاء أنها سبع طباق وأن ما سفلى منها أعظم من الذي يعلوه وينفصل عنه بأن يقال ما بين تلك الدركات من عظيم الأمر إنما هو من أجل أمر آخر منها سد المحل وله مثال هنا مثل لو أن شخصًا يوقد نارًا على سطح بيت وآخر يوقد مثله في بيت آخر يوقد مثله في مطمور تحت البيت فانار الثلاثة في نفسها على حد سواء الذي أوقدها في السطح ما منه من إيذاؤها إلا ما كان هناك من الهواء والذي أوقدها في البيت وجد من حرها ما لم يجد الذي في السطح لانحصاره في البيت وقلة الهواء فيه والذي أوقدها في المطمورة أشدهم لأنه انعكس عليه دخانها ولم يخرج عنه من جميع حرها شيء فالمحل هو الذي زاد في التعب لسده ثم أيضًا زيادة أخرى كما زيادة أخرى كما أخبر عنهم أنه يرسل عليهم الثعابين والأفاعي وقد جاء أنه يوضع على كل مفصل من مفاصل من قدر عليه بها سبعون نوعًا من العذاب أو كما قال فهذا وما أشبهه ليس من نفس حرارتها بل هو لمعنى زائد فيحسب زيادة تلك الأمور يكون سوء حال الشخص فيها وترتب على الإخبار به من الفائدة وجوه منها الخوف ومنها ليكون ردعًا من موجبها لمن له عقل والعمل الأشياء المنجية منها وإلا إذا سمع مثل هذه الأخبار ولا يرجع سامعها عن موجبها فلا يخلو من أحد أمرين إما أن لا يصدق أو يصدق فإن صدق ولم يرجع دخل تحت قوله =

3266 - حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ عَمْرِو، سَمِعَ عَطَاءً، يُخْبِرُ عَنْ صَفْوَانَ بْنِ يَعْلَى، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ عَلَى الْمِنْبَرِ ﴿وَنَادَا يَمْلِكُ﴾ [الزخرف: 77].

الحر بتسعة وستين جزءاً.

وَقَالَ الطَّيْبِيُّ: فَإِنْ قُلْتَ كَيْفَ طَابَقَ لَفْظُ فَضَلَتْ عَلَيْهَا جَوَابًا وَقَدْ عَلِمَ هَذَا التَّفْضِيلُ مِنْ كَلَامِهِ السَّابِقِ قُلْتَ: مَعْنَاهُ الْمَنْعُ مِنْ دَعْوَى الْأَجْزَاءِ وَالْكَفَايَةِ أَيْ: لَا بَدَّ مِنَ التَّفْضِيلِ لِيَتِمِزَ مَا يَصْدُرُ مِنَ الْخَالِقِ فِي الْعَذَابِ عَلَى مَا يَصْدُرُ مِنْ خَلْقِهِ.

وروى ابن المبارك عن مَعْمَرٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدَرِ قَالَ: لَمَّا خَلَقْتَ النَّارَ فَزَعْتَ الْمَلَائِكَةَ وَطَارَتْ أَفْتَدَتْهُمْ وَلَمَّا خَلَقَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ سَكَنَ ذَلِكَ عَنْهُمْ.

وَقَالَ مِيمُونُ بْنُ مِهْرَانَ: لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ جَهَنَّمَ أَمْرَهَا فَزَفَرَتْ فَلَمْ يَبْقَ فِي السَّمَوَاتِ السَّبْعِ مَلِكٌ إِلَّا خَرَّ عَلَى وَجْهِهِ فَقَالَ لَهُمُ الرَّبُّ: ارْفَعُوا رُؤُوسَكُمْ أَمَا عَلِمْتُمْ أَنِّي خَلَقْتُكُمْ لِلطَّاعَةِ وَهَذِهِ خَلَقْتُهَا لِأَهْلِ الْمَعْصِيَةِ قَالُوا رَبَّنَا لَا نَأْمَنُهَا حَتَّى نَرَى أَهْلَهَا فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَهُمْ مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: 28].

وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مَرْفُوعًا: إِنْ تَحْتَ الْبَحْرِ نَارًا.

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: الْبَحْرُ طَبَقُ جَهَنَّمَ ذَكَرَهُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ وَضَعْفُهُ وَفِي تَفْسِيرِ ابْنِ النَّقِيبِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يُبَدَّلُ الْأَرْضُ﴾ [إبراهيم: 48] تَجْعَلُ الْأَرْضَ جَهَنَّمَ وَالسَّمَوَاتِ الْجَنَّةَ وَهَذَا مُخَالَفٌ لِمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ أَهْلُ السَّنَةِ مِنْ أَنَّهُمَا مَخْلُوقَتَانِ مَوْجُودَتَانِ الْآنَ.

ومطابقة الحديث للترجمة ظاهرة.

(حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ) قَالَ: (حَدَّثَنَا سُفْيَانُ) أَيْ: ابْنُ عَيْنَةَ، (عَنْ عَمْرِو) هُوَ ابْنُ دِينَارٍ أَنَّهُ (سَمِعَ عَطَاءً) أَيْ: ابْنَ أَبِي رِبَاحٍ (يُخْبِرُ عَنْ صَفْوَانَ بْنِ يَعْلَى، عَنْ أَبِيهِ) يَعْلَى بْنُ أُمِيَّةٍ (أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ عَلَى الْمِنْبَرِ ﴿وَنَادَا يَمْلِكُ﴾) وَقَدْ مَرَّ

⁼ تَعَالَى: ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ [البقرة: 175] قَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ مَعْنَاهُ مَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى الْأَفْعَالِ الَّتِي يَعْلَمُونَ أَنَّهَا تَوْجِبُ لَهُمُ النَّارَ فَجَاءَ التَّعْجِيبُ عَلَى بَابِهِ أَعَاذَنَا اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ بِمَنْهُ وَإِنْ لَمْ يَصْدَقْ جَاءَ مَا هُوَ أَعْظَمُ وَهُوَ الْكُفْرُ لِأَنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة: 85] فَلْيَنْتَبِهِ السَّامِعُ وَيَدَارِكْ نَفْسَهُ فِي زَمَانِ الْمَهْلَةِ أَبْقَظْنَا اللَّهُ مِنْ سَنَةِ الْغَفْلَةِ بِمَنْهُ.

3267 - حَدَّثَنَا عَلِيُّ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، قَالَ: قِيلَ لَأَسَامَةَ: لَوْ أَتَيْتَ فَلَانًا فَكَلَّمْتَهُ، قَالَ: إِنَّكُمْ لَتَرَوْنَ أَنِّي لَا أَكَلِّمُهُ إِلَّا أَسْمِعُكُمْ، إِنِّي أَكَلِّمُهُ فِي السَّرِّ دُونَ أَنْ أَفْتَحَ بَابًا لَا أَكُونُ أَوَّلَ مَنْ فَتَحَهُ، وَلَا أَقُولُ لِرَجُلٍ إِنْ كَانَ عَلَيَّ أَمِيرًا إِنَّهُ خَيْرُ النَّاسِ، بَعْدَ شَيْءٍ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالُوا: وَمَا سَمِعْتُهُ يَقُولُ؟ قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ فِي النَّارِ،

الحديث في باب ذكر الملائكة وإنما ذكره هنا لمطابقة قوله يا مالك للترجمة المذكورة فإن المراد من مالك هو خازن النار.

(حَدَّثَنَا عَلِيُّ) هو علي بن عبد الله المعروف بابن المديني قَالَ: (حَدَّثَنَا سُفْيَانُ) هو ابن عيينة، (عَنِ الْأَعْمَشِ) هو سليمان بن مهران، (عَنْ أَبِي وَائِلٍ) هو شقيق بن سلمة أنه (قَالَ: قِيلَ لَأَسَامَةَ) هو ابن زيد بن حارثة حبُّ النبي ﷺ. (لَوْ أَتَيْتَ فَلَانًا) أراد به عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه وجواب لو محذوف أو هو للتمني فيستغنى عن الجواب.

(فَكَلَّمْتَهُ) أي: فيما يقع من الفتنة بين الناس والسعي في إطفاء نائرتها قاله الْكِرْمَانِيُّ وفي التوضيح أراد أن يكلمه في شأن أخيه لأمه الوليد بن عقبة لما شهد عليه بما شهد ف قيل لأسامَةَ ذلك لكونه كان من خواص عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. (قَالَ: إِنَّكُمْ لَتَرَوْنَ أَنِّي لَا أَكَلِّمُهُ) أي: أنكم لتظنون أنني لا أكلمه (إِلَّا أَسْمِعُكُمْ) من الإسماع أي: إلا بحضوركم وأنتم تسمعون ويروى: إلا بسمعكم بصيغة المصدر أي: إلا وقت سمعكم.

(إِنِّي أَكَلِّمُهُ فِي السَّرِّ دُونَ أَنْ أَفْتَحَ بَابًا) من أبواب الفتن حاصله أكلمه طلبًا للمصلحة لا تهيجًا للفتنة لأن المهاجرة بالإنكار على الأمراء فيه نوع الخروج عليهم وفيه تشجيع عليهم وتأدية إلى افتراق الكلمة وتشيت الجماعة. (لَا أَكُونُ أَوَّلَ مَنْ فَتَحَهُ) أي: أول من فتح باب من أبواب الفتنة. (وَلَا أَقُولُ لِرَجُلٍ إِنْ كَانَ عَلَيَّ أَمِيرًا) بفتح الهمزة أي: لأن كان.

(إِنَّهُ خَيْرُ النَّاسِ، بَعْدَ شَيْءٍ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالُوا: وَمَا سَمِعْتُهُ يَقُولُ: قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ فِي النَّارِ) أي: تنصب أمعأؤه من جوفه وتخرج من دبره والاندلاق بالبدال

فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الْجَمَارُ بِرَحَاهُ، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ: أَيُّ فُلَانٍ مَا شَأْنُكَ؟ أَلَيْسَ كُنْتُ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنِ الْمُنْكَرِ؟ قَالَ: كُنْتُ أَمُرُّكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ، وَأَنْهَأُكُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ»

المهملة والقاف الخروج بالسرعة ومنه دلق السيف واندلق إذا خرج من غمده من غير أن يُسَلَّ والأقتاب جمع قتب بالكسر وهي الأعماء والقتب مؤنث وتصغيره قتيبة ومنه سمي الرجل قتيبة.

(فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الْجَمَارُ بِرَحَاهُ، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ: أَيُّ فُلَانٍ) يعني يا فلان (مَا شَأْنُكَ؟) أي: ما حالك التي أنت فيها.

(أَلَيْسَ) الهمزة فيه للاستفهام على سبيل الاستخبار.

(كُنْتُ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ) وهو اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله عز وجل والتقرب إليه والإحسان إلى الناس وكل ما ندب إليه الشرع من المحسنات وهو من الصفات الغالبة أي: أمر معروف بين الناس لا ينكرونه.

(وَتَنْهَانَا عَنِ الْمُنْكَرِ) وهو ضد المعروف وكل ما قبحه الشرع وحرمه وكرهه فهو منكر.

(قَالَ: كُنْتُ أَمُرُّكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ، وَأَنْهَأُكُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ) وفي الحديث الأدب مع الأمراء واللطف بهم ووعظهم سرًّا وتبليغهم قول الناس فيهم ليكفوا عنه هذا كله إذا أمكن فإن لم يمكن الوعظ سرًّا فليجعله علانية لئلا يضيع الحق لما روى طارق بن شهاب قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَفْضَلُ الْجِهَادِ كَلِمَةٌ حَقٌّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ وَأَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ.

قَالَ الطَّبْرِيُّ: معناه إذا أمن على نفسه أو أن يلحقه من البلاء ما لا طاقة له به وروي ذلك عن ابن مسعود وحذيفة وهو مذهب أسامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَقَالَ آخَرُونَ: الواجب على من رأى منكراً من ذي سلطان أن ينكره علانية كيف أمكنه روي ذلك عن عمر.

وأبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَقَالَ آخَرُونَ: الواجب أن ينكر بقلبه وينبغي لمن أمر بمعروف أن يكون كامل الخير لا وصمة فيه. قَالَ شُعَيْبٌ عَلَيْهِ وَالسَّلَامُ:

رَوَاهُ عُثْدَرٌ، عَنْ شُعْبَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ⁽¹⁾.

﴿وَمَا أَرِيدُ أَنْ أَخْلِفَكُمْ إِلَّا مَا أَتَيْتُكُمْ عَنْهُ﴾ [هود: 88] وقد أوجب جماعة أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر من لا يفعل ذينك .

وَقَالَ جماعة من الناس : يجب على متعاطي الكاس أن ينهى حلاسه عنه وفيه وصف جهنم بأمر عظيم روى مسلم عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مرفوعاً يؤتى بجهنم يوم القيامة لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها ولا بن وهب عن زيد بن أسلم عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعاً فيبينما هم يجرونها إذ شردت عليهم شرده فلولاً أنهم أدركوها لأحرقَتْ من في الجمع .

ومطابقته للترجمة من حيث أن فيه ذكر النار التي هي جهنم وقد أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي الْفِتَنِ أَيْضًا وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي آخِرِ الْكِتَابِ.

(رَوَاهُ) أي : روى الحديث المذكور (عُثْدَرٌ) هو مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، (عَنْ شُعْبَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ) وهذا التعليق وصله الْبُخَارِيُّ فِي كِتَابِ الْفِتَنِ.

(1) قال ابن أبي جمرة في البهجة : ظاهر الحديث الإخبار بسوء حال هذا الرجل يدخل النار فيدور فيها كما يدور الحمار برحاه بعد ما تندلق أفتابه وهي الأمعاء وما قاربها .

والكلام عليه من وجوه :

منها : ما فيه من الدليل على عظيم قدرة الله تعالى يؤخذ ذلك من كون ما على أمعائه من الجلد واللحم قد ذهب وهي باقية على حالها .

ومنها : البحث على قوله عليه الصلاة والسلام كما يدور الحمار برحاه هل ذلك بسائق يسوقه أو بغير سائق احتمل الوجهين معاً لكن لفظ الحديث يعطي أنه سوق عنيف وحالة سيئة يؤخذ ذلك من تمثيله بالحمار والمعلوم من الحمار أنه لا يكون منه الدوران برحاه لا بالسوق والضرب ومن أجل ذلك شبهه عليه الصلاة والسلام بالحمار ولم يشبهه بغيره من الدواب التي تراض وقد تدور وحدها مثل البعير وغيره وليس في الدواب أبلد من الحمار وفيه تنبيه على أن صاحب المخالفة يوصف بالبلادة وإن كانت عند نفس نبيهاً لأنه عليه الصلاة والسلام قد شبهه بأبلد البهائم ومما يقوي ما قلناه قوله عليه الصلاة والسلام : «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله» لأنه في الغالب لا يكون العجز إلا مع البلادة وإذا اجتماعهما سبب الحرمان .

وفيه دليل : على أن دخول النار لمن قدر عليه بها لا يكون إلا يوم القيامة يؤخذ ذلك من قوله عليه الصلاة والسلام يوم القيامة .

وفيه دليل : على تصرف أهل النار فيها واجتماع بعضهم مع بعض يؤخذ ذلك من قوله عليه الصلاة والسلام : «فيجتمع عليه أهل النار» ويعارضنا ما جاء أن أهل النار يعذب الشخص =

منهم ولا يرى أحد حتى يظن أنه لا يعذب في النار غيره ويجتمع الحديثان بأن نقول النار هي سبع طباق وكل طبقة منها أمر يختص بأهلها فيكون ما أخبر به عليه الصلاة والسلام في هذا الحديث هي نار المؤمنين التي هي أخفها بدليل قوله عليه الصلاة والسلام: «فيقولون له كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر» وهذا لا يكون إلا صفة للمؤمنين ويكون الخبر الثاني عن الكفار أو من شاء الله منهم.

وفيه دليل: على إبقاء الميز والمعرفة لأهل النار مع ما هم فيه من الأمر العظيم يؤخذ ذلك من اجتماع بعضهم مع بعض وكلام بعضهم مع بعض ومراجعتهم وسؤالهم.

وفيه دليل: على أن دخول أهل النار يكون بعنف دون اختيارهم يؤخذ ذلك من قوله عليه الصلاة والسلام: «يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار» فلولاً ما هو كذلك لقال يدخل النار.

وفيه دليل: على أن أعظم الأعمال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يؤخذ ذلك من تعجب أهل النار من دخول هذا الشخص النار وهم يعرفونه أنه كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر لأن أهل النار قد عاينوا الحساب وثواب الأعمال وأي عمل أنفع لصاحبه فلولاً ما رأوا قدر رفع منزلة صاحب الأمر بالمعروف والناهي عن المنكر كيف هي ما تعجبوا من دخول هذا النار وهو على ما كانوا يعلمون منه أنه من أهل ذلك الخير وصحح هو لهم بحثهم بأن فضح نفسه بما كانت سريرته حتى تبقي القاعدة على ما هي عليه من الحق لأن تلك الدار لا يمشى فيها الزور ولا يصح.

وهنا بحث: وهو أن يقال هل كان دخوله النار بتلك الحالة من أجل ما كان يظهر شيئاً وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويفعل ضده أو ذلك لم اكتسب من الآثام أو للجموع ظاهر الأمر أن لهما معاً ولا يقع في النفس ما يقول بعض الجهال أنه لا ينهي عن منكر حتى يكون لا يفعله ولا يأمر بمعروف حتى يكون ممن يفعله وإلا لا يفعل فهذا جهل وعمى نعم ذلك هو صفة الكمال وإنما هو مكلف بالوجهين معاً وهو أن يأمر بالمعروف ويفعله فإذا ترك الأمر به لكونه لم يوفق إلى فعله يكون عذابه على ذنبين فإن أمر به ولم يفعله يكون عذابه على ذنب واحد وكذلك في النهي عن المنكر هو أيضاً ما أمر أن ينهى عنه وأن لا يفعله في نفسه فإذا لم ينه عن المنكر وفعله عذب على ذنبين وإن نهى عنه وفعله عذب على ذنب واحد والعذاب والعياذ بالله على ذنب واحد أقل مما هو على ذنبين ومن هنا وقع ناس كثيرون في تضيق الأوامر والنواهي هي يقولون لا تنه حتى تنتهي فيوجبون على أنفسهم عذاب ذنبين ومثله في الأمر بالمعروف وهو غلط عظيم اللهم إلا أن يكون مثل هذا المذكور الذي كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر لأنه جمع على نفسه ذنبين وزاد لهما الرياء لكونه أخفى وقوعه في المنكر وعدم فعل المعروف الذي كان يتظاهر بأنه ممن يفعله يؤخذ ذلك من تعجب أهل النار منه لما كان يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر وهو يظهر أنه مثل ما يقول لهم فلو علموا منه أنه كان حاله بخلاف ما كان يأمرهم به ما كانوا يتعجبون من دخوله النار.

وفيه دليل: على أن الذي خلط عمله بالحسن والسيئ أنه استحق دخول النار بمقتضى العدل =

11 - بَابُ صِفَةِ إِبْلِيسَ وَجُنُودِهِ⁽¹⁾

11 - بَابُ صِفَةِ إِبْلِيسَ وَجُنُودِهِ

(بَاب) بَيَان (صِفَةِ إِبْلِيسَ وَجُنُودِهِ) اعْلَمْ أَنَّ الْكَلَامَ فِي صِفَتِهِ وَحَقِيقَةِ أَمْرِهِ

يُؤْخَذُ ذَلِكَ مِنْ كَوْنِ هَذَا كَانَ بِالْمَعْرُوفِ وَيُنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَهَذَا مِنْ أَكْبَرِ أَعْمَالِ الْخَيْرِ كَمَا تَقَرَّرَ قَبْلَ لَكِنْ لَمَّا فَعَلَ مَعَ ذَلِكَ الشَّرَّ وَلَمْ يَفْعَلِ الْخَيْرَ اسْتَحَقَّ دُخُولَ النَّارِ. وَفِيهِ دَلِيلٌ: عَلَى أَنَّهُ مِنْ كَانَ لَهُ خَيْرٌ وَعَمِلَ شَرًّا فَإِنَّهُ يَقْدُمُ لَهُ أَوَّلًا الْأَخْذَ بِعَمَلِ الشَّرِّ وَحِينَئِذٍ يَتَفَضَّلُ عَلَيْهِ بِمَا وَعَدَ مِنَ الْخَيْرِ يُؤْخَذُ ذَلِكَ مِنْ كَوْنِ هَذَا الشَّخْصِ قَدْ اجْتَمَعَ لَهُ عَمَلُ خَيْرٍ وَضَدَهُ يَقْدُمُ لَهُ الْمَجَازَاةُ عَلَى الشَّرِّ وَالْحِكْمَةُ فِي ذَلِكَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَنَّهُ لَمَّا كَانَتْ الْجَنَّةُ دَارَ رَحْمَةٍ وَأَنَّهُ مِنْ دَخَلَهَا لَا يَرَى شَيْئًا يَسُوءُهُ بَعْدَ فَقْدِهِ لِلَّذِي لَهُ الْعَمَلُ الْمُخْتَلَطُ دَارَ الْعِقَابِ وَيُخْرِجُ مِنْهَا بَعْدَ إِلَى دَارِ الرِّضَى وَلَا يُمْكِنُ الْعَكْسُ بِمَقْتَضَى الْحِكْمَةِ الرَّبَّانِيَّةِ.

وفيه دليل: على حياتهم في النار وهم فيها يقظانون يؤخذ ذلك من كونهم يتكلمون ويجتمعون ويعارضنا الحديث الذي ذكر فيه أنهم يموتون فيها حتى قال بعض العلماء بظاهره وزعم أن المؤمنين في النار موتى ولا يحسون من عذابها شيئاً وهذا الحديث رد على من زعم ذلك والجمع بين هذين الحديثين كما تقدم في يوم القيامة لأنه مواطن مواطن وكذلك النار أهلها فيها على أحوال يتلونون تارة على نوع وتارة على أخرى وقد يكون له وجه وهو أن تكون تلك الأمور التي أخبر بها في الأحاديث وهي مختلفة إن كل حالة منها لقوم مختصين بها يشهد لهذا المعنى نفس الحديث الذين نحن بسبيله لأنه عليه الصلاة والسلام أخبر أن ذلك الشخص مشغول بدورانه ليس ينفك عنه ما هو فيه من تلك الحال وأن غيره أتاه يسأله عن حاله لأنهم قد اجتمعوا عليه وكذلك ما تعددت الأحوال على هذا الأسلوب لأن الأحاديث كلها صحاح التي قد جاءت في هذا الشأن وهي كلها أخبار والخبر لا يدخله نسخ فلم يبق إلا الجمع بطريق التأويل نحو ما تقدم ويكون فائدة هذا الحديث التنبيه على توفية ما يجب على الشخص من الواجبات في نفسه وغيره لأنها هي الطريقة المخلصة من الله تعالى علينا بها بفضله.

(1) قال الحافظ: إبليس اسم أعجمي عند الأكثر، وقيل مشتق من أبلس إذا أيس، قال ابن الأنباري: لو كان عربياً لصرف كإكليل، وقال الطبري: إنما لم يصرف وإن كان عربياً لقلة نظيره في كلام العرب فشبهوه بالعجمي، وتعقب بأن ذلك ليس من موانع الصرف، وبأنه له نظائر كإخريط وإصليت، واستبعد كونه مشتقاً أيضاً بأنه لو كان كذلك لكان إنما سمي إبليس بعد يأسه من رحمة الله بطرده ولعنه، وظاهر القرآن أنه يسمى بذلك قبل ذلك، كذا قيل ولا دلالة فيه لجواز أن يسمى بذلك باعتبار ما سيقع له، وروى الطبري وابن أبي الدنيا عن ابن عباس رضي الله عنه قال: كان اسم إبليس حيث كان مع الملائكة عزازيل، ثم إبليس بعد، وهذا يؤيد ذلك القول، والله أعلم.

وقول البخاري «وجنوده» كأنه يشير بذلك إلى حديث أبي موسى الأشعري مرفوعاً قال: «إذا أصبح إبليس بث جنوده فيقول: من أضل مسلماً ألبسته التاج» الحديث، أخرجه ابن حبان =

على أنواع:

الأول: إنه هل هو مشتق أو لا؟ فَقَالَ جماعة هو اسم أعجمي ولهذا منع الصرف للعلمية والعجمة.

وَقَالَ ابن الأنباري: لو كان عربياً لصرف كإكيليل.

والحاكم، ولمسلم من حديث جابر مرفوعاً: «عرش إبليس على البحر فيبعث سراياه فيفتنون الناس، فأعظمهم عنده أعظمهم فتنة» واختلف هل كان من الملائكة ثم مسخ لما طرد؟ أو لم يكن منهم أصلاً على قولين مشهورين، اهـ.

وحديث مسلم عن جابر ذكره في المشكاة بلفظ: «إن إبليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه يفتنون الناس فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة» يجيء بأحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا، فيقول: ما صنعت شيئاً ثم يجيء أحدهم فيقول: ما تركت حتى فرقت بينه وبين امرأته، فيدنيه منه ويقول: نعم أنت، اهـ.

قلت: ولجنود إبليس ذكر في الآيات والروايات كثيراً كما في روايات الباب وغيرها، وقد قال عز اسمه: ﴿إِنَّهُ يَرْدَكُمْ هُوَ وَقِيلَهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَوَّعْتُمْ﴾ [الأعراف: 27] وقال عز اسمه: ﴿فَكَبَّرُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ۖ وَخَوَّدُوا إِبْلِسَ أَجْمَعُونَ﴾ [الشعراء: 94 - 95] وقال عز اسمه: ﴿وَأَتَيْنَا عَلَيْهِمْ بَخِيلِكَ ۖ وَالْإِسْرَاءَ﴾ [الإسراء: 64] الآية، وقال عز اسمه: ﴿وَجَفَّأَ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ ۖ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى آلَمٍ لَّا آخِلٍ يُفْتَدُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ﴾ [الدُّحُرُ: 8] وقال عز اسمه: ﴿وَلَقَدْ رَزَقْنَاهُ الذِّنَاءَ يَمْصُغِ وَيَجْعَلُهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾ [الملك: 5] وغير ذلك من الآيات، وقال العيني: روى مجاهد عن ابن عباس أنه قال: بلغنا أن لإبليس أولاداً كثيرين، واعتماده على خمسة منهم: شبر، وأعور، ومسوط، وداهم، وزنبور.

وقال مقاتل: لإبليس ألف ولد ينكح نفسه ويلد ويبيض كل يوم ما أراد، ومن أولاده: المذهب، وخنزب، وهفاف، ومرة، والولهان، والمتقاضى، وجعل كل واحد منهم على أمر ذكرته في تاريخي الكبير، قالوا: باضت ثلاثين بيضة عشرة بالشرق وعشرة بالغرب وعشرة في وسط الأرض، وأنه خرج من كل بيض جنس من الشياطين كالعفاريث والغيلان وغيرهم وأسماءهم مختلفة، كلهم عدو لنبي آدم أعاذنا الله من شرهم، ولهم جنود يرسلهم إلى إضلال بني آدم، انتهى مختصراً. وبسط المفسرون منهم صاحب الجمل الكلام على ذرية إبليس في تفسير سورة الكهف في قوله تعالى: ﴿أَفَنَتَّخِذُهُنَّ وَذُرِّيَّتَهُنَّ أَوْلِيَاءَ﴾ [الكهف: 50] الآية، ولجنود الشيطان روايات في باب الوسوسة من كنز العمال (ج 1).

ثم لا يذهب عليك أن ما في بين سطور الكتاب تحت قوله: ﴿قَرِينٌ﴾ أي في قوله تعالى: ﴿فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [الزخرف: 36]، اهـ. وهي آية من سورة الزخرف ليس بوجيه عندي، فإن القرين ههنا ليس بمعنى شيطان بل بمعنى مصاحب كما لا يخفى، وقال الحافظ: قوله ﴿قَرِينٌ﴾ شيطان، روى ابن حاتم عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾ [الصافات: 51] قال: «شيطان»، اهـ.

وَقَالَ الطَّبْرِيُّ: إنما لم يصرف وإن كان عربياً لقلة نظيره في كلام العرب فشبهوه بالعجمي وفيه نظر لأن ذلك أي: قلة النظر في كلامهم ليس من موانع الصرف على أن له نظائر كاخريط وأصليت وَقَالَ قوم: إنه اسم عربي مشتق من أبلس إذا يئس:

قَالَ الجوهري: أبلس من رحمة الله أي: يئس ومنه سمي إبليس واستبعد كونه مشتقاً أيضاً بأنه لو كان كذلك لكان إنما سمي إبليس بعد يأسه من رحمة الله بطرده ولعنه وظاهر القرآن أنه كان يسمى بذلك قبل ذلك كذا قيل ولا دلالة فيه على ذلك لجواز أن يسمى بذلك باعتبار ما سيقع له نعم.

روى الطَّبْرِيُّ وابن أبي الدنيا عن ابن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ كان اسم إبليس حيث كان عند الملائكة عزازيل ثم إبليس بعد وهذا يؤيد قول من ادعى أنه عربي وعن ابن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أيضاً أن اسمه الحارث وأما كنيته فقليل كانت كنيته أبا مرة وقيل أبو العمر وقيل أبو كردوس.

النوع الثاني: في بيان أصل خلقه روى الطبراني من حديث حجاج عن ابن جريج عن صالح مولى التوأمة وشريك عن ابن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ إن من الملائكة قبيلة من الجن وكان إبليس منها وعن ابن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا سمي قبيلة الجن لأنهم خزان الجنة وعن ابن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ إبليس حي من أحياء الملائكة يقال لهم الجن⁽¹⁾ وَقَالَ مقاتل لا من الملائكة ولا من الجن بل هو خلق منفرد من النار كما خلق آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ من الطين.

وَقَالَ شهر بن حوشب: كان إبليس من الجن الذين يعملون في الأرض الفساد فأسره بعض الملائكة فذهب به إلى السماء ويقال كان نوع من الجن سكان الأرض وكان فيهم الملك والنبوة والدين والشرعية فاستمروا على ذلك مدة ثم طغوا وأفسدوا وجحدوا الربوبية وسفكوا الدماء فأرسل الله إليهم جنوداً من السماء فقاتلوا معهم قتالاً شديداً فطردهم إلى جزائر البحر وأسروا منهم خلقاً

(1) خلقوا من نار السموم وخلق الملائكة كلهم من النور غير هذا الحي، وعن الحسن البصري أنه من الشياطين ولم يكن من الملائكة قط، واحتج بقوله تعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ [الكهف: 50].

كثيراً وكان فيمن أسر عزازيل وهو إذ ذاك صبي ونشأ مع الملائكة وتكلم بكلامهم وتعلم من علمهم وأخذ يسوسهم وطالت أيامه حتى صار رئيساً فيهم حتى أراد الله تعالى خلق آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ واتفق له ما اتفق وروى عكرمة عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ إِبْلِيسُ أَصْلُ الْجَانِ وَالشَّيَاطِينِ وَهُوَ أَبُو الْكُلِّ وَرَوَى مُجَاهِدٌ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ الْجَانُ أَبُو الْجِنِّ كُلِّهِمْ كَمَا أَنَّ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَبُو الْبَشَرِ.

النوع الثالث: في حده وصفته أما حده فما ذكره الماوردي في تفسيره هو شخص روحاني خلق من نار السموم وهو أَبُو الشَّيَاطِينِ وقد ركبت فيهم الشهوات مشتق من الإبلas وهو اليأس من الخير وأما صفته فما قاله الطَّبْرِيُّ كَانَ اللَّهُ قَدْ حَسَنَ خَلْقَهُ وَشَرَفَهُ وَكْرَمَهُ وَمَلَكَهُ عَلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا وَالْأَرْضِ وَجَعَلَهُ مَعَ ذَلِكَ مِنْ خَزَائِنِ الْجَنَّةِ فَاسْتَكْبَرَ عَلَى اللَّهِ وَادَّعَى الرُّبُوبِيَّةَ وَدَعَا مَنْ كَانَ تَحْتَ يَدِهِ إِلَى طَاعَتِهِ وَعِبَادَتِهِ فَمَسَخَهُ اللَّهُ شَيْطَانًا رَجِيمًا وَشَوَّهُ خَلْقَهُ وَسَلَبَهُ مَا كَانَ خَوْلهُ وَلَعَنَهُ وَطَرَدَهُ عَنْ سَمَاوَاتِهِ فِي الْعَاجِلِ ثُمَّ جَعَلَ مَسْكَنَهُ وَمَسْكَنَ شِيعَتِهِ وَأَتْبَاعِهِ فِي الْآخِرَةِ نَارَ جَهَنَّمَ. انتهى.

ويقال كان يقال له طاوس الملائكة لحسنه ثم مسخه الله تعالى وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بِإِسْنَادِهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ كَانَ إِبْلِيسُ يَأْتِي يَحْيَى ابْنَ زَكْرِيَّا عَلَيْهِمَا السَّلَامُ طَمَعًا أَنْ يَفْتَنَهُ وَعَرَفَ يَحْيَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ذَلِكَ مِنْهُ وَكَانَ يَأْتِيهِ فِي صُورِ شَتَّى فَقَالَ أَحَبُّ أَنْ تَأْتِيَنِي فِي صُورَتِكَ الَّتِي أَنْتَ فِيهَا فَأَتَاهُ فِيهَا فَإِذَا هُوَ مَشْوُهُ الْخَلْقِ كَرِيهِ الْمَنْظَرِ جَسَدُهُ خَزِيرٌ وَوَجْهُهُ وَجْهُ قَرْدٍ وَعَيْنَاهُ مَشْقُوقَتَانِ طَوْلًا وَأَسْنَانُهُ كُلُّهَا عَظْمٌ وَاحِدٌ وَلَيْسَ لَهُ لَحْيَةٌ وَيَدَاهُ فِي مَنْكَبَيْهِ وَلَهُ يَدَانِ آخِرَانِ فِي جَانِبَيْهِ وَأَصَابِعُهُ خَلْقَةٌ وَاحِدَةٌ وَعَلَيْهِ لِبَاسُ الْمَجُوسِ وَالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَفِي وَسْطِهِ مَنَاطِقَةٌ مِنْ جُلُودِ السَّبَاعِ فِيهَا كِيزَانٌ مَعْلُوقَةٌ وَعَلَيْهِ جُلَاجِلٌ وَفِي يَدِهِ جَرَسٌ عَظِيمٌ وَعَلَى رَأْسِهِ بَيْضَةٌ مِنْ حَدِيدٍ مَعُوجَةٌ كَالْخَطَافِ فَقَالَ يَحْيَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَيْحَكَ مَا الَّذِي شَوَّهُ خَلْقَتَكَ فَقَالَ كُنْتُ طَاوُسَ الْمَلَائِكَةِ فَعَصَيْتُ اللَّهَ فَمَسَخَنِي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ وَهِيَ مَا تَرَى قَالَ فَمَا هَذِهِ الْكِيزَانُ قَالَ شَهَوَاتُ بَنِي آدَمَ قَالَ فَمَا هَذَا الْجَرَسُ قَالَ صَوْتُ الْمَعَازِفِ وَالنُّوحِ قَالَ فَمَا هَذِهِ

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: (يُقَذَّفُونَ): يُرْمَوْنَ، ﴿دُحُورًا﴾ مَطْرُودِينَ

الخطاطيف⁽¹⁾ قَالَ أَخْطَفَ بِهَا عَقُولَهُمْ قَالَ فَأَيْنَ تَسْكُنُ قَالَ فِي صُدُورِهِمْ وَأَجْرِي فِي عُرُوقِهِمْ قَالَ فَمَا الَّذِي يَعَصِمُهُمْ مِنْكَ قَالَ بَغْضُ الدُّنْيَا وَحُبُّ الْآخِرَةِ.

النوع الرابع: فِي أَوْلَادِهِ وَجُنُودِهِ رَوَى مُجَاهِدٌ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ بَلَّغْنَا أَنَّ لِإِبْلِيسَ أَوْلَادًا كَثِيرِينَ وَاعْتِمَادَهُ عَلَى خَمْسَةِ مِنْهُمْ ثَبَرٌ وَالْأَعُورُ وَمَسُوطٌ وَدَاسِمٌ وَزَلْنَبُورٌ.

وَقَالَ مُقَاتِلٌ: لِإِبْلِيسَ أَلْفٌ وَلَدٌ يَنْكَحُ نَفْسَهُ وَيَلِدُ وَيَبْيِضُ كُلُّ يَوْمٍ مَا أَرَادَ وَمِنْ أَوْلَادِهِ الْمَذْهَبُ وَخَنْزَبٌ وَهَفَافٌ وَمِرَّةٌ وَالْوَلْهَانُ وَالْمَتْقَاضِي وَجَعَلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَلَى أَمْرٍ ذَكَرَهُ الْعُيُنِيُّ فِي تَارِيخِهِ الْكَبِيرِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ الْأَقْنَصُ وَهَامَةُ بْنُ الْأَقْنَصِ وَبَلْزُونٌ وَهُوَ الْمُوَكَّلُ بِالْأَسْوَاقِ وَأُمُّهُ طَرُطِيَّةٌ وَيُقَالُ بَلٌّ هِيَ حَاضِنَتُهُمْ ذَكَرَهُ النِّقَاشُ قَالُوا: بَاضَتْ ثَلَاثِينَ بَيْضَةً عَشْرَةً بِالْمَغْرِبِ وَعَشْرَةً فِي وَسْطِ الْأَرْضِ وَأَنَّهُ خَرَجَ مِنْ كُلِّ بَيْضٍ جَنْسٌ مِنَ الشَّيَاطِينِ كَالْعِفَارِيَّةِ وَالْغِيلَانِ وَالْحَيَاتِ وَأَسْمَاؤُهُمْ مُخْتَلِفَةٌ كُلُّهُمْ عَدُوٌّ لِبَنِي آدَمَ أَعَاذَنَا اللَّهُ مِنْ شَرِّهِمْ وَلَهُ جُنُودٌ يَرْسُلُهُمْ إِلَى إِضْلَالِ بَنِي آدَمَ.

وَقَدْ رَوَى ابْنُ حِبَّانَ وَالْحَاكِمُ وَالطَّبْرَانِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا قَالَ: إِذَا أَصْبَحَ إِبْلِيسُ بِثَّ جُنُودِهِ فَيَقُولُ مَنْ أَضَلَّ مُسْلِمًا أَلْبَسْتَهُ التَّاجَ الْحَدِيثَ.

وَرَوَى مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «عَرِشُ إِبْلِيسَ عَلَى الْبَحْرِ فَيَبِيعُ سَرَايَاهُ فَيَفْتَنُونَ النَّاسَ فَأَعْظَمُهُمْ عِنْدَهُ أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً».

(وَقَالَ مُجَاهِدٌ: (يُقَذَّفُونَ): يُرْمَوْنَ، ﴿دُحُورًا﴾ مَطْرُودِينَ) أَشَارَ بِهِ إِلَى مَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيُقَذَّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ﴾ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ [الصافات: 8 - 9] وَفَسَّرَ قَوْلَهُ يَقَذَّفُونَ بِقَوْلِهِ يَرْمَوْنَ وَقَوْلَهُ دُحُورًا بِقَوْلِهِ: مَطْرُودِينَ كَأَنَّهُ جَعَلَ الْمَصْدَرَ بِمَعْنَى الْمَفْعُولِ جَمْعًا وَقَدْ فَسَّرَهُ عَبْدُ بَنٍ حَمِيدٌ مِنْ طَرِيقِ ابْنِ

(1) الخطاف حديدة محتاة ومخالب السباع خطاطيف.

﴿وَاصِبٌ﴾ [الصفات: 9] دَائِمٌ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿مَذْهُورًا﴾ [الأعراف: 18] مَطْرُودًا يُقَالُ: ﴿مَرِيدًا﴾ [النساء: 117] مُتَمَرِّدًا، بَتَّكَه: قَطَعَهُ

أبي نجیح عن مجاهد كذلك وفسر قوله واصب بقوله دائم.

وقال القاضي في تفسير هذه الآية: ﴿وَيَقْذِفُونَ﴾ ويرمون ﴿مِنْ كُلِّ جَانِبٍ﴾ من جوانب السماء إذا قصدوا صعوده دحورًا علة أي: للدحور وهو الطرد أو مصدر لأنه والقذف متقاربان أو حال بمعنى مدحورين أو منزوع عنه الباء جمع دحر وهو ما يطرد به ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ﴾ أي: عذاب آخر ﴿وَاصِبٌ﴾: دَائِمٌ أو شديد وهو عذاب الآخرة.

(وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (مَذْهُورًا مَطْرُودًا) أشار به إلى ما في قوله تعالى: ﴿فَنُلْقِي فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَذْهُورًا﴾⁽¹⁾ [الإسراء: 39] وقد وصل هذا التعليق الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عنه والمدحور مفعول من الدحر وهو الدفع والإبعاد من قولك دحرت أدحره دحراً ودحوراً وفي تفسير عبد بن حميد عن قتادة دحوراً قذفا في النار وقوله ملوماً معناه تلوم نفسك⁽²⁾.

(يُقَالُ ﴿مَرِيدًا﴾: مُتَمَرِّدًا) أشار به إلى ما في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا﴾ [النساء: 117] وفسر مريداً بقوله متمرداً وإن يدعون وإن يعبدون بعبادتها أي: بعبادة اللات والعزى ومناة ونحوها وقد كان لكل حي صنم يعبدونه ويسمونهم أنثى بني فلان إلا شيطاناً مريداً لأنه الذي أمرهم بعبادتها وأغراهم عليها وكان طاعته في ذلك عبادة له والمارد والمريد الذي لا يعلق بخير وأصل التركيب للملابسة ومنه صرح ممرّد وغلّام أمرد وشجرة مرداء للتي تنثر ورقها.

(بَتَّكَه قَطَعَهُ) أشار به إلى ما في قوله تعالى: ﴿وَلَا مَرْتَهُمْ فَلْيَبْتَكَنْ أَذَانُكَ الْأَنْفِ﴾ [النساء: 119] أي: ليقطعن⁽³⁾ وقد فسر بتكه بمعنى قطعه وقال قتادة يعني البهيرة وهي أن الناقة إذا نتجت خمسة أبطن وكان آخرها ذكراً شقوا أذنها ولم ينتفعوا بها والتقدير ولآمرنهم بتبتك أذانها وهذا من حكاية قول إبليس عليه

(1) وقد فسرّ قوله: ﴿مَذْهُورًا﴾ بقوله مطروداً.

(2) وإنما ذكره البخاري هنا استطراداً لذكره دحوراً قبله، وإن كان لا يتعلق بإبليس وجنوده.

(3) وكذا قال أبو عبيدة.

اللعنة حيث قَالَ تعالى حكاية عنه وقال : ﴿لَا تَخْذَنْ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾ [النساء: 118] أي : نصيبًا قدر لي وفرض من قولهم فرض له في العطاء ﴿وَلَا ضِلَّيْنَهُمْ﴾ عن الحق ﴿وَلَا مُبِينَهُمْ﴾ الأما ني الباطلة كطول الحياة وأن لا بعث ولا عقاب ﴿وَلَا مَرْتَهُمْ فَلْيَبَيِّنْكُمْ ءَاذَانُكُمُ الْاَنْعَمُ﴾ يشقونها لتحريم ما أحل الله تعالى وهي عبارة عما كانت العرب تفعل بالبحائر والسواائب فإن أهل الجاهلية كانوا إذا أنتجت الناقة خمسة أبطن آخرها ذكرًا شقوها وخلّوا سبيلها فلا تتركب ولا تحلب .

وكان الرجل منهم يقول : إن شفيت من مرضي أو قدمت من سفري فناقني سائبة ويجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها وإذا ولدت الشاة أنثى فهي لهم وإن ولدت ذكرًا فهو لآلهتهم وإن ولدتهما وصلت الأنثى أخاها فلا يذبح لها الذكر وإذا أنتجت من صلب الفحل عشرة أبطن حرموا ظهره ولا يمنعه من ماء ولا مرعى وقالوا قد حمى ظهره وقد أبطل الله تعالى ذلك بقوله : ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِيَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ [المائدة: 103] بتحريم ذلك ونسبته إليهم ﴿وَأَكْذَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الآية] أي : الحلال والحرام والمبيح من المحرم أو الأمر من النهي ولكنهم يقلدون كبارهم إذا عرفت ذلك فبقوله : ﴿فَلْيَبَيِّنْكُمْ ءَاذَانُكُمُ الْاَنْعَمُ﴾ عبارة عن ذلك وإشارة إلى تحريم كل ما أحل الله ونقص كل ما خلق كاملاً بالفعل أو القوة ﴿وَلَا مَرْتَهُمْ فَلْيَعْبِرُوا بِخَلْقِ اللَّهِ﴾ [النساء: 119] عن وجهه صورة أو صفة ويندرج فيه ما قيل من فقه عين الحامي وخصاء العبيد والوشم والوشر⁽¹⁾ واللواط والسحق ونحو ذلك وعبادة الشمس والقمر وتغيير فطرة الله سبحانه وتعالى التي هي الإسلام واستعمال الجوارح والقوى فيما لا يعود على النفس كمالاً ولا يوجب لها من الله سبحانه وتعالى زلفى وعموم اللفظ يمنع الخصاء مطلقاً لكن الفقهاء رخصوا في خصاء البهائم للحاجة والجمل الأربع حكاية عما ذكره الشيطان نطقاً أو آثاء فعلاً ﴿وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [النساء: 119] بإيثار ما يدعو إليه على ما أمر الله

(1) الوشر : أن تحدد المرأة أسنانها وترفعها وفي الحديث : «لعن الله الواشرة والموتشرة».

﴿وَأَسْتَفْزِرُ﴾ [الإسراء: 64] اسْتَخَفَّ ﴿بِحَيْلِكَ﴾ [الإسراء: 64] الْفُرْسَانُ، وَالرَّجُلُ الرَّجَالَةُ، وَاحِدُهَا رَاجِلٌ، مِثْلُ صَاحِبٍ وَصَحْبٍ وَتَاجِرٍ وَتَجَرٍ.....

به ومجاوزته عن طاعة الله إلى طاعته ﴿فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا﴾ [الآية] إذا ضيع رأس ماله وبدله مكانه من الجنة بمكانه من النار ﴿يَعِدُّهُمْ﴾ [النساء: 120] ما لا ينجزهم ﴿وَيُمَنِّيهِمْ﴾ [الآية] ما لا ينالون ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الآية] وهو إظهار النفع فيما فيه الضرر وهذا الوعد إما بالخواطر الفاسدة أو بلسان أوليائه ﴿أُولَئِكَ مَاؤُنْهْمُ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾ [النساء: 121] معدلاً ومهرباً من حاص يحيص إذا عدل وعنها حال منه وليس صلة له لأنه اسم مكان وإن جعل مصدرًا فلا يعمل أيضًا فيما قبله.

(﴿وَأَسْتَفْزِرُ﴾: اسْتَخَفَّ ﴿بِحَيْلِكَ﴾: الْفُرْسَانُ، وَالرَّجُلُ الرَّجَالَةُ، وَاحِدُهَا رَاجِلٌ، مِثْلُ صَاحِبٍ وَصَحْبٍ وَتَاجِرٍ وَتَجَرٍ) أشار به إلى ما في قوله تعالى: ﴿وَأَسْتَفْزِرُ مَنِ اسْتَطَعْتُ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبُ عَلَيْهِمُ بِحَيْلِكَ وَرَجْلِكَ﴾ [الإسراء: 64] وفسر قوله استفزز بقوله استخف ويريد بالصوت بالغناء والمزامير وفسر الخيل بالفرسان وفسر الرجل بفتح الراء وسكون الجيم بالرجالة بفتح الراء وتشديد الجيم ثم قَالَ واحد الرجل راجل ومثله بقوله صاحب وصحب وتاجر فإن الصحب جمع صاحب والتجر بفتح المثناة الفوقية وسكون الجيم جمع⁽¹⁾ تاجر.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: كل خيل سارت في معصية وكل رجل مشى فيها وكل ما أصيب من حرام فهو للشيطان وَقَالَ غيره: مشاركته في الأموال في البحيرة والسائبة وفي الأولاد بتسميته عبد العزى ونحو ذلك وفي تفسير القاضي واستفزز واستخف من استطعت منهم أن تستفزه والفرز الخفيف بصوتك بدعائك إلى الفساد وأجلب عليهم وضح عليهم من الجلبة وهي الصياح بخيلك ورجلك⁽²⁾ بأعوانك من راكب وراجل ويجوز أن يكون تمثيل لتسلطه على من يغويه بمغوار صوت على قوم فاستفززهم في أماكنهم وأجلب عليهم بجنده حتى استأصلهم وقرأ حفص ورجلك بكسر الجيم وقرئ بالضم أيضًا وهما لغتان

(1) وما ذكره هو تفسير أبي عبيدة.

(2) فيه إشارة إلى الرجل في قراءة الكسر والضم صفة الاسم مفرد اللفظ مجموع المعنى.

﴿لَا حَتِينَكَ﴾ [الإسراء: 62] لَأَسْتَأْصِلَنَّ. ﴿قَرِينٌ﴾ [الصفات: 51] شَيْطَانٌ.

كنديس وندس ومعناه وجمعك الرجل وشاركهم في الأموال بحملهم على كسبها من الحرام والتصرف فيها على ما لا ينبغي والأولاد بالحث على التوصل إلى الولد بالسبب المحرم والاشتراك فيه بتسميته عبد العزى والتضليل على الأديان الزائغة والحرف الذميمة والأفعال القبيحة وعدمهم المواعيد الباطلة كشفاعة الآلهة والالتكال على كرامة الآباء وتأخير التوبة لطول الأمل ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الإسراء: 64] اعترض لبيان شأن مواعيده.

﴿لَا حَتِينَكَ﴾ : لَأَسْتَأْصِلَنَّ) أشار بهذا إلى ما في قوله تعالى : ﴿لَا حَتِينَكَ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ .

وفسر قوله : ﴿لَا حَتِينَكَ﴾ بقوله : لَأَسْتَأْصِلَنَّ من الاستئصال.

قال أبو عبيدة في قوله تعالى : ﴿لَا حَتِينَكَ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ يقول لأستميلنهم ولأستأصلنهم يقال احتنك فلان ما عند فلان إذا أخرج جميع ما عنده وفي تفسير القاضي : ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾ [الإسراء: 62] الكاف لتأكيد الخطاب لا محل له من الإعراب وهذا مفعول أول والذي صفته والمفعول الثاني محذوف لدلالة صلته عليه والمعنى أَخْبَرَنِي عن هذا الذي كرمته علي بأمرى بالسجود له ﴿لَكِنْ أَخَّرْتَنِي﴾ إلى يوم القيامة كلام مبتدأ واللام موطئة للقسم وجوابه لَا حَتِينَكَ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا : «لَأَسْتَأْصِلَنَّهُم بِالْإِغْوَاءِ إِلَّا قَلِيلًا لَا أَقْدِرُ أَنْ أَقَافِمْ سَكِينَتَهُمْ مِنْ احْتِنَاكِ الْجَرَادِ الْأَرْضَ إِذَا جَرَدَ مَا عَلَيْهَا أَكَلًا» مأخوذ من الحنك وإنما علم أن ذلك يتسهل له إما استنباطًا من قول الملائكة : ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾ [البقرة: 30] مع التقرير أو تفرسًا من خلقه ذا وهم وشهوة وغضب والله تعالى أعلم.

﴿قَرِينٌ﴾ : شَيْطَانٌ) أشار به إلى ما في قوله تعالى : ﴿فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [الزخرف: 36].

وفسر القرين بالشیطان وفسره مجاهد كذلك وروى ابن أبي حاتم عن طريق ابن أبي نجیح عن مجاهد في قوله تعالى : ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾ [الصفات: 51] قَالَ : شَيْطَانٌ وَقَالَ غَيْرُ مُجَاهِدٍ خِلَافَهُ .

3268 - حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَى، أَخْبَرَنَا عِيسَى، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: سُحِرَ النَّبِيُّ ﷺ، وَقَالَ اللَّيْثُ: كَتَبَ إِلَيَّ هِشَامٌ أَنَّهُ سَمِعَهُ وَوَعَاهُ عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: سُحِرَ النَّبِيُّ ﷺ، حَتَّى كَانَ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَمَا يَفْعَلُهُ، حَتَّى كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ دَعَا وَدَعَا، ثُمَّ قَالَ: «أَشْعَرْتُ أَنَّ اللَّهَ أَفْتَانِي فِيمَا فِيهِ شِفَائِي؟ أَتَانِي رَجُلَانِ: فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي وَالْآخَرُ عِنْدَ رِجْلِي، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِلْآخَرِ: مَا وَجَعُ الرَّجُلِ؟ قَالَ: مَطْبُوبٌ، قَالَ: وَمَنْ طَبَّهُ؟ قَالَ لَيْدُ بْنُ الْأَعْصَمِ،

وروى الطَّبْرِيُّ عن مجاهد والسدي في قوله تعالى: ﴿وَقِصْنَا لَهُمْ قُرْآنًا﴾ [فصلت: 25] قَالَ: شياطين.

وفي تفسير القاضي ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ﴾ [الزخرف: 36] يتعامى ويعرض عنه لفرط اشتغاله بالمحسوسات وانهماكه في الشهوات ﴿نُفِضَ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ يوسوسه ويغويه دائما.

(حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَى) أي: ابن يزيد الفراء أبو إسحاق الرازي يعرف بالصغير قَالَ: (أَخْبَرَنَا عِيسَى) ابن يونس أي: ابن أبي إسحاق السبيعي، (عَنْ هِشَامٍ) هو ابن عُرْوَةَ، (عَنْ أَبِيهِ) عُرْوَةَ بن الزبير بن العوام، (عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا) أنها (قَالَتْ: سُحِرَ النَّبِيُّ ﷺ، وَقَالَ اللَّيْثُ) هو ابن سعد وقد وصله أبو بكر عبد الله بن داود عن عيسى بن حماد النجيبى المصرى عن الليث: (كَتَبَ إِلَيَّ هِشَامٌ أَنَّهُ سَمِعَهُ وَوَعَاهُ) أي: حفظه، (عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها (قَالَتْ: سُحِرَ النَّبِيُّ ﷺ، حَتَّى كَانَ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ) على البناء للمفعول من تخيل الشيء كذا وليس كذلك وأصله الظن (أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَمَا يَفْعَلُهُ، حَتَّى كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ) من قبيل إضافة المسمى إلى الاسم لأن معنى ذات يوم قطعة من الزمان ذات يوم أي: صاحبة هذا الاسم (دَعَا وَدَعَا، ثُمَّ قَالَ: أَشْعَرْتُ) أي: علمت (أَنَّ اللَّهَ أَفْتَانِي) ويروى: أنبأني أي: أَخْبَرَنِي (فِيمَا فِيهِ شِفَائِي؟ أَتَانِي رَجُلَانِ: فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي وَالْآخَرُ عِنْدَ رِجْلِي، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِلْآخَرِ: مَا وَجَعُ الرَّجُلِ؟ قَالَ: مَطْبُوبٌ) أي: مسحور والطب قد جاء بمعنى السحر، (قَالَ: وَمَنْ طَبَّهُ؟) أي: من سحره (قَالَ لَيْدُ بْنُ الْأَعْصَمِ⁽¹⁾،

قَالَ: فِي مَادَا؟ قَالَ: فِي مُشْطٍ وَمُشَاقَّةٍ وَجُفٍّ طُلْعَةٍ ذَكَرٍ، قَالَ فَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ: فِي بَثْرِ ذَرَوَانَ» فَخَرَجَ إِلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ،

قَالَ: فِي مَادَا؟ قَالَ: فِي مُشْطٍ) فِيهِ لُغَاتُ ضَمِّ الْمِيمِ وَإِسْكَانِ الشَّيْنِ وَضَمِّهَا أَيْضًا وَكَسْرِ الْمِيمِ بِإِسْكَانِ الشَّيْنِ.

(وَمُشَاقَّةٌ) بَضْمِ الْمِيمِ وَتَخْفِيفِ الشَّيْنِ الْمَعْجَمَةِ وَالْقَافِ قَالَ الْكِرْمَانِيُّ مَا يَغْزُلُ مِنَ الْكُتَانِ وَقَالَ الْعَيْنِيُّ الْمَشَاقَّةُ مَا يَخْرُجُ مِنَ الْكُتَانِ حِينَ يَمْشِقُ وَالْمَشَقُّ جَذْبُ الشَّيْءِ لِيَمْتَدَّ وَيَطُولَ (وَجُفٍّ طُلْعَةٍ ذَكَرٍ) بِإِضَافَةِ طُلْعَةٍ إِلَى ذِكْرِ الْجَفِّ بِضَمِّ الْجِيمِ وَتَشْدِيدِ الْفَاءِ وَعَاءُ طُلْعِ النَّخْلِ وَهُوَ الْغِشَاءُ الَّذِي يَكُونُ عَلَيْهِ وَيَطْلُقُ عَلَى الذِّكْرِ وَالْأُنْثَى وَلِهَذَا قِيدَهُ بِقَوْلِهِ ذَكَرٌ وَهُوَ الَّذِي يَدْعَى بِالْكَفْرِى.

وَقَالَ ابْنُ فَارَسٍ: جَفَّ الطُّلْعِ وَعَاؤُهَا يُقَالُ إِنَّهُ شَيْءٌ يَنْقَرُ مِنْ جَذْوَعِ النَّخْلِ. وَقَالَ الْهَرَوِيُّ: وَيُرْوَى فِي مَشْطٍ وَمَشَاطَةٍ فِي جَفِّ طُلْعَةٍ قَالَ الْمَشَاطَةُ الشَّعْرُ الَّذِي يَسْقُطُ مِنَ الرَّأْسِ وَاللَّحْيَةِ عِنْدَ التَّسْرِيحِ بِالْمَشْطِ.

قَالَ: وَجَفَّ طُلْعَةُ أَيٍّ: فِي جَوْفِهَا وَقَوْلُهُ ذَكَرُ الذِّكْرِ مِنَ النَّخْلِ الَّذِي يُؤْخَذُ طُلْعُهُ فَيَجْعَلُ مِنْهُ فِي طُلْعِ النَّخْلَةِ الْمَثْمَرَةِ فَيَصِيرُ بِذَلِكَ تَمْرًا وَلَوْ لَمْ يَجْعَلْ فِيهِ لَكَانَ شَيْصًا وَلَا يَكَادُ يَسَاغُ.

(قَالَ فَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ: فِي بَثْرِ ذَرَوَانَ) بَفَتْحِ الذَّالِ الْمَعْجَمَةِ وَسُكُونِ الرَّاءِ وَيُرْوَى ذِي أُرْوَانَ وَكِلَاهُمَا صَحِيحٌ مَشْهُورٌ وَالْأَوَّلُ أَصَحُّ وَهِيَ بَثْرُ الْمَدِينَةِ فِي بَسْتَانَ بَنِي زُرَيْقٍ بِضَمِّ الزَّايِ وَفَتْحِ الرَّاءِ وَسُكُونِ الْمَثْنَةِ التَّحْتِيَّةِ وَبِالْقَافِ.

(فَخَرَجَ إِلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ) وَفِي رِوَايَةٍ بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيًّا وَالزُّبَيْرَ وَعِمَارَ ابْنَ يَاسَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فَنَزَحُوا مَاءَ تِلْكَ الْبَثْرِ كَأَنَّهُ نَقَاعَةُ الْحَنَاءِ ثُمَّ رَفَعُوا الصَّخْرَةَ وَأَخْرَجُوا الْجَفَّ فَإِذَا فِيهِ مَشَاطَةٌ رَأْسُهُ وَأَسْنَانٌ مِنْ مَشْطِهِ وَإِذَا وَتَرٌ مَعْقَدَةٌ فِيهِ إِحْدَى عَشْرَةَ عَقْدَةً مَغْرُوزَةٌ بِالْإِبْرِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى الْمَعُودَتَيْنِ فَجَعَلَ كُلَّمَا قُرِئَتْ آيَةٌ أَنْجَلَتْ عَقْدَةً وَوَجَدَ ﷺ خَفَةً حَتَّى إِذَا انْحَلَّتِ الْعَقْدَةُ الْأَخِيرَةُ قَامَ ﷺ كَأَنَّمَا نَشِطَ مِنْ عَقَالٍ وَجَعَلَ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ:

(بِسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ مِنْ كُلِّ شَرٍّ يُؤْذِيكَ وَمِنْ كُلِّ حَاسِدٍ وَمِنْ عَيْنٍ وَاللَّهُ يَشْفِيكَ) وَيُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ إِنَّهُ خَرَجَ إِلَيْهَا بِنَفْسِهِ أَوَّلًا وَلَمْ يَسْتَخْرِجْ ثُمَّ بَعَثَهُمْ فَنَزَحُوا مَاءَهَا

ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ لِعَائِشَةَ حِينَ رَجَعَ: «نَخْلُهَا كَأَنَّهَا رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ» فَقُلْتُ: اسْتَخْرَجْتَهُ؟ فَقَالَ: «لا، أَمَّا أَنَا فَقَدْ شَفَانِي اللَّهُ، وَخَشِيتُ أَنْ يُيِيرَ ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ شَرًّا» ثُمَّ دُفِنَتْ الْبُثْرُ⁽¹⁾.

وأخرجوا الجف المذكور. والله تعالى أعلم.
(ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ لِعَائِشَةَ حِينَ رَجَعَ: «نَخْلُهَا كَأَنَّهَا رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ»⁽²⁾ قَالَ الْخَطَّابِيُّ: فِيهِ قَوْلَانِ:

أحدهما: أنها مستدقة كرؤوس الحيات والحية يقال لها الشيطان.
والآخر: أنها وحشية المنظر سمجة الأشكال وهو مثل في استقباح صورتها وهول منظرها كصورة الشياطين.
(فَقُلْتُ: اسْتَخْرَجْتَهُ؟) بهمة الاستفهام أي: ذلك الجف.

(فَقَالَ: «لا، أَمَّا أَنَا فَقَدْ شَفَانِي اللَّهُ، وَخَشِيتُ أَنْ يُيِيرَ ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ شَرًّا»⁽³⁾ ثُمَّ دُفِنَتْ الْبُثْرُ) بلفظ البناء للمفعول وفي رواية فقالوا يا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا نَأْخُذُ الْخَبِيثَ فنقله فَقَالَ ﷺ: «أما أنا فقد شفاني الله وأكره أن أثير على الناس شراً» قالت عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: ما غضب رَسُولُ اللَّهِ ﷺ غضباً ينتقم من أحد لنفسه قط إلا أن يكون شيئاً هو لله فيغضب لله وينتقم.

قَالَ الْخَطَّابِيُّ: وَأَنْكَرَ قَوْمٌ حَقِيقَةَ السَّحَرِ وَدَفَعَ آخَرُونَ هَذَا الْحَدِيثَ وَزَعَمُوا أَنَّهُ لَوْ جَازَ أَنْ يَكُونَ لِلْسَّحَرِ فِي الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ تَأْثِيرٌ لَمْ يُمْنَ أَنْ يُوْثَرَ ذَلِكَ فِيمَا يُوْحَى إِلَيْهِ مِنْ أَمْرِ الدِّينِ.

(1) قال السندي: قوله: «كأنها رؤوس الشياطين»، هذا هو محل الترجمة حيث يدل على أن الشياطين أجسام لها رؤوس تستقبحها الطباع السليمة يشبه بها الشيء الكريه المنظر، وقال المحقق ابن حجر وغيره: محل الترجمة أن السحر إنما يتم باستعانة الشياطين على ذلك، وقد أشكل ذلك على بعض الشراح، ولعل ما ذكرنا أوضح وأقطع لتوهم الإشكال، اهـ.

(2) رضي الله عنها حين رجع نخلها أراد به طلوعها لأنَّ السحر كان في الطلع وإنما أضاف النخل إلى البثر لأنه كان مدفوناً فيها كأنها رؤوس الشياطين. وقال القاضي عياض كأنه رؤوس الشياطين في تنافي القبح والهول وهو تشبيه بالمتخيل كتشبيه الفائق في الحسن بالملك، وقيل الشياطين: حيات هائلة قبيحة المنظر لها أعراف، ولعلها سميت بها لذلك أي: لهولها وقبح منظرها فيكون تشبيهاً بالمحقق.

(3) يعني خفت أن يتعلموا من أجزائه شيئاً فتركه في تلك البثر على ما وجده فلم أخرجه.

والجواب: إن السحر ثابت وحقيقته موجودة وقد ذكر الله في قصة سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾ [البقرة: 102] وَقَالَ: ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ [الفرق: 4] وقد اشتهر بين العامة من عقد الرجال عن المباشرة وهو من المشاهير الصادقة الحقة.

وقد فرغ الفقهاء على السحر أحكامًا واتفق أكثر الأمم من العرب والفرس والهند والروم على إثباته وأما ما زعموا أن دخول الضرر على أمر النبوة فليس الأمر على ذلك والأنبياء عليهم السلام بشر جاز عليهم في الأمراض والعلل ما جاز على غيرهم إلا فيما خصهم الله من العصمة من الأمراض المنفرة ومن الخلل في أمر الدين فليس تأثير السحر في أبدانهم بأكثر من القتل والسم وقد قتل زكريا ويحيى عليهما السلام ونبينا ﷺ قد سم بخبير ولم يكن ذلك دافعًا لفضيلتهم وموجبًا لنقصتهم وإنما هو ابتلاء من الله.

وقد قَالَ ﷺ: «إنا معاشر الأنبياء يضاعف علينا البلاء كما يضاعف لنا الثواب».

وأما ما يتعلق بالنبوة فقد عصمه الله تعالى من أن يلحقه الفساد وإنما كان يخيل إليه أنه يفعل الشيء ولا يفعله في أمر النساء خصوصًا في إتيان أهله إذ كان قد أخذ عنهن بالسحر دون ما سواه من الدين وذلك من جملة ما تضمنه قوله تعالى: ﴿فَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾ [البقرة: 102] فلا ضرر فيما لحقه من السحر على نبوته ولا نقص فيما أصابه منه على شريعته والحمد لله على ذلك.

وَقَالَ النَّوَوِيُّ: لا استنكار عقلاً في أن الله تعالى يخرق العادة عند النطق بكلام يلفق أو تركيب أجساد أو المزج بين قوى على ترتيب لا يعرفه إلا الساحر.

قَالَ: وفي الحديث استحباب الدعاء عند حصول المكروبات.

وفيه أيضًا كمال عفو رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وترك مصلحة لخوف مفسدة أعظم منها وهي أن يقع بين المسلمين وبين قبيلة الساحر فتنة.

3269 - حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي أُوَيْسٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَخِي، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بِلَالٍ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «يَعْقُدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ، يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ مَكَانَهَا: عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ، فَإِنْ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدُهُ كُلُّهَا، فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ، وَإِلَّا أَصْبَحَ

وَقَالَ الْقَاضِي عِيَّاضُ: إِنَّمَا سَلَطَ السَّحَرُ عَلَى جَسَدِهِ وَظَوَاهِرِ جَوَارِحِهِ لَا عَلَى عَقْلِهِ وَقَلْبِهِ وَاعْتِقَادِهِ وَكَانَ يَظْهَرُ لَهُ مِنْ نَشَاطِهِ وَمَتَقَدِّمِ عَادَتِهِ الْقُدْرَةُ عَلَى النِّسَاءِ فَإِذَا دَنَا مِنْهُنَّ أَخَذَتْهُ أَخْذَةُ السَّحَرِ فَلَمْ يَتِمَّكَنْ مِنْ ذَلِكَ وَقَالَ غَيْرُهُ .
وفيه: أن آثار الفعل الحرام ينبغي أن تزال وتمحى وكأنه أخذه من قوله ثم دفنت البئر، والحديث قد مضى في باب هل يعفى عن الذمي إذا سحر في أواخر الجهاد.

وسياتي في الطب أيضًا ووجه إيراد هـنا من جهة أن السحر إنما يتم باستعانة الشياطين على ذلك، وسياتي إيضاح ذلك في الطب إن شاء الله تعالى.
(حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي أُوَيْسٍ) واسم أبي أويس عبد الله المدني وإسماعيل هذا ابن أخت مالك الإمام (قَالَ: حَدَّثَنِي) بالإنفراد (أَخِي) هو عبد الحميد بن أبي أويس أبو بكر، (عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بِلَالٍ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: يَعْقُدُ الشَّيْطَانُ⁽¹⁾ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ) هو مؤخر العنق ويقال مؤخر الرأس ومنه قافية الشعر.

(إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ، يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ مَكَانَهَا) أي: في مكان القافية⁽²⁾
قائلا: (عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ) قَالَ الْكِرْمَانِيُّ: أي: بقي عليك ليل طويل.
(فَارْقُدْ، فَإِنْ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدُهُ كُلُّهَا، فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ، وَإِلَّا أَصْبَحَ

(1) قال العيني: معنى يعقد يتكلم.

(2) كذا قال الكرماني: لكن الظاهر من الرواية الأخرى وهي يضرب على مكان كل عقدة أنه بدل من كل عقدة والضمير للعقدة.

خَبِثَ النَّفْسِ كَسْلَانٌ»⁽¹⁾.

خَبِثَ النَّفْسِ كَسْلَانٌ) والحديث قد مضى في كتاب التهجد بالليل في باب

(1) قال ابن أبي جمرة في البهجة: ظاهر الحديث الإخبار بأن الشيطان يعقد على قافية رأس النائم إذا نام ثلاث عقد وأنها لا يحلها إلا تلك الشعائر المذكورة في الحديث. والكلام عليه من وجوه:

منها: هل ذلك العقد هو في القافية نفسها أو هو في شيء آخر يجعله الشيطان عليه السلام القافية وهل ذلك لكل نائم كان من أهل الخصوص أو غيرهم أو ذلك العقد يتجدد في كل نوم ينامه بالليل وأنه إذا استيقظ وذكر وتوضأ وصلى ثم نام عاد الشيطان فعقد ثانية أو ثالثة كلما عاد إلى النوم عاد هو إلى العقد أو أنه إذا فعل تلك الطاعات ثم نام بعد لا يعود الشيطان إليه وهل ذلك لكل مصلى على أي حال كان أو ذلك لمن قبلت صلاته وكان من أهل التوفيق.

فالجواب عن الأول: وهو قولنا هل العقد في القافية نفسها ومعنى القافية هنا هي آخر الرأس مما يلي الظهر أو هو في شيء آخر الظاهر أنه في شيء آخر بدليل آخر قوله على ولو كان فيها نفسها لقال فيها وزاد ذلك بياناً لقوله: «يضرّب مكان كل عقدة عليك ليل طويل» لأن هذه الصفة صفة ما يفعلها السحرة إذا سحروا شخصاً إنما يفعلون ما يفعلونه من السحر في شيء بأيديهم ويعقدون فيه العقد ويسمون ما يشاؤون من أنواع سحرهم ولا احتمال آخر لأن من النائم من ليس له شعر فقيم يربطون وهو الغالب من الناس.

والجواب عن الثاني: وهو هل ذلك على عمومه في أهل الخصوص وغيرهم اللفظ يعطي العموم لكن يخصه الآي والحديث أما الآي فمنها قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَنَرَى لَكَ عَلَيْهِنَّ سُلْطَانًا﴾ [الحجر: 42] وأما الحديث فمثل قوله ﷺ: «من قرأ عند النوم سورة من القرآن كانت له حرراً من الشيطان حتى يصبح» ومن قرأ آية الكرسي عند مسائه كانت له حرراً من الشيطان» أو كما قال عليه الصلاة والسلام ومن قال كلما أصبح وأمسي: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير كانت له حرراً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي وليلته حتى يصبح» أو كما قال ﷺ والأحاديث في ذلك كثيرة فهذا يخص عموم اللفظ وجاء الحديث مخبراً بما يعمل من نسي التحرز من الشيطان أوله ليله ولم يكن من الخصوص الذي لم يجعل الشيطان عليهم سبيلاً كما أخبر ﷺ أنه يأكل مع من لم يسم وأن من سمي لا يأكل معه وكذلك الشرب وكذلك الجماع وكذلك دخول المنزل فهو ﷺ قد نبه على مكائده كلها وجمع وجوه تسليطه علينا وبين المخرج منها والتحرز منها أيضاً فجاءه الله عنا خيراً ومما يوضح ما قلناه إن بعض العباد جاء يدخل مسجداً في البرية وكان ممن أعطي شيئاً من المكاشفات فرأى شيطانين على باب المسجد أحدهما يقول للآخر أدخل أغر ذلك المصلي فقال له لا أقدر ذلك النائم يحرقني بنفسه فتعجب العابد كيف يخاف الشيطان من النائم ولا يخاف من المصلي فلما دخل أبصر النائم إبراهيم بن أدهم فانظر هل يعقد الشيطان على قافية مثل ذلك السيد شيئاً وهو لا يقدر أن يقرب إليه وكما قال سيدنا ﷺ لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: «ما سلكت فجاً إلا سلك الشيطان فجاً غير فجك» فإذا كان لا يقدر أن يخطر في طريقه فيكف يعقد على ناصيته هذا محال.

عقد الشيطان على قافية الرأس ، ومطابقتها للترجمة ظاهرة.

=
والجواب عن الثالث: وهو هل يتعدد كلما نام وإن كان قد فعل ما ذكر أم لا ظاهر الحديث يقتضي أنه إذا فعل ذلك لا تعود العقد إليه يؤخذ ذلك من قوله عليه الصلاة والسلام أصبح نسيطا طيب النفس.

والجواب عن الرابع: وهو هل ذلك لكل مصل كان حاله كيف كان لفظ الحديث يعطي الاحتمال لكن يخصصه قوله عليه الصلاة والسلام: «من لم تنته صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعدا» فمن هو بعيد من الله أعاذنا الله من ذلك بجاء سيدنا ﷺ كيف لا يعقد الشيطان عليه ويلعب به كيف شاء بل هو في ذاته شيطان كما قال جل جلاله: ﴿شَيْطَانٌ أَلْفِينٌ وَكَالِجِنِّ﴾ [الأنعام: 112] كيف حال من باب أكل الحرام ظالما للناس مدمنا خمرا كيف لا يعقد الشيطان على هذا ومتى تصبح نفس هذا طيبة بل هذا خبيث النفس في كل حال أعاذنا الله من ذلك بمنه ولا يقع على مثل هذا مصل حقيقة لأن في طبقة المبعودين الذين قال عليه الصلاة والسلام فيهم: «من لم تنته صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعدا» ومن أجل الجهل بحقيقة هذه الأحاديث أخذها بعض الناس على ظاهرها وعملوا عليها وهم قد ضيعوا الأصول وظنوا أنهم قد حصل لهم المقصود وهيئات هيئات ما أكثر الجهل والعمى ولذلك قال صاحب الأنوار فيمن ارتكب هذا العمى وما شابهه فردوا الأصول فروعا والفروع أصولا وفقه هذا الحديث وأشباهه أن جميع الخيرات الواردة في الكتاب والسنة هي لأهل التوفيق وذلك أن صحة البدن البشري هي الحمية والدواء وأجمع أطباؤه أن الحمية للبدن أنفع من الدواء فكذلك الدين حمية ودواء فالحمية فيه أنفع من الدواء ولا ينتفع بالدواء إلا بالحمية أو بأكثرها والحمية في الدين هي الوقوف مع الأمر والنهي افعل كذا ولا تفعل كذا كما يقول طبيب الأبدان أن كل كذا ولا تأكل كذا ودواء الدين مثل هذا الحديث وأشباهه من قوله ﷺ: «من فعل كذا كان له كذا» من أنواع التعبدات والخيرات فإذا فعلها بعد الحمية وهي اتباع الأمر واجتناب النهي جاء ما قيل له وزيادة وإذا فعلها دون الحمية المذكورة طلب ذلك فلم يجده فقال له لسان الحال: ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: 165] لأن ترك الأصل وأخذ الفرع وهذه طريقة غير ناجحة لكن لا نقول لمن صنع الحمية لا تأخذ الدواء ففعل أخذ الدواء يجره إلى استعمال الحمية فيحصل المقصود كالذي يكون ماله غير طيب نقول له إن تصدقت لا يقبل لأن سيدنا ﷺ قد قال: «لا يقبل الله صدقة من غلول» ولا نقول له لا تصدق لعله يتدرج بالخير الذي هو الصدقة وإن كانت غير مقبولة والإفلاق.

وفيه: دليل على أن بصحة الدين يصح البدن وينشرح الصدر يؤخذ ذلك من قوله وفيه دليل على الذي يقوم ويذكر الله ويتوضأ ويصلي أنه يصبح نسيطا طيب النفس ولا يكون نسيطا طيب النفس إلا مع صحة البدن وقد جاء ذلك نصا منه ﷺ في قيام الليل فإنه عليه الصلاة والسلام قال فيه: «إنه ينقي الذنوب ويصح البدن».

وفيه: دليل على أن الذنوب تمرض البدن يؤخذ ذلك من قوله عليه الصلاة والسلام وإلا أصبح خبيث النفس كسلان والغالب من خبائث النفس لا تكون إلا مع تألم في البدن ونجد ذلك =

3270 - حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: ذُكِرَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ رَجُلٌ نَامَ لَيْلَهُ حَتَّى أَصْبَحَ، قَالَ: «ذَاكَ رَجُلٌ بَالَ الشَّيْطَانُ فِي أُذُنِهِ، أَوْ قَالَ: فِي أُذُنَيْهِ».

3271 - حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا هَمَّامٌ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ، عَنْ كُرَيْبٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «أَمَّا إِنْ أَحَدَكُمْ إِذَا أَتَى أَهْلَهُ، وَقَالَ: بِسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْنَا، فَرَزَقًا وَلَدًا لَمْ يَضُرَّهُ الشَّيْطَانُ»⁽¹⁾.

(حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ) قَالَ: (حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ) شقيق بن سلمة، (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ) هو ابن مسعود (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أَنَّهُ (قَالَ: ذُكِرَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ رَجُلٌ نَامَ لَيْلَهُ حَتَّى أَصْبَحَ، قَالَ: ذَاكَ رَجُلٌ بَالَ الشَّيْطَانُ فِي أُذُنِهِ، أَوْ) شك من الراوي.

(قَالَ: فِي أُذُنِهِ) بالتوحيد وقوله: بال يمكن حمله على الحقيقة وعلى المجاز وقد مضى الحديث في كتاب التهجد في باب إذا نام ولم يصل بال الشيطان في إذنه ولا يخفى وجه مطابقته للترجمة.

(حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ) التبوذكي قَالَ: (حَدَّثَنَا هَمَّامٌ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ) وفي نسخة بدون ذكر الأب والصحيح ذكره.

(عَنْ كُرَيْبٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «أَمَّا إِنْ أَحَدَكُمْ إِذَا أَتَى أَهْلَهُ، وَقَالَ: بِسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْنَا، فَرَزَقًا وَلَدًا لَمْ يَضُرَّهُ الشَّيْطَانُ»)

مشاهدًا في أهل البطالة والمعاصي أنهم يصبحون غير طيبين في أبدانهم حتى يطلع النهار ويأخذون الأشربة والمعاصي ويعالجون ما بهم من الكسل في أبدانهم هذا مشاهد منهم. وفيه: دليل على عظيم تسلط الشيطان على بني آدم وما جعل الله عز وجل له على ذلك من القدرة يؤخذ ذلك من كونه يعقد في شيء ويؤثر ذلك العقد في بني آدم. وفيه: دليل على حرمة الطاعة وحرمة من أهل العمل بها كيف لا يضرهم شيء من إنس ولا من غيرهم يؤخذ ذلك من حل العقد ووجود النشاط وفي اليوم بعده زيادة في الخير فسبحان من جعل الخير في التوفيق ويسره على أهله جعلنا الله منهم بمنه.

(1) قال ابن أبي جمرة في البهجة: ظاهر الحديث يدل على أن من سمي الله تعالى عند إتيان أهله =

باب التسمية على كل حال وعند الوقاع .

وذكر ذلك الدعاء المذكور فيه فإنه لو قضي بينهما بمولود لا يضره الشيطان، والكلام عليه من وجوه :

منها : أن يقال ما معنى لم يضره هل ذلك مطلق طوله حياته أو عند الولادة لأن كل مولود يولد يطقن الشيطان في خاصرته فمن ذلك هو صراخ المولود عند وقوعه من بطن أمه إلا عيسى عليه الصلاة والسلام فإنه لم يقربه الشيطان وأما سيدنا ﷺ فعند ولادته وقع عليه الصلاة والسلام معتمدًا على يديه رافعًا طرفه إلى السماء وتلقته الملائكة ورجعت الشياطين بالشهب من السماء وطفئت نار فارس وارتج إيوان كسرى فظهر له عليه الصلاة والسلام نور سد الفضاء وظاهر الحديث يعطي العموم وإنه لا يضره طول حياته ويكون معنى قوله لم يضره الشيطان لا يقدر عليه بإغواء ويكون ممن قال عز وجل فيهم : ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الحجر : 42] فانظر إلى هذا الخير العظيم ما أعظمه وذلك بقليل من الفعل لكن مع ذلك ما أقل فاعله فما ينعف البيان إذا وقع الحرمان .

وهنا بحث : وهو متى تكون التسمية ذكر بعضهم أنها تكون عند الإبلاج وقد جاء من طريق آخر أن يسمى خاصة وأنه تكون الحماية للمولود مثل ما ذكر في هذا الحديث .

وفيه دليل : على أن أنجح الأسباب في دفع المضار في الدارين ذكر اسم الله تعالى أما في هذه الدار فيما نحن بسبيله وما أشبه ذلك من الآي والأحاديث مثل قوله ﷺ : «ما عمل آدمي من عمل أنجى له من عذاب الله من ذكر الله» والآي والأثر في ذلك كثير ومما يناسب هذا ما ذكر بعض المباركين وكان شيخًا ضعيفًا فينما هو يوما في بعض أسفاره إذ خرج عليه لص فيه شجاعة وكان معروفاً بذلك ويلقى الجموع وحده وينال منهم ولم يقدر أحد أن ينال منه فلما قرب من الشيخ صرعه الشيخ وأراد أن يجهز عليه فناشده الله تعالى ورغبه في الإقالة فأقاله فلما تباعد منه عظم الأمر عليه لكونه شيخًا ضعيفًا وغلبه ولم يغلبه أحد قبله فتعرض له ثانية ففعل به كما تقدم ثم ثلثة كذلك فسأله لم لك هذه القدرة وأنا فلان كما تعلم شهرتي وأنت على ما أنت عليه من الكبر والضعف فقال له ما قابلت أحدًا قط إلا ببسم الله الرحمن الرحيم وكل من عارضني فعلت به مثل ما فعلت فيك فحينئذ تركه ولم يطمع فيه وعلم أن هذا ليس من قوة البشر وهنا .

نكتة صوفية : وهي لما كان الجماع أكبر شهوات النفس وأثر هذا الممثل ذكر اسم الله تعالى على حظ نفسه أثرت له هذه الفائدة العظمى هذا في لحظة من الزمان فكيف من أثر ذكره دائما كيف يكون حاله ولذلك جاء في التوراة : «قل لأهل محبتي يكثرون من ذكرني فإنه لهم في الدنيا أنس وفي الآخرة جزاء» أو كما قال عز وجل في كتابه العزيز : ﴿أَلَا يَنْصُرُ اللَّهُ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد : 28] فلا يحصل الطمأنينة والخير إلا بذكره جل جلاله وقد جاء في بعض الآثار لو أن رجلين على طريق أحدهما ينفق المال والآخر يديم الذكر لكان الذي يديم الذكر أرفع وأكثر أجرًا وفيه أن من أدب الشريعة حسن الكناية كما تقدم في الحديث قيل يؤخذ ذلك من قوله ﷺ : «أتى أهله» فكنى عليه الصلاة والسلام بالإتيان على الجماع .

وفيه دليل : على حسن بلاغته ﷺ يؤخذ ذلك من قوله ﷺ : «فرزقا ولدا لم يضره الشيطان» وسكت =

سيأتي في كتاب النكاح أيضًا إن شاء الله تعالى.

عن حالهما كيف يكون لأنه إذا كان من أجل فعل الأب ذلك الخير وصلت العناية إلى المولود فمن باب أخرى القائل وصاحبه كما قال عليه الصلاة والسلام في قارئ القرآن: «ولديه يتوجان يوم القيامة تاجين من ذهب يضيئان لأهل عالم تلك الدار كما تضيء الشمس في بيوت أهل الدنيا» أو كما قال عليه الصلاة والسلام فإذا كان يفعل بوالديه من أجل ذلك الخير فكيف يكون حاله هو فسكت عليه الصلاة والسلام في الموضوعين عن حال الفاعلين لدلالة الكلام على حالهما.

وفيه دليل: على أن الولد يلحق في الدين بأبيه يؤخذ من قوله ﷺ: «أما أن أحدكم إذا أتى أهله» ولم يفرق بين الأهل أن تكون مسلمة أو يهودية أو نصرانية لأن هؤلاء مما أبيح لنا نكاحهن فلما أن كان الولد ملحقًا بالأب في دينه كان عمله يؤثر فيه.

وفيه: دليل على أن اسم الولد يطلق لغة على الذكر والأنثى يؤخذ ذلك من قوله ﷺ: «فرزقا ولدًا». وفيه: دليل على أن إضافة الولد إلى الوالدين بالفضل لا بالاستحقاق يؤخذ ذلك من قوله عليه الصلاة والسلام فيه: «فرزقا» ولم يقل «كسبًا ولا فعلًا» كما قال عز وجل في كتابه العزيز: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ۚ أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْمَخْلُقُونَ ۚ﴾ [٥٩] نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَى أَنْ يُبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ أَأَنْتُمْ تَرْزُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الرَّزَّاعُونَ ﴿٦٤﴾ [الواقعة: 58 - 64] فانظر إلى هذه القدرة العظيمة والفضل العميم كيف أباح عز وجل لنا التمتع بشهوة الجماع وتفضل الولد ثم أضافه إلينا وأثابنا على ذلك وجعل لنا فيه المنفعة في الدارين ثم بين لنا أن الذي أضاف إلينا من التسبب في الولد وأثابنا عليه أنه في الحقيقة ليس من كسبنا وأنه منحة ومنة عز وجل لنا لنقدر قدر النعمة ونتلقاها بالشكر فتكثر الفائدة ونحذر من الطرف الآخر وهو أن نميل إليهم فتكون النعمة تشغل عن المنعم قال عز وجل في كتابه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١﴾﴾ [المنافقون: 9] فمن فهم المقصود اشتغل بالمنعم عن النعم فحصل له رضى المنعم وكثرة النعم كما قال جل جلاله: ﴿اعْمَلُوا أَلَّا دَاوُدَ شُكْرًا وَقِيلَ لَهُ نَبِئْ عِبَادِيَ الشُّكْرُ ﴿١٣﴾﴾ [سبأ: 13] لكن وجود الغفلة أوجب حب النعم والشغل عن المنعم «وحب الشيء يعمي ويصمم».

وفيه دليل: على أنه إذا صلح الأصل صلح الفرع يؤخذ ذلك من قوله عليه الصلاة والسلام: «أما إن أحدكم إذا أتى أهله قال بسم الله» فإنه لما كان بمقتضى الحكمة على ما أخبر به الصادق ﷺ في غير هذا الحديث إن العظم والعصب الذي هو أصل هذه الجنة هو من ماء الرجل وإن اللحم والشعر من ماء المرأة فلما صلح حال الرجل الذي من مائه يكون أصل هذه البنية لم يلتفت إلى حال المرأة لأنها في حكم التبعية.

وفيه دليل: لمقتضى اللغة وهو أنه إذا اجتمع المذكر والمؤنث غلب في الخطاب وفي الأخبار المذكر وإن قل يؤخذ ذلك من أنه لما كان الولد من ماء الرجل والمرأة غلب عليه الصلاة والسلام التذكير على التأنيث وأعطى الحكم للرجل فإنه إذا فعل ما أمر به من التسمية حسن حاله وحال الولد ولم يكن للمرأة ذكر.

- 3272 - حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ، أَخْبَرَنَا عَبْدُهُ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا طَلَعَ حَاجِبُ الشَّمْسِ فَادْعُوا الصَّلَاةَ حَتَّى تَبْرُزَ، وَإِذَا غَابَ حَاجِبُ الشَّمْسِ فَادْعُوا الصَّلَاةَ حَتَّى تَغِيبَ.
- 3273 - وَلَا تَحِثُّوا بِصَلَاتِكُمْ طُلُوعَ الشَّمْسِ وَلَا غُرُوبَهَا، فَإِنَّهَا تَطْلُعُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ، أَوْ الشَّيْطَانِ لَا أَذْرِي أَيَّ ذَلِكَ، قَالَ هِشَامٌ⁽¹⁾.

(حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ) هو ابن سلام ثبت كذلك عند ابن السكن وبه جزم أبو نعيم والحياني قَالَ: (أَخْبَرَنَا عَبْدُهُ) بفتح العين المهملة وسكون الموحدة هو ابن سليمان، (عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) أنه (قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِذَا طَلَعَ حَاجِبُ الشَّمْسِ) هو طرف قرصها الذي يبدو عند الطلوع ويبقى عند الغروب (فَدَعُوا الصَّلَاةَ حَتَّى تَبْرُزَ) أي: حتى تظهر (وَإِذَا غَابَ حَاجِبُ الشَّمْسِ فَادْعُوا الصَّلَاةَ حَتَّى تَغِيبَ وَلَا تَحِثُّوا) من التحين وهو طلب وقت معلوم.

(بِصَلَاتِكُمْ طُلُوعَ الشَّمْسِ وَلَا غُرُوبَهَا، فَإِنَّهَا تَطْلُعُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ، أَوْ الشَّيْطَانِ) وقرنا الشيطان جانباً رأسه يقال إنه ينتصب في محاذاة مطلع الشمس حتى إذا طلعت كانت بين جانبي رأسه لتقع السجدة له إذا سجد عبدة الشمس لها وقوله: (لَا أَذْرِي أَيَّ ذَلِكَ، قَالَ هِشَامٌ) القائل بهذا هو عبدة بن سليمان وهشام هو

وفيه دليل: على أنه إذا صلح الراعي صلحت الرعية يؤخذ من الرجل هو الراعي على أهله وولده كما تقدم في الأحاديث قبل لما صلح حاله بامتثال ما أمر به من التسمية صلح حال المرأة والولد بعد ومن هنا فاق أهل التوفيق غيرهم لأنهم نظروا إلى الأصول فأصلحوا فصلحت لهم الفروع والأصول والأصل عندهم هو حقيقة الإيمان والمعرفة بالمعبود على ما هو عليه من الجلال والكمال فمن تحقق بهذين الأمرين حتى رجعا له حالاً أثناء التوفيق فيما سوى ذلك ولذلك لما تحقق الإمام علي رضي الله عنه وعن الصحابة أجمعين كان من دعائه اللهم إنك أنت كما أحب فاجعلني كما تحب فانظر إلى هذا الكلام العجيب من هذا الحبيب لأن العبد إنما يجب أن يكون موله غنياً كريماً رحيماً قوياً محسناً عفواً غفوراً ومولانا جل جلاله جمع هذه الأوصاف وزيادة من أوصاف الكمال ما لا يحصى فهو كما نحب وهو القادر والعبد الضعيف عاجز يرغب منه أن يجعله كما يحب من الله علينا بذلك بفضل.

(1) قال ابن أبي جمرة في البهجة: ظاهر الحديث يدل على النهي عن الصلاة عند ظهور حاجب الشمس حتى تبرز وعند غروب حاجبها أيضاً حتى تغيب، والكلام عليه من وجوه: منها: هل هذا النهي على عمومها في المكتوبة وغيرها أو في النافلة لا غير أو هذا في النافلة =

ابن عروة، والحديث مضى في كتاب مواقيت الصلاة في باب الصلاة بعد الفجر

مطلقاً ما كان منها مأموراً به ومرغباً فيه أو ما كان منها بنفل دون أمر به وترغب فيه مثال المأمور به تحية المسجد وما أشبههما والمرغب فيه مثل سجود التلاوة وما أشبه ذلك وهل إذا بدت كلها تجوز الصلاة أو حتى ترتفع.

فالجواب عن الأول: وهو قولنا هل ذلك في المكتوبة أو غيرها أما المكتوبة فلا يخلو أن يكون نسيها أو نام عنها أو غير ذلك فإن تركها عن نوم أو نسيان فليصلها متى ما ذكر في ذلك الوقت المنهي عنه وغيره لقوله ﷺ: «من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها إذا ذكرها فذلك وقتها» وأما إن كان تأخيرها لعذر شرعي مثل الحائض تطهر والغلام يحتلم فذلك وقت أدائها في حقهما ومن أشبههما من أهل الأعذار الشرعية وإن كان تأخيرها لذلك الوقت مع الذكر والقدرة فقد اختلف العلماء فيه فمنهم من قال إنه مؤد واقتدى في ذلك بقوله ﷺ: «من أدرك ركعة من العصر قبل أن تغرب الشمس فقد أدرك العصر» وأما إن كانت الصبح فقد خرج الوقت وهو آثم بلا خلاف ومنهم من قال إنه في صلاة العصر مؤد آثم لقوله ﷺ: «يجلس أحدهم حتى إذا اصفرت الشمس وكانت بين قرني الشيطان قام فنقر أربعاً لا يذكر الله فيها إلا قليلاً فتلك صلاة المنافقين فتلك صلاة المنافقين فتلك صلاة المنافقين» وهو مشهور مذهب مالك وما ابتدأ نافلة من غير أن يعارض هذا الحديث أمر كما تقدم أو ندب فلا ولا خلاف أعرف فيه وأما ما كان يعارضه ندب أو ترغيب كما ذكرنا فاختلف العلماء في ذلك على قولين: فمنهم: من أجاز وهو مذهب الشافعي رحمه الله ومن تبعه.

ومنهم: من منع وهو مذهب مالك رحمه الله ومن تبعه إلا أن في مذهب مالك رحمه الله في الصلاة على الجنابة قولين من أجل الخلاف هل هي على الوجوب أم لا؟ وكذلك في سجود التلاوة في مذهب مالك قولان أيضاً.

وأما الجواب: على جوازها إذا بدأ القرص كله فالظاهر من الحديث الجواز وقد جاء في سنن أبي داود حتى ترتفع قدر الرمح وقد جاء في أثر آخر حتى ترتفع قدر عصاتين وعلى ارتفاعه قدر الرمح هو العمل عند الفقهاء لأن هذا الحديث جاء مجملاً ولا نص بتحديد الوقت فيكون الذي جاء فيه نص بتحديد الوقت مبيهاً لهذا على عادة أصل الحديث في ذلك وقوله عليه الصلاة والسلام: «ولا تحينوا بصلاتكم» معناه تنحروا وتقصدوا طلوع الشمس ولا غروبها وقوله عليه الصلاة والسلام: «فإنها تطلع بين قرني شيطان أو الشيطان» الشك هنا من الراوي.

وفيه دليل: على فضلهم وتحريمهم في النقل كما تقدم في غير ما موضع. وهنا بحث: في قوله عليه الصلاة والسلام بين قرني الشيطان هل هذا على ظاهره أو هو على معنى آخر وإن كان على ظاهره كيف تكون الكيفية والشمس إنما هي في السماء الرابعة والشياطين ممنوعون من سماء الدنيا فكيف الرابعة.

فالجواب: والله أعلم إن قلنا إنه على ظاهره فقد جاءت صورة الكيفية في ذلك وهو أنه ينتصب لها عند طلوعها وكذلك عند الغروب وكل شيء ينتصب للشمس في ذلك الوقت يمتد ظله على الأرض ثم يقوي للكفار الذين يعبدون الشمس فيسجدون لها فيكونون قد سجدوا =

3274 - حَدَّثَنَا أَبُو مَعْمَرٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ، حَدَّثَنَا يُونُسُ، عَنْ حُمَيْدِ بْنِ هِلَالٍ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِذَا مَرَّ بَيْنَ.....

حتى ترتفع الشمس، ومطابقته للترجمة في قوله فإنها تطلع بين قرني الشيطان.
(حَدَّثَنَا أَبُو مَعْمَرٍ) بفتح الميمين هو عَبْدُ اللَّهِ بن أَبِي الحجاج المنقري المقعد قَالَ: (حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ) هو ابن سعيد قَالَ: (حَدَّثَنَا يُونُسُ) هو هو ابن عبيد العبدى البصري، (عَنْ حُمَيْدِ بْنِ هِلَالٍ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ) ذكوان الزيات، (عَنْ أَبِي سَعِيدٍ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ (قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ): «إِذَا مَرَّ بَيْنَ

= والظل قرنه وهو يقنع من بني آدم بما أمكنه من أي وجه قدر ويغوي المؤمنين المصلين حتى يتحروا بصلاتهم ذلك الوقت فيحصل له في عبادتها مشاركة ما وقد قالت عائشة رضي الله عنها في قول مولانا جل جلاله: ﴿أَسْأَعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَةَ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: 59] والله ما تركوها وإنما أخروها عن وقتها تشبه مكيدته هنا كما فعل بحواء حين حملت فخوفها مما في بطنها ثم قال لها سميه عبد الحارث لأن اسمه الحارث ورجاها بكل خير إذا سمته بذلك كما نص الله عز وجل على ذلك في كتابه حيث قال: ﴿فَلَمَّا أَتَتْكَ ذَعَاكَ اللَّهُ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْنَا صَاحِبًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الأعراف: 189 - 190] واحتمل أن يكون على معنى ثان وهو أنه لما كان هذا وقت تعبد للكفار وجميع تعبدات الكفار إنما هي من الشيطان فكان هذا الوقت مما يعبد فيه الشيطان وقد نهينا أن نشبه بأهل الكتاب فكيف بغيرهم واحتمل الوجهين معًا.
وفيه دليل: على تحقيق الإخلاص في العبادة يؤخذ من النهي عن هذه الأوقات من هذه الشبه الخفية التي لا نعلمها.

وفيه دليل: على كثرة ما خص الله تعالى به هذه الأمة من الخير بهذا النبي الكريم ﷺ الذي قد نهينا على جميع مكائد عدونا بمثل هذا الحديث والأحاديث التي تقدمت والتي بعد حتى لم يبق له مكيدة إلا نهينا عليها وبين لنا المخرج منها والتحرز منها ﷺ أفضل الصلاة والتسليم وفيه وفيما تقدم من الأحاديث دليل على كثرة اشتغال هذا العدو بنا وأنه لا يغفل.
ويترتب على ذلك من الفقه التيقظ لذلك والاشتغال بقهرة وزجره والأخذ فيما يغيظه من الأقوال والأفعال ويقطع ظهره أعاننا الله على ذلك بمتنه.

وفيه دليل: على عظيم لطف الله تعالى بهذه الأمة الذي جعل لها المخرج من ذلك كله بأيسر الأمور وأقربها وهو ذكره عز وجل والتعلق به يؤخذ ذلك من قوله تعالى: ﴿وَمَا يَزَعْنَكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَعْ فَاَسْتَجِدْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْغَلِيظُ﴾ [فصلت: 36] ففي نفس الاستعاذة به عز وجل ذهبت حيل العدو كلها يا لها من نعمة لكن قل فاعلها لأن صاحب الجهل محروم لأنه يتبع عدوه دون حجة ولا برهان ثم يوبخه يوم القيامة بقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَكُفُّوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [إبراهيم: 22] فمن الحمق مصاحبة العدو ومعاداة الحبيب جعلنا الله ممن عادى عدوه وصحب حبيبه بمنه.

يَدِّي أَحَدِكُمْ شَيْءٌ وَهُوَ يُصَلِّي فَلْيَمْنَعُهُ، فَإِنْ أَبَى فَلْيَمْنَعُهُ، فَإِنْ أَبَى فَلْيَقَاتِلْهُ، فَإِنَّمَا هُوَ شَيْطَانٌ».

3275 - وَقَالَ عُثْمَانُ بْنُ الْهَيْثَمِ، حَدَّثَنَا عَوْفٌ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: وَكَلَّنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ، فَقُلْتُ لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - فَذَكَرَ الْحَدِيثَ -، فَقَالَ: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَأَقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ، لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرُبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ «صَدَقَ وَهُوَ كَذُوبٌ ذَاكَ شَيْطَانٌ».

يَدِّي أَحَدِكُمْ شَيْءٌ وَهُوَ يُصَلِّي⁽¹⁾ فَلْيَمْنَعُهُ، فَإِنْ أَبَى فَلْيَمْنَعُهُ، فَإِنْ أَبَى فَلْيَقَاتِلْهُ، فَإِنَّمَا هُوَ شَيْطَانٌ⁽²⁾ وقد مر الحديث في كتاب الصلاة في باب يرد المصلي من مر بين يديه.

ومطابقته للترجمة في قوله فإنما هو شيطان.

(وَقَالَ عُثْمَانُ بْنُ الْهَيْثَمِ) بفتح الهاء وسكون المثناة التحتية وفتح المثناة مؤذن البصرة، (حَدَّثَنَا عَوْفٌ) الإعرابي، (عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: وَكَلَّنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ⁽³⁾ فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ، فَقُلْتُ لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - فَذَكَرَ الْحَدِيثَ -، فَقَالَ: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَأَقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ، لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرُبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ «صَدَقَ وَهُوَ كَذُوبٌ⁽⁴⁾ ذَاكَ شَيْطَانٌ») والحديث قد مضى في باب الوكالة في باب إذا وكل رجلاً بعين ما ذكره ومضى الكلام فيه هناك.

(1) في التيسيح والإشارة ولا يجمع بينهما.

(2) أي: فليدفعه دفعاً شديداً وليس المراد حقيقة المقاتلة إذ المقاتلة أشد على صلاته من المار، وقيل معنى فليقاتله: يؤاخذ على ذلك بعد إتمام الصلاة ويؤنبه والمقصود المبالغة في كراهة المرور، وقالوا: لو هلك المار بذلك الدفع الشديد لا يجب القصاص وهل تجب الدية أم لا فيه؟ مذهبان للعلماء. وقوله فإنما هو شيطان هذا تشبيهٌ ببلغ فإن فعله فعل الشيطان لأنه يؤدي إلى التشويش، وفي رواية مسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما بلفظ فإن مع القرين وهو الشيطان فيكون المعنى فإنما الحاصل له على ذلك الشيطان.

(3) والمراد بها صدقة الفطر.

(4) ويروى صدق الخبيث وهو كذوب.

3276 - حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ عَقِيلٍ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ كَذَا، مَنْ خَلَقَ كَذَا؟ حَتَّى يَقُولَ: مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ؟ فَإِذَا بَلَغَهُ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ وَلْيَنْتَه» (1).

ومطابقته للترجمة ظاهرة.

(حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ) قَالَ: (حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ عَقِيلٍ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ) أنه (قَالَ: أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ) ابْنُ الزُّبَيْرِ قَالَ: (قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ كَذَا، مَنْ خَلَقَ كَذَا؟ حَتَّى يَقُولَ: مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ؟ فَإِذَا بَلَغَهُ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ وَلْيَنْتَه» (أي: عن

(1) قال ابن أبي جمرة في البهجة: ظاهر الحديث الإخبار باستدراج الشيطان بكلامه الحق أولاً لكي يصل به إلى إلقاء الباطل ليقع بالإصغاء إليه الخلل في الإيمان وهو أكبر مقصوده. والكلام عليه من وجوه:

منها: ما ذكرنا في الحديث قبل من كثرة حيله علينا واشتغاله بنا.
ومنها: أيضاً كثرة نصيحة سيدنا ﷺ إلينا وتنبيه عليه الصلاة والسلام على عداوته ومكائده.
ومنها: تعليمه ﷺ للناس كيف المخرج منها.
ومنها: عظيم لطيف الله تعالى الذي جعل لنا المخرج من هذا الأمر العظيم بأيسر شيء وهو الاستعاذة به عز وجل يؤخذ ذلك من قوله عليه الصلاة والسلام: «فليستعذ بالله».
وفيه دليل: على أن مولانا جل جلاله منزّه عن أن يكون من شيء يؤخذ ذلك من قوله عليه الصلاة والسلام حتى يقول: «من خلق ربك فإذا بلغه فليستعذ بالله» أي من ذكر المحال وقد تقدم الكلام على هذا في أول الكتاب من طريق العقل والنقل بما فيه كفاية فأغنى عن ذكره هنا.
وفيه دليل: على أن الخطرة من الشر لا يؤاخذ وفيه دليل: على من قوله عليه الصلاة والسلام: «فإذا بلغه فليستعذ بالله» أي إذا استعذتم بالله فلا تؤاخذون بتلك الخطرة ولا تضركم ولذلك قالت الصحابة رضوان الله عليهم إنا نجد في نفوسنا ما يتعاطم أحدنا أن يتكلم به فقال عليه الصلاة والسلام: «أوجدتموه قالوا نعم قال ذلك صريح الإيمان» أي: في تعاطم الأمر ودفعه لا في نفس وجوده وهو مما يشبه هذا المعنى الذي نحن بسبيله.
وفيه دليل: على أن إغواء العدو لا يكون إلا مع الغفلة يؤخذ ذلك من قوله عليه الصلاة والسلام فليتنبه لأنه لو كان منتهياً لما أصغى إلى قول عدوه حتى استدرجه إلى محض الباطل ولذلك يذكر عن عيسى عليه الصلاة والسلام أنه لقيه اللعين فقال له قل لا إله إلا الله فقال له عيسى عليه الصلاة والسلام: «كلمة حق ولا أقولها عن أمرك» هكذا يكون التحرز من العدو لأنه إذا ثبتت العداوة فلا يطمع منه في خير أصلاً وإن كان ظاهراً ما يقوله خيراً فإنه في الضمن الشر وكذلك ينبغي أن يتحذر من أتباعه فإنهم منه ومثله.

الاسترسال معه في ذلك بإثبات البراهين الحقانية القاطعة على أن لا خالق له بإبطال التسلسل ونحوه بل يلجأ إلى الله في دفعه ويعلم أنه يريد إفساد دينه بهذه الوسوسة فينبغي أن يجتهد في دفعها بالاشتغال بغيرها .

وَقَالَ الطَّبِيبِي : لينته أي : ليرك التفكير في هذا الخاطر وليستعذ بالله من وسوسة الشيطان فإن لم يزل التفكير بالاستعانة فليقم وليشتغل بأمر آخر وإنما أمره بذلك ولم يأمره بالتأمل والاحتجاج لأن العلم باستغناء الله تعالى عن الموجد أمر ضروري لا يقبل المناظرة له وعليه ولأن الاسترسال في التفكير لا يزيد المرء إلا حيرة وذلك لأن السبب في مثله احتباس المرء في عالم الحس وما دام هو كذلك لا يزيد فكره إلا زيغاً عن الحق ومن كان هذا حاله فلا علاج له إلا اللجوء إلى الله تعالى والاعتصام بحوله وقوته .

وقال الخطابي : وجه هذا الحديث أن الشيطان إذا وسوس بذلك فاستعاذ الشخص بالله تعالى منه وكف عن مطاوعته ومطاولته في ذلك اندفع قَالَ وهذا بخلاف ما لو تعرض أحد من البشر بذلك فإنه يمكن قطعه بالحجة والبرهان قَالَ والفرق بينهما أن الأدمي يقع منه الكلام بالسؤال والجواب والحال منه محصور فإذا راعى الطريقة وأضاءت الحجة انقطع وأما الشيطان فليس لوسوسته انتهاء بل كلما ألزم حجة زاغ إلى الغير إلى أن يفضي بالمرء إلى الحيرة نعوذ بالله من ذلك قَالَ الخطابي على أن قوله من خلق ربك كلام متهافت ينقض آخره أوله لأن الخالق يستحيل أن يكون مخلوقاً ثم لو كان السؤال متجهاً لاستلزم التسلسل وهو محال وقد أثبت العقل أن المحدثات مفتقرة إلى محدث فلو كان هو مفتقراً إلى

وفيه دليل : على أن الإيمان الكامل لا يكون إلا مع الانتهاء عن المنهيات يؤخذ ذلك من قوله عليه الصلاة والسلام فلينته فلو كان كامل الإيمان كان منتهياً وقد نص ﷺ على هذا حيث قال المؤمن كيس حذر فطن .

وفيه دليل : على أن اليقظة علامة الخير وأنه لا يكون إلا فيمن أراد الله تعالى به الخير يؤخذ ذلك من قوله عليه الصلاة والسلام فليستعذ بالله ولينته وقد قال تعالى : ﴿ إِنَّكَ أَلْيَمُكَ أَتَقْوُوا إِذَا مَسَّهُمْ كَلِمَةٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾ [الأعراف : 201] فجعل عز وجل ذلك من صفة المتقين والمتقون هم أهل الخير والسعادة في الدارين وقد قال غفلت ومن غفلتي أتيت .

3277 - حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، قَالَ: حَدَّثَنِي عُقَيْلٌ، عَنِ ابْنِ شَهَابٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي أَنَسٍ، مَوْلَى التَّيْمِيِّينَ: أَنَّ أَبَاهُ حَدَّثَهُ: أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا دَخَلَ رَمَضَانُ فَتُحْتَفَتُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ

محدث لكان من المحدثات انتهى.

قال الحافظ العسقلاني: والذي نحا إليه من التفرقة بين وسوسة الشيطان ومخاطبة البشر فيه نظر لأنه ثبت في مسلم من طريق هشام بن عروة عن أبيه في هذا الحديث لا يزال الناس يتساءلون حتى يقولوا هذا خلق الله فمن خلق الله فمن وجد من ذلك شيئاً فليقل أمنت بالله فسوى في الكف عن الخوض في ذلك بين كل سائل عن ذلك من بشر وغيره وفي رواية أبي داود فإذا قالوا ذلك فقولوا الله أحد الله الصمد الآية ثم ليتفل عن يساره ثلاثاً وليستعذ أي: ليقل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم أي: من الشبهات الواهية الشيطانية.

وفي رواية لمسلم عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَأَلَنِي عَنْهَا اثْنَانِ هَذَا وَكَانَ السُّؤَالُ عَنْ ذَلِكَ لَمَّا كَانَ وَاهِيًّا لَمْ يَسْتَحِقْ جَوَابًا وَالْكَفُّ عَنْ ذَلِكَ نَظِيرٌ بِالْكَفِّ عَنِ الْخَوْضِ فِي الذَّاتِ وَالصِّفَاتِ.

وَقَالَ الْمَازَرِيُّ: الْخَوَاطِرُ عَلَى قَسَمَيْنِ فَالَّتِي لَا تَسْتَقِرُّ وَلَا تَجْلِبُهَا شَبْهَةٌ هِيَ الَّتِي تَنْدَفِعُ بِالْإِعْرَاضِ عَنْهَا وَعَلَى هَذَا يَنْزِلُ الْحَدِيثُ وَعَلَى مِثْلِهَا يَنْطَلِقُ اسْمُ وَسُوسَةٍ وَأَمَّا الْخَوَاطِرُ الْمُسْتَقَرَّةُ النَّاشِئَةُ عَنِ الشَّبْهَةِ فَهِيَ الَّتِي لَا تَنْدَفِعُ إِلَّا بِالنَّظَرِ وَالِاسْتِدْلَالِ⁽¹⁾.

ومطابقة الحديث للترجمة ظاهرة.

وقد أخرجهُ مُسْلِمٌ فِي الْإِيمَانِ وَأَبُو دَاوُدَ فِي السَّنَةِ وَالنِّسَائِيُّ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ. (حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ) قَالَ: (حَدَّثَنَا اللَّيْثُ) قَالَ: (حَدَّثَنِي) بِالْأَفْرَادِ (عُقَيْلٌ، عَنِ ابْنِ شَهَابٍ) أَنَّهُ (قَالَ: حَدَّثَنِي) بِالْأَفْرَادِ (ابْنُ أَبِي أَنَسٍ، مَوْلَى التَّيْمِيِّينَ) وَاسْمُهُ نَافِعُ بْنُ مَالِكٍ أَبُو سَهِيلٍ التَّيْمِيُّ: (أَنَّ أَبَاهُ، حَدَّثَهُ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا دَخَلَ رَمَضَانُ فَتُحْتَفَتُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ،

(1) وفي الحديث إشارة إلى ذم كثرة السؤال عما لا يعني المرء وعما هو مستغنى عنه.

وَعُلِّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ، وَسُلْسِلَتِ الشَّيَاطِينُ».

3278 - حَدَّثَنَا الْحُمَيْدِيُّ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، حَدَّثَنَا عَمْرُو، قَالَ: أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، قَالَ: قُلْتُ لَابْنِ عَبَّاسٍ، فَقَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي بْنُ كَعْبٍ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «إِنَّ مُوسَى قَالَ لِفَتَاةٍ: ﴿ءَايِنَا غَدَاءَنَا﴾»، ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أُوتِينَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحَوْتَ وَمَا أُنْسِينِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾»، وَلَمْ يَجِدْ مُوسَى النَّصَبَ حَتَّى جَاوَزَ الْمَكَانَ الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ بِهِ».

3279 - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ، عَنْ مَالِكٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُشِيرُ إِلَى الْمَشْرِقِ فَقَالَ: «هَا

وَعُلِّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ وَسُلْسِلَتِ الشَّيَاطِينُ» وقد مر الحديث في كتاب الصوم في باب هل يقال رمضان أو شهر رمضان وقد مر الكلام فيه فيه أيضًا.

ومطابقته للترجمة ظاهرة.

(حَدَّثَنَا الْحُمَيْدِيُّ) عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّبِيرِ بْنِ عَيْسَى قَالَ: (حَدَّثَنَا سُفْيَانُ) هُوَ ابْنُ عَيْنَةَ قَالَ: (حَدَّثَنَا عَمْرُو) هُوَ ابْنُ دِينَارٍ (قَالَ: أَخْبَرَنِي) بِالْإِفْرَادِ (سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، قَالَ: قُلْتُ لَابْنِ عَبَّاسٍ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَي: سَأَلْتَهُ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاتِهِ ءَايِنَا غَدَاءَنَا﴾ [الكهف: 62].

(فَقَالَ حَدَّثَنَا أَبِي بْنُ كَعْبٍ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: إِنَّ مُوسَى قَالَ لِفَتَاةٍ: ﴿ءَايِنَا غَدَاءَنَا﴾»، ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أُوتِينَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحَوْتَ وَمَا أُنْسِينِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾ وَلَمْ يَجِدْ مُوسَى النَّصَبَ حَتَّى جَاوَزَ الْمَكَانَ الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ بِهِ) وفي نسخة أمره الله بالهاء وقد مضى هذا الحديث في كتاب العلم في ثلاثة مواضع وفي غيره أيضًا والغرض من ذكره هنا قوله: ﴿وَمَا أُنْسِينِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ﴾ ويروى بعد لفظ لابن عباس أن نوحًا زعم أن موسى بنى إسرائيل ليس صاحب الخضر فقال كذب حَدَّثَنَا أَبِي بْنُ كَعْبٍ الخ.

(حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ) الْقَعْنَبِيُّ، (عَنْ مَالِكٍ) الْإِمَامِ، (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) أَنَّهُ (قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُشِيرُ إِلَى الْمَشْرِقِ فَقَالَ: هَا) هُوَ هَاءُ التَّنْبِيهِ.

إِنَّ الْفِتْنَةَ هَا هُنَا، إِنَّ الْفِتْنَةَ هَا هُنَا مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ».

3280 - حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيُّ، حَدَّثَنَا

ابْنُ جُرَيْجٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عَطَاءٌ، عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «إِذَا اسْتَجَنَحَ اللَّيْلُ، أَوْ كَانَ: جُنْحُ اللَّيْلِ، فَكُفُّوا صَبْيَانَكُمْ،

وَقَالَ الْكِرْمَانِيُّ: هَا هُوَ حَرْفٌ وَلَمْ يَزِدْ عَلَى ذَلِكَ شَيْئًا.

(إِنَّ الْفِتْنَةَ هَا هُنَا) يعني أن منشأ الفتنة هو جهة المشرق وقد كان كما أخبر ﷺ (مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ) نسب الطلوع لقرن الشيطان مع أن الطلوع للشمس لكونه مقارناً لطلوع الشمس.

ومطابقته للترجمة ظاهرة والحديث من أفراد البخاري.

(حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ جَعْفَرٍ) أي: ابن أعين أبو زكريا البُخَارِيُّ البيكندي وهو من أفرادهِ قَالَ: (حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيُّ) هو من شيوخ البُخَارِيِّ وقد روي عنه هنا بالواسطة قَالَ: (حَدَّثَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ) هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، (قَالَ: أَخْبَرَنِي) بالافراد (عَطَاءٌ) هو ابن أبي رباح، (عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ) أنه (قَالَ: إِذَا اسْتَجَنَحَ اللَّيْلُ⁽¹⁾ أَوْ كَانَ جُنْحُ اللَّيْلِ) وفي رواية الكشميهني: أَوْ قَالَ جُنْحُ اللَّيْلِ وهو بضم الجيم وبكسرهما لغتان وهو ظلام الليل والمعنى إقباله بعد غروب الشمس يقال جُنْحُ اللَّيْلِ: إِذَا أَقْبَلَ بِظِلَامِهِ وَاسْتَجَنَحَ حَانَ جُنْحُهُ أَوْ وَقَعَ وَأَصَلَ الْجُنُوحُ الْمِيلُ.

وقيل: جُنْحُ اللَّيْلِ أَوَّلُ مَا يَظْلَمُ.

وَقَالَ ابْنُ سِيدَةَ: جُنْحُ اللَّيْلِ يَجْنَحُ جُنُوحًا وَجُنْحًا إِذَا أَظْلَمَ وَيُقَالُ إِذَا أَقْبَلَ ظِلَامُهُ وَحَكَى الْقَاضِي عِيَاضُ أَنَّهُ وَقَعَ فِي رِوَايَةِ أَبِي ذَرٍّ اسْتَجْنَعَ بِالْعَيْنِ الْمَهْمَلَةِ بَدَلَ الْحَاءِ وَهُوَ تَصْحِيفٌ وَعِنْدَ الْأَصِيلِيِّ أَوَّلُ اللَّيْلِ بَدَلَ قَوْلِهِ أَوْ كَانَ جُنْحُ اللَّيْلِ وَكَانَ هَذِهِ تَامَةً بِمَعْنَى وَجَدَ وَحَصَلَ.

(فَكُفُّوا صَبْيَانَكُمْ) أي: امنعواهم من الخروج والانتشار في ذلك الوقت وفي رواية فاكفتوا ومادته كاف وفاء وتاء مشناة فوقية ومعناه ضمّوهم إليكم وكل ما

(1) أي: حان جنحه أو وقع.

فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ تَنْتَشِرُ حِينَئِذٍ، فَإِذَا ذَهَبَ سَاعَةٌ مِنَ الْعِشَاءِ فَخَلُّوهُمْ، وَأَغْلِقْ بَابَكَ
وَاذْكُرِ اسْمَ اللَّهِ، وَأُظْفِئْ مِضْبَاحَكَ وَادْكُرِ اسْمَ اللَّهِ،

ضممته إلى شيء فقد كفته وفي رواية: ولا ترسلوا صبيانكم، (فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ
تَنْتَشِرُ حِينَئِذٍ) قَالَ ابن الجوزي: إنما خيف على الصبيان في تلك الساعة لأن
النجاسة التي تلوذ بها الشياطين موجودة معهم غالبًا والذكر الذي يستعصم به
منهم مفقود من الصبيان غالبًا والشياطين عند انتشارهم يتعلقون بما يمكنهم
التعلق به فلذلك خيف على الصبيان في ذلك الوقت والحكمة في انتشارهم حينئذ
أن حركتهم في الليل أمكن منها لهم في النهار لأن الظلام أجمع للقوى الشيطانية
من غيره وكذلك كل سواد ولذا ورد في حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْكَلْبُ
الْأَسْوَدُ شَيْطَانٌ أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ ويقال إن الشياطين تستعين بالظلمة وتتشأم بالنور.

(فَإِذَا ذَهَبَ سَاعَةٌ مِنَ الْعِشَاءِ فَخَلُّوهُمْ) بفتح الخاء المعجمة هكذا في رواية
الأكثرين وللسرخسي بضم الحاء المهملة من حله يحله.

(وَأَغْلِقْ بَابَكَ) من الإغلاق فلهذا يقال باب مغلق ولا يقال مغلق وإنما قَالَ
فكفوا بصيغة الجمع وَقَالَ أغلق بصيغة الأفراد لأن المراد بقوله أغلق الخطاب لكل
أحد فهو عام بحسب المعنى ولا شك أن مقابلة المفرد بالمفرد يفيد التوزيع كذا
قَالَ الْحَافِظُ الْعَسْقَلَانِيُّ وفيه نظر والصواب ما قاله الْكِرْمَانِيُّ أن قوله كفوا صبيانكم
في معنى المفرد إذ مقابلة الجمع بالجمع يفيد التوزيع فكأنه قَالَ كَفَ أَنْتَ صَبِيحُكَ.

(وَاذْكُرِ اسْمَ اللَّهِ، وَأُظْفِئْ) أو من الإطفاء (مِضْبَاحَكَ وَادْكُرِ اسْمَ اللَّهِ) وإنما
أمر بذلك لأنه جاء في الصحيح أن الفويسقة جرت الفتيلة فأحرقت أهل البيت
وهو عام يدخل فيه السراج وغيره وأما القناديل المعلقة فإن خيف حريق بسببها
دخلت في الأمر بالإطفاء وإن أمن ذلك كما هو من الغالب فالظاهر أنه لا بأس
بها لانتفاء العلة وسبب ذلك أنه ﷺ صلى على خمرة فجرت الفتيلة الفارة
فأحرقت من الخمرة مقدار الدرهم فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ ذلك نبه عليه ابن العربي.

وفي سنن أبي داود عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: جاءت فارة
فأخذت تجر الفتيلة فجاءت بها وألقته بين يدي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ على الخمرة التي
كان قاعدًا عليها فأحرقت منها موضع درهم.

وَأَوْكِ سِقَاءَكَ وَادْكُرِ اسْمَ اللَّهِ، وَخَمَّرِ إِنَاءَكَ وَادْكُرِ اسْمَ اللَّهِ، وَلَوْ تَعَرَّضُ عَلَيْهِ شَيْئًا⁽¹⁾.

(وَأَوْكِ) أمر من الإيكاء وهو الشد والوكاء اسم ما يشد به فم القربة وهو ممدود مهموز.

(سِقَاءَكَ) السقاء بكسر السين اللين والماء والوطب للبن خاصة والنحي للسمن والقربة للماء.

(وَادْكُرِ اسْمَ اللَّهِ، وَخَمَّرِ) أمر من التخمير وهو التغطية.
(إِنَاءَكَ وَادْكُرِ اسْمَ اللَّهِ، وَلَوْ تَعَرَّضُ عَلَيْهِ شَيْئًا) وفي رواية عودًا، يعرض

(1) قال ابن أبي جمرة في البهجة: ظاهر الحديث يدل على خمسة أحكام منها الإخبار بانتشار الشياطين أول الليل وكثرتهم في ذلك الوقت والأمر بكف الصبيان ذلك الوقت عن التصرف والأمر بغلق الباب وذكر الله تعالى إذ ذاك والأمر بتوكية السقاء وذكر الله تعالى إذ ذاك والأمر بتغطية الإناء وذكر الله تعالى إذ ذاك وإن لم يجد ما يغطيها يعرض عليها شيئًا. والكلام عليه من وجوه:

منها: أن يقال هل هذه الأوامر كلها على الوجوب أو الندب وما الحكمة في ذلك وهل انتشار الشياطين في تلك الساعة لحكمة تفهم أو ليس لنا سبيل إلى ذلك وهل ما سمي فيها من منع الصبيان يفهم أيضًا على أو ليس وهل ذلك خاص بالصبيان أو يتعدى إلى غيرهم وما الحكمة في ذكر الله تعالى عند تلك الأفعال وما يترتب عليه من الحكم وهل يتعدى إلى غير ذلك أو ليس أما قوله استجنح أو كان جنح الليل فهو شك من الراوي.

وفيه: دليل على تحريرهم رضي الله عنهم في النقل كما ذكرنا قبل.

وأما قولنا: هل الأمر على الوجوب أو الندب فاللفظ محتمل لكن الأظهر فيه الندب لأنه ليس من طريق التعبدات وإنما هو من طريق الإرشاد إلى ما فيه الخير والسبب فيه وفي دفع الضرر لأنه إذا استقربتها واحدة واحدة بأن لك ذلك فمتها غلق الباب لأن فيه تحصينًا من العدو الذي يريد ضرك في مال أو بدن وتوكية السقاء وهو من باب التحوط على النفس والماء والوعاء لأنه إذا لم توك السقاء قد يتعلق فيه حيوان أو يدخله فإن هوام الأرض تنتشر في الليل أكثر منها بالنهار وقد يدخله حيوان فيموت فيه أو يبقى بالحياة فمن أتى لاستعمال الماء إما أن يدخل في جوفه أو يناله من سمه ومن هذا الباب نهى عليه الصلاة والسلام عن الشرب من فم السقاء خيفة أن يكون هناك شيء يتأذى بسببه وإطفاء المصباح من جهة الاحتياط على المال والنفس وقد نبه عليه الصلاة والسلام في حديث آخر حيث قال عليه السلام: «وإن الفويسقة تضرم البيت أهله نارًا» أو كما قال عليه الصلاة والسلام وهي الفارة فإنها تأتي المصباح وتأخذ طرف الفتيل فتجرده وهو موقود فتحرق البيت وما فيه وقد يكون نوم أهله ثقيلًا فيحترقون.

ويترتب على هذا من الفقه أنه لا ينبغي لأحد أن ينام ويترك مصباحه موقودًا فإن تركه قد يطرأ =

بضم الراء وكسرهما ومعناه إن لم تقدر أن تغطيه وتطبقه بغطاء فلا أقل من أن

عليه منه ضرر فيتعلق العتب عليه لأنه خالف السنة وتسبب فيما كان به ضرر اللهم إلا إن كان له عذر من مرض أو ما يشبهه فصاحب العذر معذور وأما تغطية الإناء فهو من باب توقي الضرر لأنه قد جاء أن ليلة في السنة ينزل بلاء من السماء فكل إناء وجده مكشوقاً حل فيه وتلك الليلة مجهولة وأيضاً قد يأتي من الحيوان الذي فيه السم والضرر فيشرب من ذلك الماء ويقع من سمه في الإناء أو يقع هو بنفسه فيلحق لشاربه بشرب ذلك الماء ضرر في نفسه كما تقدم وقوله عليه الصلاة والسلام: «ولو تعرض عليه شيئاً».

هنا بحث: وهو أن يقال كيف يقوم مثلاً عود أو خيط إن أعرضته على الإناء مقام تغطيته كله لأن شيئاً يقع على القليل والكثير فتكون هذه الإشارة هنا تبين فائدة قوله عليه الصلاة والسلام: «واذكر اسم الله» فإن المانع للضرر كله والجالب للخير كله هو ذكر اسم الله تعالى فأمر عليه الصلاة والسلام بإظهار الحكمة في عمل الأسباب من غلق الباب وتوكية السقاء وغيرهما وجعل من شرطها ذكر الله تعالى عند الفعل لأنه سبحانه هو الراقي لأنه عز وجل يقول في محكم التنزيل: ﴿قُلْ مَنْ يَكْذِبُكُمْ إِنِّي لَأَنْتَهُارٍ مِنْ أَلْحَيْنِ﴾ [الأنبياء: 42] وذكر الله تعالى هو الحصن الأعظم والملاجأ الأكبر فلما لم يجد للحكمة سبيلاً وهي تغطية الإناء بقيت القدرة ظاهرة فقال عليه الصلاة والسلام ذكر اسم الله عند قوله ولو تعرض عليه شيئاً أفاد ذلك أن اسم الله هو الواقى ولم يعد عليه السلام ذكر الله عند قوله ولو تعرض عليه شيئاً لأن عطفه على قوله واطف مصباحك واذكر اسم الله وما عطف على الشيء فهو مثله فلذلك سكنت عنه اختصاراً وقد قال بعضهم إنه كان له إناء ولم يكن له ما يغطيه فعرض عليه عوداً فلما أصبح وجده وقع على الإناء من هذا الحيوان ذوات السم ميتاً فاحتبس على العود ولم يكن ذلك العود من حيث أن يحبس ذلك الحيوان فهنا ظهر أنه ما حبس ذلك الحيوان إلا ما أشرنا إليه من بركة اسم الله تعالى لا غير.

وأما قولنا: ما الحكمة في ذلك وذلك أنه لما كان الليل وقت نوم وهو الموت الأصغر أمر أن يفعل الأمور التي يصلح فيها حاله وحال أهله وماله في حال نومه وغيبته لأنه في النهار متيقظ نهبان وأهله كذلك وكل واحد يدفع عن نفسه بوضع الحيلة فلم يؤكد عليه في هذه الأشياء.

ويرتّب عليه من النظر أنه إذا كان يؤمر أن ينظر فيما يصلح به حاله وحال من له كما تقدم في هذا الموت اليسير فمن باب أخرى في الموت الذي لا رجوع فيه إلى هذا العالم الدنيوي فالمتوكل من كيس حذر فطن فإن عقلت تنبّه وعملت أفلحت وأما قولنا هل ذلك لحكمة تعرف أم لا فإن قلنا تعرف بالنص عليها فلم يأت في ذلك شيء فيما أعلم وإن قلنا بالاستقراء من النظر في حكمه الحكيم وكيف رتب هذا الوجود وجدنا لذلك أثراً من الحكمة ظاهراً وذلك لوجهين من الحكمة أحدهما أن الله سبحانه قد جعل حضور الشيطان ووساوسه إنما يكون مع الغفلة كما أن حضور الملائكة وكثرتهم إنما يكون مع العبادة والحضور والاشتغال بما يرضي الله تعالى فلما كان أول الليل الغالب على الناس فيه الغفلة والنوم وكذلك جميع الليل هذا الغالب فيه لكن أوله في ذلك أكثر لأن الناس قد فرغوا إذ ذاك من تسبياتهم وكدهم فيها ولذلك جاء في الصلاة التي بين العشاءين من كثرة الأجر ما فيها وسميت صلاة الأوابين =

تعرض عليه عودًا أي: تضعه عليه بالعرض وتمده عليه عرضًا أي: خلاف

لكونه وقت غفلة فلما اشتغل هذا بالعبادة في ذلك الوقت عظم أجره ووجه آخر وهو أنه لما أراد الحق سبحانه بمقتضى حكمته خلق الثقلين وهما الجن والإنس وجعل الليل والنهار فخص الإنس بكثرة الانتشار بالنهار وخص الجن بكثرة الانتشار بالليل ليكون لكل فريق وقت يستريح فيه كل بحسب حاله حكمة حكيم.

وهنا إشارة: وهو أن ما تحسن شدة الأمور إلا عند أوائلها من خير أو ضده فلما كان الليل وقت غفلة ونوم وزيادة انتشار الشياطين فيه الذين هم عون على ذلك تجد النفوس تلك الوحشة عند أوله وأكثر ما يجد ذلك المرضي لأنه إذا قرب الليل يزداد عليهم المرض والغم ولما كان الصبح أول النهار الذي هو السعي وتكثر في ذلك الوقت الملائكة لأن الحفظة يجتمعون في ذلك الوقت حفظة الليل والنهار تجد النفوس إذ ذاك نشاطًا وانشراحًا وأكثر ما يجد ذلك المرضي في الغالب منهم تدبير مدبر حكيم.

وأما قولنا: هل ما أمر به من التحرز على الصبيان من الانتشار ذلك الوقت وذلك أنه لما كان الصبيان ذوي عقول ضعيفة ليست تحتل التخيلات ومن الشياطين من يتشكل في صورة مفرزة فقد يراها الصبيان مع ضعف عقولهم فيخاف عليهم من أجل ذلك أن يقع في عقولهم أو أبدانهم خلل وفي هذا دليل بسد الذريعة.

وفيه دليل: على أن ينظر لكل إنسان بحسب حاله يؤخذ ذلك من أنه لما كانت عقول الصبيان كما ذكرنا وهم لا يعقلون في الغالب الوصية أمر أولياءهم أن يمنعوهم من التصرف. وفيه: رد على أهل الطب الذين يقولون إن جسدًا لا يدخل في جسد وإنما يظهر من صاحب الجنون إنما هو خلط تحرك عليه.

وفيه: دليل على نصحه ﷺ لأمته يؤخذ ذلك من كونه عليه الصلاة والسلام لم يغفل عن حق صغير ولا كبير ولا مال ولا شيء من الأشياء إلا أنه ﷺ على المصلحة فيه كما أمر العقلاء أن يحسبوا النفس من أجل ضعفها عن كثير من تصرفاتها وأشد ما أمر في ذلك عند أول الغفلة والشهوة لأن كليهما ظلمة تغلب على الباطن ولهذا قال ﷺ: «إنما الصبر عند الصدمة الأولى» ولذلك قال عقلك عند أوائل الأمور فجزبه فإن نجح سعيه وإلا فأنت سفيه.

وأما قولنا: هل يتعدى إلى غير الصبيان فإن حكمنا بترك العلة التي ذكرنا فمن وجدناها هنا فيه عدينا له الحكم وقد رأيت بعض المباركين كان لا يحتمل أن يقعد وحده لأنه كان يذكر أنه إذا كان وحده تراءى له الجن وما يجمل رؤيتهم فلا تراه أبدًا وحده ولو يكون معه صغير.

وأما قولنا: ما الحكمة في الأمر بذكر الله تعالى عند فعل تلك الأفعال المأمور بها فقد ذكرناه عند قوله عليه الصلاة والسلام: «ولو تعرض عليه شيئًا» لكن بقي فيه بحث وهو أنه لا يخاطب بحال التحقيق إلا أهله وأما الغير فيحملون على مقتضى الحكمة يؤخذ ذلك من قوله عليه الصلاة والسلام: «واذكر اسم الله».

وفيه: دليل على بركة هذا الاسم الجليل الذي جعل ذكره لكل طالب خير فيه بناله ولدافع كل شر فيه يدفعه.

الطول⁽¹⁾ وللتخمير فوائد صيانتها من الشياطين والنجاسات والحشرات وغيرها ومن الوباء الذي ينزل من السماء في بعض ليالي السنة.

وفيه إشارة: إلى أن لا يخل أهل الحكمة بشيء من الحقيقة وإن لم يعرفوها وتمزج لهم شيء من الحكمة من أجل أن لا تفوتهم بركتها وبهذا نطق التنزيل عز وجل: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾ [الواقعة: 63 - 64] من أجل أن يعملوا الحكمة ويتفكروا في حقيقة الأمر ما هو ومثله فعل سيدنا ﷺ حين قال لهم في تذكير النخل: «ما أراه يجدي شيئاً» فتركوا التذكير فلما جاءت السنة غير طيبة قالوا له أنت أمرتنا بأن لا نذكر فأبقاهم على مقتضى الحكمة بأن قال لهم «أنتم أعرف بأمور دنياكم وما أخبرتكم به عن الله فصدقوني فيه» أو كما قال عليه الصلاة والسلام فكان معنى قوله عليه الصلاة والسلام لا أراه يجدي شيئاً في حقيقة الأمر لا كما في زعمكم لأن التذكير للنخل سبب من الأسباب والله عز وجل يخلق عنده ما شاء إن شاء وإلا فلا فائدة له وكم سنة يذكرونها وتفسد ولا يجيء منها شيء ولا يقولون شيئاً يقولون قدر الله لأنهم علموا الحكمة الجارية عندهم فلم ينتقدوا على القدر وسلموا الأمر لصاحبه فلما كانت هذه السنة من السنن التي قدر الله عز وجل أن يفسد فيها النخل ولم يعملوا عاداتهم من حكمة التذكير نسبوا إلى أنفسهم لكونهم تركوا تلك العادة فعذرهم ذلك لكونهم لم يفهموا عنه وأضرب لهم عن الأخذ بالحقيقة شفقة على إيمانهم وردهم إلى أثر الحكمة فلو كانت تلك السنة تجيء طيبة ما بقي أحد منهم يلتفت لحكمة التذكير فكان يؤول الأمر بهم إلى تضييع أثر حكمة الحكيم والشرعة ما جاءت إلا بالجمع بين أثر الحكمة والقدرة وهي حقيقة كما بينا في غير ما موضع من الكتاب.

وفيه إشارة صوفية: لأن أهل التصوف يقولون أنت سفينة الوجود وسفينة نوح عليه الصلاة والسلام كان إجراؤها وإرساؤها كما أخبر الحق سبحانه في كتابه بقوله: ﴿يَسِّرْ اللَّهُ مَجْرِبَهَا وَمُرسَهَا﴾ [هود: 41] وقد أرشدت الشريعة المحمدية أن يكون جميع تحركك وسكونك بذكر اسم الله تعالى وتفتح بسم الله فمنها عند نومك تقول بسم الله وعند يقظتك كذلك وعند أكلك وشربك وخروجك من منزلك ودخولك فيه ولباس ثوبك وتجريده وكذلك عند افتتاح كلامك بذكر الله أيضاً وعند نكاحك وعند سفرك وعند إيابك إلى أهلك وعند قعودك وقيامك كذلك فإن كنت في حالك محمدياً أرسست سفينتك على جود السلامة وإن تخلفت عنه لم يكن لك عاصم من أمر الله وغرقت في طوفان المهالك ولم تشعر أنك هالك فتيقظ من سكرة هواك تجد روحك في قارورة شهواتك غارقاً في فضلة معاصيك ذكر ابن نوح عليه الصلاة والسلام حين تخلف عن ركوب السفينة اتخذ قارورة من زجاج قدر ما تحمله وصعد على الجبل فلما بلغه الماء دخل فيها وأغلقها على نفسه فأرسل الله عليه إدرار البول حتى مات غريقاً فيه فأكسرها بحجر عزيمة التوبة وناد بلسان حالك أنقذني يا منقذ الغرقى فإني ذاهب لعل حنين صوت اضطراك يشفع فيك: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَا﴾ [النمل: 62].

(1) وهذا عام في الآنية التي فيها شراب وطعام.

وفي رواية: أن في السنة ليلة ويروى يومًا ينزل وباء لا يمر بإناء ليس عليه غطاء أو شيء ليس عليه وكاء أي: نزل فيه ذلك الوباء .

قَالَ الليث بن سعد: والأعاجم يتقون ذلك في كانون الأول .

وروى مسلم من حديث جابر بن عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يقول: أَخْبَرَنِي أَبُو حميد الساعدي قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ بِقَدَحِ لَبَنٍ مِنَ النَّعِيقِ لَيْسَ مَخْمَرًا قَالَ: «أَلَا خَمْرَتَهُ وَلَوْ تَعَرَّضَ عَلَيْهِ عَوْدًا» .

قَالَ أَبُو حميد: إنما أمر بالأسقية إن توكأ ليلاً وبالأبواب أن تغلق ليلاً فهذا أَبُو حميد قيد الإيكاء والإغلاق بالليل لكن قَالَ النَّوَوِيُّ: ليس في الحديث ما يدل عليه والمختار عند الأصوليين وهو مذهب الشافعي أن تفسير الصحابي إذا كان خلاف ظاهر اللفظ ليس بحجة ولا يلزم غيره من المجتهدين موافقته على تفسيره وأما إذا كان في ظاهر الحديث ما يخالفه فإن كان مجملًا يرجع إلى تأويله ويجب الحمل عليه لأنه إذا كان مجملًا لا يحل له حمله على شيء إلا بتوقيف وكذا لا يجوز تخصيص العموم بمذهب الراوي عندنا بل يتمسك بالعموم وقد يقال أَبُو حميد قَالَ: أمرنا وهذا رواية لا تفسير وهو مرفوع على المختار ولا تنافي بين رواية أبي حميد والرواية الأخرى في يوم إذ ليس في أحدهما نفي للآخر وهما ثابتان ثم إن أوامر هذا الباب من باب الإرشاد إلى المصلحة الدنيوية كقوله تعالى: ﴿وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ [البقرة: 282] وليس على الإيجاب وغايتها أن يكون من باب الندب بل قد جعله كثير من الأصوليين قسماً منفرداً بنفسه زائداً عن الوجوب والندب وينبغي للمرء أن يمثل أمره فمن امتثل أمره سلم من الضرر بحول الله وقوته ومتى خالف إن كان عناداً والعياذ بالله خلد فاعله في النار وإن كان عن خطأ أو غلط فيرجى عفو ولا يحرم شرب ما في الإناء أو أكله والله تعالى أعلم .

وفي الحديث الحث على ذكر اسم الله تعالى وفيه أنه جعل الله تعالى هذه الأشياء سبباً للسلامة .

ومطابقته للترجمة في قوله فإن الشياطين تنتشر .

وقد أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي الْأَشْرِبَةِ أَيْضًا وكذا مسلم وأبو داود وَأَخْرَجَهُ

3281 - حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ غِيلَانَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ، عَنْ صَفِيَّةَ ابْنَةِ حُيَيٍّ، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُعْتَكِفًا فَأَتَيْتُهُ أُرُورُهُ لَيْلًا، فَحَدَّثْتُهُ ثُمَّ قُمْتُ فَأَنْقَلَبْتُ، فَقَامَ مَعِيَ لِيَقْلِبَنِي، وَكَانَ مَسْكَنُهَا فِي دَارِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، فَمَرَّ رَجُلَانِ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ ﷺ أَسْرَعَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «عَلَى رِسْلِكُمَا إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ» فَقَالَا سُبْحَانَ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الْإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا سُوءًا، أَوْ قَالَ: شَيْئًا».

النَّسَائِيُّ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ.

(حَدَّثَنِي) بِالْإِفْرَادِ (مُحَمَّدُ بْنُ غِيلَانَ) قَالَ: (حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ) قَالَ: (أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ، عَنْ صَفِيَّةَ ابْنَةِ حُيَيٍّ) أَنَّهَا (قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُعْتَكِفًا فَأَتَيْتُهُ أُرُورُهُ لَيْلًا، فَحَدَّثْتُهُ ثُمَّ قُمْتُ فَأَنْقَلَبْتُ) مِنْ الْإِنْقِلَابِ وَهُوَ الرَّجُوعُ مُطْلَقًا فَالْمَعْنَى هُنَا فَرَجَعْتُ.

(فَقَامَ) ﷺ (مَعِيَ لِيَقْلِبَنِي) أَي: لِيرْجِعَنِي إِلَى بَيْتِي.

(وَكَانَ مَسْكَنُهَا فِي دَارِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، فَمَرَّ رَجُلَانِ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ ﷺ أَسْرَعَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: عَلَى رِسْلِكُمَا) بِكسر الراء أَي: عَلَى هَيْئَتِكُمَا فَمَا هُنَا شَيْءٌ تَكْرِهَانَهُ أَي: اتُّدَا وَادْهَبَا عَلَى الْهَيْئَةِ وَالْوَقَارِ فَمَا هُنَا شَيْءٌ تَكْرِهَانَهُ. (إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ) فَقَالَا سُبْحَانَ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ (يَعْنِي هَلْ نَسِيَ الظَّنُّ بكَ).

(قَالَ: إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الْإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ) قِيلَ هُوَ عَلَى ظَاهِرِهِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ لَهُ قُوَّةَ وَقَدْرَةَ عَلَى الْجَرِيِّ فِي بَاطِنِ الْإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ وَقِيلَ وَرَدَ عَلَى سَبِيلِ الِاسْتِعَارَةِ يَعْنِي أَنَّ وَسْوَستَهُ تَصِلُ فِي مَسَامِ لَطِيفَةٍ مِنَ الْبَدَنِ بِحَيْثُ تَصِلُ إِلَى الْقَلْبِ فَكَأَنَّهُ يَجْرِي مَجْرَى الدَّمِ وَقِيلَ اسْتِعَارَةٌ لِكثْرَةِ وَسْوَستِهِ فَكَأَنَّهُ لَا يَفَارِقُهُ كَمَا لَا يَفَارِقُ دَمَهُ.

(وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا سُوءًا، أَوْ قَالَ: شَيْئًا) وَفِيهِ التَّحَرُّزُ عَنْ سُوءِ الظَّنِّ بِالنَّاسِ وَفِيهِ كَمَالُ شَفَقَتِهِ ﷺ عَلَى أُمَّتِهِ لِأَنَّهُ خَافَ أَنْ يَلْقَى الشَّيْطَانَ فِي قَلْبِهِمَا شَيْئًا فَيَهْلِكَا فَإِنْ سُوءِ الظَّنِّ بِالْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ كُفْرٌ.

3282 - حَدَّثَنَا عَبْدَانُ، عَنْ أَبِي حَمْزَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ عَدِيِّ بْنِ ثَابِتٍ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ، قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَرَجُلَانِ يَسْتَبَانِ، فَأَحَدُهُمَا اخْمَرَّ وَجْهَهُ، وَانْتَفَحَتْ أَوْدَاجُهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنِّي لَا أَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ، لَوْ قَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ، ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ» فَقَالُوا لَهُ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: تَعَوَّذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَقَالَ: وَهَلْ بِي جُنُونٌ؟

وقد مر الحديث في كتاب الاعتكاف في باب هل يخرج المعتكف لحوائجه إلى باب المسجد.

ومطابقته للترجمة ظاهرة.

(حَدَّثَنَا عَبْدَانُ) تكرر ذكره، (عَنْ أَبِي حَمْزَةَ) بالحاء المهملة والزاي اسمه مُحَمَّدُ بْنُ مَيْمُونٍ السَّكْرِيُّ المَرْوَزِيُّ، (عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ عَدِيِّ بْنِ ثَابِتٍ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ) بضم الصاد المهملة وفتح الراء وفي آخره دال مهملة الخزاعي وقد مر في الغسل.

(قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَرَجُلَانِ يَسْتَبَانِ) أي: يتشاوران.

(فَأَحَدُهُمَا اخْمَرَّ وَجْهَهُ، وَانْتَفَحَتْ أَوْدَاجُهُ) جمع ودج بفتحيتين وهو عرق في الحلق في المذبح وانتفاخ الأوداج كناية عن شدة الغضب فإن قيل لكل أحد ودجان فما معنى الأوداج لذلك الرجل الواحد فالجواب أنه كان كل قطعة من الودج سمي ودجاً كما جاء في الحديث أزج الحواجب أو هو من قبيله قوله تعالى: ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ [الأنبياء: 78].

(فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: إِنِّي لَا أَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ) من وجد يجد وجداً وموجدة إذا غضب ووجد وجدانا إذا لقي ما يطلبه (لَوْ قَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ، ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ، فَقَالُوا لَهُ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: تَعَوَّذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَقَالَ: وَهَلْ بِي جُنُونٌ؟) قَالَ النَّوَوِيُّ: هذا كلام من لم يفقه في دين الله ولم يتهذب بأنوار الشريعة المكرمة وتوهم أن الاستعاذة مختصة بالمجانين ولم يعلم أن الغضب من نزغات الشيطان ويحتمل أنه كان من المنافقين أو من جفاة الأعراب. انتهى.

والاستعاذة من الشيطان تذهب الغضب وهو أقوى السلاح على دفع كيده.

3283 - حَدَّثَنَا آدَمُ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، حَدَّثَنَا مَنْصُورٌ، عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ، عَنْ كُرَيْبٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَتَى أَهْلَهُ قَالَ: اللَّهُمَّ جَنِّبِي الشَّيْطَانَ وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنِي، فَإِنْ كَانَ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ لَمْ يَضُرَّهُ الشَّيْطَانُ، وَلَمْ يُسَلِّطْ عَلَيْهِ» قَالَ: وَحَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ سَالِمٍ، عَنْ كُرَيْبٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ مِثْلَهُ⁽¹⁾.

وفي حديث عطية: الغضب من الشيطان فإن الشيطان خلق من النار وإنما تطفأ النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليتوضأ وعن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ غَضَبِ اللَّهِ إِذَا غَضِبَ وَقَالَ بَكَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ أَطْفَأُوا نَارَ الْغَضَبِ بِذِكْرِ نَارِ جَهَنَّمَ وَفِي بَعْضِ الْكُتُبِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ابْنُ آدَمَ اذْكُرْنِي إِذَا غَضِبْتَ أَذْكُرْكَ إِذَا غَضِبْتُ.

وروى ابن الجوزي في ترغيبه عن معاوية بن قرة قَالَ: قَالَ إِبْلِيسُ أَنَا جَمْرَةٌ فِي جَوْفِ ابْنِ آدَمَ إِذَا غَضِبَ حَمِيَّتُهُ وَإِذَا رَضِيَ مَنِيَّتُهُ.
ومطابقة الحديث للترجمة ظاهرة.

وقد أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي الْأَدَبِ أَيْضًا وَكَذَا مُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ وَأَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ.

(حَدَّثَنَا آدَمُ) قَالَ: (حَدَّثَنَا شُعْبَةُ) قَالَ: (حَدَّثَنَا مَنْصُورٌ، عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ، عَنْ كُرَيْبٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُ (قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَتَى أَهْلَهُ قَالَ: اللَّهُمَّ جَنِّبِي الشَّيْطَانَ وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنِي، فَإِنْ كَانَ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ لَمْ يَضُرَّهُ الشَّيْطَانُ، وَلَمْ يُسَلِّطْ عَلَيْهِ) أَي: بِالْكُلِّيَّةِ بَحِثْ لَا يَكُونُ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ وَلَا فَلَ يَخْلُو مِنَ الْوَسْوَسَةِ.

ومطابقته للترجمة ظاهر وقد مر الحديث عن قريب.

(قَالَ) أَي: شُعْبَةُ: (وَحَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ) أَي: كَمَا حَدَّثَنَا مَنْصُورٌ، (عَنْ سَالِمٍ عَنْ كُرَيْبٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (مِثْلَهُ) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ لَشُعْبَةَ فِيهِ شَيْخَيْنِ.

(1) قال ابن أبي جمة في البهجة: ظاهر الحديث الإخبار بأن المرء إذا أتى أهله وقال جنبي الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتني فإن كان بينهما ولد لم يضره الشيطان ولم يسلط عليه. والكلام عليه من وجوه:

منها: إن قد جاء في الحديث قبله بزيادة التسمية وقوله اللهم وهنا ليس فيه التسمية المذكورة =

فيحتمل أن يكون سكت عن التسمية لكونها قد تقرر الأمر بها مطلقاً ومقيداً ويحتمل أن يكون جاء هذا بلا تسمية ولا قول اللهم تحقيقاً لفعله بعض الناس عند ذلك الحال لغلبة الشهوة عليهم فيكون ذلك الحديث أكمل في الفعل ويكون هذا المجزئ ولا أقل من ذلك ويحتمل أن يكون هذا الحديث لمن نسي التسمية حتى أولج فيكون هذا اللفظ مجزئاً عنه ويحصل به من بركة الاتباع كما قال علماؤنا رحمة الله عليهم فيمن نسي التعوذ عند قضاء التعوذ حتى شرع في الفعل أنه أن يتعوذ إذ ذاك بقوله أعوذ بك من الخبث والخبائث تنزيها لاسم الله تعالى أن يذكر في ذلك المحل وتحفظاً على الاتباع أن يتركوه حين استيقظوا إليه فهذا مثله والله أعلم.

وفيه دليل: على أن من حسن أدب الشريعة الكناية عن الأشياء التي يستحي منها وإن كانت مما أبيحت يؤخذ ذلك من قوله عليه الصلاة والسلام: «أتى» لأنه كنى عن ذلك بالإتيان. وفيه دليل: على أن لفظ الولد يقع على الذكر والأنثى وقد اختلف العلماء فيمن حبس شيئاً على ولده وولد ولده هل يدخل في الحبس أولاد البنات أم لا على قولين وفي هذا البحث حجة للذين قالوا بدخولهم في الحبس يؤخذ ذلك من قوله عليه الصلاة والسلام: «فإن كان بينهما ولد» وأما قوله: «جنبي الشيطان» فمعناه أنه لا ينكح معه فإنه قد جاء أن المرء إذا نكح ولم يذكر اسم الله تعالى عند ذلك أن الشيطان ينكح معه كما أنه إذا أكل وشرب ولم يسم الله أكل الشيطان معه وشرب وأما قوله عليه الصلاة والسلام: «ما رزقتني» وفيه دليل: على أن الأولاد من جملة ما ينعم الله تعالى به على بني آدم لأنه عليه الصلاة والسلام جعلهم من جملة ما يرزقون بقوله رزقتني.

وفيه دليل: على أن حقيقة تأثير الأسباب إنما هو بالقدرة لا بدوانها يؤخذ ذلك من قوله عليه الصلاة والسلام: «فإن كان بينهما ولد» وقد لا يكون والسبب واقع الذي هو النكاح فإن لم يكن السبب يؤثر إلا عند إرادة القادر وإلا لم يكن شيء وهذا مشاهد في عالم الحسن لأن المرء يجامع أهله مراراً ولا يرزق مولوداً وقد يكون ذلك الفعل مرة واحدة ويوجد معه الولد فحقيقة التأثير هو بالقدرة وهذا حكم متعدد في الأشياء كلها لا يقصر على هذا الموضع وحده فالأسباب أثر الحكمة والتأثير بها أثر حقيقة القدرة فإخفاء القدرة في أثر الحكمة من عظيم القدرة ليضل من يشاء ويهدي من يشاء حكمة بالغة.

وهنا بحث: وهو أن يقال لم قال بينهما ولم يقل كان لهما أو غير ذلك فيه وجوه: منها: أن يكون المعنى بينهما مما خرج منهما من المائين فإن قد جاء أن العظام والعصب من ماء الرجل وأن اللحم والشعر والجلد من ماء المرأة وجه آخر وهو (تنبيه لطيف) وهو أن حقيقة الخلق الذي فيه وتنوع خلقه من كبد وقلب ومصران وجوارح على ما هي عليه هذه الصورة الآدمية من الترتيب البديع ليس ذلك من الماء الذي خرج أين الشبه الذي بينهما وإنما هو بقدرة القادر الذي جعل في تلك النطفة اليسيرة أنواعاً مختلفة كما قال تعالى في ثمر الشجرة ﴿أَنْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَنَوَّهَ﴾ [الأنعام: 99] معناه حين ينتهي طيبه أين التشبيه الذي بين عود الثمر من الحلاوة التي في ثمرها أو الحموضة أو الحمرة أو الصفرة أو السواد

أو الخضرة أو غير ذلك من الألوان العود كله على حد واحد في اللون والطعم والثمر مختلف ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الروم: 24] ويحتمل أن يكون ذلك إشارة إلى الروح والحياة اللذين هما حقيقة الإنسان إن ذلك ليس منهما لا من طريق أصل ولا رفع وإنما هو مما جعله القادر فيما خلق مما كان بينهما كذلك قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٤﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النَّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ [المؤمنون: 12 - 14] يعني عند نفخ الروح خلقًا آخر ليس من جملة تلك التطويرات التي كان بعضها أصلًا لبعض بل هذا خلق آخر بقدرته قادر ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: 11] يؤيده قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: 85] أي: هي من أمر الله تعالى لا عن سبب وإن كان الغالب في الأشياء أنها موجودة عن الأسباب فكل ذلك إنما هو صادر عن قدرة الله تعالى كما تقدم البحث قبل لكن هذا بالقدرة الظاهرة دون سائر الحكمة ولا يحيط بعلمها إلا مخترعها جل جلاله واحتمل أن تكون هنا الإشارة إلى خلق النفس على قول من يقول إن النفس شيء والروح شيء آخر لأنه قد ذكر العلماء القائلون بهذا أن النفس خلق مجسد مثل خلق بني آدم لها يدان ورجلان وعينان وجوارح مثل بني آدم سواء بسواء وأنها من العالم اللطيف أنها نزلت في جسد بني آدم فتكون جسدا لطيفا ليس عليها جسد كثيف وهي الفخارة التي خلقت من ذلك الماء المهيمن وهي أعني النفس التي أعطيت الميز والفهم وهي التي تنعم وتتألم ويفرح وتحزن إلى غير ذلك مما يشبه هذه المعاني وإنما الروح حياة الجسد ليس إلا ولا تفهم ولا تنعم ولا تفرح ولا تحزن وأما النفس فإنها من العالم الذي لا يفنى وأنها تبقى في القبر مع الجسد وقد يفنى الجسد إلا عجب الذنب وهي لا تفنى ولا يذكر أحد أنها مخلوقة من الماء المذكور وإنما هي بقدره الله تعالى كما ذكر من العالم الروحاني فسبحان من هذه بعض آثار قدرته التي قد حارت فيها العقول واحتمل مجموع ما ذكر وفي هذه العبارة أكبر دليل على ما خص به سيدنا ﷺ من الفصاحة والإعجاز في كلامه لكونه أتى بلفظة تحتوي على جميع ما ذكرنا وزيادة على ذلك إذا أمعن فيها النظر.

وفيه دليل: أعني في هذه اللفظة وما تحوي أن العلم الذي هو الفهم لحديثه ﷺ وما فيه من الفوائد أنه من جملة مواهب الله تعالى لمن يشاء لذلك قوله عز وجل: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: 269] قال العلماء إنه الفهم في كتاب الله تعالى وكذلك حديثه ﷺ لأنه كله من الله وعن الله إما بالواسطة أو بالإلهام وقد تقدم الكلام على هذا في أول الكتاب وقوله عليه الصلاة والسلام: «لم يضره الشيطان ولم يسلط عليه» هل هاتان اللفظتان لمعنى واحد أو هما لمعنيين احتمل لكن الذي استقر من الشريعة أنهما لمعنيين أحدهما أنه قد أخبر الصادق ﷺ بما معناه «ما من مولود إلا والشيطان يطعن في خاصرته» فذلك هو الضرر المشار إليه هنا والله أعلم وأما التسليط فهو ما ذكره الله عز وجل في كتابه حيث يقول: ﴿وَأَتَيْنَاهُم بِخَبْرِكُمْ وَرَبِّكَ﴾ [الإسراء: 64] وما جعل عز وجل له من التسويل والإغواء لبني آدم لقوله =

3284 - حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ، حَدَّثَنَا شَبَابَةُ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ صَلَّى صَلَاةً، فَقَالَ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ عَرَضَ لِي، فَشَدَّ عَلَيَّ يَقْطَعُ الصَّلَاةَ عَلَيَّ، فَأَمَكَّنِي اللَّهُ مِنْهُ»، فَذَكَرَهُ.

(حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ) هو ابن غيلان المروزي قَالَ: (حَدَّثَنَا شَبَابَةُ) بفتح الشين المعجمة وتخفيف الباء الموحدة وبعد الألف موحدة أخرى ابن سوار الفزاري المروزي قَالَ: (حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زَيْدٍ⁽¹⁾ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ صَلَّى صَلَاةً، فَقَالَ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ عَرَضَ لِي، فَشَدَّ عَلَيَّ⁽²⁾ يَقْطَعُ الصَّلَاةَ عَلَيَّ، فَأَمَكَّنِي اللَّهُ مِنْهُ»، فَذَكَرَهُ) أي: فذكر الحديث بتمامه وهو فأردت أن أربطه إلى سارية من سوارى المسجد حتى تصبحوا أو تنظروا إليه كلكم فذكرت قول أخي سليمان عليه الصلاة والسلام: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَبْغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾ [ص: 35] قَالَ روح فرده خاسئًا.

تعالى: ﴿مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾ [الأعراف: 17] فهذا هو معنى الإشارة إلى قوله عليه الصلاة والسلام: «ولم يسلط عليه» أي: لم يكن يقدر على ضرره عند الولادة بأن يطعن في خاصرته ولا يقدر على ضرره بالإغواء والتسويل كما ذكرنا ويكون ممن يدخل تحت قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَرِئْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الحجر: 42]. وفيه دليل: للأخذ بسد الذريعة يؤخذ ذلك من قوله: «وجنب الشيطان ما رزقني» ذريعة أن يكون لهما ولد وقد لا يكون فما بقي القول إلا احتياطا من أجل توقع الولد فهذا هو سد الذريعة بعينه.

وفيه دليل: على أن الحكم بالشرع يعطي للغالب يؤخذ ذلك من أمره ﷺ بهذا عمومًا ومن الناس من يكون عقيمًا ولا يولد له فلما كان العقيم نادرًا لم يجعل له حكم. وفيه من الفقه: أن الأصل إذا كان طيبًا جاء الفرع طيبًا يؤخذ ذلك من أنه إذا كان الأب طيبًا باتباعه السنة وفعل في هذا الموضع ما أحكمته السنة وامثل الأمر جاء الفرع وهو الابن من أهل الخصوص كما أبديناه آنفًا.

وفيه دليل: على أن الخير كله إنما هو في كتاب الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ يؤخذ ذلك من أنه من لم يعرف الكتاب والسنة لم يعرف مثل هذا الخير وما فيه وكان نكاحه بهيميًا بشهوة ليس إلا وكذلك في جميع أمره.

وفيه من الفقه: أن فضلية العلم إنما تكمل بالعمل لأنه عليه الصلاة والسلام: «إذا أتى أهله» ولم يقل علم رزقنا الله فهم كتابه وسنة نبيه ﷺ والعمل بذلك بمنه.

(1) بكسر الزاي وتخفيف المثناة التحتية الجمحي وقد مر في الوضوء.

(2) أي: حمل علي.

3285 - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ، حَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِذَا نُودِيَ بِالصَّلَاةِ أَذْبَرَ الشَّيْطَانُ وَلَهُ ضُرَاطٌ، فَإِذَا قُضِيَ أَقْبَلَ، فَإِذَا تُوبَ بِهَا أَذْبَرَ، فَإِذَا قُضِيَ أَقْبَلَ، حَتَّى يَخْطُرَ بَيْنَ الْإِنْسَانِ وَقَلْبِهِ، فَيَقُولُ: اذْكُرْ كَذَا وَكَذَا، حَتَّى لَا يَذَرِي أَثْلًا صَلَّى أَمْ أَرْبَعًا، فَإِذَا لَمْ يَذَرْ ثَلَاثًا صَلَّى أَوْ أَرْبَعًا، سَجَدَ سَجْدَتَيْ السَّهْوِ»⁽¹⁾.

والحديث مر في كتاب الصلاة في باب الأسير أو الغريم يربط في المسجد فإنه أَخْرَجَهُ هُنَاكَ عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَنْ رُوحٍ وَمُحَمَّدَ بْنِ جَعْفَرَ كِلَاهُمَا عَنْ شُعْبَةَ عَنْ مُحَمَّدَ بْنِ زِيَادٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ حَدَّثَنَا شَبَابَةُ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ مُحَمَّدَ بْنِ زِيَادٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ إِنْ عَفَرْتَا مِنَ الْجَنِّ تَفَلَّتْ عَلَيَّ الْبَارِحَةُ أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا لِيَقْطَعَ عَلَيَّ الصَّلَاةَ فَأَمَكَّنِي اللَّهُ مِنْهُ وَأَرَدْتُ أَنْ أَرْبِطَهُ. الحديث.

ومطابقته للترجمة ظاهرة.

وفي الحديث إباحة ربط من يخشى هربه ممن في قلبه حق وفيه إباحة العمل اليسير في الصلاة وإن المخاطبة فيها إذا كانت بمعنى الطلب من الله لا يعد كلاماً فلا تقطع الصلاة لقوله ﷺ في بعض طرق هذا الحديث: «أعوذ بالله منك».

(حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ) قَالَ: (حَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أَنَّهُ قَالَ: (قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: إِذَا نُودِيَ بِالصَّلَاةِ أَذْبَرَ الشَّيْطَانُ وَلَهُ ضُرَاطٌ، فَإِذَا قُضِيَ) أَي: فَرُغَ عَنِ الْأَذَانِ.

(أَقْبَلَ، فَإِذَا تُوبَ بِهَا) أَي: أَقِيمَ لِلصَّلَاةِ (أَذْبَرَ، فَإِذَا قُضِيَ أَقْبَلَ، حَتَّى يَخْطُرَ بَيْنَ الْإِنْسَانِ وَقَلْبِهِ، فَيَقُولُ: اذْكُرْ كَذَا وَكَذَا، حَتَّى لَا يَذَرِي أَثْلًا صَلَّى أَمْ أَرْبَعًا، فَإِذَا لَمْ يَذَرْ ثَلَاثًا صَلَّى أَوْ أَرْبَعًا، سَجَدَ سَجْدَتَيْ السَّهْوِ) والحديث قد مر في

(1) قال ابن أبي جمة في البهجة: ظاهر الحديث الإخبار بهروب الشيطان من النداء بالصلاة وله ضراط وهروبه أيضاً كذلك من التشويب بها وهو إقامتها لكن بغير ضراط وإقباله بعد ورجوعه إلى المصلى حتى يوسوسه.

والكلام عليه من وجوه:

منها: أن يقال ما الحكمة في هروبه عند الأذان والإقامة وعدم هروبه عند الدخول في الصلاة والتلبس بها وهي أعظم من الأذان والإقامة فإن الصلاة فرض وأما الإقامة فليست بفرض =

أواخر كتاب الصلاة في باب تفكر الرجل الشيء في الصلاة والغرض من ذكره

والأذان فيه ما هو فرض وفيه ما هو سنة وفيه ما هو مستحب على ما نبينه في موضعه من الكتاب إن شاء الله تعالى ورجوعه إلى المصلى هل ذلك على عمومه في كل مصل أم لا؟ «وما الحكمة» في ضراطه عند الأذان؟ وهل تركه ذلك في الإقامة لأنه لا يكون منه ذلك عند الهروب منها أو سكت عنه لما تقدم ذكره عند الأذان قبل؟

فأما الجواب: على ما الحكمة في كونه يهرب من النداء والإقامة ولا يهرب من الصلاة التي هي أرفع وذلك أن فرضية الأذان وفائده الإخبار بدخول وقت الصلاة بذكر تلك الألفاظ المأمور بها ولذلك يجوز على طهارة وعلى غير طهارة فلما وفينا ما أمرنا به لم يطق الشيطان حمل ذلك لأن توفية الأمر على ما أمر به تقطع ظهره والصلاة من مشروعيتهما التوجه والإخلاص والحضور كما قال ﷺ: «إن الله لا يقبل عمل امرئ حتى يكون قلبه مع جوارحه» وقد ورد في الأذان أن المؤذن له من الأجر بقدر مد صوته على ما بيناه في موضعه قبل وقال في الصلاة يكتب له نصفها ربعها إلى عشرها وورد «إذا لم يؤت بها على وجهها تطوى مثل الثوب الخلق ويضرب بها وجه صاحبها وتقول له ضيعتني ضيعك الله» أو كما ورد فلعدم توفية الشروط التي طلبت منا في الصلاة وجد الشيطان طريقاً إلى الدخول لصاحبها فلو وفي ما طلب منه فيها ما قربه شيطان وكذلك سائر الأعمال من وفي فيها دخل في حزب المفلحين الذين لم يكن للشيطان عليهم سلطان لقوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الحجر: 42].

وأما قولنا: هل ذلك على العموم لكل مصل أم لا فظاهر الحديث محتمل وما قدمناه من قوله جل جلاله: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ يخصص ذلك فإنه من لم يكن له سلطان كيف يقربه في صلاة أو غيرها هذا مما لا يعقل.

وأما الحكمة في ضراطه احتمل والله أعلم وجوها:

منها: إنه لا يحمله حتى تنحل قواه فتسترخي حواسه ومفاصله فيخرج منه الريح بغير اختياره كما حكى عن فرعون أنه لما رأى الآية في عصا موسى عليه الصلاة والسلام حين رجعت حية أنه ولّى هارباً ويطنه قد انطلق وغائطه يسيل لا يقدر أن يملك ذلك من نفسه وكثير ما يوجد ذلك من بعض الضعفاء لكثرة فزعهم وقد يكون من سوء طبع اللعين أن يقابل الشيء بضده كونه يسمع الأذان الذي هو دليل على الصلاة وهي مبنية على الطهارة لقوله عليه الصلاة والسلام: «الطهور شطر الإيمان» فكثر من الضد وهو نقض الطهارة وقد يكون لوجه آخر وهو أن يشغل سمعه عن الأذان بذلك الفعل الذميمة واحتمل مجموعهما.

وأما قولنا: لم يذكر ذلك الفعل عند الإقامة هل لعدم وقوعه في ذلك الوقت أو اختصره لكونه ﷺ ذكره مع الأذان احتمل الوجهين والله أعلم لكن الأظهر أنه بغير ضراط وهو أن الأذان أكثر ألفاظ لأنه مثنى كله وبعضه مربعاً والإقامة مفردة وبعضها مثنى فلزيادة تكرار الألفاظ المباركة يكون فيه زيادة في المخالفة وأيضاً فلأن فائدة الأذان أكثر فإنه إعلام بالوقت ويسمعه من هو حاضر ومن هو بالبعد وهو أعلى صوتاً وهو يدعو الناس كلهم إلى الطاعة =

هنا ذكر الشيطان.

والإقامة إنما هي للحاضرين أن يتأهبوا للدخول في الصلاة ولا يتعدى إلى غيرهم فكانت عليه أخف فإنه كلما كانت الطاعة أكثر كان عليه الأمر أشد يؤيد ذلك ما أخبر عنه الصادق عليه السلام: «أنه لم ير أحقر منه ولا أذل في يوم عرفة يحثي التراب على رأسه» أو كما قال عليه الصلاة والسلام وذلك لما في تلك الطاعة في ذلك الوقت من الترفع والخير فيلحقه بتلك النسبة ذلك التحقير والهوان وقوله عليه الصلاة والسلام: «حتى يخطر بين الإنسان وقلبه» أي: أنه يشغل قلبه فإن مدرك الإنسان على قلبه فإذا اشتغل قلبه بالوسواس فكأنه حاله بينه وبين قلبه لأن القلب لا يراد لذاته الصنوبرية وإنما يراد لحضوره عند فعله ما تعبد به ليوفي ما عليه في ذلك. وفيه دليل: على أن ملازمته لبني آدم حتى يعلم كلما يتصرفون فيه ويجري عليهم يؤخذ ذلك من قوله: «أذكر كذا» لأنه لا يذكر إلا بشيء قد وقع ونسيه الأدمي والعدو اللعين قد كان عرفه ولا يكون ذلك إلا لمن هو معك ملازم لك.

وفيه دليل: على عظيم قدرة الله تعالى الذي هذا خلقه يقدر أن يصل إلى قلوبنا ونحن لا نعلم به وفي هذا دليل على أن المولى سبحانه لا تدركه العقول ولا يتحيز ولا يشبه شيء يؤخذ ذلك من أن هذا خلق من خلقه مدرك وتراه يصل إلى قلوبنا ونحن بعقولنا معناه وإدراكنا من جميع حواسنا ولا نعلم به ونجد أثر وصوله ولا نحس بذاته ولا نشعر بها فكيف يطمع أحد أن يعرف أو يصل إلى من هذا بعض مخلوقاته وبالقسط أن الصنعة لا تشبه صانعها.

وفيه دليل: على أن ميل النفس بالسرعة إلى ما لا تعرفه أكثر مما لا نعرفه يؤخذ ذلك من قوله اذكر كذا فلو علمها بذلك لكان يقول لها ألا تعلمين ما يكون في كذا الأمر لا نعلمه فقد لا يحصل له منها ذلك الميل الكلي الذي يذهلها عن الصلاة فلمعرفته بها أخذها من الوجه الذي هو أقرب لفائدته وقد روي عن بعض أهل الفقه وكان ممن ينتفع الناس به في دنياهم وآخرتهم لما من أهل به عليه من العلم والنباهة أنه ضاع لبعض التجار صرة دراهم لا يدري أين رفعها فحزن لذلك فقيلاً له ليس لك إلا ذلك السيد فلما جاءه وأخبره بحاله أمره ذلك السيد بأن يصلي ركعتين لا يحدث فيهما نفسه بشيء ويأتيه ويخبره بما له أين هو فقام ذلك التاجر إلى ناحية في المسجد وأحرم ودخل في تلك الركعتين فرآه الشيخ في الركعة الثانية قد خففها فقال لإخوانه قد تذكر ماله أين هو فلما سلم وأتى الشيخ قال له الشيخ تذكرت مالك أين هو قال نعم يا سيدي فقال له اذهب فخذ مالك واشكر الله فرغب منه أصحابه لما أمره بتلك الصلاة والقضية فقال لهم إن الشيطان أساءه أين رفع ماله لكي يحزنه ولو وقت ما من الزمان من أجل العداوة الأصلية فأمرته بالركعتين ولا يحدث فيها نفسه لأنه قال عليه السلام: «من صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه دخل الجنة» فلما تلبس بالصلاة عازماً أن لا يحدث فيها نفسه رأى العدو أن يذكره بماله ولا يتركه يتم عملاً يدخل به الجنة فمن أجل ذلك أمرته بذلك وقوله عليه الصلاة والسلام: «حتى لا يدري أثلاثاً صلى أم أربعاً» فإذا لم يدر أثلاثاً صلى أم أربعاً سجد سجدي السهو ظاهر اللفظ يعطي أن سجدي السهو تجزيه عن تمام صلاته وإن كان ما صلاه ثلاثاً وليس كذلك لأنه قد جاء ذلك مفسراً في حديث آخر وهو قوله عليه الصلاة والسلام: =

3286 - حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «كُلُّ بَنِي آدَمَ يَطْعُنُ الشَّيْطَانَ فِي جَنْبِهِ

(حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ) الحكم بن نافع قَالَ: (أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ) عبد الرحمن بن هرمز (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أَنَّهُ قَالَ: (قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «كُلُّ بَنِي آدَمَ يَطْعُنُ») بضم العين يقال طعن الرمح وما أشبهه يطعن بضم العين من باب نصر ينصر وطعن في العرض والنسب يطعن بفتح العين فيهما على المشهور وقيل باللغتين فيهما.

(الشَّيْطَانُ فِي جَنْبِهِ) كذا في رواية الأكثرين بالإفراد وفي رواية أبي ذر والجرجاني بالثنية وحكى القاضي عياض أن في كتابه من رواية الأصيلي من تحته الذي هو ضد فوق كذا قَالَ الْعَيْنِيُّ وَقَالَ الْحَافِظُ الْعَسْقَلَانِيُّ وذكر القاضي عياض: أن في كتابه من رواية الأصيلي جنبه بالإفراد لكن بياء مثناة من تحت بدل الموحدة قَالَ وهو تصحيف.

«إذا شك أحدكم في صلاته فليبن على البقين ثم يسجد سجدتي السهو» واليقين هو الأقل وقد تعلق بعض أهل الظاهر بظاهر هذا الحديث وما قدمناه عليه الجمهور وهو الحق الذي يعطيه الفقه لأنه إذا جاءت الزيادة من العدل قبلت ومع ذلك على هذا الذي عليه الجمهور استمر عمل الخلفاء والعلماء إلى هلم جراً.

وهنا بحث: في قوله ثلاثاً أم أربعاً هل هو مقصور على هذا الموضع أو هو على طريق ضرب المثال إذا تردد الخاطر بين الأقل والأكثر كان العدد ما ذكر أو أقل من ذلك الذي عليه الجمهور أنه على ضرب المثال إذا تردد الخاطر بين الأقل والأكثر فيكون عمله على أقل العددين مما ذكر.

وفيه دليل: على أنه لا يحزن العدو إلا بزيادة الطاعة يؤخذ ذلك من الشيطان لما جاء للمصلي ليفسد عليه صلاته بتشككه في عدد ركعاتها أحكمت السنة بفضل الله تعالى الأمر بزيادة ركعة احتياطاً ثم زيادة أخرى وهي سجدتا السهو لينقلب العدو مهزوماً خائباً مما أمله وقد بين ذلك ﷺ في غير هذا الحديث حيث قال فإنها ترغيم للشيطان يعني السجدتين اللتين للسهو.

وفيه دليل: لأهل الصوفية لأنهم أخذوا بدوام الاشتغال وعدم الالتفات إلى حديث النفس وغيرها لأن هذا المصلي ما طرأ عليه النسيان إلا من جهة التفاته إلى حديث العدو وبما ذكره به وميله إليه وقد ذكر عن بعضهم أنه كان في أول رياضته إذا مر به خاطر غير الرباني ضرب نفسه بعضاً أو قضيب فلربما كان يكسر على نفسه في اليوم الواحد حزمة أو حزمتين من القضبان حتى استقام له خاطره بدوام الإقبال على مولاه من الله بذلك علينا بمنه.

بِأُضْبَعِهِ حِينَ يُوَلَّدُ، غَيْرَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، ذَهَبَ يَطْعُنُ، فَطَعَنَ فِي الْحِجَابِ».

قَالَ الْحَافِظُ الْعَسْقَلَانِيُّ: لَعَلَّ نَقْطَةً سَقَطَتْ مِنَ الْقَلَمِ فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَعْدَ ذَلِكَ رَوَايَةً، انْتَهَى.

وبين قوليهما مخالفة كما ترى.

(بِأُضْبَعِهِ) بِالْإِفْرَادِ أَوْ بِالثَّنِيَةِ أَيْضًا عَلَى اخْتِلَافِ الرَوَايَتَيْنِ فِي الْجَنْبِ.

(حِينَ يُوَلَّدُ، غَيْرَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، ذَهَبَ يَطْعُنُ، فَطَعَنَ فِي الْحِجَابِ) وَهُوَ الْجِلْدَةُ الَّتِي فِيهَا الْجَنِينَ وَتُسَمَّى الْمَشِيمَةُ قَالَهُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ.

وقيل: الحجاب الثوب الذي يلف فيه المولود.

وفي الحديث فضيلة ظاهرة لعيسى وأمه عليهما السلام إذ أراد الشيطان التمكن من أمه فمنعه الله منها ببركة أمها حنة بنت فاقوذ بن ماثان حيث قالت ﴿وَلِيَّيْ أَعِيذُهَا بِكَ وَذَرَيْتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: 36].

وروى عبد الرزاق في تفسيره عن المنذر بن النعمان الأفطس سمع وهب بن منبه يقول لما ولد عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أتت الشياطين إبليس فقالوا أصبحت الأصنام منكسة فَقَالَ هذا حادث مكانكم وطار حتى بلغ خافقي الأرض فلم يجد شيئًا ثم جاء البحار فلم يقدر على شيء ثم طار فوجد عيسى قد ولد عند حدود حما وإذا الملائكة قد حفت به فرجع إليهم فَقَالَ إن نبيًا قد ولد البارحة ولا حملت أنثى ولا وضعت قط إلا وأنا بحضرتها إلا هذه فأيسوا من أن يعبد الأصنام بهذه البلدة وفي لفظ بعد هذه الليلة ولكن اتوا بني آدم بالخفة والعجلة قوله إلا هذه يخالف ما في الصحيح إلا أن يؤول، وأشار القاضي إلى أن جميع الأنبياء عليهم السلام يشاركون عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في ذلك.

وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ: هُوَ قَوْلُ قَتَادَةَ قَالَ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ بَطَلَتِ الْخُصُوصِيَّةُ وَلَا يَلْزَمُ مِنْ نَخْسِهِ إِضْلَالُ الْمُنْخُوسِ وَإِغْوَاؤُهُ فَإِنْ ذَلِكَ طَعَنَ فَاسِدٌ فَلَمْ يَعْرِضِ الشَّيْطَانُ لَخَوَاصِ الْأَوْلِيَاءِ بِأَنْوَاعِ الْإِغْوَاءِ وَالْمَفَاسِدِ وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ عَصَمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَكِنَّ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الحجر: 42].

ومطابقة الحديث للترجمة ظاهرة وكذا بقية الأحاديث الآتية.

3287 - حَدَّثَنَا مَالِكُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا إِسْرَائِيلُ، عَنِ الْمُغِيرَةِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَلْقَمَةَ، قَالَ: قَدِمْتُ الشَّأْمَ، فَقُلْتُ: مَنْ هَا هُنَا؟ قَالُوا: أَبُو الدَّرْدَاءِ، قَالَ: «أَفِيكُمْ الَّذِي أَجَارَهُ اللَّهُ مِنَ الشَّيْطَانِ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ؟» حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ مُغِيرَةَ، وَقَالَ: الَّذِي أَجَارَهُ اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ يَعْنِي عَمَارًا.

3288 - قَالَ: وَقَالَ اللَّيْثُ: حَدَّثَنِي خَالِدُ بْنُ يَزِيدَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي هِلَالٍ،

(حَدَّثَنَا مَالِكُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ) أي: ابن زياد أبو غسان النهدي الكوفي قَالَ: (حَدَّثَنَا إِسْرَائِيلُ) هو ابن يونس بن أبي إسحاق السبيعي، (عَنِ الْمُغِيرَةِ) أي: ابن مقسم الضبي، (عَنْ إِبْرَاهِيمَ) أي: النخعي، (عَنْ عَلْقَمَةَ) هو ابن قيس النخعي الكوفي أنه (قَالَ: قَدِمْتُ الشَّأْمَ، فَقُلْتُ: مَنْ هَا هُنَا؟ قَالُوا: أَبُو الدَّرْدَاءِ) واسمه عويمر بن مالك الأنصاري الخزرجي رضي الله عنه، (قَالَ: أَفِيكُمْ) بهمزة الاستفهام على سبيل الاستخبار أي: أفي العراق.

(الَّذِي أَجَارَهُ اللَّهُ) أي: منعه وحماه (مِنَ الشَّيْطَانِ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ) وهو عمار بن ياسر رضي الله عنه وسيصرح به البخاري في الحديث الآتي.

وفي التوضيح: يجوز أن يكون قاله أبو الدرداء رضي الله عنه لقوله ﷺ يدعوه إلى الجنة ويدعونه إلى النار أو يكون شهد له أن الله أجاره من الشيطان.

(حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ) قَالَ: (حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ مُغِيرَةَ، وَقَالَ: الَّذِي أَجَارَهُ اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ يَعْنِي عَمَارًا) بين البخاري بهذا أن المراد من قول أبي الدرداء أفيكم الذي أجاره الله من الشيطان أنه عمار بن ياسر رضي الله عنه الذي هو من السابقين في الإسلام المنزل فيه: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل: 106] وقد قَالَ ﷺ له: «مرحبا بالطيب المطيب» أورد البخاري هذا الحديث هنا مختصراً وسيأتي تمامه في المناقب إن شاء الله تعالى والغرض منه هنا قوله الذي أجاره الله من الشيطان ومقتضاه أن للشيطان تسلطاً على من لم يجره الله منه.

(قَالَ اللَّيْثُ) أي: ابن سعد: (حَدَّثَنِي) بالافراد (خَالِدُ بْنُ يَزِيدَ) ⁽¹⁾ عَنْ سَعِيدِ ابْنِ أَبِي هِلَالٍ اللَّيْثِي المدني وقد مر في الوضوء أيضاً.

أَنَّ أَبَا الْأَسْوَدِ أَخْبَرَهُ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «الْمَلَائِكَةُ تَتَحَدَّثُ فِي الْعَنَانِ - وَالْعَنَانُ: الْغَمَامُ -، بِالْأَمْرِ يَكُونُ فِي الْأَرْضِ، فَتَسْمَعُ الشَّيَاطِينُ الْكَلِمَةَ، فَتَقْرُهَا فِي أُذُنِ الْكَاهِنِ كَمَا تَقْرُ الْقَارُورَةُ، فَيَزِيدُونَ مَعَهَا مِائَةَ كَذِبَةٍ».

(أَنَّ أَبَا الْأَسْوَدِ) هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَقَدْ مَرَّ فِي الْغَسَلِ.

(أَخْبَرَهُ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ) أَنَّهُ (قَالَ: الْمَلَائِكَةُ تَتَحَدَّثُ فِي الْعَنَانِ) مِثْلُ الْغَمَامِ وَزُنًا وَمَعْنَى كَمَا فَسَّرَهُ بِقَوْلِهِ: (وَالْعَنَانُ: الْغَمَامُ) وَهِيَ جُمْلَةٌ مُعْتَرِضَةٌ بَيْنَ الْمُتَعَلِّقِ وَالْمُتَعَلَّقِ إِذْ قَوْلُهُ: (بِالْأَمْرِ) مُتَعَلِّقٌ بِقَوْلِهِ يَتَحَدَّثُ.

(يَكُونُ فِي الْأَرْضِ) جُمْلَةٌ وَقَعَتْ حَالًا مِنْ قَوْلِهِ بِالْأَمْرِ أَوْ صِفَةً لَهُ عَلَى أَنْ يَكُونَ اللَّامُ لِلْعَهْدِ الذَّهْنِيِّ.

(فَتَسْمَعُ الشَّيَاطِينُ الْكَلِمَةَ، فَتَقْرُهَا) بِضَمِّ الْقَافِ وَتَشْدِيدِ الرَّاءِ وَهُوَ الصَّحِيحُ.

قَالَ ابْنُ التِّينِ: لَمَّا تَقَرَّرَ مِنْ أَنَّ كُلَّ فِعْلٍ مُضَاعَفٍ مُتَعَدٍّ يَكُونُ بِالضَّمِّ إِلَّا أَحْرَفَ شَوَادٍ وَلَيْسَ هَذَا مِنْهَا.

قَالَ الْخَطَّابِيُّ: يُقَالُ: قَرَرْتُ الْكَلَامَ فِي أُذُنِ الْأَصَمِّ إِذَا وَضَعْتَ فَمَكَ عَلَى صِمَاخِهِ فَتَلْقِيهِ فِيهِ.

وَقَالَ الْهَرَوِيُّ: إِنَّهُ تَرْدِيدُ الْكَلَامِ فِي أُذُنِ الْأَبْكَمِ حَتَّى يَفْهَمَهُ وَالْقَرُّ أَيْضًا الصَّوْتُ.

(فِي أُذُنِ الْكَاهِنِ كَمَا تَقْرُ الْقَارُورَةُ) يُرِيدُ بِهِ تَطْبِيقَ رَأْسِ الْقَارُورَةِ بِرَأْسِ الْوَعَاءِ الَّذِي يَفْرُغُ مِنْهَا فِيهِ وَقَالَ الْقَاسِمِيُّ مَعْنَاهُ يَكُونُ لَمَّا يَلْقِيهِ الْكَاهِنُ حَسَّ كَحَسِّ الْقَارُورَةِ عِنْدَ تَحْرِيكِهَا مَعَ الْيَدِ أَوْ عَلَى الصَّفَاءِ وَفِي التَّوْضِيحِ وَيُقَالُ بِالزَّايِ وَهُوَ مَا يَسْمَعُ مِنْ حَسِّ الزَّجَاجَةِ حِينَ يَحْكُ بِهَا عَلَى شَيْءٍ.

وَقَالَ الْكِرْمَانِيُّ: وَفِي بَعْضِ النُّسخِ فَتَقْرُهَا مِنَ الْإِقْرَارِ وَقَالَ الدَّائِدِيُّ: أَيُّ: تَلْقِيهَا كَمَا يَسْتَقِرُّ الشَّيْءُ فِي قَرَارِهِ (فَيَزِيدُونَ مَعَهَا مِائَةَ كَذِبَةٍ) وَهَذَا التَّعْلِيقُ أَوْرَدَهُ الْبُخَارِيُّ فِي بَابِ ذِكْرِ الْمَلَائِكَةِ مُوَصُولًا وَالْغَرَضُ مِنْهُ هُنَا قَوْلُهُ فَتَسْمَعُ الشَّيَاطِينُ.

3289 - حَدَّثَنَا عَاصِمُ بْنُ عَلِيٍّ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي ذُئْبٍ، عَنْ سَعِيدِ الْمَقْبُرِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «التَّائِبُ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِذَا تَنَاءَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَرُدَّهُ مَا اسْتَطَاعَ، فَإِنْ أَحَدَكُمْ إِذَا قَالَ: هَا، ضَحِكَ الشَّيْطَانُ».

(حَدَّثَنَا عَاصِمُ بْنُ عَلِيٍّ) أي: ابن عاصم بن صهيب أبو الحسين مولى قريبة بنت مُحَمَّد بن أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من أهل واسط وروى البُخَارِيُّ عنه في مواضع وروى عن مُحَمَّد بن عَبْد اللَّهِ عنه في الحدود مات سنة إحدى وعشرين ومائتين.

وَقَالَ ابن سعد: مات بواسط وهو من أفراد البُخَارِيِّ قَالَ: (حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي ذُئْبٍ) هو مُحَمَّد بن عبد الرحمن بن أبي ذئب، (عَنْ سَعِيدِ الْمَقْبُرِيِّ، عَنْ أَبِيهِ) كيسان، (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ) أنه (قَالَ: التَّائِبُ) مصدر من تئأب يتئأب والاسم الثوباء (مِنَ الشَّيْطَانِ) كراهة له لأنه إنما يكون مع ثقل البدن وامتلأته وميله إلى الكسل والنوم وأضافه إلى الشيطان لأنه هو الذي يدعو إلى إعطاء النفس شهواتها وأراد به التحذير من السبب الذي يتولد منه وهو التوسع في المطعم والشبع فيثقل عن الطاعات ويكسل عن الخيرات.

(فَإِذَا تَنَاءَبَ أَحَدُكُمْ) تئأب هو فعل ماضٍ من باب تفاعل وأصله تَأَب ومادته تاء مثلثة وهمزة وموحدة وتئأب بالمد والتخفيف ويروى بالواو تتأوب وقيل لا يقال تئأب مخففاً بل تتأب بالتشديد في الهمزة، وَقَالَ الجوهرى لا يقال تتأوب بالواو وأما حديث التَّائِبُ فهو التنفس الذي يفتح منه الفم لدفع البخارات المختنقة في عضلات الفك وهو إنما ينشأ من امتلاء المعدة وثقل البدن ويورث الكسل وسوء الفهم والغفلة.

(فَلْيَرُدَّهُ مَا اسْتَطَاعَ) أي: ليكظم وليضع يده على الفم لئلا يبلغ الشيطان مراده من تشويه صورته ودخول فمه وضحكه منه.

(فَإِنْ أَحَدَكُمْ إِذَا قَالَ: هَا) كلمة ها حكاية صوت المتأوب فإذا قَالَ: هَا يعني إذا بالغ في التأوب وصدر منه لفظة ما.

(ضَحِكَ الشَّيْطَانُ) فرحاً بذلك ولذلك قالوا: «لم يتئأب نبي قط».

وَقَالَ الداودى: إن فتح فاه ولم يضمه بصق فيه وإذا قَالَ: هَا ضحك منه

3290 - حَدَّثَنَا زَكَرِيَّا بْنُ يَحْيَى، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، قَالَ: هِشَامٌ أَخْبَرَنَا، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «لَمَّا كَانَ يَوْمَ أُحُدٍ هُزِمَ الْمُشْرِكُونَ، فَصَاحَ إِبْلِيسُ: أَيُّ عِبَادَ اللَّهِ أَخْرَاكُمْ، فَرَجَعَتْ أَوْلَاهُمْ فَأَجْتَلَدَتْ هِيَ وَأَخْرَاهُمْ، فَتَنَظَرَ حُدَيْفَةُ فَإِذَا هُوَ بِأَبِيهِ الْيَمَانِ، فَقَالَ: أَيُّ عِبَادَ اللَّهِ أَبِي أَبِي، فَوَاللَّهِ مَا احْتَجَزُوا حَتَّى قَتَلُوهُ، فَقَالَ: حُدَيْفَةُ غَفَرَ اللَّهُ لَكُمْ،

وسياتي في الأدب من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَطَاسَ وَيَكْرَهُ التَّثَاؤُبَ» والغرض من ذكر الحديث هنا ظاهر.

(حَدَّثَنَا زَكَرِيَّا بْنُ يَحْيَى) أي: ابن عمر أَبُو السكِين الطائِي الكوفي قَالَ: (حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ) حماد بن أسامة، (قَالَ: هِشَامٌ أَخْبَرَنَا، عَنْ أَبِيهِ) عُرْوَةَ، (عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: لَمَّا كَانَ يَوْمَ أُحُدٍ هُزِمَ الْمُشْرِكُونَ، فَصَاحَ إِبْلِيسُ: أَيُّ عِبَادَ اللَّهِ) أي: يا عباد الله (أَخْرَاكُمْ) أي: الطائفة المتأخرة وهو نصب على التحذير يعني يا عباد الله احذروا الذين من ورائكم متأخرين عنكم أو اقتلوهم والخطاب للمسلمين أراد إبليس تغليظهم ليقاتل المسلمون بعضهم بعضًا. (فَرَجَعَتْ أَوْلَاهُمْ) أي: فرجعت الطائفة المتقدمة قاصدين لقتال الأخرى ظانين أنهم من المشركين.

(فَأَجْتَلَدَتْ هِيَ) أي: الطائفة المتقدمة (وَأَخْرَاهُمْ) أي: الطائفة الأخرى منهم أي: تضاربت الطائفتان ويحتمل أن يكون الخطاب للكافرين أي: فاقتلوا أخراكم فرجعت أَوْلَاهُمْ فتجادل أولى الكفار وأخرى المسلمين.

(فَتَنَظَرَ حُدَيْفَةُ فَإِذَا هُوَ بِأَبِيهِ الْيَمَانِ) بتخفيف الميم وبالنون بلا ياء بعدها وهو لقب واسمه حسيل مصغر حصل بالمهملتين ابن جابر العبسي بالموحدة بين المهملتين أسلم مع حذيفة وهاجر إلى المدينة وشهد أحداً وأصابه المسلمون في المعركة فقتلوه يظنونهم من المشركين وحذيفة يصيح ويقول هو أبي لا تقتلوه ولم يسمع منه.

(فَقَالَ أَيُّ عِبَادَ اللَّهِ أَبِي أَبِي، فَوَاللَّهِ مَا احْتَجَزُوا) أي: ما امتنعوا منه ويقال لكل من ترك شيئاً انحجز أو احتجز عنه.

(حَتَّى قَتَلُوهُ، فَقَالَ: حُدَيْفَةُ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (غَفَرَ اللَّهُ لَكُمْ) دعا لمن قتلوه من

قَالَ عُرْوَةُ: فَمَا زَالَتْ فِي حُذَيْفَةَ مِنْهُ بَقِيَّةٌ خَيْرٍ حَتَّى لَحِقَ بِاللَّهِ⁽¹⁾.

3291- حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ الرَّبِيعِ، حَدَّثَنَا أَبُو الْأَخْوَصِ، عَنْ أَشْعَثَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ التِّفَاتِ الرَّجُلِ فِي الصَّلَاةِ، فَقَالَ: «هُوَ اخْتِلَاسٌ يَخْتَلِسُ الشَّيْطَانُ مِنْ صَلَاةِ أَحَدِكُمْ».

غير علم وتصدق حذيفة بديته على من أصابه ويقال إن الذي قتله هو عقبة بن مسعود فعفي عنه.

(قَالَ عُرْوَةُ: فَمَا زَالَتْ فِي حُذَيْفَةَ مِنْهُ) أي: من قتل المسلمين أباه (بَقِيَّةٌ خَيْرٍ) أي: بقية دعاء واستغفار لقاتل اليمان (حَتَّى لَحِقَ بِاللَّهِ) أي: حتى مات وَقَالَ التَّيْمِيُّ: معناه ما زال في حذيفة بقية حزن على أبيه من قتل المسلمين إياه. ومطابقته للترجمة ظاهرة.

وقد أخرجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي الْدِيَاتِ وَالْمَغَازِي أَيْضًا.

(حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ الرَّبِيعِ) أي: ابن سليمان البجلي الكوفي يعرف بالبوراني قَالَ: (حَدَّثَنَا أَبُو الْأَخْوَصِ) بالمهملتين بن سليم الكوفي، (عَنْ أَشْعَثَ) بالشين المعجمة والعين المهملة والثاء المثلثة ابن أبي الشعثاء مؤنث الأشعث، (عَنْ أَبِيهِ) أبي الشعثاء، (عَنْ مَسْرُوقٍ) أنه (قَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ: رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ التِّفَاتِ الرَّجُلِ فِي الصَّلَاةِ، فَقَالَ: «هُوَ اخْتِلَاسٌ يَخْتَلِسُ الشَّيْطَانُ مِنْ صَلَاةِ أَحَدِكُمْ») وقد مضى الحديث في كتاب الصلاة في باب الالتفات في الصلاة ومضى الكلام فيه هناك.

(1) قال الحافظ رحمه الله تعالى: «أخراكم» أي: «احترزوا» من جهة أخراكم وهي كلمة تقال لمن يخشى أن يؤتى عند القتال من ورائه، وكان ذلك لما ترك الرماة مكانهم ودخلوا ينتهبون عسكر المشركين، وقوله: «فاجتلدت هي وأخراهم» أي: وهم يظنون أنهم من العدو، وقد تقدم بيان ذلك من حديث ابن عباس رضي الله عنه الذي أخرجه أحمد والحاكم وأنهم لما رجعوا اختلطوا بالمشركين والتبس العسكران فلم يتميزوا فوقع القتل على المسلمين بعضهم من بعض، اهـ.

وأشار بحديث ابن عباس ما ذكره قبل ذلك فقال: وفي حديث ابن عباس رضي الله عنه: «فلما غنم رسول الله ﷺ وأباحوا عسكر المشركين انكفت الرماة جميعاً فدخلوا في العسكر ينتهبون وقد التفت صفوف أصحاب رسول الله ﷺ هكذا وشبك بين أصابعه» الحديث.

3292 - حَدَّثَنَا أَبُو الْمُغِيرَةِ، حَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي يَحْيَى، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ أَبِي قَتَادَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ. وَحَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ، حَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي قَتَادَةَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ مِنَ اللَّهِ،

(حَدَّثَنَا أَبُو الْمُغِيرَةِ) عبد القدوس بن الحجاج. مر في باب تزويج المحرم قَالَ: (حَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ) عبد الرحمن بن عمرو (قَالَ: حَدَّثَنِي) بالإنفراد (يَحْيَى) ابن أبي كثير (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي قَتَادَةَ، عَنْ أَبِيهِ) أبي قَتَادَةَ الْحَارِثِ بْنِ الرَّبْعِيِّ الْأَنْصَارِيِّ، (عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَحَدَّثَنِي) بالإنفراد (سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ) أي: ابن شرحبيل بن أبوب الدمشقي قَالَ: (حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ) أي: ابن مسلم الدمشقي قَالَ: (حَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ) قَالَ: حَدَّثَنِي) بالإنفراد (يَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ) قَالَ: حَدَّثَنِي) بالإنفراد (عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي قَتَادَةَ، عَنْ أَبِيهِ) أَنَّهُ (قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ مِنَ اللَّهِ) الرُّؤْيَا عَلَى وزن فعلى بلا تنوين وجمعها رُؤَى مثل رُغَى يقال رَأَى فِي مَنَامِهِ رُؤْيَا وَفِي الْيَقَظَةِ رُؤْيَةً.

وقد قيل: إن الرُّؤْيَا أَيْضًا تَقَالُ فِي الْيَقَظَةِ وَعَلَيْهِ تَفْسِيرُ الْجُمْهُورِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ﴾ [الإسراء: 60] إن الرُّؤْيَا ههنا فِي الْيَقَظَةِ. وَقَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: الرُّؤْيَا بِمَعْنَى الرُّؤْيَةِ إِلَّا أَنَّهَا مُخْتَصَةٌ بِمَا كَانَ مِنْهَا فِي الْمَنَامِ دُونَ الْيَقَظَةِ فَلَا جَرَمَ فَرَقَ بَيْنَهُمَا.

وَقَالَ الْوَاحِدِيُّ: الرُّؤْيَا مُصْدَرٌ كَالْبَشْرَى إِلَّا أَنَّهُ لَمَّا صَارَ اسْمًا لِهَذَا الْمُتَخِيلِ فِي الْمَنَامِ جَرَى مَجْرَى الْأَسْمَاءِ وَقِيلَ يَجُوزُ تَرْكُ هَمْزِهَا تَخْفِيفًا وَكَذَا قَلْبُهَا يَاءً وَإِدْغَامُهَا فِي الْيَاءِ وَقَدْ قُرِئَ بِهِمَا وَقَوْلُهُ الصَّالِحَةُ إِمَّا صِفَةٌ مُوضِحَةٌ لِلرُّؤْيَا لِأَنَّهُ غَيْرُ الصَّالِحَةِ تَسْمَى بِالْحَلَمِّ أَوْ مُخْتَصَّةٌ وَالصَّلَاحُ إِمَّا بِاعْتِبَارِ صَوَرَتِهَا وَإِمَّا بِاعْتِبَارِ تَعْبِيرِهَا وَيُقَالُ لَهَا الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ وَالرُّؤْيَا الْحَسَنَةُ.

وَقَالَ الطَّبِيبِيُّ: مَعْنَى الصَّالِحَةِ الْحَسَنَةِ وَيَحْتَمِلُ أَنْ تَجْرِيَ عَلَى ظَاهِرِهَا وَأَنْ تَجْرِيَ عَلَى الصَّادِقَةِ وَالْمُرَادُ بِهَا صَحَّتُهَا وَتَفْسِيرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمُبَشِّرَاتِ عَلَى الْأَوَّلِ ظَاهِرٌ لِأَنَّ الْبَشَارَةَ كُلَّ خَبَرٍ صَدَقَ تَغْيِيرُهُ بِبَشَرَةِ الْوَجْهِ وَاسْتِعْمَالُهَا فِي الْخَيْرِ أَكْثَرُ وَعَلَى الثَّانِي مَوْجُودٌ إِمَّا عَلَى التَّغْلِيبِ أَوْ مَحْمُولٌ عَلَى أَصْلِ اللُّغَةِ وَإِضَافَتُهَا

وَالْحُلُمُ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِذَا حَلَمَ أَحَدُكُمْ حُلُمًا يَخَافُهُ فَلْيَبْصُقْ عَنْ يَسَارِهِ،

إلى الله تعالى إضافة اختصاص وإكرام لسلامتها من التخليط وطهارتها عن حضور الشيطان والله تعالى أعلم.

(وَالْحُلُمُ مِنَ الشَّيْطَانِ) أي: الرؤيا الغير الصالحة أي: الكاذبة أو السيئة وإنما نُسبت إلى الشيطان لأن الرؤيا الكاذبة يريها الشيطان الإنسان ليحزنه ويسيء ظنه بربه ويقل حظه من شكره ولذلك أمره بالبصق عن يساره ويتعوذ من شره كان يقصد به طرد الشيطان وأما الرؤية الصالحة فهي بشارة من الله يبشر بها عبده ليحسن بها ظنه بربه ويكثر شكره.

وَقَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: الرؤيا والحلم بمعنى واحد لأن الحلم ما يراه الإنسان في منامه غير أن صاحب الشرع خص الخير باسم الرؤيا والشر الحلم⁽¹⁾.

(فَإِذَا حَلَمَ أَحَدُكُمْ) بفتح اللام قَالَ ابْنُ التِّينِ وحلم بضم اللام عنه بمعنى عفا عنه ومصدره حلم بكسر الفاء وسكون العين وحلم بالكسر في حلم الأديم يقال حلم الأديم إذا شب قبل أن يدبغ.

(حُلُمًا) بضم الحاء واللام ويجوز إسكانها ويجمع على أحلام في القلة وحلوم في الكثرة وإنما جمع وإن كان مصدرًا لاختلاف أنواعه وهو في الأصل عبارة عما يراه الرائي في منامه حسنًا كان أو مكروهاً.

(يَخَافُهُ) في محل النصب لأنها صفة لقوله حلمًا.

(فَلْيَبْصُقْ عَنْ يَسَارِهِ) دحرا للشيطان بذلك كرمي الجمار كما يتفل عند الشيء القدر يراه ولا شيء أقدر من الشيطان وذكر اليسار لأن العرب على أن إتيان الشر كله من قبل الشمال ولذلك سمته الشؤم وكانوا يتشاءمون بما جاء من قبلها من الطير وليس فيها أيضًا كثير عمل بل أكثر العمل باليمين كالبطش والأكل والشرب وأخذ الشيء الشريف.

(1) وإن كان كلٌّ منهما بقضاء الله تعالى ولا فعل للشيطان في ذلك، وقيل معناه الرؤيا الحق من الله لأنه إذا نام العبد وصعدت روحه وكل له ملكًا يمثل له الأشياء على طريق الحكمة فهو من أنباء الغيب وربما يلبس عليه الشيطان ويمثل له ما كانت تحدّثه نفسه وتمنّاه في اليقظة يكون ما رآه حلمًا.

وَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهَا، فَإِنَّهَا لَا تَضُرُّهُ»⁽¹⁾.

(وَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهَا) أي: من شر الحلم، (فَإِنَّهَا) أي: الحلم (لَا تَضُرُّهُ)

(1) قال ابن أبي جمة في البهجة: ظاهر الحديث يدل على حكمين أحدهما الإعلام بأن الرؤيا الصالحة من الله تعالى والآخر الإخبار بأن الحلم من الشيطان وتعليم المخرج منها. والكلام عليه من وجوه:

منها: أن يقال ما معنى قوله من الله وما معنى الصالحة وما معنى الحلم والكلام على كيفية الاستعاذة منها وما الحكمة في البصاق عن اليسار.

فأما الجواب: عن قوله عليه الصلاة والسلام من الله أي: هي حق لا شك فيها لأن كل ما هو من عند الله لا شك في أنه حق ولذلك قال: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: 82] وأما قوله عليه الصلاة والسلام: «الصالحة» فكل ما فيها خير فهي صالحة في غالب الحال كما قال شعيب عليه الصلاة والسلام لموسى عليه الصلاة والسلام: ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [القصص: 27] أي: لا ترى مني إلا شيئاً تسر به وفيه صلاح لك وأما قوله: «الحلم» فالحلم ما فيه تهويل للنفس وتخويف وهو على قسمين ما فيه تهويل وتخويف على النفس وليس يدل بوضعه على شيء يضر ومنه ما يدل على شيء يضر ومن أجل ذلك قال ﷺ بعد (يخافه) ليفرق بين ما يدل على ضرر وبين ما لا يدل على ضرر ولذلك قالوا للعزيز: ﴿أَضَعْتُ أَحْلَنَّهُ وَمَا تَحَنُّنُ بِأَوَّلِ الْأَحْلَمِ بِعَيْنَيْ﴾ [يوسف: 44].

ويلزم على هذا من الفقه أن يكون الذي رأى الرؤيا عارفاً بالتعبير وإلا قد تكون الرؤيا في نفسها مهولة وهي تدل على خير مثال ذلك أن ترى شخصاً يضرب آخر بالسوط ويوجعه ضرباً فإن الضارب يولي للمضروب معروفاً على قدر ضربه من شدة أو لين وقد يكون بعكس معناه فتكون حسنة في نفسها وهي تدل على ضد ذلك مثاله أن ترى شخصاً يعمل لشخص عرساً أو وليمة ويطعمه حلالة وطعاماً بلحم سمين فإن المطعم الطعام يفعل بالذي أطعمه أو فرحه شراً بقدر حسن الحلالة وطيب اللحم فكلما كثر الحسن في ذلك كثر القبح في الشر الذي ينال منه وما أراد الشارع ﷺ بالحسن وضده إلا المعنى الذي يتضمنه نفس الواقع في النوم بوضعه ففقه من لا يعرف في التعبير شيئاً أن يتعوذ مما لا يعرف لها معنى من أجل أن تكون مما تدل على مكروه فإن كانت تدل عليه فيندفع عنه ذلك المكروه باتباع الأمر وهذا من باب سد الذريعة لأن الاحتياط كله من هذا الباب وهو الأولى ولا يجوز له أن يعبر الرؤيا بغير علم لأنها من النبوة وما كان من النبوة فلا يجوز أن يهزأ به لأن الحكم بلا علم هزء وتجروء على ما لا يجوز وكذلك كان سيدنا ﷺ كل يوم إذا صلى الصبح يدور بوجهه إلى الصحابة رضوان الله عليهم ويقول: «هل رأى أحد منكم الليلة رؤيا؟» فمن رأى منهم شيئاً ذكره وفسر لهم ليعلمهم علم التعبير وكما قال يوسف عليه الصلاة والسلام: ﴿ذَلِكُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾ [يوسف: 37] يعني به علم تعبیر الرؤيا وقد يكون من الرؤيا ما يؤلم النفس وهو حق فقد قال العلماء إنه إذا كانت حقاً وامتثل الرائي ما أمر به النبي ﷺ فإنها لا تضره ويصرف الله تعالى عنه ببركة السنة تلك الأمور المشوشة لأنه ﷺ ما بعث إلا رحمة وهو عليه الصلاة والسلام يعلم أن في الحلم وهو كل ما فيه تهويل وتشويع على النفس ما هو حق فحملها كلها عليه الصلاة والسلام محملاً =

وإنما أنت الضمير باعتبار أن الحلم هو الرؤيا السيئة الكاذبة المكروهة والرؤيا

واحدًا وجعلها من الشيطان لكون أن هذا هو الغالب فيها والشرعية إذا تأملتها إنما أطلقت الأحكام على الغالب في جميع الأمور ورحمة من الله تعالى وتوسعة على عبده فجعل المخرج من الكل واحد وهو الاستعاذة بالله.

وهنا بحث: لطيف أيضًا في كونه ﷺ جعله أعني الحلم من الشيطان لأن أصل كل ما يصيب المرء من البلاء والمحن في الغالب إنما هو مما اجتري به الشخص على نفسه وأن الله تعالى يقول: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: 30] وقال عز وجل: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَِا مِنْ دَانِيَةٍ﴾ [فاطر: 45] وأصل المخالفات إنما هي من وسواس الشيطان وتسويله لأن الله عز وجل يقول في كتابه: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا﴾ [البقرة: 268] فقام ذكر اسم الله سبحانه في هذا الموضع مقام التوبة الاضطرار فالتوبة تجب ما قبلها والمضطر مستجاب له بمقتضى الوعد الجميل وهو قوله تعالى: ﴿أَنْ يُجِيبَ الْمُضْطَرُّ إِذَا دَعَا وَيَكْشِفَ السُّوءَ﴾ [النمل: 62] رحمة من الله تعالى ونعمة لمن قبلها فلذلك قال عليه الصلاة والسلام لا تضره.

وأما الجواب: على ما الحكمة في أن يبصق على يساره فلأن فيه خزيًا للشيطان لأن جانب الشمال هو مقعده ووجه آخر لأن ريق المؤمن شفاء وفيه أيضًا إحراق الشيطان لأنه لا يحمله فيكون بصاقه ينشأ عنه تألم الشيطان وطرد له من أجل أن لا يعود إلى تخويفه ثانيًا وقد تكون للمجموع وزيادة والله أعلم وفي قوله عليه الصلاة والسلام: «وليتعوذ بالله من شرها» دليل على ما قدمناه من أن المقصود من الرؤيا ما تدل عليه لا نفس الرؤيا.

وهنا بحث: وهو أن يقال هل هذا على عمومه أم لا الظاهر يعطي العموم والبحث يعطي التخصيص لأنه إذا كان الرائي شيطانًا في نفسه كيف يفر منه الشيطان ومما يؤيد ما أشرنا إليه قوله: «منكم» يعني من هو على طريقكم الذي تقتضيه حقيقة الإيمان فلو كان عليه الصلاة والسلام عني بقوله منكم جنس بني آدم لكان الكفار والمنافقون يدخلون تحت هذا ولا قائل به فما بقي إلا التخصيص بأن يعني به المؤمنين ولذلك قال عليه الصلاة والسلام في حديث آخر «الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو ترى له» ولا يعترض علينا ببعض مرأى رآها بعض الكفار ورويت عنهم وخرجت حقًا والانفصال عنه أن تقول ذلك نادر والنادر لا حكم له وفيها وجه آخر وهو أنه إذا تأملت تلك المراتي التي رثيت عن بعض الكفار إنما الفائدة فيها للمؤمنين غالبًا مثل المراتي التي رآها بعض كفار مكة قبل خروجهم إلى قتال سيدنا ﷺ هي من جملة النعمة لهم والظهور لسيدنا ﷺ وكذلك نجد كل واحدة منها الجبر فيها للمؤمنين.

وفيه دليل: على عظيم قدرة الله تعالى يؤخذ ذلك من كون المراتي ترى فيها تماثيل وأشكال تدل على أشياء وتخرج في عالم الحس كذلك وقد قال أهل العلم بهذا الشأن إنه لا يقع لأحد شيء في هذا العالم إلا وقد رآه في النوم وعقله من عقله وجهله من جهله قال تعالى: ﴿سَرَّيْهِمْ أَبْنَيْنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: 53] والحمد لله رب العالمين.

3293 - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ، أَخْبَرَنَا مَالِكٌ، عَنْ سُمَيٍّ، مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، كَانَتْ لَهُ عَدَلٌ عَشْرَ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيتَ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ.....

المكروهة هي التي تكون عن حديث النفس وشهواتها وكذلك رؤيا التهويل والتخويف يدخله الشيطان على الإنسان ليشوش عليه في اليقظة وهذا النوع هو المأمور بالاستعاذة منه لأنه من تخيلاته فإذا فعل المأمور به صادقاً أذهب الله عنه ما أصابه من ذلك.

وقد أخرج البخاريّ هذا الحديث من وجهين وفائدة الطريق الثانية وإنما كانت الأولى أعلى منها التصريح بتحديث عبد الله بن أبي قتادة ليحيى بن أبي كثير، وقد أخرجه البخاريّ في التعبير أيضاً وأخرجه النسائيّ في اليوم واللييلة. (حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ) قَالَ: (أَخْبَرَنَا مَالِكٌ) الإمام، (عَنْ سُمَيٍّ) بضم السين المهملة وفتح الميم وتشديد المثناة التحتية.

(مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ) أي: ابن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة القرشي المخزومي المدني، (عَنْ أَبِي صَالِحٍ) ذكوان الزيات، (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، كَانَتْ⁽¹⁾ لَهُ عَدَلٌ) بفتح العين المهملة بمعنى مثل (عَشْرَ رِقَابٍ) أي: كان له مثل ثواب إعتاق عشر رقاب، (وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيتَ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا) بكسر الحاء المهملة وهو الموضع الحصين ويسمى التعويذ أيضاً حرزاً (مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ) نصبٌ على الظرف وقوله: (ذَلِكَ) صفة له وإشارة إلى اليوم الذي دعا فيه بهذه الكلمات المشتملة على الاعتراف بالوحدانية له تعالى وعلى الشكر لله والإقرار بقدرته على كل شيء.

(1) أي: كانت تلك الكلمات بهذه المرات.

حَتَّى يُمْسِي، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ»⁽¹⁾.

(حَتَّى يُمْسِي، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ) أي: من العمل الذي عمله الأول.

(1) قال ابن أبي جمرة في البهجة: ظاهر الحديث يدل على حكيمين:

أحدهما: الإخبار بأن من قال لا إله إلا الله مرة كان له هذا الأجر العظيم وهو ثواب عتق عشر رقاب ومائة حسنة زائدة على ذلك ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك.

والحكم الآخر: الإخبار بأن ذلك أرفع الأعمال ولا شيء من الأعمال أرفع منه إلا الزيادة على ذلك العدد.

والكلام عليه من وجوه:

منها: أن يقال ما الحكمة بأن جعل هذا الثواب محدوداً بهذا العدد هل يمكن له فهم أو هو مما لا يفهم له معنى.

ومنها: الكلام على قوله حتى يمسي ما هو حد المساء هنا.

ومنها: لم فضل هذا العمل على كل الأعمال من حج وجهاد وصوم وصدقة وغير ذلك من أفعال الخير وهل من قال بعض العدد مثل النصف أو أقل أو أكثر هل يكون له من الثواب بتلك النسبة أم لا؟

فأما الجواب: على قولنا ما الحكمة بأن جعل هذا الأجر العظيم منوطاً بهذا العدد المسمى وهي المائة مرة فإن قلنا تبعداً فلا بحث وإن قلنا له وجه من الحكمة فما هو فنقول والله أعلم أنه لما أخبرنا الصادق عليه السلام أن الله عز وجل جعل الرحمة في مائة جزء فأخرج منها إلى الدنيا واحدة وأدخر بفضله التسعة والتسعين للمؤمنين في الآخرة فمن جملة الرحمات بالمؤمنين في تلك الدار النجاة من النار ودخول الجنة والتنعيم بها وبما فيها فإنه من عوفي من النار أدخل الجنة لا محالة لقوله عليه السلام: «ليس بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار» ومن جملة ما من الله عليهم في هذه الدار أن عوفوا من الشيطان لأنهم إذا عوفوا من الشيطان فقد دخلوا في ضمن قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الحجر: 42] فجعلهم من أهل الخصوص وهم أرفع الناس وقد أخبر الصادق عليه السلام أن الحسنه بعشر أمثالها فإذا قالها مائة مرة كانت له بألف فبكل مائة التي هي مبلغ عدد أجزاء الرحمة المتقدم ذكرها وجب له بالفضل ما تضمنته تلك الأجزاء على ما تقدم البحث وهو النجاة من النار والنجاة من النار من لازمها دخول الجنة كما تقدم منا وذلك ما انتهت بالمؤمنين جميع تلك الأجزاء التي قسمت عليها الرحمة أعني في الدنيا والآخرة منتهاه دخول الجنة وعبر عليه الصلاة والسلام عن ذلك بعق الرقبة لأنه عليه السلام قد أخبر أنه من أعق رقبة أعنته الله بها من النار بكل عضو منها عضواً من معتقها وزاده من فضله نحو المائة سيئة وزيادة مائة حسنة وعصمه يومه ذلك من الشيطان لأنه عز وجل يقول وهو أصدق القائلين: ﴿وَزَيْدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النساء: 173] بعدما أخبر بالتضعيف في الأجور أخبر أنه يزيدهم من فضله والكل من فضله من الله علينا به بفضله وأما حد المساء هنا فهو محتمل أن يريد به آخر وقت المساء =

والحديث أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي الدَّعَوَاتِ أَيْضًا وَكَذَا مُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ

وهو مغيب الشمس واحتمل أن يريد به وقت المساء وهو زوال الشمس لأن العرب تسمي من زوال الشمس إلى غروبها مساءً وقد تسمي الكل بالبعض والبعض بالكل لكن قد جاء في حديث آخر ما يدل أنه إلى آخر المساء وهو غروب الشمس لأنه عليه الصلاة والسلام قال وإن قالها في ليلة لم يضره الشيطان حتى يصبح ولا يقال أصبح إلا حتى يطلع الفجر فكما يكون في الليل إلى آخره فكذلك يكون في اليوم إلى آخره وهو غروب الشمس ويعطي ذلك أيضًا قوة الكلام لأنه جاء عن طريق المن والإفضال وما هو على هذا الوجه لا يكون إلا على كل ما ينطلق عليه اللفظ ولو جاء آخر وهو إذا كان الحد من جنس المحدود دخل فيما حد كما تقول بعثك هذا الثوب من الطرف إلى الطرف فالطرفان داخلان في البيع.

أما قولنا: لم يفضل هذا العمل على ما عداه من أعمال البر من صوم وصلاة وحج وغير ذلك من أفعال البر لأنه ﷺ قد نفى بقوله لم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك يعني أكثر من المائة مرة عددًا ففيه الفضيلة عما سواه أثبت الفضيلة له.

فالجواب: أن اللفظ عام ومعناه الخصوص فيكون في النوافل لا غير لقوله ﷺ إخبارًا عن ربه عز وجل: «لن يتقرب إلي المتقربون بأحب من أداء ما افترضت عليهم ثم لا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه» وقوله ﷺ في الصلاة: «فمن جاء بهن لم يضيع منهن شيئًا استخفافًا بحقهن كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة» وجعلها فرقًا بين الكفر والإيمان والآي والأحاديث في ذلك كثير فتخصص عموم اللفظ بما ذكرناه وبقي هذا خاصًا بأنه أفضل المندوبات وإذا كان ذلك كذلك فيحتاج إلى البحث في ما العلة في تفضيل هذا الذكر الخاص على جميع المندوبات من أنواع أفعال البر فنقول والله الموفق لما كان أعلى الواجبات وأكدها قول لا إله إلا الله والإقرار له سبحانه وتعالى بالوحدانية ونفي الضد والتد والشريك والصاحبة وجميع النقائص ووصفه بجميع أوصاف الكمال والجلال على ما يليق بجلاله تبارك وتعالى علوًا كثيرًا وجاءت جميع المفروضات كلها تابعة لها بعد ولذلك قال ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله» معناه على الحد الذي طلب منهم فيها كما تقدم وصفه فلما كانت في الفرائض لم يأت أحد بأفضل منها فكذلك هي في المندوبات لا يأتي أحد بأفضل منها لأن هذه الصيغة المذكورة في الحديث تضمنت ما أشرنا إليه من أوصاف الكمال لجلاله سبحانه ونفي ضدها وتكرارها مائة مرة تأكيد وتأكيد وصف الجلال زيادة جلال وإن كان جلاله سبحانه لا نهاية له لكن هذا يحسب ما نعرفه من جهة التخاطب بيننا وبذلك تعبدنا فبأن ما قاله الصادق ﷺ إنه لم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا من جاء بزيادة على العدد المذكور فإنه زيادة في التأكيد وما هو زيادة في التأكيد فهو زيادة في الترفع كما تقدم.

وأما قولنا: من قال بعض العدد هل يكون له بنسبة ذلك من الأجر المذكور فاعلم أن الأجور في الأعمال والعقاب على الذنوب لا يؤخذ بالعقل ولا بالتقدير لأنه ليس لعله عقلية ولا عليه كما قدمنا أو الكتاب فكل ما ليس فعله لعله فلا يدخله تقدير ولا يحكم عليه بالقياس وإنما هو متوقف على الشارع ﷺ فبعد تحديده عليه الصلاة والسلام ينظر هل يفهم الحكمة فيه أم لا =

3294 - حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ صَالِحٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدٍ،

وَأَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَةَ فِي ثَوَابِ التَّسْبِيحِ.

(حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ) المعروف بابن المديني، (حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ) قَالَ: (حَدَّثَنَا أَبِي) هو إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (عَنْ صَالِحٍ) هو ابن كيسان، (عَنِ ابْنِ شِهَابٍ) مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ الزُّهْرِيُّ أَنَّهُ (قَالَ: أَخْبَرَنِي) بِالْإِفْرَادِ (عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدٍ) أَي: ابْنُ الْخَطَّابِ وَزَيْدٌ هَذَا هُوَ أَخُو عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فإن فهمناها بدليل شرعي شكرنا الله على ذلك وإلا قلنا تعبدنا لا يعقل له معنى وهنا وقفت العقول وحارت الأذهان وذلت الرقاب وإن كان قد جاء في الأحاديث من قالها أقل من هذا العدد فله أجر أقل من هذا فمنها قوله ﷺ فيمن قالها مرة واحدة كان له أجر عتق رقبة وكتب له عشر حسنات ومحييت عنه عشر سيئات وكانت له حرراً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي أو كما قال عليه الصلاة والسلام فصح باختلاف الأحاديث أن ذلك لا يؤخذ بالتقدير ولا بالعقل لأنه قد جعل في الواحدة عتق رقبة واحدة وفي المائة عتق عشر رقاب فلا نسبة لها من جهة العقل ولا من جهة القياس بل هو فضله عز وجل يؤتيه من يشاء كيف يشاء جل جلاله.

وفيه دليل: على تفضيل أهل الصوفية يؤخذ ذلك من جعل هذا الأجر العظيم لمن قال هذا القول مائة مرة فكيف بمن هو يومه كله هكذا لا يفتري إلا عند فرضه أو ضرورة البشرية فإن طريقهم مبني على دوام الذكر والحضور: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: 17] وهم في ذلك متبعون لسنة سيدنا ﷺ لأنه جاء في وصف حاله عليه الصلاة والسلام أنه كان طويل الصمت كثير الذكر وعلى هذا بنوا طريقهم وقد قال ﷺ: «ما عمل آدمي من عمل أنجى له من عذاب الله من ذكر الله» الذكر الذي يبلغ به العبد هذا الحال إنما هو بعد أداء الفروض لأن ما نحن بسبيله هو كله من باب المندوب وجميع المندوب كله لا يقوم بفريضة واحدة فكيف بالمتعددة وكذلك لم يأخذ القوم في مثل هذه المندوبات حتى أكملوا فروضهم التي هي الأصل في الدين وحينئذ أخذوا فيما ذكروا وقد وقع بعض الناس في العكس بالسواء فسمعوا مثل هذا الحديث وشبهه فأكثرُوا من المندوبات وضيعوا كثيراً من الواجبات فصاروا كما قال صاحب الأنوار «ردوا الأصول فروغاً والفروع أصولاً» معنى أنهم حافظوا على المندوبات كما حافظ أهل التوفيق على الواجبات وزهدوا في الواجبات وتعلقوا في ذلك برجاء فضل الله تعالى وقد قال عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هَاجَرُوا وَجْهَهُدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ﴾ [البقرة: 218] وقال عز وجل: ﴿يَتَرَىٰ عِبَادِيَ أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (١٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْمَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٢٠﴾ [الحجر: 49 - 50] فنسأله جل جلاله التوفيق إلى أداء فرضه والاجتهاد في أعمال ما ندبنا إليه وقبول ذلك والسعادة به بمنه لا رب سواه.

أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، أَخْبَرَهُ أَنَّ أَبَاهُ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ، قَالَ: اسْتَأْذَنَ عُمَرُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعِنْدَهُ نِسَاءٌ مِنْ قُرَيْشٍ يُكَلِّمْنَهُ وَيَسْتَكْثِرْنَ، عَالِيَةً أَضْوَاتُهُنَّ، فَلَمَّا اسْتَأْذَنَ عُمَرُ قُمْنَ يَبْتَدِرْنَ الْحِجَابَ، فَأَذِنَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَضْحَكُ، فَقَالَ عُمَرُ: أَضْحَكَكَ اللَّهُ سِنَّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «عَجِبْتُ مِنْ هَؤُلَاءِ اللَّاتِي كُنَّ عِنْدِي، فَلَمَّا سَمِعْنَ صَوْتَكَ ابْتَدَرْنَ الْحِجَابَ» قَالَ عُمَرُ: فَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ كُنْتَ أَحَقَّ أَنْ يَهَبْنَ، ثُمَّ قَالَ: أَيُّ عَدَوَاتٍ أَنْفُسِهِنَّ، أَنْهَبْنِي وَلَا تَهَبَنَّ

(أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ) قتله الحجاج (أَخْبَرَهُ أَنَّ أَبَاهُ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ) أحد العشرة المبشرة بالجنة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، (قَالَ: اسْتَأْذَنَ عُمَرُ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ) وَعِنْدَهُ نِسَاءٌ مِنْ قُرَيْشٍ يُكَلِّمْنَهُ (أَي: يكلمن رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، (وَيَسْتَكْثِرْنَ) أَي: يطلبن كثيرا من كلامه وجوابه ويحتمل أن يكون من العطاء ويؤيده أنه ورد في رواية أنهم يردن النفقة.

(عَالِيَةً أَضْوَاتُهُنَّ) على أنه فاعل عالية لاعتماده على ذكر الحال ويحمل ذلك على أنه كان قبل النهي عن رفع الصوت أو يحمل على أنه لا اجتماعهن حصل لغط من كلامهن أو يكون فيهن من هي جبهة الصوت أو يحمل على أنهم لما علمن عفوه وصفحه ﷺ يسمحن في رفع الصوت.

(فَلَمَّا اسْتَأْذَنَ عُمَرُ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (قُمْنَ يَبْتَدِرْنَ الْحِجَابَ) أَي: يتسارعن والجملة حال من الضمير قمن.

(فَأَذِنَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَضْحَكُ) والجملة الاسمية حالية. (فَقَالَ عُمَرُ: أَضْحَكَكَ اللَّهُ سِنَّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ) هذا ليس دعاء بكثرة الضحك حتى يعارضه قوله تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا﴾ [التوبة: 82] بل المراد لازمه وهو السرور أو الآية ليست عامة شاملة له ﷺ كما قَالَ الْكِرْمَانِيُّ إِلَّا أَنْ فِيهِ نَظَرٌ وَالْوَجْهَ هُوَ الْأَوَّلُ.

(قَالَ) ﷺ: «عَجِبْتُ مِنْ هَؤُلَاءِ اللَّاتِي كُنَّ عِنْدِي، فَلَمَّا سَمِعْنَ صَوْتَكَ ابْتَدَرْنَ الْحِجَابَ» قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (فَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ كُنْتَ أَحَقَّ أَنْ يَهَبْنَ) بفتح الهاء من الهيبة.

(ثُمَّ قَالَ) أَي: عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (أَيُّ عَدَوَاتٍ أَنْفُسِهِنَّ، أَنْهَبْنِي وَلَا تَهَبَنَّ

رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟ قُلْنَ: نَعَمْ، أَنْتَ أَفْظُ وَأَغْلَظُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا لَقَيْكَ الشَّيْطَانُ قَطُّ سَالِكًا فَجًّا إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ»⁽¹⁾.

رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟ قُلْنَ: نَعَمْ، أَنْتَ أَفْظُ وَأَغْلَظُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ) الأفظ والأغلظ يقتضي الشركة في أصل الفعل فيلزم أن يكون رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فظًا غليظًا وقد نفى الله عنه ذلك بقوله: «وَلَوْ كُنْتَ فُظًّا غَلِيظًا لَأَلْقَيْتُ الْقَلْبَ لَأَنْفَعُوا مِنْ حَوْلِكَ» [آل عمران: 159] فأما أن يقال أنه لا يلزم منه إلا نفس الفظاظة والغلظة وهي عبارة عن شدة الخلق وخشونة الجانب وهو أعم من أن يكون فُظًّا غليظًا لأنهما صفة مشبهة تدل على الثبوت والعام لا يستلزم الخاص كذا قَالَ الْكِرْمَانِيُّ وفي النفس منه قلق ويمكن أن يقال إن الأفضل هنا ليس بمعنى الزيادة بل هو من قبيل قوله تعالى: «هُوَ أَهْمُ بِكَ إِذْ أَنْشَأَكَ مِنْ الْأَرْضِ» [النجم: 32] والأوجه أن يقال إنه على المفاضلة وإن القدر الذي بينهما هو ما كان على الكفار والمنافقين قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَظْ عَلَيْهِمْ»⁽²⁾ [التحريم: 9] والله تعالى أعلم.

(قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا لَقَيْكَ الشَّيْطَانُ قَطُّ سَالِكًا فَجًّا) بفتح الفاء وتشديد الجيم أي: طريقًا واسعًا وقيل هو الطريق بين الجبلين.

(إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ) قَالَ عِيَّاضٌ يَحْتَمِلُ أَنَّهُ ضَرْبٌ مَثَلًا لِبَعْدِ الشَّيْطَانِ

(1) قال الحافظ: فظ وأغلظ بالمعجمتين بصيغة أفعال التفضيل من الفظاظة والغلظة وهو يقتضي الشركة في أصل الفعل، ويعارضه قوله تعالى: «وَلَوْ كُنْتَ فُظًّا غَلِيظًا لَأَلْقَيْتُ الْقَلْبَ لَأَنْفَعُوا مِنْ حَوْلِكَ» [آل عمران: 159] فإنه يقتضي أنه لم يكن فُظًّا ولا غليظًا.

والجواب: أن الذي في الآية يقتضي نفي وجود ذلك له صفة لازمة فلا يستلزم ما في الحديث ذلك، بل مجرد وجود الصفة له في بعض الأحوال وهو عند إنكار المنكر مثلاً والله أعلم، وجوز بعضهم بأن اللفظ هنا بمعنى اللفظ وفيه نظر للتصريح بالترجيح المقتضي أفعال على بابه، وكان النبي ﷺ لا يواجه أحدًا بما يكره إلا في حق من حقوق الله تعالى، وكان عمر رضي الله عنه يبالغ في الزجر عن المكروهات مطلقًا وطلب المندوبات، فلهذا قال النسوة له ذلك، اهـ.

قال العيني: ولا يلزم من الحديث إلا نفس الفظاظة والغلظة وهو أعم من كونه فُظًّا غليظًا لأنهما صفة شبهة يدلان على الثبوت والعام لا يستلزم الخاص، أو الأفعال ليس بمعنى الزيادة، هذا كله كلام الكرماني وفي النفس منه قلق، والأوجه أن يقال إنه على المفاضلة والقدر الذي في رسول الله ﷺ هو ما كان إغلاظه على الكفار والمنافقين، قال تعالى: «وَأَغْلَظْ عَلَيْهِمْ» [التحريم: 9]، اهـ. وبسط القسطلاني الكلام على ذلك أشد البسط.

(2) أو المراد التغليظ في أجزاء حدود الله وإقامتها وقال الله تعالى: «وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ» [النور: 2].

3295 - حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ حَمْرَةَ، قَالَ: حَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ يَزِيدَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عِيسَى بْنِ طَلْحَةَ،

وأعوانه من عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأنه لا سبيل لهم عليه أي: أنك إذا سلكت في أمر بمعروف أو نهى عن منكر تنفذه فيه ولا تتركه فيأس الشيطان من أن يوسوس فيه فتركه وتسلك غيره وليس المراد به الطريق على الحقيقة لأن الله تعالى قَالَ: ﴿يَرْبِكُمْ هُوَ وَفِيْلَهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرْوَهُمْ﴾ [الأعراف: 27] فلا يصادفه إذا في فج لأنه لا يراه وَقَالَ الْكِرْمَانِيُّ فَإِنْ قُلْتَ فَيَلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَفْضَلَ مِنْ أَيُّوبَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذْ قَالَ: ﴿أَيُّ مَسْنَى الشَّيْطَانُ يُضَيِّبُ وَعَذَابٌ﴾ [ص: 41] قُلْتَ لَا إِذَ التَّرْكِيبُ لَا يَدُلُّ إِلَّا عَلَى الزَّمَانِ الْمَاضِي وَذَلِكَ أَيْضًا مَخْصُوصٌ بِحَالِ الْإِسْلَامِ فَلَيْسَ عَلَى ظَاهِرِهِ وَأَيْضًا هُوَ مُقَيَّدٌ بِحَالِ سُلُوكِ الطَّرِيقِ فَجَازَ أَنْ يُلْقَاهُ فِي غَيْرِ تِلْكَ الْحَالَةِ. انتهى.

وقال الْعَيْنِيُّ: الجواب الأخير موجه ليس إلا.

وفي الحديث فضل لين الجانب والرفق وفيه فضل عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وفيه حلم النَّبِيِّ ﷺ غاية ما يكون.

وفيه: لا ينبغي الدخول على أحد إلا بعد الاستئذان.

وقد أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي فَضْلِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَيْضًا وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي الْفَضَائِلِ وَالنِّسَائِيُّ فِي الْمَنَاقِبِ وَفِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ وَفِي الْإِسْنَادِ أَرْبَعَةٌ مِنَ التَّابِعِينَ وَهُمْ صَالِحٌ وَمِنْ بَعْدِهِ.

(حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ حَمْرَةَ) بِالْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ وَالزَّايِ أَبُو إِسْحَاقَ الزَّيْبَرِيُّ الْأَسَدِيُّ الْمَدِينِيُّ (قَالَ: حَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي حَازِمٍ) هُوَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَبِي حَازِمٍ وَاسْمُ أَبِي حَازِمِ بْنِ دِينَارٍ⁽¹⁾، (عَنْ يَزِيدَ) مِنَ الزِّيَادَةِ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَدَادٍ بْنُ أَسَامَةَ ابْنِ عَمْرٍو وَهُوَ الْمَشْهُورُ بِابْنِ الْهَادِ.

(عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ) أَي: ابْنِ الْحَارِثِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ التَّيْمِيُّ الْقُرَشِيُّ الْمَدِينِيُّ مَاتَ سَنَةَ عَشْرِينَ وَمِائَةً.

(عَنْ عِيسَى بْنِ طَلْحَةَ) أَي: ابْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَثْمَانَ التَّيْمِيِّ الْقُرَشِيِّ مَاتَ فِي

(1) ومات عبد العزيز فجأة في يوم الجمعة في مسجد الرسول ﷺ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «إِذَا اسْتَيْقَظَ - أَرَاهُ أَحَدَكُمْ - مِنْ مَنَامِهِ فَتَوَضَّأَ فَلْيَسْتَنْثِرْ ثَلَاثًا، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَبِيتُ عَلَى خَيْشُومِهِ».

زمن عمر بن عبد العزيز (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ) أَنَّهُ (قَالَ: إِذَا اسْتَيْقَظَ أَرَاهُ) أَي: أَظْهَرَ أَنَّهُ (أَحَدَكُمْ مِنْ مَنَامِهِ فَتَوَضَّأَ فَلْيَسْتَنْثِرْ ثَلَاثًا) أَمْرٌ مِنَ الِاسْتَنْثَارِ وَهُوَ اسْتِخْرَاجُ الْمَاءِ مِنَ الْأَنْفِ بَعْدَ الِاسْتِنْشَاقِ مَعَ مَا فِي الْأَنْفِ مِنَ الْمَخَاطِ وَالْغُبَارِ وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ بَعْضِهِمْ أَنَّ يَسْتَنْشِقُ الْمَاءَ ثُمَّ يَسْتَخْرِجُ مَا فِيهِ مِنْ أَدْنَى أَوْ مَخَاطٍ وَكَذَلِكَ الِاسْتَنْثَارُ.

وَقَالَ الْحَافِظُ الْعَسْقَلَانِيُّ: وَقَوْلُهُ فَلْيَسْتَنْثِرْ أَكْثَرُ فَائِدَةٍ مِنْ قَوْلِهِ فَلْيَسْتَنْشِقْ لِأَنَّ الِاسْتَنْثَارَ يَقَعُ عَلَى الِاسْتِنْشَاقِ بَغِيرِ عَكْسٍ فَقَدْ يَسْتَنْشِقُ وَلَا يَسْتَنْثِرُ وَالِاسْتَنْثَارُ مِنْ تَمَامِ فَائِدَةِ الِاسْتِنْشَاقِ لِأَنَّ حَقِيقَةَ الِاسْتِنْشَاقِ جَذْبُ الْمَاءِ بِرِيحِ الْأَنْفِ إِلَى أَقْصَاهُ وَالِاسْتَنْثَارُ إِخْرَاجُ ذَلِكَ الْمَاءِ وَالْمَقْصُودُ مِنَ الِاسْتِنْشَاقِ تَنْظِيفُ دَاخِلِ الْأَنْفِ وَالِاسْتَنْثَارُ يَخْرُجُ ذَلِكَ الْوَسْخُ مَعَ الْمَاءِ فَهُوَ مِنْ تَمَامِ الِاسْتَنْثَارِ.

وَقِيلَ: إِنَّ الِاسْتَنْثَارَ مَأْخُوذٌ مِنَ الثَّرَةِ وَهِيَ طَرَفُ الْأَنْفِ.

وَقِيلَ: الْأَنْفُ نَفْسُهُ فَعَلَى هَذَا فَمَنْ اسْتَنْشَقَ فَقَدْ اسْتَنْثَرَ لِأَنَّهُ يَصْدُقُ أَنْ تَنَاوَلَ الْمَاءَ بِأَنْفِهِ وَلَوْ بِطَرَفِ أَنْفِهِ قَالَ وَفِيهِ نَظَرٌ.

وَقَالَ الْعَيْنِيُّ: وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الِاسْتَنْثَارَ غَيْرَ الِاسْتِنْشَاقِ مَا رَوَاهُ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ ﷺ قَالَ: «إِذَا تَوَضَّأَ أَحَدُكُمْ فَلْيَجْعَلِ الْمَاءَ فِي أَنْفِهِ ثُمَّ لِيَسْتَنْثِرْهُ» وَرَوَى أَنَّهُ ﷺ كَانَ يَسْتَنْشِقُ ثَلَاثًا فِي كُلِّ مَرَّةٍ يَسْتَنْثِرُ وَقَدْ مَرَّ فِي كِتَابِ الطَّهَارَةِ فِي بَابِ الِاسْتَنْثَارِ فِي الْوَضُوءِ حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي إِدْرِيسَ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ تَوَضَّأَ فَلْيَسْتَنْثِرْ وَمَنْ اسْتَجْمَرَ فَلْيُوتِرْ».

وَفِي بَابِ الِاسْتِجْمَارِ أَيْضًا مِنْ رِوَايَةِ الْأَعْرَجِ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا تَوَضَّأَ أَحَدُكُمْ فَلْيَجْعَلِ فِي أَنْفِهِ مَاءً ثُمَّ لِيَسْتَنْثِرْ» الْحَدِيثُ.

(فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَبِيتُ عَلَى خَيْشُومِهِ) بِفَتْحِ الْخَاءِ الْمَعْجَمَةِ وَسُكُونِ الْمِثْلَةِ التَّحْتِيَّةِ وَضَمِّ الشَّيْنِ الْمَعْجَمَةِ.

قَالَ الْكِرْمَانِيُّ: هُوَ أَقْصَى الْأَنْفِ وَفِي التَّوْضِيحِ هُوَ الْأَنْفُ.

12 - بَابُ ذِكْرِ الْجِنِّ وَثَوَابِهِمْ وَعِقَابِهِمْ⁽¹⁾

وَقَالَ الدَاوُدِيُّ: هُوَ الْمُنْخَرُ وَالْيَاءُ فِيهِ زَائِدَةٌ يُقَالُ رَجُلٌ أَخْشَمٌ إِذَا لَمْ يَجِدْ رَائِحَةَ الطَّيِّبِ.

وَقِيلَ: الْأَخْشَمُ مَنْتَنُ الْخَيْشُومِ.

وَقِيلَ: الْأَخْشَمُ الَّذِي لَا يَجِدُ رِيحَ الشَّيْءِ أَصْلًا وَهُوَ الْخَشَامُ وَالْخَشْمُ مَا يَسِيلُ مِنَ الْخَيْشُومِ ثُمَّ ظَاهَرَ الْحَدِيثُ أَنَّ هَذَا يَقَعُ لِكُلِّ نَائِمٍ وَيَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مَخْصُوصًا بِمَنْ لَمْ يَحْتَرَسْ مِنَ الشَّيْطَانِ بِشَيْءٍ مِنَ الذِّكْرِ لِحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْمَذْكُورِ قَبْلَ حَدِيثِ سَعْدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَإِنَّ فِيهِ وَكَانَتْ لَهُ حَرَزًا مِنَ الشَّيْطَانِ وَكَذَلِكَ آيَةُ الْكَرْسِيِّ.

وَقَدْ تَقَدَّمَ فِيهِ وَلَا يَقْرُبُكَ شَيْطَانٌ وَيَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِنَفِي الْقُرْبِ هُنَا أَنَّهُ لَا يَقْرُبُ مِنَ الْمَكَانِ الَّذِي يَوْسُوسُ فِيهِ وَهُوَ الْقَلْبُ فَمَنْ اسْتَنْثَرَ مِنْهُ مِنَ التَّوَصُّلِ إِلَى مَا يَقْصُدُ مِنَ الْوَسْوسَةِ وَحِينَئِذٍ فَالْحَدِيثُ مَتَنَاوِلٌ لِكُلِّ مُسْتَيَقِظٍ ثُمَّ إِنْ الِاسْتِنْشَاقُ مِنْ سِنَنِ الْوَضُوءِ اتِّفَاقًا لِكُلِّ مَنْ اسْتَيَقِظَ أَوْ كَانَ مُسْتَيَقِظًا، وَقَالَتْ طَائِفَةٌ بِوُجُوبِهِ فِي الْغَسْلِ وَطَائِفَةٌ بِوُجُوبِهِ فِي الْوَضُوءِ أَيْضًا وَهَلْ تَتَأَدَّى السَّنَةُ بِمَجْرَدِهِ بَغَيْرِ اسْتِنْشَاقٍ أَمْ لَا؟ فِيهِ خِلَافٌ وَالَّذِي يَظْهَرُ أَنَّهَا لَا تَتِمُّ إِلَّا بِهِ لَمَّا تَقَدَّمَ. وَمُطَابَقَتُهُ لِلتَّرْجُمَةِ ظَاهِرَةٌ وَقَدْ أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي الطَّهَارَةِ وَكَذَا النَّسَائِيُّ فِيهِ.

12 - بَابُ ذِكْرِ الْجِنِّ وَثَوَابِهِمْ وَعِقَابِهِمْ

(بَابُ ذِكْرِ الْجِنِّ وَثَوَابِهِمْ وَعِقَابِهِمْ) الْكَلَامُ فِيهِ عَلَى أَنْوَاعٍ:

الْأَوَّلُ: فِي وَجُودِ الْجِنِّ قَالَ الشَّيْخُ أَبُو الْعَبَّاسِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: لَمْ

(1) قَالَ الْحَافِظُ: أَشَارَ بِهَذِهِ التَّرْجُمَةِ إِلَى إِبْطَالِ وَجُودِ الْجِنِّ وَإِلَى كَوْنِهِمْ مَكْلُفِينَ، فَأَمَّا إِثْبَاتُ وَجُودِهِمْ فَقَدْ نَقَلَ إِمَامُ الْحَرَمَيْنِ فِي الشَّامِلِ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الْفَلَّاسِفَةِ وَالزَّانِقَةِ وَالْقَدَرِيَّةِ أَنَّهُمْ أَنْكَرُوا وَجُودَهُمْ رَأْسًا، قَالَ: وَلَا يَتَعَجَّبُ مِمَّنْ أَنْكَرَ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ الْمَشْرِعِينَ، إِنَّمَا الْعَجَبُ مِنَ الْمَشْرِعِينَ مَعَ نَصُوصِ الْقُرْآنِ وَالْأَخْبَارِ الْمُتَوَاتِرَةِ، قَالَ: وَلَيْسَ فِي قِضْيَةِ الْعَقْلِ مَا يَقْدَحُ فِي إِثْبَاتِهِ، قَالَ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ: وَكَثِيرٌ مِنْ هَؤُلَاءِ يَثْبُتُونَ وَجُودَهُمْ وَيَنْفَوْنَهُ الْآنَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَثْبُتُهُمْ وَيَنْفِي تَسْلُطَهُمْ عَلَى الْإِنْسِ، وَقَالَ عَبْدُ الْجَبَّارِ الْمَعْتَزَلِيُّ: الدَّلِيلُ عَلَى إِثْبَاتِهِمُ السَّمْعُ دُونَ الْعَقْلِ إِلَى آخِرِ مَا بَسَطَ فِي وَجُودِهِمْ، وَفِي أَنَّهُمْ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلِقُوا، وَهَلْ يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ =

يخالف أحد من طوائف المسلمين في وجود الجن وجمهور طوائف الكفار على إثبات الجن وإن وجد فيهم من ينكر ذلك وذلك لأن وجود الجن تواترت به أخبار الأنبياء عليهم السلام تواتراً معلوماً بالاضطرار.

وَقَالَ إمام الحرمين في كتابه الشامل: اعلموا رحمكم الله أن كثيراً من الفلاسفة وجماهير القدرية وكافة الزنادقة أنكروا الشياطين والجن رأساً ولا يتعجب ممن أنكر ذلك من غير المتشرعين ممن لا يتدين بدين ولا يتشبه بالشريعة وإنما العجب من المتشرعين من القدرية مع نصوص القرآن وتواتر الأخبار واستفاضة الآثار قَالَ وليس في قضية العقل ما يقدر في إثباتهم قَالَ وأكثر ما استروح إليه من نفاهم حضورهم عند الإنس بحيث لا يرونهم قَالَ وإنما يستبعد ذلك من لم يحيط علماً بعجائب المقدورات.

وَقَالَ أَبُو القاسم الأنصاري في شرح الإرشاد: وقد أنكرهم معظم المعتزلة ودل إنكارهم إياهم على قلة مبالاتهم وركاكة ديانتهم فليس في إثباتهم استحالة عقلية وقد دلت نصوص الكتاب والسنة على إثباتهم.

وَقَالَ القاضي أَبُو بكر الباقلاني: وكثير من القدرية يثبتون وجود الجن قديماً وينفون وجودهم الآن.

ومنها: من يقر بوجودهم ويزعم أنهم لا يرون لرقة أجسامهم ونفوذ الشعاع فيها.

ومنها: من قَالَ إنما لا يرون لأنهم لا ألوان لهم.

وَقَالَ عبد الجبار المعتزلي الدليل على إثباتهم السمع دون العقل إذ لا طريق إلى إثبات أجسام غائبة لأن الشيء لا يدل على غيره من غير أن يكون بينهما تعلق ولو كان إثباتهم باضطرار لما وقع الاختلاف فيه إلا أنا قد علمنا بالاضطرار أن

ورتنأكون أم لا؟ وبسط الكلام على ذلك في الأوجز أشد البسط، ثم قال الحافظ: وأما كونهم مكلفين فقد قال ابن عبد البر: الجن عند الجماعة مكلفون، وقال عبد الجبار: لا نعلم خلافاً بين أهل النظر في ذلك إلى ما حكى عن بعض الحشوية أنهم مضطرون إلى أفعالهم وليسوا مكلفين إلى آخر ما بسط من الاختلاف في أنه: هل كان فيهم نبي أم لا؟ مع اتفاقهم على أن نبينا ﷺ بعث إلى الجن والإنس، وهذا مما فضل به على الأنبياء، انتهى مختصراً.

النَّبِيِّ ﷺ كَانَ يَتَدِينُ بِإِثْبَاتِهِمْ وَذَلِكَ أَشْهَرُ مِنْ أَنْ يَتَشَاغَلَ بِإِيرَادِهِ.

النوع الثاني: في بيان ابتداء خلق الجن قَالَ أَبُو حذيفة إسحاق بن بشر القرشي في المبتدأ حَدَّثَنَا عَثْمَانُ حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ عَنْ بَكِيرِ بْنِ الْأَخْنَسِ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَلِيطِ الْقُرَشِيِّ عَنْ ابْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «خَلَقَ اللَّهُ الْجِنَّ قَبْلَ آدَمَ بِالْفِي سَنَةٍ وَيُقَالُ عَمَرُوا الْأَرْضَ أَلْفِي سَنَةً».

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «كَانَ الْجِنُّ سُكَّانَ الْأَرْضِ وَالْمَلَائِكَةُ سُكَّانَ السَّمَاءِ وَهُمْ عَمَارُهَا».

وَقَالَ إِسْحَاقُ بْنُ بَشَرَ حَدَّثَنِي جَوْبِيرٌ وَعَثْمَانُ بِإِسْنَادِهِمَا: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الْجِنَّ وَأَمَرَهُمْ بِعِمَارَةِ الْأَرْضِ فَكَانُوا يَعْبُدُونَ اللَّهَ تَعَالَى حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَعَصَوْا اللَّهَ وَسَفَكُوا الدَّمَاءَ وَكَانَ فِيهِمْ مَلِكٌ يُقَالُ لَهُ يُوسُفُ فَقَتَلُوهُ فَأَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ جَنْدًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ كَانُوا فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا كَانَ فِيهِمْ إِبْلِيسُ وَهُوَ عَلَى أَرْبَعَةِ آلَافٍ فَهَبَطُوا فَنَفَوْا بَنِي الْجَانِ وَأَجْلَوْهُمْ عَنْهَا وَأَلْحَقُوهُمْ بِجَزَائِرِ الْبَحْرِ وَسَكَنَ إِبْلِيسُ وَجَنْدَهُ الَّذِينَ كَانُوا مَعَ الْأَرْضِ فَهَانَ عَلَيْهِمُ الْعَمَلُ وَأَحْبَبُوا الْمَكْثَ فِيهَا.

النوع الثالث: في بيان خلقهم مِمَّاذَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِّنْ نَّارٍ﴾ [الرحمن: 15] وَرَوَى مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خَلَقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ وَخَلَقَ الْجَانُّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَّارٍ وَخَلَقَ آدَمَ مِمَّا وَصَفَ لَكُمْ» فَثَبَتَ أَنَّ أَصْلَ الْجِنِّ النَّارُ كَمَا أَنَّ أَصْلَ الْإِنْسِ الطِّينُ وَقَدْ حَكَى اللَّهُ تَعَالَى فِي الْقُرْآنِ عَنْ قَوْلِهِ: ﴿خَلَقْنِي مِنْ نَّارٍ﴾ [الأعراف: 12] فَهَذَا أَيْضًا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ أَصْلَ الْجِنِّ النَّارُ لَا يُقَالُ يَجُوزُ أَنْ يَكْذِبَ فِي ذَلِكَ أَوْ قَالَ ذَلِكَ بظنه وَلَا يَكُونُ لَهُ عِلْمٌ بِهِ لِأَنَّهُ يُقَالُ لَوْ لَمْ يَكُنِ الْأَمْرُ عَلَى مَا قَالَهُ لَمَّا تَرَكَ اللَّهُ تَعَالَى تَكْذِيبَهُ لِأَنَّ تَكْذِيبَ الْكَاذِبِ مِمَّنْ لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ الْخَوْفُ وَالْجَهْلُ قَبِيحٌ فَإِنْ قِيلَ فِي النَّارِ مِنَ الْبَيْسِ مَا لَا يَصِحُّ بِهِ وَجُودُ الْحَيَاةِ إِذْ وَجُودُ الْحَيَاةِ يَتَوَقَّفُ عَلَى رَطوبَةٍ فَالْجَوَابُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَجْعَلَ رَطوبَةً فِي تِلْكَ النَّارِ بِمَقْدَارٍ مَا يَصِحُّ وَجُودُ الْحَيَاةِ فِيهَا مَعَ أَنَّ أَبَا هَاشِمٍ جَوَّزَ وَجُودَ الْحَيَاةِ مَعَ عَدَمِ التَّنَفُّسِ وَقَالَ إِنَّ أَهْلَ النَّارِ لَا يَتَنَفَّسُونَ.

النوع الرابع : في أنهم أجسام وأنهم على صور مختلفة قَالَ القاضي أَبُو يعلى مُحَمَّد بن الحسين بن الفراء الحنبلي الجن أجسام مؤلفة وأشخاص ممثلة ويجوز أن تكون رقيقة وأن تكون كثيفة خلافاً للمعتزلة في دعواهم أنهم أجسام رقيقة وأن امتناع رؤيتنا لهم من جهة رقتها وهو مردود فإن الرقة ليست بمانعة عن الرؤية ويجوز أن يخفى عن رؤيتنا بعض الأجسام الكثيفة إذا لم يخلق الله فينا إدراكها وروى البيهقي في مناقب الشَّافِعِيِّ بإسناده عن الربيع سمعت الشَّافِعِيَّ يقول من زعم أنه يرى الجن أبطلنا شهادته إلا أن يكون نبياً انتهى.

وحكى أَبُو القاسم الأنصاري عن القاضي أبي بكر : نحن نقول إنما رآهم من رآهم لأن الله خلق لهم الرؤية وأن من لم يخلق له الرؤية لا يراهم وأنهم أجساد مؤلفة وجثث وَقَالَ كثير من المعتزلة إنهم أجساد رقيقة بسيطة وَقَالَ القاضي عبد الجبار أجسام الجن رقيقة ولضعف أبصارنا لا نراهم لا لعلة أخرى ولو قوى الله أبصارنا أو كثف أجسامهم لرأيناهم وقيل إن نفي رؤيتهم محمول على نفي رؤيتهم على صورهم التي خلقوا عليها وأما من ادعى أنه يرى شيئاً منهم بعد أن يتصور على صورة شيء من الحيوان فلا قدح فيه وقد تواترت الأخبار برؤيتهم في الصور المختلفة.

قال السهيلي : الجن ثلاثة أصناف صنف على صور الحيات وصنف على صورة الكلاب السود وصنف ربح طيارة أو قَالَ هفافة ذو أجنحة وهم يتصورون في صور الحيات والعقارب وفي صور الإبل والبقر والغنم والخيول والبغال والحمير وفي صورة الطير وفي صور بني آدم واختلف أهل الكلام في ذلك فقيل هو تخيل فقط ولا ينتقل أحد عن صورته الأصلية وقيل بل ينتقلون لكن لا باقتدارهم على ذلك بل بضرب من الفعل إذا فعله انتقل كالسحر.

قال القاضي أَبُو يعلى : ولا قدرة للشياطين على تغيير خلقهم والانتقال في الصور وإنما يجوز أن يعلمهم الله كلمات وضرباً من ضروب الأفعال إذا فعله وتكلم به نقله من صورة إلى صورة وإما أن يصور نفسه فذاك محال وفيه أثر عن عمر رَضِيَ الله عَنْهُ أَخْرَجَهُ ابن أبي شيبه بإسناد صحيح أن الغيلان ذكروا عند عمر

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ إِنْ أَحَدًا لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَحَوَّلَ عَنْ صَوْرَتِهِ الَّتِي خَلَقَهُ اللَّهُ عَلَيْهَا وَبَقِيَ لَهُمْ سَحَرٌ فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ فَأَذْنُوا وَقَدْ قَالَ بَعْضُهُمْ إِنَّ الْجِنَّ أَنْوَاعٌ :

منهم : الغول وهو العفريت وهو يتلون في ضروب من الصور يتراءى في الليل وفي أوقات الخلوات لمن كان مسافراً وحده فيتوهم أنه إنسان ويضل المسافر عن الطريق .

ومنهم : السعلاة وهي مغايرة للغول وأكثر ما يوجد في الغياض إذا ظفرت بإنسان ترقصه وتلعب به كما تلعب السنور بالفأر .

ومنهم : الغدار وهو يوجد بأكناف اليمن وربما يوجد في أرض مصر إذا عاينه الإنسان خر مغشياً عليه ومنهم الولهان يوجد في جزائر البحر وهو في صورة إنسان راكب على نعامة يأكل الناس الذين يقذفهم البحر .

ومنهم : الشق كنصف آدمي بالطول زعموا أن التناسل مركبه يظهر للناس في أسفارهم .

ومنهم : من يأنس بالآدميين ولا يؤذيهم ومنهم من يختطف النساء الأبقار .

ومنهم : من هو في صورة الوزغ ومنهم من هو على صورة الكلاب .

النوع الخامس : في أصلهم فقد اختلف فيه ف قيل إنهم من ولد إبليس فمن كان منهم كافراً يسمى شيطانياً وقيل إن الشياطين خاصة أولاد إبليس ومن عداهم ليسوا من ولده وحديث ابن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في تفسير سورة الجن يَقْوِي أَنَّهُمْ نَوْعٌ وَاحِدٌ مِنْ أَصْلٍ وَاحِدٍ وَاخْتَلَفَ صِفَتُهُ فَمَنْ كَانَ كَافِرًا يُسَمَّى شَيْطَانًا وَإِلَّا قِيلَ لَهُ جَنِي وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ الشَّيَاطِينُ أَوْلَادُ إِبْلِيسَ لَا يَمُوتُونَ إِلَّا مَعَهُ وَالْجِنُّ يَمُوتُونَ قَبْلَهُ . وَقَالَ إِسْحَاقُ عَنْ عِكْرَمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ سَوْمًا أَبَا الْجِنِّ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى تَمَنَّى قَالَ : أَتَمَنَّى أَنْ نَرَى وَلَا نُرَى وَأَنْ نَغِيبَ فِي الثَّرَى وَأَنْ يُصِيرَ كَهَلْنَا شَابًّا فَأَعْطَانِي ذَلِكَ فَهُمْ يَرُونَ وَلَا يُرُونَ وَإِذَا مَاتُوا غِيبُوا فِي الثَّرَى وَلَا يَمُوتُ كَهْلَهُمْ حَتَّى يَعُودَ شَابًّا يَعْنِي مِثْلَ الصَّبِيِّ ثُمَّ يَرُدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمَرِ .

النوع السادس : في وجه تسميتهم بالجن قَالَ ابْنُ دَرِيدٍ الْجِنُّ خِلَافَ الْإِنْسِ

يقال جنه الليل وأجنه وجن عليه وغطاه في معنى واحد إذا ستره وكل شيء استتر عنك فقد جن عنك وبه سميت الجن وكان أهل الجاهلية يسمون الملائكة جنًا لاستتارهم عن العيون والجن والجنة واحد والجنة ما وارك من سلاح قَالَ والحن بالحاء المهملة ضرب من الجن قَالَ الراجز: يلعبن أحوالي من حن وجن. وَقَالَ أَبُو عمير الزاهد: الحن كلاب الجن وسفلتهم ووقع في كلام السهيلي في النتائج أن الجن يشمل الملائكة وغيرهم مما اجتن عن الأبصار.

النوع السابع: في أنهم هل يأكلون ويشربون ويتناكحون ويتوالدون وللناس فيه أقوال:

ف قيل: إن جميع الجن لا يأكلون ولا يشربون وهذا قول ساقط.

وقيل: إن صنفًا منهم يأكلون ويشربون وصنفًا لا يأكلون.

وقيل: إن جميعهم يأكلون ويشربون واختلفوا في صفة أكلهم وشربهم ف قيل أكلهم وشربهم تشتم واسترواح لا مضغ ولا بلع وهذا قول مردود بما رواه أَبُو داود من حديث أمية بن مخشي قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسًا وَرَجُلٌ يَأْكُلُ وَلَمْ يَسْمُ ثُمَّ سَمِيَ فِي آخِرِهِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا زَالَ الشَّيْطَانُ يَأْكُلُ مَعَهُ فَلَمَّا سَمِيَ اسْتَقَى مَا فِي بَطْنِهِ» وَرَوَى مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَأْكُلُنَ أَحَدُكُمْ بِشِمَالِهِ وَلَا يَشْرَبُ بِشِمَالِهِ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ وَيَشْرَبُ بِشِمَالِهِ».

وقيل: أكلهم وشربهم مضغ وبلع ويدل عليه الحديثان السابقان وروى ابن عبد البر عن وهب بن منبه أن الجن أصناف فخالصهم لا يأكلون ولا يشربون ولا يتوالدون وجنس منهم يقع منهم ذلك ومنهم السعالى والغول والقطرب وهذا إن ثبت كان جامعًا للقولين الأولين ويؤيده ما رواه ابن حبان والحاكم من حديث أبي ثعلبة الخشني قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْجِنُّ عَلَى ثَلَاثَةِ أَصْنَافٍ صَنَفٌ لَهُمْ أَجْنَحَةٌ يَطِيرُونَ فِي الْهَوَاءِ وَصَنَفٌ حَيَاتٌ وَعَقَارِبٌ وَصَنَفٌ يَحْلُونَ وَيُظْلَعُونَ» وَرَوَى ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا مِنْ حَدِيثِ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا نَحْوَهُ لَكِنْ قَالَ فِي الثَّلَاثِ: «وَصَنَفٌ عَلَيْهِمُ الْحِسَابُ وَالْعِقَابُ».

وروى ابن أبي الدنيا من طريق يزيد بن زيد بن جابر أحد ثقات الشاميين من

صغار التابعين قَالَ: «ما من أهل بيت إلا وفي سقف بيتهم من الجن إذا وضع الغداء نزلوا فتغدوا معهم والعشاء كذلك» واستدل من قَالَ بأنهم يتناكحون بقوله تعالى: ﴿لَمْ يَطْمِئْنَنْ إِشْرُ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ [الرحمن: 56] ﴿أَفَلَنْتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي﴾ [الكهف: 50] والدلالة في ذلك ظاهرة واعتل من أنكر ذلك بأن الله تعالى أخبر أن الجان خلق من نار وفي النار من البيوسة والخفة ما يمنع معه التوالد والجواب أن أصلهم من النار كما أن أصل الآدمي من التراب وكما أن الآدمي ليس طيناً حقيقة كذلك الجني ليس ناراً حقيقة وقد وقع في الصحيح في قصة تعرض الشيطان للنبي ﷺ أنه قَالَ: «فأخذته فخنقته حتى وجدت برد ريقه على يدي» وبهذا يندفع إيراد من استشكل قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ خِطَفَ لُخْطَفَةً فَاتَّبَعُهُ يَشَابُ ثَاقِبٍ﴾ [الصافات: 10] فَقَالَ كيف تحرق النار النار.

النوع الثامن: في أنهم مكلفون أم لا؟ فَقَالَ ابن عبد البر الجن عند الجماعة مكلفون مخاطبون لقوله تعالى: ﴿يَمَعْتَرُ الْجِنَّ وَالْإِنْسُ﴾ [الرحمن: 33] وَقَالَ عبد الجبار لا نعلم خلافاً بين أهل النظر في ذلك إلا ما حكى زرقان عن بعض الحشوية أنهم مضطرون إلى أفعالهم وليسوا مكلفين قَالَ والدليل للجماعة ما في القرآن من ذم الشياطين والتحرز من شرهم وما أعد لهم من العذاب وهذه الخصال لا تكون إلا لمن خالف الأمر وارتكب النهي مع تمكنه من أن لا يفعل والآيات والأخبار الدالة على ذلك كثيرة جداً وإذا تقرر كونهم مكلفين فقد اختلفوا هل كان فيهم نبي منهم أم لا؟ فروى الطَّبْرِيُّ من طريق الضحاك بن مزاحم إثبات ذلك ⁽¹⁾ قَالَ ومن قَالَ بقول الضحاك احتج بأن الله تعالى أخبر أن من الجن والإنس رسلاً أرسلوا إليهم ⁽²⁾.

أجاب الجمهور بأن معنى الآية أن رسل الإنس رسل من قبل الله إليهم

(1) وجمهور العلماء خلافاً وسلفاً على أنه لم يكن من الجن نبي قط، ونقل هذا عن ابن عباس رضي الله عنهما وعن ابن جريج ومجاهد والكلبي وأبي عبيد والواحدي، وذكر إسحاق بن بشر في المبتدأ عن ابن عباس رضي الله عنهما: أَنَّ الْجِنَّ قَتَلُوا نَبِيًّا لَهُمْ قَبْلَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ اسْمُهُ يَوْسُفُ وَأَنَّ اللَّهَ بَعَثَهُ إِلَيْهِمْ رَسُولًا وَأَمَرَهُمْ بِطَاعَتِهِ وَقَدْ مَرَّ أَنْفًا.

(2) حيث قال تعالى: ﴿يَمَعْتَرُ الْجِنَّ وَالْإِنْسُ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رَسُولٌ مِنْكُمْ﴾ الآية [الأنعام: 130].

ورسل الجن بثهم الله في الأرض فسمعوا كلام الرسل من الإنس وبلغوا قومهم ولهذا قَالَ قائلهم: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى﴾ [الأحقاف: 30]. واحتج ابن حزم بأنه ﷺ قَالَ: «وكان النَّبِيُّ يبعث إلى قومه» قَالَ وليس الجن من قوم الإنس إلا أن نبينا ﷺ لعموم بعثته إلى الجن والإنس باتفاق انتهى.

وقال ابن عبد البر: لا يختلفون أنه ﷺ بعث إلى الإنس والجن وهذا مما فضل به على الأنبياء عليهم السلام.

وَقَالَ إمام الحرمين في الإرشاد في أثناء الكلام مع العيسوية: وقد علمنا ضرورة أنه ﷺ ادعى كونه مبعوثاً إلى الثقلين وَقَالَ شيخ الإسلام ابن تيمية اتفق على ذلك علماء السلف من الصحابة والتابعين وأئمة السلف وإذا تقرر كونهم مكلفين فهم مكلفون بالتوحيد وأركان الإسلام وأما ما عداه من الفروع فاختلف فيه لما ثبت من النهي عن الروث والعظم وأنهما زاد الجن وسيأتي في السيرة النبوية حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وفي آخره «فقلت ما بال الروث والعظم قَالَ هما طعام الجن» الحديث فدل على جواز تناولهم للروث وذلك حرام على الإنس وكذلك روى أحمد والحاكم من طريق عكرمة عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «خرج رجل من خيبر فتبعه رجلان وآخر يتلوهما يقول ارجعا حتى ردهما ولحقه فَقَالَ له إن هذين شيطانان فإذا أتيت رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فاقرأ عَلَيْهِ السَّلَامُ وأخبره أنا في جمع صدقاتنا ولو كانت تصلح له لبعثنا بها إليه فلما قدم الرجل المدينة أخبر النَّبِيَّ ﷺ بذلك فنهى عن الخلوة» أي: عن السفر متفرداً، والله تعالى أعلم.

وأما قول المصنف وثوابهم وعقابهم يعني أنه على القول بأنهم مكلفون هل لهم ثواب وعليهم عقاب؟ فلم يختلفوا أنهم يعاقبون على المعاصي وأما أنهم هل يثابون أم لا؟ فاختلف فيه على قولين:

القول الأول: أنه لا ثواب لهم إلا النجاة من النار يقال لهم كونوا تراباً مثل البهائم⁽¹⁾ حكاه ابن حزم وغيره عنه فروى الطَّبْرِيُّ وابن أبي حاتم من طريق

(1) وهو قول أبي حنيفة رحمه الله.

أبي الزناد موقوفًا قَالَ إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ قَالَ اللَّهُ لِمُؤْمِنِ الْجَنَّةِ وَسَائِرِ الْأُمَمِ أَيُّ: مَنْ غَيْرِ الْإِنْسِ كُونُوا تَرَابًا فَحِينَئِذٍ يَقُولُ الْكَافِرُ: ﴿يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ [النَّبَأُ: 40].

وروى ابن أبي الدنيا عن ليث بن أبي سليم قَالَ: ثَوَابُ الْجَنَّةِ أَنْ يَجَارُوا مِنَ النَّارِ ثُمَّ يُقَالُ لَهُمْ كُونُوا تَرَابًا.

القول الثاني: أَنَّهُمْ يَثَابُونَ عَلَى الطَّاعَةِ وَيَعَاقِبُونَ عَلَى الْمَعْصِيَةِ وَهُوَ قَوْلُ الْأُئِمَّةِ الثَّلَاثَةِ وَأَبِي يُوسُفَ وَمُحَمَّدِ بْنِ أَبِي لَيْلَى وَالْأَوْزَاعِيِّ وَغَيْرِهِمْ وَسُئِلَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَقَالَ: نَعَمْ لَهُمْ ثَوَابٌ وَعَلَيْهِمْ عِقَابٌ ثُمَّ اخْتَلَفُوا هَلْ يَدْخُلُونَ مَدْخَلَ الْإِنْسِ عَلَى أَرْبَعَةِ أَقْوَالٍ:

أحدها: أَنَّهُمْ يَدْخُلُونَهَا حِكَاةَ ابْنِ حَزْمٍ فِي الْمَلَلِ عَنْ أَبِي لَيْلَى وَأَبِي يُوسُفَ وَالْجُمْهُورِ قَالَ وَبِهِ نَقُولُ ثُمَّ اخْتَلَفُوا هَلْ يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ فَرَوَى سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ عَنْ جَوْبِرٍ عَنِ الضَّحَّاكِ أَنَّهُمْ يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ وَعَنْ مُجَاهِدٍ أَنَّهُمْ يَدْخُلُونَهَا وَلَكِنْ لَا يَأْكُلُونَ وَلَا يَشْرَبُونَ وَيَلْهَمُونَ مِنَ التَّسْبِيحِ وَالتَّقْدِيسِ مَا يَجِدُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ مِنْ لَذَّةِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَذَهَبَ الْحَارِثُ الْمُحَاسِبِيُّ إِلَى أَنَّهُمْ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ نَرَاهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَرُونَا عَكْسَ مَا كَانُوا عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا.

الثاني: أَنَّهُمْ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بَلْ يَكُونُونَ فِي رِبْضِهَا يَرَاهُمْ الْإِنْسُ مِنْ حَيْثُ لَا يَرُونَهُمْ وَهُوَ مَنْقُولٌ عَنْ مَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ وَأَحْمَدَ وَأَبِي يُوسُفَ وَمُحَمَّدَ حِكَاةَ ابْنِ تَيْمِيَّةٍ وَهُوَ خِلَافُ مَا حَكَاهُ ابْنُ حَزْمٍ.

الثالث: أَنَّهُمْ عَلَى الْأَعْرَافِ.

الرابع: التَّوَقُّفُ عَنِ الْجَوَابِ فِي هَذَا وَرَوَى الْحَافِظُ أَبُو سَعْدٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْكِنْدِجَرُودِيُّ فِي أَمَالِيهِ بِإِسْنَادِهِ إِلَى الْحَسَنِ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنْ مُؤْمِنِي الْجَنَّةِ لَهُمْ ثَوَابٌ وَعَلَيْهِمْ عِقَابٌ فَسَأَلْنَا عَنْ ثَوَابِهِمْ فَقَالَ عَلَى الْأَعْرَافِ وَلَيْسُوا فِي الْجَنَّةِ فَقَالُوا مَا الْأَعْرَافُ قَالَ حَائِطُ الْجَنَّةِ تَجْرِي مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَتَنْبِتُ فِيهِ الْأَشْجَارُ وَالثَّمَارُ».

وَقَالَ الْحَافِظُ الذَّهَبِيُّ هَذَا حَدِيثٌ مَنْكَرٌ جَدًّا ثُمَّ إِنْ مُؤْمِنِي الْجَنَّةِ إِذَا دَخَلُوا

لِقَوْلِهِ: ﴿يَمَعَشَرُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِي﴾ - إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى -: ﴿عَمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [الأنعام: 130 - 132]،

الجنة هل يرون الله تعالى أو أن الرؤية مخصوصة بمؤمني البشر⁽¹⁾ فإنه صرح بأن الملائكة لا يرون الله تعالى في الجنة ومقتضى ذلك أن الجن لا يرونه أيضًا ثم الظاهر أن الجن أيضًا فرق قد أخبر الله تعالى عنهم أنهم قالوا: ﴿وَأَنَّا مِنَّا أَصْلَحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا﴾ [الجن: 11] أي: مذاهب شتى مسلمون ويهود وكان جن نصيبين يهودًا وَقَالَ الإمام أحمد في كتاب الناسخ والمنسوخ حَدَّثَنَا مطلب بن زياد عن السدي قَالَ في الجن قدرية ومرجئة وشيعة وحكى السدي أيضًا عن أشياخه أن في الجن المؤمن والكافر والمعتزلة والجهمية وجميع الفرق.

فائدة:

وسئل أبو البقاء العكبري الحنبلي عن الجن هل يصح الصلاة خلفهم؟ قَالَ: نعم لأنهم مكلفون والنبي ﷺ أرسل إليهم أيضًا.

وروى أبو الشيخ في تفسيره عن مغيث بن سمي أحد التابعين قَالَ ما من شيء إلا وهو يسمع زفير جهنم إلا الثقلين الذين عليهم الحساب والعقاب وقد جرى بين الإمامين أبي حنيفة ومالك رحمهما الله تعالى في المسجد الحرام مناظرة فيه فَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ ثوابهم السلامة من العذاب متمسكًا بقوله تعالى: ﴿يَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِزَّكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ [الأحقاف: 31] وَقَالَ مالك لهم الكرامة بالجنة وحكم المكلفين واحد قَالَ تعالى: ﴿وَلَمَنْ حَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ [الرحمن: 46] وَقَالَ: ﴿لَمْ يَطْمِئْنُوا إِسْرَ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ [الرحمن: 56].

وروى ابن أبي حاتم من طريق أبي يوسف قَالَ: قَالَ ابن أبي ليلى في هذا لهم ثواب قَالَ فوجدنا مصداق ذلك في كتاب الله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِّمَّا عَمِلُوا﴾ وقد استدلل المصنف رحمه الله أيضًا بذلك حيث قَالَ: (لِقَوْلِهِ) تعالى: ﴿يَمَعَشَرُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِي﴾ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿عَمَّا يَمْكُرُونَ﴾ (اللام في لقوله للتعليل لأجل الاستدلال والآية

(1) فقد وقع في كلام ابن عبد السلام في القواعد الصغرى ما يدل على أنهم لا يرون الله تعالى وأن الرؤية مخصوصة بمؤمني البشر.

في سورة الأنعام قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿يَمَعَشَرُ الْإِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ [الأنعام: 130] الآية .

قَالَ الْقَاضِي: الرسل من الإنس خاصة ولكن لما جمعوا مع الجن في الخطاب صح ذلك ونظيره ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَاتُ﴾ (٢٣) والمرجان يخرج من الملح دون العذب وتعلق بظاهره قوم وقالوا بعث إلى كل من الثقليين رسل من جنسهم .

وقيل: الرسل من الجن رسل الرسل إليهم لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ (١) [الأحقاف: 29]، ﴿يَقْضُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَتِي وَيُزْدِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ [الأنعام: 130] يعني يوم القيامة قالوا جوابا شهدنا على أنفسنا بالجرم والعصيان وهو اعتراف منهم بالكفر واستحباب العذاب ﴿وَعَرَّيْنَاهُمْ الْحَبِوَةَ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ [الأنعام: 130] ذم لهم سوء نظرهم وخطأ رأيهم فإنهم اغتروا بالحياة الدنيوية واللذات المخرجة وأعرضوا عن الآخرة بالكلية حتى كان عاقبة أمرهم أن اضطروا إلى الشهادة على أنفسهم بالكفر والاستسلام للعذاب المخلد تحذيرا للسامعين عن مثل حالهم ذلك إشارة إلى إرسال الرسل وهو خبر مبتدأ محذوف أي: الأمر ﴿ذَلِكَ أَن لَّمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾ (٢٤) تعليل للحكم وأن مصدريه أو مخففة من الثقيلة أي: الأمر ذلك لانتفاء كون ربك أو لأن الشأن لم يكن ربك مهلك القرى بسبب ظلم فعلوه أو ملتبسين بظلم أو ظالما وهم غافلون لم ينتبهوا برسول أو بدل من ذلك ولكل من المكلفين درجات ومراتب.

﴿مِمَّا عَمِلُوا﴾ من أعمالهم وجزائها أو من أجلها ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: 132] فليخفى عليه عمل أو قدر ما يستحق من ثواب أو عقاب وقرأ ابن عامر بالتاء على تغليب الخطاب على الغيبة ووجه الاستدلال بالآية أن قوله تعالى: ﴿يُزْدِرُونَكُ﴾ يدل على العقاب وقوله: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِّمَّا عَمِلُوا﴾ [الأنعام: 132] يدل على الثواب واستدل بهذه الآية أيضا

(1) وعن الكلبي كانت الرسل قبل أن يبعث محمد ﷺ يبعثون إلى الإنس ورسول الله ﷺ إلى الجن والإنس.

﴿بَخْسًا﴾ [الجن : 13]: «نَقْصًا» قَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا﴾. قَالَ: «كُفَّارُ قُرَيْشٍ: «الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللَّهِ، وَأُمَمُهُنَّ بَنَاتُ سَرَوَاتِ الْجِنِّ»، قَالَ اللَّهُ: ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ [الصفات : 158]:

ابن عبد الحكم واستدل ابن وهب بقوله تعالى: ﴿حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمِّ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾ فَإِنَّ الْآيَةَ بَعْدَهَا أَيْضًا: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا﴾ [الأحقاف : 18، 19].

(﴿بَخْسًا﴾: نَقْصًا) أشار به إلى ما في قوله تعالى: ﴿مَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾ [الجن : 13].

قَالَ الْفَرَاءُ: الْبَخْسُ النِّقْصُ وَالرَّهَقُ الظُّلْمُ فَدَلَّتِ الْآيَةُ أَنَّ مَنْ يَكْفُرُ يَخَافُ فَتَدُلُّ عَلَى كَوْنِ الْجِنِّ مَكْلُفِينَ لِأَنَّ الْآيَةَ فِيهِمْ.

وَقَالَ الْقَاضِي: أَيُّ نَقْصًا فِي الْجَزَاءِ وَلَا أَنْ يَرْهَقَهُ ظُلْمًا لِأَنَّ مِنْ حَقِّ الْإِيمَانِ أَنْ يَجْتَنِبَ ذَلِكَ.

(قَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا﴾) أَي: قَالَ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا﴾.

(قَالَ: «كُفَّارُ قُرَيْشٍ: الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللَّهِ، وَأُمَمُهُنَّ بَنَاتُ سَرَوَاتِ الْجِنِّ») أَي: سَادَاتُهُمْ وَالسَّرَوَاتُ جَمْعُ سَرَاةٍ جَمْعُ سَرِيٍّ وَهُوَ نَادِرٌ شَاذٌ لِأَنَّ فَعِيلًا لَا يَجْمَعُ عَلَى فَعْلَةٍ كَذَا قَالَ صَاحِبُ التَّوْضِيحِ.

وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ: السَّرَوُ سَخَاءٌ فِي مَرْوَةٍ يَقَالُ سَرَا يَسُرُّ وَسَرَى بِالْكَسْرِ يَسُرِّي سُرُوا فَهُمَا وَسُرُوا يَسُرُّو سُرَاوَةً أَي: صَارَ سَرِيًّا وَجَمْعُ السَّرِيِّ سَرَاةٌ وَهُوَ جَمْعُ عَزِيزٍ أَنْ يَجْمَعَ فَعِيلٌ عَلَى فَعْلَةٍ وَلَا يَعْرِفُ غَيْرُهُ وَجَمْعُ السَّرَاةِ سَرَاوَاتٌ وَأَثَرُ مُجَاهِدٍ هَذَا أَخْرَجَهُ ابْنُ جَرِيرٍ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ عَنْهُ بَرِيَّةٌ.

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَمِنْ أُمَمَاتِهِنَّ فَقَالُوا بَنَاتُ سَرَوَاتِ الْجِنِّ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ خَلَقُوا مِمَّا خَلَقَ مِنْهُ إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللَّهُ. انْتَهَى.

(قَالَ اللَّهُ) تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ وَالْآيَةُ فِي أَوَاخِرِ سُورَةِ الْصِّافَاتِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا﴾ أَي: جَعَلَ مَشْرُكَ مَكَّةَ بَيْنَهُ أَي: بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا وَهُوَ زَعَمُهُمْ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ بَنَاتُ اللَّهِ سَمَوْا الْمَلَائِكَةَ

«سَتُحْضَرُ لِلْحِسَابِ»، ﴿جُنْدٌ مُّحْضَرُونَ﴾ [يس: 75]: «عِنْدَ الْحِسَابِ».

جنة لا يجتنانهم عن الأبصار والمعنى جعلوا بما قالوه نسبة بين الله وبين الملائكة وأثبتوا بذلك جنسية جامعة لله وللملائكة تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

وَقَالَ الْكَلْبِيُّ قَالُوا لَعَنَهُمُ اللَّهُ بَلْ تَزُوجُ مِنَ الْجِنِّ فَخَرَجَ مِنْهَا الْمَلَائِكَةُ يَقَالُ لَهُمُ الْجِنُّ وَمِنْهُمْ إِبْلِيسُ هُمُ بَنَاتُ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَنِ ذَلِكَ.

وَقَالَ الْحَسَنُ: أَشْرَكُوا الشَّيْطَانَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ فَهُوَ النِّسْبُ الَّذِي جَعَلُوهُ ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتْ الْجَنَّةُ إِنَّهُمْ﴾ إِنَّهُمْ أَيُّ: الْكُفْرَةِ الْقَائِلِينَ بِهَذَا الْقَوْلِ: ﴿لَمْحْضَرُونَ﴾ فِي النَّارِ وَإِذَا فَسَرَتِ الْجَنَّةُ بِالشَّيَاطِينِ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الضَّمِيرُ فِي إِنَّهُمْ لِلشَّيَاطِينِ وَالْمَعْنَى وَلَقَدْ عَلِمَتِ الشَّيَاطِينُ إِنَّهُمْ لَمَحْضَرُونَ يَعْنِي أَنَّ اللَّهَ يَحْضَرُهُمْ فِي النَّارِ وَيُعَذِّبُهُمْ.

(سَتُحْضَرُ لِلْحِسَابِ) وفي رواية ابن أبي نجيع عن مجاهد قَالَ عَلِمَتِ الْجِنُّ أَنَّهُمْ سَيَحْضَرُونَ لِلْحِسَابِ وَبِهَذَا الْكَلَامِ الْأَخِيرُ يَطَابِقُ هَذَا الْأَثَرُ التَّرْجِمَةُ.

وأما قوله: ﴿جُنْدٌ مُّحْضَرُونَ﴾ عِنْدَ الْحِسَابِ فلا تعلق له بالجن لكن ذكره لمناسبة الإحضار للحساب⁽¹⁾ والآية في سورة يس وأولها ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً﴾ [يس: 74] أشركوها به في العبادة بعدما رأوا منه تلك القدرة الباهرة والنعم المتظاهرة وعلموا أنه المتفرد بها أشار تعالى بهذه الآية إلى زيادة ضلالهم ونهايتها فإنه كان الواجب عليهم عبادة الله شكراً لأنعمه فتركوها وأقبلوا على عبادة من لا يضر ولا ينفع ﴿لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ﴾ رجاء أن ينصروهم فيما حزبهم من الأمور ويمنعوهم من عذاب الله ولا يكون ذلك ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ﴾ أي: خاب أملهم والأمر على خلاف ما توهموا وتوقعوا ﴿وَهُمْ لَهُمْ﴾ أي: لآلهتهم ﴿جُنْدٌ مُّحْضَرُونَ﴾ في النار على ما روي أن من عبد شيئاً من دون الله فإنه يؤمر يوم القيامة باللحوق بمعبوده وعبدة الأوثان يجعلون يوم القيامة جنداً لهم يجمعون إليها ثم يحضرون عند الحساب ويقذفون في النار جميعاً أي: لا يدفع بعضهم النار عن بعض بل يجعلون جميعاً وقود النار.

(1) وقد وصله الفريابي من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

3296 - حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ، عَنْ مَالِكٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِ أَبِي صَعْصَعَةَ الْأَنْصَارِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ أَخْبَرَهُ أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ لَهُ: إِنِّي أَرَاكَ تُحِبُّ الْغَنَمَ وَالْبَادِيَةَ، فَإِذَا كُنْتَ فِي غَنَمِكَ وَبَادِيَتِكَ، فَأَذْنَتَ بِالصَّلَاةِ، فَارْفَعْ صَوْتَكَ بِالنِّدَاءِ، فَإِنَّهُ «لَا يَسْمَعُ مَدَى صَوْتِ الْمُؤَذِّنِ حِنًَّ وَلَا إِنْسٌ وَلَا شَيْءٌ إِلَّا شَهِدَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

وقيل: يحتمل أن يكون المعنى وهم لهم جند محضرون معدون لحفظهم والذب عنهم.

وَقَالَ الْكِرْمَانِيُّ: يحتمل أن يقال لفظ آلهة في الآية متناول للجن لأنهم أيضًا اتخذوهم معابد والله أعلم.

وَقَالَ الْعَيْنِيُّ: كأنه أشار بهذا إلى وجه مناسبة ذكر قوله جند محضرون ههنا .
وَقَالَ الْحَافِظُ الْعَسْقَلَانِيُّ: وقع لغير الكشميهني جند محضر بالافراد وروايته أشبه .

وتعقبه الْعَيْنِيُّ: بأن الصواب محضرون بالجمع لأن القرآن هكذا.

(حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ) أي: ابن سعيد، (عَنْ مَالِكٍ) الإمام، (عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِ أَبِي صَعْصَعَةَ الْأَنْصَارِيِّ، عَنْ أَبِيهِ) وأبو صَعْصَعَةَ عمرو بن زيد بن عوف بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن بن النجار وكان لأبي صَعْصَعَةَ أربعة أولاد الحارث وجابر وقيس وأبو كلاب كلهم أصحاب فالحارث قتل يوم اليمامة وقتل جابر وأبو كلاب يوم مؤتة شهيدين وقيس كان على الساقة يوم بدر وشهد أحدًا .

قَالَ أَبُو عَمْرٍ: لا يوقف له على وقت وفاته.

(أَنَّهُ أَخْبَرَهُ أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ لَهُ: إِنِّي أَرَاكَ تُحِبُّ الْغَنَمَ وَالْبَادِيَةَ، فَإِذَا كُنْتَ فِي غَنَمِكَ وَبَادِيَتِكَ، فَأَذْنَتَ بِالصَّلَاةِ، فَارْفَعْ صَوْتَكَ بِالنِّدَاءِ، فَإِنَّهُ «لَا يَسْمَعُ مَدَى صَوْتِ الْمُؤَذِّنِ حِنًَّ وَلَا إِنْسٌ وَلَا شَيْءٌ إِلَّا شَهِدَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»)

والحديث قد مضى في كتاب الصلاة في باب رفع الصوت بالنداء والغرض من ذكره هنا أن الجن يحشرون يوم القيامة.

13 - بَابُ قَوْلِهِ جَلَّ وَعَزَّ: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الأحقاق: 29 - 32]

13 - بَابُ قَوْلِهِ جَلَّ وَعَزَّ: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الأحقاق: 29 - 32]

(بَابُ قَوْلِهِ جَلَّ وَعَزَّ: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾) وإنما قَالَ إلى قوله أولئك في ضلال مبين لأن في تلك الآيات دلالة على وجود الجن وإشارة إلى أن فيهم مؤمنين وإلى أن المؤمنين منهم لهم الثواب وأن الكافرين منهم عليهم العقاب والآية في سورة الأحقاف قَالَ اللَّهُ تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ﴾ أي: وجهنا إليك كما سيفسره به المصنف العامل في إذ نقدر أي: واذكر حين صرفنا إليك نفرًا مفعول صرفنا والنفر دون العشرة والجمع أنفار من الجن قَالَ المفسرون لما بين الله تعالى أن الإنس منهم: من آمن . ومنهم: من كفر، بين أن الجن أيضًا منهم: من آمن .

ومنهم: من كفر وأن مؤمنهم معرضون للثواب وأن كافرينهم معرضون للعقاب وكان ملاقة هؤلاء الجن مع النَّبِيِّ ﷺ حين انصرف من الطائف راجعًا إلى مكة إذ يس من خبر ثقيف⁽¹⁾ حتى إذا كان بوادي النخلة قام من جوف الليل يتهدج فمر به نفر من جن أهل نصيبين ويروى أنه وكان سبب ذلك أن الجن كانت تسترق السمع فلما حرست السماء ورجموا بالشهب قَالَ إبليس إن هذا الذي حدث في السماء لشيء حدث في الأرض فبعث سرايا ليعرف الخبر فكان أول بعث ركب من أهل نصيبين وهم أشراف الجن وساداتهم فبعثهم إلى تهامة فاندفعوا حتى بلغوا وادي نخلة فوجدوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يصلي صلاة الغداة ويتلو القرآن فاجتمعوا إليه⁽²⁾ يستمعون القرآن حال محمولة على المعنى فلما حضروه

(1) وكان قد خرج إليهم يستنصرهم فلم يجيبوه إلى طلبته وأغروا به سفهاء ثقيف.

(2) وعن سعيد بن جبير ما قرأ رسول الله ﷺ ولا رأيهم، وإنما كان يتلو في صلاته فمروا به فوقفوا مستمعين وهو لا يشعر فأنبأه الله باستماعهم، وقيل بل أمر الله رسوله أن ينذر الجن =

أي: القرآن والرسول قالوا أنصتوا أي: قَالَ بعضهم لبعض اسكتوا لنسمعه واصفوا إلى قراءته فلما قضى أي: أتم وفرغ من قراءته وقرئ على البناء للفاعل وهو ضمير رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ﴿وَلَوْ﴾ أي: رجعوا ﴿إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ أي: منذرين إياهم بما سمعوا ومحذرين عذاب الله إن لم يؤمنوا ﴿قَالُوا يَنْقُومَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى﴾ [الأحقاف: 30] قيل إنما قالوا ذلك لأنهم كانوا يهودًا ولهذا قالوا من بعد موسى.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما كانت الجن لم تسمع أمر عيسى عليه السلام ﴿مُصَدِّقًا﴾ صفة كتابًا ﴿لَمَّا بَيَّنَّ يَدَيْهِ﴾ من الكتب وقيل المراد التوراة ﴿يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾ صفة بعد صفة أي: يهدي إلى العقائد الحققة ﴿وَلَاكِ طَرِيقٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ من الشرائع ﴿يَنْقُومَنَا﴾ أي: قالوا لقومهم يا قومنا: ﴿أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ﴾ أي: النبي ﷺ وآمنوا به أي: بداعي الله أو بالله وهذا أقرب بدليل قوله: ﴿يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ أي: بعض ذنوبكم وهو ما يكون من خالص حق الله فإن المظالم لا تغفر بالإيمان ﴿وَيُجْزِكُمْ مِنْ عَذَابِ آلِهِ﴾ هو معد للكفار وهو عذاب النار واحتج به أبو حنيفة رحمه الله أن لا ثواب لهم وقد مر الكلام فيه ⁽¹⁾ ﴿وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ﴾ أي: الرسول ولم يؤمن به ﴿فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: لا ينجي منه مهرب ولا يسبق قضاءه سابق ﴿وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ﴾ أي: أنصار يمنعونه من ﴿أَوْلِيَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ حيث أعرضوا عن إجابة من هذا شأنه وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن هؤلاء الجن كانوا سبعة من جن نصيبين فجعلهم

⁼ وقرأ عليهم فصرف الله إليه نفرًا جمعهم له فقال: إني أمرت أن أقرأ على الجن الليلة، فمن يتبعني قالها ثلاثًا قاطروا إلا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال لم يحضره ليلة الجن أحد غيري. فانطلقنا حتى إذا كنا بأعلى مكة في شعب الحجون وهو مقابر بمكة من جانب العراق، وفي الحديث الحجون والبقيع ينشران في الجنة فخط لي خطًا؛ وقال لا تخرج منه حتى أعود إليك ثم افتتح القرآن وسمعت لفظًا شديدًا أي: صوتًا شديدًا حتى خفت على رسول الله ﷺ وغشيته أسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتى ما أسمع صوته؛ ثم انقطعوا كقطع السحاب فقال لي رسول الله ﷺ: «هل رأيت شيئًا؟» قلت: نعم رجالًا سودًا مستثفري ثياب بيض أي: مدخلي أذبالها بين رجليهم، فقال: «أولئك جن نصيبين»، وكانوا اثني عشر ألفًا. (1) وإن الصحيح أنهم في حكم بني آدم مكلفون مثلهم.

﴿مَصْرَفًا﴾ [الكهف: 53]: «مَعْدِلًا»، ﴿صَرَفْنَا﴾ [الأحقاف: 29]: «أَيَّ وَجْهًا».

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَسَلًا إِلَى قَوْمِهِمْ وَقِيلَ: كَانُوا تِسْعَةَ وَقِيلَ كَانُوا اثْنِي عَشَرَ أَلْفًا كَمَا مَرَّ وَالسُّورَةُ الَّتِي كَانَ ﷺ يَقْرُؤُهَا سُورَةُ ﴿أَفْرَأُ بِأَسْرِ رَبِّكَ﴾ [العلق: 1].

وذكر ابن دريد من أسماء هؤلاء الجن خمسة وهم: سائر ومامر ومنسي وماسي والأحقب، وذكر ابن سلام في تفسيره عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومنهم عمرو بن جابر.

وذكر ابن أبي الدنيا زويعة ومنهم سرق.

وفي تفسير عبد بن حميد كانوا من نينوى وأتوه بنخلة وقيل بشعب الحجون.
﴿مَصْرَفًا﴾: «مَعْدِلًا» أشار به إلى ما في قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرَفًا﴾ [الكهف: 53].

وفسره بقوله معدلاً وبه فسر أبو عبيدة والآية في سورة الكهف قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا﴾ [الكهف: 53] أَي: أَيْقَنُوا ﴿أَنَّهُمْ مُوَافِعُوهَا﴾ فخالطوها واقعون فيها ﴿وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرَفًا﴾ أَي: مَكَانًا يَعْدِلُونَ وَيَنْصَرِفُونَ إِلَيْهِ أَوْ انْصِرَافًا.

﴿صَرَفْنَا﴾: «أَيَّ وَجْهًا» أشار به إلى تفسير ما في الآية المتقدمة من قوله: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ﴾ [الجن: 29] وفسر صرفنا بقوله وجهنا.

وقيل: معناه أَمَلْنَا إِلَيْكَ.

وقيل: أَقْبَلْنَا بِهِمْ نَحْوَك.

وقيل: أَلْجَأْنَاهُمْ.

وقيل: وَفَقْنَاهُمْ بِصَرْفِنَا إِيَّاهُمْ عَنْ بِلَادِهِمْ إِلَيْكَ.

تَنْبِيْه:

لم يذكر البخاري في هذا الباب حديثاً واللائق به حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا الذي تقدم في صفة الصلاة في توجه النبي ﷺ إلى عكاظ واستماع الجن لقراءته.

14 - باب قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

﴿وَبِئْسَ فِيهَا مِنْ كُلِّ ذَابَّةٍ﴾ [البقرة: 164]⁽¹⁾

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الثُّعْبَانُ الْحَيَّةُ الذَّكْرُ مِنْهَا،

14 - باب قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

﴿وَبِئْسَ فِيهَا مِنْ كُلِّ ذَابَّةٍ﴾ [البقرة: 164]

(باب قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَبِئْسَ فِيهَا مِنْ كُلِّ ذَابَّةٍ﴾) أي: نشر وفرق في الأرض من كل دابة، قَالَ الْحَافِظُ الْعَسْقَلَانِيُّ: كأنه أشار إلى سبق خلق الملائكة والجن على الحيوان أو سبق جميع ذلك على خلق آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ والدابة لغة ما دب من الحيوان واستثنى بعضهم الطير لقوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ ذَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ [الأنعام: 38] والأول أشهر لقوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ ذَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ [هود: 56] وعرفا ذوات الأربع وقيل تختص بالفرس وقيل بالحمار والمراد هنا المعنى اللغوي وفي حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند مسلم أن خلق الدواب كان يوم الأربعاء وهو دال على أن خلق ذلك قبل خلق آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (الثُّعْبَانُ الْحَيَّةُ الذَّكْرُ مِنْهَا) أشار به إلى ما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُنِيٌّ﴾ [الأعراف: 107] وهذا التعليق أَخْرَجَهُ

(1) قال الحافظ: كأنه أشار إلى سبق خلق الملائكة والجن على الحيوان أو سبق جميع ذلك على خلق آدم، والدابة لغة ما دب من الحيوان، واستثنى بعضهم الطير لقوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ ذَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ [الأنعام: 38] والأول أشهر لقوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ ذَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ [هود: 56] وعرفا ذوات الأربع، وقيل: يختص بالفرس، وقيل بالحمار، والمراد ههنا المعنى اللغوي، وفي حديث أَبِي هُرَيْرَةَ عند مسلم: «إن خلق الدواب كان يوم الأربعاء وهو دال على أن ذلك قبل خلق آدم» اهـ.

قلت: وأجاد الإمام البخاري رضي الله تعالى عنه بالإشارة إلى الآيات في الترجمة حيث أشار بها إلى استيعاب جميع أنواع الحيوانات فإنها ثلاثة أنواع: ما يسكن في الأرض من الحشرات وأشار إليه بذكر الحيات. والثاني: ما يدب على الأرض وأشار إليه بقوله: ﴿وَمَا مِنْ ذَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ الثالث ما يطير في الجو وأشار إليه بقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ قَوْمَهُمْ صَفَّوْنَ وَيَقْبِضُونَ﴾ [الملك: 19] ثم قال الحافظ في قوله تعالى: ﴿إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ خص الناصية بالذكر على عادة العرب في ذلك، تقول: ناصية فلان في يد فلان إذا كان في طاعته، ومن ثم كانوا يجزون ناصية الأسير إذا أطلقوه، اهـ.

يُقَالُ: الْحَيَّاتُ أَجْنَاسٌ: الْجَانُّ وَالْأَفَاعِي، وَالْأَسَاوِدُ،

الطَّبَرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ مِنْ حَدِيثِ شَهْرِ ابْنِ حَوْشَبٍ عَنْهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا هِيَ تُعْبَانُ مُبِينٌ﴾.

وَفَسَّرَ الثَّعْبَانُ: بِأَنَّهُ الْحَيَّةُ الذَّكَرُ وَقِيدَ بِقَوْلِهِ الذَّكَرُ لِأَنَّ لَفْظَ الْحَيَّةِ يَقَعُ عَلَى الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى وَلَيْسَتْ التَّاءُ فِيهِ لِلتَّأْنِيثِ وَإِنَّمَا هِيَ كَتَاءُ تَمْرَةٍ وَدَجَاجَةٍ .
وَقَدْ رَوَى عَنْ الْعَرَبِ رَأَيْتَ حَيًّا عَلَى حَيَّةٍ أَيْ: ذَكَرًا عَلَى أُنْثَى هَذَا وَقَدْ وَصَلَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ أَيْضًا مِنْ طَرِيقِهِ .

وَقِيلَ: الثَّعْبَانُ الْكَبِيرُ مِنَ الْحَيَّاتِ ذَكَرًا كَانَ أَوْ أُنْثَى.

(يُقَالُ: الْحَيَّاتُ أَجْنَاسٌ: الْجَانُّ وَالْأَفَاعِي، وَالْأَسَاوِدُ) هَذَا مِنْ كَلَامِ الْبُخَارِيِّ وَفِي رَوَايَةِ الْأَصِيلِيِّ الْجَنَانُ أَجْنَسٌ .

وَقَالَ عِيَّاضٌ: وَالصُّوَابُ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْجَنَانُ بِكَسْرِ الْجِيمِ وَتَشْدِيدِ النُّونِ وَبَعْدَ الْأَلْفِ نُونٌ أَيْضًا .

وَقَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ: الْجَنَانُ تَكُونُ فِي الْبُيُوتِ وَاحِدَهَا جَانٌ وَهُوَ الدَّقِيقُ الْخَفِيفُ وَالْجَانُ الشَّيْطَانُ أَيْضًا.

قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ فِي تَفْسِيرِ الْقَصَصِ فِي قَوْلِهِ: ﴿كَأَنَّهُمَا جَانٌّ﴾ [النمل: 10] مِنْ الْحَيَّاتِ وَفِي تَفْسِيرِ طه فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ سَعَى﴾ ⁽¹⁾ [طه: 20] فَجَرَى عَلَى أَنَّ ذَلِكَ شَيْءٌ وَاحِدٌ وَقِيلَ صَارَتِ الْعَصَا فِي أَوَّلِ الْحَالِ جَانًا وَهِيَ الْحَيَّةُ الصَّغِيرَةُ ثُمَّ صَارَتِ ثَعْبَانًا وَقِيلَ اخْتَلَفَ وَصْفُهَا بِاخْتِلَافِ أَحْوَالِهَا فَكَانَتْ كَالْحَيَّةِ فِي سَعْيِهَا كَالْجَانِّ فِي حَرَكَتِهَا وَكَالثَّعْبَانِ فِي ابْتِلَاعِهَا وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

وَالْأَفَاعِي جَمْعُ أَفْعَى وَهُوَ ضَرْبٌ مِنَ الْحَيَّاتِ وَأَهْلُ الْحِجَازِ يَقُولُونَ أَفْعُو وَجَاءَ فِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لَا بَأْسَ بِقَتْلِ الْأَفْعُوِ أَرَادَ الْأَفْعَى وَقَلْبُ أَلْفَهَا وَأَوَّاءُ فِي الْوَقْفِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقْلِبُ الْأَلْفَ يَاءً فِي الْوَقْفِ وَبَعْضُهُمْ يَشْدُدُ الْوَاوَ وَالْيَاءَ وَهَمْزَتُهُ زَائِدَةٌ وَالْأَفْعَوَانُ بَضْمُ الْهَمْزَةِ وَالْعَيْنِ ذِكْرُ الْأَفَاعِي وَكُنْيَتُهُ أَبُو حَيَّانٍ وَأَبُو يَحْيَى لِأَنَّهُ يَعِيشُ أَلْفَ سَنَةٍ وَهُوَ الشَّجَاعُ الْأَسْوَدُ الَّذِي يَوَاتِبُ الْإِنْسَانَ

﴿ءَاخِذْ بِنَاصِيَتِهِ﴾ [هود: 56]: «فِي مَلِكِهِ وَسُلْطَانِهِ»، يُقَالُ: ﴿صَفَّتْ﴾ [النور: 41]: «بُسْطُ أَجْنَحَتِهِنَّ»، (يَقْبِضُنَ): «يَضْرِبُنَ بِأَجْنَحَتِهِنَّ».

ومن صفة الأفعى إذا فقت عينها عادت ولا تغمض حدقتها البتة والأسود جمع الأسود وهو العظيم من الحيات وفيه سواد وهو أخبث الحيات ويقال له أسود سالخ لأنه يسلم جلدته كل عام وفي سنن أبي داود والنسائي عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً أعوذ بالله من أسد وأسود وقيل الأسود حية رقشاء دقيقة العنق عريضة الرأس وربما كانت ذات قرنين.

وَقَالَ ابن خالويه: ليس في كلام العرب أسماء الجنان وصفاتها إلا ما أذكره وعدلها نحوًا من سبعين اسما منها الشجاع والأرقم والأسود والأفعى والأبتر والأعيرج والأصلة والصل والجبان والجنان والجرارة والرتيلا وذكر الجاحظ أيضًا أنواعها منها المكلفة الرأس طولها شبران أو ثلاثة إن حاذى جحرها طائر سقط ولا يحس بها حيوان إلا هرب فإن قرب منها خدر ولم يتحرك ويقتل بصغيرها ومن وقع عليه نظرها مات ومن نهشته ذاب في الحال ومات كل من قرب من ذلك الميت من الحيوان فإن مسها بعصا هلك بواسطة العصا وقيل إن رجلاً طعنها برمح فمات هو ودابته في ساعة واحدة قَالَ وهذا الجنس كثير ببلاد الترك.

﴿ءَاخِذْ بِنَاصِيَتِهِ﴾: فِي مَلِكِهِ وَسُلْطَانِهِ أشار بهذا إلى ما في قوله تعالى: ﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ [هود: 56] وفسره بقوله في ملكه وطاعته.

قال أبو عبيدة في قوله تعالى: ﴿ءَاخِذْ بِنَاصِيَتِهِ﴾ الآية أي: في قبضته وملكه وسلطانه وخص الناصية بالذكر على عادة العرب في ذلك تقول ناصية فلان في يد فلان إذا كان في طاعته ومن ثمة كانوا يجزون ناصية الأسير إذا أطلقوه والآية في سورة هود.

قال القاضي ﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ أي: إلا هو مالك لها قادر عليها يصرفها على ما يريد بها والأخذ بالنواصي تمثيل لذلك.

(يُقَالُ: ﴿صَفَّتْ﴾: «بُسْطُ أَجْنَحَتِهِنَّ»، (يَقْبِضُنَ): «يَضْرِبُنَ بِأَجْنَحَتِهِنَّ» أشار به إلى ما في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَّتْ وَيَقْبِضُنَّ﴾ وفسره

3297 - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ يُوسُفَ، حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ سَالِمٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَخْطُبُ عَلَى الْمِنْبَرِ يَقُولُ: «اقْتُلُوا الْحَيَاتِ، وَاقْتُلُوا ذَا الطُّفَيْتَيْنِ وَالْأَبْتَرَ،

بقوله: «بسط أجنحتهن» ويقول: «يضربن بأجنحتهن» وروى ابن أبي حاتم من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿صَفَّتْ﴾ قَالَ بَسَطَ أَجْنَحَتَهُنَّ وَالْآيَةُ فِي سُورَةِ الْمَلِكِ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَّتْ﴾ [الملك: 19] بِاسْطَات أَجْنَحَتَهُنَّ فِي الْجَوِّ عِنْدَ طَيْرَانِهَا فَإِنَّهُنَّ إِذَا بَسَطَتْهَا صَفَفْنَ قَوَادِمَهَا أَوْ مَقَادِيمَ رِيشِهَا وَهِيَ عَشْرٌ فِي كُلِّ جَنَاحٍ الْوَاحِدَةُ قَادِمَةٌ ﴿وَيَقِضْنَ﴾ أَي: وَيُضَمُّمُنَهَا إِذَا ضَرَبْنَ بِهَا جُنُوبَهُنَّ وَقَتًا بَعْدَ وَقْتٍ لِلِاسْتِظْهَارِ بِهِ عَلَى التَّحَرُّكِ وَلِذَلِكَ عُدِلَ بِهِ إِلَى صِيغَةِ الْفِعْلِ لِلْفَرْقِ بَيْنَ الْأَصِيلِ فِي الطَّيْرَانِ وَالطَّارِئِ عَلَيْهِ يَعْنِي أَنَّ الْغَالِبَ وَالْأَصْلَ فِي الطَّيْرَانِ هُوَ الْبَسْطُ فَكَأَنَّهُ هُوَ الثَّابِتُ فَيَعْبَرُ عَنْهُ بِالْأَسْمِ وَالْقَبْضُ مُتَجَدِّدٌ طَارَ عَلَيْهِ فَعَبَّرَ عَنْهُ بِالْفِعْلِ ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ﴾ فِي الْجَوِّ عَلَى خِلَافِ الطَّبَعِ ﴿إِلَّا أَلَرَّحْمَنُ﴾ الشَّامِلُ رَحْمَتَهُ كُلِّ شَيْءٍ بِأَنَّهُ خَلَقَهُنَّ عَلَى أَشْكَالٍ وَخَصَائِصٍ هِيَ أَهْنُ لِلْجَرِيِّ فِي الْهَوَاءِ ﴿إِنَّهُ يَكُلُّ شَيْءًا بَصِيرٌ﴾ [الشورى: 12] كَيْفَ يَخْلُقُ الْغَرَائِبَ وَيُدَبِّرُ الْعَجَائِبَ.

(حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ) هُوَ الْمَعْرُوفُ بِالْمُسْنَدِيِّ قَالَ: (حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ يُوسُفَ) قَالَ: (حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ سَالِمٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَخْطُبُ عَلَى الْمِنْبَرِ يَقُولُ: اقْتُلُوا الْحَيَاتِ، وَاقْتُلُوا ذَا الطُّفَيْتَيْنِ) تَنْثِيَةُ طَفِيَّةٍ بضم الطاء المهملة وسكون الفاء وبالمثناة التحتية وهي خوصة المقل وذو الطفيتين ضرب من الحيات في ظهره خطان أبيضان كالخوصتين فشبه الخط الذي على ظهر هذه الحية بها وربما قيل لهذه الحية طافية على معنى ذات طافية وقد يسمى الشيء باسم ما يجاوره وقيل هما نقطتان حكاه القاضي قَالَ الْخَلِيلُ وَهِيَ حِيَّةٌ خَبِيْثَةٌ.

(وَالْأَبْتَرَ) هُوَ مَقْطُوعُ الذَّنْبِ وَقَالَ النَّضْرُ بْنُ شَمِيلٍ هُوَ أَزْرَقُ اللَّوْنِ لَا تَنْظُرُ إِلَيْهِ حَامِلٌ إِلَّا أَلْقَتْ مَا فِي بَطْنِهَا وَقِيلَ الْأَبْتَرُ الْحِيَّةُ الْقَصِيرَةُ الذَّنْبِ.

وَقَالَ الدَّائِدِيُّ: هُوَ الْأَفْعَى الَّتِي تَكُونُ قَدْرَ شَبْرٍ أَوْ أَكْثَرَ قَلِيلًا وَقَوْلُهُ وَالْأَبْتَرُ بِالْعَطْفِ يَقْتَضِي التَّغَايِرَ بَيْنَ ذِي الطُّفَيْتَيْنِ وَالْأَبْتَرِ وَوَقَعَ فِي الطَّرِيقِ الْآتِيَةِ: «لَا

فَإِنَّهُمَا يَظْمِسَانِ الْبَصَرَ، وَيَسْتَسْقِطَانِ الْحَبْلَ».

3298 - قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَبَيْنَا أَنَا أَطَارِدُ حَيَّةً لَأَقْتُلَهَا، فَنَادَانِي أَبُو لُبَابَةَ:

تَقْتُلُوا الْحَيَاتِ إِلَّا كُلَّ ابْتَرِ ذِي طِفْئَتَيْنِ» وظاهره اتحادهما لكن لا ينفي المغايرة.
(فَإِنَّهُمَا يَظْمِسَانِ الْبَصَرَ) أي: يمحوان نوره وفي رواية ابن أبي مليكة التي تأتي بعد أحاديث عن ابن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا «يذهب البصر» وفي حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا «فإنه يلتمس البصر».
(وَيَسْتَسْقِطَانِ الْحَبْلَ) هو بفتح المهملة والموحدة هو الجنين وفي رواية ابن أبي مليكة «فإنه يسقط الولد».

وفي رواية عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا «وتصيب الحبل».
وفي رواية أخرى عنها: «ويذهب الحبل» وكلها بمعنى واحد.
وَقَالَ الْكِرْمَانِيُّ: وهما من شرار الحيّات إذا لحظت الحامل أسقطت الحمل غالباً وإذا وقع بصره على بصر إنسان طمسه أي: يعميه جعل ما يفعل بالخاصة كأنه يفعل بالقصد وقيل وفي الحياة نوع يسمى الناظر إذا وقع بصره على عين إنسان مات في ساعته وقيل معنى الطمس قصد البصر باللسع والنهش.
قَالَ الدَّوَوْدِيُّ: وإنما أمر بقتلها لأن الجن لا تتمثل بها ولهذا أدخل الْبُخَارِيُّ حديث ابن عُمر في الباب ونهى عن قتل ذوات البيوت لأن الجن تتمثل بها والله تعالى أعلم.

(قَالَ عَبْدُ اللَّهِ) أي: ابن عُمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بالإسناد السابق: (فَبَيْنَا أَنَا أَطَارِدُ حَيَّةً) أي: أطلبها وأتبعها (لَأَقْتُلَهَا).

وفي رواية يُونس عن الزُّهْرِيِّ التي يأتي التنبيه عليها قَالَ ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَكَتْ لَا أَتْرُكُ حَيَّةً إِلَّا قَتَلْتُهَا حَتَّى طَارَدَتْ حَيَّةً مِنْ ذَوَاتِ الْبُيُوتِ الْحَدِيثُ.
(فَنَادَانِي أَبُو لُبَابَةَ) بضم اللام وتخفيف الموحدة الأولى واسمه رفاعه بكسر الراء وتخفيف الفاء على الأصح ابن عبد المنذر الأوسي النقيب قاله الْكِرْمَانِيُّ⁽¹⁾

(1) وقال الحافظ العسقلاني صحابي مشهور اسمه بشير بفتح الموحدة وكسر الشين المعجمة وقبل مصغر وقبل بتحانية ومهملة مصغراً وشذ من قال اسمه مروان.

لَا تَقْتُلُهَا، فَقُلْتُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ أَمَرَ بِقَتْلِ الْحَيَّاتِ قَالَ: إِنَّهُ نَهَى بَعْدَ ذَلِكَ عَنْ ذَوَاتِ الْبُيُوتِ، وَهِيَ الْعَوَامِرُ.

وفي التوضيح: اسمه بشير بفتح الباء وكسر الشين المعجمة ابن عبد المنذر ابن رفاعة بن زبير بن أمية بن زيد بن مالك بن عوف بن مالك بن أوس رده رَسُولُ اللَّهِ ﷺ من الروحاء حين خرج إلى بدر واستعمله على المدينة وضرب له بسهم وأجره وتوفي بعد قتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأخوه مبشر بن عبد المنذر شهد بدرًا وقتل بها وأخوهما رفاعة بن عبد المنذر شهد العقبة وبدرًا وقتل بأحد وليس له عقب ذكره كله ابن سعد في الطبقات.

وَقَالَ أَبُو عَمْرِو بَشِيرُ بْنُ عَبْدِ الْمُنْذِرِ أَبُو لِبَابَةِ الْأَنْصَارِيِّ غَلَبَتْ عَلَيْهِ كُنْيَتُهُ وَاخْتَلَفَ فِي اسْمِهِ فَقِيلَ: رِفَاعَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ كَذَا قَالَهُ مُوسَى بْنُ عَقْبَةَ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ وَكَذَا قَالَ ابْنُ هِشَامٍ وَخَلِيفَةُ وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ زَهِيرٍ سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ وَيَحْيَى بْنَ مَعِينٍ يَقُولَانِ أَبُو لِبَابَةِ اسْمُهُ رِفَاعَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُنْذِرِ.

وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: كَانَ نَقِيبًا شَهِدَ الْعُقْبَةَ وَشَهِدَ بَدْرًا وَزَعَمَ قَوْمٌ أَنَّهُ وَالْحَارِثُ ابْنُ حَاطِبٍ خَرَجَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى بَدْرٍ فَرَجَعَهُمَا وَأَمَرَ أَبَا لِبَابَةَ عَلَى الْمَدِينَةِ وَضَرَبَ لَهُ بِسَهْمٍ مَعَ أَصْحَابِ بَدْرٍ قَالَ ابْنُ هِشَامٍ رَدَهُمَا مِنَ الرُّوحَاءِ.

وَقَالَ أَبُو عَمْرِو: قَدْ اسْتَخْلَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَبَا لِبَابَةَ عَلَى الْمَدِينَةِ أَيْضًا حِينَ خَرَجَ إِلَى غَزْوَةِ السَّوِيقِ وَشَهِدَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَحَدًا وَمَا بَعْدَهَا مِنَ الْمَشَاهِدِ وَكَانَ مَعَهُ بَنُو عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ فِي غَزْوَةِ الْفَتْحِ مَاتَ فِي خِلَافَةِ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ الْحَافِظُ الْعَسْقَلَانِيُّ وَلَيْسَ لَهُ فِي الصَّحِيحِ إِلَّا هَذَا الْحَدِيثُ.

(لَا تَقْتُلُهَا، فَقُلْتُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ أَمَرَ بِقَتْلِ الْحَيَّاتِ قَالَ: إِنَّهُ نَهَى بَعْدَ ذَلِكَ عَنْ ذَوَاتِ الْبُيُوتِ) أَي: قَالَ أَبُو لِبَابَةَ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى بَعْدَ أَمْرِهِ بِقَتْلِ الْحَيَّاتِ عَنْ قَتْلِ ذَوَاتِ الْبُيُوتِ أَي: اللَّاتِي يَوْجَدْنَ فِي الْبُيُوتِ وَيُقَالُ لَهَا الْجَنَانُ وَهِيَ حَيَاتٌ طَوَالٌ بَيْضٌ قَلَمًا تَضُرُّ.

وفي رواية التِّرْمِذِيِّ عَنْ ابْنِ الْمُبَارَكِ أَنَّهَا الْحَيَّةُ الَّتِي تَكُونُ كَأَنَّهَا فَضَّةٌ وَلَا تَلْتَوِي فِي مَشْيَتِهَا.

(وَهِيَ الْعَوَامِرُ) هُوَ مِنْ كَلَامِ الزُّهْرِيِّ أَدْرَجَ فِي الْخَبَرِ وَقَدْ بَيَّنَّه مَعْمَرٌ فِي رِوَايَتِهِ

3299 - وَقَالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ، عَنْ مَعْمَرٍ، فَرَأَيْتُ أَبُو لُبَابَةَ، أَوْ زَيْدُ بْنُ الْخَطَّابِ وَتَابَعُهُ يُونُسُ، وَابْنُ عُيَيْنَةَ،

عن الزُّهْرِيِّ فساق الحديث وَقَالَ فِي آخِرِهِ قَالَ الزُّهْرِيُّ وَهِيَ الْعَوَامِرُ سَكَانَهَا مِنَ الْجَنِّ وَتَسْمِيَتُهُنَّ عَوَامِرٌ لَطُولُ لِبْثُهُنَّ فِي الْبُيُوتِ مَاخُذٌ مِنَ الْعُمَرِ وَهُوَ طَوْلُ الْبَقَاءِ وَعِنْدَ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا «أَنَّ لِهَذِهِ الْبُيُوتِ عَوَامِرٌ فَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْهَا شَيْئًا فَحَرِّجُوا عَلَيْهِ ثَلَاثًا فَإِنْ ذَهَبَ وَإِلَّا فَاقْتُلُوهُ» .
واختلف في المراد بالثلاث قليل : ثلاث مرات .

وقيل : ثلاثة أيام ومعنى قوله حرجوا أن يقال له أنت في حرج أي : ضيق إن لبثت عندنا أو ظهرت لنا أو عدت إلينا .

ثم اعلم أن ظاهر الحديث التعميم في البيوت وعن مالك تخصيصه ببيوت أهل المدينة لما في صحيح مسلم «أَنَّ بِالْمَدِينَةِ خَبَاقِدٌ أَسْلَمُوا فَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْهَا شَيْئًا فَأَذْنُوهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فَإِنْ بَدَأَ لَكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فَاقْتُلُوهُ فَإِنَّمَا هُوَ شَيْطَانٌ» وقيل : يختص ببيوت المدن دون غيرها وأما ما في الصحاري والأودية تقتل من غير إيدان لعموم قوله ﷺ : «خمس من الفواسق يقتلن في الحل والحرم فذكر منهن الحية» .
وجاء في حديث من تركهن مخافة شرهن فليس منا» .

(وَقَالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ) هُوَ ابْنُ هَمَامٍ الصَّنْعَانِيُّ ، (عَنْ مَعْمَرٍ) هُوَ ابْنُ رَاشِدٍ ، (فَرَأَيْتُ أَبُو لُبَابَةَ ، أَوْ زَيْدُ بْنُ الْخَطَّابِ) هُوَ أَخُو عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ لِأَبِيهِ أَسْلَمَ قَبْلَ عُمَرَ وَكَانَ أَسْنَمَهُ وَاسْتَشْهَدَ بِالْإِمَامَةِ وَلَهُ فِي الصَّحِيحِ هَذَا الْحَدِيثُ أَرَادَ الْبُخَّارِيُّ بِهَذَا أَنَّ مَعْمَرًا رَوَاهُ عَنِ الزُّهْرِيِّ بِهَذَا الْإِسْنَادِ عَلَى الشُّكِّ فِي اسْمِ الَّذِي لَقِيَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَرَوَايَةُ عَبْدِ الرَّزَّاقِ هَذِهِ أَخْرَجَهَا مُسْلِمٌ وَلَمْ يَسْقِ لَفْظَهَا وَسَاقَهُ أَحْمَدُ وَالطَّبْرَانِيُّ مِنْ طَرِيقِهِ .

(وَتَابَعَهُ) أَيِ : تَابَعَ مَعْمَرًا (يُونُسُ) أَيِ : ابْنُ يَزِيدَ عَلَى الشُّكِّ فِي اسْمِ الَّذِي لَقِيَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا هَلْ هُوَ أَبُو لُبَابَةَ أَوْ زَيْدُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَهَذِهِ الْمَتَابَعَةُ وَصَلَهَا مُسْلِمٌ وَلَمْ يَسْقِ لَفْظَهَا وَسَاقَهُ أَبُو عَوَانَةَ .

(وَابْنُ عُيَيْنَةَ) أَيِ : سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ أَيِ : تَابَعَ مَعْمَرًا وَابْنُ عُيَيْنَةَ أَيْضًا عَلَى الشُّكِّ وَهَذِهِ الْمَتَابَعَةُ وَصَلَهَا مُسْلِمٌ وَقَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ وَالتَّائِقُ نَا سُفْيَانَ

وإِسْحَاقُ الْكَلْبِيُّ، وَالزُّبَيْدِيُّ، وَقَالَ صَالِحٌ، وَابْنُ أَبِي حَفْصَةَ، وَابْنُ مُجَمِّعٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ سَالِمٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ، رَأَى أَبُو لُبَابَةَ، وَزَيْدُ بْنُ الْخَطَّابِ.

ابن عيينة عن الزُّهْرِيِّ عن سالم عن أبيه عن النَّبِيِّ ﷺ اقتلوا الحيات وذات الطفيتين والأبتر فإنهما يستسقطان الحبل ويلتمسان البصر قَالَ فكان ابنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يقتل كل حية وجدها فأبصره أَبُو لُبَابَةَ بن عبد المنذر أو زيد بن الخطاب وهو يطارد حية فَقَالَ إنه قد نهى عن ذوات البيوت ⁽¹⁾

(وإِسْحَاقُ الْكَلْبِيُّ) أي: تابع معمرًا أيضًا في الشك إسحاق بن يَحْيَى الكلبى الحمصي وهو المشهور بابن جني قَالَ الْحَافِظُ الْعَسْقَلَانِيُّ: رويناه في نسخته والزبيدي أي: تابع معمرًا أيضًا في الشك مُحَمَّدُ بن الوليد.

(وَالزُّبَيْدِيُّ) بضم الزاي وفتح الموحدة وسكون المثناة التحتية وبالذال المهملة الحمصي وهذه المتابعة وصلها مسلم وَقَالَ: حَدَّثَنَا حَاجِبُ بن الوليد حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بن حرب عن الزبيدي عن الزُّهْرِيِّ قَالَ: أَخْبَرَنِي سالم بن عَبْدِ اللَّهِ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سمعت رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يأمر بقتل الكلاب يقول: «اقتلوا الحيات والكلاب واقتلوا ذا الطفيتين والأبتر فإنهما يلتمسان البصر» الحديث وفيه بينا أنا أطارد حية يومًا من ذوات البيوت مر بي زيد بن الخطاب أو أَبُو لُبَابَةَ إلى آخره.

(وَقَالَ صَالِحٌ) هو ابن كيسان الهذلي، (وَابْنُ أَبِي حَفْصَةَ) اسمه مُحَمَّدُ بن أبي حفصة واسم أبي حفصة ميسرة البصرة، (وَابْنُ مُجَمِّعٍ) بضم الميم وفتح الجيم وكسر الميم المشددة وقيل بفتحها وهو إبراهيم بن إِسْمَاعِيلَ بن مجمع بن يزيد بن حارثة الأوسي الأنصاري المدني، (عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ سَالِمٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (رَأَى أَبُو لُبَابَةَ، وَزَيْدُ بْنُ الْخَطَّابِ) يعني أن هؤلاء الثلاثة رووا الحديث عن الزُّهْرِيِّ عن سالم بن عَبْدِ اللَّهِ عن عَبْدِ اللَّهِ بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بواو الجمع فجمعوا فيه بين أبي لُبَابَةَ وزيد بن الخطاب بلا شك فأما رواية صالح فوصلها مسلم ولم يسق لفظها وساقه أَبُو عَوَانَةَ وأما رواية ابن أبي حفصة فَقَالَ الْحَافِظُ الْعَسْقَلَانِيُّ: رويناه في نسخته من طريق أبي أحمد بن عدي

(1) ووصلها أيضًا أبو داود ووصلها أيضًا أحمد والحميدي في مسنديهما عنه.

15 - باب: خَيْرُ مَالِ الْمُسْلِمِ غَنَمٌ يَتَّبِعُ بِهَا شَعَفَ الْجِبَالِ⁽¹⁾

موصولة وأما رواية ابن مجمع فوصلها البغوي وابن السكن في كتاب الصحابة قَالَ ابن السكن لم أجد من جمع بين أبي لبابة وزيد بن الخطاب إلا بن مجمع هذا وجعفر ابن برقان وفي روايتهما عن الزُّهْرِيِّ مقال انتهى.

وغفل عما ذكره البُخَارِيُّ وهو عنده عن الفريري عنه فسبحان من لا يذهل ويحتمل أنه لم يقع له موصول من رواية ابن أبي حفصة وصالح فصار من رواه بالجمع أربعة لكن ليس فيهم من يقارب الخمسة الذين روه بالشك إلا صالح بن كيسان وسيأتي في الباب الذي يليه من وجه آخر أن الذي رأى ابن عمر هو أَبُو لبابة بغير شك وهو يرجح ما جنح إليه البُخَارِيُّ من تقديمه لرواية هشام بن يُوْسُف عن مَعْمَرِ المقتصرة على ذكر أبي لبابة والله تعالى أعلم.

وفي الحديث: النهي عن قتل الحيات التي في البيوت إلا بعد الإنذار إلا أن يكون أتر أو ذا طفيتين فيجوز قتله بغير إنذار وقد وقع في حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند مسلم الإذن في قتل غيرهما بعد الإنذار وفيه فإن ذهب وإلا فاقتلوه فإنه كافر.

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: والأمر في ذلك للإرشاد نعم ما كان منها محقق الضرر وجب دفعه.

ومطابقته للترجمة من حيث أن ذا الطفيتين من جملة ما يطلق عليه اسم الدابة.

15 - باب: خَيْرُ مَالِ الْمُسْلِمِ غَنَمٌ يَتَّبِعُ بِهَا شَعَفَ الْجِبَالِ

(باب) بالتنوين (خَيْرُ مَالِ الْمُسْلِمِ غَنَمٌ) هو اسم مؤنث موضوع للجنس يقع على الذكور وعلى الإناث وعليهما جميعاً فإذا صغرتها ألحقها الهاء فقلت غنيمة لأن أسماء الجموع التي لا واحد لها من لفظها إذا كانت لغير الآدميين فالتأنيث فيها لازم.

(يَتَّبِعُ بِهَا شَعَفَ الْجِبَالِ) بفتح الشين المعجمة والعين المهملة وبالفاء جمع

(1) قال القسطلاني: قوله شَعَفَ الجبال بشين معجمة وعين مهملة وفاء مفتوحات منصوب على =

3300 - حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي أُوَيْسٍ، قَالَ حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي صَعْصَعَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرُ مَالِ الرَّجُلِ غَنَمٌ، يَتَّبِعُ بِهَا شَعَفَ الْجِبَالِ وَمَوَاقِعَ الْقَطْرِ، يَقْرُبُ بِدِينِهِ مِنَ الْفِتَنِ».

3301 - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ، أَخْبَرَنَا مَالِكٌ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ،

شعفة وشعفة كل شيء أعلاه ويجمع على شعاف أيضًا والمراد به هنا رؤوس الجبال⁽¹⁾.

(حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي أُوَيْسٍ قَالَ: حَدَّثَنِي) بالإنفراد (مَالِكٌ) الإمام، (عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي صَعْصَعَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أنه (قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرُ مَالِ الرَّجُلِ غَنَمٌ يَتَّبِعُ بِهَا شَعَفَ الْجِبَالِ) وَقَالَ الْكِرْمَانِيُّ: روي بنصب خير ورفع غنم ويرفعهما ويرفع الخير ونصب الغنم انتهى.

ولم يذكر وجه ذلك فوجهه أن في الأول: نصب خير على أن يكون خبرًا مقدمًا ليكون ورفع غنم على أن اسمه مؤخرًا.

وفي الثاني: يكون تامة وفي الثالث رفع خير لأنه اسم يكون ونصب غنم لأنه خبره.

(وَمَوَاقِعَ الْقَطْرِ) أي: المطر يعني الأودية والصحارى.

(يَقْرُبُ بِدِينِهِ مِنَ الْفِتَنِ) والحديث قد مضى في كتاب الإيمان في باب من الدين الفرار من الفتن وقد مضى الكلام فيه هناك مستوفى.
ومطابقة للترجمة ظاهرة.

(حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ) قَالَ: (أَخْبَرَنَا مَالِكٌ) الإمام، (عَنْ أَبِي الزِّنَادِ)

⁼ المفعولية، أي: رؤوس الجبال وقوله: سَعَفَ الْجِبَالِ بالسین المهملة جرائد النخل ولا معنى له هنا، والشك من الراوي وسقط قوله أو سَعَفَ الْجِبَالِ الأخير من رواية أبي ذر في الفرع، اهـ.
(1) وقد سقطت هذه الترجمة من رواية النسفي ولم يذكرها الإسماعيلي أيضًا وهو اللائق بالحال لأن الأحاديث التي تلي حديث أبي سعيد رضي الله عنه ليس فيها ما يتعلق بالغنم إلا حديث أبي هريرة رضي الله عنه المذكور بعده.

عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «رَأْسُ الْكُفْرِ نَحْوُ الْمَشْرِقِ، وَالْفَخْرُ وَالْخِيَلَاءُ فِي أَهْلِ الْخَيْلِ وَالْإِبِلِ، وَالْفَدَّادِينَ

بِالزَّايِ وَالنُّونِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ ذَكْوَانَ، (عَنِ الْأَعْرَجِ) عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ هَرْمَزٍ، (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: رَأْسُ الْكُفْرِ نَحْوُ الْمَشْرِقِ) نصب نحو لأنه ظرف .

وفي رواية الكشميهني: قبل المشرق بكسر القاف وفتح الموحدة أي: من جهته يريد أنه كان في عهده كذلك .

وفيه: إشارة إلى شدة كفر المجوس لأن مملكة الفرس ومن أطاعهم من العرب كانت من جهة المشرق بالنسبة إلى المدينة وكانوا في غاية القوة والكثرة والتجبر حتى إن ملكهم مزق كتاب رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

والدجال أيضًا يأتي من المشرق من قرية تسمى وست اباذ فيما ذكره الطَّبْرِيُّ ومن شدة أكثر أهل المشرق كفرًا وطغيانًا أنهم كانوا يعبدون النار وأن نارهم ما انطفأت ألف سنة وكان الذين يخدمونها وهم السدنة خمسة وعشرون ألف رجل ذكره الْعَيْنِيُّ.

(وَالْفَخْرُ) بالخاء المعجمة مشهور ومنه إعجاب النفس، (وَالْخِيَلَاءُ) بضم الخاء المعجمة وفتح المثناة التحتية مخففة وبالمدة الكبر واحتقار غيره.

(فِي أَهْلِ الْخَيْلِ وَالْإِبِلِ، وَالْفَدَّادِينَ) قَالَ الْخَطَّابِيُّ: الْفَدَّادُونَ يَفْسِرُ عَلَى وَجْهَيْنِ:

أَن يَكُونَ جَمْعًا لِلْفَدَادِ بِتَشْدِيدِ الدَّالِ وَهُوَ الشَّدِيدُ الصَّوْتِ مِنَ الْفَدِيدِ وَذَلِكَ مِنْ دَابِّ أَصْحَابِ الْإِبِلِ إِذَا رُوِيَتْ بِتَشْدِيدِ الدَّالِ يُقَالُ فَذَّ الرَّجُلُ إِذَا رَفَعَ صَوْتَهُ .
وَالْوَجْهَ الْآخَرَ أَنَّهُ جَمْعُ الْفَدَانِ وَهُوَ آلَةُ الْحَرْثِ وَذَلِكَ إِذَا رُوِيَتْ بِالتَّخْفِيفِ يَرِيدُ أَهْلَ الْحَرْثِ .

وَقَالَ الْفَرَّاءُ: الْفَدَّادُونَ بِتَشْدِيدِ الدَّالِ جَمْعُ فَدَادٍ وَهُوَ مِنْ بَلَغَتْ إِبِلُهُ مَائَتَيْنِ وَأَلْفًا إِلَى أَكْثَرِ .

أَهْلِ الْوَبَرِ،

وَقَالَ أَبُو عبيدة نحوه: وهم المكثرون من الإبل جفاة وأهل خيلاء.
وَقَالَ أَبُو العباس: هم الحمالون والرعيان والبقارون والجمالون.
وَقَالَ الأصمعي: هم الذين تعلو أصواتهم في حروثهم وأموالهم
ومواشيهم قَالَ والفديد الصوت الشديد.

وَقَالَ أَبُو عمرو الشيباني: هو بالتخفيف جمع فداد بالتشديد وهو عبارة عن
البقر التي يحرث عليها وأهلها أهل جفاء لبعدهم حكاه أَبُو عبيدة وأنكر عليه
وعلى هذا المراد بذلك أصحابها بحذف مضاف.

وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ: أما الحديث فليس فيه إلا رواية التشديد وهو الصحيح
على ما قاله الأصمعي وغيره.

وَقَالَ ابن فارس: في الحديث الجفاء والقسوة في الفدادين قَالَ يريد
أصحاب الحروث والمواشي قَالَ وفديدهم أصواتهم⁽¹⁾

وَقَالَ الخطابي: إنما ذم هؤلاء لاشتغالهم بمعالجة ما هم عليه عن أمور
دينهم وتلهيهم عن أمور الآخرة ويكون منها قساوة القلب ونحوها.

من (أَهْلِ الْوَبَرِ) بفتح الواو والموحدة والمراد ضد أهل المدر فهو كناية عن
سكان الصحاري لأن العرب تعبر عن أهل الحضر بأهل المدر وعن أهل البادية
بأهل الوبر فهو بيان للفدادين.

وَقَالَ الْكِرْمَانِيُّ: فإن أريد الوجه الأول من الوجهين يعني للذين ذكرهما
الخطابي فهو تعميم بعد تخصيص.

قَالَ الْحَافِظُ الْعَسْقَلَانِيُّ: واستشكل بعضهم ذكر الوبر بعد ذكر الخيل وَقَالَ
لأن الخيل لا وبر لها قَالَ ولا إشكال فيه لأن المراد ما يبينه وهو قوله والفدادين
وقوله في الحديث الآتي في ربيعة ومضر أي: الفدادين منهم.

(1) وحكى الأخفش ووهاه أن المراد بالفدادين من يسكن الفدافد وهي البراري والصحاري وهو بعيد.

وَالسَّكِينَةُ فِي أَهْلِ الْغَنَمِ⁽¹⁾.

(وَالسَّكِينَةُ فِي أَهْلِ الْغَنَمِ) السكينة يطلق على السكون والطمأنينة والوقار والتواضع .

وَقَالَ ابْنُ خَالَوَيْهِ : السكينة مصدر سكن سكينه ولا نظير لها أي : في وزنها إلا قولهم على فلان ضريبة أي : خراج معلوم وإنما خص أهل الغنم بذلك لأنهم غالباً دون أهل الخيل والإبل في التوسع والكثرة وهما من أسباب الفخر والخيلاء .
وقيل : المراد بأهل الغنم أهل اليمن لأن غالب مواشيهم الغنم بخلاف ربيعة

(1) قال الحافظ في حديث الباب : قوله : «رأس الكفر نحو المشرق» وفي رواية الكشميهني : «قبل المشرق» وهو بكسر القاف وفتح الموحدة، أي : من جهته، وفي ذلك إشارة إلى شدة كفر المجوس، لأن مملكة الفرس ومن أطاعهم من العرب كانت من جهة المشرق بالنسبة إلى المدينة، وكانوا في غاية القوة والتكبر والتجبر حتى مزق ملكهم كتاب النبي ﷺ كما سيأتي في موضعه، واستمرت الفتن من قبل المشرق كما سيأتي بيانه واضحاً من الفتن، اهـ.
وقال في كتاب الفتن في «باب قول النبي ﷺ : الفتنة من قبل المشرق» في حديث ترك الدعاء لأهل نجد، قال المهلب : وإنما ترك ﷺ الدعاء لأهل المشرق ليضعفوا عن الشر الذي هو موضوع في جهنم لاستيلاء الشيطان بالفتن، وقال غيره : كان أهل المشرق يومئذ أهل كفر فأخبر ﷺ أن الفتنة تكون من تلك الناحية فكان كما أخبر، وأول الفتن كان من قبل المشرق فكان ذلك سبباً للفرقة بين المسلمين، وكذلك البدع نشأت من تلك الجهة، وقال الخطابي : نجد من جهة المشرق، ومن كان بالمدينة كان نجده بادية العراق ونواحيها وهي مشرق أهل المدينة، وأصل النجد ما ارتفع من الأرض وهو خلاف الغور فإنه ما انخفض منها وتهامة كلها من الغور، ومكة من تهامة، قال الحافظ : وعرف بهذا وهاء ما قاله الداوودي : إن نجداً من ناحية العراق فإنه توهم أن نجداً موضع مخصوص وليس كذلك، بل كل شيء ارتفع بالنسبة إلى ما يليه يسمى المرتفع نجداً والمنخفض غوراً، انتهى مختصراً.

وقال القاري : قوله : «رأس الكفر نحو المشرق» قال المهلب : أي منه يظهر الكفر والفتن كالدجال وأجوج ومأجوج وغيرهما، وقال النووي : المراد باختصاص المشرق به مزيد تسلط الشيطان على أهل المشرق وكان ذلك في عهده ﷺ، ويكون حين يخرج الدجال من المشرق فإنه منشأ الفتن العظيمة ومثار الكفر الترك، وقال السيوطي نقلاً عن الباغي : يحتمل أن يريد فارس وأن يريد نجداً، وبسط الكلام على ذلك في الأوجز، وما اخترت فيه أن ههنا حديثين مختلفين أحدهما الفتن ههنا وأشار إلى المشرق، والمراد بها الفتن التي وقعت من زمان عثمان رضي الله عنه فإن وقعة الجمل والصفين ثم ظهور الحجاج في أرض العراق وما وراءها من المشرق كما بسط في الأوجز، وأما الحديث الثاني الذي فيه «حيث يطع قرن الشيطان» فالمراد به خروج الدجال وهو المشار إليه في حديث عائشة : «رأس الكفر من ههنا من حيث يطع قرن الشيطان» انتهى ملخصاً من الأوجز.

3302 - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا يَحْيَى، عَنْ إِسْمَاعِيلَ، قَالَ: حَدَّثَنِي قَيْسٌ، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَمْرِو أَبِي مَسْعُودٍ، قَالَ: أَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ نَحْوَ الْيَمَنِ فَقَالَ: «الْإِيمَانُ يَمَانٍ هَا هُنَا،»

ومضر فإنهم أصحاب إبل وقد روى ابن ماجه من حديث أم هانئ أن النبي ﷺ قَالَ لها: «اتخذي الغنم فإن فيها بركة».

ومطابقته للترجمة في قوله: والسكينة في أهل الغنم.

(حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ) قَالَ: (حَدَّثَنَا يَحْيَى) هو ابن سعيد القطان، (عَنْ إِسْمَاعِيلَ) هو ابن أبي خالد أنه (قَالَ: حَدَّثَنِي) بالإفراد (قَيْسٌ) هو ابن أبي حازم البجلي، (عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَمْرِو أَبِي مَسْعُودٍ) بضم المهملة وسكون القاف المكنى بأبي مسعود الأنصاريّ البصري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه (قَالَ:) أَشَارَ النَّبِيُّ ﷺ ويروى: (أَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ نَحْوَ الْيَمَنِ) وكان بتبوك ومكة والمدينة يومئذ بينه وبين اليمن وَقَالَ هذا القول وأشار إلى ناحية اليمن وهو يريد مكة والمدينة ونسبهما إلى اليمن لكونهما من ناحيته⁽¹⁾.

(فَقَالَ: الْإِيمَانُ يَمَانٍ هَا هُنَا) إنما قَالَ ذلك لأن الإيمان بدأ من مكة وهي من تهامة وتهامة من أرض اليمن ولهذا يقال الكعبة اليمانية وقيل إنما قَالَ هذا القول للأنصاري لأنهم يمانون وهم نصروا الإيمان والمؤمنين وآووهم فنسب الإيمان إليهم.

قَالَ الْعَيْنِيُّ: وهذا غريب وأغرب منه قول الحكيم الترمذيّ أنه إشارة إلى أويس القرني.

وَقَالَ الْكِرْمَانِيُّ: والأحسن أن الغرض وصف أهل اليمن بكمال الإيمان لأن من قوى قيامه بشيء نسب ذلك الشيء إليه انتهى.

وذلك لأن أهل اليمن أسرعوا إلى الإيمان وحسن قبولهم للبشرى حين لم يقبلها بنو تميم وجاء في رواية أهل اليمن ألين قلوباً وأرق أفئدة يريد بلين القلوب سرعة خلوص الإيمان في قلوبهم ويقال الفؤاد غشاء القلب والقلب جشته

(1) وقيل: قال عليه الصلاة والسلام هذا القول وكان بالمدينة فإن كونه فيها هو الغالب عليه وعلى هذا تكون الإشارة إلى سُبَّاق أهل اليمن.

أَلَا إِنَّ الْقَسْوَةَ وَغَلَطَ الْقُلُوبِ فِي الْفَدَّادِينَ، عِنْدَ أَصُولِ أَذْنَابِ الْإِبْلِ، حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنَا الشَّيْطَانِ فِي رَبِيعَةٍ، وَمُضَرٍّ.

وسويداؤه فإذا رق الغشاء أسرع نفوذ الشيء إلى ما وراءه.

وَقَالَ أَبُو عبيدة: أي بدأ الإيمان من مكة لأنها مولده ومبعثه ثم هاجر إلى المدينة ويقال إن مكة من أرض تهامة وتهامة من أرض اليمن ولهذا سميت مكة وما وليها من أرض اليمن تهائم فمكة على هذا يمانية وأصل يمان يمانى بياء النسبة فحذفوا الياء للتخفيف كما قالوا تهامون وأشعرون وسعدون.

(أَلَا) بمعنى لكن (إِنَّ الْقَسْوَةَ وَغَلَطَ الْقُلُوبِ) قَالَ السهيلي: إنهما لمسمى واحد كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَخُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ [يُوسُف: 86] البث هو الحزن.

وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ: القسوة يراد بها أن تلك القلوب لا تلين ولا تخشع لموعظة وغلظها عدم فهمها.

(فِي الْفَدَّادِينَ) قد مضى تفسير الفدادين، (عِنْدَ أَصُولِ أَذْنَابِ الْإِبْلِ) أي: أنهم يبعدون عن الأنصار فيجهلون معالم دينهم قاله الداوودي.
(حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنَا الشَّيْطَانِ) أي: جانباً رأسه.

وَقَالَ الْخطابي: ضرب المثل بقرني الشيطان فيما لا يحمد من الأمور والمراد بذلك تسلط الشيطان ومزيد الكفر.

قَالَ الْكِرْمَانِيُّ: وعبر عن المشرق بقوله حيث يطلع قرنا الشيطان وذلك أن الشيطان ينتصب في محاذاة مطلع الشمس حتى إذا طلعت كانت بين قرني رأسه أي: جانبيه فتقع السجدة له حين يسجد عبدة الشمس لها.
(فِي رَبِيعَةٍ) بفتح الراء المشددة وكسر الموحدة.

(وَمُضَرٍّ) بضم الميم وفتح المعجمة وقوله في ربيعة ومضر يتعلق بقوله في الفدادين أي: المصوتين عند أذنان الإبل وهو في جهة المشرق حيث هو مسكن هاتين القبيلتين المذكورتين ويحتمل أن تكون قوله في ربيعة ومضر بدلاً من الفدادين.

وقد تقدم أن هذا الحديث وما بعده من الأحاديث ليس بينها وبين الترجمة

3303 - حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ رَبِيعَةَ، عَنْ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «إِذَا سَمِعْتُمْ صِيَاحَ الدِّيَكَةِ فَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ، فَإِنَّهَا رَأَتْ مَلَكًا،

المذكورة مطابقة وإنما كان اللائق أن يكون هذه الترجمة لحديث أبي سعيد وأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَأَن فِيهِمَا ذَكَرَ الْغَنَمِ وَالْبَقِيَّةُ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ فِي التَّرْجُمَةِ الَّتِي هِيَ بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَبَتْ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ﴾ [لقمان: 10] ولهذا أسقطت هذه الترجمة من رواية النسفي ولم يذكرها أيضًا الإسماعيلي والحديث قد أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي الْمَغَازِي وَمَنَاقِبِ قُرَيْشٍ أَيْضًا وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي الْإِيمَانِ. (حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ) أَي: ابْنُ سَعِيدٍ قَالَ: (حَدَّثَنَا اللَّيْثُ) أَي: ابْنُ سَعْدٍ، (عَنْ جَعْفَرِ بْنِ رَبِيعَةَ) ابْنُ شَرَحْبِيلَ بْنِ حَسَنَةِ الْقُرَشِيِّ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ، (عَنِ الْأَعْرَجِ) عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ هَرْمَزٍ، (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: إِذَا سَمِعْتُمْ صِيَاحَ الدِّيَكَةِ) بِكسر الدال المهملة وفتح المشناة التحتية جمع ديك كقرد وقردة ويجمع في القلة على أدياك وفي الكثرة ديوك وديكة وأرض مداكة ومديكة كثيرة الديوك.

وَقَالَ ابْنُ سَيِّدَةِ الدِّيكِ ذَكَرَ الدِّجَاجِ .

وعن الداوودي وقد يسمى الديك دجاجة والدجاجة تقع على الذكر والأنثى.

(فَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ، فَإِنَّهَا رَأَتْ مَلَكًا) بفتح اللام فلذلك أمر بالدعاء عند صياحها لتؤمن الملائكة على ذلك وتستغفر له وتشهد له بالتضرع والإخلاص فيوافق الدعوات مظنة الإجابة ومنه يؤخذ استحباب الدعاء عند حضور الصالحين وأخرج أبو داود وأحمد وصححه ابن حبان من حديث زيد بن خالد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رفعه لا تسبوا الديك فإنه يدعو إلى الصلاة.

وفي رواية البزار سبب قوله ﷺ: «ذلك أن ديكًا صرخ فلعنه رجل فَقَالَ اللَّهُمَّ الْعَنِهِ فَقَالَ ﷺ كَلَّا إِنَّهُ يَدْعُو إِلَى الصَّلَاةِ» .

وَقَالَ الْحَلِيمِي: يُوْخَذُ مِنْهُ أَنَّ كُلَّ مَنْ ظَهَرَ مِنْهُ الْخَيْرُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَسْبَ وَلَا أَنْ يَسْتَهَانَ بِهِ بَلْ يَكْرَمُ وَيُحْسَنُ إِلَيْهِ قَالَ وَلَيْسَ مَعْنَى قَوْلِهِ فَإِنَّهُ يَدْعُو إِلَى الصَّلَاةِ أَنَّهُ

وَإِذَا سَمِعْتُمْ نَهْيَ الْحِمَارِ فَتَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِنَّهُ رَأَى شَيْطَانًا.

3304 - حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ، أَخْبَرَنَا رَوْحٌ،

يقول بصوته حقيقة صلوا أو حانت الصلاة بل معناه أن العادة جرت بأنه يصرخ عند طلوع الفجر وعند الزوال فطرة فطره الله عليها قيل وللديك خصيصة ليست لغيره من معرفة الوقت الليلي فإنه يقسط أصواته فيها تقسيطاً لا يكاد يخطئ ويتفاوت ويوالي صياحه قبل الفجر وبعده سواء أ طال الليل أم قصر ومن ثم أفتى بعض الشافعية باعتماد الديك المعجب في الوقت وفيه أن الله تعالى جعل للديك إدراكاً وكذلك جعل للحمير وأن كل نوع من الملائكة والشياطين موجود قطعاً. وقال الداوددي ينبغي أن يتعلم من الديك خمس خصال حسن الصوت والقيام في السحر والسخاء والغيرة وكثرة النكاح.

(وَإِذَا سَمِعْتُمْ نَهْيَ الْحِمَارِ فَتَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِنَّهُ رَأَى شَيْطَانًا) ونهيق الحمار صوته المنكر وزاد النَّسَائِيُّ والحاكم من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَا يَنْهَقُ الْحِمَارُ حَتَّى يَرَى شَيْطَانًا أَوْ يَتَمَثَّلَ لَهُ شَيْطَانٌ فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ فَادْكُرُوا اللَّهَ وَصَلُّوا عَلَيَّ وَرَوَاهُ أَبُو مُوسَى الْأَصْبَهَانِي فِي تَرْغِيهِ أَيْضًا.

قَالَ الْقَاضِي عِيَّاضُ: وَفَائِدَةُ الْأَمْرِ بِالتَّعَوُّذِ دَفْعُ مَا يَخْشَى مِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ وَشَرِّ وَسْوَتهِ فِيلْجاً إِلَى اللَّهِ فِي دَفْعِ ذَلِكَ هَذَا وَقَدْ عَرَفْتُ فِي شَرْحِ عُنْوَانِ التَّرْجُمَةِ أَنَّ هَذِهِ التَّرْجُمَةَ سَقَطَتْ فِي رِوَايَةِ النَّسْفِيِّ وَهُوَ اللَّائِقُ بِالْحَالِ لِأَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ وَأَمْثَالَهُ لَا يَطَابِقُهَا وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

(حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ) هو ابن راهويه كما عند أبي نعيم وَقَالَ الْكِرْمَانِيُّ: هُوَ إِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورِ بْنِ كَوْسَجٍ أَبُو يَعْقُوبَ الْمَرْوَزِيُّ وَقَدْ حَدَّثَ كُلٌّ مِنْ إِسْحَاقَ بْنِ رَاهُويَةَ وَإِسْحَاقَ بْنِ مَنْصُورٍ عَنْ رُوحِ بْنِ عِبَادَةَ فَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ إِسْحَاقُ هَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ مَجْرَدًا هُوَ إِسْحَاقُ بْنُ رَاهُويَةَ أَوْ يَكُونَ إِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ إِسْحَاقُ ابْنُ مَنْصُورٍ لِأَنَّ الْبُخَارِيَّ قَالَ فِي بَابِ ذِكْرِ الْجَنِّ وَتَفْسِيرِ الْبَقْرَةِ وَالرَّقَاقِ حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ حَدَّثَنَا رُوحٌ وَحَدَّثَ فِي الصَّلَاةِ فِي مَوْضِعَيْنِ وَفِي الْأَشْرَبَةِ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ مَنْصُورٍ عَنْ رُوحٍ نَعَمْ حَدَّثَ فِي تَفْسِيرِ سُورَةِ الْأَحْزَابِ وَسُورَةِ صَ عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَنْ رُوحٍ وَهُوَ إِسْحَاقُ بْنُ رَاهُويَةَ قَالَ: (أَخْبَرَنَا رَوْحٌ) هُوَ

أَخْبَرَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عَطَاءٌ، سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا كَانَ جُنْحُ اللَّيْلِ، أَوْ أُمْسَيْتُمْ، فَكُفُّوا صَبِيَانَكُمْ، فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ تَنْتَشِرُ حِينَئِذٍ، فَإِذَا ذَهَبَ سَاعَةٌ مِنَ اللَّيْلِ فَخَلُّوهُمْ، وَأَغْلِقُوا الْأَبْوَابَ وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَفْتَحُ بَابًا مُغْلَقًا» قَالَ: وَأَخْبَرَنِي عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ، سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ، نَحْوَ مَا أَخْبَرَنِي عَطَاءٌ، وَلَمْ يَذْكُرْ «وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ».

3305 - حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا وَهَيْبٌ، عَنْ خَالِدٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «فَقَدْتُ أُمَّةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا يُدْرَى مَا فَعَلَتْ، وَإِنِّي لَا أَرَاهَا إِلَّا الْفَارَ، إِذَا وُضِعَ لَهَا أَلْبَانُ الْإِبِلِ لَمْ تَشْرَبْ، وَإِذَا وُضِعَ

بفتح الراء هو ابن عبادة قَالَ: (أَخْبَرَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ) هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، (قَالَ: أَخْبَرَنِي) بالإنفراد (عَطَاءٌ) هو ابن أبي رباح أنه (سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) أنه قَالَ: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِذَا كَانَ جُنْحُ اللَّيْلِ) بكسر الميم وضمها أي: إقبال ظلامه بعد غروب الشمس.

(أَوْ أُمْسَيْتُمْ) شك من الراوي، (فَكُفُّوا صَبِيَانَكُمْ، فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ تَنْتَشِرُ حِينَئِذٍ، فَإِذَا ذَهَبَ سَاعَةٌ مِنَ اللَّيْلِ فَخَلُّوهُمْ، وَأَغْلِقُوا الْأَبْوَابَ وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَفْتَحُ بَابًا مُغْلَقًا) وقد مر الحديث في باب صفة إبليس من وجه آخر وبين متنيهما مغايرة بزيادة ونقصان وقد مر الكلام فيه هناك.

(قَالَ) أي: قَالَ ابن جريج: (وَأَخْبَرَنِي عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ) أنه (سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) نَحْوَ مَا أَخْبَرَنِي عَطَاءٌ، وَلَمْ يَذْكُرْ «وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ» أي: كما ذكر عطاء في روايته عن جابر رضي الله عنه.

(حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ) التبوذكي قَالَ: (حَدَّثَنَا وَهَيْبٌ) بصيغة التصغير هو ابن خالد، (عَنْ خَالِدٍ) هو الحذاء، (عَنْ مُحَمَّدٍ) هو ابن سيرين وهؤلاء كلهم بصريون، (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (عَنِ النَّبِيِّ ﷺ) أنه قَالَ: فَقَدْتُ أُمَّةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ) أي: طائفة منهم (لَا يُدْرَى مَا فَعَلَتْ، وَإِنِّي لَا أَرَاهَا) بضم الهمزة أي: لَا أَظْنُهَا (إِلَّا الْفَارَ⁽¹⁾) إِذَا وُضِعَ لَهَا أَلْبَانُ الْإِبِلِ لَمْ تَشْرَبْ، وَإِذَا وُضِعَ

(1) بإسكان الهمزة وعند مسلم من طريق أخرى عن ابن سيرين بلفظ الفأرة كما سيجيء.

لَهَا أَلْبَانُ الشَّاءِ شَرِبَتْ» فَحَدَّثْتُ كَعْبًا فَقَالَ: أَنْتَ سَمِعْتَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُهُ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ لِي مِرَارًا، فَقُلْتُ: أَفَأَقْرَأُ التَّوْرَةَ؟⁽¹⁾

لَهَا أَلْبَانُ الشَّاءِ شَرِبَتْ) فإن بني إسرائيل لم يكونوا يشربون ألبان الإبل قَالَ التِّرْمِذِيُّ فِي تَفْسِيرِ سُورَةِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِإِسْنَادِهِ قَالَ الْيَهُودُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَخْبِرْنَا عَمَّا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ قَالَ: «اشْتَكَى عِرْقُ النِّسَاءِ فَلَمْ يَجِدْ شَيْئًا يَلَامُهُ إِلَّا لَحُومَ الْإِبِلِ وَأَلْبَانَهَا فَلَذَلِكَ حَرَّمَهُمَا» قَالُوا: صَدَقْتَ.

(فَحَدَّثْتُ كَعْبًا) أَي: قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَحَدَّثْتُ كَعْبًا بِذَلِكَ وَكَعْبٌ هَذَا هُوَ كَعْبُ بْنُ مَاتِعٍ بِكسر المِثَالَةِ الْفَوْقِيَةِ الْمَشْهُورُ بِكَعْبِ الْأَحْبَارِ. قَالَ الْكِرْمَانِيُّ: أَسْلَمَ فِي خِلَافَةِ الصَّدِيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَمَاتَ فِي خِلَافَةِ عِثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَقَالَ الْعَيْنِيُّ: هُوَ كَعْبُ بْنُ مَاتِعٍ الْحَمِيرِيُّ أَبُو إِسْحَاقَ مِنْ ذِي الْكَلَّاعِ وَهُوَ مِنْ مُسْلِمَةِ أَهْلِ الْكِتَابِ أَدْرَكَ النَّبِيَّ ﷺ وَأَسْلَمَ فِي خِلَافَةِ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَيُقَالُ فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَيُقَالُ أَدْرَكَ الْجَاهِلِيَّةَ. وَرَوَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مَرْسَلًا وَقَالَ ابْنُ سَعْدٍ وَكَانَ عَلَى دِينِ يَهُودٍ فَأَسْلَمَ وَقَدِمَ الْمَدِينَةَ ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الشَّامِ فَسَكَنَ حَمَصَ حَتَّى تَوَفَّى بِهَا سَنَةً ثَلَاثِينَ وَثَلَاثِينَ فِي خِلَافَةِ عِثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(فَقَالَ: أَنْتَ سَمِعْتَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُهُ) جُمْلَةٌ حَالِيَّةٌ أَي يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: (قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ لِي مِرَارًا) يَعْنِي قَالَ كَعْبٌ مِرَارًا أَنْتَ سَمِعْتَ النَّبِيَّ ﷺ. (فَقُلْتُ) وَيُرْوَى: قُلْتُ بِدُونِ الْفَاءِ وَالْقَائِلُ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (أَفَأَقْرَأُ التَّوْرَةَ) الْهَمْزَةُ لِلِاسْتِفْهَامِ عَلَى سَبِيلِ الْإِنْكَارِ.

(1) قَالَ الْعَيْنِيُّ: قَوْلُهُ: «أَفَأَقْرَأُ التَّوْرَةَ؟» الْهَمْزَةُ لِلِاسْتِفْهَامِ عَلَى سَبِيلِ الْإِنْكَارِ، وَفِيهِ تَعْرِضٌ لِكَعْبِ الْأَحْبَارِ بِأَنَّهُ كَانَ عَلَى دِينِ الْيَهُودِيَّةِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ، وَالْحَاصِلُ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ: أَنَا أَقْرَأُ التَّوْرَةَ حَتَّى أَقْلُ مِنْهَا وَلَا أَقُولُ إِلَّا مِنَ السَّمْعِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، انْتَهَى. قَالَ الْحَافِظُ: وَفِي حَدِيثِ مُسْلِمٍ «أَفَأَنْزَلَتْ عَلَى التَّوْرَةِ» وَفِيهِ: أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ لَمْ يَكُنْ يَأْخُذُ عَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَأَنَّ الصَّحَابِيَّ الَّذِي يَكُونُ كَذَلِكَ إِذَا أَخْبَرَ بِمَا لَا مَجَالَ لِلرَّأْيِ وَالِاجْتِهَادِ فِيهِ يَكُونُ لِلْحَدِيثِ حُكْمُ الرِّفْعِ، وَفِي سَكُوتِ كَعْبٍ عَنِ الرَّدِّ عَلَى أَبِي هُرَيْرَةَ دَلَالَةٌ عَلَى تَوَرَعِهِ وَكَانَهُمَا جَمِيعًا لَمْ يَبْلِغْهُمَا حَدِيثُ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَقَالَ: «وَذَكَرَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ =

وفي رواية مسلم: أفأنزلت عليَّ التوراة.

القردة والخنازير فقال: «إن الله لم يجعل للمسخ نسلًا ولا عقبًا» وقد كانت القردة والخنازير قبل ذلك، وعلى هذا يحمل قوله ﷺ: «لا أراها إلا الفأر» وكأنه كان يظن ذلك، ثم اعلم بأنها ليست هي، قال ابن قتيبة: إن صح هذا الحديث وإلا فالقردة والخنازير هي الممسوخ بأعيانهما توالدت، قال الحافظ رحمه الله: الحديث صحيح، وسيأتي مزيد لذلك في أواخر حديث الأنبياء، انتهى. قلت: بسط الكلام على ذلك الحافظ في آخر أيام الجاهلية قبل «باب مبعث النبي ﷺ» في حديث رجم القردة قال القسطلاني في حديث الباب: قد اختلف في الممسوخ هل يكون له نسل أم لا؟ فذهب أبو إسحاق الزجاج وابن العربي أبو بكر إلى أن الموجود من القردة من نسل الممسوخ تمسكا بحديث الباب، وقال الجمهور لا وهو المعتمد لحديث ابن مسعود عند مسلم مرفوعًا: «إن الله لم يهلك قومًا أو يعذب قومًا فيجعل لهم نسلًا» وأن القردة والخنازير كانوا قبل ذلك، وأجابوا عن حديث الباب بأنه عليه الصلاة والسلام قاله قبل أن يوحى إليه بحقيقة الأمر في ذلك ولذا لم يجزم به، بخلاف النفي فإنه جزم به كما في حديث ابن مسعود، انتهى. وحكى ابن كثير في قوله تعالى: ﴿كُونُوا قِرَدَةً خَلِيشِينَ﴾ [البقرة: 65] عن مجاهد قال: مسخت قلوبهم ولم يمسخوا قردة وإنما هو مثل ضربه الله ﴿كَمَثَلِ الْجَمَارِ يَحْمِلُ أَثْقَارًا﴾ [الجمعة: 5] وقال هذا سند جيد عن مجاهد وقول غريب خلاف الظاهر من السياق في هذا المقام وفي غيره، ثم حكى عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنه قال: «إنما كان الذين اعتدوا في السبت فجعلا قردة فوًا ثم هلكوا ما كان للمسخ نسل» وقال الضحاك عن ابن عباس: «فمسخهم الله قردة بمعصيتهم» قال: ولم يعيش مسخ قط فوق ثلاثة أيام ولم يأكل ولم يشرب ولم ينسل وقد خلق الله القردة والخنازير وسائر الخلق في الستة أيام الذي ذكرها الله في كتابه، فمسخ هؤلاء القوم في صورة القردة وكذلك يفعل بمن يشاء كما يشاء، ثم بسط أقوال العلماء في تأييد قول ابن عباس ثم قال: والغرض من هذا السياق عن هؤلاء الأئمة بيان خلاف ما ذهب إليه مجاهد من أن مسخهم إنما كان معنويًا لا صوريًا بل الصحيح أنه معنوي صوري، انتهى.

وبسط الطحاوي في مشكله الكلام على هذه الأحاديث فذكر أولًا «باب بيان شكل ما روي عن رسول الله ﷺ في القردة والخنازير» فذكر فيه حديث ابن مسعود بطرق قال: «سئل رسول الله ﷺ عن القردة والخنازير أهى مما مسخ؟ فقال: إن الله لم يهلك قومًا أو يمسخ قومًا فيجعل لهم نسلًا ولا عاقبة، وأن القردة والخنازير خلقوا قبل ذلك» ثم قال: فقال قوم في كتاب الله تعالى: ما يدفع هذه الآثار التي رويتها في هذا الباب في معنى من أهلكه الله أو مسخه أنه لا يكون له نسل ولا عقب، وهو قوله عز وجل: ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ﴾ [المائدة: 60] فذكر الله أنه جعلها من القوم الذين سخط عليهم ولعنهم، وذكره ذلك بالمعرفة لا بالنكرة فكان ذلك كالقردة والخنازير الموجودة لا على من سواها من قردة وخنازير، ولو كان ذلك على قردة وخنازير سوى الموجودة لذكره على النكرة على المعرفة فكان جوابنا لهم في ذلك أنه قد يجوز أن يكون القردة والخنازير قد كانت قبل ذلك مخلوقة على ما هي =

وفيه : تعريض لكعب الأحبار بأنه كان على دين اليهود قبل الإسلام وحاصله أن أبا هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ أَنَا أَقْرَأُ التَّوْرَةَ حَتَّى أَنْقُلَ مِنْهَا وَلَا أَقُولُ إِلَّا مِنَ السَّمْعِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَا أَخْذُ عَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ .

وفيه : أن الصحابي الذي يكون كذلك إذا أخبر مما لا مجال فيه للرأي والاجتهاد يكون له حكم الرفع ثم في سكوت كعب عن الرد على أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دَلِيلٌ عَلَى تَوَرُّعِهِ وَرَوَى مُسْلِمٌ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو كَرِيبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ عَنْ هِشَامٍ عَنْ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ الْفَأْرَةُ مَسْخٌ وَأَيَّةُ ذَلِكَ أَنَّهُ يُوَضَّعُ بَيْنَ يَدَيْهَا لَبَنُ الْغَنَمِ فَتَشْرِبُهُ وَيُوَضَّعُ بَيْنَ يَدَيْهَا لَبَنُ الْإِبِلِ فَلَا تَذُوقُهُ قَالَ لَهُ كَعْبٌ : أَسَمِعْتَ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : أَفَأَنْزَلْتَ عَلَى التَّوْرَةِ أَنْتَهَى .

فدل هذا صريحاً على أن الفأرة مسخ ولم يكن قبل ذلك وكذا كل حيوان قيل فيه إنه مسخ وأن ما كان منها بعد المسخ توالد منها هذا وكان لم يبلغ أبا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَلَا كَعْبًا حَدِيثَ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : وَذَكَرَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ الْقُرْدَةُ وَالْخَنَازِيرُ فَقَالَ إِنْ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَجْعَلْ لِمَسْخٍ نَسْلاً وَلَا عَقَبًا وَقَدْ كَانَتِ الْقُرْدَةُ وَالْخَنَازِيرُ قَبْلَ ذَلِكَ فَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمَسْخُ كَانَتْ قَبْلَ مَا وَقَعَ مِنْ ذَلِكَ وَلِهَذَا قَالَ ابْنُ قَتِيبَةَ أَنَا أَظُنُّ أَنَّ الْقُرْدَةَ وَالْخَنَازِيرَ هِيَ الْمَسْخُ

عليه كسائر الأشياء المخلوقة على ما هي عليه ، لا ممسوخة من خلق كانت عليه إلى قردة وخنائير وكانت مما تتناسل كسائر المخلوقين سواها ، ثم كان من الله تعالى جعله القردة والخنائير ممن سخط عليه من عباده الذين خرجوا من أمره واعتدوا عن عبادته فمسخهم قردة وخنائير لا تناسل لها ولا أعقاب لها فكانت في الدنيا ما شاء الله عز وجل كونها فيها ، ثم أفناها بل إعقاب وبقيت القردة والخنائير التي كانت قبل ذلك لم يلحقها مسخ فكان منها التناسل في حياتها والإعقاب بعد موتها ، فبان بحمد الله ونعمته احتمال ما حملنا قول رسول الله ﷺ ما لا يخالف في كتاب الله لها مما توهم هؤلاء الجاهلون أنه يخالفه ، ثم ذكر باب بيان مشكل ما روي عن رسول الله ﷺ في خشبته أن تكون الفأرة من المسوخ وهل كان دفع بعد ذلك تلك الخشية وبأن له ﷺ أنها ليست من المسوخ فذكر حديث أبي هريرة المذكور في البخاري ثم قال : فكان فيما رويتنا في الباب الذي قبل هذا من قوله ﷺ : «إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَهْلِكْ قَوْمًا فَيَجْعَلْ لَهُمْ نَسْلًا» ما قد دل أن ما قاله رسول الله ﷺ في الفأر كان منه قبل أن يعلمه الله تعالى ما أعلمه من أنه لا يجعل لمن أهلك نسلًا ، انتهى مختصراً .

3306 - حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عُفَيْرٍ، عَنِ ابْنِ وَهْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي يُونُسُ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عُرْوَةَ، يُحَدِّثُ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «لِلْوَزْغِ الْفُؤَيْسِقُ» وَلَمْ أَسْمَعْهُ أَمَرَ بِقَتْلِهِ وَزَعَمَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَ بِقَتْلِهِ.

بأعيانها توالدت إلا أن يصح هذا الحديث وأراد به حديث أبي سعيد المذكور وهو صحيح والظاهر أنه ﷺ قاله أولاً ثم أعلم بعد بما رواه أبو سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ولهذا قَالَ ﷺ: «لا أراها إلا الفأر» فكأنه كان يظن ذلك ثم أعلم بأنها ليست هي هي والله تعالى أعلم.

(حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عُفَيْرٍ) بضم المهملة وفتح الفاء وبالراء مصغر وقد مر في العلم قَالَ: حَدَّثَنَا (عَنِ ابْنِ وَهْبٍ) هو عَبْدُ اللَّهِ بن وهب (قَالَ: حَدَّثَنِي) بالافراد (يُونُسُ) هو ابن يزيد الأيلي، (عَنِ ابْنِ شِهَابٍ) الزُّهْرِيُّ، (عَنْ عُرْوَةَ) أي: ابن الزبير، (يُحَدِّثُ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: لِلْوَزْغِ بِالزاي والمعجمة جمع الوزغة وهي دويبة معروفة وكانت تنفخ على نار إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

(الْفُؤَيْسِقُ) بتصغير التحقير.

(وَلَمْ أَسْمَعْهُ أَمَرَ بِقَتْلِهِ) وهو قول عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

قَالَ ابن التين: ولا حجة فيه لأنه لا يلزم من عدم سماعها عدم الوقوع وقد حفظه غيرها وقد جاء عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا من وجه آخر عند أحمد وابن ماجة أنه كان في بيتها رمح موضوع فسئلت فقالت تقتل به الوزغ فإن النَّبِيَّ ﷺ أخبر أن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ لما ألقى في النار ولم يكن في الأرض دابة إلا أطفأت عنه النار إلا الوزغ فإنها كانت تنفخ عليه النار فأمر النَّبِيَّ ﷺ بقتلها.

وَقَالَ الْحَافِظُ الْعَسْقَلَانِيُّ: والذي في الصحيح أصح ولعل عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا سمعت ذلك من بعض الصحابة وأطلقت لفظ أنا مجازاً أي: أخبر الصحابة كما قَالَ ثابت البناني خطبنا عمران وأراد به خطب أهل البصرة فإنه لم يسمع منه انتهى.

وهذا بعيد جداً.

(وَزَعَمَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَ بِقَتْلِهِ) الظاهر أن قائل ذلك

3307 - حَدَّثَنَا صَدَقَةُ، أَخْبَرَنَا ابْنُ عُيَيْنَةَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ جُبَيْرِ ابْنِ شَيْبَةَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، أَنَّ أُمَّ شَرِيكَ، أَخْبَرَتْهُ «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَهَا بِقَتْلِ الْأَوْزَاعِ».

3308 - حَدَّثَنَا عُبَيْدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ،

عُرْوَةٌ ويحتمل أن يكون عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وعلى الأول يكون متصلًا فإنه سمع من سعد وعلى الثاني يكون من رواية القرين عن قرينه ويكون متصلًا أيضًا ويحتمل أن يكون من قول الزُّهْرِيِّ فيكون منقطعًا .

قَالَ الْحَافِظُ الْعَسْقَلَانِيُّ: وَهَذَا الاحتمال الأخير أرجح فإن الدارقطني أَخْرَجَهُ فِي الْغَرَائِبِ مِنْ طَرِيقِ ابْنِ وَهْبٍ عَنْ يُونُسَ وَمَالِكٍ مَعًا عَنْ ابْنِ شَهَابٍ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِلْوَزْغِ: «فَوَيْسِقْ» وَعَنْ ابْنِ شَهَابٍ عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: «أَمَرَ بِقَتْلِ الْوَزْغِ».

وقد أخرج مسلم والنسائي وابن ماجه وابن حبان حديث عائشة رضي الله عنها من طريق ابن وهب وليس عندهم حديث سعد وأخرج مسلم وأبو داود وأحمد وابن حبان من طريق معمر عن الزهري عن عامر بن سعد عن أبيه أن النبي ﷺ أمر بقتل الوزغ وسماه فويسقا وكان الزهري وصله لمعمر وأرسله ليونس ولم أر من نبه على ذلك من الشراح ولا من أصحاب الأطراف فله الحمد.

انتهى والحديث مضى في كتاب الحج في باب ما يقتل المحرم من الدواب.
(حَدَّثَنَا صَدَقَةُ) ابْنُ الْفَضْلِ قَالَ: (أَخْبَرَنَا ابْنُ عُيَيْنَةَ) هُوَ سُفْيَانُ قَالَ: (حَدَّثَنَا عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ جُبَيْرٍ بْنُ شَيْبَةَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، أَنَّ أُمَّ شَرِيكٍ) واسمها غزية بضم الغين المعجمة وفتح الزاي مصغر وقيل: غزيلة وهي عامرية قرشية.
وقيل: أنصارية.

ويقال : دوسية.

(أخبرته أن النَّبِيَّ ﷺ أمرها بقتل الأوزاع) والحديث أخرجه المؤلف في أحاديث الأنبياء عليهم السلام أيضاً وأخرجه مُسْلِمٌ في الحيوان والنسائي في الحج وابن ماجه في الصيد.

(حَدَّثَنَا عُيَيْدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ) عبيد بالتصغير قَالَ: (حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ) حماد بن

عَنْ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اقتُلُوا ذَا الطُّفَيْتَيْنِ، فَإِنَّهُ يَلْتَمِسُ الْبَصَرَ، وَيُصِيبُ الْحَبْلَ».

3309 - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا يَحْيَى، عَنْ هِشَامٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِقَتْلِ الْأَبْتَرِ وَقَالَ: «إِنَّهُ يُصِيبُ الْبَصَرَ، وَيُذْهِبُ الْحَبْلَ».

3310 - حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ، عَنْ أَبِي يُونُسَ الْقَشِيرِيِّ، عَنْ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، أَنَّ ابْنَ عُمَرَ، كَانَ يَقْتُلُ الْحَيَّاتِ ثُمَّ نَهَى، قَالَ: إِنَّ.....

سلمة، (عَنْ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا) أنها (قَالَتْ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ⁽¹⁾ اقتُلُوا ذَا الطُّفَيْتَيْنِ، فَإِنَّهُ يَلْتَمِسُ) أي: يطلب (الْبَصَرَ) ليأخذه ويطمسه ويعميه، (وَيُصِيبُ الْحَبْلَ) أي: يسقطه.

والحديث قد مضى عن قريب عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بنحوه.
تَابَعَهُ أَي: تابع أبا أسامة حمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ أبا أسامة في روايته عن هشام وقد وصل أحمد هذه المتابعة عن عفان عنه.

(حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ) قَالَ: (حَدَّثَنَا يَحْيَى) هو القطان، (عَنْ هِشَامٍ) أنه قَالَ: (حَدَّثَنِي أَبِي) أي: عُرْوَةَ، (عَنْ عَائِشَةَ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها (قَالَتْ: أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِقَتْلِ الْأَبْتَرِ) وقد مر تفسيره عن قريب.

(وَقَالَ: «إِنَّهُ يُصِيبُ الْبَصَرَ، وَيُذْهِبُ الْحَبْلَ» حَدَّثَنِي) بالإفراد (عَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ) أي: ابن بحر أو حفص الصيرفي البصري القشيري قَالَ: (حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ) هو مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَبِي عَدِيٍّ، (عَنْ أَبِي يُونُسَ) حاتم بن مسلم البصري (الْقَشِيرِيِّ) بضم القاف وفتح الشين المعجمة وسكون المثناة التحتية وبالراء نسبة إلى قشير بن كعب بن ربيعة قبيلة كبيرة وهو المشهور بابن أبي صغيرة بفتح الصاد ضد الكبيرة وهو زوج أم حاتم.

(عَنْ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ) هو عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ.
(أَنَّ ابْنَ عُمَرَ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (كَانَ يَقْتُلُ الْحَيَّاتِ ثُمَّ نَهَى، قَالَ: إِنَّ

النَّبِيِّ ﷺ هَدَمَ حَائِطًا لَهُ، فَوَجَدَ فِيهِ سِلْخَ حَيَّةٍ، فَقَالَ: «انْظُرُوا أَيْنَ هُوَ» فَنَظَرُوا، فَقَالَ: «اقْتُلُوهُ» فَكُنْتُ أَقْتُلُهَا لِذَلِكَ.

3311 - فَلَقِيتُ أَبَا لُبَابَةَ، فَأَخْبَرَنِي أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَا تَقْتُلُوا الْجِنَّانَ، إِلَّا كُلَّ أَبْتَرٍ ذِي طُفَيْتَيْنِ»

النَّبِيِّ ﷺ) ويروى أن نبي الله ﷺ (هَدَمَ حَائِطًا لَهُ، فَوَجَدَ فِيهِ سِلْخَ حَيَّةٍ) بكسر السين المهملة وسكون اللام بعدها معجمة وهو جلد لها يقال انسلخ الشهر من سنته والحية من قشرها.

(فَقَالَ: «انْظُرُوا أَيْنَ هُوَ» فَنَظَرُوا، فَقَالَ: «اقْتُلُوهُ» فَكُنْتُ أَقْتُلُهَا لِذَلِكَ) كذا وقع هنا مرفوعاً هنا وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ من وجه آخر موقوفاً فأخرج من طريق الليث عن نافع أن أبا لبابة كلم ابنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ليفتح له باباً في داره يستقرب بها إلى المسجد فوجد الغلمان جلد جان فَقَالَ ابن عمر التمسوه فاقتلوه فَقَالَ أَبُو لبابة لا تقتلوه ومن طريق يَحْيَى بن سعيد وعمر بن نافع عن نافع نحوه ويحتمل أن تكون القصة وقعت مرتين ويدل لذلك قول ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في هذه الرواية وكنت أقتلها لذلك وهو القائل:

(فَلَقِيتُ أَبَا لُبَابَةَ، فَأَخْبَرَنِي أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: لَا تَقْتُلُوا الْجِنَّانَ) بكسر الجيم وتشديد النون جمع جان وهي الحية البيضاء أو الصغيرة.
وقيل: الرقيقة الخفيفة.

وقيل: الرقيقة البيضاء⁽¹⁾.

(إِلَّا كُلَّ أَبْتَرٍ ذِي طُفَيْتَيْنِ) قَالَ الْحَافِظُ الْعَسْقَلَانِيُّ: إن كان الاستثناء متصلاً ففيه تعقب على من زعم أن ذا الطفيتين والأبتر ليس من الجنان ويحتمل أن يكون منقطعاً أي: لكن كل ذي طفيتين فاقتلوه فإن قيل قد تقدم اقتلوا ذا الطفيتين والأبتر بالواو وإشارة إلى أنهما صنفان وهذا يدل على أنهما صنف واحد فالجواب أن الواو للجمع بين الوصفين لا بين الذاتين فمعناه اقتلوا الحية الجامعة بين وصف الأبترية وكونها ذات الطفيتين كقولهم مررت بالرجل الكريم

(1) وقد وجد في بعض حواشي نسخ البخاري الجنان الحيات التي تكون في البيوت جمع جان وهو الدقيق الحظن.

فَإِنَّهُ يُسْقِطُ الْوَلَدَ، وَيُذْهِبُ الْبَصَرَ فَأَقْتُلُوهُ».

3312 - حَدَّثَنَا مَالِكُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا جَرِيرُ بْنُ حَارِثٍ، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّهُ كَانَ يَقْتُلُ الْحَيَّاتِ.

3313 - فَحَدَّثَهُ أَبُو لُبَابَةَ: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى عَنْ قَتْلِ جَنَّاتِ الْبُيُوتِ، فَأَمْسَكَ عَنْهَا».

16 - بَاب: خَمْسٌ مِنَ الدَّوَابِّ فَوَاسِقُ، يُقْتَلْنَ فِي الْحَرَمِ⁽¹⁾

والنسمة المباركة أيضًا لا منافاة بين أن يرد الأمر بقتل ما اتصف بإحدى الصفتين وبقتل ما اتصف بهما معًا لأن الصفتين قد تجتمعان فيها وقد تفرقان.

(فَإِنَّهُ يُسْقِطُ الْوَلَدَ، وَيُذْهِبُ الْبَصَرَ فَأَقْتُلُوهُ حَدَّثَنَا مَالِكُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ) قَالَ: (حَدَّثَنَا جَرِيرُ بْنُ حَارِثٍ) بفتح الجيم في الأول وبالزاي في الثاني.

(عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّهُ كَانَ يَقْتُلُ الْحَيَّاتِ، فَحَدَّثَهُ أَبُو لُبَابَةَ: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى عَنْ قَتْلِ جَنَّاتِ الْبُيُوتِ، فَأَمْسَكَ عَنْهَا»)

قد مر الكلام فيه.

16 - بَاب: خَمْسٌ مِنَ الدَّوَابِّ فَوَاسِقُ، يُقْتَلْنَ فِي الْحَرَمِ

(بَاب) بالتونين، (خَمْسٌ) مرفوع بالابتداء (مِنَ الدَّوَابِّ) جمع دَابَّة، من دَبَّ على الأرض يَدِبُّ دَبِيحًا، وكل ماش على الأرض فهو دابة وأيضًا الدابة التي تركب وقيل: مخصوص ودابة الأرض أحد أشراط الساعة.

(فَوَاسِقُ) صفة خمس أو خبره⁽²⁾ (يُقْتَلْنَ) على صيغة المجهول خبرًا وخبر

(1) جعل الشراح هذا الباب أيضًا الأولى بالحذف، فقد قال الحافظ: وقع في رواية السرخسي: «باب إذا وقع الذباب في شراب أحكمم إلخ» ولا معنى لذكره ههنا، ووقع عنده أيضًا «باب خمس من الدواب إلخ» وسقط من رواية غيره وهو أولى، اهـ.

وهكذا قال العيني في «باب إذا وقع الذباب إلخ» إنما وقع ههنا في رواية أبي ذر عن بعض شيوخه وحذف الباقي، وحذفه أولى لأن الأحاديث التي تأتي بعد هذا الحديث لا تعلق لها بذلك ولا مطابقة بينها وبين هذه الترجمة كما ترى، اهـ.

(2) أصل الفسق الخروج عن الطريق المستقيم وهذه الخمس خرجن عن طريق معظم الحشرات بزيادة الضرر والأذى.

3314 - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ، حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «خَمْسٌ فَوَاسِقُ، يُقْتَلْنَ فِي الْحَرَمِ: الْفَأْرَةُ، وَالْعَقْرَبُ، وَالْحُدْيَا، وَالْغُرَابُ، وَالْكَلْبُ الْعَقُورُ».

3315 - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ، أَخْبَرَنَا مَالِكٌ، عَنْ

ثان (فِي الْحَرَمِ) يعلم منه أن جواز قتلها في غير الحرم بالطريق الأولى (1).
(حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ) قَالَ: (حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ) مصغر زرع قَالَ: (حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ) هو ابن راشد، (عَنِ الزُّهْرِيِّ)، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ) أنه (قَالَ: خَمْسٌ فَوَاسِقُ) أي: خمس من الدواب فواسق (يُقْتَلْنَ فِي الْحَرَمِ) أي: فضلاً عن الحل.

(الْفَأْرَةُ، وَالْعَقْرَبُ، وَالْحُدْيَا) بضم الحاء وفتح الدال المهملتين وتشديد المثناة التحتية مقصوراً وهو مصغر حِدَاة على وزن عنبه وقياسه الحدية فزيد فيه الألف للإشباع وقد أنكر ثابت في الدلائل هذه الصيغة قَالَ: والصواب الحديثية أي: بهمز وزيادة ياء أو بالتشديد بغير همز قَالَ والصواب أن الحديا ليس من هذا وإنما هو من التحدي يقولون فلان يتحدى فلاناً أي: ينازعه ويغالبه وعن ابن أبي حاتم أهل الحجاز يقولون لهذا الطائر الحديا ويجمعونه الحدادي وكلاهما خطأ وأما الأزهري فصوبه وَقَالَ: الحديا تصغير الحديّ وقد يقال إنه موضوع على صيغة التصغير وقد وقع في حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا الآتي والحدأة.

قَالَ الجوهري: الحدأة مثال عنبه وجمعها حدأ مثل عنب ولا يقال حداءة.
(وَالْغُرَابُ، وَالْكَلْبُ الْعَقُورُ) وقد مرّ الحديث في كتاب الحج في باب ما يقتل المحرم من الدواب وقد مر الكلام فيه، ومطابقته للترجمة ظاهرة.

(حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ) القعني (2) قَالَ: (أَخْبَرَنَا مَالِكٌ) الإمام، (عَنْ

(1) وقد وقع في رواية السرخسي هنا باب إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه فإن في أحد جناحيه داء وفي الآخر شفاء، ولا معنى لذكره هنا وسقط في رواية غيره وهو أولى.

(2) قيل للقعني حدث ولم تكن تحدث قال رأيْتُ كأن القيامة قد قامت فصيح يا أهل العلم فقاموا فقمْتُ معهم فيصبح بي اجلس فقلت إلهي ألم أكن معهم أطلب قال: بلى ولكنهم نشروا وأخفيت فحدثت وروي أَنَّ رجلاً جاء إلى الإمام مالك فقال: وقدم القعني فقال: قوموا بنا إلى خير أهل الأرض.

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ دِينَارٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «خَمْسٌ مِنَ الدَّوَابِّ، مَنْ قَتَلَهُنَّ وَهُوَ مُحَرِّمٌ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ: الْعَقْرَبُ، وَالْفَأْرَةُ، وَالْكَلْبُ الْعَقُورُ، وَالْغُرَابُ، وَالْحِدَاةُ».

3316 - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ كَثِيرٍ، عَنْ عَطَاءٍ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، رَفَعَهُ، قَالَ: «خَمَرُوا الْآيَةَ، وَأَوْكُوا الْأُسْقِيَةَ،

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ دِينَارٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «خَمْسٌ مِنَ الدَّوَابِّ، مَنْ قَتَلَهُنَّ وَهُوَ مُحَرِّمٌ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ: الْعَقْرَبُ، وَالْفَأْرَةُ، وَالْكَلْبُ الْعَقُورُ، وَالْغُرَابُ، وَالْحِدَاةُ» وقد مر الحديث أيضًا في كتاب الحج في باب ما يقتل المحرم من الدواب عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بلفظ خمس من الدواب ليس في قتلهن على المحرم جناح ومطابقته للترجمة كالسابق. (حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ) قَالَ: (حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ كَثِيرٍ) بالمثلثة ضد القليل هو ابن شنظير بكسر الشين المعجمة وسكون النون وكسر الظاء المعجمة وسكون المثناة التحتية آخره راء أبوقرة الأزدي البصري.

قَالَ ابن معين فيه: ليس بشيء.

وَقَالَ الْحَاكِمُ: مراده بذلك أنه ليس له من الحديث ما يشتغل به وَقَالَ فيه ابن معين أيضًا مرة صالح وكذا قَالَ أحمد. وَقَالَ ابن عدي: أرجو أن تكون أحاديثه مستقيمة وليس له في الْبُخَارِيِّ سوى هذا الحديث.

(عَنْ عَطَاءٍ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) أنه (رَفَعَهُ) إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ⁽¹⁾ (قَالَ: خَمَرُوا) من التخميم بالخاء المعجمة وهو التغطية. (الْآيَةَ) أي: غطوها وقد مر في الرواية التي في صفة إبليس وخمر إناءك واذكر اسم الله ولو أن تعرض عليه شيئًا وهو بضم الراء وبكسرهما. (وَأَوْكُوا الْأُسْقِيَةَ) بكسر الكاف بعدها همزة أي: اربطوها وشدوها والوكاء

(1) ووقع عند الإسماعيلي من وجهين عن حماد بن زيد قال رسول الله ﷺ وإنما قال رفعه لأنه أعم أن يكون بالواسطة أو غيرها وأن يكون الرفع مقارنًا لرواية الحديث أم لا؟ فأراد الإشارة إليه كذا قال الكرمانى.

وَأَجِيفُوا الْأَبْوَابَ وَاكْفُتُوا صَبْيَانَكُمْ عِنْدَ الْعِشَاءِ، فَإِنَّ لِلْجَنِّ انْتِشَارًا وَخَطْفَةً،

وهو اسم لما يسد به فم القربة.

(وَأَجِيفُوا الْأَبْوَابَ) بالجيم والفاء في الإجافة أي: أغلقوها يقال أجفت الباب إذا أغلقته ورددته وَقَالَ الْقَزَازُ تقول جفأت الباب أغلقته قَالَ ابن التين لم أر من ذكره هكذا غيره وفيه نظر فَإِنْ أَجِيفُوا لَامَهُ فاء وجفأت لَامَهُ همزة.

وَقَالَ الْعَيْنِيُّ: معنى جفأت مهموز اللام فرغت يقال جفأت القدر إذا فرغته وفي حديث جبير أنه حرم الحمر الأهلية فجعفوا القدور أي: فرغوها وقلبوها وروى فاجعفوا قَالَ ابن الأثير وهي لغة فئة قليلة.

وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ: جفأت القدر إذا كفأتها أو أملتتها فصبيت ما فيها ولا تقل أجفأتها وأما الذي في الحديث فاجعفوا قدورهم بما فيها فهي لغة مجهولة، انتهى.

والذي في الحديث ذكره ابن الأثير في باب أجوف معتل العين بالواو ثم قَالَ: وفي حديث الحج أنه دخل البيت وأجاف الباب أي: رده عليه ومنه الحديث أجيفوا أبوابكم أي: ردوها وفي الرواية الماضية وأغلقوا الأبواب واذكروا اسم الله فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَفْتَحُ بَابًا مَغْلَقًا.

(وَاكْفُتُوا صَبْيَانَكُمْ) بهمزة وصل وكسر الفاء ويجوز ضمها بعدها مثناة فوقية. (عِنْدَ الْعِشَاءِ) ويروى عند المساء أي: ضمهم إليكم وامنعوهم من الحركة في ذلك الوقت من كفت الشيء أكفته كفتا من باب ضرب أو نصر إذا ضمته إلى نفسك وفي الرواية المتقدمة في هذا الباب إذا جنح الليل أو إذا أمسيتم فكفوا صبيانكم.

(فَإِنَّ لِلْجَنِّ انْتِشَارًا وَخَطْفَةً) بفتح الخاء المعجمة وسكون الطاء المهملة وبالفاء وهو استلاب الشيء وأخذه بسرعة يقال خطف الشيء يخطفه من باب علم يعلم وكذا اختطفه يخططفه ويقال فيه أَيضًا خطف يخطف من باب ضرب يضرب وهو قليل وفي الرواية الماضية فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ تنتشر حينئذ فإذا ذهبت ساعة من الليل فخلوهم.

وفي رواية الكشميهني: فإذا ذهب وكأنه ذكره باعتبار الوقت.

وَأَظْفِئُوا الْمَصَابِيحَ عِنْدَ الرَّقَادِ، فَإِنَّ الْفُؤَيْسِقَةَ رُبَّمَا اجْتَرَّتِ الْفَتِيلَةَ فَأَحْرَقَتْ أَهْلَ الْبَيْتِ»، قَالَ: ابْنُ جُرَيْجٍ وَحَبِيبٌ، عَنْ عَطَاءٍ «فَإِنَّ لِلشَّيَاطِينِ».

(وَأَظْفِئُوا الْمَصَابِيحَ عِنْدَ الرَّقَادِ) أي: عند النوم، (فَإِنَّ الْفُؤَيْسِقَةَ) أي: الفأرة رُبَّمَا جَرَّتْ بالجيم وتشديد الراء في رواية الإسماعيلي.

(رُبَّمَا اجْتَرَّتِ الْفَتِيلَةَ فَأَحْرَقَتْ أَهْلَ الْبَيْتِ) وسيأتي في الاستئذان من حديث ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مرفوعاً لا تتركوا النار في بيوتكم حين تنامون.

قَالَ النَّوَوِيُّ هذا عام يدخل فيه نار السراج وغيره وأما القناديل المعلقة فإن خيف بسببها حريق دخلت في ذلك وإن حصل الأمن منها كما هو الغالب فلا بأس بها لانتفاء العلة.

وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ: جميع أوامر هذا الباب من باب الإرشاد إلى المصلحة ويحتمل أن تكون للندب ولا سيما في حق من يفعل ذلك بنية امتثال الأمر.

وَقَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ: ظن قوم أن الأمر بغلق الأبواب عام في الأوقات كلها وليس كذلك وإنما هو مقيد بالليل وكأن اختصاص الليل بذلك لأن النهار غالباً محل التيقظ بخلاف الليل والأصل في جميع ذلك يرجع إلى الشيطان فإنه هو الذي يسوق الفأرة إلى جر الفتيلة.

ومطابقة الحديث للترجمة من حيث أن فيه ذكر الفويسقة التي المراد منها الفأرة.

(قَالَ: ابْنُ جُرَيْجٍ) هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، (وَحَبِيبٌ) هو ابن أبي قريبة أَبُو مُحَمَّدٍ المعلم البصري، (عَنْ عَطَاءٍ «فَإِنَّ لِلشَّيَاطِينِ»)) أراد أنهما روايا هذا الحديث عن عطاء بن أبي رباح عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كما في رواية ابن شنظير إلا أنهما قالا في روايتهما فإن للشيطان بدل قول ابن شنظير في روايته فإن للجن ووجه التوفيق أنه لا محذور في القول بانتشار الصنفين وقيل هما حقيقة واحدة يختلفان بالصفات ثم تعليق ابن جريج وصله الْبُخَارِيُّ في أوائل هذا الباب وتعليق حبيب وصله أحمد وأبو يعلى من طريق حماد بن سلمة عنه، واللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

3317 - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، أَخْبَرَنَا يَحْيَى بْنُ أَدَمَ، عَنْ إِسْرَائِيلَ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَلْقَمَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَارٍ، فَتَزَلَّتْ: ﴿وَالْمُرْسَلَتِ عُرْفًا﴾ [المرسلات: 1] فَإِنَّا لَنَتَلَقَّاهَا مِنْ فِيهِ، إِذْ خَرَجَتْ حَيَّةٌ مِنْ جُحْرِهَا، فَأَبْتَدَرْنَاهَا لِنَقْتُلَهَا، فَسَبَقَتْنَا فَدَخَلَتْ جُحْرَهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَقَيْتُ شَرَّكُمْ كَمَا وَقَيْتُمْ شَرَّهَا» وَعَنْ إِسْرَائِيلَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَلْقَمَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ مِثْلَهُ، قَالَ: وَإِنَّا لَنَتَلَقَّاهَا مِنْ فِيهِ رَطْبَةً.....

(حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ) ضد الحرة (ابن عَبْدِ اللَّهِ) أَبُو سهل الصفار الخزاعي البصري قَالَ: (أَخْبَرَنَا يَحْيَى بْنُ أَدَمَ) أي: ابن سليمان القرشي المخزومي الكوفي صاحب الثوري، (عَنْ إِسْرَائِيلَ) هو ابن يونس بن أبي إسحاق السبيعي، (عَنْ مَنْصُورٍ) هو ابن المعتمر، (عَنْ إِبْرَاهِيمَ) النخعي، (عَنْ عَلْقَمَةَ) أي: ابن قيس النخعي عم الأسود بن يزيد وعم أم إِبْرَاهِيمَ، (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ) ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَارٍ، فَتَزَلَّتْ: ﴿وَالْمُرْسَلَتِ عُرْفًا﴾ (أي: تلك السورة، (فَإِنَّا لَنَتَلَقَّاهَا مِنْ فِيهِ، إِذْ خَرَجَتْ حَيَّةٌ مِنْ جُحْرِهَا) بضم الجيم وسكون الحاء المهملة.

(فَأَبْتَدَرْنَاهَا لِنَقْتُلَهَا، فَسَبَقَتْنَا فَدَخَلَتْ جُحْرَهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَقَيْتُ) على البناء للمفعول من وقى بقي وقاية إذا حفظ.

(شَرَّكُمْ كَمَا وَقَيْتُمْ شَرَّهَا) فإن قيل كان قتلهم لها خيراً لأنه مأمور به فالجواب هو شر بالنسبة إليها وإن كان خيراً بالنسبة إليهم والخير والشرور من الأمور الإضافية.

(وَعَنْ إِسْرَائِيلَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَلْقَمَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (مِثْلَهُ، قَالَ: وَإِنَّا لَنَتَلَقَّاهَا مِنْ فِيهِ رَطْبَةً) أشار بهذا إلى أن إسرائيل المذكور كما روى الحديث عن منصور عن إِبْرَاهِيمَ فكذلك رواه عن سليمان الأعمش عن إِبْرَاهِيمَ ولم يختلف عليه أنه من رواية إِبْرَاهِيمَ ف قوله من فيه أي: من فمه قوله رطوبة أي: غضة طرية في أول ما تلاها ووصفت التلاوة بالרטوبة والمراد رطوبة فمه يعني أنهم أخذوها عنه قبل أن يجف ريقه من تلاوتها وهو كناية عن سرعة أخذهم على الفور حين سمعوه من غير تأخير ولا توان ويحتمل

وَتَابَعَهُ أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ مُغِيرَةَ، وَقَالَ: حَفْصٌ، وَأَبُو مُعَاوِيَةَ، وَسَلِيمَانُ بْنُ قَرْمٍ، عَنْ الْأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ الْأَسْوَدِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ.

3318 - حَدَّثَنَا نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْأَعْلَى، حَدَّثَنَا

أن يكون وصفها لها لسهولةا والأول أشبه وفيه جواز قتل الحية في الحرم وجواز قتلها في جحرها وبهذا يطابق الترجمة.

(وَتَابَعَهُ) أي: تابع إسرائيل (أَبُو عَوَانَةَ) الواضح اليشكري في روايته، (عَنْ مُغِيرَةَ) هو⁽¹⁾ ابن مقسم عن إِبْرَاهِيمَ وهذه متابعة ستاتي في تفسير المرسلات إن شاء الله تعالى.

(وَقَالَ: حَفْصٌ) هو ابن غياث، (وَأَبُو مُعَاوِيَةَ) هو مُحَمَّدُ الضَّرِيرِ، (وَسَلِيمَانُ بْنُ قَرْمٍ) بفتح القاف وسكون الراء وفي آخره ميم الضبي.

(عَنْ الْأَعْمَشِ) سليمان بن مهران، (عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ الْأَسْوَدِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أراد أن هؤلاء الثلاثة خالفوا إسرائيل فجعلوا الأسود بن يزيد بدل علقمة بن قيس.

أما رواية حفص فوصلها البُخَارِيُّ في الحج.

وأما رواية أبي معاوية فأخرجها أحمد عنه وكذا أخرجها مسلم من حديث أبي معاوية عن الأعمش عن إِبْرَاهِيمَ عن الأسود عن عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَارِ الْحَدِيثِ.

وأما رواية سليمان بن قمر فَقَالَ الْحَافِظُ الْعَسْكَلَانِيُّ لم أقف عليها موصولة.

(حَدَّثَنَا نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ) بسكون المهملة (ابْنُ عَلِيٍّ) ابن نصر بن علي الجهضمي الأزدي البصري طلبه المستعين للقضاء فَقَالَ أَسْتَخِيرُ فَصْلِي رَكَعَتَيْنِ وَدَعَا وَنَامَ فَقَبِضَ وَيُرْوَى أَنَّهُمْ جَاؤُوا بَعْدَهُ الْقَضَاءُ فَقَالَ أَخْرَوْهَا إِلَى الْعِشِيِّ فَلَمَّا خَرَجَ إِلَى صَلَاةِ الظُّهْرِ عَاوَدُوهُ وَقَالَ سَأَلْتُكُمْ إِلَى الْعِشِيِّ وَعَسَى أَنْ يَكْفِيَ اللَّهَ قَالُوا ثُمَّ دَخَلَ إِلَى مَنْزِلِهِ فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ وَسَجَدَ وَسَأَلَ اللَّهَ أَنْ يَقْبِضَ إِلَيْهِ فَمَاتَ وَهُوَ سَاجِدٌ رَجَمَهُ اللَّهُ سَنَةَ خَمْسٍ وَمِائَتَيْنِ قَالَ: (أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْأَعْلَى) هو ابن عبد الأعلى قَالَ: (حَدَّثَنَا

(1) بكسر الميم وفتح السين المهملة.

عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «دَخَلَتْ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هِرَّةٍ رَبَطَتْهَا، فَلَمْ تُطْعِمَهَا، وَلَمْ تَدْعَهَا تَأْكُلْ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ».....

عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ) أنه (قَالَ: دَخَلَتْ امْرَأَةٌ النَّارَ) قَالَ الْحَافِظُ الْعَسْقَلَانِيُّ لَمْ أَقِفْ عَلَى اسْمِهَا وَوَقَعَ فِي رِوَايَةِ أَنَّهَا حَمِيرِيَّةٌ سُودَاءٌ طَوِيلَةٌ وَفِي رِوَايَةِ أُخْرَى امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَعَذَّبَ فِي النَّارِ وَفِي أُخْرَى لَمْ يَقُلْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تَنَافَى بَيْنَهُمَا لِأَنَّ طَائِفَةً مِنْ حَمِيرٍ كَانُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ⁽¹⁾ وَفِي التَّوْضِيحِ يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْمَرْأَةُ كَافِرَةٌ لَكِنْ ظَاهِرُ الْحَدِيثِ إِسْلَامُهَا وَعَذَّبَتْ عَلَى إِصْرَارِهَا عَلَى ذَلِكَ وَلَيْسَ فِي الْحَدِيثِ تَخْلِيدُهَا وَرَوَى الْحَافِظُ أَبُو نَعِيمٍ فِي تَارِيخِ أَصْبَهَانَ أَنَّهَا كَانَتْ كَافِرَةً وَكَذَلِكَ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي الْبَعْثِ وَالنُّشُورِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَيَكُونُ مِنْ جُمْلَةِ اسْتِحْقَاقِهَا النَّارَ حَبْسَ الْهَرَّةِ.

(فِي هِرَّةٍ) كَلِمَةٌ فِي التَّلْعِيلِ أَي: لِأَجْلِ هَرَّةٍ وَبِسَبَبِهَا وَفِي رِوَايَةِ مُسْلِمٍ مِنْ طَرِيقِ هَمَامٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ جَرَى هَرَّةٍ بَفَتْحِ الْجِيمِ وَتَشْدِيدِ الرَّاءِ بِالْقَصْرِ وَالْمَدِّ أَي: مِنْ أَجْلِ هَرَّةٍ وَالْهَرَّةُ أَثْنَى السَّنُورِ وَالْهَرُ الذِّكْرُ وَيَجْمَعُ عَلَى هَرَّةٍ كَقَرْدٍ وَقَرْدَةٍ وَالْهَرَّةُ عَلَى هَرٍّ كَقَرْبَةٍ وَقَرَبٍ وَفِي حَدِيثِ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْمَاضِي فِي الْكُسُوفِ وَعَرَضَتْ عَلَيَّ النَّارُ فَرَأَيْتُ فِيهَا امْرَأَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَعَذَّبُ فِي هَرَّةٍ لَهَا الْحَدِيثُ.

(رَبَطَتْهَا، فَلَمْ تُطْعِمَهَا، وَلَمْ تَدْعَهَا تَأْكُلْ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ) بَفَتْحِ الْخَاءِ الْمَعْجَمَةِ وَكُسْرُهَا وَضَمُّهَا وَبِالشِّينَيْنِ الْمَعْجَمَتَيْنِ بَيْنَهُمَا أَلْفٌ وَالْأُولَى خَفِيفَةٌ كَالثَّانِيَةِ وَالْمُرَادُ هَوَامُ الْأَرْضِ وَحَشَرَاتُهَا مِنْ فَأَرَةٍ وَنَحْوِهَا.

وَحَكَى النَّوَوِيُّ: أَنَّهُ رَوَى بِالْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ وَالْمُرَادُ نَبَاتُ الْأَرْضِ قَالَ وَهُوَ ضَعِيفٌ أَوْ غُلَطٌ.

قَالَ الْحَافِظُ الْعَسْقَلَانِيُّ: وَظَاهِرُ هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ الْمَرْأَةَ عَذَّبَتْ بِسَبَبِ قَتْلِ هَذِهِ الْهَرَّةِ بِالْحَبْسِ.

(1) كَانُوا دَخَلُوا فِي الْيَهُودِيَّةِ فَنُسِبَتْ إِلَى دِينِهَا تَارَةً وَإِلَى قَبِيلَتِهَا أُخْرَى.

قَالَ: وَحَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ، عَنْ سَعِيدِ الْمَقْبُرِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِثْلَهُ.
 3319 - حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي أُوَيْسٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ،
 عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «نَزَلَ نَبِيٌّ مِنَ
 الْأَنْبِيَاءِ تَحْتَ شَجَرَةٍ، فَلَدَعَتْهُ نَمْلَةٌ،

قَالَ الْقَاضِي عِيَاضُ: يَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ عَذِبَتْ بِالنَّارِ حَقِيقَةً أَوْ بِالحِسَابِ لِأَنَّ
 مِنْ نَوْقِشٍ فِي الحِسَابِ عَذَابٌ ثُمَّ يَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ كَافِرَةً فَعَذِبَتْ بِكُفْرِهَا وَزِيدَتْ
 عَذَابًا بِسَبَبِ ذَلِكَ قَالَ النَّوَوِيُّ وَالَّذِي يَظْهَرُ أَنَّهَا كَانَتْ مُسْلِمَةً وَإِنَّمَا دَخَلَتْ النَّارَ
 بِهَذِهِ الْمَعْصِيَةِ وَفِيهِ جَوَازُ اتِّخَاذِ الْهَرَّةِ وَرِبَاطِهَا إِذَا لَمْ يَهْمَلْ إِطْعَامُهَا وَسَقْيُهَا
 وَيَلْتَحِقُ بِذَلِكَ غَيْرُهَا مِمَّا فِي مَعْنَاهَا وَأَنَّ الْهَرَ لَا يَمْلِكُ وَإِنَّمَا يَجِبُ إِطْعَامُهُ عَلَى
 مَنْ حَبَسَهُ كَذَا قَالَ الْقُرْطُبِيُّ وَلَيْسَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ دَلَالَةٌ عَلَى ذَلِكَ.
 وَقَالَ النَّوَوِيُّ: وَفِيهِ وَجُوبُ نَفَقَةِ الْحَيَوَانِ عَلَى مَالِكِهِ وَفِيهِ نَظَرٌ لِأَنَّهُ لَيْسَ فِي
 الْخَبَرِ أَنَّهَا كَانَتْ فِي مِلْكِهَا لَكِنْ فِي قَوْلِهِ هَرَّةٌ لَهَا كَمَا هِيَ رَوَايَةٌ هَمَامٌ مَا يَدُلُّ عَلَى
 ذَلِكَ فَإِنَّ اللَّامَ فِي هَرَّةٍ لَهَا ظَاهِرَةٌ فِي التَّمْلِكِ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.
 وَمُطَابَقَةُ الْحَدِيثِ لِلتَّرْجُمَةِ أَنْ تَوْخِذَ مِنْ قَوْلِهِ تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ
 فَافْهَمُ.

وَقَدْ مَضَى الْحَدِيثُ فِي كِتَابِ الشَّرْبِ فِي بَابِ فَضْلِ سَقْيِ الْمَاءِ.
 (قَالَ) أَيُ: قَالَ عَبْدُ الْأَعْلَى: (وَحَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ) أَيُ: ابْنُ عَمْرٍ، (عَنْ سَعِيدِ
 الْمَقْبُرِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِثْلَهُ) أَيُ: مِثْلُ الْحَدِيثِ
 الْمَذْكُورِ.

(حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي أُوَيْسٍ قَالَ: حَدَّثَنِي) بِالْإِفْرَادِ (مَالِكٌ) الْإِمَامُ، (عَنْ
 أَبِي الزِّنَادِ) بِكَسْرِ الزَّايِ وَبِالنُّونِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ ذَكْوَانَ، (عَنِ الْأَعْرَجِ) عَبْدُ الرَّحْمَنِ
 ابْنُ هَرَمَزٍ، (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «نَزَلَ نَبِيٌّ مِنَ
 الْأَنْبِيَاءِ) قِيلَ هُوَ عَزِيزٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَرَوَى الْحَكِيمُ التِّرْمِذِيُّ فِي النُّوَادِرِ أَنَّهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَبِذَلِكَ جَزَمَ
 الْكَلَابَاذِيُّ فِي مَعَانِي الْأَخْبَارِ وَالْقُرْطُبِيُّ فِي التَّفْسِيرِ.
 (تَحْتَ شَجَرَةٍ، فَلَدَعَتْهُ نَمْلَةٌ) بِالذَّالِ الْمَهْمَلَةِ وَالْغَيْنِ الْمَعْجَمَةِ أَيُ: قُرْصَتَهُ

فَأَمَرَ بِجَهَازِهِ فَأَخْرَجَ مِنْ تَحْتِهَا ، ثُمَّ أَمَرَ بِبَيْتِهَا

وليس هو بالذال المعجمة والعين المهملة فإن ذاك معناه أحرقتة والنملة واحدة النمل وجمع الجمع نمال والنمل أعظم الحيوان حيلة في طلب الرزق ومن عجب أمره أنه إذا وجد شيئاً ولو قل أنذر الباقيين ويحتكر في زمن الصيف للشتاء وإذا خاف العفن على الحب أَخْرَجَهُ إلى ظاهر الأرض وإذا حفر مكانه اتخذها تفاريج لئلا يجري إليها ماء المطر وليس في الحيوان ما يحمل أثقل منه غيره ويحكى أن سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ سأل نملة ما يكفيك من الأكل في سنة واحدة قالت حبة من القمح فأمر بها فحبست في قارورة ووضع معها حبة قمح فتركوها سنة فطلبها ففتح القارورة فإذا فيها النملة ولم تأكل إلا نصفها فَقَالَ أما قلت مأكولي حبة قمح في سنة فقالت بلى يا نبي الله ولكن أنت ملك عظيم الشأن مشغول بالأمور الكثيرة فخفت أن تنساني سنتين فأكلت نصف القمح وادخرت نصفها للسنة الأخرى فتعجب سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ في أمرها وإدراكها وليس هذا ببدع منها فانظر ما أخبر الله تعالى عنها في سورة النمل.

(فَأَمَرَ بِجَهَازِهِ) قَالَ التَّوَوَّى: بكسر الجيم ويجوز فتحها ومعناه أمر بتهيئة أمره في تلك النملة⁽¹⁾.

(فَأَخْرَجَ مِنْ تَحْتِهَا) أي: فأخرج متاعه من تحت الشجرة (ثُمَّ أَمَرَ بِبَيْتِهَا) أي: ببيت تلك النملة.

وفي رواية الزُّهْرِيِّ التي مضت في كتاب الجهاد: فأمر بقرية النمل فأحرقت وقرية النمل موضع اجتماعها.

والعرب تفرق في الأوطان فتقول لمسكن الإنسان: وطن.

وللإبل: عطن.

وللأسد: عرين.

وغابة: وللظبي كناس.

وللذئب: وجار.

(1) بأن أخرج ورفع متاعه من تحت تلك الشجرة.

فَأُحْرِقَ بِالنَّارِ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: فَهَلَا نَمْلَةً وَاحِدَةً⁽¹⁾.

وللطائر: عش.

وللزنبور: كور.

ولليربوع: نافقاء.

وللنمل: قرية.

(فَأُحْرِقَ بِالنَّارِ) أي: أحرق بيتها بالنار.

(فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: فَهَلَا نَمْلَةً) أي: فهلا أحرقت نملة (وَاحِدَةً) لأنها هي

(1) قال الحافظ: قوله «أمر بيتها» أي: بيت النمل، وفي رواية الزهري الماضية في الجهاد: فأمر بقرية النمل فأحرقت، وقرية النمل موضع اجتماعهن، والعرب تفرق في الأوطان فيقولون لمسكن الإنسان وطن، ولمسكن الإبل عطن، وللأسد عرين وغابة، وللظبي كناس، وللضب وجار، وللطائر عش، وللزنبور كور، ولليربوع نافق، وللنمل قرية، وقوله: «هلا نملة واحدة» يجوز فيه النصب على تقدير: فهلا أحرقت نملة واحدة وهي التي أدتكم بخلاف غيرها فلم يصدر منها جنابة، واستدل بهذا الحديث على جواز إحراق الحيوان المؤذي بالنار من جهة أن شرع من قبلنا شرع لنا إذا لم يأت في شرعنا ما يرفعه لكن ورد في شرعنا النهي عن التعذيب بالنار.

قال النووي: هذا الحديث محمول على أنه كان جائزاً في شرع ذلك النبي فإنه لم يقع عليه العتب في الإحراق بل في الزيادة على النملة الواحدة، وأما في شرعنا فلا يجوز إحراق الحيوان بالنار إلا في القصاص بشرطه، وكذا لا يجوز عندنا قتل النمل لحديث ابن عباس رضي الله عنه في السنن أن النبي ﷺ نهى عن قتل النملة والنحلة، وقيد غيره كالخطابي النهي عن قتل النمل السليمانى.

وقال البغوي: النمل الصغير الذي يقال له الذر يجوز قتله، ونقله صاحب الاستقصاء عن الصيمري وبه جزم الخطابي، وفي قوله: «إن القتل والإحراق كان جائزاً في شرع ذلك النبي» نظر، لأنه لو كان كذلك لم يعاتب أصلاً إذا ثبت أن الأذى طبعه، وقال عياض: في هذا الحديث دلالة على جواز قتل كل مؤذ، انتهى مختصراً.

وقال القسطلاني: قول النووي: لعلة كان جائزاً في شريعة ذلك النبي متعقب بأنه لو كان جائزاً لم يعاتب أصلاً، ولا يجوز عندنا قتل النمل لحديث ابن عباس المروي في السنن، وكره مالك قتل النمل إلا أن يضر ولا يقدر على دفعه إلا بالقتل.

وقال الدميري قوله: «هلا نملة واحدة» دليل على جواز قتل المؤذي وكل قتل كان لنفع أو دفع ضرر فلا بأس به عند العلماء، ولم يخص تلك النملة التي لدغت لأنه ليس المراد القصاص، لأنه لو أراد الله لقال «هلا نملتك التي لدغتك» ولكن قال: «هلا نملة» فكان نملة تعم البريء والجاني، اهـ.

التي آذنتك ولم يصدر من غيرها جناية واستدل بهذا الحديث على جواز إحراق

قال الحافظ: يقال إن لهذه القصة سبباً وهو أن هذا النبي مر على قرية أهلكتها الله تعالى بذنوب أهلها فوقف متعجباً فقال يا رب قد كان فيهم صبيان ودواب ومن لم يقترب ذنباً، ثم نزل تحت شجرة فجرت له هذه القصة فنبهه الله عز وجل على أن الجنس المؤذي يقتل وإن لم يؤذ وتقتل أولاده وإن لم تبلغ الأذى وهذا هو الظاهر، وإن ثبتت هذه القصة تعين المصير إليه، والحاصل أنه لم يعاتب إنكاراً لما فعل بل جواباً له وإيضاحاً لحكمة شمول الهلاك لجميع أهل تلك القرية فضرب له المثل بذلك أي: إذا اختلط من يستحق الإهلاك بغيره وتعين إهلاك الجميع طريقاً إلى إهلاك المستحق جاز إهلاك الجميع، ولهذا نظائر كتنترس الكفار بالمسلمين وغير ذلك، وقال الكرمانى: النمل غير مكلف فكيف أشير في الحديث إلى أنه لو أحرقت نملة واحدة جاز، مع أن القصص إنما يكون بالمثل لقوله تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: 40]، ثم أجاب بتجوز أن التحريق كان جائزاً عنده، ثم قال يرد عليه: لو كان كذلك لما ذم عليه وأجاب بأنه قد يذم الرفيع القدر على خلاف الأولى.

قال الحافظ: والتعبير بالذم في هذا لا يليق بمقام النبي، فينبغي أن يعبر بالعتاب، وقال القرطبي: ظاهر هذا الحديث بأن هذا النبي إنما عاتبه الله حيث انتقم لنفسه بإهلاك جمع آذاه منه واحدة وكان الأولى به الصبر والصفح وكأنه وقع له أن هذا النوع مؤذ كبنى آدم، وحرمة بنى آدم أعظم من حرمة الحيوان فلو انفرد هذا النظر ولم ينضم إليه التشفي لم يعاتب، قال: والذي يؤيد هذا التمسك بأصل عصمة الأنبياء وأنهم أعلم بالله وبأحكامه من غيرهم وأشدهم له خشية، اهـ.

قلت: واختلف في اسم هذا النبي، قال الحافظ: قيل هو العزيز، وروى الحكيم الترمذي في النوادر أنه موسى عليه السلام، وبذلك جزم الكلاباذي في معاني الأخبار والقرطبي في التفسير، اهـ.

وهكذا قال العيني، وقال القسطلاني: هو عزيز أو موسى عليهما السلام، اهـ.
قال الحافظ:

تلكمة: النمل أعظم الحيوانات حيلة في طلب الرزق، ومن عجيب أمره أنه إذا وجد شيئاً ولو قل أنذر الباقيين ويحتكر في زمن الصيف للشتاء، وإذا خاف العفن على الحب أخرجه إلى ظاهر الأرض وإذا حفر مكانه اتخذها تعاريج لثلا يجري إليها ماء المطر، وليس في الحيوان ما يحمل أثقل منه غيره والذر في النمل كالزنبور في النحل، اهـ.

زاد العيني: ويحكى أن سليمان عليه الصلاة والسلام سأل نملة: ما يكفيك من الأكل في سنة واحدة؟ قالت: حبة من القمح فأمر بها فحبست في قارورة ووضع معها حبة قمح فتركوها سنة فطلبها، ففتح فم القارورة فإذا فيها النملة ولم تأكل إلا نصفها، فقال لها: ما قلت مأكولي حبة قمح في سنة، فقالت: يا نبي الله، ولكن أن ملك عظيم الشأن مشغول بالأمور الكثيرة فخفت أن تنساني سنتين فأكلت نصف القمح وادخرت نصفها للسنة الأخرى، فتعجب سليمان عليه الصلاة والسلام من أمرها وإدراكها وليس هذا ببدع منها =

الحيوان المؤذي بالنار من جهة أن شرع من قبلنا شرع لنا إذا لم يأت في شرعنا ما يرفعه ولا سيما أن ورد على لسان الشارع ما يشعر باستحسان ذلك لكن ورد في شرعنا النهي عن التعذيب بالنار.

قَالَ النَّوَوِيُّ: هذا الحديث محمول على أنه كان جائزاً في شرع ذلك النَّبِيِّ جواز قتل النمل وجواز التعذيب بالنار فإنه لم يقع عليه العتب في أصل القتل ولا في الإحراق بل في الزيادة على النملة الواحدة وأما في شرعنا فلا يجوز إحراق الحيوان بالنار إلا في القصاص بشرطه على ما عرف في الفقه وشرع من قبلنا إنما يجوز العمل به إذا قص الله ورسوله لنا من غير تكبر وكذا لا يجوز عندنا قتل النمل لما روى أصحاب السنن من حديث ابن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى عَنْ قَتْلِ النَّمْلَةِ وَالنَّحْلَةِ انْتَهَى.

فانظر ما أخبر الله عنها في سورة النمل، اهـ.

قال القسطلاني: روى الدارقطني والحاكم من حديث أبي هريرة مما ذكره في حياة الحيوان أن النبي ﷺ قال: «لا تقتلوا النمل فإن سليمان عليه السلام خرج ذات يوم يستسقي فإذا هو بنملة مستلقية على قفاها رافعة قوائمها تقول: اللّهُمَّ إنا خلق من خلقك لا غنى لنا عن فضلك، اللّهُمَّ لا تؤاخذنا بذنوب عبادك الخاطئين واسقنا مطراً تنبت لنا به شجراً وأطعمنا ثمراً» فقال سليمان عليه الصلاة والسلام لقومه: ارجعوا فقد كفيتم وسقيتم بغيركم، اهـ. والحديث أخرجه في المشكاة برواية الدارقطني مختصراً بلفظ: خرج نبي من الأنبياء يستسقي فإذا هو بنملة رافعة بعض قوائمها إلى السماء فقال: ارجعوا فقد استجيب لكم من أجل هذه النملة، اهـ.

وقد بسط الطحاوي في مشكله في بيان مشكل ما روي عن رسول الله ﷺ من نهيه عن قتل النملة والنحلة والهدهد والصرد، وذكر فيه حديث الباب بلفظ «فأوحى الله إليه أن قرصتك نملة أحرقت أمة من الأمم تسبح»؟

ثم ذكر حديث استسقاء النملة المذكور ثم قال: ما كان هذا سبيله كان قتله قاطعاً لمثل هذين المعنيين ثم ذكر الحديث المذكور بلفظ: «فهلا نملة واحدة» ثم قال: وفيه ما قد دل على إباحة قتل ما قد آذى من النمل، وفيما قبله النهي عن قتل ما لم يؤذ منها، انتهى مختصراً.

وبسط الدميمري في حياة الحيوان الكلام على النملة بما لا مزيد عليه، وقال البيض كله بالضاد، الأبيظ النمل فإنه بالطاء، وبسط في الروايات والحكايات الواردة في النمل فارجع إليه لو شئت.

وقد قيد غيره النهي عن قتله بكونه من النمل السليمانى وَقَالَ البغوي النمل الصغير الذي يقال له الذر يجوز قتله قيل والذر في النمل كالزنبور في النحل ثم قوله إن القتل والإحراق كان جائزاً في شرع ذلك النَّبِيِّ فيه نظر لأنه لو كان كذلك لم يعاتب أصلاً ورأساً.

وَقَالَ القاضي عياض: في هذا الحديث دلالة على جواز قتل كل مؤذ ويقال إن لهذه القصة سبباً وهو أن هذا النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ مر على قرية أهلكها الله تعالى بذنوب أهلها فوقف متعجباً فَقَالَ يا رب كان فيهم صبيان ودواب ومن لم يقترب ذنباً ثم نزل تحت شجرة فجرت له هذه القصة فنبهه الله تعالى على أن الجنس المؤذي يقتل وإن لم يؤذ ويقتل أولاده وإن لم تبلغ الأذى انتهى.

وهذا هو الظاهر وإن ثبتت هذه القصة تعين المصير إليه والحاصل أنه لم يعاتب إنكاراً لما فعل بل جواباً له وإيضاحاً لحكمة شمول الهلاك لجميع أهل تلك القرية فضرب له المثل بذلك أي: إذا اختلط من يستحق الإهلاك بغيره وتعين إهلاك الجميع طريقاً إلى إهلاك المستحق جاز إهلاك الجميع ولهذا نظائر كثيرة كترس الكفار بالمسلمين وغير ذلك والله تعالى أعلم كذا ذكره الْحَافِظ الْعَسْقَلَانِي.

وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ: ظاهر هذا الحديث أن هذا النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ إنما عاتبه الله حيث انتقم لنفسه بإهلاك جمع آذاه منه واحد وكان الأولى به الصبر والصفح وكأنه وقع له أن هذا النوع مؤذ لبني آدم وحرمة بني آدم أعظم من حرمة الحيوان فلو انفرد هذا النظر ولم ينضم إليه التشفي لم يعاتب قَالَ والذي يؤيد هذا التمسك أصل عصمة الأنبياء وأنهم أعلم بالله وبأحكامه من غيرهم وأشدهم له خشية، انتهى.

ومطابقة الحديث للترجمة من حيث أنه يدل على جواز قتل المؤذي من الحيوان كالفواسق.

وقد أخرجَهُ الْبُخَارِيُّ في كتاب الجهاد في باب إذا أحرقت المشرك المسلم.

17 - باب: إِذَا وَقَعَ الذُّبَابُ فِي شَرَابٍ أَحَدِكُمْ فَلْيَغْمِسْهُ،

فَإِنْ فِي إِحْدَى جَنَاحَيْهِ دَاءٌ وَفِي الْأُخْرَى شِفَاءٌ

3320 - حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ مَخْلَدٍ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ بِلَالٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عُثْبَةُ بْنُ

مُسْلِمٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عُيَيْدُ بْنُ حُنَيْنٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ:

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِذَا وَقَعَ الذُّبَابُ

17 - باب: إِذَا وَقَعَ الذُّبَابُ فِي شَرَابٍ أَحَدِكُمْ فَلْيَغْمِسْهُ،

فَإِنْ فِي إِحْدَى جَنَاحَيْهِ دَاءٌ وَفِي الْأُخْرَى شِفَاءٌ

(باب) بالتونين (إِذَا وَقَعَ الذُّبَابُ فِي شَرَابٍ أَحَدِكُمْ فَلْيَغْمِسْهُ، فَإِنْ فِي إِحْدَى

جَنَاحَيْهِ دَاءٌ وَفِي الْأُخْرَى شِفَاءٌ) ترجم هذا الباب بنص الحديث الذي ساقه فيه

وإنما وقع هنا في رواية أبي ذر عن بعض شيوخه وحذف عند الباقيين وحذفه أولى

لأن الأحاديث التي تأتي بعد هذا الحديث لا تعلق لها بذلك ولا مطابقة بينها

وبين هذه الترجمة كما تراه.

(حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ مَخْلَدٍ) بفتح الميم واللام وسكون الخاء المعجمة وآخره

دال مهملة أَبُو الهيثم البجلي الكوفي قَالَ: (حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ بِلَالٍ) أَبُو أيوب

القرشي التميمي (قَالَ: حَدَّثَنِي) بالإفراد (عُثْبَةُ) بضم العين المهملة وسكون المثناة

الفوقية وبالموحدة (ابْنُ مُسْلِمٍ) بلفظ الفاعل في الإسلام مولى بني تميم المديني.

(قَالَ: أَخْبَرَنِي عُيَيْدُ بْنُ حُنَيْنٍ) كلاهما بالتصغير وحنين هو أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مولى

زيد بن الخطاب القرشي العدوي.

(قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: إِذَا وَقَعَ

الذُّبَابُ) قَالَ ابن التين: هو جمع ذُبَابَةٍ، وفي المنتهى الذُّبَابُ بالضم معروف،

وجمع الذُّبَابُ ذُبَّانٌ، ولا تقل ذُبَّانَةً والجمع القليل أَدْبَةٌ كَغُرَابٍ وَأَغْرِبَةٍ وَغُرْبَانٍ.

وَقَالَ أَبُو هلال العسكري: الذُّبَابُ واحد والجمع ذُبَّانٌ، والعامة، تقول:

ذُبَّانَةً للواحد والذُبَّان للجمع وهو خطأ.

وَقَالَ أَبُو حاتم السجستاني: تقول هذا ذُبَابٌ للواحد وذُبَابَانِ في الثنية، ولا

يقال: ذُبَابَةٌ ولا ذُبَّانَةٌ، وَقَالَ ابن سيدة في المحكم: لا يقال: ذُبَابَةٌ إِلَّا أَنْ

أَبَا عبيدة رواه عن الأحمر.

فِي شَرَابٍ أَحَدِكُمْ فَلْيَغْمِسْهُ ثُمَّ لِيَنْزِعْهُ،

والصواب دُبَابٌ واحدٌ وفي التنزيل: ﴿وَإِنْ يَسْأَلُكُمُ الدُّبَابُ شَيْئًا﴾ [الحج: 73] فسروه بالواحد.

وحكى سيبويه عن العرب: دَبٌّ في جمع دُبَابَةٌ وَقَالَ الجوهري: الدُّبَابُ معروف، الواحدة دُبَابَةٌ ولا تقل: دُبَابَةٌ، وجمع القلة أَدْبَةٌ والكثرة دُبَانٌ. وَقَالَ أَبُو عبيد: أَرْضٌ مَذْبَةٌ، ذات دُبَابٍ، وَقَالَ الفراء: أَرْضٌ مَذْبُوبَةٌ، كما يقال: مَوْحُوشَةٌ، من الوحش، والمَذْبَةُ ما يذبُّ به الدُّبَابُ أي: ما يدفع، ويقال: سُمِّيَ الدُّبَابُ دُبَابًا لأنه كلما دُبَّ آب.

وَقَالَ الجاحظ: عمر الذباب أربعون يومًا وهو في النار وليس تعذيبًا له وإنما يعذب به أهل النار لوقوعه عليهم فإنه لا شيء أضر على المكلوم من وقوعه على كلمه.

(فِي شَرَابٍ أَحَدِكُمْ) الشراب هنا يدخل فيه كل المائعات قَالَ تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ﴾ [النحل: 69] وقد وقع في رواية أَبِي داود من حديث المقبري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا وَقَعَ الذَّبَابُ فِي إِنَاءٍ أَحَدِكُمْ فَإِنْ فِي أَحَدِ جَنَاحَيْهِ دَاءٌ وَالْآخَرُ شِفَاءٌ وَإِنَّهُ يَتَّقِي بِجَنَاحِهِ الَّذِي فِيهِ الدَّاءُ فَيَغْمِسُهُ كُلَّهُ وَيُرْوِي فَلْيَغْمِسْهُ وَالْإِنَاءُ يَكُونُ فِيهِ كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الْمَأْكُولَاتِ وَالْمَشْرُوبَاتِ.

(فَلْيَغْمِسْهُ) مِنْ غَمَسَهُ فِي الْمَاءِ إِذَا غَطَّاهُ فِيهِ وَأَدْخَلَهُ، وفي رواية ابن ماجه: فَامْقُلُوهُ فِيهِ، مِنْ الْمَقْلِ بِالْقَافِ، وهو الغمس، قَالَ أَبُو عبيد أي: اغمسوه في الطعام أو الشراب ليخرج الشفاء كما خرج الداء وذلك بِالْهَامِ اللَّهُ تعالى وفي المغرب في الحديث إِذَا وَقَعَ الذَّبَابُ فِي طَعَامٍ أَحَدِكُمْ فَامْقُلُوهُ فَإِنْ فِي أَحَدِ جَنَاحَيْهِ سَمَا وفي الآخر شِفَاءٌ هَكَذَا فِي الْأَصُولِ وَأَمَّا فَامْقُلُوهُ ثُمَّ انْقُلُوهُ فَمَصْنُوعٌ.

قَالَ الْعَيْنِيُّ: وفي غالب كتب أصحابنا وقع مثل ما قَالَ والصحيح فامقلوه فيه فإنه يقدم السم ويؤخر الشفاء كما في رواية ابن ماجه وغيره وليس فيه ثم انقلوه نعم في رواية الْبُخَارِيِّ ههنا وقع قوله: (ثُمَّ لِيَنْزِعْهُ) وهو يؤدي معنى ثم انقلوه⁽¹⁾.

(1) وفي رواية ابن ماجه: ثم ليطرحه.

فَإِنْ فِي إِحْدَى جَنَاحَيْهِ دَاءٌ وَالْأُخْرَى شِفَاءً».

(فَإِنْ فِي إِحْدَى جَنَاحَيْهِ دَاءٌ) الجناح حقيقة للطائر وإذا استعمل في غيره يكون استعارة قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ﴾ [الإسراء: 24] وفي غالب النسخ: فَإِنْ فِي أَحَدِ جَنَاحَيْهِ دَاءٌ.

(وَالْأُخْرَى شِفَاءً) بتذكير أحد والآخر ووجه تأنيثهما باعتبار أن جناح الطائر يده فالتأنيث باعتبار اليد والأخرى شفاء وفي كثير من النسخ وفي الأخرى بإعادة في وتركها يدل على جواز العطف على معمولي عاملين مختلفين إذا تقدم المجرور كما هو رأي الأخفش والكوفيين فحينئذ تكون الأخرى مجرورًا عطفًا على في إحدى وشفاء منصوبًا عطف على داء وسيبويه لا يجوزوه وتؤيده رواية إثبات حرف الجر في قوله وفي الأخرى شفاء وقيل ويروى شفاء بالرفع فعلى هذا يخرج الكلام عن العطف على معمولي عاملين مختلفين ولكنه يحتاج إلى تقدير مضاف والأخرى ذات شفاء لعدم صحة الحمل هذا.

وَقَالَ الْكِرْمَانِيُّ: واعلم أن مثله في مخلوقات الله كثير فإن النحلة يخرج من بطنها العسل ومن إبرتها السم والعقرب يهيج الداء بإبرتها ويتداوى بها من ذلك وكذلك الأفعى بالترياق.

قال الخطابي ما ملخصه: قَالَ بَعْضُ الْجَهْلَةِ الْمَعَانِدِينَ: كَيْفَ يَجْتَمِعُ الدَّاءُ وَالشِّفَاءُ فِي جَنَاحِي الذَّبَابِ؟ وَكَيْفَ يَدْرِكُ الذَّبَابُ ذَلِكَ مِنْ نَفْسِهِ حَتَّى يَقْدَمَ الدَّاءُ وَيُؤَخِّرَ الشِّفَاءَ؟

وَرَدُّ عَلَيْهِمْ أَنَّ عَامَةَ الْحَيَوَانَ جَمَعَتْ فِيهَا بَيْنَ الْحَرَارَةِ وَالْبُرُودَةِ وَالرُّطُوبَةِ وَالْيَبُوسَةِ فِي أَشْيَاءٍ مُتَضَادَّةٍ إِذَا تَلَاقَتْ تَفَاسَدَتْ لَوْلَا تَأْلِيفُ اللَّهِ تَعَالَى لَهَا وَالَّذِي أَلْهِمَ النِّحْلَةَ وَشَبَّهَهَا مِنَ الْحَيَوَانَ بِنَاءِ الْبُيُوتِ وَادْخَارِ الْقُوتِ هُوَ الْمَلْهِمُ لِلذَّبَابِ مَا تَرَاهُ فِي الْكِتَابِ.

فائدة:

وَقَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْمَالِقِيُّ فِي جَامِعِهِ: الذَّبَابُ يَتَوَلَّدُ مِنَ الزَّبَلِ فَإِنْ أَخَذَ الذَّبَابُ الْكَبِيرَ وَقَطَعَتْ رِئُوسَهَا وَحَكَ بِجَسَدِهَا الشَّعْرَةَ الَّتِي فِي الْأَجْفَانِ حَكًّا شَدِيدًا فَإِنَّهُ يَبْرُئُهَا وَإِنْ سَحَقَ الذَّبَابُ بِصَفْرَةِ الْبَيْضِ سَحَقًا نَاعِمًا وَضَمَدَتْ بِهَا الْعَيْنَ الَّتِي فِيهَا

3321 - حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ الصَّبَّاحِ، حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ الْأَزْرَقُ، حَدَّثَنَا عَوْفٌ، عَنْ
الْحَسَنِ، وَابْنِ سِيرِينَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: غُفِرَ
لَاْمَرَأَةِ مُومِسَةٍ،

اللحم الأحمر من داخل فإنه يسكن من ساعته وإن مسح لسعة الزنبور بالذباب
سكن وجعه انتهى.

ومطابقة الحديث أظهر من أن يخفى .
وقد أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي الطَّبِ أَيْضًا وَكَذَا أَخْرَجَهُ فِيهِ ابْنُ مَاجَةَ وَكَذَا أَبُو
دَاوُدَ.

(حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ الصَّبَّاحِ) بتشديد الموحدة البزار أَبُو عَلِيٍّ الْوَاسِطِيُّ قَالَ :
(حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ الْأَزْرَقُ) هُوَ إِسْحَاقُ بْنُ يُونُسَ الْأَزْرَقِ الْوَاسِطِيُّ ⁽¹⁾ قَالَ : (حَدَّثَنَا
عَوْفٌ) هُوَ الْمَشْهُورُ بِالْأَعْرَابِيِّ.

(عَنِ الْحَسَنِ) أَيُ: الْبَصْرِيِّ، (وَابْنِ سِيرِينَ) هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ سِيرِينَ الْمَعْبَرِ
الْمَشْهُورِ.

(عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ) أَنَّهُ (قَالَ: غُفِرَ لَاْمَرَأَةِ
مُومِسَةٍ) أَيُ: زَانِيَةٍ وَيَجْمَعُ عَلَى مَوْمَسَاتٍ وَمِيَامِيسٍ وَمَوَامِسٍ وَأَصْحَابُ الْحَدِيثِ
يَقُولُونَ مِيَامِيسٍ وَلَا يَصِحُّ إِلَّا عَلَى إِشْبَاعِ الْكُسْرَى لِتَصْيِيرِ يَاءٍ وَقَدْ اخْتَلَفَ فِي أَصْلِ
هَذِهِ اللَّفْظَةِ فَبَعْضُهُمْ يَجْعَلُهُ مِنَ الْهَمْزَةِ وَبَعْضُهُمْ يَجْعَلُهُ مِنَ الْوَاوِ.

وَقَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ: كُلُّ مِنْهُمَا تَكْلُفٌ لَهُ اشْتِقَاقًا فِيهِ بَعْدَ فَذِكْرِنَاهَا فِي حَرْفِ
الْمِيمِ لظَاهِرِ لَفْظِهَا وَلَا اخْتِلَافَهُمْ فِي أَصْلِهَا.

وَقَالَ ابْنُ قُرْقُولٍ: الْمِيَامِيسُ وَالْمَوْمَسَاتُ الْمَجَاهِرَاتُ بِالْفَجْوَرِ وَالْوَاوِ
مَوْمَسَةٌ وَذَكَرَهُ أَصْحَابُ الْعَرَبِيَّةِ فِي الْوَاوِ وَالْمِيمِ وَالسِّينِ وَرَوَاهُ ابْنُ الْوَلِيدِ عَنْ ابْنِ
السَّمَاكِ الْمَأْمِيسَ بِالْهَمْزِ قَالَ صَحَّ الْهَمْزُ فَهُوَ مِنْ مَأْسِ الرَّجُلِ إِذَا لَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى
مَوْعِظَةٍ وَأَفْسَدَ مَا بَيْنَ الْقَوْمِ انْتَهَى.

وَتَعْقِبُهُ الْعَيْنِيُّ: بِأَنَّهُ إِذَا كَانَ لَفْظُ مَوْمَسَةٍ مِنْ مَأْسٍ يَأْتِي اسْمُ الْفَاعِلِ مِنْهُ

مَرَّتْ بِكَلْبٍ عَلَى رَأْسِ رَكِيٍّ يَلْهَثُ، قَالَ: كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطَشُ، فَتَزَعَتْ خُفَّهَا، فَأَوْتَقَتْهُ بِخِمَارِهَا، فَتَزَعَتْ لَهُ مِنَ الْمَاءِ، فَعُفِّرَ لَهَا بِذَلِكَ».

3322 - حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، قَالَ: حَفِظْتُهِ مِنَ الزُّهْرِيِّ كَمَا أَنَّكَ هَا هُنَا أَخْبَرَنِي عُيَيْدُ اللَّهِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ أَبِي طَلْحَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةٌ».

للمؤنث ولا يأتي من هذا الباب مومسة والذي يظهر لي أنه من مومس مثل وسوس والفاعل منه للمذكر مومس وللمؤنث مومسة.

(مَرَّتْ بِكَلْبٍ عَلَى رَأْسِ رَكِيٍّ) بفتح الراء وكسر الكاف وتشديد الياء هو البثر ويجمع على ركايا.

(يَلْهَثُ، قَالَ: كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطَشُ، فَتَزَعَتْ خُفَّهَا، فَأَوْتَقَتْهُ بِخِمَارِهَا، فَتَزَعَتْ لَهُ مِنَ الْمَاءِ، فَعُفِّرَ لَهَا بِذَلِكَ) أي: بسبب ما فعلت من السقي وفيه دليل على قبول عمل المرتكب للكبائر من المسلمين وأن الله تعالى يتجاوز عن الكبيرة بالعمل اليسير من الخير تفضلاً منه ولا منافاة بينه وبين ما سبق في كتاب الشرب أنه كان رجلاً لا احتمال وقوعه مرتين وقد عرفت أن هذه الترجمة ساقطة عند غير أبي ذر فلا يتأتى بينها وبين الحديث مطابقة.

(حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ) المعروف بابن المدني قَالَ: (حَدَّثَنَا سُفْيَانُ) هو ابن عيينة، (قَالَ: حَفِظْتُهِ مِنَ الزُّهْرِيِّ) هو ابن شهاب.

(كَمَا أَنَّكَ هَا هُنَا) يعني كما لا شك في كونك في هذا المكان كذلك لا شك في حفظي له أنه قَالَ: (أَخْبَرَنِي) بالإنفراد ويروى: أَخْبَرَنَا بالجمع (عُيَيْدُ اللَّهِ) أي: ابن عبد الله، (عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (عَنْ أَبِي طَلْحَةَ) زيد بن سهل الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (عَنِ النَّبِيِّ ﷺ)، قَالَ: «لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةٌ»⁽¹⁾ والحديث قد مضى في باب إذا قَالَ أحدكم آمين ومر الكلام فيه.

(1) قال بعضهم بمقتضى عموم لفظ كلب وخصصه آخرون بغير ما هو للحاجة ككلب الزرع، وكذلك الصورة خصصها بعضهم بالصورة المحرمة أي: صورة الحيوان وأمَّا الملائكة فبالاتفاق مخصوص بالكرام الكاتبين قاله الكرمانى، فليتأمل.

3323 - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ، أَخْبَرَنَا مَالِكٌ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَمَرَ بِقَتْلِ الْكِلَابِ».

(حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ، أَخْبَرَنَا مَالِكٌ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَمَرَ بِقَتْلِ الْكِلَابِ») ذهب كثير من العلماء إلى جواز قتل الكلاب إلا ما استثنى منها ولم يروا الأمر بقتل ما عدا المستثنى منسوخاً بل محكماً وَقَالَ: الإجماع على قتل العقور منها واختلفوا في قتل ما لا ضرر فيه فَقَالَ إمام الحرمين أمر الشارع أولاً بقتلها كلها ثم نسخ ذلك ونهى عن قتلها إلا الأسود البهيم ثم استقر الشرع على النهي عن قتل جميعها إلا الأسود لحديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَغْفَلِ الْمَزْنِيِّ لَوْلَا أَنَّ الْكِلَابَ أُمَّةٌ مِنَ الْأُمَمِ لَأُمِرَتْ بِقَتْلِهَا رواه أصحاب السنن الأربعة ومعنى البهيم شيطان بعيد عن المنافع قريب من المضرة وهذه أمور لا تدرك بنظر ولا يوصل إليها بقياس وإنما ينتهي إلى ما جاء عن الشارع.

وَقَالَ ابن عبد البر: وقد روي عن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ الْكِلَابَ مِنَ الْجَنِّ وَهِيَ ضِعْفَةُ الْجَنِّ وَفِي لَفْظِ السُّودِ مِنْهَا جَنٌّ وَالْبَقْعُ مِنْهَا جَنٌّ وَقَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ هُمْ سَفَلَةُ الْجَنِّ وَضِعْفَاؤُهُمْ وَقَالَ ابْنُ عَدِيسٍ يُقَالُ كَلْبٌ جَنِّي .

وروي عن الحسن وإبراهيم أنهما يكرهان صيد الكلب الأسود البهيم وإليه ذهب أحمد وبعض الشافعية وقالوا لا يحل الصيد إذا قتله وعند أبي حنيفة ومالك والشافعية يحل .

وَقَالَ أَبُو عَمْرِو الذي تختاره أن لا يقتل منها شيء إذا لم يضر لنهي أن يتخذ فيه روح غرضاً ولحديث الذي سقى الكلب ولقوله في كل كبِدٍ حرّاءٍ جزاء وترك قتلها في كل الأمصار وفيها العلماء ومن لا يسامح في شيء من المنكر والمعاصي الظاهرة وما علمت فقيها من فقهاء المسلمين جعل اتخاذ الكلاب جرحاً ولا رد قاض شهادة متخذها ومذهب الشافعية تحريم اقتناء الكلب بغير حاجة .

وَقَالَ أَبُو عَمْرِو في الأمر بقتل الكلاب دلالة على عدم أكلها ألا ترى إلى الذي جاء عن عمر وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في ذبح الحمام وقتل الكلاب .

3324 - حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا هَمَّامٌ، عَنْ يَحْيَى، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو سَلَمَةَ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حَدَّثَهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَمْسَكَ كَلْبًا يَنْقُصُ مِنْ عَمَلِهِ كُلَّ يَوْمٍ قِيرَاطٍ إِلَّا كَلَبَ حَرْثٍ، أَوْ كَلَبَ مَاشِيَةً».

وفيه: دلالة على افتراق حكم ما يؤكل وما لا يؤكل لأنه ما جاز ذبحه وأكله لم يجز الأمر بقتله ومن ذهب إلى الأسود منها بأنه شيطان فلا حجة فيه لأن الله تعالى قد سمى من غلب عليه الشر من الإنس شيطانا ولم يجب بذلك قتله وقد جاء مرفوعا في الحمام شيطان يتبع شيطانة وليس في ذلك ما يدل على أنهما مسخا من الجن ولا أن الحمامة مسخت من الجن ولا أن ذلك واجب قتله وقال ابن العربي في حديث سقي الكلب يحتمل أن يكون قبل النهي عن قتلها ويحتمل بعده فإن كان الأول فليس بناسخ له لأنه لما أمر بقتل الكلاب لم يأمر إلا بقتل كلاب المدينة لا بقتل كلاب البوادي.

وهو الذي نسخ وكتاب البوادي لم يرد فيها قتل ولا نسخ وظاهر الحديث يدل عليه ولأنه لو وجب قتله لما وجب سقيه ولا يجمع عليه حر العطش والموت كما لا يفعل بالكافر العاصي فكيف بالكلب الذي لم يعص وفي الحديث الصحيح أنه ﷺ لما أمر بقتل يهود شكوا العطش فقال لا تجمعوا عليهم حر السيف والعطش فسقوا ثم قتلوا.

ومطابقة الحديث للترجمة كما عرفت وقد أخرجهُ مُسْلِمٌ أَيْضًا فِي الْبَيْوعِ وَالنِّسَائِيِّ فِي الصِّيدِ وَكَذَا ابْنُ مَاجَةَ.

(حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ) التَّبُذَكِيُّ قَالَ: (حَدَّثَنَا هَمَّامٌ، عَنْ يَحْيَى) هُوَ ابْنُ أَبِي كَثِيرٍ أَنَّهُ (قَالَ: حَدَّثَنِي) بِالْإِفْرَادِ (أَبُو سَلَمَةَ) أَي: ابْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ (أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حَدَّثَهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَمْسَكَ كَلْبًا يَنْقُصُ مِنْ عَمَلِهِ كُلَّ يَوْمٍ قِيرَاطٍ إِلَّا كَلَبَ حَرْثٍ، أَوْ كَلَبَ مَاشِيَةً»⁽¹⁾) وقد مر الحديث في كتاب المزارعة في باب اقتناء الكلب للحرث ومر الكلام فيه مستوفى وقد مر أن القيراط هنا مقدار معلوم عند الله تعالى والمراد نقص جزء من أجزاء أعماله وأما التوفيق بين قيراط في هذا الحديث وبين قيراطين في رواية أخرى فباعتبار التخليط

(1) والماشية اسم يقع على الإبل والبقر والغنم وأكثر ما يستعمل في الغنم.

3325 - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ، قَالَ: أَخْبَرَنِي يَزِيدُ بْنُ حُصَيْفَةَ، قَالَ: أَخْبَرَنِي السَّائِبُ بْنُ يَزِيدَ، سَمِعَ سُفْيَانَ بْنَ أَبِي زُهَيْرٍ الشَّنْئِيَّ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «مَنْ افْتَنَى كَلْبًا، لَا يُغْنِي عَنْهُ زَرْعًا وَلَا ضَرْعًا، نَقَصَ مِنْ عَمَلِهِ كُلِّ يَوْمٍ قِيرَاطٌ» فَقَالَ السَّائِبُ: أَنْتَ سَمِعْتَ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: إِي

في القيراطين لما لم ينته الناس أو باعتبار كثرة الأذى بين كثرة الكلب وقلته أو باختلاف المواضع فالقيراطان في المدينة النبوية لزيادة فضلها والقيراط في غيرها أو القيراطان في المدينة والقيراط في البوادي.

وَقَالَ الرُّوْيَانِي: اختلفوا في المراد بما ينقص منه فقليل ينقص مما مضى من عمله وقيل من مستقبله واختلفوا في محل نقصانها فقليل قيراط من عمل النهار وقيراط من عمل الليل وقيل قيراط من عمل الفرض وقيراط من النفل.

وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ: أقرب ما قيل في ذلك قولان أحدهما أن جميع ما عمله من عمل ينقص من اتخذ ما نهى عنه من الكلاب بإزاء كل يوم يمسه جزءان من أجزاء ذلك العمل وقيل من عمل ذلك اليوم الذي أمسكه فيه الثاني يحط من عمله عملاً أو من عمل يوم إمساكه عقوبة له على ما اقتحم من النهي ويقال سببه انقطاع الملائكة من دخول بيته أو ما يلحق المارين من الأذى أو ولوغه في الأولى عند غفلة صاحبه.

(حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ) القعني قَالَ: (حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ) هو أبو بلال أبو أيوب (قَالَ: أَخْبَرَنِي يَزِيدُ) من الزيادة (ابْنُ حُصَيْفَةَ) بضم الخاء المعجمة وفتح الصاد المهملة وسكون المثناة التحتية وبالفاء (1) (قَالَ: أَخْبَرَنِي السَّائِبُ بْنُ يَزِيدَ) وقد مر في الوضوء أنه (سَمِعَ سُفْيَانَ بْنَ أَبِي زُهَيْرٍ الشَّنْئِيَّ) بفتح الشين المعجمة وبالنون والهمزة نسبة إلى شنوءة الأزدي وقد مر في جزاء الصيد.

(أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: مَنْ افْتَنَى كَلْبًا، لَا يُغْنِي عَنْهُ زَرْعًا) أي: لا ينفعه من جهة الزرع، (وَلَا ضَرْعًا) أي: ولا من جهة الضرع.

(نَقَصَ مِنْ عَمَلِهِ كُلِّ يَوْمٍ قِيرَاطٌ) فَقَالَ السَّائِبُ: أَنْتَ سَمِعْتَ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: إِي بكسر الهمزة وسكون الياء حرف جواب بمعنى

وَرَبَّ هَذِهِ الْقِبْلَةِ.

نعم فيكون لتصديق الخبر والإعلام المستخبر ولوعد الطالب وزعم ابن الحاجب أنها إنما تقع بعد الاستفهام واتفق الجميع على أنها لا تقع إلا قبل القسم كما وقع هنا قبل قوله: (وَرَبَّ هَذِهِ الْقِبْلَةِ) قَالَ الْكِرْمَانِيُّ: فَإِنْ قُلْتَ لَا تَعْلُقْ لِبَعْضِ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ بِتَرْجُمَةِ الْبَابِ قُلْتَ هَذَا آخِرُ كِتَابِ بَدْءِ الْخَلْقِ فَذَكَرَ فِيهِ مَا ثَبَتَ عِنْدَهُ مِمَّا يَتَعْلَقُ بِبَعْضِ الْمَخْلُوقَاتِ وَذَكَرَ صَاحِبُ التَّوْضِيحِ أَنَّ ذِكْرَ أَحَادِيثِ الْكَلْبِ هُنَا لَمَّا أَتَى عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَغَيْرِهِ أَنَّهُ مِنَ الْجِنِّ وَالتَّرْجُمَةُ قَرِيبٌ مِنْ تَرْجُمَةِ ذِكْرِ الْجِنِّ.

وَقَالَ الْعَيْنِيُّ: مَا ذَكَرَهُ الْكِرْمَانِيُّ بَعِيدٌ جَدًّا وَمَا ذَكَرَهُ صَاحِبُ التَّوْضِيحِ فَأَبْعَدُ مِنْهُ جَدًّا لِأَنَّ كَوْنَهُ مِنَ الْجِنِّ يَقْتَضِي ذِكْرَهُ فِي بَابِ الْجِنِّ وَكَيْفَ يَكُونُ هَذَا قَرِيبًا مِنْ بَابِ ذِكْرِ الْجِنِّ وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّرْجُمَةِ الْمَذْكُورَةِ ثَلَاثَةُ أَبْوَابٍ وَبِمِثْلِ هَذَا لَا تَقَعُ الْمِطَابَقَةُ وَالْوَجْهُ أَنَّ يُقَالُ إِنَّ هَذِهِ التَّرْجُمَةَ وَهِيَ قَوْلُهُ بَابٌ إِذَا وَقَعَ الذَّبَابُ فِي شَرَابٍ أَحَدَكُمْ الْخَ لَيْسَتْ بِمَوْجُودَةٍ عِنْدَ أَكْثَرِ الرُّوَاةِ فَهَذِهِ الْأَحَادِيثُ مِنْ أَحَادِيثِ قَوْلِهِ بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَيْتٌ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ﴾ [لقمان: 10] وَأَمَّا قَوْلُهُ بَابُ خَيْرِ مَالِ الْمُسْلِمِ وَبَابُ خَمْسٍ مِنَ الدَّوَابِّ فَهُمَا دَاخِلَانِ فِي ذَلِكَ الْبَابِ، انْتَهَى.

وَلَا يَذْهَبُ عَلَيْكَ أَنَّهُ لَا فَرْقَ فِي ذَلِكَ بَيْنَ هَذَيْنِ الْبَابَيْنِ وَبَيْنَ بَابٍ إِذَا وَقَعَ الذَّبَابُ أَيْ: فِي الدَّخُولِ تَحْتَ ذَلِكَ الْبَابِ فَعُدهما دَاخِلَيْنِ فِيهِ دُونَ تَحْكُمِ. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

وهذا آخر كتاب بدء الخلق، وقد اشتمل من الأحاديث المرفوعة على مائة وستين حديثًا المعلق منها اثنان وعشرون طريقًا والبقية موصولة المكرر منها فيه وفيما مضى ثلاثة وسبعون حديثًا والخالص خمسة وستون حديثًا وافقه مسلم على تخريجها سوى حديث عمران بن حصين في بدء الخلق وحديث عمر فيه وحديث أبي هريرة تكور الشمس والقمر وحديث ابن عباس في زيارة جبريل وحديث ابن عمر في الكلب وحديث يعلى بن أمية ونادوا يا مالك وحديث ابن مسعود في رؤية جبريل وحديث عائشة في الرؤية وحديث عمران اطلعت في الجنة وحديث سهل في درجات الجنة وحديث أنس في الجنة شجرة وحديث أبي هريرة فيه

وحديث ابن عَبَّاس في الحمى وحديث عَائِشَة في قتل والد حذيفة وحديث أَبِي هُرَيْرَة إِذَا وَقَعَ الذُّبَابُ فِي الْإِنَاءِ وَفِيهِ عَنِ الصَّحَابَةِ وَمَنْ بَعْدَهُمْ أَرْبَعُونَ أَثَرًا وَاللَّهُ الْهَادِي إِلَى الصَّوَابِ.

هذا آخر القطعة الرابعة عشرة من شرح صحيح الإمام البُخَارِيِّ على يد جامعها الفقير إلى عناية ربه الصمد أبي مُحَمَّد عَبْدَ اللَّهِ بن مُحَمَّد المدعو بيوسف أفندي زاده كتب الله لهم الحسنَى وزيادة وقد وقع الفراغ منها يوم الاثنين الرابع والعشرين من أيام شهر شوال المنتظم في سلك شهور سنة ثلاث وأربعين ومائة وألف من هجرة من يأخذ العفو ويأمر بالعرف ويتلوها إن شاء الله تعالى القطعة الخامسة عشرة المبتدأة بكتاب أحاديث الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

وَأَسْأَلُ اللَّهَ الْعَظِيمَ مِنْ فَضْلِهِ الْعَظِيمَ أَنْ يُوَفِّقَنِي لِإِتِمَامِهَا وَإِتِمَامِ الصَّحِيحِ الْمَذْكُورِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ الْأَجَلَ وَيُوَفِّقَنِي أَيْضًا لِأَحْسَنِ الْعَمَلِ ، وَأَنْ يَخْتَمِنِي بِالْإِيمَانِ وَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ الْمُسْتَعَانُ فِي كُلِّ الْأُمُورِ.

وَصَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَى سَيِّدِنَا وَسَنَدِنَا وَهَادِينَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

فهرس المحتويات

- 3 57 - كِتَابُ فَرَضِ الْخُمْسِ
- 3 1 - باب فَرَضِ الْخُمْسِ
- 40 2 - باب: أَذَاءُ الْخُمْسِ مِنَ الدِّينِ
- 42 3 - باب نَفَقَةِ نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ بَعْدَ وَفَاتِهِ
- 45 4 - باب مَا جَاءَ فِي بَيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، وَمَا نُسِبَ مِنَ الْبُيُوتِ إِلَيْهِنَّ
- 55 5 - باب مَا ذُكِرَ مِنْ دُرْعِ النَّبِيِّ ﷺ، وَعَصَاهُ، وَسَيْفِهِ وَقَدْحِهِ، وَخَاتَمِهِ، وَمَا اسْتَعْمَلَ الْخُلَفَاءُ بَعْدَهُ مِنْ ذَلِكَ مِمَّا لَمْ يُذَكَّرْ قِسْمَتُهُ، وَمِنْ شَعْرِهِ، وَنَعْلِهِ، وَأَنْبِيَتِهِ مِمَّا تَبَرَّكَ أَصْحَابُهُ وَغَيْرُهُمْ بَعْدَ وَفَاتِهِ
- 67 6 - باب الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ الْخُمْسَ لِنَوَائِبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالْمَسَاكِينِ وَإِنَارِ النَّبِيِّ ﷺ أَهْلِ الصُّمَّةِ وَالْأَزَامِلِ، حِينَ سَأَلَتْهُ فَاطِمَةُ، وَشَكَتْ إِلَيْهِ الطَّحْنُ وَالرَّحَى: أَنَّ يُخْدِمَهَا مِنَ السَّيِّئِ، فَوَكَّلَهَا إِلَى اللَّهِ
- 73 7 - باب قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿مَا نَ لِلَّهِ خُمْسُهُ﴾
- 86 8 - باب قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: «أَحَلَّتْ لَكُمْ الْعَنَائِمُ»
- 98 9 - باب: الْغَنِيمَةُ لِمَنْ شَهِدَ الْوَفْعَةَ
- 101 10 - باب مِنْ قَاتَلَ لِلْمَعْنَمِ، هَلْ يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِهِ؟
- 102 11 - باب قِسْمَةُ الْإِمَامِ مَا يَقْدُمُ عَلَيْهِ، وَيَخْبَأُ لِمَنْ لَمْ يَحْضُرْهُ أَوْ غَابَ عَنْهُ
- 104 12 - باب كَيْفَ قَسَمَ النَّبِيُّ ﷺ فُرَيْطَةَ، وَالتَّضْيِيرَ وَمَا أُعْطِيَ مِنْ ذَلِكَ فِي نَوَائِبِهِ
- 106 13 - باب بَرَكَةِ الْغَارِي فِي مَالِهِ حَيًّا وَمَيِّتًا، مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَوَلَاةِ الْأَمْرِ
- 128 14 - باب: إِذَا بَعَثَ الْإِمَامُ رَسُولًا فِي حَاجَةٍ، أَوْ أَمَرَهُ بِالْمَقَامِ هَلْ يُسْهِمُ لَهُ

- 15- باب: وَمِنَ الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ الْخُمْسَ لِنَوَائِبِ الْمُسْلِمِينَ مَا سَأَلَ هَوَازِنُ النَّبِيِّ ﷺ بِرِضَاعِهِ فِيهِمْ
فَتَحَلَّلَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَمَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَعُدُّ النَّاسَ أَنْ يُعْطِيَهُمْ مِنَ الْفَيْءِ وَالْأَنْقَالِ مِنَ
131 الْخُمْسِ وَمَا أُعْطِيَ الْأَنْصَارَ وَمَا أُعْطِيَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ تَمَرٌ خَيْرَ
- 16- باب مَا مَنَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الْأَسَارَى مِنْ غَيْرِ أَنْ يُخْمَسَ
155
- 17- باب: وَمِنَ الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ الْخُمْسَ لِلْإِمَامِ «وَأَنَّهُ يُعْطَى بَعْضَ قَرَاتِيهِ دُونَ بَعْضٍ» مَا قَسَمَ
157 النَّبِيُّ ﷺ لِنَبِيِّ الْمُطَّلِبِ، وَبَنِي هَاشِمٍ مِنْ خُمْسٍ خَيْرَ
- 18- باب من لَمْ يُخْمَسِ الْأَسْلَابُ، وَمَنْ قَتَلَ قَتِيلًا فَلَهُ سَلْبُهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُخْمَسَ، وَحُكْمُ الْإِمَامِ
164 فِيهِ
- 19- باب مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعْطِي الْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبُهُمْ وَغَيْرُهُمْ مِنَ الْخُمْسِ وَنَحْوِهِ
- 20- باب مَا يُصِيبُ مِنَ الطَّعَامِ فِي أَرْضِ الْحَرْبِ
- 192
- 58 - كِتَابُ الْجِزْيَةِ وَالْمُوَادَعَةِ
- 201
- 1- باب الْجِزْيَةِ وَالْمُوَادَعَةِ مَعَ أَهْلِ الْحَرْبِ
- 201
- 2- باب: إِذَا وَادَعَ الْإِمَامُ مَلِكَ الْقَرْيَةِ، هَلْ يَكُونُ ذَلِكَ لِيَمَيَّتِهِمْ؟
- 229
- 3- باب الْوَصَايَا بِأَهْلِ ذِمَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
- 231
- 4- باب مَا أَقْطَعَ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الْبَحْرَيْنِ، وَمَا وَعَدَ مِنْ مَالِ الْبَحْرَيْنِ وَالْجِزْيَةِ، وَلِمَنْ يُقَسَّمُ الْفَيْءُ
وَالْجِزْيَةُ
- 232
- 5- باب إِنْ مَنَ قَتَلَ مُعَاهِدًا بِغَيْرِ جُرْمٍ
- 237
- 6- باب إِخْرَاجُ الْيَهُودِ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ
- 240
- 7- باب: إِذَا عَدَرَ الْمُشْرِكُونَ بِالْمُسْلِمِينَ، هَلْ يُعْفَى عَنْهُمْ؟
- 245
- 8- باب دُعَاءُ الْإِمَامِ عَلَى مَنْ نَكَثَ عَهْدًا
- 248
- 9- باب أَمَانُ النِّسَاءِ وَجَوَارِيهِنَّ
- 249
- 10- باب: ذِمَّةُ الْمُسْلِمِينَ وَجَوَارِيهِمْ وَاحِدَةٌ يَسْعَى بِهَا أَذْنَاهُمْ
- 251

- 11 - باب: إِذَا قَالُوا: صَبَأْنَا وَلَمْ يُحْسِنُوا أَسْلَمْنَا 254
- 12 - باب المَوَادَّعة وَالْمُصَالَحةَ مَعَ الْمُشْرِكِينَ بِالْمَالِ وَغَيْرِهِ، وَإِثْمٌ مِنْ لَمْ يَقِبْ بِالْعَهْدِ 256
- 13 - باب فَضْلُ الْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ 264
- 14 - باب: هَلْ يُعْفَى عَنِ الذَّمِّ إِذَا سَحَرَ؟ 265
- 15 - باب مَا يُحْدَرُ مِنَ الْعَدْرِ 268
- 16 - باب: كَيْفَ يُنْبَذُ إِلَى أَهْلِ الْعَهْدِ؟ 273
- 17 - باب إِنْهُمْ مِنْ عَاهِدٍ ثُمَّ عَدَرَ 275
- 18 - باب 279
- 19 - باب الْمُصَالَحةَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، أَوْ وَقْتٍ مَعْلُومٍ 286
- 20 - باب المَوَادَّعة مِنْ غَيْرِ وَقْتٍ 287
- 21 - باب طَرَحَ جَبِفِ الْمُشْرِكِينَ فِي الْبُئْرِ، وَلَا يُؤْخَذُ لَهُمْ ثَمَنٌ 287
- 22 - باب إِنْهُمْ الْعَادِرِ لِلْبَرِّ وَالْفَاجِرِ 290
- 59 - كِتَابُ بَدْءِ الْخَلْقِ** 295
- 1 - باب مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ 295
- 2 - باب مَا جَاءَ فِي سَبْعِ أَرْضِينَ 311
- 3 - باب: فِي النُّجُومِ 324
- 4 - باب صِفَةُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ بِحُسْبَانٍ 329
- 5 - باب مَا جَاءَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ﴾ (نُشْرًا) ﴿بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ 347
- 6 - باب ذِكْرُ الْمَلَائِكَةِ 353
- 7 - باب: إِذَا قَالَ أَحَدُكُمْ: آمِينَ وَالْمَلَائِكَةُ فِي السَّمَاءِ، فَوَافَقَتْ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ 414
- 8 - باب مَا جَاءَ فِي صِفَةِ الْجَنَّةِ وَأَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ 438

- 9 - باب صِفَةِ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ 480
- 10 - باب صِفَةِ النَّارِ، وَأَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ 485
- 11 - باب صِفَةِ إِبْلِيسَ وَجُنُودِهِ 509
- 12 - باب ذِكْرِ الْجَنِّ وَتَوَابِهِمْ وَعِقَابِهِمْ 571
- 13 - باب قَوْلِهِ جَلَّ وَعَزَّ: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ 585
- 14 - باب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَبَيْنَ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ﴾ 588
- 15 - باب: خَيْرُ مَالِ الْمُسْلِمِ عَنَّمْ يَتَّبِعُ بِهَا شَعْفَ الْجِبَالِ 596
- 16 - باب: خَمْسٌ مِنَ الدَّوَابِّ فَوَاسِقٌ، يُقْتَلْنَ فِي الْحَرَمِ 613
- 17 - باب: إِذَا وَقَعَ الذُّبَابُ فِي شَرَابٍ أَحَدُكُمْ فَلْيَغْمِسْهُ، فَإِنَّ فِي إِحْدَى جَنَاحَيْهِ دَاءٌ وَفِي الْآخَرَى شِفَاءٌ 627